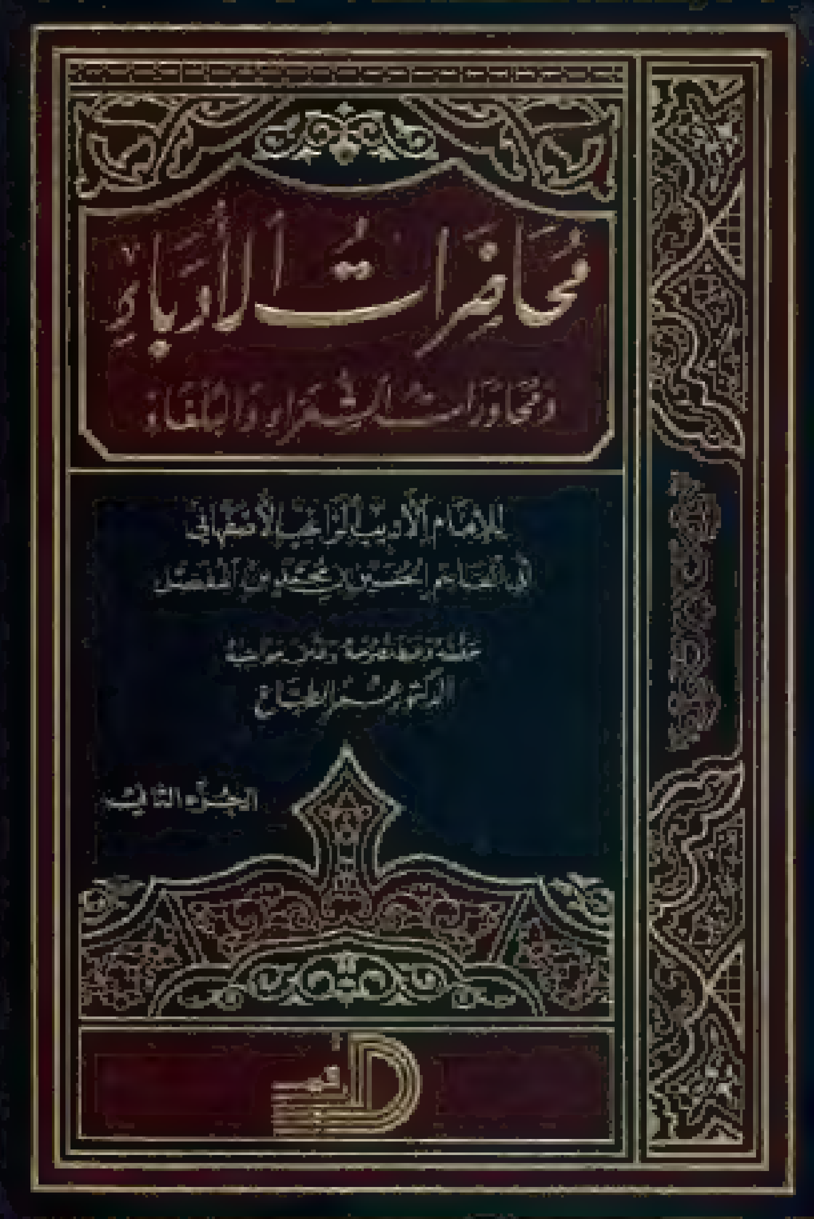

محاضرات الأدباء
ومحاورات الشعراء والبلغاء
للإمام الأديب الراغب الأصفهاني
أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل
الدكتور عمر الطباع
الجزء الثاني



محاضرات الأدباء

ومحاورات الشعراء والبلغاء



مُحَاضَرَاتُ الأُدَبَاءِ

وَمُحَاوَرَاتُ الشُّعَرَاءِ وَالبُلَغَاءِ

لِلإمَامِ الأَدِيبِ الرَّاغِبِ الأَصْفَهَانِي
أَبِي القَاسِمِ الحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ المُفَضَّلِ

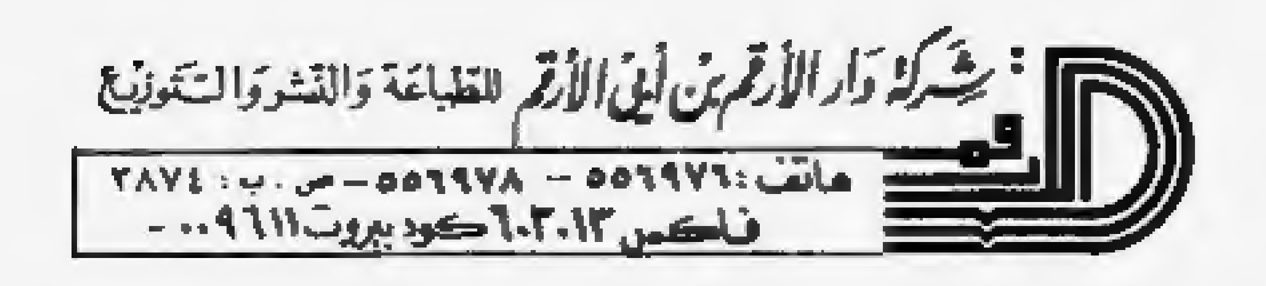
حَقَّقَهُ وَضَبَطَ نُصُوصَهُ وَعَلَّقَ حَوَاشِيَهُ
الدكتور عمر الطباع

الجزء الثاني



شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م



بسم الله الرحمن الرحيم

الحدّ الثاني عشر

في الإخوانيات

•

(١)
حدودُ الأخوّة

•

سُئِلَ بَعْضُهُمْ عن الأخوة **فقال**: هي الموافقةُ في التشاكُل. **وقال إبراهيم الموصلي**: **قلت لأسباط الشيباني**: صِفْ لي الأخوّة وأوْجِزْ **فقال**: أغصان تغرس في القلوب فتثمر على قدر العقول.

قيل لبعض الحكماء: ما الأصدقاء؟ **قال**: نفس واحدة في أجساد متفرقة.

● **الترغيبُ في اقتناءِ الإخوانِ**

قال أمير المؤمنين رضي الله عنه: عليكم باقتناء الإخوان فهم عُدّة في الدين والدنيا. ألا ترى إلى قول الله عزّ وجل في حكاية عن أهل النار في النار: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[1].

قيل أغبط الناس من لا يزال رحله من صالح الإخوان موطأً، **وقيل**: المرء كثير بأخيه. **وقيل لأبقراط**[2]: ما أفضل ما يقتني الإنسان؟ **فقال**: الصديق المخلص، **وقال عمرو بن إبراهيم**:

إنّ السـرور إذا بَلَغْـتَ بوصفِهِ كُنْهَ النهايه[3]
خِـلٌّ تُـؤانِسُـه وذُو دٌ والرجوعُ إلى الكِفايه

قال شاعر:

أخاكَ أخاكَ إنّ من لا أخا له كساعٍ إلى الهيجا بِغَيْرِ سلاحِ[4]

---

(١) **القرآن الكريم**: الشعراء/ ١٠٠.

(٢) **أبقراط**: من أشهر أطباء الإغريق الأقدمين (٤٦٠ ق.م)، هو من مواليد جزيرة كوس. اعتمد في تشخيص الأمراض على اكتشاف أثر الهواء والغذاء في اضطرابات الأخلاط. ترجمت بعض مؤلفاته إلى العربيّة ومنها طبيعة الإنسان.

(٣) **الكنه**: الحقيقة وجوهر الشيء.

(٤) **الهيجا**: مخفّف الهيجاء، يدعو الشاعر إلى حفظ رابطة الإخاء وأن يصون الأخ لأنه عماده في الحياة وملاذه ومشبّه الذي لا أخاله بالذي يخوض المعركة دونما سلاح.

وقد أحسن الذي قال: إن الأخ الصالح خيرٌ لك من نفسك لأن النفس أمارة بالسوء والأخ لا يأمرك إلا بالخير.

● الحثُّ على الإكثار منهم

قال محمود الوراق:

تكثّر من الإخوان ما استطعتَ إنهم ... عمادٌ إذا استنجَدْتَهم وظُهورُ[1]

فما بكثيرٍ ألفُ خِلٍّ وصاحبٍ ... وإنّ عدوّاً واحداً لَكثيرُ

● تفضيل الصديق على النسيب

قيل لعبد الله ابن المقفع[2]: أصديقك أحب إليك أم نسيبك؟ فقال: إنما أحب النسيب إذا كان صديقاً. وقال: الأخ نسيب الجسم والصديق نسيب الروح. قال أبو فراس:

نسيبُك مَنْ ناسَبْتَ بالودِّ قلبَهُ ... وجارُك من صافَيْتَهُ لا المُصَاقِبُ[3]

وقال آخر:

أخو ثقةٍ يسيرُ بحُسْنِ حالٍ ... وإن لم تُدْنِهِ مني قَرَابَهْ

أحبّ إليّ من ألفَي قريبٍ ... تَبيتُ صُدُورُهُمْ لي مُسْتَرَابَهْ[4]

قال بعضهم: الصديق الموافق خير من الشقيق المنافق.

قال بشار[5]:

يخونُك ذو القُربَى مراراً وربّما ... وفى لك عِندَ الجَهْلِ مَنْ لا تُقَارِبُه[6]

وفي المثل: ربّ أخٍ لكَ لم تلدْهُ أمُّكَ.

---

(١) يدعو الشاعر إلى الإكثار من اتخاذ الأخوان واكتسابهم وادّخارهم للاعتماد عليهم في النوائب.

(٢) عبد الله بن المقفع: هو أحد كبار الكتّاب في أوائل العصر العباسي. وهو فارسي الأصل نشأ في العصر الأموي وتتلمذ لعبد الحميد الكاتب، ثم برز في أيام المنصور ويقال بأنّه قتل بإيعاز منه، قتله والي البصرة. عني بترجمة العديد من الكتب نقلاً عن الفارسية ومن آثاره كتاب كليلة ودمنة والأدبان الصغير والكبير ورسالة الصحابة مات سنة (٧٥٩ م).

(٣) النسيب: القريب ـ الودّ: المحبّة ـ صافيته: أخلصت له الودّ ـ المصاقب: الموافق من صاقبه مصاقبة أي قاربه.

(٤) مسترابة: اسم مفعول من استراب أي وقع في الريبة، والريبة القلق واضطراب النفس والشكّ.

(٥) بشار: بشار بن برد (٧١٤ ـ ٧٨٤م) شاعر هجاء من الكبار فارسيّ الأصل، عاش بالبصرة. أكثر من التشبيب بالنساء. هجا المهدي فسخط عليه. ورآه مرة سكران يؤذّن فرماه بالزندقة وضربه سبعين سوطاً حتّى مات. كان أعمى غليظ المنظر.

(٦) من لا تقاربه: من لا تناسبه، يقول: قد يخونك قريبك مراراً ويقابلك بالوفاء من هو بعيدٌ عنك.

● إجراءُ الصديقِ مجرى الشقيق

قال أبو تمام[1]:

وإذا رأيتَ صديقَهُ وشقيقَهُ لم تدرِ أيُّهما ذوو الأرحامِ

وقال رجل من خثعم[2]:

ذو الودِ مني وذو القربى بمنزلةٍ وإخوتي أُسوةٌ عندي وإخواني[3]

● مدحُ مصاحبةِ الأخيارِ وتجنبُ الأشرار

قيل: صحبة الأخيار تورث الخير وصحبة الأشرار تورث الشرّ، كالريح إذا مرّت على النتن حملت نتناً وإذا مرّت على الطّيب حملت طيباً.

وقال النبي ﷺ: مَثَلُ الجليس الصالح كمثل الذي إن لا يجدك من عطره يعلقك من ريحه. ومثلُ الجليس السوء كمثل القَين إنْ لم يحرقك بشرره يؤذِك بدخانه.

● الحثّ على مصاحبة من يُنتفَعُ به

قيل: لا تصاحب إلا رجلاً ترجو نواله أو تخاف يده أو تستفيد من علمه أو ترجو بركة دعائه. وقال أبو جعفر بن محمد: عليك بصحبة مَنْ إنْ صحبته زانك، وإن خدمته صانك، وإن نزلت حاجة ما بك أعانك، وإن سألته أعطاك، وإن تركته بداك، إن رأى حسنة أظهرها أو سيئة سترها.

وقال بعض من سمع ذلك لابن عيينة: ما أراه إلاّ أمره أن لا يصحب أحداً، فقال: بلى إنه أدرك الناس وهذه الأخلاق فيهم، فأوصى بقدر ما عرف.

● كونُ الإنسانِ مصاحباً شَكْلَهُ[4]

قال النبي ﷺ: المرء على دين خليله فلينظر امرؤ من يخالل. وقال إياس: قدمنا بلدكم فعرفنا خياركم من شراركم في يومين. قيل له: كيف؟ قال: كان معنا خيار وشرار فلحق خيارنا بخياركم، وشرارنا بشراركم، فألِف كل شَكْله. قال شاعر:

وكلُّ امرىءٍ يصبو إلى مَنْ يُجانِسُ

وقال آخر:

فإنّما الناسُ أشكالٌ وألاّفُ

---

(1) أبو تمام: حبيب بن أوس الطائي (٧٨٨ ـ ٨٤٥) شاعر عباسي. نشأ في دمشق وتوفي في الموصل. مدّاح الخلفاء ولا سيّما المعتصم. أهم آثاره الحماسة التي ضمنها درر الشعر العربي حتى عصره.

(2) خثعم: بنو خثعم من قبائل العرب.

(3) الأُسوة: القدوة، أو ما يتعزّى به، والسّواء العدل وساوى فلان فلاناً ماثله.

(4) مصاحباً شكله: الشكل أي المثيل والمشابه أو النظير.

وقيل: اغلبُ المحبة ما كان عن تشاكل. بالمشاكلة دوام المواصلة. قال شاعر:

ولا يصحَبُ الإنسانُ إلا نظيرَهُ وإن لم يكونا من قبيلٍ ولا بَلَدِ

ومما يؤكد ذلك:

وإنّ البزاةَ البيضَ لا تألفُ القطا[1]

وقال آخر:

لكلّ امرىءٍ شكلٌ من الناس مثلُهُ وأكثرُهُمْ شكلاً أقلُّهُمْ عَمَلا

وقيل: الشدّ بالقد أهونُ من مصاحبة الضدّ.

● اعتبارُ المرءِ بإخوانه وأنّ من يصاحبُ صاحباً ينسبُ إليه

قال شاعر:

وَمَنْ يُصَاحِبْ صاحباً يُنْسَبْ إلى مستصحبِهْ
وربما عرّ صحيـ ـحاً جربٌ بَجَرَبِهْ

وأخذ جماعة من اللصوص فقال أحدهم: أنا كنت مغنياً لهم فقيل له: غنّ، فغنّى:

عن المرء لا تسألْ وسَلْ عن قرينه فكلّ قرينٍ بالمُقَارِنِ يقتَدي[2]

قيل له: صدقت وأمر بقتله. قال شاعر:

يقاسُ المرءُ بالمرءِ إذا ما هو ما شاهُ
وللناس على النا س مقاييسٌ وأشباهُ

وقيل: انظر من تجانس، فقلّ حصاة طرحت مع حصاة إلا أشبهتها. قال مسكويه:

يقولونَ لي إن الرئيسَ محمداً يؤولُ إلى رأي كريم المناسِبِ[3]
فقلتُ دعوني قد عرفت اختيارَه بطلعةِ منصورٍ وخَطِّ ابن كاتِبِ

● الحثُّ على مصاحبةِ العُقَلاءِ

قيل: جالس العقلاء أعداءً كانوا أم أصدقاء، فالعقل يقع على العقل.

وقيل: العاقل بخشونة العيش مع العقلاء أشبه منه بلين العيش مع الجهّال، وقيل: آخ الكريم واسترسل إليه وعليك أن تصحب العاقل وإن لم يكن كريماً لتنتفع بعقله، واهرب كل الهرب من اللئيم الأحمق.

وقيل: من صبر مع الأحمق فهو مثله، وقد مضى في فضل العقل باب مثل هذا.

---

(١) القطا: الحمام البري، جمع قطاة. (٢) القرين: النظير والمثيل.
(٣) آل يؤول إلى: رجع.

● **صنوفُ الإخوان**

قال لقمان: الإخوان ثلاثة: مخالب ومحاسب ومراغب، فالمخالب الذي ينال من معروفك ولا يكافئك، والمحاسب الذي ينيلك بقدر ما يصيب منك، والمراغب الذي يرغب في مواصلتك بغير طمع.

وقال المأمون: الإخوان ثلاثة: أخ كالغذاء لا يحتاج إليه كل وقت، وأخ كالدواء يحتاج إليه أحياناً، وأخ كالداء لا يحتاج إليه أبداً.

● **اختبارُ الصديقِ عند الغضبِ**

قيل: إذا أردت مصافاة رجل فأغضبه، فإن ملك نفسه فصاحبه، وإلا فلا تصاحبه. **قال الشاعر**:

لا تـحـمـدنّ امـرأً يُـرْضِـيـكَ ظـاهـرُه ... وآخبرْ مودَّتَهُ في العتب والغَضَبِ[1]

وقيل: كان بين حاتم طيىء وبين أوس بن حارثة ألطف ما كان بين اثنين. **فقال النعمان لجلسائه**: لأفسدَنّ ما بينهما فدخل على أوس، **فقال**: إن حاتماً يزعم أنه أفضل منك، **فقال**: أبيت اللعن صدق ولو كنت أنا وأهلي وولدي لحاتم لوهبنا في يوم واحد. وخرج فدخل على حاتم، **فقال** له: مثل ذلك، **فقال**: صدق وأين أقع من أوس وله عشرة ذكور دونهم أفضل منّي؟ **فقال النعمان**: ما رأيت أفضل منكما.

● **اختبارُ من تريدُ مصادقتَهُ بصديقِهِ قبلكَ**

قيل: إذا أردت أن تعرف صاحباً كيف يكون لك، فانظر كيف كان من قبلك، فإن أحمدته فاستخلصه لك وإن ذممته فتنكّبه.

● **الاختبارُ بالعينِ والاعتمادُ على ما في القلب**

قيل: اعتبر ما في قلب أخيك بعينه، فالعين عنوان القلب. **وقيل**: شاهد الحب والبغض اللحظ، فاستنطق العيون تعلم المكنون. قال شاعر:

تـقـلُّـبُ أحـوالِ الـفـتـى فـي أمـورِه ... تـبَـيِّـنُ عـمّـا تـقـتـضـيـه ضـمـائـرُهُ

وفـي لـحـظ عـيـنَـيْـه وفـي حـركـاتِـهِ ... دلـيـلٌ عـلـى مـا تـحـتـويـه سـرائِـرُهُ

قال إسحاق:

سـتـورُ الـضـمـائـرِ مَـهـتُـوكَـةٌ ... إذا مـا تـلاحَـظَـتِ الأعـيُـنُ[2]

---

(١) يحذر الشاعر إلى عدم الركون إلى ظاهر الأشخاص مشدّداً على اختبارهم في أوقات اللوم والغضب.

(٢) مهتوكة: من هتك الستر خرقه ليكشف ما وراءه وهتك الله ستره فضحه ـ يقول إن العيون حين تتلاحظ قادرة على كشف ما يجول في الضمائر والبواطن.

وقال ابن بسام[1]

ألا إنّ عينَ المرء عنوانُ قلبهِ ... تُخبّرُ عن أسرارهِ شاءَ أمْ أبى

وقال كشاجم:

ويأبى الذي في القلب ألا تبيّنا ... وكُلُّ إناءٍ بالذي فيه يَرْشَحُ[2]

● متابعةُ الصديقِ في رشدِهِ دونَ غيّه

استشهد ابن الفرات أيام وزارته علي بن عيسى بغير حقّ، فلم ينصره، فلما رجع كتب إليه لا تلمني على نكوصي عن نصرتك بشهادة زور، فإنه لا بقاء لاتفاق على نفاق ولا وفاء لذي مين واختلاق، وأحرى بمن تعدّى الحق في مسرتك إذا رضي أن يتحرى الباطل في مساءتك إذا غضب، وقد تقدم هذا الخبر. قال شاعر

ألم تعلمي أنّي إذا الإلفُ قادني ... إلى الجوْر لا أنقادُ والإلفُ جائرُ

ودعا أعرابي فقال: اللهمّ أني أعوذ بك ممّن لا يلتمس خالص مودّتي إلا بالتأتي لمواقع شهوتي

● متابعته في غيّه ورشيه

قال عروة[3]:

وخلٍّ كُنْتُ عينَ الرشد منه ... إذا نظرتْ، ومستمعاً سَمِيعَا

أطاف بغيّةٍ فنهَيْتُ عنها ... وقُلْتُ له أرى أمراً فظيعا

أردْتُ رشادَهُ جُهْدِي فلمّا ... أبى وعصى عَصَيْنَاهُ جَمِيعَا

قال بشار:

وما كنتُ إلا كالزّمان فإن صحا ... صَحَوْتُ وإن ماقَ الزمانُ أموقُ[4]

قال أحمد بن صالح:

أنا كالمرآة ألقى كُلَّ وجهٍ بمثالِهِ

وقال رجل لصديقه: ما رأيك في كذا؟ فقال: أنا من غزيّة. يريد أني تابع لك إشارة إلى قول دريد:

وهل أنا إلا من غزيّةَ إن غوتْ ... غوَيْتُ وإن ترْشُدْ غزيةُ أرْشُدِ[5]

---

(1) ابن بسام: علي بن محمد (٨٤٤ ـ ٩١٥) أديب وشاعر بغدادي هجّاء خدم المعتضد ومن تصانيفه «أخبار عمر بن أبي ربيعة»

(2) كل إناء يرشح. وفي رواية ينضح أي يخرج ما به

(3) عروة بن الورد العبسي. توفي نحو ٥٩٦م من شعراء الجاهلية الصعاليك قُتل في إحدى غزواته.

(4) ماق يموق: تظاهر بالموق أي الحمق

(5) غزية: قبيلة ـ غوت: ضلّت ـ وفي هذا البيت دلالة على العصبية القبلية

● **الحثُّ على نصرةِ الصديق على جميع الأحوال**

قال النبي ﷺ: انصرْ أخاكَ ظالماً أو مظلوماً. **وقيل**: حافظْ على الصديق ولو على الحريق.

وقيل: أفضلُ الكرَم أن يكون الرجلُ عند النائبة أكرمَ وَفاءً وأمْحضَ صفاءً ولتكن معاونتك أخاك بمهجتك عند البلاء، أكثر منها عند الرخاء.

● **مماراةُ[1] الصّديق والحثُّ على تركِها**

قيل: مع الاختلاف طمعٌ في الائتلاف ورُبَّ مخالفةٍ دعت إلى مخالفةٍ ومعاسرة[2] تحمل على المعاشرة. وقيل بإحياء الملاطفة تُسْتَمَالُ القلوبُ العارفةُ. **وقيل**: إستدم مودّة أخيك بتَرْكِ الخلاف عليه، ما لم تكن عليك منقصةٌ أو غضاضةٌ. **وقال** يموت بن مزروع سمعت أبي يقول قرأت خمسين ألف بيت وما وقع لي مثل قوله:

وما أنا بالشيءِ الذي ليْسَ نافِعي ... ويَغْضَبُ مِنْهُ صاحبي بقَؤُولِ

● **الأمرُ بالإغضاءِ على عيبِ الصديقِ**

قيل إن جعفراً الصادق كان يقول: لا تفتّش على عيب الصديق، فتبقى بلا صديق وأحسن ما قيل في هذا المعنى قول بشار:

إذا كُنْتَ في كلِّ الأمور معاتِباً ... صديقَكَ لم تَلْقَ الذي لا تعاتِبُهْ
فعِشْ واحداً أو صِلْ أخاكَ فإنّه ... مقارِفُ ذنبٍ مرةً ومجانِبُهْ[3]
إذا أنْتَ لم تشربْ مِراراً على القذى ... ظَمِئْتَ وأيُّ النّاسِ تصفو مشارِبُهْ؟[4]

وقال آخر:

ومن لا يُغمّض عَيْنَهُ عن صديقِه ... وعن بعض ما فيه يَمُتْ وهو عاتِبُ
ومن يتتبع جاهداً كلَّ عثرةٍ ... يَجِدْها ولا يسلَمْ له الدّهْرَ صاحبُ

وقيل: لا يجد رفيقاً من لم يرفدْ ريقاً. **وقيل**: من عاتب في كل وقت أخاه فجدير أن يملّه ويقلاه[5]. وعلى عكس ذلك **قال الشافعي** ـ رحمه الله ـ: ليس بأخيك من احتجْتَ إلى مداراته.

---

(١) **المماراة**: مصدر مارى مراء ومماراة (ملاّة): جادله ونازعه ولاجّه.

(٢) **المعاسرة**: المخالفة والمضايقة.

(٣) **مقارف**: من قارف الذنب أي اقترفه وارتكبه وخلاف ذلك مجانبة أي الترك.

(٤) **يقول**: إنّ الناس لا تصفو مشاربهم دائماً وأنت محمول على مواصلتهم لأن المرء لا يسعه أن يعيش وحيداً وقد شبّه الشاعر هذا بالحاجة إلى الماء فأحدنا قد يشرب الماء أحياناً كدراً على ما فيه من القذى دفعاً للظمأ.

(٥) **يقلاه**: يكرهه ويبغضه.

● **محافظةُ مَن يُوَفَّى بمحاسنه على مقابحه**

قال لقمان: إذا أردْتَ مصاحبة رجلٍ فسطر، فإن كانت محاسنه أكثر فارتبطْهُ. **وقال ابن المقفع**: إنَّ في الناس طبائع أربعاً فارتبِطْ من رجحت محاسنه.

وقيل لبزرجمهر: هل صديق لا عيب فيه؟ فقال: الذي لا عيب فيه يجب أن لا يموت. **قال شاعر**:

وحيثُ اختبرْتَ النّاسَ حتى اختبرتَهم رَجَعْتَ إلى وصْلي وأنتَ ذميمُ

ونحوه:

وتُرْجِعُني إليكَ وإن نَأتْ بي ديارٌ عنكَ، تجربةُ الرجالِ

● **الإغضاءُ على إساءةِ الصديقِ المحسن**

قال ابن المقفع، وقد بلغه عن رجل شيء يكرهه: ينبغي للرجل أن يكذّب سوءَ الظن بصديقه ليكون ذا ودّ صحيح وقلب مستريح. **قال منصور التيمي**:

إذا ما الصديقُ أسا مرّةً وقد كان من قبلها مجملا[١]

حفظْتُ المقدّمَ من فعلهِ ولم يُفسِدِ الآخِرُ الأولا

وقيل: احتمل لأخيك ثلاثة: الغضب والدالّة والهفوة. وقيل من صحّت مودته احتُملتْ جفوتُهُ.

● **حَمْدُ المعاتبةِ بين الإخوان وذمُّها**

قيل: ترك المعاتبة دليلٌ على قلة الاكتراث بالصديق. المعاتبةُ تزيلُ الموجدة. أفضل المحبة ما كان بعد المعتبة. **قال شاعر**:

ويبقى الودُّ ما بقِيَ العِتابُ العتابُ حدائقُ الأحباب

وقال ابن المعتز[٢]:

نعاتبُكم يا أمَّ عمروٍ لحبِّكُمْ ألا إنّما المقلي مَنْ لا يُعاتِبُ[٣]

ولآخر:

علامةُ كلِّ اثنين بينهما هوىً عتابُهُما في كلِّ حقٍّ وباطِلِ

وقيل: العتاب ضربان: عتب يحيي المودّة، وهو ما كان في نفس الودّ

(١) أسا يأسو (هنا): أي أساء وخلاف ذلك أجمل أي أحسن.

(٢) ابن المعتز: أبو العباس عبد الله ٨٦١ ـ ٩٠٨ أمير عباسي شاعر وأديب ولي الخلافة يوماً وبعض يوم، لقب المرتضي بالله مات خنقاً. له طبقات الشعراء وكتاب البديع.

(٣) المقلي: المبغض.

وعتاب يميتها وهو ما كان في ذنب وموجدة[1].

التقى أعرابيان فتعاتبا وإلى جنبيهما شيخ، فقال: انعما عيشاً، إن العتاب يبعث التجني والتجني دره[2] المخاصمة والمخاصمة أخت العدوة فانتهيا عمّا ثمرته العداوة. وقال العبّاس:

إن بعض العتاب يدعو إلى العتب ويؤدي به المحبّ الحبيبا

وقيل: التجنّي وافد القطيعة. قال شاعر

ودعِ العتابَ فربّ أمر هاج أوّلَه العِتاب

وقال الآخر:

وبدءُ الصَّرمِ من عِلَلِ العِتَابِ[3]

وقيل: العتابُ بدء العقاب.

● النهيُ عن تضييعِ حقوقِ الإخوان

قيل: أقلّ الناس عقلاً من فرّط في اكتساب الإخوان. وأقلّ منه عقلاً من ظفر بأخي صِدْقٍ فضيّعه. وقال عمر: إذا رزقك الله ودّاً من رجل فتمسّك به.

وقيل: لا يقطع الرجل أخاه إلا لواحد من اثنين لا خير فيهما: لملاله أو لسوء اختياره للصداقة.

● الحثُّ على المصافاةِ وتركُ المداجاةِ[4]

قال سفيان لرجل: لا تكوننّ صديق عين وعدوّ غيب[5]. وسُئلَ خالد بن صفوان عمّ يجب للإخوان، فقال: تجنّب طريق النفاق ولا تقصر عن الاستحقاق قال إبراهيم بن عباس:

خلّ النفاقَ لأهلِهِ	وعليكَ فالتمسِ الطَّريقا
واذهبْ بنفسِكَ أنْ تَرَى	إلاّ عدوّاً أو صديقا

وفي مدحِ من يحفظ أخاه بظهر الغيب، قال بعضهم:

موكَّلُ النفسِ بظهرِ المغيبِ	أقصى رفيقَيْه له كالقريب

قال المثقّب العبدي:

فإمّا أنْ تكونَ أخي بصدقٍ	فأعرف منك غثّي من سميني
وإلاّ فاجتنبْني واتخذْني	عدوّاً أتّقيكَ وتتّقيني

---

(1) الموجدة: الغضب.
(2) دره المخاصمة: حلبها.
(3) الصرم: القطيعة والجفاء.
(4) المداجاة: المراءاة والممالقة والتملّق.
(5) عدوّ الغيب: أي العدو الذي لا يواجهك في عداوته بل يطعن بك دون أن يواجهك.

وقال آخر:

ولا تكُ ممّن إن نأى عنه صاحبٌ ... فغاب عن العينين غابَ عن القلب

● الحثُّ على مداجاةِ العدوّ

قيل: إذا صافاك عدوّك رياءً فتلقَّ مصافاته بأوكد مودة، فإنه إذا ألف ذلك اعتاده وخلصت مودّته. وقال ابن السماك: يَنْ لِمَنْ يخمو فقلَّ من يصمو.

وقال ابن الحنفية: ليس بحكيمٍ من لم يعاشرْ مَنْ لم يجدْ من معاشرتهُ بُدّاً حتى يجعل له فرجاً ومخرجاً. قال التنوخي:

ألقَ العدوَّ بوجهٍ لا قُطُوبَ به ... يكاد يقطرُ من ماءِ البشاشاتِ[1]

فأحزمُ الناسِ من يلقى أعاديه ... في جسم حقدٍ وثوبٍ من مودّاتِ

● وصفُ أخوةٍ صادقةٍ

مدح أعرابي صديقاً فقال: مجالسته غنيمة وصحبته سليمة ومؤاخاته كريمة، هو كالمسك إن بقيتَه نمّ وإن تركته عبق[2].

وعاتب رجل خليله فقال: لو علمت أن يومي أهنأ من يومك لاخترت أن أوثرك به.

قال شاعر:

ودي لطيبٍ لو كان يعلمُ أنه ... شفاني دمٌ من جوفه لسقاني

وقال آخر:

قد تخللتَ مسلكَ الروحِ منّي ... وبذا سُمّي الخليلُ خليلا

وقيل: لم يُسمَعْ بأطيب وأعذب من قول البحتري[3]:

وجدتُ نفسكَ من نفسي بمنزلةٍ ... هي المُصَافَاةُ بين الماءِ والرّاحِ[4]

وقال يصف خليلاً:

أخٌ وأبٌ لي ثم أمٌّ شفيقةٌ ... تفرّقُ في الأحبابِ ما هو جامِعُهْ

سلَوْتُ به عن كلِّ مَنْ كان قبلَهُ ... وأذهلني عن كائنٍ هو تابِعُهْ

ولآخر:

ونحنُ كروحٍ بين جسمَيْن قُسّما ... فجسماهما جسمان والروحُ واحدُ

---

(1) القطوب: العبوس. (2) عبق: فاح وانتشرت رائحته.

(3) البحتري: أبو عبادة (٨٢٠ - ٨٩٧) شاعر عربي طائي وُلد في منبج اختص بالمتوكل ووزيره الفتح بن خاقان. اشتهر بالوصف وله كتاب الحماسة على مثال حماسة أستاذه أبي تمام.

(4) المصافاة: التصافي - الراح: الخمر - يقول: إن نفسينا في صفاء وانسجام كالماء والخمر.

● متآخيان اختلف مذهباهُمَا

قال الجاحظ[1] لم يُرَ أعجب حالاً من الكميت والطرماح، فإن الكميت كان عدنانياً شيعياً يتعصب لأهل الكوفة، والطرماح كان قحطانياً خارجياً يتعصب لأهل الشام، وكان بينهما من المخالطة ما لم يكن بين اثنين قط ولم تَجْرِ بينهما جفوةٌ ولا قطيعة ولا اعتراض. **وقيل لهما**: كيف اتفقتما مع الخلاف بينكما؟ **فقالا**: اتفقنا على بغض العامة. ووصفهما جعفر المصري فقال.

فنحن من وُدٍّ وحُبٍّ كما ... كان كميتٌ والطِّرِمّاحُ

وكان عبد الله الأباضي وهشام بن الحكم شريكين في البزّ وبينهما من الخلاف ما لم يكن بين اثنين، كان الأباضي يزعم أن علياً لم يزل مستتراً بالكفر حتى أظهره يوم التحكيم وهشام يثبت الإمامة لعلي رضي الله عنه. **قال هشام**: ما خالفني إلا مرة اشترينا جارية **فقلت**. أجمعها لي، **فقال** أنت عندي كافر وهذا فرج، ولا أحبُّ أن أبيحه لك **قال العباس بن الأحنف وهو مما يتمثل به ههنا**:

زاوج حيتانها الضِّبابَ بها ... فهذه كَنَّةٌ وذا خَتَنُ[2]

● اصطحابُ نَقْلَين

في المثل: وافق شنٌّ طبقة. وافقه فاعتنقه. **قال شاعر**:

كأنس الخنافس بالعقرب

ولأبي الحسن:

كلاكُما بالمجد مستهترٌ ... وبانتماء المَجْدِ مفتونُ

وفرّقُ ما بينكما واحدٌ ... أنت رقيعٌ وهو مأفونُ[3]

وأنت لوطيّ على طبّه ... وذاك بالإجماع مأبونُ[4]

● استبقاءُ الإخوانِ بالإغضاء[5] عليهم

قيل. إذا سرَّك أن يثبت لك الصديق، فيكن لك عليه الفضل **قال شاعر**

إذا أنتَ لم تفضلْ على ذي مودّة ... وكنتَ وإيّاه بمنزلةٍ سَوَا

---

(1) **الجاحظ**: أبو عثمان (٧٧٥ ـ ٨٦٨) من أئمة الأدب العباسي وُلد في البصرة. نُسبت إليه الجاحظية من فرق المعتزلة. صوّر أحوال عصره وحياة أهل زمانه تصويراً يمتزج فيه الجدّ بالدعابة من مؤلفاته: «الحيوان» و «البيان والتبيين» و «البخلاء»

(2) **الختن**: الزوج

(3) **الرقيع**: الأحمق الذي أخلق عقله ـ **المأفون**: ناقص العقل

(4) **المأبون**: المعاب

(5) **الإغضاء**: مصدر أغضى عليه أي أعطاه وغمره بنواله

فلاتكُ ذا عتبٍ عليه وإنما يُعاقِبُ بالذّنبِ المُثيب على الرّضا

● الحثُّ على مشاركةِ الصديقِ في سرّائِهِ دون ضرّائه

قالت امرأة يحيى بن طلحة له: أما ترى أصحابك إذا أيسرت لزموك وإذا أعسرت تركوك؟ فقال: هذا من كرمهم يأتوننا في حال القوة منّا على الإحسان إليهم ويتركوننا في الضعف عنهم:

يعرَفُ الأبعدُ إنْ أثرى ولا يعرفُ الأقربُ إنْ يفتقِر

ولآخر:

أسو مالك قاصرٌ فقرُه على نفسه ومُشيعٌ غِناه

وقيل: فلان يتحسى المرّ ويسقي إخوانه العذب.

● الحثُّ على مشاركةِ الصديقِ في ذات اليدِ

رأى بعض الحكماء رجلين لا يفترقان فسأل عنهما فقيل: هما صديقان. قال: ما بال أحدهما غني والآخر فقير؟ وقيل: لا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما يرى لنفسه.

وقال محمد بن علي: أيدخل أحدُكُم يده في كمّ أخيه فيأخذ حاجته؟ قالوا: لا. قال: فلستم إذاً بإخوان.

● الحثُّ على أن تشارك في السرّاء لمن يشارِكُك في الضرّاء

قال أكثم بن صيفي: حقّ أن تشارك في النعيم من يشاركك في المكاره. قال أبو تمّام:

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهُم في المنزلِ الخَشنِ[1]

وقال جحظة البرمكي:

قلْ للوزير أدام اللهُ دولتَهُ أذكرْ مُنادمتي والخبزُ خُشكارُ[2]

إذا ليسَ بالباب برذونٌ لنوبتِكم ولا غلامٌ ولا بالباب طيّارُ[3]

وقال آخر:

شركْناكَ في مرِّ الزّمان فكنْ لنا إذا الحلوُ منه دز غير شريكِ

● ذمُّ منْ أعْرضَ عنك في حالِ يساره

صَبَغتْ أميّةُ في الدماء رِماحنا وطَوتْ أميّةُ دُوننا دُنياها

---

(١) إن الكرام لا ينسون في غناهم من كان يعرفهم في فقرهم

(٢) الخشكار: من الخشكر وهو ما خشن من الطحين واللفظة فارسية.

(٣) البرذون: دابة الحمل الثقيلة، والتركي من الخيل ـ الطيّار: الفرس السريع

وقال آخر:

رأيتُكَ لمّا نِلْتَ مالاً وعضَّنا ... زمانٌ نرى في حدِّ أنيابه شَغْبا

جعلتَ لنا ذَنْباً لتمنعَ نائلاً ... فأمسِكْ ولا تجعلْ غِناكَ لنا ذَنْبا

قال محمود:

وكنتَ أخي أيامَ عُودُكَ يابِسٌ ... فلمّا اكتسى واخْضَرَّ صِرْتَ معَ الدَّهْرِ

ولآخر:

إتباعَ وُدّي وهو ذو عُسْرَةٍ ... حتى إذا نالَ الغِنى باعَهْ

وكتب المعروف بالزغل إلى بعض السلاطين:

رآني بعينِ النَّقْصِ أن صارَ ذا غِنًى ... وأغْفَلَ قبْلَ اليومِ نقْصَ يَدَيْهِ

وما نالَ إلا حظَّه غيرَ أنّه ... توهَّم أنّ الرِّزْقَ صارَ إليهِ

فَكِلْهُ إلى مَرِّ الليالي وصرفِها ... ستأتي على ما عِنْدَهُ وعَلَيْهِ

وقال آخر:

صديقُكَ مَنْ يَرعاكَ عند شديدةٍ ... فكُلٌّ تراه في الرَّخاءِ مُراعِيا

وقال آخر:

فلا يغرُرْنكَ إخوانُ تصنُّعِهم ... إنّما العدوُّ لِمَنْ كلّفتَهُ حاجَه

● ذمُّ مَنْ تكبَّر على أصدقائه لغِناهُ وسُلْطانه

قال صالح بن عبد القدوس[1]

تاهَ على إخوانِهِ كلِّهِم ... فصارَ لا يطرِفُ مِن كِبْرِهِ

أعادَهُ اللهُ إلى حالِهِ ... فإنّهُ يَصْلُحُ في فقْرِهِ

قال الخوارزمي[2]:

وصلتُكَ بالسُّلطانِ حتّى إذا اعتلى ... مكانُكَ واستمْكنْتَ لم تَمْلِكِ الحِقْدا

كمُقْتَدِحٍ ناراً بزَنْدٍ لحاجةٍ ... فلمّا تلظَّتْ نارُه أحْرَقَ الزَّنْدا

● تغيُّرُ الإخوانِ في حالِ العلاء

قال زياد: إذا كان لك صديق مولى ولاية فبقي لك واحد من عشرة، فليس بصديق سوء

---

(1) صالح بن عبد القدوس (توفي نحو ٧٧٧) من شعراء بغداد صلبه المهدي لزندقته اشتهر بقصيدته الزينبية أكثر شعره في الحكمة

(2) الخوارزمي أبو عبد الله (توفي ٩٩٧) باحث عالم من أهل خراسان أول من ألف موسوعة بالعربية هي مفاتيح العلوم

وقال بعضهم: إذا كان لك أخ صافي الودّ فلا تمنّ له منزلة، ففي ذلك تغيّر له عن الوداد.

قال شاعر:

وكــلُّ إمــارةٍ إلا قــلــيــلاً ... مــغــيّرة الــصــديقَ عــن الــصــديــق

وقال آخر:

إذا مـــا أردتَ ودادَ امـــرىءٍ ... فـــلا تـــدعـــونّ لـــه بـــارتـــقـــاءِ

● نهيُ مَنْ بلغ صديقه منزلةً مِنَ التدلُّلِ عليه

قال منصور:

إذا رأيــتَ امــرأً فــي حــال عــسْــرَتِــهِ ... صــافــي الــمــودّة مــا فــي ودّه وغَــلُ[1]

فــلا تــمــنّ لــه حــالاً يُــسَّــرُ بــهــا ... فــإنّــه بــانــتــقــال الــدّهــر يَــنْــتَــقِــلُ

قيل: لا تنظر إلى صديقك إذا بلغ منزلة بعينك الذي نظرت إليه بها قبل، وإذا جملك أباً فاتخده ربّاً. وقيل: ذو الحرمة مَلُومٌ على الإفراط في الدالة كما أن المحترم له ملومٌ على تناسي المودّة والحرمة.

وقال أبو عباد يوماً لأبي بكر المقري: إيّاك والدالّة في غير مكانها فحن بالليل إخوان وبالنهار دوو سلطان. فرط الادلال يدعو إلى الملال.

● مَدْحُ مَنْ لَمْ يتغيّر لمنزلةٍ نالها

متى زادَه السلطانُ في الحمد رغبةً ... إذا غيّــر الــســلــطــانُ كُــلَّ خــلــيــلِ

وقال الموسوي:

وغيْري إذا ما طار خلّفَ صحبه ... دُويــن الــمــعــالــي واقــعــيــن وحــلّــقــا

ولما بشر هشام بالخلافة سجد من حوله شكراً لذلك، غير الأبرش الكلبي فقال له هشام: ما منعك أن تسجد معي؟ قال: إني معك ليلاً ونهاراً وغداً ترقى إلى السماء فتتركني. قال: بل أصعد بك، فقال: أما الآن فإني أسجد عشرين سجدة

● مَدْحُ مَنْ نزّه إخوانَهُ عن استخدامهمْ في سلطانِهِ

كان هشام يعتمُّ فقام إليه الأبرش ليسوّي عمامته، فقال: مه[2] فإنّا لا نتخذ الإخوان خولاً[3].

وقام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بنفسه فأصلح سراجه، فقال واحد من جلسائه: ألا أمرتني، فكنت أكفيك. قال: ليس من المروءة أن يستخدم الرجل جليسه

---

(١) العسرة: الضيق ـ الوغل: الدنيء، الضعيف. (٢) مه: اسم فعل بمعنى انكفف.

(٣) الخول: الخدم.

- **الحثُّ على خدمةِ الإخوانِ ومدح ذلك**

قال النبي ﷺ: سيد القوم خادمهُم. **وفي المثل:** إذا عزّ أخوك فَهُن.

قال ابن المعتز:

إذا أنت وافقتَ الرجال فكُنْ فتىً ... كأنّك مملوكٌ لكلّ رَفيقِ

وكُنْ مثلَ طعمِ الماء عَذْباً وبارداً ... على الكبد الحرّى لكلّ صَدِيْقِ

وقال آخر:

كأنَّهُ عَبْدٌ لإخوانِهِ ... وليسَ فيهِ خُلُقُ العَبْدِ

ونحوه:

وعَبْدٌ للصحابةِ غيرُ عَبْد

- **النّهيُ عن ذلك**

قال بعضهم: إنّ لكل قوم كلباً فلا تكُنْ كَلْبَ إخوانك. **قال عبد الله بن معاوية:**

لا تُهينَنَّ للصديقِ مَكْرُمَةً ... بنفسِكَ، حتى تُعَدّ مِنْ خَوَلِهْ

يحمِلُ أثقالَهُ عليك كما ... يحمِلُ أثقالَهُ على جَمَلِهْ

- **احتمالُ أذى الصديقِ مَا لمْ يكُنْ فيهِ هَوَانٌ**

قال صالح:

أرضى عن المرءِ يُصْفِيني مَوَدَّتَهُ ... وليْسَ شيءٌ من البغضاءِ يُرضِيني[1][2]

وقال آخر:

سأصْبِرُ عنْ رَفيقي إنْ جفاني ... على كلِّ الأذى إلا الهوانِ

قال جحظة:

تَذَلَّلْ لِمَنْ إنْ تَذَلَّلْتَ لَهُ ... يرى ذاكَ للفَضْلِ لا للبَلَهْ

وجانِبْ صداقةَ مَنْ لا يزالُ ... على الأصدقاءِ يرى الفَضْلَ لَهْ

- **كونُ النّاسِ أصدقاءَ ذي المالِ**

قيل لبعض الفضلاء: كم لك من صديق؟ **قال:** لا أعلم لأن الدنيا مقبلة عليّ والأموال موجودة لديّ، وإنما أعرف ذلك إذ ولّت الدنيا. ألَمْ تَسْمَعْ إلى **قولِ طريح:**

النّاسُ أعداءٌ لكلّ مُدَقَّعٍ ... صِفْرِ اليدينِ وإخوةٌ للمُكْثِرِ[3]

---

(١) لا تدعْ لأحدهم بالمراتب العالية فتصير موته وتحمله.

(٢) يقول: أرضى بصفاء المحبة لا بالكراهية والبغض.

(٣) المدقع: الفقير المعوز. يقول إنّ الناس أعداء لمعسر وأخوة لغني

ولما نُكِبَ علي بن عيسى لم يَطِرْ بناحيته أحد، فلما رُدَّتْ إليه الوزارة رأى الناسَ حوله، فأنشد:

ما الناسُ إلا معَ الدنيا وصاحبِها   فأينما انقلبتْ يوماً به انقلبُوا

وقال عبد الملك لأصحابه: أيكُم يصف لي عامة الناس؟ فقال الوليد ابنه: إخوان طمع وأعداء نعم.

وقيل: إذا احتاج إليك عدوك أحبَّ بقاءك، وإذا استغنى عنك وليُّكَ هان عليه موتك. الإخوان عند الجمان كثير وعند الحقائق قليل.

● ذمُّ المودة التي يجلبُها الطمعُ

كلُّ مودة عَقَدها الطمع حلّها اليأس. وقيل: إياك وَمَنْ مودَّتُه لك لحاجة.

قال إبراهيم بن العباس:

وكُنتَ أخي كالدّهر حتى إذا نبَا   نبَوْتَ فلما عاد عُدْتَ مع الدّهرِ[1]

فلا يومَ إقبالي عَدَدْتُكَ طائلاً   ولا يومَ إدباري عَدَدْتُكَ من أمْري

● حَمْدُ الغيرةِ على الإخوان

سأل الرشيد رجلاً من بني أمية فقال: كانوا يتغايرون على الإخوان كتغايرهم على القيان[2]. وقيل: لتكن غيرتك على صديقك كغيرتك على صديقتك.

وقال شاعر:

وكُنْ عالماً أني أغار على أخي   وخلّي كما أنّي أغارُ على عرسي[3]

ووفّرْ عليّ الحظَّ منك فإنني   خَصَصْتُكَ بالحَظّ الموفّرِ مِنْ نفْسي

● ذمُّ مَنْ يصاحبُ من أصدقائك أعداءك

في كتاب الهند: من علامة الصديق أن يكون لصديقه صديقاً ولعدوه عدواً. قال شاعر:

تؤاخي عدوّي ثم تزعمُ أنني   صديقُك إنَّ الرأي منك لَعَازِبُ

وقيل: ليس من المروءة أن تحبَّ من يبغضه حبيبك. وقيل: لا يحبُّك من يُحبُّ عدوّك.

وقال أيوب بن جعفر للمأمون: أنا أوَدُّ مودة حرة وأبغض أعداءك بغضة مرة، فقال: إنك تقول فتحسن وتحضر فتزين وتغيب فتؤمن

---

(١) نبا نبواً: تجافى وتباعد.

(٢) القيان جمع قينة: المغنية ـ القينة الماشطة.   (٣) العرس: الزوجة ـ عازب: بعيد.

قال السري:

وليس يكونُ المرءُ سلمَ صديقِه إذا لم يَكُنْ حربَ العدوّ المُخَالِفِ

● حَذَرُ مَنْ يصاحب منهم أعداءك

قال ابن المقفع: إذا رأيت صديقك مع عدوّك فلا يوحشنك ذلك، فإنما هو أحد رجلين إذا كان من إخوان الثقة فانفع مواطنه قربه من عدوّك شرّ يلقه وعورة يسترها وعائبة يطلع عليها، وإن كان غير ثقة فهو أولى[1] به مهبة له.

● مدحُ رفضِ الحشمةِ بين الأصدقاء

قال علي رضي الله عنه: شرّ الإخوان من يحتشم منه ويتكلّف له. **قال المرجي الصوفي**: إذا صحّ الود سقطت شروط الأدب. **وقال الحسن بن وهب**: إعلم أن المودة لا تتم ما دامت الحشمة عليها مسلّطة.

وقال بعضهم: أسقط عن نفسي نصف همّ الدنيا بعشرة من لا أحتشمه. **وقال الجنيد** رضي الله عنه لا تصحب من تحتاج أن تكتمه ما يعرف الله منك.

● ذمّ فَرْطِ الانبساط

قيل: صن الاسترسال منك حتى تجد له مستحقاً، واجعل أنسك آخر ما تبذل من ودّك. **وقال جعفر بن محمد**: إيّاك وسقطة الاسترسال فإنها لا تستقال.

في كتاب كليلة ودمنة: بعض المقاربة حزمٌ وكل المقاربة عجز، كالخشبة المنصوبة في الشمس تُمالُ فيزيد ظلُّها وتفرط في الإمالة فيرتد ظلّها.

وقال أكثم: الانقباض[2] عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء، أخذه الحارث. فقال:

إذا ما صحبت النّاسَ بالأنس لم تزل لصاحب سُوء مستفيداً أو كاسباً
فإن تُقْصِهم أرمَوْكَ عن ظهر بغضةٍ فكنْ خلطاً إنْ شِئْتَ أوْ كُنْ مُجَانِبَا[3]
ولا تنتبِذْ عنهم ولا تدنُ منهم ولكنْ أمراً بين ذاك مقاربَا[4]

وقال: إذا أقبل عليك مقبل بوده فسرّك أن لا يُدْبِرَ عنك، فلا تكثر الإقبال عليه، فالإنسان من شأنه التباعد ممن قرُبَ منه، والدنوّ ممّن يتباعدُ منه.

● مُباسطةُ الكرامِ والانقباضُ عن اللئام

ومالي وجهٌ في اللئام ولا يدٌ ولكنْ وجهي في الكرام عريضُ

---

(١) أولى به: أجدر به، أحق به.
(٢) الانقباض عن الناس: اعتزالهم والانكماش عنهم.
(٣) إن تقصهم: أن تبعدهم.
(٤) تنتبذ عنهم: تبتعد عنهم ـ الكاشح: العدوّ المبغض ـ الصرم: القطيعة والهجر.

أهشُّ إذا لاقيتُهم وكأنني إذا أنا لاقيتُ اللئام مريضُ

وقال ابن كناسة:

فيّ انقباضٌ وحشمةٌ فإذا أبصرتُ أهلَ الوقار والكرمِ
أرسلتُ نفسي على سجيتها وقلتُ ما قلتُ غيرَ محتشمِ

● النهيُ عن فرطِ[1] المودّةِ والعداوةِ

قيل: من أحببت فلا تأمَنْهُ ومن أبغضتَ فلا تهجره. وقيل خالط الناس وزايلهم. وقال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: لا يكن حبّك كلفاً ولا بغضك تلفاً.

قال زياد بن زيد:

وإن امرأً قد جرّب الدهرَ لم يَخَفْ تقلّب عصريه لغيرُ لبيب
فلا تأمننّ الدهر من حبّ كاشحٍ ولا تأمننَّ الدهر صَرْمَ حَبيبِ[2]

وقال آخر:

فهونك في حبٍّ وبغضٍ فربما بدا جانبٌ من صاحب بعد جانب

● ذمُّ الاستكثارِ من الأصدقاءِ

قيل: لتكن الإخوان عندك كالنار قليلُها متاع وكثيرها بوار[3]. وقال الفضيل: من سخافة عقل المرءِ كثرة معارفهِ. وقال جعفر بن حميد: من لم يفد كل يوم صديقاً لا يُفلحُ[4] أبداً.

عدوُّكَ مِنْ صديقِكَ مُستفادٌ فلا تَستكثِرنَّ مِنَ الصِّحابِ[5]
فإنَّ الداءَ أكثرَ ما تراهُ يكونُ من الطَّعامِ أو الشَّرابِ

● إعوازُ صديقٍ صادقٍ

قال الفضيل لسفيان رحمهما الله: دلّني على صديق أرْكَنُ إليه إذا خفت وآمَنُ معه إذا حضرت، فقال تلك ضالةٌ لا توجد.

وقيل لرجل: مَنْ أبعد الناس سفراً؟ فقال: من كان سفره في طلب أخ صالح وسمع المأمون أبا العتاهية ينشد

وإني لمحتاجٌ إلى ظلّ صاحبٍ يروقُ ويصفو إنْ كَدَرْتُ عليهِ

فقال خذ منّي الخلافة وأعطني هذا الصاحب.

---

(١) فرط: كثرة. (٢) الكاشح: العدوّ الباطن العداوة
(٣) بار بواراً: هلك، كسد. (٤) يفلح: أفلح، نجح
(٥) مستفاد منه: مقتنى - يدعو ناصحاً إلى عدم الإكثار من الأصحاب

وقيل لفيلسوف ما الصديق؟ فقال: اسم على غير معنى. قال أبو فراس[1]:

نَعَمْ دَعَتِ الدنيا إلى الغَدْرِ دعوةً ... أجابَ إليها عالمٌ وجَهُولُ
فيا حسرتي من لي بخلٍّ مُوافِقٍ ... أقولُ بِشَجْوي مرةً ويقولُ

قال الصابيء[2]:

أيا ربِّ كلُّ الناسِ أولادُ علّةٍ ... أما تعلمُ الدنيا لنا بصديقِ
وجوهٌ بها من مُضْمَرِ الغِلِّ شاهدٌ ... ذواتُ أديمٍ في النفاقِ صفيقِ[3]

- **التخويفُ مِنْ دَغَلِ الإخوان**

قال أعرابي: اللهمّ اكفِني بوائق[4] الثقات والاعترارِ بظاهرِ المودّات. وقال آخر: اللهم احفظني من الصديق. فقيل: كيف؟ قال: لأني متحرز من العدو. قال علي بن عيسى:

إحذَرْ عدوَّكَ مرّةً ... واحذَرْ صديقَكَ ألفَ مرّةْ
فلربّما انقلبَ الصديقُ ... فكانَ أعلمَ بالمضرّةْ

وقيل: احذر من تأمنه، فودائع الناس لا تضيع إلا عند الثقات. وقيل: قلّ من يؤذيك إلا مَنْ تعرفُه.

- **ذمّ مَنْ يستعدُّ حينَ الصداقةِ للعداوة**

ذمّ العباس رجلاً فقال هو يترصّد في صداقته ما يتوثّب به في عداوته. قال شاعر:

احذرْ أخوّةَ كلِّ مَنْ ... شابَ المرارةَ بالحلاوَهْ
يُحصي الذنوبَ عليكَ ... أيامَ الصداقةِ للعداوَهْ

- **قلّة نَفْعِ مودةٍ مكرهةٍ**

فلا خيرَ في وُدِّ امرىءٍ متكارِهٍ ... عليكَ ولا في صاحبٍ لا تُوافِقُه

وقال آخر:

ألا إنّ خيرَ الودِّ ودٌّ تطوّعَتْ ... به النفسُ لا ودٌّ أتى وهو مُتْعَبُ

- **ذم من يُضْمِرُ عداوة ويظهر صداقة**

قال بعضهم: تظن فلاناً يصحك لك وهو يضحك منك فإن لم تتخذه عدواً في

---

(1) أبو فراس الحمداني (٩٣٢ ـ ٩٦٨) وُلد في الموصل هو ابن عمّ سيف الدولة صاحب حلب الذي قلّده إمارة منبج. أسره البيزنطيون أربع سنوات. استولى على حمص بعد وفاة سيف الدولة فقُتِل. أشهر قصائده «الروميّات».

(2) الصابيء: إسحاق إبراهيم (٩٢٥ ـ ٩٩٤) كاتب حرّ في خدم بني بويه. اشتهر برسائله. له ديوان شعر.

(3) الغلّ: الحقد والكراهية والغشّ. (4) البوائق: جمع بائقة وهي الشرّ.

علانيتك فلا تتخذه صديقاً في سريرتك. وقيل: مَنْ عاشر الإخوان بالمكر كافأوه بالغدر.

قال يزيد الحكمي:

لسانُكَ لي أَرْيٌ وقلبُكَ علقمٌ ... وشرُّكَ مبسوطٌ وخيرُكَ ملتوي[1]

وقال آخر:

زعمت صديقي طاب مرأىً ومسمعًا ... صدقْتَ ولكنّ المغيبَ معيبُ[2]

وقال آخر:

إذا أنتَ فتّشتَ القلوبَ وجدْتَها ... قلوبَ أعادٍ في جُسُومِ أصادقِ

- **تأسّف من تكدّر ودّه بعد الصفاء**

أخٌ كنتُ آوي منه عند ادّكارِه ... إلى ظلّ آباء من المرءِ شامخ

سَعَتْ نُوَبُ الأيام بيني وبينه ... فأقلعْنَ منّا عن عدوٍّ وصارخِ[3]

وقال أعرابي: يا حسرتي فقد صفرت من فلان عِيابٌ[4] وذي بعد امتلائها واكفهرت[5] وجوه كانت سماتها فأدبر ما كان مقبلاً وأقبل ما كان مُدبِراً

- **ذمّ مَنْ يتجنّى على صديقه طلباً لصرمه**

إنّ الملول إذا أراد قطيعةً ... ملّ الوصالَ وقال كان وكانا[6]

وقال آخر

رماني كلُّه غضبٌ ومتعتّبٌ ... وأنت عليّ والأيام إلْبُ[7]

وقال ابن المقفع: ينبغي للعاقل أن يكذب سوء الظن بصديقه ليكون ذا ودٍّ صحيح وقلب مستريح. **وقال ابن سيرين**: إذا بلغك عن صديقك ما تكرهه فالتمس له عذراً، فإن لم تجد فقل: لعلّ له عذراً وأنت تلوم

- **معاتبةُ مَنْ أساء الظنّ بصديقه**

قيل لرجل ما ظنك بأخيك؟ قال: ظني بنفسي. قال المتنبي:

إذا ساء فِعْلُ المرء ساءت ظنونُهُ ... وصدّق ما يعتاده من تَوَهُّمِ

---

(1) **الأري**: الشهد والعسل - **العلقم**: الحنظل، وكل ما مرّ فهو علقم

(2) **المغيب**: الغيبة والنميمة

(3) **نوب**: جمع نائبة مصيبة

(4) **العياب**: العيوب، والعياب الصدور والقلوب تشبيهاً بعياب الثياب وعياب الودّ من باب المجاز

(5) **اكفهرّ اكفهراراً الليل**: اشتدّ ظلامه

(6) **القطيعة**: الصرم والجفاء - **لصرمه**: لهجره والانقطاع عن صحبته

(7) **الإلب**: القوم تجمعهم عداوة واحدة، وألب إلْب: جمع وألّب: أفسد، وألّب من الأضداد ويفيد الجمع أيضاً

وعادى محبَّبه بقولِ عداته   فأصبحَ في داجٍ من الشكِّ مُظْلِمِ

وله

ومن يكُ ذا فمٍ مُرٍّ مريضٍ   يجدْ مُرّاً به الماءَ الزُّلالا[1]

قال الموسوي:

من ساءَ ظنّاً بما يهواه فارقَه   وحرَّضَتْهُ على إبعادِه التُّهَمُ

● معاتبةُ مَنْ سلا عن صديقه

مالي جُفيتُ وكنتُ لا أُجفى   ودلائلُ الهجرانِ لا تخفى

وأراكَ تشربُني فتمزجُني   ولقد عهدتُك شاربي صِرْفا

من كفّ عنك أذاه فهو صديق صدق. خيرُ ما في اللئيم أن يكفّ ضررَهُ.

قال المتنبي[2]

إنّا لفي زمنٍ تَرْكُ القبيحِ به   من أكثرِ الناسِ إحسانٌ وإجمالُ

وقال آخر:

لي صديقٌ لديه نصحٌ وودٌ   غيرَ أنّ الدماغَ فيه عَرَقُه

فإذا ما سَعَى ليدفعَ عنه   في الملمّاتِ صارَ عَوْنَ المُلِمَّه

ليتَه كفَّ خيرَهُ وأذاه   وزعم لي بذاك حقّاً وحُرْمَهْ

وقال آخر:

قد جنَاها أخٌ عليّ كريمٌ   وعلى أهلِها براقشُ تجني[3]

● ذمُّ مَنْ يُعادي أصدقاءهُ

قال السري الكندي:

رأيتُكَ تبري للصديقِ نوافذاً   عدوُّكَ من أوصابِها الدهرَ آمنُ[4]

وقال آخر:

لنا أخٌ يطلبُ غيرَ ثارِه   يطوي العِدا وينتحي لجارِه

والكلبُ لا ينبحُ مَنْ في دارِه

---

(١) الماء الزلال: العذب، الصافي، والزلال: الكثير الريق، وزلّ: سقط وزلق.

(٢) المتنبي: أبو الطيب (٩١٥ ـ ٩٦٥) من كبار شعراء العرب وُلد في محلّة كندة بالكوفة. وقتل في طريقه من فارس إلى بغداد. امتدح سيف الدولة ثم كافوراً ثم عضد الدولة. كان شجاعاً طموحاً متكبّراً. أفضل شعره في المدح والهجاء والفخر والحكمة.

(٣) براقش: جمع برقش، طائر صغير ملوّن الريش. ويقال جنت على أهلها براقش وهو: مثل أصله أنّ قوماً كانوا هاربين من أعدائهم والوقتُ ليل فنبحت كلبتهم براقش فاهتدى إليهم الأعداء وأوقعوا بهم، فذهب القول مثلاً.

(٤) الأوصاب: الأوجاع والآلام، جمع وصب.

● **تفضيلُ صداقة مَنْ تقدّم إخاؤهُ**

قال معاوية لكاتب له: عليك بصاحبك الأقدم فإنك تجده على مودة واحدة وإن قدُمَ العهد وبعدت الدار. وإيّاك وكلَّ مستحدث فإنه يجري مع كل ريح. وقيل لا تستبدلنّ بأخٍ لك قديم، أخاً مستفاداً ما استقام لك. قال شاعر:

كيف يبقى لك الجديدُ من الخـ ... ـلِّ إذا كنت تطرح الخلقانا[1]

قال أبو الشيص[2]:

نَقِّلْ فؤادَكَ حَيْثُ شِئْتَ من الهوى ... ما الحُبُّ إلاّ للحبيبِ الأوّلِ[3]

كَمْ مَنْزِلٍ في الأرضِ يألَفُهُ الفَتى ... وحنينُهُ أبداً لأوّلِ منزلِ

● **عكسُ ذلك**

قيل: عليك بمستطرف الإخوان تستفيد منهم مستطرف الإحسان، وتأمن منهم بوائق[4] الشقاق.

فللعين ملهىً في التلاد ولم يقد ... هوى النفس شيءٌ كاقتياد الطرائف

ولهذا الباب وما تقدّم نظير في حنّ الغزل.

● **العتبُ على المتلوّنِ وذمّهُ**

قيل: مودّته متنقلة كتنقل الأفياء وأخلاقه متلونة كلون الحرباء. قال صالح:

قلْ للذي لستُ أدري من تلوّنه ... أناصحٌ أم على غشٍّ يُداجيني

تغتابني عند أقوامٍ وتمدحني ... في آخرين وكلٌّ منك يأتيني

وقال آخر:

أخٌ لي كأيّام الحياة إخاؤه ... تلوّن ألواناً على خطوبها

إذا عبتُ منه عيبةً فتركتُه ... دعتني إليه خلّةٌ لا أعيبُها

وكتب عبد الله بن معاوية: قد عاقني الشكُّ في أمرك عن عزيمة الرأي فيك، فإنك ابتدأتني بلطف من غير خبرة، وأعقبتني بجفاء من غير ذنب، فأطمعني أوّلك في إخائك وأيأسني آخرك من وفائك. فسبحان من لو شاء كشف الغطاء، فأقمنا على ائتلاف أو افترقنا

---

(١) الخلقان: البالية.

(٢) أبو الشيص محمد. (توفّي ٨١١) شاعر عباسي مطبوع من أهل الكوفة ابن عمّ الشاعر دعبل. عمي في آخر حياته. امتاز بوصف الخمرة والمديح.

(٣) يقول: مهما تتقلّب في حبّك فالحبّ الأمثل لا يكون إلا للحبيب الأوّل. ولئن ألف الفتى في حياته الوجدانية منازل شتّى فرجوعه دائماً للحبيب الأول وهذا الشعر منسوب إلى شعراء منهم أبو تمام.

(٤) البوائق: المهالك، جمع بائقة.

على اختلاف.

وقيل لئن أبتلى بمائة جموح لحوج أحبّ إليّ من أن ابتلى بمتلوّن.

قال إبراهيم بن العباس:

يا أخاً لم أرَ في الناس خِلّاً ... مثلَه أسرعَ هجراً ووصلا

كنتَ لي في صدرِ يومي صديقاً ... فعلى عهدك أمسيتَ أم لا؟

وقال بعضهم لمغنية:

مرحباً ثم مرحباً ... بحبيبٍ تغضّبا

فأجابته:

أنتَ كالريح لا تدو ... مُ جنوباً ولا صَبا[1]

- **عَتبُ مَنْ ترعاهُ وهو يجفوكَ**

وأعجَبُ من جفائك لي وصبْري ... على طولِ ارتماعِك وانخفاضي

سُروري أن تدومَ لكَ الليالي ... بما تهوى كأنّي عنك راضي

- **الحثُّ على مصارمةِ مَنْ تبغضُهُ**

قال رجل لآخر: لي أخ إذا كلّمته آذني وإذا كرهته أراحني وسلمت فأنشده

وفي البُعْدِ سلاةٌ وفي الصرْم راحةٌ ... وفي الناسِ أبدالٌ سواهُ كثيرُ[2]

وقال آخر:

ودّ ما لا تشتهيه النفس تعجيلُ الفراق

- **المسرّةُ بفراقِ مَنْ لا تحبُّهُ**

قال منصور الفقيه:

ومستوجبٍ شكري بإعراضه عنّي ... أجلّ يدٍ عندي له بُغْضُهُ عنّي

تلافى بهجْري بعضَ ما كان جرّه ... عليّ بوصْلي قبل إعراضه عنّي[3]

واعتذر رجل إلى آخر بتأخّره عنه فقال: ما رأيت إحساناً يعتذر منه سوى هذا. وقال إسحاق الموصلي: ذكرت للعبّاس العلوي رجلاً فقال: دعني أتذوّق طعم فراقه فهو والله لا تشجى له النفس ولا يُذمي لفراقه الجفن. قال شاعر:

كلانا غنيٌّ عن أخيه حياته ... ونحن إذا متنا أشدّ تغانيا

---

(١) الصبا: ريح مهبّها جهة الشرق. (٢) الصرم: الهجر والقطيعة.

(٣) بوصلي: وصله ضدّ هجره - إعراضه: أعرض عنه: تجنبه وابتعد عنه.

● **الحثُّ على مصارمةِ مَنْ رثَّ حَبْلُ وُدِّهِ**

في المثل: حلَّ سبيل من وهى سقاؤه. **وقيل**: لا تصحب من لا يرى لك في الود مثل ما ترى له. **وقيل**: شغل المرء بمشتغل عنه مسقطة من العيون، وإقباله على معرض عنه معرضة به لسوء الظنون. **وقيل**: جدعاً لمن أعطى الرغبة من أعطاه الزهادة وما أدري أيهما الأم. **قال شاعر**:

مَــنْ لــمْ يُــرِدْكَ فَــلا تُــرِدْهُ	هــنــهُ كَــمَــنْ لــمْ تــســتــعِــدْهُ

قال البحتري:

شَرِّقْ وغَرِّبْ تجِدْ من مُعْرِضٍ عِوَضاً	فالأرضُ من تربةٍ والنّاس من رجلِ

وقال آخر:

أرى العِبْنَ كلَّ العبْنِ وصْلي صارماً	وإن كانَ ذا فضْلٍ ويُرَى جَافِيَا

وقال آخر:

ولرُبَّ مصحوبٍ ترفَّتُ سلوته	فلفَظْتُه قبْل التطعُّم عاجلا

● **المجاملةُ في إعراضِ مَنْ رام صرْمَ حِبالِكَ**

يستحسنُ في ذلك قولُ الأقرع بن حابس:

أصدُّ صدودَ امرئٍ مجمِلٍ	إذا جِبالُ ذو الودِّ عن حالِهِ
ولستُ بمستعتبٍ صاحباً	إذا جعلَ الهجرَ من بالِهِ
ولكنّني قاطعٌ حَبْلَهُ	وذلك فعْلي بأمثالِهِ
وما أن أذلَّ بمن حقَّ له	عرفْتُ له حقَّ إدلالِهِ
وإنّي على كلِّ حالٍ لَهُ	من إدبارِ ودٍّ وإقبالِهِ
لراضٍ لأخشنَ ما بيننا	بحفظِ الإخاء وإجلالِهِ

● **فضلُ إيثار الوحدةِ والحثُّ عليه**

قال النبي ﷺ: أحبّ العباد إلى الله الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإذا شهدوا لم يقربوا، أولئك أئمة الهدى ومصابيح الظُّلَم.

وقال مالك بن دينار لراهب: عِظْني، **فقال**: إن استطعت أن تجعل بينك وبين الناس سوراً من حديد فافعل. **وقيل لبقراط**: ألا تشاهد الملوك؟ **فقال**: وجدت الإنفراد بالخلوة أجمع لدواعي السلوة. **وقيل لآخر**: ما تجد في الخلوة؟ **قال**: الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرّهم:

وقالوا لقاءُ الناسِ أنسٌ وراحةٌ	ولو كنْتُ أرضي الناسَ ما عِشْتُ خاليًا

وقيل: العزلة توفر العرض وتستر الفاقة، وترفع ثقل المكافأة. وقيل: ما احتنك أحدٌ قطّ إلا أحبّ الخلوة.

وقيل توحّد ما أمكنك فمن وطئته الأعين وطئته الأرجل.

وقال حكيم: العاقل مستوحش من زمانه منفرد عن إخوانه. وقيل: استوحش من الناس كما تستوحش من السبع.

وقال الجنيد دخلت على السري فقلت أوصني فقال: لا تكن مصاحباً للأشرار ولا تشتغل عن الله بمجالسة الأخيار.

وقيل لذي النون رحمه الله: متى أقوى على عزلة الأخيار؟ فقال: إذا قويت على عزلة النفس. قيل: ومتى يصح الزهد؟ قال: إذا كنت زاهداً في نفسك هارباً من جميع ما يشغلك.

● من أنس في الخلوة بالعبادة والقراءة

قال حاتم الأصم: الزم بيتك فإن أردت الصاحب فالله يكفيك، وإن أردت الرفيق فرفيقاك رقيباك، وإن أردت أنيساً فالقرآن يؤنسك، وذكر الموت يعظك.

تركتُ الأنس بالأنس	ونِعمَ في الأنس من أنسي
وأقبلتُ على القرآ	ن جرماً أنيسما درسي
... يؤنسني ذاك	إذا استوحشتُ في رمسي

● ذمّ الخلوة والوحدة

قيل: أجهلُ الناس من استأنس بالوحدة واستكثر من الخلوة. وقيل: إياكم والعزلة فإن في ملاقاة الناس معتبراً نافعاً ومتعظاً واسعاً، فإن البيت رمس ما لزمته.

وحدةُ الإنسان خيرٌ	من جليسِ السوءِ عنده
وجليسُ الخيرِ خيرٌ	من جلوسِ المرءِ وحده

وفي الحديث: المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس.

● الشكوى من ذهاب الناس

دخل عبيد الله بن شبرمة على معاوية وقد أتت عليه مائتان وعشرون سنة، فقال له: يا عبيد ما شهدت من الزمان وما أدركت؟ فقال: أدركت الناس يقولون ذهب الناس ذهب الناس فلا مرتع ولا مفزع، وقيل ما بقي من الناس إلا كلب نابح أو حمار رامح أو أخ فاضح.

وكانت عائشة تنشد قول لبيد:

ذهبَ الذين يُعاش في أكنافِهم	وبَقيتُ في خلفٍ كجلدِ الأجربِ

فقال ابن عباس: لئن شكت في زمانها فقد شكت قوم عاد في زمانهم إذ قد وجدوا في خزائنهم سهماً مكتوباً عليه:

بلادٌ بها كنّا ونحنُ نحبّها ... إذ الناس ناسٌ والبلادُ بلادُ

قال أبو الدرداء: كان الناس ورقاً لا شوك فيه، فقد صاروا شوكاً لا ورق فيه إن نافرتَهم نفروك، وإن تركتَهم ما تركوك.

وقال عدي بن حاتم لمعاوية: معروفنا الذي نعده اليوم منكراً معروف لم يأت. وعن أبي صالح في قول الله تعالى ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ﴾[1] أي بسراة الناس

قال شاعر:

ذهبَ الرجالُ المقتدى بفعالِهم ... والمنكرونَ لكلِّ أمرٍ منكرِ

وبقيت في خلفٍ يزيّنُ بعضُهم ... بعضاً ليدفعَ معورٌ عَنْ معورِ

قال بعضهم: كأنّ الله تعالى ما عنى بقوله ـ ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾[2] في البخل والجهل ـ إلا أهل زماننا فإنهم ما تفاوتوا في البخل والجهل.

● **ذمّ الناس**

لما قدم محمد بن عبد الله بن طاهر مدينة السلام كتب إلى أخيه وهو بخراسان يشكو إليه قلّة الأنيس وتأذّيه بعشرة الجلساء، فكتب إليه:

طِبْ عن الأمّة نفساً ... وارضَ بالوحدة أُنسا

ليست بالواجد خلاً ... أو تَرِدُ اليوم أمسا

ما رأينا أحداً سا ... وى على الخبرة فلسا

وقيل: خير الناس من لم تجرّبه. إخبر الناس تقليهم[3]

قال المتنبي:

وصرتُ أشكّ فيمن أصطفيه ... لِعلمي أنّه بعضُ الأنامِ

وقال الآخر:

ليس في الدنيا وفاءٌ ... لا ولا في الناس خيرُ

قد بلوتُ الناسَ طرّاً ... من كثيرٍ وغزيرُ

وقال الآخر:

بلوناهم واحداً واحداً ... فكلّهم ذلك الواحدُ

---

(١) القرآن الكريم: طه/٦٣. (٢) القرآن الكريم: الملك/٣

(٣) أي تبغضهم من قلى يقلي قلى (الرجل) أبغضه فهو قالٍ وذلك على الشرّ وهذا شبيه بقول الفيلسوف هوبز: الإنسان ذئب للإنسان.

وقيل لسفيان: دلّنا على رجل نجلس إليه. فقال تلك ضالة لا توجد. وقال بعضهم: الناس كلاب فإذا وجدت سلوقياً فاحتفظ به.

وكتب بعضهم: أما بعد فإني أحمد الله إلى الناس وأذم الناس إلى الله. وقال حكيم: من لم يستطع مزايلة الناسُ بجسده فليزايلهم بقلبه.

قال المتنبي:

كلما أنبتَ الزمانُ قناةً ركّبَ الدهرُ في القناةِ سناناً[1]

- **قلّةُ الاستغناءِ عن الناس والأمرُ بمداراتهم**

قال رجل لابن عبّاس: ادع الله أن يغنيني عن الناس. فقال: إن حوائج الناس تتصل بعضها ببعض كاتصال الأعضاء فمتى يستغني المرء عن بعض جوارحه. ولكن قل: أغنني عن شرار الناس.

وقيل: كان بعضهم يطوف ويقول: من يشتري مني بضائع بعشرة آلاف درهم؟ فدعاه بعض الملوك وبذل له المال، فقال له: اعلم أن الله لم يخلق خلقاً شراً من الناس وإن لم يكن لك بدّ من الناس فانظر كيف تحتاج أن تعامل ما لا بد منه، ولا غنى بك عنه. ثم قال: هل يساوي هذا الكلام عشرة آلاف درهم؟ قال: دونك المال ولم يأخذه.

- **أصنافُ الناس**

قال معاوية للأحنف: صِفْ لي الناس يا أبا بحر. فقال: رؤوس رفعها الحظُّ وكواهل عظّمهم التدبير، وأعجاز شهرهم المال، وأذناب ألحقهم الأدب ثم الناس بعدهم بهائم إن جاعوا ساموا وإن شبعوا ناموا.

وقال سلمان: الناسُ أربعة أصناف: آسادٌ وذئاب وثعالب وضأن. فأما الآساد فالملوك وأما الذئاب فالتجار، وأما الثعالب فالقراء المخادعون، وأما الضأن فالمؤمن ينهشه كل من يراه.

وقال أمير المؤمنين: الناس ثلاثة: عالم ومتعلم وما سواهما همج.

قال امرؤ القيس:

عصافيرُ وذبانٌ ودودٌ وآخرُ من مجلجلةِ الذئابِ

وقال علان العتابي: رأيت كلثوماً يأكل خبزاً في الطريق، فقلت له: أما تستحي؟ تأكل بحضرة الناس، فقال: أرأيت لو كنت في دار فيها بقور أما كنت تأكل بحضرتهم. قلت: فهؤلاء بقور؟ ثم قال: إن شئت أريتك دلالة ذلك ثم قام ووعظ وجمع قوماً. ثم قال: روي عن غير وجه أنّ من بلغ لسانه أرنبة أنفه أدخله الله الجنة فلم يبق أحد إلا أخرج لسانه ينظر هل يبلغ.

---

(١) وفي رواية: ركّب المرء ـ يذم طبائع الناس لأنها مطبوعة حسب رأيه.

وقال رجل للشاعر: أين سكة الحمير؟ فقال اسلك أي سكة شئت فكلها دروب الحمير. وقال بعض العرب طلبت الراحة فلم أجد أروح لنفسي من تركها ما لا يعنيها، وتوحشت في البادية فلم أر أوحش من قرين السوء.

(٢)

ومما جاء في محبة المعاشرين وبغضهم

•

● المحبوبُ إلى الناس

قيل: فلان مودود في الورى مخصوص بالهوى.

كأنّ قلوبَ الناس في حبّه قلبٌ.

وقال التنوخي:

كأنك في كلِّ القلوبِ محبّبٌ ... فأنت إلى كلِّ القلوب حبيبُ

وقال الرفاء:

ودّ البريّة أن عمرك دائمٌ ... وكذا الربيعُ يُحبُّ منهُ دوامُه

وقال آخر:

محبّب في جميعِ الناسِ إن ذكرتْ ... أخلاقُه الغرُّ حتّى في أعاديه

وقال آخر

محبّبٌ في قلوب الناس كلهم ... فكلُّ قلبٍ إليه مائلٌ كلِفُ

● اختبارُ مودّة صاحبك بما عندك

في الأثر الأرواحُ جنودٌ مجندة فما تعارفَ منها ائتلف، وما تناكرَ منها اختلف. وقال بعضهم لآخر: إني أحبك. فقال: رائد ذلك عندي. وقال: رجل لعبد الله بن جعفر: إن فلاناً يقول إنه يحبني فبماذا أعلم صدقه؟ قال: امتحن قلبه بقلبك فإن كنت تودّه فإنه يودّك، وشاهد ذلك قول بكر بن النطاح:

وعلى القلوبِ من القلوبِ دلائلٌ ... بالودّ قبل تشاهدِ الأرواحِ

وقال آخر:

قلْ للتي وصفتْ مودّتها ... للمستهامِ بذكرها الصبِّ

ما قلت إلا الحق أعرفه:

إنّ الدليلَ عليه من قلبي ... قلبي وقلبُك بدعةٌ خلقا

يتجاريان بصادقِ الحبِ

وقال آخر:

لعمري لقد زعمَ الزاعمون ... بأن القلوبَ تُجازي القلوبا

فلوْ كان حقًا كما تعلمون ... لما كان يجفو حبيبٌ حبيبا

- **المدّعي محبّةَ صديقه**

قال المتنبي:

أحبّك يا بدرَ الزمان وشمسه ... وإن لامني فيك السها والفراقدُ

وذاكَ لأن الفضلَ عندك باهرٌ ... وليس لأن العيشَ عندك باردُ

وإن قليلَ الحبِّ بالعقل صالِحٌ ... وإنَّ كثيرَ الحبِّ بالجهل فاسدُ

وقال إبراهيم بن العباس:

وأنتَ هوى النفسِ من بينهم ... وأنتَ الحبيبُ وأنتَ المُطاعُ

وما بكَ إن بعدوا وحشةٌ ... ولا معهُم إن بعدْتَ اجتماعُ

وقال آخر:

فيا ليتَ ما بيني وبينك عامرٌ ... وبيني وبين العالمين خرابُ

وليتكَ تحلو والحياةُ مريرةٌ ... وليتك ترضى والأنامُ غضابُ

- **النهيُ عن فرطِ الحبِّ والبُغض**

قال رجل لأرسطاطاليس: عظني، قال: لا يملكنّ نفسك محبة شيء ولا يستولينّ عليك بغضه، واجعلهما قصداً؛ فالقلب كاسمه يتقلّب، وفي الأثر: أحبب حبيبك هوناً ما، عسى أنْ يكون بغيضَك يوماً ما، وأبغض بغيضَك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما.

- **قلّةُ المبالاة ببغضِ مَنْ لا يقصدُ ضرّك**

قال عمر بن الخطاب[1] رضي الله عنه لطليحة الأسدي: قتلت عكاشة؟ فقلبي لا يحبك أبداً. قال: فمعاشرة جميلة، فإن الناس يتعاشرون على البغضاء. وقال الوليد لرجل: إني أبغضك. فقال: إنما تجزع النساء من فقد المحبة، ولكن عدلٌ وإنصافٌ يا أمير المؤمنين.

وقال ابن أبي الحواري لأبي سليمان: إن فلاناً لا يقع من قلبي، فقال: ولا من قلبي، ولكنا لعلنا أُتينا من قِبَل أنه ليس فينا خير فلسنا نحب الصالحين.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجل همّ بطلاق امرأته: لِمَ تطلقها؟ قال: لا أحبها. قال: أو كُلُّ بيت يُبنى على المحبة، أين الرعاية والذمَم؟

---

(١) عمر بن الخطاب: ثاني الخلفاء الراشدين ـ أوّل من لُقّب بأمير المؤمنين. خلف أبا بكر الصديق. اشتهر بعدله. اغتاله أبو لؤلؤة الفارسي في المسجد، وكانت وفاته سنة ٢٣ هـ (٦٤٤م).

● أسبابُ المحبةِ والبغضِ ومضرتُهما ونفعُهما

رُوي في الخبر أن الله إذا أحب عبداً نفى محبته في الملأ، فلا يمرّ به أحد إلا أحبه وقالت عائشة رضي الله عنها: جبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها وبغض من أساء إليها.

وقال يحيى بن خالد: إذا كرهتم الرجل من غير سوء أتاه إليكم فاحذروه وإذا أحببتم الرجل من غير خيرٍ سبق منه إليكم فارجوه

● كونُ المبغضِ معيباً

قيل لما أراد أنوشروان[1] أن يصير ابنه ولي عهده استشار وزراءه فكلٌ ذَكَرَ عيباً فقال بعضهم: إنه قصير ودنك لا يصلح للملك. فقال أنوشروان محتجاً له: إنه لا يكاد يرى إلا راكباً أو جالساً

فقال آخر إنه ابن رومية، فقال الأبناء ينسبون إلى الآباء وإنما الأمهات أوعية

فقال الموبذ إنه مبغض إلى الناس. فقال: حينئذٍ هذا هو العيب فقد قيل إن من كان فيه خير ولم يكن ذلك الخير محبة الناس له فلا خير فيه، ومن كان فيه عيب ولم يكن ذلك العيب بغض الناس فيه، فلا عيب فيه.

وقال الأحنف يوماً فقير صدوق خير من غنيّ كذوب. وقال بعض مجالسيه ووضيع محبّب، خيرٌ من شريف مبغّض فقال الأحنف هذه مثل هذه

● وصفُ بغيضٍ

قيل فلان لا تحبه الناس حتى تحبّ الأرض الدم، وذلك لأن الأرض لا تشرب الدم

قال الشاعر اليمامي:

يا بغيضاً زاد في البغض على كلّ بغيض ... أنتَ عندي قدحُ اللباب في كفّ المريض[2]

وقال آخر:

زمِينَا بأثقلى من جهنم منظراً ... وأقبح آثاراً من الحدثان[3]

وأكره في الأبصار من طالع الردى ... وأنحسَ آثاراً من الدبران[4]

وقال آخر:

ولو أن ذا فضلٍ لجا في حرامه ... لجاء بفيلٍ في الحرامُ يُزاحِمُه

وقد مرّ من ذلك كثير

---

(١) أنوشروان كسرى أنوشروان هو ابن قباد أحد ملوك الساسانيين (٥٣١ ـ ٥٧٩م) احتل أنطاكية واستولى على اليمن (٥٧٠م) اشتهر بعدله وإصلاحاته

(٢) اللباب جمع لبّ وهو الجوهر، والخالص من كلّ شيء

(٣) ألثى أبغض ـ الحدثان، الليل والنهار

(٤) الدبران: منزل للقمر يشتمل على خمسة كواكب في برج الثور، سمّي بهذا الاسم لأنه يتبع الثريا

● **التعريضُ بثقيلٍ أو بغيضٍ**

كان أبو هريرة إذا رأى ثقيلاً قال: اللهم اغفر له وأرِحْنا منه. وقال ثقيل لمريض ما تشتهي؟ قال: أشتهي أن لا أراك. وقيل أن ثقيلاً قال لأعمى إنّ الله لم يأخذ من عبد كريمتيه إلا عوضه عنهما شيئاً فما الذي عوضك؟ قال: أن لا أرى أمثالك وكان لابن سيرين خاتم منقوش عليه أبرمت فقم، فإذا استثقل إنساناً دفعه إليه. وقيل من ثقل عليك بنفسه وغمك بسؤاله فوّله أذناً صمّاء وعيناً عمياء.

(٣)

وممّا جاءَ في الزيارةِ

●

● **وصفُ الزيارةِ بأنها تغرسُ المحبةَ**

في كتب الهند ثلاثة تزيد في الأنس: الزيارة والمواكلة والمحادثة.

● **ما قيل في استزارةِ المحبوبِ**

قال بشار:

يا رحمةَ الله حِلّي في منازلنا ... وجاورينا فدتْكِ النفسُ من جارِ

وقال آخر:

واسقطْ علينا كسقوطِ النّدى ... ليلةَ لا نـاهٍ ولا آمـرُ

وقال بشار

قد زُرْتِنا مرّةً في الدّهرِ واحدةً ... ثنّي ولا تجعليها بيضةَ الديكِ[1]

وقال بعضهم: إذا رأيت أن تحدّد لي ميعاداً لزيارتك أتقوّته إلى وقت زيارتك فعلت.

وكتب ابن المعتز إلى صديق له: طالت علتك أو تعاللك، وقد اشتد شوقي إليك فعافاك الله من المرض في بدنك أو أخائك، فإنك إن أتيت فإنك مشكور، وإن تأخرت عنّا فجاف غير معذور.

وقال إبراهيم الصولي: لا أعرف شعراً أحسن من قول العبّاس:

تعالَي نجدّدْ دارسَ الوصلِ بيننا ... كلانا على طولِ البعادِ مَلُومُ

وكتب الصاحب إلى أبي إسماعيل بجرجان:

يا أبا بشرٍ تأخّرْتَ عنّا ... قد أسأنا لبُعدِ عهدِكَ ظنّا

كمْ تمنّيتُ لي صديقاً صدوقاً ... فإذا أنتَ ذلكَ المتمنّى

---

(١) بيضة الديك: كناية عن المستحيل الوجود أو عن الذي لا يكون إلا مرة واحدة.

فبغصنِ الشبابِ لما تثنى ... وبعهدِ الصبا وإن بانَ عنّا
كنْ جوابي لكيْ تردّ شبابي ... لا تقلْ للرسولِ كانَ وكنّا

● المسرّةُ بزيارةِ الصاحبِ

قالوا تجشّم زائراً من بيتهِ ... فأجبتُهم والنجمُ بينَ سُعودي[1]
لو كانَ ملّكني الكرامُ خدودَهم ... لفرشْتُ أرضاً تحتَه بخدودِ

وقال ثعلب:

الفتحُ علقمةُ البكريُّ خبّرنا ... أنّ الوزيرَ أبا مروانَ قد حضَرا
فقلْتُ للنفسِ هذي مُنيَةٌ قدرتْ ... وقد يوافقُ بعضُ المنيةِ القَدَرا

وقال البحتري:

حبيبٌ سرى في خفيةٍ وعلى ذُعْرٍ ... يجوبُ الدّجى حتى التقينا على قدْرِ
فشككتُ فيه من سرورٍ وخِلْتُهُ ... خيالاً سرى في النومِ من طيفِه يسْري

وله

فرحتُ حتى استخفّني فرَحي ... فشككتُ عينُ اليقينِ بالوَهْمِ
أمسحُ عيني مستثبتاً نظري ... أخالُني نائماً ولم أنمِ

وقال:

وما زارني إلاّ ولِهْتُ صبابَةً ... إليهِ ولا قلْتُ أهلاً ومرحبا[2]

● البشارةُ بورودِ الحبيبِ

قال الخبزارزي:

ومُبَشّري بقدومِ مَنْ أهواهُ ... لا زالَ وهو مبشّرٌ بمُناهُ
عندي له بُشرى ولو ملّكتُهُ ... روحي وقلبي قلّ عن بُشراهُ

● زيارةُ منْ لا يزورُك

كتب بعضهم إلى آخر: كلّ جفوة منك مغفورةٌ للثقة بك وستأخذ بقول قيس بن الأسلت:

ويكرمُها جاراتُها فيزُرْنَها ... وتغفلُ عن إتيانهنّ فتُعذَرُ

وقال ابن الحجاج:

وإنّي لزوّارٌ لمَنْ لا يزورُني ... إذا لم يَكُنْ في وُدّه بمُريبِ

---

(١) سعود: جمع سعد، وهو نقيض النحس، سعود النجوم: كواكب عشر يُقال لكلّ منها سعد

(٢) الصبابة: شدّة الشوق والحنين إلى المحبوب

وقال ابن ميادة:

فإنْ هو لمْ يهمُمْ بِنا اليومَ قادماً … فلِمْنا عليْه نحْنُ في دارِه غدًا[1]

- **الاعتذارُ إلى من قللت زيارتُهُ**

لئنْ عاقَ جسْمي عنْ لقائك مانعٌ … فما عاقَ قلْبي عن لقائِك عائِقُ

فإنْ ظهرَتْ منّي دلائلُ جفْوةٍ … فما أنا إلاّ مخْلِصُ الودِّ صادِقُ

وقال أبو حكيمة:

فلا تنكِرْ فدتْكَ النفسُ أني … أغبّك في اللقاءِ وفي المَزار

فإنّي حيْث كنتُ فليْس ودّي … بممشوحٍ سِواكَ ولا مُعَار

وقال جحظة:

فإنْ يكُ عن لقائِك عاتَ وجْهي … فلم تَغِبِ المودةُ والإخاءُ

ولم يزَلِ الثناءُ عليْك يَسْرِي … بظَهْرِ الغيبِ يتبعُه الثناءُ[2]

وقال الخوارزمي:

وما بي فيك من زُهدٍ ولكن … أخفّفُ عنك أعباءَ المَلالِ[3]

وقال:

إنْ كنتَ مي تركَ الزيارة تاركاً … حقّي فإنّي في الدعاء لجاهِدُ

ولربّما تركَ الزيارةَ مشفِقٌ … وأتى بها غلّ الضمير الحاسدُ[4]

اعتذر بعض الأدباء إلى أخ له في تأخره فأجابه

إذا صحّ الضمير فكل هَجْرٍ … وإعراضٍ يكون له انقضاءُ

وقال

إن محْض الودّ لا يزْ … ري به طولُ تناءِ

وانقطاعُ من كتاب … وتراخٍ من لقاءِ

إنما الوامق من يحمل أثقال الجفاء … والذي تضجره الجفوة مدخول الإخاءِ[6]

وقال آخر:

أغيبُ عنك بودّ لا يغيّره … نأيُ المحَل ولا صَرْفٌ منَ الزمنِ[7]

---

(١) إذا لم يزرنا اليوم زرناه غداً

(٢) يسري: يأتي تباعاً

(٣) الملال: الملل أو السأم

(٤) المشفق: الخائف - المحض: الخالص من كلّ شيء - التنائي: التباعد أو التجافي

(٥) تزرى زرياً (ثلاثاً): احتقره.

(٦) الوامق: المحبّ

(٧) النأي: البعد، نأى بَعُد بُعاد - صرف الزمن: خطبه

- **الشكوى ممّن يقلّل الزيارة**

في المثل أنت كبارح الأروى قلّما يرى. **قال شاعر:**

وحظك لقية في كل عام | موافقة على ظهر الطريقِ
سلاماً خالياً عن كلّ شيء | يعودُ به الصديقُ على الصديقِ

قال أبو الجهم:

زائر يُهدي إلينا | نفسه في كلّ عامِ

- **استقرابُ الطريقِ في زيارة الحبيبِ**

وكنتُ إذا ما جئتُ سُعْدى أزورها | أرى الدارَ تُطْوى لي ويدنو بَعِيدُها

وقال ابن ميادة:

تقرّبُ لي دارُ الحبيبِ وإن نأى | وما دارُ من أبغضتُه بقريبِ

وقال العبّاس:

يقرّبُ الشوقُ داراً وهي نازحة | من عالج الشوق لم يَسْتَبْعِدِ الدار(١)

وقال العبّاس:

ترى الرجْلَ قد تسعى إلى من تحبّه | وما الرجْلُ إلا حَيثُ يسعى بها القلبُ

- **مَنْ حثّه شوقُهُ نحو محبوبِهِ**

قال الموصلي:

يحث مطاياه تذكّرُكم | وليس ينساكم إنْ حلّ أوْ سارا(٢)

وقال آخر:

يعتادُني طربي إليك ويعتلي | وجدي ويَدْعُوني هواكَ فأتبعُ

وقال عمرو بن شاس:

إذا نحنُ أدلجنا وأنتَ أمامنا | كفى لمطايانا بذكراكَ حَادِيَا(٣)

وقال العباس:

لا يهتدي قلبي إلى غيركم | كأنّه سُدّ عليه الطريقْ

---

(١) نازحة: بعيدة ونائية.
(٢) مطايه: جمع مطية، الدابة التي تركب ويستوي فيه المذكر والمؤنث.
(٣) أدلجنا: سرنا في الليل ـ الحادي: سائق الإبل.

● **متابعةُ المحبُوب**

قال أعرابي:

وإن تــدَعــي نــجْـداً أدعْـه وَمَــنْ بــه ... وإن تسكُـي نجْداً فيا حبّذاً نجدُ[1]

وقال المهلّبي:

إن كــنــتِ أزمــعــتِ الــرحــيــلَ ... فــإنّ رأيــي فــي الــرحــيــلِ[2]

أو كــنْــتِ قــاطــنــةً أقــمْــتُ ... وإن مــنــعــت دنــوّ ســولــي

كــالــنّجْم يُصحَبُ في الـمَـسيرِ ... ولا يــــزورُ لـــدى الــنُــزُولِ

● **معاتبةُ مَنْ ذكر شوقَهُ**

يــا مــنْ شــكــا عــبــثــاً إلــيــنــا شــوقَــهُ ... فعلَ المشوق وليس بالمُشْتاقِ

لـو كـنْـتَ مشْـتـاقـاً إلـيّ تـريـدُني ... مـا طِـبْـتَ نـفْـسـاً سـاعـةً بـفـراقِ

وحـفـظـتني حـفـظ الخـلـيـل خـلـيـلـه ... ووفَـيْـتَ لـي بـالـعـهْـد والمـيـثـاقِ

● **تفضيلُ التزاورِ على التجاورِ**

قال عمر رضي الله عنه: زوروا ولا تجاوروا. وقال: إدمانُ اللقاءِ سببُ الجفاء. وفي المثل: من يتجمّع يتقعقعْ، أي تقعُ الخصومة بينَ المتجاورين.

● **الحثُّ على تقليلِ الزيارة وكراهةُ مداومتِها**

قال النبي ﷺ: زُرْ غِبّاً تزدَدْ حباً.

قال شاعر:

أغــــبْ زيــارتَــك الــصــديــقَ ... يــراكَ كــالــشّــيء اســتــجــدّه[3]

إنّ الــصــديــقَ يــمــلُّ مــنْ ... أن لا يــزالَ يــرَاكَ عــنــدَه

وقيل: قلّة الزيارة أمانٌ من الملالة وكثرةُ التعاهُد سببُ التباعد.

قال أبو تمّام:

وطولُ مقام المرءِ في الحيّ مخْلقٌ ... لديباجَتَيْه فاغترِبْ تتجدّدِ[4]

فإنّي رأيتُ الشمْسَ زادت محبّةً ... إلى الناس أنْ ليْسَت عليهم بسرمَدِ[5]

---

(١) و (٢) **يقول:** إن القلب لا يهوى سواكم، وأنه لا يسكن إلا حيث تسكن المحبوبة، يقيم في نجد إن أقامت ويرحل عن نجد إن رحلت، وإن همّت بالرحيل همّ به كذلك.

(٣) **أغبب زيارتك:** أي لا تكثر من الزيارة، والإغباب الإقلال.

(٤) **ديباجتيه.** الديباجة الوجه والثوب، وديباجة الكتاب: فاتحته ـ يقول: في الاغتراب تجدّد وعلى المرء أن لا يطيل في الحيّ لئلا يعتريه الخمول.

(٥) **ليست بسرمد:** أي ليست أبديّة فهي تشرق ثم تغيب، وفي هذا التحول تجدّد.

وقال آخر:

عليكَ بإغبابِ الزِّيارة إنّها | تكونُ إذا دامَت إلى الهجرِ مَسْلكا
فإنّي رأيتُ الغيثَ يُسأمُ دائماً | ويُسألُ بالأيدي إذا هو أمسكا

● شكوى مَنْ خفّفَ الزيارة

قال كشاجم:

بأبي وأمّي زائرٌ متقنِّعٌ | لم يخفِ ضوءَ الشمسِ تحتَ قناعِه
لم أستتمَّ عناقَه لقدومِهِ | حتى ابتدأتُ عناقَهُ لِوَداعِهِ
فمضى وأبقى في فؤاديَ حسرةً | تركتْه موقوفاً على أوجاعِهِ

وقال آخر:

وزائرٌ زارَ وما زارا | كأنّهُ مقتبسٌ نارا
ألمَّ بالباب أحا نجوة | ما ضرّه لو دخلَ الدارا
نفسي فداً لك من زائرٍ | ما حلَّ حتى قيلَ قد سارا

وقال ابن أبي البغل:

حبيبٌ إذا ما زارنا قلَّ لبثُه | وإنْ هو عنّا غابَ طالَ جفاؤُه

وفي عذر تخفيف الزيارة قال أبو العيناء: سلام معظّم، وجلوس مخفّف وانصراف متأسّف.

● شكايةُ مَنْ تأخّر عنك

حاذرْتَ إذْ واصلتَ إملالنا | فخفتَ إذا ما غبتَ أن نسلو

وقال إسحاق: كنت أزور العبّاس بن محسن فتأخرت عنه مدة مديدة فقال لي أذقتنا نفسك فلما استعذبناك لفظتنا.

وكان بعضهم يختلف إلى الأعشى فتأخّر عنه أياماً فلقيه، فأنشده:

ولجَّ بك الهجرانُ حتى كأنّما | ترى الموتَ في البيتِ الذي كنتَ تألفُ

قال العبّاس بن الأحنف:

مَنْ سائلٌ بدرَ الدجى | ما بالُهُ تركَ الطُّلوعا

وقال ابن الرومي[1]:

يعتلُّ بالشُّغلِ عنّا ما يُزاوِرُنا | والشغْلُ للقلبِ ليس الشغْلُ لِلْبَدَنِ[2]

---

(١) ابن الرومي: عليّ بن العبّاس (٨٣٦ ـ ٨٩٦) شاعر بغداديّ من أعظم الشعراء في الدولة العباسية. وُلد في بغداد من أبٍ روميٍّ وأمّ فارسية. أثر تراثه اليوناني في شعره. كان ضيق الأخلاق متشائماً متطيراً، وقد أكثر من التغنّي بالطبيعة.

(٢) يقول: إن المحبوب يتذرّع بالانشغال حتى لا يزورنا، والانشغال في نظر الشاعر هو للقلب وليس للبدن.

● **شكوى مَنْ قلّ الإلتقاءُ معَهُ**

قال ابن سكّرة[١]:

إن أغب لم تغِبْ وإن لم تغب غبْتُ
كــأن افــتــراقَــنــا بــالــتــلاق

قال الصنوبري[٢]:

إذا حضَرْنا غبْتَ أو لم تغب ... نحضرُ فنحن الوردُ والنرجسُ
لم يُجْمَعا للعيْنِ في روضةٍ ... قطُّ ولم يجمَعْهُمَا مَجْلِسُ

قال منصور الفقيه:

هجرتُ المسجدَ الجامـ ... ـعَ والهجْرُ له ريبَه
فأحبابُك تأتينا ... على الأعلام منصوبه[٣]
فإن زدتَ من الغيْـ ... ـبةِ زدْناك من الغيبه[٤]

● **زيارةُ من لا تحبه**

قالت أعرابية:

أزورُكم إن لم أجد متعلّلا ... فلا تحمدوني في الزّيارة إنني

وبعث عمرو بن مسعدة إلى أبي العتاهية فاستزاره، فقال:

كسّلني اليأسُ منك عنك فما ... أرفعُ عيْني إليك من كسَلي
إنّي إذا ما الصّديقُ أوحشني ... قطعتُ منه حبائلَ الأملِ

وقال آخر

يقولون زرنا واقضِ واجبَ حقّنا ... وقد أسقطَتْ حالي حقوقَهم عنّي
إذا أبصروا حالي ولَم يأنَفوا لها ... ولم يأنفوا منها أنِفْتُ لهم منّي[٥]

---

(١) **ابن سكّرة**: هو ابن سكرة الهاشمي، من شعراء العصر البويهي، عصر الدويلات والإمارات. كان بارعاً في فنون شتى أبرزها الغزل والمدح قال فيه صاحب اليتيمة: شاعر متسع الباع في أنواع الإبداع، فائق في قول الملح والظرف (يتيمة الدهر: ٣/٣).

(٢) **الصنوبري**: هو أحمد بن محمد بن الحسن الضبي عرف بالصنوبري لذكائه وحدّة مزاجه. والصنوبري من أهل أنطاكية نشأ وربي في حلب مدح الكثير من رجالات عصره وعلى رأسهم سيف الدولة الحمداني.

(٣) **تأتينا على الأعلام منصوبة**: كناية عن الذيوع وقوة الانتشار فهي ليست نكرة ولا مهملة.

(٤) **الغيبة**: من الغياب والغِيبة الاغتياب، وهو أن يذكر المرء بما فيه من السوء، أو يعاب. والشاعر يعتبر غياب المحبوب موجباً لغيبته أو اغتيابه

(٥) **أنف من حاله**: كرهه، ومن العار ترفّع عنه وتنزّه.

وقال آخر:

إذا ما تقاطعنا ونحن ببلدة ... فما فضل قرب الدار منا على البُعْدِ

● القيامُ للصديق الزائر

كان الأحنف مستنداً إلى سارية في المسجد وحده، فأقبل بعض إخوانه فتنحّى له عن مجلسه، فقال: يا أبا بحر ما عندك من أحد ولا مجلسك ضيقٌ فلم تَنَحَّيْتَ؟ قال: كرهت أن تظن أني لم أهش لزيارتك ومجيئك فشكرت ذلك بأقرب ما حضرني من الإكرام. وقال محمد بن يزيد: حضر بعض الناس مجلس كبير فنهض له فقال له في ذلك، فقال:

لئن قمتُ ما في ذاك عندي غضاضةٌ ... لديَّ لأني للشريف مذلَّلُ[1]

على أنه مني لغيرك هجنةٌ ... ولكنه مثلي لمثلك يَجْمُلُ[2]

وقال غيره

فلما بَصُرْنا به ماثلاً ... حللنا الحبا وابتدرْنا القِيَاما[3]

فلا تنكرنْ قيامي له ... فإنَّ الكريم يُجِلُّ الكِراما

● كراهةُ القيام

أقبل معاوية وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عامر جالسان، فقام ابن عامر ولم يقم ابن الزبير، فقال معاوية سمعت رسول الله ﷺ يقول من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار، وقال ﷺ: لا يقومن الرجل لغيره من مجلسه ثم يجلسه فيه وقيل: الكراهة في أن يقعد الرجل ويقيم الناس بين يديه

---

(١) الغضاضة: مصدر غض غضاً وغضاضة وغضاضاً طرفه أو صوته أي خفضه وكفّه، والغض كسره والغضاضة أيضاً الذلة والمنقصة.

(٢) الهجنة: العيب والقبح

(٣) ماثلاً: شاخصاً للعيان ـ حلّ الحبا: كناية عن النهوض.

الحدّ الثالث عشر

في الغزل وما يتعلّق به

•

(١)
ما جاءَ في أوصافِ الهوى وأحوالِ العُشّاقِ

•

• ماهيةُ العشق

سُئِلَ بعض الفلاسفة عن العشق فقال: جنون إلهي، لا محمود ولا مذموم. وسئل عنه آخر فقال: حركة النفس الفارغة. قال شاعر:

هل الحبُّ إلا زفرةٌ بعد زفرةٍ ... وحرٌّ على الأحشاء ليس له بَرْدُ
وفيضُ دموعِ العين يا ميّ كلّما ... بدا علمٌ من أرضكم لم يكن يبدُو

وقال بعض الصوفية: الهوى مِحنة امتحن الله بها خلقه يستدل به على طاعة خالقهم ورازقهم. وقيل لبعضهم: ما العشق؟ فقال: ارتياح في الخلقة وفرح يجول في الروح وسرور ينساب في أجزاء القوى.

وقال العتبي: سألت أعرابياً عن الهوى فقال: هو أظهر من أن يخفى، وأخفى من أن يرى، كامنٌ كمون النار في الحجر، إنْ قدحته أورى وإن تركته توارى. وسئل يحيى بن معاذ عن حقيقته فقال: الذي لا يزيده البرّ ولا ينقصه الجفاء.

• أحوالُ فروعِ الهوى وأنواعُهُ

قال العلماء: الهوى أنواع أوّلُه العلاقة وهو الشيء يحدثُه النظر والسمع فيخطر بالبال، ثم ينمو فيقوى فيصير محبّة، والحبّ اسم مشترك يجمع ضروباً من ميل النفس كحب الولد والمال، ثم الهوى ثم المودة ثم الصبابة ثم العشق ثم الوله والهيام والتتيّم وهو أرفع درجات الحب لأنه التعبّد.(١)

---

(١) يشير في هذا السياق إلى مراتب الحبّ عند العرب، وقد حرص فقهاء العربيّة على اعتبار الهوى متباين الوجوه ومتعدّد الحالات قوّة وشدّة. وجاء في كتاب فقه اللغة للثعالبي قوله: أول مراتب الحبّ الهوى ـ

قال شاعر:

ثلاثةُ أحبابٍ فحبٌّ علاقةٍ ... وحبٌّ تملاقٍ وحُبٌّ هو القَتْلُ[1]

وسئل بعض الصوفية عن الحب والهوى فقال: الهوى يحلّ في القلب والمحبة يحلّ فيها القلب. وقيل: العشق اسم لما يفضل من المحبة، كما أن السخاء اسم لما جاوز الجود، والبخل اسم لما قصر عن الاقتصاد، والهوج اسم لما فَضُل عن الشجاعة.

وقال بعض الفلاسفة: الحب والعشق والهوى من جنس، لكن العشق اشتهار وتفرع، والوجد هو الحب الساكن الذي إذ رأى صاحبه شغف به وإذا غاب لهج بذكره، والهوى ما تتبعه النفس[2] غياً كان أم رشداً حسناً كان أو قبيحاً ولذلك ذمّه الله تعالى بقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[3].

● الأسبابُ المولّدةُ للعشق

زعم بعض المتفلسفين أن الله تعالى خلق الأرواح كلّها كهيئة كرة ثم قطعها أنصافاً فجعل في كل جسد نصفاً[4]. فكل جسد لقي الجسد الذي فيه نصفه حصل بينهما عشق وتفاوت حالهما في القوّة والضعف على حسب رقة الطبائع.

وزعم بعضهم أن الصداقة على ثلاثة أنواع: إمّا لاتفاق الأرواح فيكون لاتفاق الشمس والقمر في المولدين في برج واحد، فلا يجد أحدهما بدّاً من حب صاحبه، وإمّا لمنفعة تحصل فتولد ذلك، ولهذا قال النبي ﷺ: جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها وإما لألفة تجتمع بوداد الحرص إليهما، ولهذا قال المتنبي:

وما العشق إلا غرّةٌ وطماعةٌ ... يعرّض قلبٌ نفسَهُ فَيُصابُ

وقال الصمد المري:

وما العشقُ إلا النارُ تُوقَدُ في الحشا ... وتُذْكَى إن انْضَمّتْ عليه الجوانحُ[5]

= ثم العلاقة ثم الكلف ثم العشق ثم الشعف فالتوله واللاعج، ثم الشغف ثم الجوى فالتيم ثم التبل وهو الحبّ المسقم وأقصى الدرجات التدليه والهيوم وبهما ذهاب العقل من الهوى والسير على غير هدى. ويلاحظ أن الثعالبي الأصبهاني قد لامس بعض هذه المراتب

(1) الحبّ الذي هو القتل هو الذي يهلك صاحبه وفي هذا قول رجل من بني عذرة عن قومه إذا أحب أحد هلك، إشارة إلى شدّة التعلّق والشغف والتدلّه.

(2) غيّاً: ضلالاً، وخلاف الغي الهداية والرشاد (3) القرآن الكريم ص/٢٦

(4) قوله: «فجعل في كل جسد نصفاً» يدلّ على التأثر بالنظرة الأفلاطونية في الحبّ، فقد ذهب أفلاطون إلى أنّ الإنسان كان يعيش في عالم علوي ثم وقع في الخطيئة فأغضب الآلهة التي طردته من عالم المثال، وهبطت به إلى عالم المادة وشطرته إلى شطرين أو نصفين، وأن السعادة لا تتم إلا إذا تلاقى الشطران وهذه الناحية عند أفلاطون تمثل ضرباً من ضروب الحبّ، وجانباً من فلسفته في هذا الباب.

(5) تذكي النار: تأجيج.

● شدّة معاناةِ العشق

قال أعرابي: ما أشدَّ جولة الرأي عند الهوى وفطام النفس عند الصبا، ولقد تصدّعت كبدي للمحبين ملوم العاذلين قرطةً في آذانهم ولوعات الحب نار مؤجّجة في أبدانهم، لهم دموع على المغاني كغروب[1] السواقي

وقيل: كلّ شهوة تخطر فمداراتها سهلة ما خلا العشق.

● ما يولّده العشقُ من الأخلاقِ الحميدةِ

شكا معلم سعيد بن مسلمة ولده إليه، فقال: إنه مشتغل بالعشق فقال: دعه فإنه يلطف وينظف ويظرف. وكان ذو الرياستين[2] يبعث أحداث أهله إلى شيخ يعلّمهم الحكمة، فقال لهم يوماً: هل فيكم عاشق؟ قالوا: لا. قال: اعشقوا وإياكم والحرامَ فالعشق يفصح الغبي ويذكي ويسخي البخيل ويبعث على التنظيف وتحسين الملبس، فلما انصرفوا قال لهم ذو الرياستين: ما استفدتم اليوم؟ قالوا: كذا وكذا. قال: نعم. وإنما أخذه ممّا رُوي أن بهرام جور كان له ابن أهّله للملك بعده، وكان ساقط الهمة رديء النفس سيء الخلق فغمّه ذلك، ووكل به من يعلّمه، فلم يكن يتعلّم. فقال معلمه: كنا نرجوه على حال فحدث منه ما آيسنا وهو أنه عشق بنت المرزبان[3] فقال: الآن رجوت فلاحَهُ

ثم دعا أبا الجارية فقال: إني مستسِرٌّ إليك سرّاً فلا يعدونّك[4]. اعلم أنّ ابني عشق ابنتك وأريد أن أزوّجها منه فمُرْها بأن تطمعه من غير أن يراها فإذا استحكم طمعه فيها أعلمته أنها راغبة عنه لقلّة أدبه.

ثم قال للمعلم: حرّضه بي وشجّعه على مراسلة المرأة ففعلت المرأة ما أُمِرَتْ به. فقال الغلام في نفسه: أنا أجتهد في تحصيل ما أصل إليها به فأخذ في التأدب وتعلم الشجاعة ثم قال أبوه للمؤدب شجّعه على أن يرفع أمرها، ويسألني أن أزوجها منه، ففعل فزوّجها من ابيه. وقال لا تردرينّ بها في مراسلتها إليك فإني أمرتُها بذلك وإنّ من صار سبباً لعقلك فهو أعظم الناس بركة عليك.

قال العرجي[5]:

تجشّـم المـرءِ هـولاً في الهـوى كَرَمُ

---

(١) الغروب: الدموع وهو أصلاً عرق في العين يسقي لا ينقطع.

(٢) ذو الرياستين: هو ابن العباس الفضل بن سهل لأنه تقلّد الوزارة والسيف زمن المأمون.

(٣) المرزبان: أي الرئيس عند الفرس. (٤) يعدونك: أي يتجاوزك إلى سواك.

(٥) العرجي: من شعراء الغزل الماجن في العصر الأموي، وهو منسوب إلى قرية تدعى العرج قرب الطائف واسمه عبد الله بن عمر، من أهل مكة. وقد جمع بين الحبّ والفروسية (انظر أخباره في الأغاني ١/ ٣٨٣ طبعة دار الكتب).

وقال آخر:

لا عار في الحبِّ إن الحبَّ مكرمةٌ ... لكنّه ربما أزرى بذي الخَطَرِ[1]

وقيل: لو لم يكن في العشق إلا أنه يشجع الجبان ويصفي الأذهان ويبعث حزم العاجز لكفاه شرفاً. قال شاعر:

الحبُّ شجَّع قلبَ كلِّ فَروقَةٍ ... والحبُّ حمَّل عاجزاً فأطاقا[2]

● ذمّ مَنْ لا يعشقُ وكدرُ حياته

قال أعرابي: من لا يعشق فهو رديء تركيب جافي الطبع كزّ[3] المعاطف. كان ابن أبي مليكة يؤذِّن فسمع غناء مطرب وقال:

إذا أنتَ لم تعشقْ ولم تَدْرِ ما الهوى ... فكُنْ حَجَراً من يابِسِ الصَّخْرِ جَلْمَدَا

وقال:

من عاشَ في الدنيا بغير حبيبِ ... فحياتُه فيها حياةُ غريبِ

ما تنظرُ العينانِ أحسنَ منظرٍ ... من طالبٍ إلفاً ومن مطلوبِ

ما كانَ في حُورِ الجِنانِ لآدمٍ ... لو لم تكنْ حواءُ من مرغوبِ

قدْ كان في الفردوسِ يشكو وحشةً ... فيها ولم يأنسْ بغيرِ حبيبِ

● ذكرُ مَنْ عشقَ مِنَ الكبار

قد علم ما كان من داود عليه السلام وعشقه امرأة أوريا والتحاكم إليه وقوله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾[4] الآية حتى فطن للقصة فاستغفر ربه (الآية). وخبر يوسف وامرأة العزيز وقوله تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾[5] وخبر النبي ﷺ مع زينب امرأة زيد قال العباس بن الأحنف:

أستغفرُ اللهَ إلاّ من محبّتِكُمْ ... فإنها حسَناتي يومَ ألقاهُ

فإنْ زعمتَ بأنَّ الحبَّ معصيةٌ ... فالحبُّ أحسنُ ما يُعْصَى بهِ اللَّهُ

● مَنْ قَهَرَهُ الهوى عن عزّه

كان للرشيد ثلاث جوار اشتد شغفه بهنّ فقال:

ملكَ الثلاثُ الآنساتُ عِناني ... وحلَلْنَ من قلبي بكلِّ مكانِ

مالي تطاوعُني البريةُ كلُّها ... وأطيعهنّ وهنّ في عِصْياني

---

(١) أزرى به: استخفّ به واحتقره. (٢) الفروقة: الشديد الفزع للمذكر والمؤنث.
(٣) الكزّ: اليابس والمنقبض، والوجه الكز القبيح، يقال: كزّ اليدين أي بخيل.
(٤) القرآن الكريم: ص/٢٣. (٥) القرآن الكريم: يوسف/٣٠.

ما ذاك إلا أنّ سلطانَ الهوى ... وبه قوين أعزُّ من سُلطاني

قال عروة[1]:

وكم من كريم قد أضرّ به الهوى ... معونَهُ ما لم يكُنْ يتعوَّدُ

قال كثير:

ضعائفُ يقتلْنَ الرجالَ بلا دمٍ ... فيا عجباً للقاتِلات الضعائِف

وقال الخبزارزي:

ولربَّ عبدٍ في الهوى ... يستعبدُ الحرَّ المُطَاعا

قيل لرجل: إنّ ابنك قد عشق، فقال: عذّب قلبه وأبكى عينه وأطال سقَمَهُ قال بعض الفلاسفة: لم أرَ حقاً أشبه بباطل من العشق، هزله جدّ وجدّه هزل، أوله لعب وآخره عطب[2].

إن الهوانَ هو الهوى جُزم اسمُه ... فإذا لقيتَ هوىً لقيت هَوانا

وقال آخر:

وما كيّسٌ في النّاس يُحْمَدُ رأيه ... فيوجَد إلا وهو في الحبُّ أحْمَقُ[3]

● حَمْدُ تحمُّل المذلّةِ في الهَوَى

قال شاعر

أن التذلّل في حكْم الهوَى شرَفُ

وقال آخر:

لا تأنفنْ من الخُضوع لذي الهوى ... واخضعْ لإلفك كائناً مَنْ كانا

وقيل: التذلّل للحبيب من شيم الأريب[4]

ونقشت ظريفة على خاتمها:

قصيرة من طويله ... نفسُ المحبّ ذليله

قال الأصمعي: غضب الفضل بن يحيى على جارية فبعثت إلي تسألني أن أسترضيه فسألته فقال: الذنب ذنبها فقلت وكيف موقعها من قلبك أيها الأمير. قال أحسن موقع وإنما أريد بهذا الهجر تهذيبها. قلت: فاستعمل فيها وصية العباس بن الأحنف قال: وما هي؟

---

(1) عروة: أي عروة بن الورد العبسي، من شعراء الجاهلية الصعاليك مات في إحدى المعارك سنة (٥٩٦م) (انظر ترجمته في مقدّمتنا لديوان عروة ـ منشورات دار الأرقم)

(2) العطب: الهلاك والأذى

(3) الكيّس: الظريف الفطن

(4) الأريب: العاقل ذو البصيرة

قلت:

تَحمَّلْ عظيمَ الذنبِ ممَّن تُحِبُّهُ ... وإنْ كنتَ مظلوماً فقلْ أنا ظالمُ

فإنكَ إنْ لَمْ تغفرِ الذَّنْبَ في الهوى ... تفارقْ مَنْ تهوى وأنفُكَ رَاغِمُ[1]

● وصفُ الهوى بأنه جنونٌ

وصف أعرابي الهوى فقال: هو طرف من الجنون، إن لم يكن عصارة السحر وعليه:

أداءٌ عَرَانِي من جنابك أم سحرُ[2]؟

وقال غيلان بن عقبة:

هو السحرُ إلاّ أنّ للسحرِ رقيةً ... وإنّي لا ألقى من الحب راقِيا

وقال ابن الرومي:

أعوى الهوى كلّ ذي لبٍّ فلستَ ترى ... إلا صحيحاً له أفعالُ مَجْنُونِ

● مَنْ شغفَ بقبيحٍ ليس فيه موضعٌ للعشقِ

تيقّنْ من رآكَ تحبّ قِيناً ... بأنّ الحبّ ضربٌ من جُنُونِ[3]

● مغالبةُ الهوى

قيل: مُغالبُ الهوى كمغالبِ الدِّيار. قال شاعر

قد كنت أعلو الحبّ حيناً فلم يزلْ ... بي النّقضُ والإبرامُ حتّى علانيا

وقال آخر:

فواللهِ ما أدري أيغلبُني الهوى ... إذا جدّ جِدُّ البينِ أم أنا غالبُهْ[4]

فإنْ أستطعْ أغلبْ وإنْ يغلبِ الهوى ... فمثلُ الذي لاقيتُ يغلبُ صاحبُهْ

● استعظامُ المحبوبِ وجلالتُه في عينِ المُحِبِّ

يستحسن في ذلك قولُ بعضهم

أهابُكِ إجلالاً وما بكِ قُدرةٌ ... عليّ ولكنْ ملءُ عينٍ حبيبُها

وقال آخر:

تمنّيتُه حتّى إذا ما رأيتُه ... بُهِتُّ فلمْ أُعْمِلْ لِساناً ولا طَرْفَا

وأطرقتُ إجلالاً لهُ ومهابةً ... وحاولتُ أنْ يَخفى الذي بي فلم يَخْفَا

---

(١) أنفك راغم: أي وأنت مرغم ومغلوب على أمرك

(٢) عراني: أصابني وانتابني

(٣) القين: العبد، والقين الحدّاد

(٤) البين: الفراق.

فلو أنني ملكتُ من ثغره لذي ... تمكّن فيه الدرُّ قبّلتُه ألفا[1]

● **وصفُ حبّ تمكّن في الحشا**

قال كثير[2]:

أباحت حمىً لم ترْعَهُ الناسُ قبلَها ... وحلّت تلاعاً لم تكن قبل حلّتِ[3]

قال العباس بن الأحنف:

لا تحسبنّي مـاذِقاً في الهوَى ... إنّي على حبّك مَطْـبوعُ[4]

قال عبيد الله بن طاهر:

شققتُ القلبَ ثم ذَرَرْتُ فيه ... هواكَ فليمَ فالتأمَ الفطورُ[5]

تغلغلَ حيث لم يبلغ شرابٌ ... ولا حزنٌ ولم يبلُغ سرورُ

قيل لأبي العتاهية: أي شعرك أعجب إليك؟ **قال قولي:**

قالَ لي أحمد ولم يدرِ ما بي ... أتحبّ الغداةَ عتبةَ حقّا[6]

فتنفّستُ ثم قلتُ: نعم حبـ ... ـاً جرى في العُروق عِرْقاً فعِرْقاً

قال رجل لمحبوبه: حبك متولٍّ على فؤادي وذكرك سميري، فقال له محبوبه: أما أنا فلا أحب أن يقع طرفي على سواك.

قال عمر بن أبي ربيعة[7]:

فمن كان لا يعدو هواهُ لسانَه ... فقد سار في قلبي هواك وخيّما

وليس بتزويق اللسانِ وصوغِه ... ولكنّه قد خالط اللحمَ والدّما

قال المهلّبي

وصِرْنا في محبّتِنا حديثاً ... يُهَجِّنُ شرحُه قيساً ولُبنى

---

(١) الدرّ (هنا): الأسنان الناصعة البيضاء، شبهها بالدر.

(٢) كثير: هو كثير بن عبد الرحمن من الشعراء المتيّمين، وصاحبته عزة ولذا عرف بكثير عزة، كما قيل جميل بثينة وقيس ليلى.

(٣) التلاع: جمع تلعة، وهي ما علا من الأرض، وحلّت تلاعاً: نزلت أو أقامت بها.

(٤) الماذق في الهوى: الذي لا يخلص في ودّه.

(٥) ذررت في القلب هواك: نثرت بذوره وغرستها.

(٦) عتبة: جارية كانت في بلاط الرشيد أحبّها أبو العتاهية وأنشد فيها أكثر شعره الغزلي.

(٧) عمر بن أبي ربيعة: من شعراء مخزوم ولد يوم مات عمر بن الخطاب، فقيل لاحقاً: أي حق قد رفع وأي باطل قد وضع. وعمر بن أبي ربيعة زعيم الغزل الحضري الصريح بشهادة النقّاد في القديم والحديث.

● من ذكرَ أنَّ قلبه ناصرٌ محبوبةٌ عليه

قال العباسُ بن الأحنف:

قــلـبـي إلــى مــا ضــرّنـي داعــي ... يــكْـثِـرُ أسـقـامـي وأوجـاعـي
كـيـفَ احـتـراسـي مـن عـدوّي إذا ... كـانَ عـدوّي بـيـنَ أضـلاعـي

أخذ ذلك من قول النبي ﷺ أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك. قال شاعر:

يـوازرُه قـلْـبـي عـلـيّ ولـيْـس لـي ... يـدانِ عـلـى قـلْـبـي عـلـيْـه تـوازِرُه

وقال آخر

أقامتْ على قلْبي رقيباً وناظري ... فليْسَ يؤدّي عنْ سواها إلى قلْبي

● قتيلُ الهوى شهيدٌ

روي في الخبر: مَنْ عشق فعفّ فمات، مات شهيداً

وقال الخبزارزي:

وحبّك ما استحْسنْتَ خيرُ محرّبٍ ... عليْكَ إذا لم تنتهِكْ فيه مُحَرَّما

وقال الفتح بن خاقان:

زَفْـرَةٌ فـي الـهَـوى أحـطُّ لـذنْـبٍ ... مـن غـزاةٍ وحـجّـةٍ مـبْـرورَه

وقال المهلّب:

أشتهي الآن أن أصلّي على نعش محبٍّ قد مات في الحبّ وجدا

قيل: ذنوب العشاق ذنوب اضطرار لا اختيار، وما كان كذلك لم يستحق عقوبة.

● كونُ قتيلِ الهوى هدراً

قال عبد الله بن جندب: خرجت فرأيت نساءً فيهن امرأة كأنها منحوتة من فضّة فتمثلت بقول قيس بن ذريح[1]

حـذوا بـدمـي إنْ مُـتُّ كـلَّ خـريـدة ... مريضة جفْن العين والطرفُ فاترُ[2]

فقالت المرأة: يا ابن جندب إن قتيلنا لا يُوْدى[3] وأسيرنا لا يُفْدى. وقال ابن عباس: قتيل الهوى هدر ولا عقل ولا قودُ. وقال أبو حية النميري

رَمَـيْـنَ فـأقْـصَـدْنَ الـقـلـوب ما ترى ... دماً مـائـراً إلا جـرى فـي الـحـيـازم

(١) قيس بن ذريح: من شعراء بني عذرة وصاحبته لبنى (انظر سيرته وشعره في كتابنا أناشيد الحبّ والجمال في الشعر العربي ـ دار الأرقم)

(٢) الخريدة: اللؤلؤة غير المثقوبة والخريدة (هنا): المرأة البكر لم تمسّ قط، والخريد المرأة الحيّية

(٣) لا يودى: لا تقبل ديته لمنزلته ورفعته وهذا يوجب الثأر لدمه.

ولكن لعمر الله ما طلَّ مسلماً ... كغرّ الثنايا واضحات الملاغم[1]
وإن دماً لو تعلمينَ جنيته ... على الحيّ جاني مثله غيرُ سالمِ

قال مسلم بن الوليد:

أديرا عليّ الكأسَ لا تشربا قبلي ... ولا تطلُبا من عند قاتِلتي ذَحْلي[2]

● مَنْ أمر أن يقتصَّ من محبوبِهِ

قال شاعر:

خليليّ إن حانتْ وفاتي فاطلُبا ... دمي من سلَيمى واطلُبا بجميلِ

وقال الحسين بن الضحاك:

غزالٌ ما اجتلاهُ الطَرْفُ إلاّ ... تحيّر في ملاحة وجنتَيْه
خلقوا بدمي محاسنه وحضوا ... مقبّله وبرد ثنيّتيه[3]

● الإشفاقُ مِنْ أن يلحق المحبوبَ إثمٌ في قتله

وقال أحمد بن يوسف:

وفي الموْت لي من لوْعةِ الحُبّ راحةٌ ... ولكنني أخشى ندامتَهُ بعدي

● استطابةُ الأذى في مُعاناة الهوى

قال المجنون:

يقولون ليلى عذّبتْك بحبّها ... ألا حبّذا ذاك الحبيبُ المُعذِّبُ

وقال آخر:

تشكّى المحبوبُ الصبابةَ ليتني ... تحمّلتُ ما ألقاهُ من بينهمْ وحْدي
فكانتْ لنفسي لذةُ الحبّ كلّها ... فلم يَلْقَها قبلي مُحِبٌّ ولا بعْدي

وقال آخر:

دع الحبَّ يصلى بالأذى من حبيبه ... فكلُّ أذىً ممّنْ تُحِبّ سُرورُ
ترابُ قطيعِ الشاءِ في عينِ ذئبه ... إذا ما تلا آثارهنّ ذرورُ

قال المتنبي:

سهادٌ أتانا منك في العيْنِ عندَنا ... رقادٌ وقلاّم رعى سربكم وردُ[4]

---

(١) غرّ: بيض - الثنايا: أسنان مقدّم الفم - الملاغم: جمع ملغم وهو الفم والأنف وما حولهما
(٢) الذحل: الثأر.
(٣) خلقوا بدمي: أي أثاروا لي - المقبّل: الثغر
(٤) السهاد: الأرق وعدم القدرة على النوم - الرقاد: النوم وهو ضد السهاد - القلام (بكسر القاف): سهم القمار - السرب: القطيع من الظباء، وهنا الجماعة

وقال:

ضنى في الهوى كالسمّ في الشهد كامناً — لذذتُ به جهلاً وفي لذّتي حتفُ

وقال:

والعِشقُ كالمعشوقِ يعذُبُ قربُه — للمبتلي وينال من حَوْبائِه[1]

لو قلت للدنِفِ الحزين فَدَيْتُه — ممّا به لأغرتُه بفدائِه

● التبرُّم بالهَوى

قال محمد بن عبد الله بن طاهر:

ليْت الهوى لمْ يكُنْ بيني وبينكم — وليتَ معرفتي إيّاك لم تكُنِ

وقال البحتري:

رحلُوا فأيَّةُ عَبْرةٍ لم تُسْكَبِ — أسفاً وأيّ عزيمةٍ لم تُغلَبِ

لو كنتَ شاهدَنا وما صنعَ الهوى — بقلوبنا لحسدْتَ منْ لمْ يُحبِبِ

● التلذُّذُ بالهَوى عند المواصلةِ والتبرُّم به لدى المعارضةِ

قال الخوارزمي

وهذا الهَوى عيشُ المحبّ إذا صفا — ولكنْ إذا لم يصفُ كانَ له حتْفا

وقال وهب الهمداني

ولي بين هجرانِ الحبيبِ ووصلِه — مصيران موتٌ تارة ونُشُورُ[2]

● التعبُّد للمحبوبِ وتذليلُ النفسِ فيه

قد أجمع الأدباء على تفضيل قول أبي الشيص:

وقفَ الهوى بي حيثُ أنتَ فليْسَ لي — متأخّرٌ عنه ولا مُتَقدّمُ

أجدُ الملامَةَ في هواك لذيذةً — حبّاً لذكرك فليلُمْني اللومُ

أشبهتَ أعدائي فصرتُ أحبُّهم — إذ كان حظّي منك حظّي مِنْهُمُ

وأهنتني فأهنْتُ نفسي صاغراً — ما من يهون عليك ممّن يُكْرَمُ

ويستعذب قول المتنبي حتى ما من أديب إلا وهو يرويه ولا مغنٍ إلا وهو يغنّيه:

يا من يعزّ علينا أن نفارقَهُم — وُجدانُنا كلَّ شيء بعدكم عدَمُ

---

(١) الحوباء: النفس، واللفظة من الحوبة ومعناها الحاجة، والنفس موضع الحاجات، والحوباء الآثمة وهي مؤنث الأحوب.

(٢) النشور: العودة إلى الحياة بعد الموت، وأراد بالنشور هنا تجدّد الحياة بعد فراق الأحبّة الذي اعتبره بمثابة الموت.

إن كان سرَّكُمُ ما قال حاسدُنا فما لجُرحٍ إذا أرضاكُمُ ألَمُ

● المتبرّمُ بمحبوبِهِ عمَّن عَداه والمتبرمُ عند فقدِهِ بسواه

قال إبراهيم بن العباس:

وأنتَ هوى النفْسِ من بينِهِم وأنتَ الحبيب وأنتَ المُطَاعُ
ومالي إن بَعُدُوا وحشةٌ ولا معهم إن بعدتُ اجتماعُ

قال أبو فراس:

فيا ليتَ ما بيني وبينك عامرٌ وبيني وبين العالمين خَرَابُ
وليتَك تحلو والحياةُ مريرةٌ وليتَك ترضى والأنامُ غِضابُ

وقال آخر:

وكنتُ إذا داري بطيبةَ أسعفَتْ رَضِيتُ على الدنيا فما أستزيدُها[1]

قال الماهر

النّاس أنتَ فأينَ عنك مُعرَجي والأنسُ فيك فأينَ عنك أيمَّمُ

وقال آخر:

فكلُّ حياةٍ مع سواكَ منيَّةٌ وكلُّ ضُحىً في أرض غيركَ غَيْهَبُ[2]

قالت أعرابية:

فما أحسنَ الدنيا وعندي خالدٌ وأقبَحَها لما تجهّز غازيًا

وقال رجلٌ لامرأة- قد أخذت بمجامع قلبي[3] فلستُ استحسنُ سواك. فقالت: إن لي أختاً هي أحسن مني وها هي خلفي، فالتفت الرجل فقالت: يا كذّاب تدّعي هواناً وفيك فضلٌ لِسِوانا.

● الاستغناءُ بالحبيبِ عن كلِّ خيرٍ وطيبٍ

قال بعضهم:

ولو جاوزتنا لعامٍ آخر لم نُبَلْ على جدْبِنا أن لا يَصُوبَ ربيعُ[4]

وقال كشاجم:

ما أرتجي بالرياض فيك غنًى عنهُنّ لي منظرٌ وحُسنٌ عِنّا

(١) فما أستزيدها: أي لا أطلب المزيد (٢) المعرج: المعول ـ أيمّم: أقصد وأتوجه.
(٣) الغيهب: الظلام الشديد، والليل الشديد السواد
(٤) لم نبل: أي لم نأبه أو نكترث ـ الجدب: القحط ـ يصوب: من صوّب الماء صبه والمقصود تصويب مطر الربيع الباعث على الخصب.

أُديـرُ طَـرْفِـي فـلا أرى حـسـنـاً ... إلا أرى فـيـك ذلـك الـحـسـنـا

● إجابةُ الهوى إذا دَعا

قال بعض بني أسد:

إذا أمَرَتْكَ النَّفْسُ أن تتْبعَ الهَوى ... فقُل: سامِعٌ للأمر منك سَمِيْعُ

وهذا خلاف قول الآخر:

إذا أنتَ لم تعْصِ الهوى قادَك الهوى ... إلى بعْض ما فيه عليْك مَقالُ

ولهذا باب في أول الكتاب، ولتوبة

ولو أنّ ليلى الأخيلية سلّمت ... عليّ ودوني جندلٌ وصفائحُ[1]

لسلّمتُ تسليمَ البشاشة أو زقا ... إليها صدى من جانب القبر صائحُ

فيقال: لما مات توبة ومضى على ذلك زمان وتزوجت ليلى مرّت مع زوجها يوماً بقبر توبة فقال: ألا تسلمين عليه لننظر هل صدق في قوله ولو أن ليلى (البيتين). فسلمت عليه فندّت هامة[2] من ناحية قبره وصرخت، فنفر جملها وسقطت فاندقّ عنقُها فماتت فدفنت بجانبه.

● جهلُ المحبّ بمقابح محبوبه

قال النبي ﷺ: حبّك الشيء يُعْمِي ويُصِمّ، أي يعمي عن الرشد ويصمّ عن سماع المواعظ على ذلك قال معاوية: لولا يزيد لأبصرت رشدي. قال شاعر:

يا عتب ما أنا من فعالِك مُعْمى ... ولكنّ الهوى أعمى

وقال آخر:

وعينُ الرضا عن كل عيبٍ كليلَةٌ ... كما أنّ عيْنَ السخْط تبْدي المَساوِيا[3]

قال المتنبي:

ويَقْبُحُ منْ سِواكَ الفِعْلُ عندي ... وتَفْعَلُهُ فيَحْسُنُ منْكَ ذاكَا

قال علي بن عبد الله بن جعفر:

ولاتَ ـمٌ لام فـيـه ... يـبـغـي بـذلـك شَـيْـنِـي[4]

---

(١) ليلى الأخيلية: شاعرة عربية من بني عقيل (انظر جانباً من سيرتها في كتابنا للهوى ـ منشورات دار الأرقم)

(٢) الهامة (هنا): طائر كالبوم يألف القبور والأماكن الخربة ويقال له الصدى، يقال: فلان صار هامة أي مات، والهامة طائر خرافيّ اعتقد الأقدمون أنه يخرج من رأس الميت قائلاً: اسقوني، أي من دم القتيل الذي مات دون أن يؤخذ بثأره.

(٣) عين كليلة: أي لا تبصر ـ يقول: إن رضى النفس عن شخص أو شيء يجعل العين تعمى عن رؤية العيوب، بخلاف عين الساخط والغاضب فهي لا ترى إلا المساوئ.

(٤) الشين: العيب، العار

فـقـلـت إذ لامَ فـيـه هلاّ نـظـرت بـعـيـنـي[1]

وقال الأصمعي: سألني الرشيد عن حقيقة العشق فقلت: أن يكون البصل منها أطيبَ من المسك من غيرها.

● عُذْرُ مَنْ أحبّ قبيحاً

قيل لرجل: لِمَ اخترتَ من جواريك أقبحَهُنَّ؟ فقال: لأن الهوى ليس نخّاساً[2] فيختار أثمنهنّ. وقال رجل للجماز: ابتلاك الله بحب فلانة وإنها لامرأة قبيحة. فقال يا أحمق لو ابتلاني اللّهُ بحبها لكانت كالحور العين عندي، ولكن ابتلاك بأن تكون في بيتك وأنت تبغضها ولا يمكنك التخلّص منها. وقيل لرجل: اخترت فلانة مع قبحها فقال: لو صحّ لذي الهوى اختيار لاختار أن لا يعشق رذيل. العين إذا أبصرت الهوى عَمِيَتْ عن الاختيار.

● مَنْ جعل محبوبةً كمعبودِهِ

مذهب الحلوليين[3] معروف فيما يدّعونه ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ قال شاعر:

لـمـا رآه الـنـصـارى لا شـبـيـهَ لـه وشـاهـدوه بـأسـمـاع وأبـصـارِ
خرّوا سجوداً وقـالـوا حـلّ ثـانـيـةً في صورة الأنس ذاك الواحدُ الباري

وقال آخر:

أفدي بنفسي من بدرٍ على غُصُنٍ تـكـاد تـأكـلـه عـيـنـي بـالـنـظرِ
إذا تـفـكّـرتُ فـيـه عـنـد رؤيـتـه صدقْت قولَ الحلوليين في الصُوَرِ

● هوى ثَبَتَ في الصغرِ وبقيَ على حالِهِ في الكِبَرِ

كل هوى ثبت في الصغر فهو كالنقش في الحجر، لا تغيّره الأحوال ولا تبدّله الأعوام. قال ابن الطثرية:

أتاني هواها قبْل أن أعرِف الهوى فـصـادفَ قـلـبـاً خـالـيـاً فـتـمـكّـنـا

وقال:

وعـلـقـت لـيـلى وهـي ذاتُ ذوائـب تـردّ عـديـمـا بـالـعـشـقِ الـمـرامـيـا[4]

---

(١) يدعو الشاعر من أبغض حبيباً له أن يراه بعينه أي عين محبّه لأن عين المحب لا ترى المساوىء.

(٢) نخّاساً: النخّاس: بائع العبيد.

(٣) مذهب الحلوليين: هو مذهب بعض المتصوفين ممن يعتقدون بأن الذات الإنسانية يمكن أن تحلّ في الذات الإلهية عندما تتّحد بها، والسبيل إلى ذلك العبادة والزهد والارتفاع فوق شهوات المادّة.

(٤) الذوائب: الضفائر جمع ذؤابة ـ المرامي: الأعراض، جمع مرمى.

فشبَّ بنو ليلى وشبَّ بنو ابنها　　وأعلاقُ ليلى في الفؤادِ كما هيا[1]

● مَنْ ذكر أنَّ هواه لا يزولُ إلا بموتٍ

قال شاعر:

ستبقى لها في مضمرَ القلبِ والحَشا　　سريرةُ ودٍّ يوم تُبلَى السَّرائِرُ

وقال آخر:

يهيمُ فؤادي ما حييتُ بذكرها　　ولو أنني قد متُّ جاوبَها الصَّدى[2]

● المفاضلةُ بين قديم الهَوى وحديثِهِ

قال الأصمعي: رأيت في طريق الحج جاريتين كفلقتي القمر، فلما كانت السنة الثانية رأيت إحداهما فسألتها عن أختها فقالت تزوج بها ابنُ عم لها، فقلت: لو أدركتها لتزوجتها فقالت ما يمنعك من شقيقتها في حسبها ونسبها وشريكتها في حسنها فقلت: قول كثير:

إذا واصلتنا خلّةٌ كي تزيلَها　　عرضنا وقلنا الحاجبيّةُ أوّلُ

فقالت بيتنا كثير أليس هو القائل:

هل وصْلُ عزّةَ إلا وصلُ غانيةٍ　　في وصلِ غانيةٍ من وصلها خلفُ[3]

وحدّث يحيى بن أكثم المأمون أن كثيراً اجتمع مع عزّة متنكرة له متنقبة فقالت من أنت؟ قال كثير فقالت: وهل تركت عزة فيك نصيباً لغيرها؟ فقال: لو أن عزة كانت أمة لي لجعلتها لك، فكشفت البرقع وقالت: أهذا أيضاً كذب الوشاة؟ فاستحيا، فقال المأمون لقد استحييت له وأنا على سريري

وقال جعفر بن سليمان: قصدتُ المهدي يوماً فقال: دخلْتُ إلى جارية يُقال لها حسناء ودخلتُ أخرى يُقالُ لها ملكة، وأردت القيلولة فقلت: عند أيكما أقيل؟ فقالت حسناء: إن الله تعالى يقول ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[4] فقالت ملكة لا تعجل فإن الله تعالى يقول ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾[5] فقلت لو أن شريكاً حضرهما لم يقدر أن يقضي بينهما. قال بشار:

سَبَقَتْ بالحبِّ سلْمى غيرَها　　وأحقُّ النّاس عندي من سَبَقْ

قال أبو تمام:

نَقِّلْ فؤادكَ حيثُ شئْتَ من الهوى　　ما الحبُّ إلا للحبيبِ الأوَّلِ

كَمْ منزلٍ في الأرضِ يألفُهُ الفتى　　وحنينُهُ أبداً لأوَّلِ منزلِ

---

(١) الأعلاق: جمع علق وهو الشيء النفيس　　(٢) الصدى (هنا): الصوت من وراء القبر.

(٣) يقول: كثير رغم بأي وصال أية غانية أو حسنها لأن قلبه لا يهيم إلا بحب صاحبته عزة.

(٤) القرآن الكريم: الواقعة/ ١٠　　(٥) القرآن الكريم. الضحى/ ٤

وتقضه ديك الجن فقال:

نَقِّل فؤادك حيث شئت فلن ترى   كهوى جديد أو كوصل مقبل

● مَنْ جعلَ لكلٍّ من قديم الهوى وحديثِهِ نصيباً

قال شاعر:

أنا مبتلىً ببليتَيْن من الهوى   شوقي إلى الثاني وذكر الأوّلِ
قُسِمَ الفؤادُ لحُرمَةٍ ولجدةٍ   في الحبّ من ماضٍ ومن مستقْبَلِ

قال كثير:

وللعينِ ملهىً في البلاد ولم يقُد   هوى النفس شيءٌ كاقتيادِ الطَّرائفِ

قال أبو تمام:

وقالَتْ أتُسي البدرُ قُلْتُ تجلّدا   إذا الشمسُ لم تغرُبْ فلا طَلَعَ البَدْرُ

● مَنْ ذكر كثرةَ مَن يَهواهُمْ

قال ابن أبي طاهر:

عدمتُ فؤادي من فؤادٍ فما أشقى   وأكثر من يهوى وأعظَم ما يَلْقى
فلو كانَ يَهوى واحداً لعذرتُه   ولكنّه من جهله يعشَقُ الخلْقا
ثمانون لي في كلّ يوم أحبّهم   وما في فؤادي واحدٌ منهم يَبْقى

وقال آخر:

قالوا بغانيَةٍ واصلتُ غانيةً   فقلْتُ: حزمٌ ورودُ الماء بالماءِ[1]

● مساعفةُ المحبوبِ إذا ساعف والإعراضُ عنه إذا أعرضَ

هذه طريقة يختارها قوم فيطيب عيشهم وإن كان لا يرضاها من يتكلم في العشق من حكام أربابه. قال شاعر:

تمتّعْ بها ما ساعفَتْكَ ولا يكن   عليك شجىً في الصّدرِ حين تبِينُ

● تأسّف من يحبّهِ مَنْ لا يحبّه

قال شاعر:

إنْ كانَ ذا قدَرٌ أنعطيكَ نافلةً   منّا وتحرمُنا ما أنصفَ القدَرُ

وقال أبو الطمحان:

أفي الحقّ أنّي مُغرمٌ بكَ هائمٌ   وأنّكَ لا خِلٌّ هواك ولا خَمْرُ

---

(١) الغانية: المرأة الحسناء التي أغناها حسنها عن الزينة، أو المرأة التي أغناها زوجها عن غيره من الرجال.

وقال أشجع:

وَمَوْتُ الفتى خيرٌ له من حياته ... إذ كانَ ذا حالَيْن يضمو ولا يُضبي

ويُستظرف للمتبي

أنتَ الحبيبُ ولكنّي أعوذُ به ... من أن أكونَ محبّاً غيرَ محبُوبِ

قال بعضهم وجدت بمكة شاباً مصفراً ناحلاً فسألته عن حاله فقال. بُلِيتُ بوصيفة مذهب رأس مالي في ثمنها ونفقتها وليست تحبني، فقلت استمتع بها وعدها بعض نعم الدنيا والآخرة هل تحبك العافية هل تحبك الصحة هل يحبك المال هل تحبك الجنة؟ فقال. لا. فقلت: أليس تحب كل ذلك وتتمتع به مع أنه لا يحبك، فهبها بعض نعيم دنياك وآخرتك فقام كالمسرور وأرجع إليها وسامحها في سوء خلقها حتى رجع الله تعالى بقلبها إليه وطاب عيشه معها.

● تأسفُ مَنْ يزدادُ صفاءً بجفاء محبوبه

قال إبراهيم بن العباس:

ـــفـسـي من إساءتُهُ اعتـمـيدُ ... ومن إحسانُهُ من غير عَمْدِ

ومن أصميتُه في الودِّ جُهدي ... تُعرض في الجفاء بمثل جُهْدي

وقال أبو العتاهية[1]

ولي فؤادٌ إذا طال العذابُ به ... هام اشتياقاً إلى لُقيا مُعذّبه

يفديك بالنفسِ صبٌّ لو يكونُ له ... أعزّ من نفسه شيءٌ فداك به[2]

● من ذكر مساواة محبوبه في المحبّة

إنّ التي زعمتْ فؤادك مَلَّها ... خلقتْ هواكَ كما خلقتَ هوىً لَها

قال إبراهيم بن المهدي:

وتُخبرني عن قلبِها مكانّه ... إذ صدقت عنه تُحدّثُ عن قلبي

قال أبو عتيبة

كلانا سَواء في الهَوى غير أنّه ... تجلّدُ أحياناً وما بي تَجَلُّدُ

قال الرفاء:

شكوْتَ الذي تشكو إليّ كأنّما ... تجنُّ ضُلوعي ما تجنُّ ضلوعُها

---

(١) أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم (٧٤٨ ـ ٨٢٥) شاعر مُكثِر نشأ في الكوفة كُنيَ بأبي العتاهية لميله إلى المجون أغلب شعره في الزهد والشكر لندب (انظر مقدمة ديوانه ـ منشورات دار الأرقم)

(٢) صبٌّ: العاشق وذو الولع الشديد

قال بعض الصوفية[1]:

روحُه رُوحي ورُوحي روحُهُ ... إنْ يشا شِئتُ وإن شِئتُ يَشَأ

- **تعارفُ القلوبِ مودّاتُ الأحبابِ**

قال ﷺ الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف. قال بكر بن النطاح:

وعلى القلوب من القلوب دلائلٌ ... بالودّ قبل تشاهُدِ الأشباحِ

قال العبّاس بن الأحنف:

قلْ للّتي وصفتْ مودّتها ... للمُستهام بذكرها الصّبِّ
ما قلتُ إلا الحقّ أعرفه ... إنّ الدليل عليه من قلبي
قلبي وقلبك بدعةٌ خُلِقا ... يتجاريانِ بصادقِ الحبّْ

ثم نقض هذا بقوله:

فلو كنّ حقاً كما يزعمون ... لما كان يجفو حبيبٌ حبيبا

- **محبةُ مَنْ لا يعرفُ الهوى**

قال العباس بن الأحنف

وجاهلةٍ بالحبّ لمْ تبلُ طعمَهُ ... وقد تركتني أعلَمَ النّاس بالحُبّ

وقال ابن المعتز:

قد كانَ غراً بقتلي ليس يحسِنُه ... فالآن يبدعُ في قتلي على البِدعِ[2]

- **محبة كل من مات بالمحبوب**

أحبّ بني القوام طرّاً لحُبّها ... ومن أجلِها أحببْتُ أخوالَها كلْبا[3]

قال قيس بن ذريح:

وداعٍ دعا إذْ نحنُ بالخيفِ مِن مِنى ... مهيّجَ أشجانَ الفؤادِ وما يَدْري[4]
دعا باسمِ ليلى غيرَها فكأنّما ... أهاج بليلى طائراً كان في صدري

---

(١) الصوفية. مذهب يقهر الجسد ليطهر الروح

(٢) الغرّ: الشاب الذي لا خبرة له ـ يبدع: يبرع ويفتن في أساليبه

(٣) طرّاً: جميعاً ـ أخوالها كلباً: أي من بني كليب.

(٤) الخيف: سفح الجبل والخيف من منى موضع في منى وهي من مناسك الحج قرب مكة ـ هيّج: حرك ـ الأشجان: الأحزان، جمع شجن

وقال المتنبي:

لولا ظباءُ عديّ ما شُغِفتُ بهم ... ولا بربربهم لولا جآذرُهُ[1]

● مَنْ هانَتْ نفسُهُ عليه لاستخفافِ محبوبِهِ بها

قال أبو الشيص:

أشمتَّ أعدائي فصرتُ أحبُّهُمْ

وقال البيتين آخر:

إن الذين بخير كنت تذكرُهُم ... قد أهلكوك وعنهم كنتُ أنهاكا

لا تطلبنَّ حياةً عند غيرِهم ... فليس يُحييك إلا مَنْ توفاكا

● المدعي عشقاً مِنْ غيرِ عَيان

وقال بشار:

يا قومُ أذني لبعضِ الحي عاشقةٌ ... والأذن تعشقُ قبلَ العينِ أحياناً

قالوا بمن لا ترى تهذي، فقلتُ لهُم ... الأذنُ كالعَيْنِ تؤتي القلبَ ما كانا[2]

قال ابن الرومي:

هويتك ناشئاً قبل التلاقي ... هوى حدثاً تكهّلَ باكتهالي[3]

وكُلُّ مودةٍ قبل اختبارٍ ... متى تُمْهِ هوى طائعٍ لا انتحالِ[4]

● تأذي المحبوب بحبه

قيل: المرأة إذا أحبتك آذتك وإذا أبغضتك خانتك. وقال رجل ليوسف الصديق إني أحبك، فقال: لا حاجة لي بمن يحبني فقد أحبني أبي فطُرِحْتُ لأجله في الجب وأحبتني امرأة العزيز فحُبِسْتُ لأجلها في السجن بضعَ سنين.

● مَنْ فقدَتْهُ العينُ ولم يفقدْهُ القلبُ

قال بعض المحدثين:

والله ما شَطَّت نوى ظاعنٍ ... إلا عنِ العَيْنِ إلى القلبِ[5]

وقال آخر:

بِنتُم عن العينِ القريحةِ فيكُم ... وسكنتُم مني الفؤادَ الوالِهْ

---

(1) الربرب: القطيع من الظباء، والمراد هنا النساء الشبيهة بظباء الصحراء. الجآذر: جمع جؤذر وهو ولد الظبي أو البقرة الوحشية.

(2) هذى: هذى هذياناً: أي تكلّم بغير المعقول بسبب مرضه.

(3) تكهل النبات: تم طوله. تكهّل الرجل: بلغ سن الكهولة، ما بعد الشباب.

(4) الانتحال: ادعاء المرء شيئاً. (5) شطت: نأت، ابتعدت.

قال ابن قتيبة:

إنْ كُنتَ لَسْتَ معي فالذِّكْرُ منك سوى ... قلبي القريح وإن غُيِّبْتَ عن بصري

العينُ تبصِرُ مَنْ تهوى وتحرِمُه ... وإنّما القَلْبُ لا يخلُو من الفِكرِ

وقال آخر:

يُجِدُ النأيُ ذِكْرَك في فؤادي ... إذا ذهلَتْ على النّأي القُلوبُ[1]

وقال البحتري:

إن جرى بيننا وبينك هجرٌ ... وتساءَت منا ومنكَ الديارُ

فالغليلُ الذي عهدْتَ مُقيمٌ ... والدموعُ التي عهدْتَ غِزارُ[2]

● تذكُّر المحبوب في جميعِ الأحوالِ

وقال شاعر:

تُذكِّرنيكَ الخَيْرِ والشرّ والذي ... أخافُ وأرجُو والذي أتوقَّعُ

قال عمر بن أبي ربيعة:

إذا طَلَعَتْ شمسُ النهار ذكرْتُها ... وأحدثُ ذكراها إذا الشمسُ تغْرُبُ

قالت الخنساء[3]:

يذكّرُني طلوعُ الشمسِ صخراً ... وأذكرُهُ لكلِّ غروبِ شمسِ

● من لم يوجعهُ بُعْدُ محبوبه لتصوره

إن التباعُدَ لا يضرُّ إذا تقاربَت القلوبُ

قال ابن المعتز:

ما أُبالي بِطَرْفٍ ... وعيونٍ أتّقيها

لي من ذكراك مرآ ... ةٌ أرى وجهَك فيها

(٢)

تذكُّرُ المحبوبِ في اليقظةِ والنومِ

●

لعليّ بن الجَهْم، قوله:

آخرُ شيءٍ أنتَ في كل هَجْعَةٍ ... وأوّلُ شيءٍ أنت عند هُبوبي[4]

---

(١) النأي: البعد. (٢) الغليل: العطش الشديد.

(٣) الخنساء: توفيت نحو ٦٤٥ أعظم شواعر العرب قتل أخواها معوية وصخر فرثتهما ثم رثت أولادها الأربعة الذين قتلوا في وقعة القادسيّة.

(٤) الهجعة: المرّة من هجع، أي رقد ونام. الهبوب: الاستيقاظ والنهوض من النوم.

قال ابن ميادة:

فما مسّ جنبي الأرضَ إلا ذكرتُها ... وإلا وجدْتُ ريحها في ثيابيا

● تذكّر المحبوبِ في الخفضِ والشدّةِ

وقال بعضهم:

أسجناً وقيداً واشتياقاً وغربة ... ونأي حبيب إنّ ذا لعظيمُ

وإن امرأً دامت مواثيقُ عهدِهِ ... على مثلِ ما قاسيته لكريمُ

قال بعض الصوفية:

ولقد ذكرتُك والذي أنا عبدُهُ ... والسيفُ عند ذؤابتي مسلولُ

● تذكره بضرب من المشابهة من طيب

كتب بعض البلغاء:

يذكرناكَ ريحُ الشمولِ وريحُ الشمال[1]

قال بشار:

إذا لاح الصوارُ ذكرت سعدى ... وأذكرها إذا نُفِحَ الصوار[2]

قال الخبزارزي

... لعينك لا ترى حسناً ... إلا ذكرت به لها شبها

قال البحتري

كأسٌ تذكرني الحبيبَ بلونها ... وبشمِّها وبطعمها وحَبابِها[3]

قال بعض المحدثين:

إذا ما ظمئتُ إلى ريقه ... جعلْتُ المُدامةَ منه بديلا

وأينَ المَدامةُ من ريقه ... ولكن أعلّلُ قلباً عليلا

● تعسر نسيان المحبوب

قال المهدي يوماً لأصحابه: أي بيت أغزل؟ فقال بعضهم قول كثير:

أريد لأنسى ذكرَها فكأنما ... تمثّل لي ليلى بكلّ سبيل

فقال ماله يريد أن ينسى؟ فقيل: قول امرئ القيس في اعشار قلب مقتل فقال هذا جاف، فقال ابن بزيع عندي غرضك

إذا قلت إنّي مشتفٍ بلقائها ... وحم التلاقي بيننا زادني وجدا

(١) ريح الشمول: ريح الخمر الباردة، والشمال: الريح التي تهب من ناحية الشمال وهي ريح باردة.

(٢) الصوار: قطيع البقر.

(٣) الحباب: الفقاعات التي تعلو كأس الخمر أو الماء

فقال: أصبت.

- **الاستحياء من المحبوب بظهر الغيب لتصوره**

قال جميل[1]:

وإنّي لأستحييكِ حتى كأنّما ... عليّ بظهر الغيبِ منكِ رقيبُ

قال أشجع:

ويمنعني من لذّة العيش أنّني ... أخافُ إذا فارقتُ لهواً تراءيا

- **ذكرهُ في الصلاةِ**

قال المجنون:

أصلّي فما أدري إذا ما ذكرتُها ... اثنتين صلّيتُ الضحى أم ثمانيا

قال الجزارزي:

ألفت هواك حتى صرتُ أهذي ... بذكرك في الرّكوعِ وفي السّجودِ[2]

- **التلذّذُ بذكرهِ**

اشرب على ذكرهم إنْ حيل بينهم ... عساكَ منهم على ذكرٍ إذا شربوا

قال محمد بن أمية:

أقولُ لهم كرّوا الحديث الذي مضى ... وذكراك من بين الأنام أريدُ

أناشده ألا أعاد حديثه ... كأنّي بطيءُ الفهم حين يُعيدُ

قيل لأبي المجنون: لو خرجت إلى مكة فتكون بعيداً عن ليلى، فعساه يتسلّى فخرج فسمع يوماً إنساناً يقول يا ليلى فغشي عليه فلما أفاق قيل له مالك؟ فقال

وداعٍ دعا بالخيف إذ نحن من منى

وقال:

وإنّي تعروني لذكراكِ هزّةٌ ... لها بين جلدي والعظامِ دبيبُ[3]

- **مَنْ خطّ صورة محبوبه وشكا إليها**

قال أبو نواس[4]:

إذا ما الشوقُ أقلقني إليه ... ولم أطمع بوصل من لديه

---

(١) جميل بن معمر، جميل بثينة توفي نحو (٧٠١) شاعر أموي من بني عذرة تعلق بمعشوقته بثينة فعرف بها توفي في مصر.

(٢) ألفت: اعتدت، أنس به وأحبه. (٣) تعروني: تنتابني وتصيبني.

(٤) أبو نواس: الحسن بن هانيء (٧٥٧ ـ ٨١٤) من كبار شعراء العصر العباسي، لقب بشاعر الخمرة قربه الرشيد وجعله الأمين شاعره. أسرف في اللهو ثم تاب في آخر أيامه له ديوان.

خططتُ مثالَه في بطنِ كفّي وقلتُ لمُقلتي فِيضي عليهِ

قال بشار:

خطَطتُ مِثالَها وجلستُ أشكُو إليها ما لَقِيتُ على أنتحابِ

كأنّي عندها أشكو همومي إليها والشكاةُ على التراب

● الاستقاء لماضي الزمن

سقى الله أياماً لنا ولياليا مَضَينَ فلا يُرجى لهنَّ طُلُوعُ

إذ العيشُ صافٍ والأحبّةُ جيرَةٌ جميعٌ وإذ كلّ الزمان ربيعُ

وإذ أنا أما للعواذل في الهوى فعاصٍ وأما للهوى فمُطِيعُ

قال الصاحب في هذا الشعر إن شئت كان أعرابياً في شمله وإن شئت عراقياً في حلّه وقال البحتري:

والعَيشُ غَضٌّ والحياةُ لذيذةٌ والحادِثاتُ عن الزّمانِ بِمَعْزِلِ

وقال آخر.

سُقياً لأيامٍ تولّتْ بها أحسن ما كانت صروفُ الزمنْ

ولّتْ فما الدنيا بأقطارِها لليومِ والساعةِ منها ثمنْ

● تمنّي عودُ الأيامِ السالفة

قال بعضهم

ولو أنني أُعطيتُ من دهري المُنى وما كلّ ما يُعطى المُنى بمسدّدِ

لقُلتُ لأيامٍ مَضَينَ ألا ارجعي وقلتُ لأيامٍ أتَينَ ألا ابعدي

وقال آخر

خليليّ ما بالعيشِ عتبٌ لو أننا وجدنا لأيامِ الحِمى من يُعيدُها

وقال جحظة

ألا ليتَ عيشاً أولاً كرّ راجعاً وإلا فعيشٌ آخرٌ مثلُ أوّلِ

● التلهفُ على أحوالٍ سالفةٍ

قال منصور النميري:

ومجالسٍ لكَ بالحِمى وبها الخليطُ نزولُ[1]

أيامُهنَّ قصيرةٌ وسرورُهنَّ طويلُ

الـمـالـكـيّـةُ والشـ ـبُ وقَينةٌ وشَمُولُ[2]

(١) الخليط: الصاحب والعشير والإلف (٢) القينة: المغنية ـ الشمول: الخمر أو الباردة منها

وقال آخر:

لولا ثلاثٌ هنّ عيشُ الدهر ... المالُ والخُبزُ وأمُّ عمرو

- **مَنْ هيّجه الحَمَامُ بتغريدِهِ**

أنشد ابن أبي طاهر وقال هو أحسن ما قيل في بكاء الحمام

وقلبي أبكى كلَّ من كان ذا هَوى ... هتوفُ البواكي والديارُ البَلاقِعُ[1]

ومرَّ على الأطلال من كلِّ جانبٍ ... نوائحُ ما تخضَلُ منها المَدامِعُ

مزَبرَجةُ الأعناقِ غرٌ بطونُها ... مخطَّمَةٌ بالدرِّ خضرٌ روائعُ[2]

ترى طرراً بين الخوافي كأنّما ... حواشي برودٍ أحكمتْها الوشائعُ[3]

ومن قطَعِ الياقوتِ صِيغَتْ عيونُها ... خواضبُ بالحنّاء منها الأصابعُ

قال حميد بن ثور

وما هاجَ هذا الشوقَ إلا حمامةٌ ... دعتْ ساق حرٍّ ترحةً وترنّما

بكتْ شجوَ ثكلى قد أُصيبَ حميمُها ... مخافةَ بيْنٍ يترُكُ الحبلَ أجْذَما[4]

فلم أرَ مثلي شاقهُ صوتُ مثلِها ... ولا عَرَبياً شاقهُ صوتُ أعجَما

وقال آخر:

يا وَيحَ قمريةٍ غنّت لنا هزَجاً ... مستَطرَفاً بنظْمٍ جدِّ متزنِ

قد كنتِ وافيةً دهراً على فَنَنٍ ... فصرتِ في جوفِ منحوتٍ من القفَنِ

مخبّريننا وما ألقاكِ مخبرةً ... أتسجعين للهوٍ منكِ أم شَجَنِ

وفي الفؤادِ همومٌ لستُ مُظهِرَها ... خوفَ الوُشاةِ وإشفاقاً من الزمنِ

- **التذكر بنارٍ موقدَةٍ**

نظر أعرابي إلى نار بأرض محبوبه فقال

أنارٌ بدَتْ يا عبدُ في ساكِنِ الغضا ... مع الليْلِ أم برقٌ تلألأ ناصِبُ[5]

---

(١) **البلاقع** بلاقع المكان، أي اقفر.

(٢) **مزبرجة** مزينة، محسنة من زبرج الشيء حسنه ـ **مخطمة** جعل المخطم على أنفه، والخطام ما يوضع في أنف البعير ليقاد به.

(٣) **حواشي** أطراف ـ **البرود** الثياب المخططة الموشاة جمع برد ـ **الوشائع** جمع الوشيعة وهي خشبة يلف عليها لحمة الثوب لينسج.

(٤) **الأجذم**: المقطوع.

(٥) **الغضا** جمع غضاة وهي شجرة الأثل، وأهل الغضا سكان نجد

فاحببْ بتلكَ النارِ والموقدِ الذي ... له عندَ جرْعاء النميرةِ حاطِبُ[1]

وقال:

يا موقدَ النارِ أوقدْها فإنّ بها ... سمٌ يهيّجُ فؤادَ العاشقِ السّدِمِ

● التذكرُ بالبرقِ

قال أبو سعيد بن فوقة

أقولُ وقد شمْتُ البروقَ فلمْ أجِدْ ... كبرقٍ بدا من أصبهانَ فأومَضَا[2]

سقى الرائحَ الغادي بلاداً رمضتُها ... ولم تكُ إلا أن تبتْ بي لتُرمِضَا

وهل هيَ إلا موطِنٌ لي مُحبّبٌ ... إليّ أعادته الخطوبُ مبغّضَا

وقال:

إذا أوْمضَ البرقُ من أرضِها ... تمثّل لي أنّها تبتسِمْ

وأذكرُها في المحلِّ الجديبِ ... فيخصبُ من دمعيَ المنسجِمْ

● التذكرُ والشوقُ بهبوبِ الريح

قال شاعر:

ألا يا صَبا نجدٍ متى هجْتَ من نجدِ ... لقدْ زادني مَسْرَاكَ وجداً على وَجْدِ[3]

وقال عبد الله بن أمية

هبّتْ شمالاً فقيل من بلدِ ... أنتَ حَتَّها طابَ ذلك البلدُ

فقبّلَ الريحَ من صبابته ... ما قبّلَ الريحَ قبلَهُ أحدُ

وقال:

إذا هبّ علويّ الرياحِ وجدتُني ... كأنّي لعلويّ الرّياحِ كثيبُ

● تذكر المحبوب بالاختلاجِ العارضِ

العرب تزعم أن من خدرت رجلهُ فذكر محبوبه ذهب خدَرها. قال عمر بن أبي ربيعة

إذا خدرَتْ رجلي أبوحُ بذكرِهِ

وقال

إذا مُذِلَتْ رجْلي دعوتُكِ أشتفي ... بذكراكِ من مذْلٍ بها فيَهُونُ[4]

ويقولون من اختلجت عينه أبصر محبوبه، قال إبراهيم الصولي:

اختلجَتْ عيْني فأبصرتُه ... كأنّ عيْني تعلمُ الغيبا

---

(١) النميرة: شملة أو بردة من صوف فيها خطوط بيض وسود

(٢) أصبهان أو أصفهان: مدينة في وسط إيران بين طهران وشيراز مشهورة بالحرير والسجاد والأنعام

(٣) الصَّبا: ريح شرقية يقابلها الدَّبور (٤) مذلت الرجل: خدرت ـ والمذل الخدر والفتر

قال ابن المعتز:

مرحباً باختلاج أجفانِ عيني | بشرتْ نفسها برؤيةِ خيرِ

قال العباس:

ظلّت تبشّرني عيني إذا اختلجت | ـانَ أراكَ وما زالت على خطرِ
فقلتُ للعينِ أما كنتِ صادقةً | إني ببشراكِ لي من أسعدِ البشرِ
فما جزاؤكِ عندي لستُ أعرفه | بلى جزاؤكِ أن تخلين بالنظرِ
وأخجبُ المقلةَ الأخرى وأمنعُها | وجهَ الحبيبِ كما لم تأتِ بالخبرِ

(٣)
ومما جاء في التوديعِ والفراقِ

●

وقال بعضهم

تمتّعْ من حبيبٍ بالوداعِ | فما بعد الفراقِ من اجتماعِ
فلم أرَ في الذي لاقيتُ شيئاً | أمرّ من الفراقِ بلا وداعِ

قال بشار

إن الوداعَ من الأحبابِ مسليةٌ | للمطعين إذا ما يمّموا بلدا
ولستُ أدري إذا شطّ المزارُ بهم | هل تجمعُ الدارُ أم لا نلتقي أبداً

قال الموسوي:

وأفجعُ الناسِ مَنْ سارت حبائبُه | ولا عناقٌ ولا ضمٌّ ولا قُبَلُ

● **التوديع بالإشارة**

قال الأصمعي سمع أعرابياً يخاطب آخر يقول شيعنا الحي وفيهم أدوية السقام فاشرنا بالحدق إلى السلام وجمدت الألسن عن الكلام خرج رجل في سفر وكانت له ابنة عم يحبّها فقال:

ولما تبدّت للرحيلِ جمالُنا | وجدّ بنا سيرٌ وفاضت مدامعُ
أشارتْ بأطرافِ البنانِ وسلّمتْ | وأومتْ بعينيها متى أنتَ راجعُ
فقلتُ لها والقلبُ فيه حرارةٌ | فديتكِ ما علمي بما اللهُ صانعُ

● **استطابة التوديع طمعاً في لقاءِ الحبيبِ**

قال شاعر:

وسهلَ التوديعُ يومَ النوى | ما كانَ قد وعّرهُ الهجرُ[1]

---

(١) التوديع الوداع ـ عز المكان جعله وعراً أي صعب من الوعورة ووعورة الطريق ما يعترضها من صعوبة

وقال:

ليس عندي خطبُ النوى بعظيمِ ... فيه روحٌ وفيه كشفُ غُمُومِ
إنّ فيه اعتناقةً لوداعٍ ... وانتظارَ اعتناقةٍ لقُدُوْمِ

وقال:

ولو فهم الناسُ التلاقي وحُسْنَهُ ... لحُبِّبَ من أجل التلاقي التفرّقُ
فيا حسْنَنا والدّمْعُ بالدمع واشجٌ ... بمارَجُه والخدُّ بالخدّ مُلصَقُ[1]
فلم ترَ إلا مخْبِراً عن صبابةٍ ... بشكوى وإلا عبْرةً تترقرقُ
ومن قبلِ قبلِ التلاقي وبعْدَه ... نكادُ بها من شدّة اللثمِ نَشْرَقُ[2]

● عذر تارك توديع محبوبه

كتب بعضهم: ما أعرضت عن تشيعك إلا استعظاماً لتوديعك وما كرهت توديعك إلا كراهة تجديد العهد بفراقك. قال البحتري:

لا تعذلني في مسيـ ... ـرِكَ يوم سرت ولم ألاقِكْ
أنّي عرفتُ مواقفاً ... للبين تسفحُ غربَ ماقِكْ
وعلمت أن لقاءنا ... سببُ اشتياقي واشتياقِكْ

قال الصنوبري:

بأبي من هربتُ من توديعه ... وتعشّت الدموعَ في تشييعه

● البكاءُ عند التوديع

لما أراد عبد الملك الخروج إلى مصعب بن الزبير تعلقت به امرأته عاتكة فبكت وأبكت جواريها، فقال عبد الملك: قاتل الله ابن أبي جمعة حيث قال:

إذا ما أرادَ الغزوَ لم يثْنِ عَزْمَهُ ... حصانٌ عليها نَظْمُ دُرٍّ يزينُها[4]
نَهَتْه فلمّا لم ترَ النهيَ عاقَه ... بكَتْ فبكى ممّا دهاها قطينُها[5]

وقال:

وممّا دهاني أنّها يوم أعرَضَتْ ... تولّت وماءُ العين في الجفن حائرُ[6]

---

(١) واشج: ممتزج (٢) نشرق: نغص - اللثم: التقبيل
(٣) الغرب: الدمع - ماقك: محجّك: مآقيك
(٤) لم يثن عزمه: لم يمنعه - الحصان: المرأة العفيفة
(٥) عاقه: منعه - القطين: أهل الدار والحشم والأتباع
(٦) أعرضت: صدّت وجفت - ماء العين: الدمع

فلمّا أعادتْ من بعيدٍ بنظرةٍ	إليّ التفاتاً أسلمته المحاجرُ

وقال آخر:

سقى الله ركْباً ودّعوا يوم ودّعوا	وعيرُهم شوقي وحاديهم وَجْدي[1]

غداة مضتْ واستوثقتْني عبْرةٌ	أسائِلُ في سعدٍ عن القمر السعدي

● إظهارُ التوجعِ لوداعِ الحبيبِ

قال شاعر:

وداعُك مثلُ وداعِ الربيعِ	وفقدُك مثلُ افتقادِ الدّيم[2]

عليكَ السلامُ فكم من وفا	يفارقُه منك أو من كَرَم

قال أبو تمام:

النّاسُ غيرك ما تغيّر حيرتي	لفراقِهم هل أنجدُوا أم أغارُوا[3]

● صعوبةُ لقاءِ الإبلِ للفراق

لو تعلمُ العيسُ ما في يوم بَيْنِهِم	أبتْ على السائقِ الحادي فلم تَسِر

كأنّ أيدي مَطاياهُم إذا وخدتْ	يقعنَ في حرّ وجهي أو على بصري

قال المتنبي

كأنّ العيسَ كانتْ فوق جفْني	مناخاتٍ فلما ثرْنَ سَالا[4]

وقد ذم بعضهم الإبل لما كانت سبباً للفراق فقال

وما غرابُ البيْنِ إلا ناقةٌ أو جملُ

ونقضه جران العود فقال:

بأخفافِها يدنو الفتى من حبيبه	وتنقِذُه إن أدهلَتْه الشدائدُ[5]

● ارتحالُ القلبِ بارتحال المحبِّ

قيل: إنْ بانَ أخوك بانَ شطرك. قطيعة الوصال قطع الأوصال. قال الصنوبري:

ذكروا أنّ الفراقَ غداً	وفراقُ النّفس بعد غدِ

قال أبو تمّام:

قالُوا الرحيل فما شككْتُ بأنّه	نفْسي عن الدنيا تريدُ رحيلا

---

(١) العير: الحمار الأهلي جمع أعيار ـ الحادي: سائق الإبل.

(٢) الدّيم: السحب الممطرة جمع ديمه

(٣) أنجدوا: قصدوا أرض نجد ـ أغاروا: قصدوا الغور وأرض نجد عالية وأرض الغور منخفضة

(٤) مناخات: باركة.	(٥) الشدائد: المواقف العصيبة ونوائب الدهر

قال التنوخي:

كأنما كان عُمْري في اقترابك بي عاريةً فاستردتْه يَدُ البُعْدِ[1]

وكتب بعضهم يوم توديعك ودَّعْتُ قلبي فهو يتصرف بتصرفك وينصرف بمصرفك

قال ابن الحجاج[2]:

رحلْتُ وما علِمْتُ بأنَّ قلبي على بعضِ الزوامل في الرحالِ[3]

وقال آخر:

لئن بعدَتْ عنك أجسادُنا لقد سافرت معك الأنفسُ

قال السلامي:

ما تنشدون وقلبي في رحالكم هو الصواعُ وبعض العير سُرَّاقُ[4]

قال أبو تمام

تكاد تنتقلُ الأرواحُ لو تركت من الجسوم إليها حيث تنتقلُ

● من ارتحل فخلَّف قلبَهُ عِندَ حبه. قال الخبزارزي:

أنا غائبٌ والقلبُ عندَكَ حاضرٌ سافرتُ عنك وما الفؤادُ مسافرُ

وقال آخر:

وإن يرتحلْ جسمي مع الركبِ مُكرَهاً يُقِمْ عندَه قلبي وأمضي بلا قَلْبِ

قال المتنبي:

عجبْتُ لي بقلبٍ إنْ رحلْتُ فإنني أُخلِفُ قلبي عند من فضلُهُ عِندي[5]

ولو فارقتْ جسمي إليكَ حياتُهُ لقلتُ أصابتْ غيرَ مذمومةِ العهْدِ

● شدَّةُ الفرقةِ

قيل لبعض الصوفية لِمَ تصفرُّ الشمس عند الغروب؟ فقال: خوفاً من الفراق وبه ألم. قال الأستاذ الرئيس:

لا تـركـنَّ إلى الوداع وإن سكنت إلى العناقِ

---

(1) العارية: ما تملك منفعته بغير عوض. استردته: استرجعته.

(2) ابن الحجاج: شاعران هما: عبد الله بن الحجاج الثعلبي، من صعاليك شعراء العرب، اشتهر بشجاعته وتأييده عبد الله بن الزبير، مات سنة (٧١٩م)، والآخر من شعراء بغداد الذين اشتهروا بالهزل والمجون، ومات سنة (١٠٠١م).

(3) الزوامل: جمع الزاملة وهي الدَّابة من الإبل وغيرها يحمل عليها.

(4) الصواع: الصاع، إناء يشرب فيه.

(5) أخلف قلبي: أتركه ـ يعبّر عن وفائه للمحبوب ويقول بأنني إذا ارتحلت تركت قلبي عند من أحبّ.

فالشمسُ عند غروبها تصفرُّ من خوفِ الفراقِ

وقيل: ما أشد صدع الفراق بين الرفاق وقيل بكف الفرقة تقدح نار الحرقة، كبدي بيد الشوق مخطوفة وعيني بقذى الفراق مطروفة. أنتن من ريح الفراق وأزكى من نسيم التلاق:

وما الدهرُ إلا هكذا فاصطبرْ لَهُ رزيّة مالٍ أو فراقُ خليلِ[1]

● الحَذَرُ من الفراق

قال أشجع:

ومحاذرٌ للبَيْنِ قد وقع الذي يَخْشى حذارَه[2]

وقال آخر:

كفى حزناً أنْ رَوّرَنا لوقتِ الرّواحِ أرادُوا الغُروبا

فلو كنتُ بالشمسِ ذا طاقةٍ لظلّ على النّاس حتّى تغيّبا

وقال:

وأشفقُ من وشكِ الفِراقِ وإنّني أظنّ كمحمولٍ عليه مَرَاكِبُهْ

● شِدّة سَمَاعِ الفرقة

وقال أبو نواس:

طرحتُم من الترحال أمراً مغمّينا فلو قد فعلتُم صبّح الموتُ بعضَنا

● كونُ الفرقة كالمنيّة

قيل: لكل حليلة دقيقة ودقيقة الموت فراق. قال النميري:

أن المنيّةَ والفراقَ لواحدٌ أو توءمانِ تراضعا بلبانِ[3]

في فرقةِ الأحبابِ شغلٌ شاغلٌ والثكلُ حقاً فرقةُ الإخوانِ[4]

وقال أبو تمام:

لو حازَ مرتادُ المنيّةِ لم يجدْ إلا الفراقَ على النّفوسِ دليلا

وقال المتنبي:

لولا مفارقةُ الأحبابِ ما وَجَدَتْ لها المنايا إلى أرواحنا سُبُلاً

---

(١) الرزية: المصيبة العظيمة.

(٢) البين: الفراق وقوله: محاذر اسم فاعل من حاذر أي تحرّز.

(٣) اللبان: المصدر.

(٤) يقول: إن أكثر ما يشغل المرء مفارقة الأحبة فهي ضرب من الثكل، والثكل فقد الابن فالرجل ثاكل والأم ثكلى.

● بُغضُ الوقتِ الذي يعرضُ في الفراقِ

وقال أبو تمام:

أن يوم الفراق يومٌ عبوسٌ … أيّ سيلٍ تحيلُ فيه النفوسُ
لم أزلْ أبغضُ الخميسَ ولم أدْ … رِ لماذا حتّى دهاني الخَمِيسُ[1]

● استقباحُ الحياةِ بعد ارتحالِ الحبيبِ

وقال المتوخي:

إذا بانَ محبوبٌ وعاشَ محبُّه … فذاكَ كذوبٌ في الهَوى غيرُ صَادِقِ

وقال:

أو ليس مِنْ إحْدى العجائب أنني … فارقتُه وحَيِيتُ بعْدَ فِراقِهِ

● اعتراضُ الفراقِ

قال ابن الرومي:

أُخرجْتُ من جنّتي مفاجأةً … آمَنُ ما كنتُ في حدائقِهَا
بينا استماعي هديلَ هادلِها … إذ راعَ قلبي نعيقُ ناعقِها[2]

وأنشد المأمون قول العباس بن الأحنف:

همْ كتموني سيرهم ثمّ أزمعوا … وقالوا اتعدنا للرّواحِ فبكّروا

فقال سخروا بأبي أفضل أعزه الله

وقال إبراهيم بن العباس

وزالتْ زوالَ الشّمسِ عن مستقرّها … فمَنْ مُخبِري في أيّ أرضٍ غُروبُهَا

● مفارقةُ المحبوبِ قبلَ التمتّعِ به

قال الخبزارزي:

استودِعُ اللّهَ أحباباً فُجِعْتُ بهم … بانُوا فما زوّدوني غيرَ تعذِيبي[3]
بانوا ولم يقضِ زيدٌ منهم وَطَرا … وما انقضَتْ حاجةٌ في نفسِ يَعْقُوب[4]

وقال ابن الأحنف:

سألونا عن حالِنا كيفَ أنتُم … فقرنّا وداعَهم بالسّؤالِ
ما أناخُوا حتّى ارتحلْنا فما نفْـ … ـرقُ بين النّزولِ والارْتحالِ

---

(١) دهاني: انتابني، أصابني ـ الخميس: يوم الخميس والخميس أيضاً: الجيش الكبير المؤلف من خمس كتائب.

(٢) راع قلبي: أفزعه

(٣) زوّده: أعطاه زاداً، والزاد أصلاً طعام السفر

(٤) الوطر: الحاجة

وقال محمد بن أمية

يا فراقاً أتى بُعَيْدَ تلاقِ ... وائتماقاً جرى بغير اتّفاقِ
حينَ حطّتْ ركابُنا للتلاقي ... زمّت العيسُ منهم لفراقِ[1]
إنّ نفسي بالشام إذ أنت فيها ... ليس نفسي نفسي التي بالعراق
أشتهي أن يرى فؤادي فيدري ... كيفَ وجْدي بهم وكيفَ احتراقي

● كونُ مَنْ تباعَد عن محبوبِهِ في غربةٍ

فلا تحسَبي أنّ الغريبَ الذي نأى ... ولكنَّ مَنْ تباينَ عنه غريبُ

وقال الخبزارزي:

أني لفي غُرْبَة مذ غِبْتِ يا سَكَني ... وإن ظَلَلْتُ أرى في الأهلِ والوطنِ[2]

قال المتنبي:

إذا ترحلْتَ عن قوم وقد قدَرُوا ... أن لا تفارِقَهُم فالرّاحلون هُمُ

● التلفّت إلى المحبوب بعدَ الارتحال عنه

قال شاعر:

ما سِرْتُ ميلاً ولا جاوزتُ مرحلةً ... إلا وذكرُك يلوي دائماً عُنقِي

وقال المتنبي

أفْدي المودعة التي أتبعْتُها ... نظراً فرادى بين زفرات ثُنَا[3]

قال ابن المعتز:

لستُ أنسى التفاتَهُ حينَ ولّى ... والتفاتي وقد نظرْتُ إليه
وكلانا من التأسف والوجـ ... ـد على إلفه يَعضّ يديْه

● تسلُّط أيام البين على وصْلِ الأحبابِ

قال شاعر:

أرَقّ العينَ أن قرةَ عيني ... دخلتْ بينَه الليالي وبيْني

قال جحظة:

جرَتْ نُوَبُ الأيام بيْني وبينَه ... فلمْ يبْقَ إلا ما أعيدَ من الذكْرِ

وقال أبو تمام:

عبَثَ الفراقُ بعيْنِهِ وبقلْبِه ... عبثاً يروحُ الجِدّ فيه ويغتدي

---

(١) زمّت: شدّت وربطت ـ العيس: الإبل
(٢) السّكن: كلّ ما يستأنس به
(٣) ثنا: من ثناه أي اثنين.

- **وصفُ الدهرِ والنّوى**

قال محمد بن وهب:

إذا مــا ســمَــوْتُ إلــى وصْــلِــهِ ... تــعــرّضَ لــي دونــه عَــائِــقُ
وحــاربَــنــي فــيــهِ ريــبُ الــزمــانِ ... كــأنّ الــزّمــانَ لــه عــاشِــقُ

قال شاعر.

ملامُ النّوى في ظُلمِها غايةُ الظّلمِ ... كأنّ بها مثلَ الذي بي من اللّوْمِ
فلو لم تغرْ لم تزوِعنّي لقاءَكم ... ولو لم تردْكم لم تكن فيكم خَصْمي[1]

وقال المتنبي:

أبى خــلُــقُ الــدنــيــا حــبــيــباً تُــديــمُــه ... فــمــا طــلَــبــي مــنــهــا حــبــيــباً تَــرُدُّ

- **التحير لتفرّق الأحبابِ فرقتين**

قال أبو العتاهية:

أيــا كــبــداً عــادتْ عــشــيّــةَ غُــرّبٍ ... من الــشــوقِ إثرَ الــظاعــنــيــن تــصــدّعُ
عــشــيّــةَ مــا فــيــمــن أقــام بــعــزتُ ... مُقــامٌ ولا فــيــمــا مــضَــى مــتــشــرّعُ
تــفــرّق أهــلانــا مــقــيــمــاً وظــاعــنــاً ... فــلــلّــه دَرّي أيّ قــومَــي أتّــبــعُ
ينازعُني شوقي أمامي وحاجتي ... ورائي فما أدري بها كيفَ أصنَعُ

- **الرغبةُ في حِفظِ المودةِ عند الغَيبةِ**

خرج عبد الملك بن صالح مشيّعاً لجعفر بن يحيى فاستعرض حاجاته فقال: قصارى كل مشيّع الرجوعُ. ولكني أريد من الأمير أن يكون كما قال ابن الدمينة[2]

فكُوني على الواشِين لدّاءَ شغبةً ... كما أنا للواشي ألدُّ شغوبُ[3]

فقال جعفر: أقول كما قال جميل معاتبة القلب لاشتياقه إذا نأى وتمرّده على الحبيب إذا دنا قال بعضهم:

وخبّرتَني يا قلبُ أنّك ذو هوى ... بليلى فَذُقْ ما كنتَ قبلُ تقولُ
ومَنّيتَني حتّى إذا ما تقطّعتْ ... قُوى من قوى أعولْتَ كُلّ عَويلِ؟

وقال الخوارزمي

ولــمــا سِــرْتُ عــنــك رأيــتُ نــفــسي ... وبــيــن الــرجْــلِ والــقــلْــبِ اختــصــامُ

---

(١) زوى الشيء زويّا: نحّاه وصحه، وزوى عنه حقّه منعه إيّاه.

(٢) ابن الدمينة. هو عبد الله ابن الدمينة شاعر بدوي أموي من بني عامر اشتهر بغزله وشعره، مات سنة (٧٤٧م)

(٣) لدّاء: مؤنث الألدّ، أي شديدة العداوة. الشغوب: الذي يهيج مكامن الشرّ.

فذاكَ يقولُ منكَ السيرُ عنهُ وتلكَ تقولُ منكَ الاعتزامُ[1]

● التحذيرُ من مفارقةِ الحبيب

أترحلُ طوعَ النفسِ عمّن تحبُّهُ وتبكي كما يبكي المفارقُ عن قهرِ
أقِمْ لا تَسِرْ والحزنُ عنكَ بمعزلٍ ودمعُكَ باقٍ في مآقيكَ لا يَجْري

● النَدَمُ على مفارقتِهِ

قال المهلّبي:

من ذا ألومُ أبا جنيتُ فراقَ من أبكي عليهِ

وقال قيس بن ذريح[2]:

ندِمتُ على ما فاتَ منّي فقدتني كما نَدِمَ المغبونُ حينَ يبيعُ
فقدتكَ من قلبٍ شعاعٍ فربّني نهيتُكَ عن هذا وأنتَ جميعُ[3]

قال المجنون:

فإنْ ترجعِ الأيامُ بيني وبينها بذي الأثلِ صيفاً مثلَ صيفي ومربعي[4]
أشدّ بأعناقِ النوى بعد هذهِ مرائرَ إنْ جاذبتها لم تقطّعِ[5]

● مَنْ ارتحَل عنه فأسرعَ العود شوقاً إليه

قيل لجميل: أما سمعت قول ابن عمك زهير بن جناب:

إذا ما شئتَ أن تسلو حليلاً فأكثِرْ دونَهُ عَدَدَ الليالي
فما سلّى حبيباً مثلُ نأيٍ ولا أبلى جديداً كابتذالِ[6]

قيل: فلو نأيت عنها لسلوتَ. فخرج عنها ليلةً ثم رجع وهو يقول:

أشوقاً ولمّا تمضِ لي غيرُ ليلةٍ رُوَيْدَ الهوى حتى تغِبَّ لياليا[7]
لحا اللهُ أقواماً ما يقولون إنّما وجدنا طوالَ النأيِ للحبِّ شافيا

خرج المهدي يريد منزل حسنة، فلما بلغ دارها وترفعت أستارها اشتاق إلى

---

(١) الاعتزام: مصدر اعتزم الأمر وعلى الأمر، أي أراد فعله.

(٢) قيس بن ذريح: من شعراء المدينة اشتهر بحب لبنى بنت الحباب. برع في فن التشبيب وأجاد في وصف لوعة الفراق. مات سنة (٦٨٧م).

(٣) من قلب شعاع: أي من قلب يفقده الحزن.

(٤) ذو الأثل: موضع ـ المربع: موضع الإقامة في الربيع.

(٥) المرائر: جمع مريرة وهي عزة النفس.

(٦) سلى الحبيب: نسيه ـ النأي: البعد ـ أبلى الجديد: جعله بالياً، أفناه.

(٧) رويد: مصدر أرود مصغراً، أي مهلاً ـ تغب الليالي: تتمهل.

الخيزران فكرَّ راجعاً وقال: وسوتاه من حسنة فإني والله أصابني كما أصاب مَنْ يقول

بينما نحن بالبلاكث فالقا ... ع سراعا والعيس تهوي هويّا[1]

خطرت خطرةٌ على القلب من ذكراك ... وهناً فما استطعتُ مُضيّا

قلتُ لبيكَ إذْ دعاني يدُ الشو ... ق وللحاديَيْنِ كُرّا المطيّا[2]

● الشوقُ بَعيد الارتحالِ

كان لأعرابي مملوك فاشتراه عراقي فلما ارتحل به بكى وأنشد

أشوقاً ولمّا تمضِ لي غيرُ ليلةٍ ... فكيف إذا سار المطيُّ بنا عشرا

أخوكُم ومولاكم وصاحبُ سركُمْ ... ومن قد نشا فيكم وعاشرَكُمْ دهرا

فقال له المشتري الحق بأهلك

وقال المتنبي:

أرى أسفاً وما سِرْنا قليلاً ... فكيف إذا غدا السيْر ابتراكا[3]

فهذا الشوقُ قبلَ البيْنِ سيفٌ ... وها أنا ما ضربتُ وقدْ أحاكا[4]

قال أشجع.

فها أنتَ تبكي وهُمْ جيرةٌ ... فكيف تكونُ إذا ودّعوا

قال أبو فراس

حملتُ هواكَ لا جَلَداً ولكن ... صبرتُ على اختيارِك واضطراري

● المفارقةُ كرْهاً

قال الماني

لا تُنْكِرَنَّ رحيلي عنك في عَجَلٍ ... فإنني لرحيلٍ غيرُ مختارِ

وربّما فارق الإنسانُ مهجتَهُ ... يومَ الوغا غيرَ قالٍ خيفةَ العَارِ

● كراهةُ فراقِ مَنْ صحبتهُ كُرْهاً

قال شاعر:

أقمنا كارهين لها فلمّا ... ألفناها خرجنا مكرهينا

وما شَعفَ البلادُ بنا ولكن ... أمرُّ العيشِ فرقةُ مَنْ هوِينا[5]

خرجتُ أقرّ ما قد كنت عينا ... وخلّفتُ الفؤادَ بها رهينا

---

(١) بلاكث: موضعان واحد بين المرّ وشبكة الروم فوق خيبر، وآخر أو بلاكث الثانية بين فرة ومدين، وكلاهما على طريق مصر

(٢) لبيك. أي ألبابا بك وإقامة على طاعتك ـ الحاديين مثنى الحادي وهو سائق الإبل.

(٣) غدا السير ابتراكا: أي عدا بسرعة. (٤) أحاك أثّر

(٥) شعف البلاد بنا: ارتفع حبها إلى أعلى مراتبه ـ أمرّ العيش أكثره مرارة

وقال:

وَكَمْ مِنْ زائرٍ بالكُرْهِ مني ... كرهتُ فراقَه بعد المزارِ

● مَنْ عَمَّ الغمُّ بفراقِه

قال نفيلة الأشجعي

فلمّا أن دنا منّا ارتحالٌ ... وقرّب ناجياتُ السيرِ كومُ[1]

تحاسَرَ واضحاتُ اللونِ غرٌّ ... على ديباجِ أوجهِها النعيمُ

فقائلةٌ ومثنيةٌ علينا ... تدورُ ومالُنا فيها حميمُ

وقال المتنبي:

رحلتُ فكَمْ باكٍ بأجفانِ شادنٍ ... عليَّ وكم باكٍ بأجفانِ ضيغَمِ

وما ربّةُ القُرْطِ المليحِ مكانُه ... بأجزعَ من ربّ الحُسامِ المصمّمِ[2]

● مَنْ لم يبالِ بالفراقِ لكثرةِ ما دهاه

قال المتنبي

وفارقْتُ حتّى ما أبالي من النّوى ... وإنْ بانَ جيرانٌ عليَّ كرامُ

فقد جعلتْ نفسي على النأي تنطوي ... وعيني على فقدِ الصديقِ تنامُ

وقال:

رُوِّعْتُ بالبيْنِ حتّى ما أُراعُ له ... وبالمصائبِ في أهلي وجيراني

وقال:

وما أنا بالمُستنكِرِ البَيْنَ إنّني ... بذي لطفِ الجيرانِ قِدْماً مُفَجَّعُ

● الشاكي كثرة ما يعرض له من فرقة الأحباب

قال شاعر:

كأنّا خلقنا للنّوى فكأنّنا ... حرامٌ على الأيامِ أن تجتمعا

وقال علي بن عبد العزيز:

كأنَّ البَيْنَ مختومٌ علينا ... فليس سوى التّلاقي والوَداعِ

---

(١) الناجيات: النوق السريعة ـ الكوم: الضخمة من الإبل

(٢) ربة القرط: صاحبته، والقرط حلية تزين بها الآذان ـ المصمم: السيف. يقول: لم تكن المرأة بأكثر جزعاً على فراقي من الرجل

(٤)

ومِمّا جاءَ في الهجرانِ

●

● **الهجرانُ سبَبُ التسلّي**

الهَجْرُ مفتاحُ السلوِّ وطولُ التَعَهُّدِ يَقْدَحُ في القُلوبِ

قال بشّار:

ولا يلبثُكَ الهجْرانُ أنْ يقطعَ النَوى إذا لَمْ تطالِعْ آلفاً أو يُطالِعُ

وقال العبّاس:

راجِعْ أحِبَّتَكَ الذينَ هَجَرْتَهُمْ إنّ المُتَيَّمَ قلّما يتجنَّبُ
إنّ الصدودَ إذا تمكّنَ منكما دبّ السلوُّ له وعَزَّ المَطْلَبُ[١]

● **تعظيمُ الهجرانِ**

قال ابن الجهم:

فما بينَنا من حرمةٍ هل رأيتُما أرَقَّ من الشكوى وأقسى من الهَجْرِ

وقال آخر:

ومَوْتُ الفتى خَيْرٌ له من حياتِهِ إذا كان ذا حالَيْنِ يصبو ولا يُصْبي[٢]

إلا أن هجرانَ الحبيبِ هو الإثمُ

● **إظهارُ الندمِ على هجرانِ الحبيبِ**

قال شاعر:

هجرْتُكَ أياماً على الغَمْرِ إنّني على هجرِ أيامٍ بذي الغَمْرِ نادمُ[٣]
وإنّي وذاكَ الهَجْرُ لو تعلَمينَهُ كعازِبَةٍ عن طِفْلِها وهي رائمُ[٤]

● **الحاسدُ لِمَنْ يواصلُه محبوبُهُ**

قال أبو صخر الهذلي:

لَقَدْ تركتني أحسُدُ الوَحْشَ أنْ أرى أليفَيْنِ منها لا يروعُهُما الذُعْرُ

وقال آخر:

فيا ليتَ أنّ اللهَ إذا لَمْ ألاقِها قضى بيْنَ كلِّ اثنيْنِ أنْ لا تلاقِيا

---

(١) الصدود: الإعراض والميل عن الشيء (٢) يصبو ولا يصبي: يشتاق ولا يشوّق

(٣) الغَمْر: جمع غمور وهو الليل الشديد الظلمة، والغمر (بكسر الغين): العطش أو الحقد ـ ذو الغمر موضع

(٤) العازبة: البعيدة ـ رائم: ورائمة تعطف على رضيعها

وقال ابن العميد:

لا يـهـنـأ الـعـاشـقـيـن أنـي ... مـنـفـردٌ بـالـغـرَامِ وَحْـدِي

- **من لا يلتذُّ بالوصلِ خيفةَ الهَجْرِ**

قال العباس:

إذا رضيت لم يهنني ذلك الرّضا ... لِعِلْمي يوماً أن سيتبعه عَتْبُ

وقيل: لا تعتز بصفاء الألفة فإنها منكشفة عن كدر الفرقة. وقيل إذا ساعدك الدهر بوصل محبوب، فاعلم أنه قد غرّ وضرّ. وقال سعيد الكاتب:

مـا كـنـتُ أيـامَ كـنـتِ راضـيـةً ... عـنّي بـذاك الـرضـا بـمـغـتـبـطِ

عـلـمـاً بـأن الـرّضـا سـيـتـبـعـه ... منكِ التجنّي وكثرةُ السُّخطِ[1]

- **نفيُ الانتفاعِ بقربِ الدارِ مع الهجرانِ**

قال إبراهيم:

دنـت بـأنـاس عـن تـنـاءٍ زيـارةٌ ... وشطَّ بـلـيـلـى عـن دنـوّ مـزارُهـا

وإنّ مـقـيـمـان بـمـنـقـطـع الـلـوى ... لا قربُ من ليلى وهاتيك دارها[2]

وقال آخر:

رأيـت دنـوّ الـدار لـيـسَ بـنـافـعٍ ... إذا كانَ ما بيْنَ القلوب بَعيدُ

قال العباس:

كـفـى حـزنـاً أن الـتـبـاعـد بـيـنـنـا ... وقـد جـمـعـتـنـا والأحـبـةُ دارُ

قال عبد الوهاب:

الـبـعـدُ مـنـهـم عـلـى رجـائـهـم ... أنـفـعُ مـن هـجـرهـم إذا حـضـروا

- **الإعراضُ عن الحبيبِ خشيةَ الرقيبِ**

قال الشاعر:

ومـا هـجـرتُـك الـنـفـسُ أنّك عـنـدهـا ... قـلـيـلٌ وإن قـد قـلّ مـنـك نـصـيـبُـهـا

ولـكـنـهـم يـا أمـلـحَ الـنـاسِ أولـعـوا ... بـقـولٍ إذا مـا زُرْتُ، هـذا حـبـيـبُـهـا

وقال:

ولـمـا رأيـتُ الـكـاشـحـيـن تـتـبّـعـوا ... هـوانـاً وأبـدوا دونـنـا نـظـراً شَـزْرا[3]

جـعـلـتُ ومـا بـي مـن جـفـاءٍ ولا قـلـى ... أزورُكـم يـومـاً وأهـجـرُكـم شـهـراً[4]

---

(١) التجني: الاعتداء.

(٢) اللوى: موضع.

(٣) نظر نظراً شزراً: نظر بمؤخر عينه غضباً.

(٤) القلى: البغض.

وقال الأحوص:

يـا بـيْـتَ عـاتـكـةَ الـتِـي أتـغـزّلُ ... حـذرَ الـعِـدى وبـه الـفـؤادُ مُـوكّـلُ

وقال:

أمرّ مُـجـانِـبـاً عـن بـيْـتِ لـيْـلـى ... ولـم ألـمـم بِـهِ وبِـهِ الـقَـلِـيْـلُ

وقال آخر:

أزور بـيـوتـاً لاصـقـاتٍ بـبـيـتِـهـا ... ونـفـسـي فـي الـدّارِ الـتـي لا أزورُهَـا

● الهجرانُ لرضا الحبيبِ

وقال مُسْلِم:

إن كـان هـجـرانُـنـا يـطـيـبُ لـكُـمْ ... فـلـيْـس لـلـوَصْـلِ عـنـدنـا ثَـمَـنُ

قال المتنبّي:

إن كـان سَـرّكُـمْ مـا قـالَ حـاسِـدُنَـا ... فـمـا لـجُـرْحٍ إذا أرضـاكُـمْ ألَـمُ[1]

وقال آخر:

سررتُ بـهَـجْـرِك لـمّـا عـلِـمْـتُ ... بـأنّ لـقـلـبِـك فـيـه سـرورا

وأنـــي أرى كـــلّ مـــا ســـاءنـــي ... إذا كـانَ يُـرضِـيـكَ سـهْـلاً يـسـيـرا

● استطابة قليلِ الهجْرِ بين المتحابين

قال الخثعمي:

ولـم أرَ مثْل الـصدِّ أحسنَ منظرًا ... إذا كانَ مِمّن لا يخافُ على الوَصْلِ

وقال المتنبّي:

وأحلى الهوى ما شكّ في الوصْلِ ربُّه ... وفي الهَجْرِ فهو الدّهرَ يرْجو ويتّقي[2]

وقال:

إذا لمْ يكنْ في الحُبّ سَخْطٌ ولا رِضا ... فـأيْـنَ حَـلاواتُ الـرسَـائِلِ والـكُـتْـبِ

● هجرانُ الحبيبِ صيانةٌ للنفس

قال أحمد بن يوسف

تـركْـتُـكَ والـهـجْـرانَ لا عَـنْ مـلالـةٍ ... ورددتُ يأساً من إخائكَ في صَدْري

وألـزمْـتُ نـفْـسـي من فـراقِـك خِـطّـةً ... حَمَلْتُ لها نفْسي على مرْكبٍ وعْرِ[3]

---

(١) هذا البيت من قصيدة للمتنبي في عتاب سيف الدولة، وقوله حاسدنا إشارة إلى أبي فراس الحمداني ابن عم سيف الدولة الذي كان يتهجم على المتنبي وينتقده في كلّ مناسبة.

(٢) يقول أجمل الحب وأمتعه هو المفروشة دربه بالصعاب

(٣) المركب الوعر: الصعب.

وإنّي وإنْ رَقَّتْ عليكِ ضمائري ... فما قدر حبّي أن أُذِلّ لها قدْري

قال الخبزارزي:

إذا لَمْ يكُن في الوصْل روحٌ ورَحَةٌ ... هجرت وكانَ الهجْرُ أشفَى وأسْلَما

وقال آخر:

ومنْ لمْ يطِق صبْراً على النأي يستعنْ ... بهجرٍ وبعضُ الشر يُدْفَعُ بالشَّرِ

كما لا يُرَى أوْفَى من الوصْل في الهوى ... كذا لا يُرَى في القدر أسْلَى من الهَجْرِ

● المعتقدُ رضا حَبيبِهِ في الباطِنِ وإن سخِطَ في الظّاهِرِ

قال مسلم بن الوليد:

وراضي القلب غضبانُ اللسان ... له خلقان ما يتشابهان

يسرُّ مودّتي ويُطِيلُ هجْري ... ويمزُجُ لي المودّة بالهوَانِ[1]

وقال

ودُّه ودّ صحيحٌ ... وهو عنّي ذو انقباض

فعلى الظاهر غضباً ... نُ وفي الباطنِ راضي

● تضجرُ مَنْ يواصلُهُ بغيضٌ ويصارِمه حبيبٌ

أعاشر في ذي الدّار منْ لا أوَدّه ... وفي الرّمْلِ مهجورٌ إلى حبيب

قال الحطيئة[2]:

يبغّضُ منّا من نحبّ لقاءه ... ويجمَع منّا بيْن أهلِ الضّغائِنِ[3]

قال المتنبي

أفجعُ بالعلْقِ الضنين وإنني ... بمن لا أبالي هلكه لمُمَتّعُ

وله

ما تعلط الأيام فيّ بأنْ أرى ... بغيضاً تناءى أو حبيباً يقرُبُ

وقال:

تباعَدُ ممّن واصلت فكأنّها ... لآخر ممّن لا تودّ صديقُ

---

(١) الهوان: الذلّ.

(٢) الحطيئة: مات نحو ٦٧٨ شاعر مخضرم من بني عبس امتاز بالهجاء وكان هجاؤه مقذعاً ومتهكماً (انظر ديوانه ـ منشورات دار الأرقم).

(٣) الضغائن: جمع ضغينة، إلى حقد.

وقال الزبير

جبلوا على إكرام مبغضهم ... وعلى التهاونِ بالذي يهوَى

- **تأسفٌ من هجر محبوبه**

قال شاعر:

لو كنتِ عاتبةً لسكّنَ عبرتي ... أمَلي رضاكِ وزرتُ غيرَ مُجانِبِ

لكنْ مللتِ فلمْ تكنْ لي حيلةٌ ... صدُّ الملولِ خلافُ صدِّ العاتِبِ

قال البحتري:

وكنت أرى أنّ الصدودَ الذي مضى ... دلالٌ فما أن كان إلا تجنّبا

فوا أسفي حتى مَ اسألُ مانعاً ... وآمنُ خوّاناً وأعتبُ مُذنِبا

- **عدمُ الثقةِ بالمحبوبِ**

قال المجنون:

فأصبحتُ من ليلى الغداةَ كقابضٍ ... على الماء خانته فُرُوجُ الأصابعِ

وله:

فأصبحتُ من ليلى الغداةَ كناظرٍ ... مع الصبح في أعقابِ نجمٍ مُغربِ

- **شكوى الحبيبِ لهجرانه بعد تحابِّ**

أبكي الذين أذاقوني مودّتهم ... حتى إذا أيقظوني للهوى رقدُوا

قال ابن الجهم:

أزْحَزِحَ رسيسَ القلبِ عن مُستقرِّه ... وألْهِبْنَ ما بيْنَ الجوانحِ والصدرِ[1]

ألا قبلَ أن يبدو المشيبُ بدأتني ... بيأسٍ مُبينٍ أو جنحتِ إلى الغَدرِ

وقال جرير[2] لبعض من صحبه: من أشعر العرب؟ قال: كثير في قوله:

وأدنيتِني حتى إذا ما مَلَكْتِني ... بقولٍ يحلّ العصمَ سَهلَ الأباطِحِ[3]

تنابيتِ عنّي حينَ لا لي حِيلةٌ ... وغادرتِ ما غادرْتِ بيْنَ الجَوانِحِ[4]

قال بل قول هشام:

أشرعتَ لي مورداً أعييتْ مصادِرُهُ ... فلستُ أدري أأمضي فيهِ أم أقِفُ

---

(١) رسيس: ثبات وصمود.

(٢) جرير: شاعر أموي وُلد في اليمامة. كنيته أبو حزرة اشتهر بالهجاء ولا سيّما هجو خصميه الأخطل والفرزدق وقد كوّن معهما المثلث الأموي.

(٣) الأباطح: جمع بطحاء، مسيلٌ واسع فيه رمل ودقائق الحصى.

(٤) تنابيت: تعمّدت الابتعاد.

● **شكوى بُخلِ المَحبوبِ**

قال شاعر:

لقد بخلَتْ حتى لَوَانّي سألتُها ... قذى العيْنِ من سافي التّرابِ لضَنَّتِ

كأنّي أنادي صخرةً حين أعرَضَتْ ... من الصمّ لو تمشي بها العُصْمُ زَلَّتِ[1]

وإنّي وتهيامي بعزّةَ بعدَما ... تخلّيْتُ ممّا بيننا وتخلَّتِ

لكالمبتغي ظلَّ الغَمامةِ كلّما ... تبوّأ منها للمقيلِ اضمحلَّتِ

وقال البحتري:

ألفَ الصدودَ فلو يمرُّ خيالُه ... بالصبِّ في سِنَةِ الكرى ما سلَّما

● **التلوّنُ بما يسلي المحبّ**

تمثل شريح لامرأته بقول مالك بن أسماء:

خُذي العفْوَ منّي تستديمي مودّتي ... ولا تنطُقي في سورةٍ حين أغضَبُ[2]

فإنّي رأيتُ الحُبَّ في الصدرِ والأذى ... إذا اجتمَعا لم يلبَثِ الحبُّ يذهَبُ

وقال:

يراك ويهوى من يقلّ خلافُهُ ... وليس بمحبوبٍ خبيثٍ يخالِفُ

● **التواءُ المحبوبِ على محبّه ومخالفتُهُ لهُ في أحوالِه**

قال شاعر:

شكوْتُ فقالَتْ كلُّ هذا تبرّماً ... بحبّي أراح اللهُ قلبَكَ من حُبّي

فلمّا كتمْتُ الحُبَّ قالَت لشدّ ما ... صبرْتَ وما هذا بفعلِ شجيّ القلبِ

وأدنو فتُقصيني فأبعدُ طالباً ... رضاها فتعتدّ التباعُدَ من ذنْبي

فشكواي يؤذيها وصبري يؤودُها ... وتجزَعُ من بُعدي وتنفُرُ من قُربي[3]

وقال:

إن التي عذّبَتْني في محبّتِها ... كلَّ العذابِ فما أبقَتْ وما تركَتْ

عاتبْتُها فبكَت فاستعبَرَتْ جَزَعاً ... عيني فلما رأتني باكياً ضَحِكَتْ

فعدتُ أضحَكُ مسروراً بضحْكتِها ... منّي فلمّا رَأتني قد ضحِكْتُ بكَتْ

تهْوى خِلافي كمّا حثّتْ براكبِها ... يوماً قلوصٌ فلمّا حثّها بَرَكَتْ[4]

---

(١) زلّت: وقعت.

(٢) السورة: الحدّة والغضب ـ تستديمي المودّة: تجعليها دائمة ومستمرة.

(٣) يؤودها: يعظمها ويحنيها يقال: آده أثقله، وآد العود عطفه وحناه ـ تجزع: تخاف.

(٤) القلوص: الناقة السريعة.

● **المتأسفُ لِقلَى حبيبِه له**

قال النميري:

رأيتُ صدوداً وانقباضَ مودّةٍ ... ونكراءَ من هُجْرانهم حَدَثَت بَعْدي[1]

أما لو يُطيعُ القلبُ أو يصفَحِ الهَوَى ... لتُ عنكَ جارَيْتَاكَ بالهَجْرِ والصَّدِّ

وقال آخر:

وما سُعْدَى وإن كَرُمَتْ علينا ... وكانَ لذِكْرِ سُعْدَى يُسْتَطارُ[2]

بأقربَ في المودّةِ من سُهَيْلٍ ... وفي وجْهَيْهِ للمنجم ازوِرارُ

يفرّ من النجومِ لغيرِ شيءٍ ... لعمرُ أبيكَ طالَ به الفِرارُ

● **وصف الحبيب بالتلون**

قال بعضهم لأن ابتَلى بألف لحوح جموح أحبُّ إليّ من أن أبتلي بمتلوّن **قال دعبل**.

أنّي وجدتُكَ في الهوى ذوّاقةً ... لا تصبِرينَ على طعامٍ واحدِ

وقال آخر:

يا عتبُ لم أهجرْكم لملالةٍ ... عرَضَتْ ولا لمقالِ واشٍ حاسدِ

لكنني جرّبْتُكم فوجدْتُكم ... لا تصبِرونَ على طعامٍ واحدِ

(٥)
وممّا جاء في البكاء والدُّموع

●

وصف قطرات الدموع

كاللؤلؤِ المسجورِ أُغْفِلَ في ... سِلْكِ النظامِ فخانَه النَّظْمُ

قال الأعشى:

كما فرّقَ السِّلْكُ من نظمه ... لآلىءَ منحدراتٍ صِغارا

وقال.

وكأنّ الدمعَ درٌّ جامدٌ ... والدّمَ الجاري عقيقٌ قد جَمَدْ[3]

وقال.

فدمعتي ذوبُ ياقوتٍ على ذهبٍ ... ودمعةٌ ذوبُ درٍّ فوقَ ياقوتِ

---

(١) الصدود: الإعراض ـ الانقباض: الاعتزال والجفاء.
(٢) يستطار: يفرق. (٣) العقيق: الحجر الأحمر.

دخل أبو نواس على جارية النطفي وكان قد ضربها مولاها فقال:

إنّ عيناً أسبلت دمعها ... كالدرّ إذ ينسلّ من خيطه
فليت من يضربها ظالماً ... تيبس يمناه على سوطه

قال خالد الكاتب:

ما زلت أنكر ما ألقى وأجحده ... فاستشهد العاذلون الدمعَ والنفَسا

أنشد أبو السائب القاضي قول جرير:

أنّ الذين غدوا بلبّك غادروا ... وشلاً بعينك لا يزال معينا[1]
غيّضن من عبراتهن وقلن لي ... ماذا لقيت من الهوى ولقينا

محلف أن لا يرد على أحد سلامه يومه إلا بالبيتين ونحوه

وليعضهم:

ولمّا تلاقينا جرت من عيوننا ... دموعٌ كففنا غربَها بالأصابعِ[2]

رأى الرشيدي كتابة في جدار قصر دجلة:

ومالي لا أبكي بعينٍ حزينةٍ ... وقد قرّبت للظاعنين حمولُ

وتحته مكتوب ايه ايه. فجعل يسأل أصحابه عن المكتوب تحته فلم يعرفوه فقال الربيع إنما أراد حكاية البكاء.

وقال آخر:

فلو أن خدّاً كان من فيض عبرة ... يرى معشباً لاخضرّ خدّي وأعشبا

قالت فاطمة بنت الأحجم:

كأنّ عيني لمّا أن ذكرتهم ... غصنٌ براح من الطّرفاء ممطورُ[3]

وقال آخر:

نبيت كأنّ العينَ أفنانُ سدرةٍ ... عليها سقيطٌ من ندى الطلّ ينطفُ[4]

- **جعلُ البكاء كسحابٍ وقطرٍ**

قال كثير:

كأنّ إنسانها في لجّةٍ غرق

وقال ابن الحاجب:

كأنّ السحاب الغرّ حشو جفونه ... إذا انهملت من عينه عبراتها

---

(١) **الوشل**: القليل من الماء، ومن وشل الماء سال وقطر، والوشول الضعف.

(٢) **كفّ الدمع**: منع انحداره ـ **الغرب**: النشاط والحدّة.

(٣) **الطرفاء**: ضرب من الشجر.

(٤) **الأفنان**: الأغصان جمع فنن ـ **السدرة**: واحدة السدر ـ **السقيط**: ما يسقط ـ **الندى**: الطل ـ **ينطف**: يقطر.

وقال الدمشقي:

علَّمتُ إنسانَ عيْني أن يعومَ فقد ... حازت سِباحَتُهُ في ماءِ دمْعتِهِ

● تشبيهُ الدمعِ بماءٍ يتصبَّبُ

قال شاعر:

فَعَيْناكَ غَرباً جدولٍ في مفاصِهِ ... كمرِّ خليجٍ في صفيحٍ مُنصَّب

وقال علقمة.

لِلْمَاء والنَّار في قلبي وفي كبدي ... من قِسْمةِ الشَّوْق ساعورٌ وناعورٌ[1]

● وصفُ الدمعِ بأنه يُسْتغنى به عن الماء لكثرته

لا أبتغي سقيا السحابِ لها ... في مقلتي خلفٌ عن السُّقيا

وقال ابن المعتمر.

مررتُ على الفُرَات وليس تجْري ... سفائِنُهُ لنُقْصانِ الفُرَات

فلمَّا أن ذكرتُكَ فاضَ دمعي ... فأجراهنَّ جَرْيَ الماصفاتِ

قال ابن طباطبا.

فمَا مدَّ واديكم ولان أديمُهُ ... ولكنني أمددْتُهُ بدُموعي

● الدموعُ المؤثرةُ في الخدود

قال إبراهيم بن المهدي

فلو أن حدّاً كان من فَيْضِ عَبْرةٍ ... يرى معشِباً لاخضرَّ خدي وأعْشبا

قال ابن حاجب.

وقد راحَ خدِّي من دماء مدامعي ... كأنَّ عليه هدبُ ثوبِ مُعَصْفَرِ[2]

● دموعٌ مؤثرةٌ في العينِ

قال بعضهم:

استبقِ دَمْعَكَ لا يُودي البُكاءُ بهِ ... واكفُفْ مدامِعَ من عينيك تَسْتَبِقُ

ليس الشؤونُ على هذا بباقِيَةٍ ... ولا الجُفون على هذا ولا الحَدَقُ

قال المتنبي:

كأنَّ جُفوني على مقلتي ... ثيابٌ شُقِقْنَ على ثاكِلِ[3]

---

(١) الساعور: النار ـ الناعور. الجرح يفور منه الدم

(٢) مُعَصفر: مصبوغ بالعصفر وهو أصفر اللون

(٣) الثاكل: من فقد ابنه.

● دمعه ممزوجٌ بالدمِ

قال شاعر:

مَزَجْتُ دموعَ العَيْنِ منّي يومَ بانُوا بالدّماءِ ... وكأنّما مَزَجْتُ بِخَدّي مُقْلَتِي خمراً بِماءِ

● استحسانُ الدمعِ على خدِّ المحبوبِ

قال المتنبي:

جَرَتْ عَبَرَاتٌ في الخُدود بأثمِدٍ ... فعادَ به الوردُ الجنيّ شَقَائِقَا[1]

وقال آخر:

فكأنّها والدّمعُ يقطرُ فوقها ... ذَهبٌ سِمْطَي لؤلؤٍ قد رصّعا[2]

● استجلابُ البكاءِ بذكرِ المحبوبِ

قال العباس بن الأحنف[3]:

وإذا عصَاني الدّمعُ في ... إحدى مُلِمّاتِ الخُطُوبِ

أجريتُه بتذكّري ... ما كانَ من هجْرِ الحبيبِ

قال أبو حيّة النميري:

آمُلُ أن أراه لَعَلّ جفني ... يُساوِدُهُ برؤيتِه كَرَاهُ

ويمنعُ ناظري تَنظرِي إليه ... خَيَالُ مُوارِبٍ لي مِن هَواهُ

● الاستعانةُ في البكاءِ بالغيرِ

نَزَفَ البكاءُ دموعَ عينكَ فاستعِرْ ... عيناً لغيرِكَ دمعُها مِدرارُ

مَن ذا يُعيرُكَ عينَهُ تبكي بها ... أرأيتَ عيناً للبكاءِ تُعارُ

ومثله

فهل مِنْ مُعيرٍ طرفَ عينٍ حميّةٍ ... فإنسانُ عينِ العامريّ كليمُ[4]

أخذه من ملح الهلالي:

ولتلتمِسْ عيناً سوى العينِ إذ ... ذهبَت بجاري دمعِكَ المترقرقِ

وقال آخر:

ولي كبدٌ مقروحةٌ من يبيعني ... بها كبداً ليسَت بذاتِ قروحِ

أباها على النّاسِ لا يشترونَها ... ومَنْ يشتري ذا علّةٍ بصحيحِ

---

(١) العبرات: الدموع - الإثمد: الكحل. (٢) السمط: العقد.

(٣) العباس بن الأحنف: شاعر غزل بغدادي كنيته أبو الفضل وله أخبار مع الرشيد كانت وفاته سنة (٨٠٨م).

(٤) إنسان العين: بؤبؤ - كليم: جريح

وقال آخر:

خليليَّ ألا تبكيا لي أستعنْ　　خليلاً إذا أنزفْتُ دمعاً بكى ليا

● الشكايةُ من انقطاعِ الدمِ

قال كثير:

أقولُ لدمعِ العينِ أمعِنْ لأنه　　سما لا يُرى من غائبِ الدّمع يَشْهَدُ

قال عليّ بن جميلة:

ولم أرَ مثلَ العيْنِ ضنّتْ بمائِها　　عليّ ولا مِثْلي على الدّمع يُحْسَدُ

قال آخر:

نزَفْتُ دَمْعِي وأزمَعتُ الرحيلَ غداً　　إذا رحلْتُ ودمعُ العيْنِ مكفُوفُ

ومما يقرب من هذا الباب في الاعتذار للدمع قول الوزير أحمد بن إبراهيم

لا تحسبينَ دمُوعي البيضَ غيرَ دمي　　وإنمّا نفَسي الحامي يصعّدُهُ

● اعتذارُ منْ أظهرَ البكاء

قال بعضهم:

أتتني تؤنّبني بالبكاءِ　　فأهلاً بها وبتأنيبها

وقالَتْ وفي قولِها حِشْمةٌ　　أتبكي بعينٍ تراني بها

فقلْتَ إذا استحسنْتُ غيركُمْ　　أمرتُ الدموع بتأديبها

وقال آخر:

ردّ الجموحِ الصّعْبِ أيسَرُ محملاً　　مِنْ ردّ دمْعٍ قد أراد مَسِيلا

وقال كشاجم

أطنّ دمْعِيَ مِثْلِي به كلِفاً　　مستأسراً في يدي محنتهْ[1]

● سترُ البُكاء

قال بشار لأبي العتاهية أنا والله أستحسن قولك في اعتذارك للدمع

كمْ مِنْ صَديقٍ لي أسا　　رِقُهُ البكاءَ من الحياءِ

فإذا تفطّنَ لامَني　　فأقولُ ما بي منْ بُكاء

لكنْ ذهبْتُ لارتدي　　فطرفْتُ عيْني بالرّداء

فقال أبو العتاهية ما لُذْتُ إلا بمعناك حيث تقول

وقالُوا: قد بكيْتَ فقلْتُ: كلا　　وهل يبْكي من الطَّرَبِ الجليدُ

ولكنْ قد أصيبَ سوادُ عيني　　بعودٍ قذًى له طرفٌ حديدُ

---

(١) كلفاً. تعلقاً وحباً شديداً

فقالوا ما لدمعهما سواء ... أكلتي مقلتيك أصاب عود

وقال :

ولما أبت عيناي أن تكتما البكى ... وأن تحبس فيض الدموع السواكب[1]

تثاءبت كي لا ينكر الدمع منكر ... ولكن قليلاً ما بقاء التثاؤب[2]

● إفصاحُ الدمعِ بالسرِّ

قال البحتري :

وحقُّ الذي في القلب منك فإنه ... عظيمٌ لقد حصَّنتُ سرَّك في سرِّي

ولكنما أفشاهُ دمعي وربما ... أتى المرء ما يخشاهُ من حيثُ لا يدري

قال المخزومي :

فإنْ يكُ سرٌّ قلبك أعجمياً ... فإنَّ الدمع تمَّامٌ فصيحُ

وقد استحسن للمتنبي قوله :

وتتهم الواشين والدَّمعُ منهمُ

وقوله :

وصاحبُ الدَّمعِ لا تُخفى سرائرُهُ

وقوله :

ومن سرُّه في جفنه كيف يكتمُ؟

قال أبو عيسى بن الرشيد :

كتمتُ هواهُ حتَّى فاضَ دمعي ... فصيَّرهُ حديثاً مستفاضا

وقال آخر :

ولولا الدموعُ كتمتُ الهوى ... ولولا الهوى لم تكُنْ لي دموعُ

قال أبو الفرج الدمشقي :

أنى لأخفي اشتياقي وهو مشتهرٌ ... من أين يخفى ودمعي صاحبُ الخبرِ

● سيلانُ الدموعِ من الوَجْدِ

قال بعضهم :

ماءُ المدامعِ نارُ الشوقِ تحدرُهُ ... فهل سمعتُم بماءٍ فاضَ من نارِ

قال ابن الرومي :

لا تعجبا أنَّ دمعاً فاضَ عن حُرَقٍ ... ماءٌ أفاضتْه نارٌ من مَراجِلِهِ

---

(١) الدموع السواكب : الجارية بغزارة .

(٢) المراجل : جمع مرجل وهو القدر أو الوعاء الكبير الذي يغلى به الماء .

● **الاستحسانُ للدمعِ من دفعِ الجَزعِ**

مِنْ أبدع ما فيه قول بشار:

وجَدْتُ دموعَ العيْنِ تجْري غروبُها ... أخفَّ على المحْزون والصَّبْرُ أجْمَلُ[1]

قال الرقاشي:

نِـعْـمَ مـعـونُ الـكَـمِـدِ الـبـكـاءُ

وبكى أعرابي فقيل له: في ذلك فقال: أما علمتم أن الدموع خفراء القلوب. قال الحسين بن وهب:

إبكِ فما أكثر نفعَ البُكا ... والحبُّ إشفاقٌ وتعليلُ

فهو إذا أنت تأمّلته ... حزنٌ على الخدّين مَحْلُولُ

قال ابن عباس كنت إذا خرجت أمتنع من البكاء حتى سمعت قول ذي الرمة:

لعلّ انحدار الدمع يُعقِب راحةً ... من الوجد أو يشفي نجيّ البلابلِ[2]

فصرت أشتفي من الوجد به. قال الموسوي

الدمع عونٌ لمن ضاقتْ به الحِيَلُ

وقال آخر:

وغصّةُ وجدٍ أظهرتْها فرقّهت ... حرارةَ حرٍّ في الجوانح والصَّدْر

● **قصورُ الأدمعِ في دفعِ الجَزَعِ**

قال ديك الجن[3]:

في قلبه نارُ شوقٍ ليس يُخمِدُها ... بحرٌ أحاط به للدمع مسجورُ[4]

وقال:

فوق خدّي لجّةٌ من دموعٍ ... يغرق الوجدُ بينها والسّلامُ[5]

كان بين الواثق وبين بعض جواريه عتاب فبكى وضحكت فقال: قاتل الله العباس بن الأحنف حيث قال

عذلٌ من الله أبكاني وأضحككم ... الحمدُ لله عذلٌ كلما صنعا

● **إزديادُ الوجْدِ بالبكاءِ**

قال أبو تمام يرد على من زعم أنّ البكاء يخفّف الوجد

أجدر بجمرةِ لوعةٍ إطفاؤها ... بالدمعِ أن تزدادَ طولَ وقُودِ

---

(١) الغروب: جمع غرب وهو مسيل الدّمع. (٢) البلابل: الخواطر.

(٣) ديك الجنّ: هو عبد السلام بن رغبان (٧٧٧ - ٨٤٩) شاعر عباسي من أهل حمص، من الشعراء المجيدين، له عدّة مرات في الحسين كانت له جارية محبوبة اتهمها بحبّ غلامه فقتلهما، ثم ندم

(٤) مسجور: مملوء وقوداً (٥) لجّة: شبيه بالبحر

قال المتنبي:

وكلما فاضَ دمعي غاضَ مُصطَبَري كأنَّ ما فاضَ مِنْ جفني مِنْ جلدي

وله:

وإذا حَصَلْتَ من السلاحِ على البكا فحشاكَ رُعْتَ به وخدَّكَ تَقرَعُ

قال محمد بن أبي زرعة:

مُدَتْ تشبُّ بِدَمعِها نارُ الهَوى من ذا رأى ناراً تشبُّ بماءِ

- **نفعُ البكاءِ وحَمْدُهُ**

قدم رجل من الخوارج إلى عبد الملك ليقتله فدخل على عبد الملك ابن له صغير وهو يبكي لضرب معلمه، فقال الخارجي: دعوه يبكي فهو أفتح لجرمه وأصح لبصره فقال له عبد الملك: ما شغلك ما أنت فيه عن هذا؟ فقال ينبغي للمسلم أن يشغله عن الخير شيء فمما عنه قيل لصمواد كثرة البكاء تورث العمى فقال. ذاك لهما شهادة. قال ابن نباتة.

تستعذبُ العينُ دمعي في مودّتِها كأنّما تمتريه العينُ مِنْ فيها[1]

- **كثرةُ البكاءِ واحمرارُ الدمعِ بالدمِ**

سمع أبو السائب قول جرير:

أن الذين غدوا بلبّك غادروا وَشَلاً بعينك لا يزال مَعينا[2]

غيّضن من عبراتهن وقلن لي ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا

فقال أتدرون ما التبغيض؟ قالوا: لا، فأشار بإصبعه إلى جفنه كأنه يأخذ الدمع لينضحه

- **الاستدلالُ بالدمعِ على فَرطِ الهوَى**

قال محمد بن وهيب:

يدلّ على أنّي عاشقٌ من الدمع مُستَشهِدٌ ناطقُ

قال ديك الجن:

زعَمتُم بأنّي قد سلوتُ وصالَكم فلِمْ ذرفتْ عيني ولِمْ شابَ مَفرِقي؟

وقال:

سِمَةُ الصَّبَابَةِ زَفرَةٌ أو عَبرَةٌ متكمّنٌ بهما حشا وشؤونُ[3]

---

(١) تمتريه: تستدره.

(٢) غادروا: تركوا - الوشل: البقية من الدمع - المعين: الذي تراه العين لأنه ظاهر.

(٣) الصبابة: الولع الشديد - العبرة: الدمعة.

قال أبو تمام:

ألـيـس دمـعـي وفـرطُ شـوقـي وطـولُ سـقـمـي شـهـودَ حُـبِّـي

وفي كتاب التملي في أخبار العشق قال رجل لامرأة: أنا والله أحبك، فقالت: ما حجتك؟ قال تدفعين لي قفير[1] دقيق فأعجنه بدمع عيني. قالت: فالحبر لمن؟ قال: في حرام عشق لا يساوي أربعة، فضحكت منه وواصلته

● ما قيل فِيمَنْ يَتَبَاكى

قال المتنبي:

إذا اشـتـبـهـتْ دمـوعٌ فـي خـدودٍ تـبـيَّـنَ مَـنْ بَـكَـى مـمَّـن تـبـاكـى[2]

قال ديك الجن:

وقـائـلـةٍ وقـد بـصـرت بـدمـعٍ على الـخـدَّيـن مُـنْـحَـدِرٍ سَـكُـوبِ

أتـكـذبُ فـي الـبـكـاء وأنـت خـلـوٌ قديماً ما جسرت على الذنوبِ[3]

قـمـيـصُـك والـدمـوع تـجـولُ فـيـه وقـلـبُـك لـيـس بـالـقـلـب الـكـئـيـبِ

شـبـيهُ قـمـيـص يـوسـف حـيـن جـاؤوا عـلـى لـبـاتـه بـدمٍ كـذوبِ

(٦)

وممّا جاء في الشوقِ والحنينِ والنُحُولِ

●

● احتراقُ القلبِ وحصولُ نارٍ فيه

قال أبو الطمحان:

هـل الـوجـد إلا أن قـلـبـي لـو دنـا من الجمر قيد الرمح لاحترق الجمرُ

قال العباس:

يـا قـابـسَ الـنـار قـد أعـيـت قـوادحُـهُ إقبسْ إذا شئت من قلبي بمِقْباسِ[4]

قال الخبزارزي:

بـقـلـبـي جَـمْـرٌ مـن هـواه فـإنْ أكُـنْ شكوتُ فهذا الوجدُ من ذلك الجَمْرُ

وقال:

وحقّ الـهـوى إنّي أحسّ مِنَ الـهـوى على كبدي جمراً وفي أعظمي رضا

(١) قفير دقيق: خبز غير مأدوم.

(٢) تباكى: تظاهر بالبكاء (صيغة تفاعل)

(٣) الخلو: الخالي الذي يخلو قلبه من لواعج الهوى

(٤) قبس النار: أوقدها

قال المتنبي:

جُرِّبْتِ من حرّ الهوى ما تنطفي ... نارُ الغضا وتكلّ عمّا تُحْرِقُ[1]

● **شدّة النفس**

قال خالد الكاتب:

نَفَسٌ تُذْعِي مسالكُه ... رأيتُ لستُ أملكُهُ

قال ذو الرمّة:

تعتادني زفراتٌ حين أذكُرُها ... تكادُ تنقدُ منهنّ الحيازيمُ[2]

قال المتوكل:

إذا زفراتُ الحبّ صَعِدْنَ في الحَشا ... وردْنَ ولم يوجدْ لهنّ طريقُ

● **الاستدلالُ بالنفسِ على الحالِ**

وقال مسلم:

وإذا بعثتُ إلى الهَوَى بَعَثَ الْهَوى ... نَفَساً يكونُ على الضمير دليلا

قال يعقوب: قد كتمتُ الهوى فنمّ عليّ النفس.

● **خَفقانُ القَلْبِ**

قال بعضهم: رأيت في بني عذرة شيخاً يتهادى **فقلت:** هل بقي من حُبّك بقية؟ **فقال:**

كأن قطاةً علقَتْ بجَناحها ... على كبدي من شدّةِ الخفقانْ

وأنشد لتوبة وقيل للمجنون:

كأن القلبَ ليلةَ قيل يُغْدى ... بليلى العامريّة أو يُرَاحُ

قطاةٌ عزّها شَرَكٌ فباتت ... تجاذبُه وقد عَلِقَ الجناحُ

قال بشار:

كأن فؤاده كُرةٌ تَنَزّى ... حذارَ البَيْنِ لو نَفَعَ الحَذَارُ[3]

وقال آخر:

كأنّ فؤادي في يدٍ عبثَتْ به ... محاذرةً أن يقصبَ الحبلَ قاصبُهْ[4]

قال ديك الجن:

كأن قلبي إذا تذكّرها ... فريسةٌ بين ساعدَيْ أسدِ

---

(١) **تكل:** تفتر وتعجز. (٢) **الحيازيم:** جمع حيزوم وهو وسط الصدر.

(٣) **تنزى:** تتوالى متتابعة ـ **الحذار:** اسم فعل بمعنى احذر.

(٤) **القاصب:** القاطع.

● **ضِيقُ القلبِ**

قال أبو الشيص:

كـأنّ بـلادَ الله فـي ضـيـقِ خـاتـمٍ ... علـيّ فـمـا تـزداد طُـولاً ولا عَـرْضَـا

قال العباس:

كـأن جـمـيـعَ الـنّـاس عـنـد صـدودكـم ... تـصـوَّر فـي عـيْـنـي سـوءُ الـمـقـاربِ

● **أخذُ الكبدِ باليدِ من خشيةِ التقطُّعِ**

قال بعضهم:

واذكـر أيـامَ الـحِـمـى ثـم أنـثـنـي ... علـى كِـبـدي مـن خـشـيـةٍ أنْ تـقـطّـعَـا

قال عبد الصمد بن المعذل:

مـكـتـئـبٌ ذو كـبِـدٍ حـرّى ... تـبـكـي عـلـيـه مُـقْـلَـةٌ عَـبْـرَى[1]

يـرفـعُ يـمـنـاه إلـى ربّـه ... يـدعـو وفـوق الـكـبِـد الـيُـسْـرى

● **تصدّع الكبد**

قال الأعشى:

وبـانـتْ وفـي الـصّـدْرِ صـدعٌ لـهـا ... كـصـدع الـزجـاجـةِ لا يـلـتـئـمْ

قال الخضري

وأنـك لـو نـظـرت فـدتـك نـفـسـي ... إلـى كـبـدي وجـدْتَ بـهـا صُـدُوعـاً

● **افتقادُ القلبِ**

قال الخبزارزي:

فـلـو كـان لـي قـلـبـان عِـشْـتُ بـواحـدٍ ... وأفـرَدْتُ قـلـبـاً فـي هـواك يُـعـذَّبُ

ولـي ألـفُ وجـه قـد عـرفـتُ مـكـانَـه ... ولـكـنْ بـلا قـلـبٍ إلـى أيـنَ أذهَـبُ؟

قال خالد الكاتب:

كـان لـي قـلْـبٌ أعـيـشُ بـهِ ... فـاصْـطَـلَـى بـالـحـب فـاحـتـرقـا[2]

● **البهوتُ لفرطِ الوجدِ**

قال بعضهم:

يومَ ارتـحـلْـتُ برحْلي قبْل بردعتي ... والـعـقـلُ مـثـلـه والـقـلْـبُ مـشـغـولُ[3]

---

(١) المقلة: العين ـ العبرى: العين الحزينة الدامعة ـ لا يلتئم الصدع: لا يلتحم، والصدع الشق في شيء صلب

(٢) اصطلى: احترق (٣) البردعة: الكساء الذي يلقى على ظهر الدابة

ثم انصرفتُ إلى نضوي لأبعثه ... إثر الحدوجِ الغوادي وهو معقولُ[1]

قال المائي:

تحسبه مستجماً منعِتاً ... وقلبُه في أمة أخرى

قال ذو الرمة:

عشيّةَ مالي حيلةٌ غير أنني ... بلَقطِ الحصى والخَطِّ في الأرض مُولَعُ

- **كثرةُ سُقمِ العاشِقِ**

قال كشاجم:

دموعي فيك أنواء غزارٌ ... وقلبي ما يقرّ له قرارُ

وكلّ فتى عليه ثوبُ سقمٍ ... فذاك الثوبُ مني مُستعارُ

- **المستدِلُّ بالجمادات والبهائم على الوجدِ**

قال كثير:

سلي البانةَ الغنّاء بالأجرعِ الذي ... بهِ البانُ هل حيّيتُ أطلالَ دارِكِ[2]؟

وهل قمتُ في أفيائِهن عشيّةً ... قيامَ أخي البأساء واخترتُ ذلكِ؟

قال جميل

يقولون ما أبلاكَ والمالُ غامرٌ ... عليك وضاحي الجلد منك كنينُ[3]

فقلتُ لهم لا تعذِلوني وانظروا ... إلى النازعِ المقصورِ كيف يكونُ

ونقل ذلك أبو تمّام فقال:

إنْ شئتَ أن لا ترى صبرَ المصطبرِ ... فانظُر إلى أيّ حالٍ أصبحَ الطَّلَلُ

- **المتحمِّلُ من الوجدِ ما تعجزُ عنه الجبالُ**

قال الحارثي:

لاقيتُ من حبِّها ما لو على جبلٍ ... يُلقى لطارَتْ شِقاقاً منه أفلاقُ[4]

قال عمرو بن براق:

ولو أنّ ما بي بالحصى فلَق الحصَى ... وبالرّيح لم يُسْمَع لهنّ هُبوبُ

---

(١) الحدوج: شدّ الأحمال على البعير ـ الغوادي: التي تخرج باكراً

(٢) البانة: واحدة البان وهو شجر معتدل القوام، يشبّه به القدّ لطوله

(٣) غامر عليك: أي موفور كثير ويغمرك. كنين: مستور

(٤) الشقاق: كسر الخروف ـ أفلاق: جمع فلقة، القطعة

● **شَجْوُ العاشِقِ**

يقال للعاشق هو أسخن عيناً ممن بات بين قبرين، وسوأ حالة ممن طوى يومين وليلتين، ذكر أعرابي عاشقاً فقال:

يثني طرفَ عيْنٍ قد قرّحت مآقيه ويحنو على كبدٍ قد أعيتْ مُداويها[1]

● **شكوى أحدِ المتحابين مقاساةُ شدّة من صاحبه**

كان بعض القسس يمر فسمع كلاماً حفياً من زقاق فإذا جارية تشكو إلى صديق لها ما لقيت فيه فقالت: أوعدوني وضربوني ومزّقوا ثيابي وفعلوا وصنعوا وهو ساكت لا يتكلم فقال القسيس حدره فأخذ وخلى عن المرأة ثم قال للرجل إنها تقص عليك ما لاقت فيك فلِمَ كنت ساكتاً؟ فقال: أصلحك الله لم ألق فيها شكوى ولم أكذب فأمر به فضرب خمسين درة وقال ارجع فاشك إليها ما لاقيته فيها. قال المجنون:

أعدُّ الليالي ليلةً بعدَ ليلةٍ وقد عشتُ دهراً لا أعدُّ الليالي

● **الخَجلُ مِمَّنْ حصلَ منه اليأسُ**

قال بعضهم:

وإنّي لا يحول الناي وُدّي ولو كنا بمُنقطَعِ التُراب

قال المتنبي:

أحنّ إلى أهلي وأهوى لقاءهم وأين من المشتاق عنقاء مغرب[2]

● **إظهارُ التشوقِ في القربِ والبعد**

كتب عبد الله بن عباس إلى أحمد بن يوسف جعلت فداك لا أدري كيف أصنع أغيب فأشتاق ثم نلتقي فلا أشتفي يجدد لي اللقاء الذي يدفع به الشفاء حرقة مثل لوعة الفرقة. سأل المهدي عن أنسب بيت فقيل له:

وما ذَرَفَتْ عيناكِ إلا لِتَضرِبي بسَهمَيكِ في أعشارِ قلبٍ مُقَتَّلِ[3]

فقال هذا أعرابي قح، فقيل:

أريدُ لأنسى ذكرها فكأنما تمثّل لي ليلى بكلّ سبيل

فقال: ما هذا بشيء ولم يريد أن ينسى ذكرها؟ فقيل قول الأحوص

إذا قُلْتُ أني مشتفٍ بلقائِها فحم التّلاقي بيننا زادني وَجْدَا

---

(1) قرّحت: جرحت ـ المآقي: مجاري الدمع من العين.

(2) عنقاء مغرب: طائر مجهول لم يوجد كناية عن بطلان الشيء.

(3) بسهميك: أي بسهمي عينيك.

فقال: أحسنت. قال المتنبي:

وبين الرِّضا والسخْطِ والقرْبِ والنّوى ... مجالٌ لدمعِ العاشقِ المترَقْرِقِ

وهذا اختصار قول الآخر:

وما في الدّهرِ أشقى من مُحبّ ... ولو وجد الهوى حُلو المَذاقِ

تراهُ باكياً في كلّ حينٍ ... مخافةَ فرقةٍ أو لاشتياقِ

فيبكي إن نأوا شوقاً إليهم ... ويبكي إن دنوا خوف الفراقِ

فتسخن عينُهُ عند التنائي ... وتسخُنُ عَيْنُهُ عند التلاقي

وقال بعض الكتاب تَفَكُّري في مرارة البين يمنعني التمتع بحلاوة الوصل، وتكرهُ عيني أن تقرّ بقربك مخافة أن تسخن ببعدك، فهي عند الاجتماع كمد ترجف، وعند التلاقي مقلة تكف.

● إظهارُ الشوقِ في حالِ الوَصْلِ

قال شاعر:

قالوا ظفرتَ بمَن تهوى فقلتُ لهم ... الآن أشرف ما كانتْ صَبَاباتي[1]

لا عذرَ للصبّ أن تهدى جوارحه ... فكيف تطعمُ قرةً بالمُواتاةِ

● متطبِّبُ داءِ الهوى

أنشد لعروة بن حزام:

جعلتُ لعرّافِ اليمامةِ حكمَهُ ... وعرّاف نجد إنْ هُما شفياني[2]

فما تركا لي رقيةً يعرفانها ... ولا سقيةً إلا وقد سقَياني

فقالا شفاكَ اللّهُ واللّهِ ما لَنا ... بما ضمنَتْ منكَ الضّلوعُ يَدانِ

قال ديك الجن:

جَسّ الطبيبُ يدِي جهلاً فقلْتُ له ... إنّ المحبّةَ في قلْبي فخلِّ يدِي

وقال آخر

وقالُوا بهِ من أعيُنِ الجِنّ نظرةٌ ... ولو صدَقوا قالُوا به نظرةُ الأنسِ

وقال آخر:

قال الطبيبُ لأهلي حينَ أبصرَني ... هذا فتاكُم وحقّ الله مَسْحُورٌ

فقلتُ ويحك قد قاربْتَ في صفَتي ... وجهَ الصواب فهلاّ قلْتَ مهجورٌ

---

(١) الصبابات: جمع صبابة وهي لوعة الحب وشدّة الحنين والشوق إلى المحبوب.

(٢) العرّاف: المنجم ـ اليمامة ونجد: من أقاليم جزيرة العرب

فقال مالي بعلم الغيب معرفة ... فقلت: إن دليل الحب مشهورُ
فَيضُ الدموعِ وأنفاسٌ مصعّدةٌ ... وضربة في الحشا والقلب مأسورُ

- **افتقادُ الصّبرِ في الهوى**

قال الصنوبري:

وما صبْري أمامةُ عنكِ إلا ... كصبْر الحوتِ عن ماءِ الفُراتِ

قال أحمد بن أبي فنن:

لئِنْ ظلّ مِنْ وَجدِهِ مثرياً ... لقدْ ظلّ من صبْره مُفْلِسَا

وقال

لمْ أقبل النصيحةَ بالشُّكْرِ ... غشّتْ بالحبّ ولم أدْرِ
حتّى إذا باشرتُ أهوالَه ... وصِرْتُ مغلوباً على أمْري
عذْتُ بصبرٍ فوجدْتُ الهوى ... قد غلبَ الحبّ على صبْري

- **متصبّر كرهاً**

قال أبو العتاهية

صبَرْتُ ولا والله مالي جلادةٌ ... على الصبر لكنّي صَبَرْتُ على الرغْمِ

- **استقباحُ الصبرِ في الهوى**

قال أبو تمام

الصبْرُ أجْمَلُ غيرَ أن تلدّدا ... بالحُبِّ أحرى أن يكون جميلا
أتظنّني أجدُ السبيل إلى العزا ... وجدَ الحِمام إذاً إليّ سبيلا

قال عمر بن أبي ربيعة:

وإنّ كثيرَ الحزن ما لم أرِدْ به ... حياضَ المنايا بعده لقليلُ

وقال آخر:

الصّبْر إلاّ في هواكَ جميلُ

- **معاتبةُ مَنْ لم يُضْنِهِ الهوى**

رُوي أنّ رجلاً مرّ ببشار وهو مستلق على قفاه بدهليزه كأنه فيل، **فقال:** يا أبا معاذ إنك تقول أن في بردي جسماً بالياً، لو توكأت عليه لانهدم وأنت لو أرسل الله الريح التي أهلكت عاداً عليك ما زعزعتك ونحوه وإن لم يكن من بابه أن أعرابياً مرّ برجل **فقال** من هذا؟ **فقيل:** عابد فرأى رقبة غليظة وكدنة متناهية **فقال:** إنّ له رقبة ما أرى العبادة وقصتها ونحوه رأت أعرابية رجلاً بضّ البدن **فقالت:** أرى وجهاً لم يؤثر فيه وضوء الصلاة.

● **الناحلُ الجسْمِ في الهَوَى**

قال بعضهم:

سلبت عظامي لحمَها فتركتَها ... مجرّدةً تضحي إليك وتخصرُ
وأخليْتَها من مخّها فكأنّها ... قواريرُ في أجوافِها الريحُ تصفرُ[1]

قال المتنبي:

فبلحظِها نكرَتْ قناتي راحتي ... ضُعْفاً وأنكرَ خاتماي الخِنْصِرا[2]

وقال آخر:

خذي بيدي ثم انهضي بي تبيّني ... بي الضرّ إلا أنني أتعثّرُ

● **مَنْ تناهى في الهُزالِ حتى صار كخلالٍ أو هلالٍ**

قال المتنبي:

بجسمي مَنْ برتْه فلو أصارَت ... وشاحي ثقبَ لؤلؤةٍ لجَالا[3]
ولولا أنني في غيرِ نومٍ ... لكنتُ أظنّني منّي خيالا

وقال:

دونَ التعانقِ ناحلَين كشكلَتي ... نصبٍ أطالهما ودقَّ الكاتبِ

ونحوه لابن المعتز

كأنّما جسمي إلى جسمِها ... قضيبانِ ذا غضٌّ وذا ذابلُ

قال آخر:

فلو أنّ ما أبقيتِ منّي معلّق ... بعودِ ثمامٍ ما تأوّدَ عودُها

قال الخبزارزي:

وذبتُ حتى صرتُ لو زُجَّ بي ... في مقلةِ النائمِ لم يتنبّهْ
قدْ كانَ لي قبلَ الهوى خاتَمٌ ... والآن لو شئتُ تمنطقتُ بِه

● **مَنْ تسقطهُ الريحُ لنحافته**

قال مانِي:

ها أنا ذا يُسقِطني للبلى ... عن فرشي أنفاسُ عُوّادي[4]

---

(١) **القوارير:** جمع قارورة وهي الكأس الزجاجية ـ الأجواف: جوف الشيء: باطنه.

(٢) **قوله بلحظها:** أي بلحظي إياها يمحق هزاله بسبب الفراق وكيف أنكرت قناته يده لضعفها كما أنكر خاتمه خنصره

(٣) **برته:** أذابته

(٤) **العواد:** زوار المريض، جمع عائد

قال المجنون:

ألا إنّما غادرتِ يا أمّ مالكٍ صدى أينما تذهب به الريح يذهبِ

قال ديك الجن:

ألست تري الضنى لم يبقِ منّي سوى شبحٍ يطيرُ بكلّ ريحِ

من لم يَبْقَ إلا حركاته وكلامه قال العباس:

لولا الكلامُ لمَا اهتدَتْ عينُ الجليس إلى مكاني

وقال آخر.

أنظر إلى جسمٍ أضرّ به الهوى لولا تقلّبُ طرفه دفنتُوهُ

- **من لا يُسْتَبان لنحافته**

قال بعضهم:

شبحٌ قلّ فمَا يشغلُ قطراه مكانا

قال أبو نواس:

تركت جسمي قليلاً من القليل أقلا

يكادُ لا يتجزا أقلُّ في اللفظ مِنْ لا[1]

قال أبو الفضل بن العميد:

لو أنّ ما أبقيت من جسدي قذى في العَيْن لم يمنعْ منَ الإغفاء[2]

قال ديك الجن

ولو أن أحداثَ الزمان أردْنَني بخيرٍ وشرٍ ما عرفْنَ مَكاني

- **الشاكي ذهابَ علّته لذهابِ جسمِهِ**

قال المتنبي:

وشكيّتي فقْدُ السّقامِ لأنّه قدْ كانَ لمّا كانَ لي أعضاءُ

وله:

وخيالُ جِسْمٍ لم يخلِ لهُ الهوى لحماً فينحله السّقامُ ولا دَما

- **استطابة المرض والسهر لكونهما من الحبيب**

قال ديك الجن:

لا أوحشَتْكَ ما استحملْتُ من سَقمي فإنّ منزلَه بي أحسنُ الناسِ

قال الأخيطل:

إنّ من أسهرْتَ ليلتَه لقريرُ العينِ بالسّهَرِ

---

(١) يتجزا: مخفف يتجزأ (٢) الإغفاء: النوم.

قال الرستمي:

وإنّي لأهوى الشيْبَ من أجْل أنّه　　وإن نفرَتْ عيْني له من فعَاله

(٧)

وممّا جاءَ في السهرِ وطولِ الأزمنةِ

•

● وجوبُ السهر لِمَنْ كان عاشقاً

يُستَحْسَنُ في هذا المعنى قول أبي سعيد بن فوقة

نسيتُ الهُجودَ لذكرَاكُم　　وما للمشوق وذكر الهجودِ[1]

ومن الكبائر عاشق يغفي

قال منصور النميري:

الحزن منفاةٌ لضيْف الرقادِ

● المتقلّبُ على فراشِهِ

قال أشجع:

إذا الليلُ ألبسني ثوبَه　　تقلّبتُ فيه فتى موجَعْ

قال ديك الجن:

ألستَ ترَى الضنا لم يُبْقِ منّي　　سوى شبَحٍ يطيرُ بكلّ ريحِ

قال أبو العتاهية:

أبيتُ كأنّي في الفراش على مُقْلِي[2]

● من لا ينطبق جفنُهُ مِنَ السهر

قال المتنبي:

بعيدة ما بيْنَ الجفونِ كأنّما　　عقدتُم أعالي كُلّ هدبٍ بحاجبِ

أخذ ذلك من بشار حيث يقول:

جَفَتْ عَيْني عن التغميض حتّى　　كأنَّ جفونَها عنها قِصَارُ[3]

كأنّ جفونَها حزَمَتْ بشوْكٍ　　فليس لنومةٍ فيها قرارُ

---

(١) الهجود: النوم بالليل.　　(٢) المقل: العيون، جمع مقلة

(٣) جفت عيني عن التغميض: أي امتنعت عن النوم وبقيت ساهدة.

ونحوه لجميل:

كأن المحبَّ قصيرُ الجفونِ   لطول النهارِ ولم تقصُرِ

ويستحسن للمتنبي:

كأن الجفونَ على مقلتي   ثيابٌ شُققنَ على ثاكِلِ[1]

● مَنْ فارقَهُ النومُ حتى نسيهُ

قال العباس بن الأحنف:

قفا خبراني أيها الرجُلان   عن النوم إن الهجر عنه نهاني
وكيف يكونُ النومُ أم كيفَ طعمُه   صفا النوم لي إن كنتما تصفانِ
وأني لمشتاقٌ إلى النوم فاعلَما   ولا عهد لي بالنوم منذُ زمانِ

وقال آخر

حدثوني عن النهار حديثاً   أو صفوه فقد نسيتُ النهارا

● من ذكر أن ليله كأنما وصل بليلٍ لطوله

قال بشار:

وطال عليَّ الليل حتى كأنَّه   بليلين موصولٌ فلا يتزحزحُ

وقال سربلة بن كاهل

وإذا قلتُ ظلامٌ قد مضى   عطف الأولُ منه فرجعْ

قال أبو كثير

وأني إذا ما الصبحُ آنستُ ضوءه   يعاودني قطع عليَّ ثقيلُ

وقال آخر

في الليل طول تناهى العرض والطول   كأنما ليلُهُ بالليل موصولُ
لا فارق الصبح كفّي إن ظفرتُ به   وإن بدت غرةٌ منه وتحجيلُ[2]
لساهر طال في صولٍ تململهُ   كأنه حيّة بالسوط مقتولُ

● مراقبةُ النجومِ من السهرِ

قيل لأم الهيثم بنت الأسود ما حالك؟ فقالت:

تجافى مضجعي وثبا سهاري   وليلي ما يقرّ من السهادِ[3]
أراقبُ في السماء بنات نعش   ولو أستطيع كنت لهنّ حادي[4]

---

(١) يقول: كأن جفوني شُقّت لفقلهم كما تشق الثاكل ثوبها من الحزن، محصوبه لا تلتقي النوم.

(٢) تحجيل: خجلت المرأة سابتها   (٣) ما يقرّ: لا يطمئن - السهاد: الأرق.

(٤) بنات نعش: سبعة كواكب جهة القطب وهناك بنات نعش الكبرى والصغرى

قال ابن دريد:

لقد أَلِفَتْ دهمُ النّجوم رعايتي ... فإن غبتُ عنها فهي عني تُسائِلُ

يقابل بالتسليم منهنّ طالعٌ ... ويومئ بالتوديع منهنّ آفِلُ

● **المستشهِدُ بالنجومِ لسرِّه**

قال الناشىء:

سلِ الليلَ عنّي كيف أرعى نجومَهُ ... فإنّ الليالي يطّلعنَ على سرّي

وقال:

سلِ الليل عنّي ما لقيتُ ومن لقي ... بهجركُم أنّي بحبّكم أشقى

● **تحيّر النجوم وامتناعُها من الغيبِ**

قال النابغة[1]:

وليلٍ أقاسيه بطيءِ الكواكبِ

قال امرؤ القيس[2]:

فيا لكَ من ليلٍ كأنّ نجومَه ... بكلّ مغار الفتل شُدّتْ بيَذبلِ[3]

قال المتنبي:

ما بال هذي النجوم حائرةً ... كأنّها العُمْي ما لها قائدُ

وقال:

أُكابدُ هذا الليل حتّى كأنّه ... على نجمه أن لا يغور يمينُ

وقال قدامة أنشدني عبد الله بن المعتز

عسَى شمسُه مسحت كوكباً ... فقد طلعتْ في عدادِ النجومِ

فقلت: عيرت في وجه امرىء القيس إذ يقول وبين البيت فقال: لا ولا في وجه ابن طباطبا إذ يقول:

كأنّ نجومَ الليل سارت نهارَها ... وعادت عِشاءً وهي أنضاءُ أسفارِ[4]

---

(١) النابغة: (توفي نحو ٦٠٤) من فحول شعراء الجاهلية وكان حكم الشعراء في سوق عكاظ. واتصل بملوك المناذرة والغساسنة. أسخط النعمان أبا قابوس لاتهامه بالمتجرّدة فلجأ إلى ملوك غسّان. أشهر شعره «الغسانيات» و «الاعتذاريات».

(٢) امرؤ القيس: (٥٠٠ ـ ٥٤٠) هو امرؤ القيس بن حجر. وُلد في نجد وأمه فاطمة بنت ربيعة. نشأ في الترف واللهو في بلاط أبيه أمير كندة طرده أبوه فعاش الشطر الثاني من حياته مشرداً مع بعض أصحابه. وقام ليثأر لأبيه القتيل. ورجع من بيزنطية خائباً وأصيب بمرض ومات في الأناضول ودفن عند جبل يقال له عسيب (٥٤٠م). اعتبر شعره مثالاً للجاهلية في نوعيه البدوي والحضري. والمعلقة الأولى بين المعلّقات.

(٣) يصف امرؤ القيس ليلاً طويلاً ويبدو له أنه لطوله كأنّ نجومه شُدّت بحبال وربطت إلى جبل يذبل.

(٤) أنضاء: جمع نضو وهو الثوب البالي، وأنضاء أسفار أي هزيلة من كثرة السفر.

فخَيّمنَ حتى يستريح ركابُها فلا فلكٌ جارٍ ولا كوكبٌ سارِ

● تباطؤ الصبح

قال جحظة البرمكي:

وليلي في كواكبه حِرانُ فليس لطولِهِ منه انقضاءُ
عدمتُ محاسن الإصباح فيه كأن الليلَ جودٌ أو وفاءُ(1)

● مقاساةُ الهمِ بالليلِ والاستراحة بالنهار

قال ابن الدمينة:

أقضي نهاري بالحديث وبالمُنى ويجمعني والهمّ بالليل جامعُ

قال الموصلي:

إن في الصبحِ راحةً لمحبٍّ ومع الليلِ ناشئاتُ الهمومِ

وأصله للنابغة:

وصدرٍ أراح الليلُ عازبَ همِّه تضاعفَ فيه الحزنُ من كلِّ جانبِ(2)

● قلةُ المبالاةِ بطولهِ لدوامِ الهمّ

قال امرؤ القيس:

ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا انجلي بصبحٍ وما الإصباحُ منك بأمثلِ

قال الصولي:

وطولتُ ليلي لو دريتُ بطوله ولكنه يخفى لما بي ولا أدري
تشابه ليلي واستمرّ بي الهوى فمن لي بنفسٍ تستريحُ إلى الغدرِ

● الجهلُ بحالهِ في ليلهِ

قال خالد الكاتب:

لستُ أدري أطالَ ليليَ أم لا كيف يدري بذاك من يتقلّى
لو تفرغتُ لاستطالةِ ليلي ولرعيِ النجومِ كنتُ مُخلّى

● من ذكر طول ليلهِ وقصر ليل محبوبهِ

قال العباس:

نام من أهدى ليَ الأرقا مستريحاً سامني قلقا

(1) الرفاء: الاتفاق، يقال بالرفاء والبنين وهو دعاء بالالتئام والوفاق للمتأمل
(2) الهم العازب: البعيد.

لـو يـبـيـت الـنـاسُ كـلُّـهُـمُ ... بـسـهـادي بَـيَّـضـوا الـحـدَقَـا
أنـنـا لـسـم أَرْزَقْ مـودّتـكـم ... إنـمـا لـلـعـبـدِ مـا رُزِقَـا

وقال :

كـلّ مـنْ نـام لـعـمـري ... يـحـسـبُ الـنـاسَ نـيَـامـا

وقال :

شكونا إلى أحبابنا طولَ ليلنا ... فقالوا لنا ما أقصرَ الليلَ عندَنا

● مَنْ ذكَر أن الهمومَ طولت ليلَهُ

قال بشار :

كأنَّ الدجى طالَ وما طالَ الدّجى ... ولكنْ أطالَ الليلَ همٌّ مبرِّحُ

وقال .

أقولُ في الليلِ وفي طولِهِ ... قولَ امرئٍ بالليلِ طبٌّ بصيرُ
يطولُ الليلَ مراعاتُهُ ... فكلّ أمر لا يراعى قصيرُ

قال ابن بسام .

لا أظلمُ الليلَ ولا أدّعي ... أنّ همومَ الليلِ ليستْ تغورُ
ليلي كما شاءت فإن لم تزرْ ... طالَ وإن زارتْ فليلي قصيرُ

قال المتنبي :

ليالِيَّ بعدَ الظاعنينَ شكولُ ... طِوالٌ وليلُ العاشقينَ طويلُ
يبينَ لي البدرُ الذي لا أريدُهُ ... ويخفينَ بدراً ما إليهِ سبيلُ

● استقصارُ وقتِ الفرحِ واستطالةُ ضدِّهِ

قال العبّاس :

ألا إنّ أيامَ البلاءِ على الفتى ... طوالٌ وأيامَ السرورِ قِصارُ

قال بشار :

وللدهرِ أيامٌ قِصارٌ إذا سرّت ... بخيرٍ ويومُ الحزنِ منه طويلُ

● استطالةُ النهارِ

قال شاعر :

يا طولَ يومي بالكثيبِ فلم تكدْ ... شمسُ الظهيرةِ تتّقى بحجابِ

قال أبو تمام :

بيومٍ كطولِ الدّهرِ في عرضِ مثلِهِ ... ووجدي من هذا وذاك أطولُ

وقال:

يكونُ كالشهر عندي في تطاوله ... اليومِ لم أرَهُ فيه ولم يَرَني

قال الأصمعي لأصحابه: أتعرفون شعراً استطال يوم اللقاء؟ قالوا: لا. قال هو ثوبة حيث يقول:

لكلِّ لقاءٍ نلتقيه بشاشةٌ ... وإن كان حولاً كُلُّ يومٍ أزورُهَا[1]

فسكتوا فقال: يريد يوماً يقوم مقام حَوْلٍ في السرور.

- **المستقصر ليله لكونِهِ في السرورِ**

قال الكاذوسي:

نهار كشبر الذر أو هو دونه ... وليْلٌ كإبهامِ القَطاة قصيرُ[2]

قال ابن طباطبا:

يا لذّتي بعناقِ مَنْ ... رؤى فمي رشفاً ولثما[3]

في ليلة ضمّت على ... جنحِها العريبُ ضمّا

فلو استطعتُ جعلت بيـ ... ن ظلامها والصبح ردْما[4]

قال علي بن عاصم:

سقياً لأيامٍ لنا ولياليٍ ... قصُرَ الحيالُ طولَها بوصالِ

ما كان طولُ سرورِها لما انقضَتْ ... إلاّ اكتحالَ متيّمٍ بخيالِ

قال إبراهيم بن العباس:

وليلةٍ إحدى الليالي الزهر ... قابلتُ فيها بدرَها ببدر[5]

حتّى تولّت وهي بكرُ الدهرِ

وقال:

ليلةٌ كادَ يلتقي طرفاها ... قِصَراً وهيَ ليلةُ الميلادِ

- **مدحُ السهَرِ بالليلِ وتركِ النومِ**

قد أثنى الله تعالى على قوم فقال: كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وقال لنبيه ﷺ: ومن الليل فتهجد به نافلة لك، قال كشاجم:

وليلك شطرُ عمرِك فاغتنمهُ ... ولا تذهب بشطرِ العمرِ نوماً

---

(1) الحول: العام.
(2) القطاة: طائر بحجم الحمام.
(3) اللثم: التقبيل.
(4) الردم: السدّ.
(5) بدر (الأولى): بدر السماء ـ بدر (الثانية): وجه المحبوب.

وقال:

تــركْــتُ الــنــوم لــلــنــوّا | م إشــفــاقــاً عــلــى عــمْــري

قال ابن نباتة:

فتى يتجافى قلّة النوم جفنُهُ | كأنّ لذيذ النوم في جفْنه قذى
أطَرْفُكَ ساهٍ أم فؤادكَ عاشقٌ | يعارُ على عينيْك من سِنة الكَرَى[1]
ومن سَهِرَتْ في المكرُماتِ جفونُهُ | رعى طرفُه في جوفها أنجمُ العلى

ولبعض القدماء

يبيت مسهراً يرعى الهُوَيْنا | إذا ما النومُ عانقَهُ الدُّثُورُ[2]

ابن المعتز:

أنا منْ تعلمون أسهَرُ للمجْد | إذا غطَّ في الفِراش لئيمُ

وفي تركه أي النوم، قال شاعر

ولذ كطعم الصبر خدي طرحتُه | عشيةَ خمس القوم والعينُ عاشقَهْ

وقيل سورة النوم والجوع والعطش ساعة فإذا صبرت تجاوزتك وصدّه قلة النعاس تذهب بالعقل والنوم يزيد فيه

- **الممدوحُ بقلّةِ النومِ**

قال شاعر في ابنه:

أعرف منه قلّةَ النعاسِ | وخفّةً في رأسه من راسي

وفي الذئب:

ينامُ بإحدى مقلتَيْه ويتّقي | بأخرى المَنايا فهو يقظانُ هاجِعُ

- **المُستولَى عليه النومُ**

قيل أنومُ من فهد:

ومعرّس نبّهتُهُ من نومِهِ | فكأنّما نبّهتُ فهد البيد

أبو نواس:

كأنّ أرؤسَهم والنومُ واضعُها | على المناكبِ لم تعمد بأعناقِ

وقيل: أصل النوم كثرة الشرب وكثرة الشرب من كثرة الأكل.

---

(١) الكرى: النوم.

(٢) الدّثور: مصدر دثره غطّاه بالدثار وهو الثوب الذي يستدفأ به، والدّثور الكسلان

● مَن دَلَّتْ هيئتُهُ على سهرِهِ

قال إبراهيم بن العباس:

عيناكَ قد حكتا مبيـ ... ـتك كيفَ كنتَ وكيفَ كانا
ولربَّ عينٍ قد أرَ ... تك ضميرَ صاحبِها عَيانا

وقال:

جفونُك مقبلةٌ باتخة ... تحدّثُ عن ليلةٍ صالحه
ونومُك بعد صلاةِ الغداة ... دليلٌ على سهرِ البارحه

(٨)
ومِمّا جاء في الوشايةِ والعَذْلِ

●

● النهيُ عن الإصغاءِ إلى الواشي

قال بعضهم:

من جعل النمّام عيناً هلكا ... فمن بلغ السوء كباغيه لكا

وقال الحارث المخزومي

إن الوشاةَ قليلٌ إن أطعتَهمُ ... لا يرقُبون بنا إلاًّ ولا ذِمَمَا[1]

وهو كقولهم من شتمك؟ فقال: الذي بلّغك.

● بُغضُ المتصلين بالحبيب

قال الحارثي

فيا بعلَ ليلى كمْ وكم بأذاتها ... هدمتَك من بعل تطيل أذاتي
بنفسي حبيبٌ حال بابك دونه ... تقطع نفسي إثره حسراتي

قال عبد الصمد:

لي حبيبٌ أضرّ بي ما أقاسي ... من فتورٍ به ويبغض أخيه
لي موتان من هوى ذا ومن ... بغضي لهذا فليس لي من شبيه

● قلةُ المبالاةِ بالناس في تعاطي الشهواتِ

قال بشار:

من راقبَ الناس لم يظفرْ بحاجته ... وفاز بالطيبات الفاتكُ اللَّهِجُ[2]

---

(١) الإل: العهد والأصل الجيد، والإل القرابة.

(٢) اللهج: المثابر.

ولمّا قال سلم الخاسر:

مــن راقــبَ الــنــاس مــات غــمّــاً ... وفــاز بــالــلــذة الــجــســور[1]

قال بشار: ذهب والله بيتي فهو أخف منه وأعذب لا أكلت اليوم ولا شربت، ولما ولي يزيد بن عبد الملك بن مروان الخلافة أراد أن يتشبه بعمر بن عبد العزيز فشق على حبابة فأرسلت إلى الأحوص وقالت أنشده:

ألا لا تــلــمْــه الــيــومَ أن يــتــبــلّــدا

فلما بلغ

هــل الــعــيْــش إلا مــا تَــلَــذُ وتــشــتــهــي ... وإنْ لامَ فــيــه ذو الــشّــنــار وفــنّــدا[2]

قام يزيد وهو يقول: هل العيش (البيت) حتى دخل على حبابة.

● من تشكك رقيبه في غير محبوبه

قال العباس بن الأحنف:

قد سحب الناسُ أذيالَ الظّنون بنا ... وفرّق الكلُّ فينا قولَهم فرقًا

فكاذبٌ قد رمى بالظنّ غيرَكُمُ ... وصادقٌ ليس يدري أنّه صَدَقا

وقال آخر

قومٌ رَموا غيرَ من أهوى بظنّهم ... والآخرون أصابوه وما شعرُوا

● المسرّةُ بغيبة الرقيب والتمكّنُ منَ الحبيب

غــاب الأمــيــرُ أدامَ اللهُ نــعــمــتَــهُ ... وغــاب هــمٌ كــفــانــي اللهُ هــيــبَــتَــهُ

غــابــا وقــد غــادرا لــصّ الــهــوى فــرِحاً ... بــنــيــلِ مــا كــان يــشــكُــو مــنــه خَــيبَتَهُ

لــمّــا تــمــكّــنــت مــن بــزّ لأســرقــه ... هربت خَوْفاً وما حركت عيبَتَهُ[3]

● النّدمُ على الإصغاءِ إلى المذّالِ

تــكــنّــفــنــي الــوشــاةِ فــأزعــجــوهــا ... فــيــا لــلّــه لــلــواشــي الــمُــطــاعِ

فــأصــبــحْــتُ الــغــداةَ ألــومُ نــفــســي ... عــلــى شــيء ولــيْــس بــمــســتــطــاعِ

كــمــغــبــونٍ يــعــضّ عــلــى يــديــه ... تــبــيّــن غــبْــنَــه بــعْــدَ الــبــيــاعِ[4]

قال تاج الكتاب:

وإنّــي غــداةَ ســكُــوتــي إلــى ... مــقــالِ الــرقــيــب وهَــجْــر الــسكَــنِ

كــمَــنْ شــرب الــســمّ جــهْــلاً بــه ... ولــم يــدرِ مــا فــعــلُــه فــي الــبَــدَنِ

---

(1) الجسور: ذو الجراءة.

(2) الشنار: العار ـ فنّد: الفند: الكذب.

(3) البزّ: الثياب، أو السلاح.

(4) عض على يديه: ندم. الغبن: الخسارة في البيع.

● مَنْ كذب الواشي فيما ادّعى عليه من الهوى وصدقه

قال توبة[1]:

رمَاني وليلى الأخيليّة قومُها ... بأشياء لم تُخلَقْ ولم أدرِ ماهيا

وقال:

وماذا عَسى الواشون أن يتحدّثوا ... سوى أن يقولوا إنني لك عاشقُ[2]

نعمْ صدقَ الواشون أنتِ كريمةٌ ... علينا وإن لم تصفُ منك الخلائقُ

● الدعاءُ على العاذِلِ

قال مورق العقيلي:

فمَن لامني في أن أهيمَ بذكرِها ... فكلفَ من وجْدي بها ما أكلفُ

قال كثير:

وسعَى إليّ بعيب عزّة نسوةٌ ... جعلَ الإله خدودَهنّ نِعَالَها

قال ابن طباطبا:

هو الحبيبُ الذي نفسي الفداءُ له ... ونفسُ كلّ نصيحٍ لامني فيهِ

● عليّ يلومُ شجيًا

قال النميري:

أصبحْتَ تلحاني ولا تدري ... كيف اعتراني الهمُّ في صدْري

لو كنتَ في صدري وباشرْتَ ما ... يلقَى لسارعْتَ إلى عُذْري

وقال آخر:

ووالله لو أصبحتَ من ملّة الهوى ... لأقصرتَ عن عذلي وأسرَعتَ في عُذْري

ولكن بلائي منكَ أنّك ناصحٌ ... وأنّك لا تدري بأنّك لا تدري

● مخالفةُ العذالِ

قال أحمد بن سليمان بن وهب: قال لي أبي يا بني قد عزمت على معاتبة عمك الحسن بن وهب في هواه فلانة فقد اشتهر بها وافتضح فأعنّي عليه. فواتيناه فكان من جملة ما قال له أبي: الهوى ألذ وأمتع، والرأي أصوب وأنفع فقال عنّي متمثلاً:

إذا عذلَتْني العاذلاتُ على الهوى ... أبتْ كبدٌ عمّا يقلْنَ صريعُ[3]

---

(1) توبة: هو توبة بن الحميّر الشاعر الذي كان يعشق ليلى الأخيلية

(2) الواشون. النمامون جمع الواشي. (3) العذل: اللوم

وكيف أطيعُ العاذلاتِ وحبُّها   يؤرِّقني والعاذلاتُ هجوعُ[1]

فالتفت إلى أبي يريد المساعدة فقلت:

وإني ليَلحاني على طولِ حبِّها   رجالٌ ترى منهم قلوبٌ صحائحُ

فقال أبي: قم فأنت مثله أو شرٌّ منه، قال أحمد بن أبي فنن:

أعاذل إنّ لومَك لي عناءٌ   فحسبُك قد سمعتُ وقد عصيتُ

قال المتنبي:

إلامَ طماعيةُ العاذلِ   ولا رأيَ في الحبِّ للعاقلِ

يرادُ من القلبِ نسيانكم   وتأبى الطباعُ على الناقلِ

وهبتُ سلوى لِمَنْ لامني   وبتُّ في الشوقِ في شاغلِ

أنشد عبد الله بن طاهر قول من يقول:

أطعتَ الآمريك بصرمِ حَبْلي   مُريهم في أحبَّتهم بذاك

فإنْ هم طاوعوكِ فطاوعيهم   وإن عاصوكِ فاعصي لِمَنْ عصاك

فقال طعنة في كبده هلا قال كما قلت:

قولي لناهيك عن ودّي وعن صلتي   يهجر أحبّته والتُّربُ في فِيهِ

فإن عصاك فردّيه بمعصيةٍ   وإن أطاعك فأعصيه وأقصيه

وقال:

وربّ لومٍ أتاني من أخي سفهٍ   على ارتماضي فلم أرفعْ له أُذُني[2]

- مَنْ ذكر سرورَ عاذلِهِ بصرمِ محبوبِهِ

قال محمد بن أبي عيينة:

لقد شمتَ الواشون أنْ حِيلَ بيننا   وسرّوا ألا للشامتين بنا العُقْبى

وقال التمّار:

صدّ عنّي أهواه عنّي   فاشتفى العاذل منّي

- استطابةُ الملامةِ

قال أبو نواس:

إذا غاديتني بصَبوح عَذْلٍ   فَشُوبه بتسميةِ الحبيبِ

فإنّي لا أعدّ اللومَ فيه   عليّ إذا فعلتِ، من الذنوبِ

---

(١) هجوع: نيام

(٢) الارتماض: الاحتراق من الحزن.

وقال:

كفى الأحاديث عن ليلى إذا ذكرت ... أن الأحاديث عن ليلى تُلهيني

قال بشار:

لا أحمل اللومَ فيها والغرام بها ... لا كلّفَ الله نفساً فوق ما تسَعُ

● ازديادُ الوجدِ بالعَذْلِ

قيل: النهي عن الشيء داعٍ إلى تعاطيه كآدم وحواء حين نهيا عن الشجرة وقال ﷺ: لو نهي الناس عن فتّ البعر لفتّوه، وقالوا: ما نهيا عنه إلا وفيه شيء، قال أبو دلف:

هل رأينا وسمعنا من نهى ... رجلاً عن سوء فعل فانتهى

بل إذا عوتب في سيئة ... لم يدعها أو تعاطى أختها

قال أبو نواس:

دعْ عنكَ لومي فإنّ اللومَ إغراءُ

قال ابن الحجاج:

دع اللومَ إن اللومَ يُغري وربّما ... أراد صلاحاً من يلومُ فأفسدا

وأصله لقيس:

وما زادها الواشون إلا كرامةً ... عليّ وودّاً في القلوب مُوَقّرا

وقيل: من عذل عاشقاً كمن زجر في رست بيت ليطرب

● السكوت عن مجاوبة العاتب

قال بعضهم:

أعذر أخاك فإنّه رجل ... صُمّتْ مسامعُهُ على العَذْلِ

قال جحظة

درانـي من ملامكما درانـي ... فقد أسرفتما إذ لمتماني

فلستُ بضامنٍ لكما جواباً ... ولست بسامعٍ ممّن لحاني

● التبرمُ بالوشاةِ

قال مجنون ليلى:

ولو أن واشٍ باليمامة داره ... وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليا[1]

وماذا عليهم أحسنَ اللّهُ حالَهُمْ ... من الحظّ في تصريمِ ليلى حَبَاليا

---

(١) مجنون ليلى: توفي نحو ٦٩هـ (٦٨٨) شاعر عربي من أهل نجد هو قيس بن الملوّح العامري عشق ليلى العامرية فأبوا أن يزوجوه بها، فهام على وجهه وراح يتغنّى بحبه العذري واشتهر باسم مجنون ليلى.

قال الخبزارزي:

مـوكـل طـرفـه بـطـرفـي كـأنـه كـاتـبُ الـذنـوب

وقال:

أمنا أناساً كنت قد تأمنيتهم فزادُوا علينا في الحديث وأوْهَموا

وقالُوا لنا ما لم نقُل ثم كثّروا علينا وباحُوا بالذي كنتُ أكتُمُ

قال الصاحب:

خلّ يَصُدّ وعاذل متنصح ومناصِحٌ يؤذي ونمّام يُسي[1]

قال أحمد بن أبي سلمة:

يعذلُني فيه جميعُ الورى كأنّي جئتُ بأمرٍ عجيبِ[2]

● التبرّم بكثرة اللوم

قال ابن المعتز:

أطنّ نفسي لو تعشقتُها بُليتُ فيها بملام الرقيب

وقال:

واعنائي بمحضَر ومغيبٍ وحبيبٍ نأى بعيدٍ قريب

لم ترد ماءَ وجهه العينُ إلا شرقت قبل ريّها برقيبِ[3]

وقال

إن لامني من لا رآه فقد جارَ على الغائب في الحكْم

وإن لحاني من رآه فقد أضله الله على علم

● المرتدعُ عاذله بحُسْنِ محبوبِه

قال الله تعالى قالت امرأة العزيز وقال نسوة في المدينة (الآيتين) إلى قوله ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[4] قال محمد بن بكار:

عذلاني على هواه فلمّا أبصرا حسن وجهه عَذَرَاني

وقال:

فلما رآها العاذلات عذرنني وصدقنني فيما شكوْتُ من الوَجْدِ

(١) الخلّ: الصاحب ـ العاذل: اللائم ـ النمّام: الواشي

(٢) يقول: إن الورى أي الناس جميعاً يلومونني في حبه كأنني فعلت ما هو عجب.

(٣) الري: الارتواء (٤) القرآن الكريم، يوسف/ ٣١.

● معاتبة من يلوم ولا يعرف العذر

قال الأفوه:

إن الـمـلامَـة لا تـزالُ بـلا عـذر أمـام تـفـهّـم الـعـذر

(٩)

وممّا جاء في إبداءِ الهوى وإخفائه

● المتبجح بإخفائه محبوبه عن الناسِ

قال شاعر:

فما أنسَ ما الأشياء لا أنسَ موقفي وموقفها وهْنا بقارعَة النخلِ

فلما تواقفنا عرفتُ الذي بها كمثل الذي بي حذوك النعْل بالنعلِ

فقالَت وأرخَتْ بجانبِ السترِ إنما معي فتحدث غير ذي رقْبة أهلي

وقلتُ لها ما بي لهم من ترقبٍ ولكنّ سرّي ليس يحمله مثلي

وقال العباس:

لأخرجنّ من الدنيا وحبكُم بين الجوانحِ لم يشعرْ به أحدُ[١]

قال الخيزارزي:

إذا سألوني عنك موّهتُ قصّتي ولجلجتُ لجلاج الضّفادع في البحرِ[٢]

● الكاتمُ هواهُ عن ظواهرِ نفْسِهِ

قال سوار بن عبد الله:

خشيتُ لِساني أن يكونَ خؤُونا فأودَعته قلبي وكانَ أميناً

وقلْتُ ليخفى بين سمْعي وناظري أيا حركاتي كنّ فيّ سكونا

فما إن رأتْ عيني لعيني نظرةً ولا سمعت أذني لفيّ حنينا

قال بعض المحبين

عندي سرائرُ للحبيب طويْتُها مني الضمير بأنها في طيِّهِ

وقال آخر:

فلو أنّ شيئاً كاتمَ الحبّ قلبُه لمتّ ولم يعلَمْ بحبّكما قلبي

أخذه من جميل:

ولو أنّ امرأً أخفى الهوى عن ضميره لمتّ ولم يعلمْ بذاكَ ضميري

---

(١) الجوانح: الضلوع.

(٢) لجلجت: ترددت في الكلام ـ اللجلاج: ثقيل اللسان المتردد في الكلام.

وقال أبو نوح:

قلبي رقيبٌ على طرْفي منَ الحذرِ ... فليس يتركُه يلتذُّ بالنظَرِ

بعضي يكاتم بعضي ما يحاذِرُه ... فلو سألتُ إذاً لمْ أدرِ ما خَبَري

● التسترُ بإظهارِ الهَوى في غير المحبوبِ

قال شاعر:

اسمّيك لبنى في نسيبي تارةً ... وآونةً سُعْدى وآونةً ليْلى[1]

حذاراً من الوَاشين أن يفطنوا بنا ... وإلا فَمَنْ لبنى فدتك ومن ليْلى

وقال أحمد بن أبي فنن:

لساني للَيْلى والفؤادُ لغيرِها ... وفي لحْظ عيْني مكذبٌ للسانِيا

وقال ابن المعتز:

ألقيْتُ غيْرَك في ظُنونِهِم ... فسترتُ وجهَ الحبّ بالحُبِّ

● سترُ الهوى بالوقيعةِ في المحبوبِ

قال الخبزارزي:

قلْ للّذي يشكر سبّي له ... والله ما خُنتُك في الغيبِ

وإنّما أحببْتُ سَتْرَ الهوى ... منْه بما ليس بذي عَيْبِ

وسَلْه لي عنْ مثل قد مضى ... لِمْ رقع البزازُ في الثوبِ؟

● إظهارُ الهوى قَصْدَ إلى إخفائِهِ

قال أبو حفص الشطرنجي:

ولقدْ أمَازِحُه بإظْهارِ الهَوى ... عمْداً ليكتُمَ سرّه إعلانُه

ولربّما كتمَ الهوى إظهارُه ... ولربّما فضَح الهوى كِتمانُه

● كتمانُ الهوى عن المحبوبِ

قال الزبير بن بكار[2]:

استُرْ هواكَ مِنَ الذي تهْوى ... لا تُفْضيَنْ إليه بالشَّكْوى[3]

فلقلّما تبْدي هواكَ له ... إلا تلوّى وامتلا زهْوا[4]

---

(١) و (٢) يقول: إنه يسمّي محبوبته بأسماء شتّى من قبيل التمويه وخوفاً من الوشاة والعاذلين.

(٣) لا تفضين بالشكوى إليه: لا تصرّح له بها.

(٤) الزهو: الإعجاب بالنفس.

● إسقاطُ الجوى بإظهارِ الشكوى

قال أبو العتاهية:

إن المحبَّ إذا ترادف همُّهُ ... يلقى المحبَّ فيستريحُ إليه

وقال:

وأبثثت عمراً بعض ما في جوانحي ... وجرَّعتُهُ من مُرِّ ما أتجرَّعُ[1]

● الاستراحةُ بإظهار الهوى

ولا بُدَّ من شكوى إلى ذي حفيظةٍ ... إذا جعلت أسرارُ نفسٍ تطلَّعُ

وقال بعضهم: ما رأيت أظرف وأغزل وأمجن من صاحبة يوسف عليه السلام حيث قالت أنا راودته عن نفسه، ثم قالت ذلك لئلا أخنه بالغيب. قال محمد بن أبي عيينة:

تجنَّبْ مؤمناتِ التدمّث والعقل ... مغيبك فانظرْ ما تلذُّ وتستحلي[2]

قال المتنبي:

وألذُّ شكوى عاشقٍ ما أعلنا

قال الصاحب:

صرَّحتُ في حبّي عن مشكلهْ ... ولم أحتج فيه إلى عاذلِهِ

وبحت للعالم باسم الهوى ... فليقعُدِ المغتابُ في منزلِهِ

● إظهارُ الهوى وامتناعهُ من أن يخفى

قال شاعر:

من كانَ يزعمُ أن سيكتُمُ حبَّهُ ... حتى يشككَ فيه فهو كذوبُ

وإذا بدا سرُّ اللبيبِ فإنّه ... لم يبدُ إلا والفتى مغلوبُ

الحبُّ أغلبُ للفؤادِ بقهرِهِ ... من أن يُرى للسرِّ فيه نصيبُ

قال محمد بن طاهر:

يا كاتمي خيفةَ الواشي محبتهُ ... إنّي وحقّكَ أقراهُ من النظرِ[3]

قال سلم الخاسر:

ولي عند رؤيته روعةٌ ... تحقّقُ ما ظنّه المتهمُ

قال إسحاق الموصلي:

إنَّ المحبَّ يرى التوقّرَ سترةً ... فإذا تحيّر في الهوى لم يَبْصِرِ

---

(١) أبثثته بعض ما في جوانحي: كاشفته بالذي في نفسي، والجوانح الحنايا والضلوع.

(٢) تجنّب: تحاشَ ـ التلحث: من دمث له الحديث إذ مهده أو ذكره ـ تستحلي: تشتهي ما هو حلو.

(٣) أقراه: مخفف أقرأه.

- **ظهورُ الهوى بالدمعِ**

قال أبو عيسى بن الرشيد:

لساني كتومٌ لأسراركُم ... ودمعي نمومٌ لسرّي مُذيعُ
ولولا الدموعُ كتمتُ الهوى ... ولولا الهوَى لم تكنْ لي دموعُ

قال أبو حكيمة:

كأن مجالَ الطرفِ من كلّ ناظرٍ ... على حركاتِ العاشقين رَقيبُ

- **ظهوره بتحوّلِ الجِسْمِ**

قال المتنبي:

أمر الفؤادُ لسانَهُ وجفونَه ... فكتمْنَهُ وكفى بجسمِك مُخبِراً

وقال الصنوبري:

اكفُّ لسانَ الدمعِ أن أشكوَ الهوى ... كأنّ لسانَ السّقْمِ لا يُحْسِنُ الشكْوى

- **مبانة العاشق معشوقه في هَواه**

قال شاعر:

فتعلمي أن قد كلفْتُ بكُم ... ثم افعلي ما شِئْتِ عن عِلمِ

قال العباس:

لا تحسَبيني مادِقاً في الهَوَى ... إنّي على حبّيكِ مطبوعْ[1]

قال البحتري:

أعيدي فيّ نظرةَ مستثيبٍ ... توخّى الهجْرَ أو كَرِهَ الأثاما[2]
تَرَيْ كبِداً محرّقةً وعيناً ... مؤرّقةً وقلْباً مُسْتَهاما[3]

وقال رجل لامرأة رآها مرهاء[4]: هلا اكتحلت؟ فقالت: خشيت أن أشغل جزءاً من أجزاء عيني عن النظر إليك.

- **الحثُّ على إظهارِ الهوى للمحبوبِ**

قيل: لا شيء أصيد لامرأة ولا أذهب بمقتها من أن يحيط علمها بأن رجلاً يحبّها فإذا رأت أنه أدمع عينه ولو كان أسلك ما يكون لذهب عقلها، وقال بشّار:

عرِّضن للذي تحبّ بحبٍّ ... ثم دعه يروضه إبليسُ

وقيل المرأة تكتم الحب أربعين سنة ولا تكتم البغض والكراهة يوماً واحداً.

---

(١) المادق: من مادق فلاناً في الود: لم يخلص له الود.

(٢) توخى الشيء: قصده ـ الأثام: الإثم. (٣) العين مؤرقة: الساهدة ـ القلب المستهام: المتيّم.

(٤) مرهاء: بيضاء.

(١٠)

وممّا جاء في مراسلة الحبيب ومكاتبته

● الإرسالُ إلى المحبوبِ

قال كثير: لقيني جميل فقال: من أين أقبلت؟ فقلت: من عند بثينة فقال: لا بد أن ترجع عودك إلى بدئك فتأخذ لي موعداً من بثينة. فقلت: عهدي بأبيها الساعة. فقال: لا بدّ فقلت وأين عهدتهم؟ قال بالدّوم يرحضون ثيابهم فرجعت فقال أبوها: ما ردّك يا ابن أخي قلت أبيات خطرت لي أردت أن أنشدها ثم أنشدته

فقلتُ لها يا عزّ أرسل صاحبي ... على نأي دارٍ والموكّل مرسلُ
بأنْ تجعلي بيني وبينك موْعداً ... وأن تأمريني بالذي شئتِ أفعلُ
فآخر عهدٍ منك يومَ لقيتني ... بأسفل وادي الدّوْمِ والثّوْبُ يُغْسَلُ[1]

قال: فضربت بثينة جانب خبائها بعمود وقالت أخسأ، فقال أبوها ما هو؟ قالت: كلب يأتينا من وراء الرابية فعدت إليه وقلت قد وعدتني أن تجيء من وراء الرابية

قال شاعر:

يا صاحبي فَدَتْ نفْسي نفوسَكما ... وحيثما كنتما لقيتما رشَدا
إن تحملا حاجةً لي خفّ محملُها ... تستوجبا نعمةً عندي بها ويَدا
إن تُقْرِئا منزلَ الأحبابِ ويحكما ... منّي السلامَ وأن لا تخبِرا أحدا

قال آخر:

وقد أرسلَتْ في السرّ أنْ قد فضحْتني ... ونوّهت باسمي في النّسيب ولم تكنِ[2]

● مَنْ عَادَ رسولُهُ بمكروهٍ

قال ديك الجن:

أبطأ الرسولُ فظلْتُ أنتظرُ ... لا النومُ يأخذني ولا السّهَرُ
ردّ الجوابِ بكلّ معضلةٍ ... إن شمّروا للهجر واتّزروا
أزجر فؤادك أن يهيمَ بهم ... إن العصا لكَ قد أرى قشروا[3]

---

(١) وادي الدوم: موضع ورد ذكره في كثير من الشواهد الشعرية أو الدوم لغة الظلّ الدائم (معجم البلدان لياقوت: ٢/ ٤٥٣)

(٢) النسيب: شعر الغزل والتشبيب بمحاسن المحبوب

(٣) أزجر: أردع وأمنع ـ قشروا لك العصا. مثل يضرب عند المكاشفة.

● **إرسالُ الريحِ إليه**

قال البحتري:

ألا يا نسيمَ الريح بَلِّغْ رسالتي ... سُلَيْمي وعرِّضْ بي كأنّك مازحُ[1]
فإن سألت عنّي سليمي فقُلْ لها ... به غُبَّرٌ من دائه وهو صالحُ[2]

وقال:

لي إلى الريح حاجةٌ إن قضتْها ... كنتُ للريحِ ما بقيتُ غُلامَا
حجبُوها عن الرِّياح لأنّي ... قلتُ للريح بلِّغيها السّلامَا

وقال:

فلَو أنّ ريحاً أبلغَت وحْيَ مرسلٍ ... حفيٍّ لناجيتُ الجنوبَ على الجنبِ
وقلتُ لها أدّي إليهم تحيّتي ... ولا تخلطيها طال سعدُك بالتّربِ
فإنّي إذا هبّت شمالاً سألتُها ... هل ازداد صدّاحُ النميرةِ من قربِ

● **مَنْ حَسَد رسولَهُ لتمتعِهِ بالنظرِ إلى محبوبِهِ**

عشق المأمون جارية لبعض المتكلمين المتصلين به وكان يراسلها ببعض من أفشى إليه سره فقال يوماً وقد بعث إليها:

ألا ليتني كنتُ الرسولَ وكانَلي ... بِكَ الدّنو المقصَى وكنت أنا المُدْنَى[3]
بعثتُك مشتاقاً ففزْتَ بنظرةٍ ... وأغفلْتَني حتّى أسأتُ بكَ الظّنّا
وسرّحتَ طرفاً في محاسنِ وجهِها ... ومتّعتَ باستماع نغمتِها الأذْنا
أرى أثراً منْها بعَيْنيك لم يكُن ... لقد سرقَتْ عيناكَ من عينِها حسْنا

قال محمد بن أمية

أن تشقَ عيني بها فقد سعِدَت ... عينُ رسولي وفزْتُ بالخبَرِ
خذْ مقلتي يا رسولُ عاريةً ... فانظرْ بها واحتكِمْ على بصَري

● **تأسفُ مَنْ خلفه رسولُهُ على محبوبِهِ**

قال شاعر:

بعثت رسولاً فأضحى خليلاً ... على الرغم منّي فصبْرا جميلا
وكنتُ الخليلَ وكان الرسول ... فصار الخليلَ وصرْتُ الرسولا
كذا من يوجّه في حاجةٍ ... إلى من يحبّ رسولاً جميلاً

---

(١) **التعريض**: اللمّ غير الصريح أو المباشر (٢) **غُبّر**: بقايا
(٣) **المقصى**: المبعد من أقصاه ـ **المدنى**: المقرّب من أدناه

قال المتنبي

ما لنا كُلُّنا جوٍ يا رسولُ	أنا أهوى وقلبُكَ المتبولُ
كلما عاد من بعثتُ إليها	غارَ مني وخان فيما يقولُ

● التعرّضُ لرسولِ محبوبِه

بعثت عنان جارية الناطفي وصيفة لها إلى أبي نواس تدعوه فاحتال فقضى منها وطرا[1] وكتب إليها

نكنا رسولَ عنان	والرأيُ ما قد فعلنا
فكان خبزاً بملحٍ	قبلَ الشواء أكلنا

وبعثت أخرى جاريتها فعادت وبوجهها أثر ريبة فسألتها فزعمت أنه خمشها فعاتبته فقال:

زعمَ الرسول بأنني خمشته	كذبَ الرسولُ وفالق الإصباح
شغلي بحبّك عن سواكِ وليس لي	قلبان مشتغلٌ وآخرُ صاحِ

قال النوفلي:

وقد زعمت يمنٌ بأني أردتُها	على نفسها تبّاً لذلك من فعل[2]
سلوا عن قميصي مثلَ شاهدِ يوسفٍ	فإنّ قميصي لم يكُنْ قُدّ من قُبُل[3]

● الراغبُ إلى حبيبِهِ أن يكاتبهُ

قال شاعر:

يا زينَ من ولَدَتْ حوّاءُ من رجلٍ	لولاكَ لم تحسُنِ الدنيا ولم تطِبِ
أما اللقاءُ فشيءٌ لستُ آملُه	فما يضرّك لَوْ نَاجَيْتَ بالكُتُبِ

وقال:

فإن لم تكونوا مثلنا في اشتياقنا	فكونُوا أناساً تحسنون التجمّلا
وماذا عليكم لو سمحتُم بأحرفٍ	فأوجبتُم فيها علينَا التفضّلا

---

(١) قضى وطراً: أي قضى حاجته.

(٢) تبّ تبّاً: هلك، وتبّاً له بالنصب على المصدر بإضمار فعل أي جعله الله خاسراً أو هالكاً أو ضعيفاً.

(٣) يوسف: هو يوسف بن يعقوب، وفي البيت إشارة إلى قصة يوسف مع امرأة العزيز ـ قدّ القميص من قُبُل: أي قطع من الأمام وخلافه قدّ من دبر أي من الخلف. (انظر القرآن الكريم: سورة يوسف الآيات: ٢٥ ـ ٢٨) من قبْل (أو قُبُل): أي من الأمام وخلافه من دُبُر

قال ابن طباطبا:

أنــا راضــي بــا مــنــى ـنـفـسـي بـنـيـلٍ مـنـك نَـزْرٍ[1]
فـبـكـتـابٍ بـل بـسـطـرٍ بـلْ بـحـرفٍ دون سـطـرِ

● المسرَّةُ بورودِ الكتابِ

قال شاعر:

أتـانـي كـتـابٌ فـيـه ذكـرُ زيـارةٍ وقـد كـان قـلـبـي قـبـلَ ذلـك يَـخْـفُـقُ
فـقـبَّـلْـتُـه مـسـتـبـشـراً بـوروده وأهـديـتُـه لـلـقـلـبِ لا يـتـفـرَّقُ

قال المهلّبي:

طـلـع الـفـجرُ من كـتـابـك عـنـدي فـمـتـى بـالـلـقـاء يـبـدو الـصـبـاحُ
ذاك إن تـمّ لـي فـقـد طـابَ الـعيـ ـشُ وتـيْـلُ الـمنى وريشُ الـجَـنـاحْ

قال محمد بن طاهر:

عــلامــةُ مــن يــودّك أن تــراه يـطـيـلُ إلـيـك إن غـبـتَ الـكـتـابـا
إذا قــصّــر الــكــتــابُ فـأيّ ودٍّ تـرجّـى مـن حـبـيـبـك حـيـن غـابـا

(١١)

ومِمّا جاء في مزاورةِ الحبيبِ وملاقاتِه والنظرِ إليه

المتنبي:

كـم زورةٍ لـكَ فـي الأعـراب خـافـيـةٍ أدهـى وقـد رقـدوا مـن زورةِ الـذّيـبِ
أزورهـم وسـوادُ الـلّـيـل يـشـفـع لـي وأنـثني وبـيـاضُ الـصبـحُ يُـغْـري بي[2]

وله:

وكـم لـظـلامِ الـلّـيـل عـنـدي مـن يـدٍ تـخـبّـرُ أنّ الـمـانـويّـة تـكـذِبُ[3]

وقال ابن المعتز:

وجاءني في قميصِ اللّيل مستتراً يستعجِلُ الخطْوَ من خوْف ومن حَذَرِ
ولاحَ ضـوءُ هـلالٍ كـاد يـفـضـحـنـا مثلَ القُلامة قد قُدّت من الظُّفُرِ[4]

---

(١) النزر: الشيء القليل.

(٢) يشفع لي: يقدم لي العون ـ أنثني: أعود راجعاً ـ يغري بي: يحضّ عليّ.

(٣) المانوية: مذهب ماني الفارسي القائل بمبدأين هما مبدأ النور والظلام، والشاعر هنا يظهر ما لليل من يد عليه لأنه يستر زيارته للمحبوب.

(٤) القلامة: ما سقط من طرف الظفر ـ قدّت: قطعت.

فقمْتُ أفرشُ خدّي في الطريقِ له ... ذلاً وأسحبُ أذيالي على الأثرِ
وكان ما كانَ مما لستُ أذكره ... فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخَبَرِ

قال جحظة:

زارني خائفاً وقد جنّم اللّيـ ... ـلُ ونامَ الحراسُ الرصَدُ[1]
جرّه سكره وساوره لحو ... فُ فوافى سكران يرتعِدُ

قال سعيد النصراني:

وعد البدرُ بالزيارة ليلاً ... فإذا ما وفى قضيْتُ نذوري[2]
قلتُ يا سيدي ولم تؤثر اللّيـ ... ـل على بهجة النهار المنيرِ
قال لا أستطيع تغيير رسمي ... هكذا الرسمُ في طلوع البدورِ

● مَنْ صار الطيبُ والحُلَى واشياً عند زورتِهِ

قال البحتري:

وزارتْ على عجَل فاكتسى ... لزورتِها أبرقُ الحزن طيبا[3]
فكانَ العبيرُ بها واشيا ... وجَرْسُ الحُليّ عليْها رقيبا

قال بشار:

أملي لا تأت في قمرٍ ... لحديث واتّق الدرعا[4]
وتوقّ الطيب ليلتنا ... إنه واشٍ إذا سطعا[5]

قال العباس:

قامت تمشي وهي مرعوبةٌ ... تود أنّ الشمل مجموعُ
بكفّي وشاحاها فلم يسكُتا ... وإنما أبكاهما الجوعُ
فانتبه الهادون من أهلها ... وصار للموعد مرجوعُ
لا تستلق أبداً بعدها ... إلا ونقّاماك منزوعُ
ما بال خلخالك ذا حرمة ... لسان خلخالك مقطوعُ

● امتناع المحبوب

قال شاعر:

قلت زورينا فقالَتْ عجَب ... أترى يا فتى قاضي مُنى

---

(١) جنم الليل: انتصف وجنم أيضاً الطائر أو الحيوان: تلبّد بالأرض فهو جانم، والمقصود هنا بجنوم اللّيل امتداد ظلمته ـ الحراس الرصد: أي الرقباء الذين يترصدون الحركات والسكنات

(٢) النذور: جمع نذر وهو ما يوجبه المرء على نفسه تبرّعاً من مال ونحوه إذا هو فاز بوطر أو حاجة

(٣) أبرق الحزن: اسم موضع (٤) اتّق: احذر ـ الدرع: السيّار ليلاً أو نهاراً

(٥) توقّ: احذر ـ الطيب: رائحة العطر ـ يقول: إن سطع إذا فاح فهو كالواشي الذي يفضح لقاءات الأحبة

إذ يـصـلـي وعـلـيـه ديـنـهـم أنـتَ تـهـوانـي، وآتـيـكَ أنـا

قال أبو دهم:

لـمـا رأيـتُ مـعـذّبـي ألـفـيـتُـه كـالـمـحـتـشـمْ

فـطـلـبـتُ مـنـه زورةً تـشـفـي الـسّـقـيـمَ مـن الـسّـقَـمْ

فـأبـى عـلـيّ وقـالَ لـي فـي بـيـتـه يـؤتـى الـحـكَـمْ

● من سأل رفيقه أن يزور به صديقه

قال شاعر:

خليليّ عُوجاً باركَ الله فيكُما وإن لم تكنْ هند لأرضِكما قَصْدَا

وقولا لها ليس الضلالُ أجازَنا ولكنّنا جزْنا لنلقاكُمُ عَمْدَا

وقال نصيب:

مزينب ألِمّ قبل أن يظعَنَ الركْبُ وقل أن تملّينا فما ملك القلبُ

وقال:

خليليّ مِنْ عوفٍ عفا الله عنكما ألمّا بها إن كان مُرْخى ظلامُها

فإنّ مَقِيلي عند ظمياء ساعةً لنا خلف من نومةٍ سنامُها[1]

● النهي عن كثرة النظر وذمّه

قال الله تعالى ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾[2] وقال النبي ﷺ: لا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى وليست لك الآخرة وقال: زناء العين النظر. وقال عيسى عليه السلام: لا يزني فرجك ما غضضت طرفك. وقيل: من كثرت لحظاته دامت حسراته. فضولُ المناظرة من فضول الخواطر. قيل: نظر رجل إلى امرأة فقالت: لِمَ تنظر إلى ما يقيم أيرك ويدفع غيرك؟ وقال أبو الفيض: خرجت حاجاً فمررت بحي فرأيت جارية كأنها فلقة قمر فغطت وجهها، فقلت: يرحمك الله أنا سفر وفينا أجر، فمتعينا برؤية وجهك فقالت:

وكُنْتَ متى أرسلت طرفَكَ رائداً لقلبِكَ يوماً أتْعَبَتْكَ المناظرُ

رأيتَ الذي لا كلّه أنتَ قادرٌ عليه ولا عن بعضه أنتَ صابرُ

ومرت أعرابية بجماعة من بني نمير فأداموا لها النظر فقالت: يا بني نمير ما فعلتم بقول الله: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ولا بقول الشاعر:

فغضّ الطّرفَ إنّكَ من نُمَيرٍ فلا سعداً بلغتَ ولا كِلابَا[3]

---

(١) المقيل: النوم وقت القيلولة.

(٢) القرآن الكريم: النور/ ٣٠.

(٣) غضّ طرفه: خفضه وكفّه وكسره.

فأطرقوا حياء وقال العباس بن الأحنف:

ومستفتح باب البلاء بنظرة ... تزوّد منها شغله آخرَ الدهرِ

قال أبو تمام:

إن لله في العباد منايا ... سلطتها على القلوب العيونُ

● النهيُ عن تمكينِ المرأة من النظر إلى الرجل

قال بعضهم: لأن يرى ألف رجل امرأتي أسهل عندي من أن ترى امرأتي رجلاً، قال ذو الرمة:

لا تأمننّ على النساء ولو أخاً ... ما في الرجال على النساء أمينُ

إن الأمين وإن تحفظ جهده ... لا بدّ أن بنظرة سيخونُ

● الرخصةُ في النظر

قال الحسن: النظر إلى الوجه الحسن عبادة معناه إذ الرائي يقول: سبحان خالقه. ومنه قيل النظر إلى عليّ عبادة ورؤي شريح بقارعة الطريق فقيل له ما وقوفك؟ قال: عسى أن أنظر إلى وجه حسن أتقوى به على العبادة. وقال ابن الدمينة:

يقولون لا تنظرْ وتلك بليّةٌ ... ألا كل ذي عينين لا بُدّ ناظرُ

وليس اكتحالُ العين بالعين ريبةً ... إذا عفّ فيما بينهنّ الضمائرُ

وقال مصعب بن الزبير وكان جميلاً لصوفي رآه يحد النظر إليه: لم تحدّ النظر إليّ؟ فقال: لا تنكر نظري عزتك من زينة الله في بلاده، أما سمعت قول أبي دلف:

ما لمن تمّت محاسنه ... أن يعادي طرفَ من رمقا[1]

لك أن تبدي لنا حسناً ... ولنا أن نعمل الحَدَقا[2]

قال آخر:

أبرزوا وجهه الجميـ ... ـل ولاموا من افتتنْ

لو أرادوا عفافة ... نقّبوا وجهه الحسَنْ

قال الثمار:

لا تمنعني إن نظر ... تِ فلا أقلّ من النظَرْ

دعْ مقلتي تنظر إليـ ... ـكَ فقد أضرّ بها السّهَرْ

● النظرُ الشديدُ

نظر أشعب إلى ابنه وهو يحادث امرأة فقال: يا بني نظرك هذا يحبل. وعنّى

---

(١) رمق: نظر.

(٢) تبدي: تظهر وتكشف ـ الحدق: سواد العين. وقوله: نعمل الحدق كناية عن النظر ـ يقول لمحبوبه اكشف لنا عن محاسنك حتى تمتع العين بتأملها.

مخارق في مجلس الواثق بقول عمر بن أبي ربيعة .

نظرت إليها بالمحصب من منى ولي نظر لولا التحرج عارم[1]

فقال ما تحفظون في هذا؟ فقال ابن أبي دؤاد أحفظ فيه شيئاً ظريفاً وهو:

ولي نظرٌ لو كانَ يُحْبِلُ ناظرٌ بنظرته أنثى فقد حملت عنّي[2]

فإن ولدت ما بين تسعةِ أشهر إلى نظري شيئاً فذاك إذاً منّي

فقال أشد منه للأخطل:

فلا تقربْ بيوتَ بني كليب ولا تقرب لهم أبداً رحالاً

ترى فيها لوامعَ مبرقاتٍ يكدْنَ يَنكْن بالحدق الرجالا

قيل لعاشق تمكن من لقاء محبوبه هل شفيت؟ فقال:

وفي نظري الصّادي إلى الماءِ حسرة إذا كانَ ممنوعاً سبيلُ الموارِدِ

وقال آخر:

يرنو وينظُر حسرة نظر الحمارِ إلى القضيم

• مَنْ تمنّى النظرَ إلى محبوبه والاستشفاء بلقائه

قال الخبزارزي:

مستراحُ كلّ لبيداتٍ نظرُ المحبِّ إلى الحبيب

طوبى لِمَنْ بصرتْ وجهَ الحبيب بلا رقيب

قال ابن قنبر

رمدت في الحبّ عيني فاكحلوها بالحبيب

قال العباس:

إذا ما التقينا كانَ أكثر حظنا وغاية ما نرضى به النظرُ الشزْرُ

• إزدياد الوجدِ بالنظر

قال وهب الهمداني:

زوّدت العينَ من لواحظها وجداً فكانَ الحِمامُ في النظرِ

قال الأحوص:

إذا قلتُ إني مُشتفٍ بلقائها فحمّ التلاقي بيننا زادني وَجدًا

---

(١) المحصب: موضع رمي الجمرات في منى، ومنى من مناسك الحج قرب مكة ـ النظر العارم: الشرس والمؤذي

(٢) النظر الشزر: النظر بمؤخر العين كراهية أو غضباً أو ازدراء

قال إبراهيم الموصلي:

ولو أني نظرتُ بكلِّ عينٍ ... لما استقصَتْ محاسِنَهُ العيونُ[1]

● تورك الذنب على العين والقلب.

قيل:

قال الصولي:

فمَنْ كانَ يؤتى من عدوٍّ وصاحبٍ ... فإني من عيني أتيتُ ومنْ قلبي

هما اعتوراني نظرَةً ثم فكرةً ... فما أبقيا لي من رُقادٍ ومن لُبِّ[2]

وقال:

إذا لمتُ عينيَّ اللتين أضرّتا ... بجسمي يوماً قالتا لي لم القلبا

فإن لُمتُ قلبي قالَ عيناكَ قادتا ... إليكَ البلايا ثم تجعل لي الذنبا

قال أبو القاسم المصري:

ألومُ قلبي وناظري فهُما ... تعاوَنا والنوى على قلبي

● تورك الذنبِ على العين دونَ القلبِ

قال أبو تمام:

لأعذّبن جفونَ عيني إنّما ... بجفون عيني جُلُّ ما أتعمَّتْ

قال ابن المعتز:

عيني أشاطَتْ بدمي في الهوى ... فابكوا قتيلاً بعضُهُ قاتِلُهْ

قال العطوي:

فلا عَجَبٌ ولا أمرٌ بديعٌ ... جناياتُ العيونِ على القُلوبِ

● توركهُ على القلبِ دونَ العين

كفى بكون القلب مدنباً وداعياً إلى فعل الشر أنّ النفس لأمارةٌ بالسوء وقول النبي ﷺ أعدى عدوك نفيسة بين جنبيك، قال شاعر:

ألا إنّما العينانِ للقلبِ رَائِدُ

قال الموسوي:

النفسُ أعدى عدوٍّ أنت حائِزُهُ ... والقلبُ أعظَمُ ما يُبتلى به الرجلُ[3]

● قلةُ شبعِ العينِ من النظرِ

قيل: لا تشبع عينٌ من نظر، ولا أذنٌ من خَبَر ولا أرضٌ من مَطَر ولا أنثى من ذَكَر

---

(١) استقصت العين محاسنه: أحاطت بها، والاستقصاء تتبع المعطيات حتى نهايتها للإحاطة الكاملة

(٢) اعتوره: تداوله ـ الرقاد: النوم ـ اللب: العقل

(٣) يقول: عليك أن تحذر رغائب النفس محذراً من عواطفها معتبراً أحاسيس القلب مصدر بلاء ونصب

قال أبو العباس:

ليتني إذ أراه كلي عيونٌ | فعيني لستُ أشبعُ منه

- **اختلاسُ النظرِ خشيةَ الرقباء**

قال أبو الشيص:

ونظرةُ عينٍ تعللتُها | حذاراً كما ينظرُ الأحولُ
تقسمتُها بين وجهِ الحبيب | وطرفِ الرقيبِ متى يغفلُ

ونحوه:

إذا ما التقينا والوشاةُ بمجلسٍ | فليس لنا رُسْلٌ سوى الطَرْفِ للطَرْفِ[1]
فإنْ غفلَ الواشون عُدْتُ بنظرةٍ | وإن نظرُوا نحوي نظرْتُ إلى السقفِ

وقال:

حمدت إلهي إذ بلاني بحبِّها | على حولٍ أغنى عن النظرِ الشزرِ
نظرتُ إليها والرقيبُ يظنني | نظرْتُ إليه فاسترحْتُ من العُذْرِ

- **التخاطبُ بالنظر**

قال معقل بن عيسى:

إذا نحنُ خفْنا الكاشحينَ ولم نُطِقْ | كلاماً تكلَّمْنا بأعيننا شزرا[2]

قال علي بن هشام

فسلمت إيماءً وودعْتُ خفيةً | فكانَ جوابي كسرَ عينٍ وحاجبِ[3]

قال ابن أبي طاهر:

وفي غمزِ الحواجبِ مستراحٌ | لحاجات المُحِبِّ إلى الحبيبِ

وقال

ومجلسُ لذةٍ لم نقوَ فيه | على شكوى ولا عدِّ الذنوبِ
فلمّا لم نطِقْ فيه كلاماً | تكلمتِ العيونُ على القلوبِ

وقالت الهند: **اللحظ** ترجمان القلب واللسان ترجمان البدن.

---

(١) **الطرف**: العين ـ يقول: ليس للمحبين من رسل بحضور الوشاة سوى العيون.

(٢) **الكاشحون**: جمع كاشح وهو العدو والمبغض.

(٣) **الإيماء**: الإشارة ـ يصف حذره من الوشاة وكيف كان السلام إيماءة والوداع خلسة وكيف جعل غمض عينه وحاجبه جواباً.

● كونُ نظرِ المحبوبِ إلى مُحِبِّهِ قاتلاً

قال ابن الرومي:

نظرت فأقصدتِ الفؤادَ بسهمِها ثم انثنتْ عنه فكاد يهيمُ
ويلاه إن نظرَتْ وإنْ هي أعرضَتْ وقعُ السهامِ ونزعُهنَّ أليمُ

● تحيُّر العاشقِ بالنظرِ إلى معشوقِهِ

قال أحمد بن أبي طاهر:

عتابا كأيامِ الحياةِ أعدُّه لألقى به بدرَ السماءِ إذا حضرْ
فإن أخذت عيني محاسنَ وجهه دهشتُ لما ألقى فيملكُني الحَصَرْ[1]

● السهلُ اللقاءِ الصعبُ المنالِ:

قال شاعر:

فقلتُ لأصحابي هيَ الشمسُ ضوؤُها قريبٌ ولكنْ في تناولِها بُعْدُ

قال أبو نواس:

مبذولةٌ للعيونِ وجنتُه محظورةٌ من أناملِ الجاني[2]
وليس لي فيه ما خلا نظرٍ يشركُني فيه كلُّ إنسانِ

قال العباس

هي الشمسُ منزلُها في السماءِ فعزِّ الفؤادَ عزاءً جميلا
فلنْ تستطيعَ إليها الصعودَ ولنْ تستطيعَ إليكَ النزولا

● مَنْ سَهُلَ بالكلامِ وَصعب بالمنالِ

قال إبراهيم بن المهدي:

وقد يلينُ ببعضِ القولِ يبذلُه والوَصْلُ في وزرٍ صعبٌ مَرَاقِيه[3]
فالخيزرانُ منيعٌ منكَ مكسَرُه وقد يُرَى ليِّناً في كفِّ لاويه[4]

---

(1) الحصر: العيّ والعجز عن النطق أو اعتقال اللسان عن الكلام - يقول: إنه يبهر بمحاسن وجه الحبيب فيعتريه العيّ والحصر.

(2) الوجنة: صفحة الخد - الأنامل: أطراف الأصابع - يقول: إن محاسن وجهه مبذولة للناظرين ولكنه محظورة على أنامل اللامسين.

(3) يبذله: يجود به - الوزر: الإثم.

(4) لاويه: الذي يلويه أي يثنيه.

● **المؤثِرُ للمواقعةِ**

قال شاعر:

لم يصفُ حبٌ لمعشوقَيْن لم يذُقا ... حبّاً يحلّ على من ذاقه الغُسْلُ[1]

قال الخبزارزي:

إذا ما قنِعْنا بالتواصُل في الهوى ... فلا أنتَ معشوقٌ ولا أنا عاشقُ

فلا وصلَ إلا أن يكونَ تباذلٌ ... ولا بذلَ إلا أن يكونَ تَمَانُقُ

إذا لم يتمّ الوصْلُ والبذْلُ في الهوى ... فأمّ الهوى من بعْد هذين طالِقُ

قال أبو تمّام:

وقالوا نكاحُ الحبِّ يفسدُ شكلَه ... وكم نكحوا حبّاً وليس بفاسدِ

وقال أبو العَيْس: مرّ بي إدريس بن أبي حفصة فوقف عليّ وأنشدني

ولما التقيْنا قالَت الحكمَ فاحتكِم ... سوى خصلةٍ هيهات منك مرامُهَا

فقلْتُ معاذَ الله من تلك خصلة ... تموتُ ويبقى بعد ذاك أثامُها[2]

وكان عندنا شيخ من فرغانة فقال ما تفسير هذا؟ ففسرته له فقال: أما نحن فمتى عشقنا واحداً نكناه في إسته ليس هذا مشغلة لا يعرفها عليه

● **استحسانُ التقاءِ المتحابين**

قال مسلم العنبري:

لا شيءَ أحسنُ في الدنيا وساكِنها ... من وامقٍ قد خلا فرداً بمَوْموقِ[3]

قال العباس:

لم يخلق الرحمنُ أحسنَ منظراً ... من عاشقَيْنِ على فراشٍ واحدِ

● **المعانقةُ**

قال إبراهيم الصولي:

ساعدنا الدهر فبتنا معاً ... نحولُ ما تجني على الشُّكرِ

فكنتُ كالماءِ له قارعاً ... وكان في الرقّة كالخَمْرِ[4]

قال الأخطل:

وإني وإياها إذا ما لقيتُها ... لكالماءِ من صوبِ الغمامةِ والخَمْرِ

---

(١) **الغسل:** التطهّر بالماء وإزالة الجنابة.

(٢) **الأثام:** الإثم.

(٣) **الوامق:** المحبّ ـ **الموموق:** المحبوب.

(٤) **قرع الخمر بالماء:** مزجها به.

قال الجاحظ :

كم بين قول امرىء القيس ... تقولُ وقد مالَ الغبيطُ بنا معاً[1]

وبين قول علي بن الجهم

سقى الله ليلاً ضمنا بعد هجعةٍ ... وأدنى فؤاداً من فؤادٍ معذَّبِ
فبتنا جميعاً لو تُراقُ زجاجةٌ ... من الراح فيما بيننا لم تسرّبِ

وقال:

فبتنا على رغم الحسودِ كأننا ... خليطانِ من ماءِ الغمامةِ والخمرِ

قال البحتري:

ووريت ليلة قد بت أسقى ... بعينيها وكفيها المداما
قطعنا الوصل لثماً واعتناقاً ... وأفنيناه ضماً والتزاما

قال ابن المعتز

كأنني عانقت ريحانة ... تنفست في ليلها البارد
فلو ترانا في قميص الدجى ... حسبتنا من جسد واحد[2]

قال ابن طباطبا:

وضيقت فيه من عناق معانقي ... فظن وشاتي أنني نائم وحدي

● من ذكر تمكنه من محبوبه

قال جحظة

حبيب جاد لي ... بالزيق والظلماء معتكفة
وسامحني بما أهو ... ه بعد التيه والأنفة
ستشكر فعله نفس ... بفخر الشكر معترفة

قال المأمون:

يا ليلة قربها حلوة ... جامعة في ظلها الشمل
شرابنا وكاساتنا ... شفاهنا والقبل النقل[3]

---

(١) الغبيط: الرحل يشد على الهودج

(٢) قميص الدجى: ظلمة الليل، وهو يكنى بذلك عن اللقاء والتواصل بين المتحابين وظلمة الليل كالقميص الذي يسترهما عن العيون

(٣) النقل: ما يؤكل على الشراب من فستق أو فاكهة ونحوهما

● تمني تقبيلِ الحبيب والاقتصارُ منه عليه

قال شاعر:

والله لو نلتُك إذ نلتني ... عيناً لقبّلتك ألف يمين

قال الصنوبري:

نويت تقبيل نارٍ وجنته ... وخفتُ أدنو منه فأحترقْ

قال محمد بن أبي أمية.

فما نلتُ منها مُحَرّماً غيرَ أنني ... أقبّل بسّاماً من الثغر أفلَجا[1]

وألثم فاها تارة بعد تارة ... وأترك حاجاتِ النفوس مُخرَجا

● تقبيلُ الحبّ إعتراضاً

قال ابن المعتز:

وكم عناقٍ لنا وكم قُبلٍ ... مختلساتٍ حذار مرتقب

نقرَ العصافيرِ وهي خائفة ... من النواطيرِ يانعَ الرّطبِ[2]

قال أبو نواس:

وعاشقين التفّ خداهما ... عند التثام الحجَر الأسوَدِ

فاشتفيا من غير أن يأثما ... كأنما كانا على موعد

لولا دفاعُ الناس إياهما ... لما استفاقا آخر المسند

نفعلُ في المسجدِ ما لم يكن ... يفعلُهُ الأبرارُ في المسجِدِ

قال ابن أبي ربيعة:

فمررت محتمياً أمرُّ ببيتها ... حتى ولجت على خفاء المولجِ

قالتْ وعيش أخي وحرمة والدي ... لأنبهنّ الحيّ إنْ لم تخرجِ

فخرجتُ خيفةَ قولِها فتبسمتْ ... فعلمتُ أن يمينَها لم تُحرجِ

فلثمتُ فاها آخذاً بقرونها ... شربَ النزيف لبردِ ماء الحَشْرَجِ[3]

● استطابةُ تقبيله اختلاساً واختفاء

قال كشاجم:

ما لذةٌ أبلغُ في طيبها ... من لذةٍ في إثرها عَفّة

---

(١) الثغر الأفلج: أي المتباعد الأسنان والمنفرج الأسنان من محاسن الثغر.

(٢) الرّطب: ما نضج من البلح قبل أن يصير تمراً.

(٣) آخذاً بقرونها: أي وهو يشدّها إليه ـ الحشرج: الكوز الرقيق يبرد فيه الماء.

خلطتها بالكره من شادنٍ يعشق منه بعضه بعضه

قال ابن سكرة:

سألته في صحوه قبلةً فردني والموت في رده
حتى إذا السكر ثنى جيده قبلته ألفاً بلا حمده[1]

وقال الحسن بن وهب قبلتها فوجدت بين شفتيها ريحاً لو نام فيها المخمور لصحا.

قال المتنبي:

شامية طالما خلوت بها تبصر في ناظري محياها
فقبلتها لا تزال آرية وليته لا يزال مأواها

قال الصاحب:

قال إذا قبلني خده إنما القبلة عنوان الصلة

قال الصابيء:

أقبلت ثم قبلت ظهر كفي قبلة تنقع الغليل وتشفي[2]
فتلقى فمي عليه وودت شفتي أنها هنالك كفي
فمصصت اليد التي قبلتها بفم حاسد يريد التشفي[3]

قال الصاحب

أو ما للتقبيل يدي قبلت لا تل شفتي

قال الموسوي

ومقبل كفي وددت بأنه أومى إلى شفتي بالتقبيل

● موضعُ التقبيلِ

قيل: قبلة المؤمن المصافحة وقبلة الرجل زوجته الفم وقبلة الوالد الولد الرأس وقبلة الأم الابن الخد. قال أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه: قبلة الولد رحمة وقبلة المرأة شهوة وقبلة الوالدين عبادة وقبله الأخ الأخ رقة وزاد فيه الحسن وقبلة الإمام العدل طاعة.

● مَنْ سألَ محبوبَهُ الوَصْلَ

وقال الوأواء الدمشقي:

أيا مَنْ هوَ الفوزُ لي بالمُنى ومن هو بالود مني حقيقٌ[4]

---

(١) الجيد: العنق. ثنى السكر جيده: أي مشى به السكر واستولى عليه النعاس فمال عنقه.
(٢) تنقع الغليل: تروي الظمأ وحرارة الوجد.
(٣) التشفي: الانتقام وشفاء الغليل. (٤) حقيق: جدير.

تـغـنـم بـنـا غـفـلاتُ الـزمـانِ | فـوجْـهُ الـحـوادِثِ وجْـهُ صَفـيـقْ[1]

وقال:

تـعـالَ بـنـا نـغـصِ الـوُشـاةَ ونـشـتـفـي | من الـوَصْـلِ قبْـلِ الـمـوْتِ ثم نـمـوتُ

كتب إبراهيم الموصلي إلى قينة:

دعي الوصْلَ لا أسمَعْ بيومِكِ إنّما | سألْتِ شيْئاً ليْس يغري لكم ظهرا!

فأجابته لكن يملأ لنا بطناً، قال شاعر

يـا قـضـيـبـاً مـخـصَّـرُهْ | وكـثـيـبـاً مُـؤزّرُهْ[2]

لـيْـتَ شِـعْـري مـتـى تـجـو | دُ بـمـا لا نُـفـسّـرُهْ

● سؤاله عودة النائل

قال المتنبي:

أمنعِمَـةٌ بـالـعَـوْدَةِ الـظَـبْـيـةُ الـتـي | بغيْرِ وليٍّ كان نائلَها الوسميّ[3]

قال بشار:

يـا رحـمـةَ الله حـلّـي فـي مـنـازلـنـا | حسْبي برائحةِ الفردوسِ مِنْ فِيكِ[4]

قـد زرتِـنـا مـرّة فـي الـدهـر واحِـدةً | ثنّي ولا تجعليها بيْضَةَ الديكِ[5]

● المستكثر قليلَ الوصلِ من حبيبته

قال بعضهم:

بـحـرمـةِ مـا قـدْ كـانَ بَـيْـنـي وبـيـنَـكـم | مـن الـوَصْـلِ إلا عُـدْتُـم بـجـمـيـلِ

وإنـي لـيُـرْضِـيـنـي قـلـيـل نـوالِـكُـمْ | وإن كُـنْـتُ لا أرضـى لـكُـم بـقـلـيـلِ

قال آخر:

قـفـي ودّعـيـنـا يـا مـلـيـحُ بـنـظـرةٍ | فـقـدْ حـانَ مـنّـا يـا مـلـيـحُ رحـيـلُ

ألـيـسَ قـلـيـلاً نـظـرةٌ إن نـظـرتُـهـا | إلـيْـك وكـلا لـيْـس مـنـك قـلـيـلُ

قال ابن المعتز:

قُـلْ لِـمَـنْ حـيّـا فـأحْـيـا | مـيْـتـاً حُـيّـيـتَ حـيّـاً

مـا الـذي ضـرّكَ لـو أبـقـيـ | ـتَ لـي فـي الـكـأس شـيّـا

---

(١) الحوادث: نوائب الدهر ـ الوجه الصفيق: الوقح

(٢) القضيب: الغصن ـ الكثيب: التلّ. يصف نحول خصره وامتلاء أردافه.

(٣) الوسمي: أوّل مطر الربيع

(٤) حلّي: الأمر من حلّ في المكان: نزل فيه ـ يقول: إن في ثغرها رائحة من الجنة وهو مكتف بها

(٥) بيضة الديك: كناية عن استحالة الشيء أو عدم تكرار حدوثه

هل تراني كنتُ إلا مثل من قبل قبنا

● الرضا بأن حبيبه يخطرُهُ في قلبِهِ

قال ابن الدمينة:

لئن ساءني أن نلتني بمساءةٍ ... لقدْ سرّني أنّي خطرْتُ ببالِكِ

وقال:

رضيتُ بسفي الوهم بيني وبينه ... وإنْ لمْ يكُنْ في الوَصْل منه نصيبُ

● الرضا بأن ينظر أرضَ حبيبِهِ

يقرّ بعيني أن أرى من مكانِها ... ذرا عقدات الأبرقِ المتقاودِ[1]

وأن أردَ الماءَ الذي شربَتْ به ... سليمي وقد ملّ السرى كلّ واحدِ[2]

وألصِقُ أحشائي ببرد ترابه ... وإنْ كانَ مخلوطاً بسمّ الأساودِ

● الرّضا بكونِهِ مع الحبيب في الدّنْيا

قال أبو نواس أرضى الناس قيس بن ذريح في قوله:

أليسَ الليلُ يجمَعُني وليلى ... كفاكَ بذاك فيه لنا تداني

ترى وضحَ النهار كما أراهُ ... ويعلوها الظلام كما علاني

وقال:

ويقر عيني وهي نازحةٌ ... ما لا يقرّ بعين ذي الحلمِ

أني أرى وأرى بها ستُرى ... وضحَ النهار وعالي النجمِ

● رجاء لقاء المحبوب

قال الحارثي:

أرانا به الله ما لم تزَل ... تبشّرُنا حسناتُ الظُّنُونِ

وقال:

ما أقدر الله أن يدني على شحطٍ ... مَنْ داره الحزنُ ممّن دارُه صولُ[3]

الله يطوي بساطَ الأرض بينهما ... حتى يرى الربع منه وهو مأهولُ

● من حبيبه مناه

قال شاعر:

ولما نزلْنا منزلاً طلّه الندى ... أنيقاً وبستاناً من النُّور حالِيا[4]

---

(١) الإبريق: اسم موضع. (٢) السرى: السير ليلاً. (٣) الشحط: البعد.

(٤) الندى: الطلّ، أي ما تتركه رطوبة الليل من قطرات على أوراق النبات - النور: الزهر

أجِدَّ لنا طيبُ المكان وحسنُه ... منىً فتمنَّينا فكنتِ الأمانيا

- **تمنّي مجاورته**

قال شاعر:

تمنيتُ في عرض الأماني وربّما ... تمنى الفتى أمنيةً ثم نالَها

ألا ليت سعدى جاورتْني حياتَها ... فتعلَم ما حالي وأعلَم حالَها

قال الفرزدق

ألا ليتنا بِتْنا ثمانين حِجّةً ... تنامُ معي عزيزةً وأنامُها

ضجيعَيْن مستورين والأرضُ تحتَنا ... يكونُ طعامي شمَّها والتزامُها

قال جميل

أقولُ والركْبُ قد مالَتْ عمائمُهُمْ ... وقد سقى القَوْمَ كأسَ النعسَة السهرُ

يا ليت أني بأثوابي وراحلتي ... عبدٌ لقومك هذا الشهرِ مؤتجَرُ

- **مَنْ أحبَّ أن يجتمع مع حبيبه وإنْ كانَ في شقاء**

قال كثير:

ألا ليتنا يا عزُّ من غيرِ ريبةٍ ... بعيران نرعى في الخَلاء ونعزبُ[1]

كلانا به عرٌّ فمن يرنا يقُلْ ... على حسْنها جرباء تعدي وأجربُ[2]

إذا ما وردْنا منهلاً صاحَ أهلُهُ ... علينا فلا ننفكُّ نرمي ونضربُ

نكونُ بعيرَيْ ذي غِنى فيُضيعنا ... فلا هو يرْعانا ولا نحن نُطْلبُ

فلما سمعت عزّة ذلك قالت لقد تمنى لي وله الشقاء الطويل

قال ديك الجن

ألا ليتنا كنّا جميعَيْن في الهوى ... تضُمّ علينا جنّةٌ أو جهنّمُ

قال ابن حجّاج.

قبِّلتِ ستي كلّميني ... قبل أن أحصلَ مُثْلَه[3]

اضربي من طين باب استـ ... ـتِ خرطومي سُكْتُلَهْ

قد طلبْتُ منكِ ما لا ... تكره الحرّةُ بذْلَه

ليتني أمسيْتُ في عقْـ ... ـصة شعر إستك قمْلَهْ

---

(١) نعزب: نذهب بعيداً ـ تمنى كثير أن يكون وصاحبته عزة بعيرين يرعيان في الخلاء ويمضيان بعيداً.

(٢) العرّ: الجرب، والعرّ الأجرب، والعرّ أيضاً الشرّ والعيب

(٣) المثلة: الآفة والعقوبة

● **الرضا من حبيبه بالأماني والمواعيد الكاذبة**

قال كثير:

وإنّي لأرضى منك يا عزّ بالذي ... لو أبصرَه الواشي لقرّت بلابلُهْ[1]

بلا وبأنْ لا أستطيعُ وبالمُنى ... وبالوعْدِ والتسويفِ قد ملّ آملُهْ[2]

وبالنظرةِ العجلى وبالحَوْلِ ينقضي ... أواخرُه لا تنقضي وأوائلُهْ

قال جميل

فصلي بحبْلِكِ يا بثينَ حبائلي ... وعِدي مواعدَ مُنْجزٍ أو ماطِلِ[3]

قال الموسوي:

وما ضرّهم إذْ لمْ يجُودوا بمقنعٍ ... من النَّيْلِ لو منّوا قليلاً وسوّفوا[4]

قال كشاجم:

ضنّت بموعدها فقلْتُ لها ... يا هذه عِدي بأنْ تَعِدي

● **انتظار وعد الكاذب**

قال جحظة

يا كاذباً في وعده بلسانه ... صلْ لي بمعسولِ لسانِك الكذّابِ

ما زلْتُ منتظراً لوعْدِك مفرداً ... بالبَيْتِ مرتقباً لقرْعِ البابِ

● **قطع الأوقات بالأماني**

قال ابن المعتز:

يا مانعَ العيْنِ طيبَ رقْدتها ... ومانعَ الجسْمِ كثرةَ العِلَلِ

علّمني حبُّك المقامَ على الضَّيْـ ... ـمِ وقطعَ الأيامِ بالأملِ

وقال:

منى إنْ تكُنْ حقاً تكنْ أحسنَ المُنى ... وإلا فقدْ عشْنا بها زمناً رَغْدا

أماني مِنْ سعدى حسانٌ كأنّما ... سقتْكَ بها سُعدى على ظمأ بَرْدا

---

(١) البلابل: البلبال شدّة الهم ووسواس الصدر. هذا البيت والتاليان منسوبة أيضاً إلى جميل بن معمر وأولها

وإن الأرض من بثينة بالذي

(٢) التسويف: المطل في إنجاز الوعد.

(٣) صلي: الأمر من وصل، ووصل الحبائل نقيض قطعها والحبائل روابط الحبّ

(٤) يقول الشاعر حبذا لو أن الأحبّة يجودون بالقليل، بل هو يرضى بمجرد التمني ولا يضيره التسويف، وفي هذا ما يدل على قناعة المحبّ من العذريين أو الذين يذهبون في الحبّ مذهبهم

(١٢)
وممّا جاء في الطَّيفِ

●

● مَنْ يسمحُ بخياله ويضنُّ بوصالِه

قال البحتري:

أهلاً بِزَائِرَةِ المُلِمِّ لَوَ انّه عرفَ الذي يعتادُ من إلْمامِه[1]
جذلان يسمَحُ في الكرَى بعناقِه ويضنُّ في غيرِ الكَرى بسلامِه[2]

وقال:

بنفسي من تنأى ويدنو ادكارها ويبذُلُ عنها طيفُها ويمانِعُ[3]

وقال:

وإذا ما أبى الحبيبُ مواتا تي تسلَّفتُ بالخَيال المُسَلِّم

قال أحمد بن أبي طاهر:

مبيتُ بها ضيفاً مُقيماً برحله وباتتْ بنا طيفاً تقيمُ ولا تدري
وزارت وما زارَت وجادَتْ ولم تَجُدْ تُواصِل عنها الطيفُ وهي على الهَجرِ

قال ابن المعتز:

شفَاني الخيالُ بلا حمْدِه وإبدالِه الوصْلَ مِنْ صَدِّه
وكَمْ مِنَّةٍ لي فؤادي أتتْ بالحبيبِ على بُعْدِه

وقال كشاجم:

قدْ جادَ طيفُك لي بوعدِك وأجارني من طُولِ صدِّك
ودنا إليّ معانِقاً ومصافِحاً خدّي بخدِّك
فظفرْتُ منك بما هوِيـ ـتُ بحمدِ طيفِك لا بحمْدِك

● من منعَ خيالَه بتسليط السّهادِ على محبِّه

قال شاعر:

فكانَ يزورُنا منه خيالٌ فلمّا أنْ جفَا مَنعَ الخَيالا

قال علي بن يحيى المنجم:

بأبي أنت لِمْ جفاني خيالٌ لكَ قد كنتُ أستريحُ إليْهِ

---

(١) الملمّ: الذي يزور أحبّته لماماً (٢) جذلان: فرح ـ يضنّ: يبخل ـ الكرى: النوم
(٣) الإدكار: التذكر ـ يبذل: يجود ـ طيفها: أي خيال المحبوبة

أرشِدني إلى خيالِك كيما ... أتقاضاه موعداً لي عليهِ[1]

وقال:

إنّ فقدَ النّومِ أعدمني ... رؤيةَ الأحبابِ في الحُلُمِ

قال أبو نواس:

كيفَ السبيلُ إلى طيفٍ يزاورهُ ... والنومُ في جملةِ الأحبابِ هاجرُهُ

● بغضُ طيفِ ذي هجران

قال أبو دلف:

لا تحمدنَّ على نوالٍ في الكَرى ... من ليس في غيرِ الكَرى بمَنولِ

قال المتنبي:

إنّي لأبغضُ طيفَ مَنْ أحببتُهُ ... إن كانَ يهجرُنا زمانَ وِصالِهِ

قال المهلّبي:

إنّما الطّيفُ المُلمُّ ... فرحٌ يتلوهُ همُّ

قلّما يُحمَدُ أمرٌ ... ليسَ فيهِ ما يُذَمُّ

قالت عابدة المهلبية

خطرتْ خيالُه فإذا خيالٌ ... مطولٌ مثلُ صاحبِهِ بخيلُ[2]

فإن توقعني طيفاً جواداً ... وصاحبُه بخيلٌ مستحيلُ

● مَنْ ذَكَر الخيال بات الفكر إزارة

قال أبو تمام:

نمْ فما زارَكَ الخيالُ ولكنْـ ... ـنكَ بالفكرِ زُرْتَ طَيْفَ الخيالِ

قال المتنبي:

لا الحلمُ جادَ بهِ ولا بمثالهِ ... لولا ادّكارُ وداعِهِ وزيالِهِ[3]

إن المُعيدَ لنا المنامُ خيالَهُ ... كانتْ عبارتُهُ خيالَ خيالِهِ

بتْنا يناولُنا المُدامَ بكفّهِ ... مَنْ ليس يخطرُ أن نراهُ ببالِهِ

فدنوتُمُ ودنوُّكُم مِنْ عندِهِ ... وسمحتُمُ وسماحُكُمْ مِنْ مالِهِ

● مَنْ أسهرهُ خيالُ حبيبِهِ

قال علي بن يحيى:

زارَني طيفُ الخيالِ فما ... زادَ أن أغرى بيَ الأرَقا

---

(١) تقاضاه: من قاضاه إلى الحاكم رافعه، وتقاضاه: التمس طالبه به

(٢) الخيال المطول: أي المماطل الذي يتوقف في إنجاز الوعد ... (٣) الزيال: الفراق

قال الفرزدق:

شَبَّتْ لعينك سلمى عند مَقْفَاها ... فـتّ منزعجاً من بُعْدِ مَرْآها[1]

وقلتُ أهلاً وسهلاً ما هداكِ لنا ... إن كُنْتِ تمثالَها أو كُنْتِ إيّاها

قال ابن الرومي:

طردَ الكرى عنّي وراحَ بحاجتي ... وقضى عليّ بأجرةِ الحمّام

● من تمنّى المَنَام لأجلِ لقاءِ الخيالِ

قال قيس بن ذريح:

وإنّي لأهوى النوْمَ من غيرِ نعْسةٍ ... لعلَّ لقاءً في المنام يكونُ

تخبرني الأحلام إنّي أراكُمُ ... فيا ليتَ أحلامَ المنامِ يَقِينُ

● من ذمَّ الصبح لمفارقةِ الخيالِ

قال البحتري

وليلةَ هوّمنا على العيسِ أرسلَتْ ... بطيفِ خيالٍ يشبهُ الحقَّ باطلُهْ

فلولا بياضُ الصبحِ طالَ تشبُّثي ... بعطفَيْ غزالٍ بتّ وهْناً أغازلُهْ[2]

وكمْ من يدٍ لليْلِ عندي حميدةٍ ... وللصُّبحِ من خطبٍ تُذَمُّ غوائلُهْ[3]

● المخافةُ من تهديد الطيف

قال شاعر:

رجا راحةً في النومِ حتّى إذا غفا ... أتى طيفُ من يهوى يهدِّدُ بالهَجْرِ

فقام يُنادي والدموعُ بوادرٌ ... أيا طيفَ مَنْ أهوى قتلتَ ولا تدري

(١٣)

وممّا جاء في السلوّ

● من ذكَر تسلّيه عن محبوبه بما لا يُسْلَى به

قال كثير:

ولمّا أبى إلا جماحاً فؤادهُ ... ولَمْ يسلُ عنْ ليلى بمالٍ ولا أهلِ

---

(١) مقفاها: مرأى قفاها والقفا مؤخّر العنق

(٢) التشبث: مصدر تشبث بكذا أي تعلّق به ـ وهناً: بعد منتصف الليل

(٣) الغوائل: الدّواهي والمهالك، جمع غائلة.

تسلّى بأخرى غيرِها فإذا الّتي | تسلّى بها تُغري بليْلي ولا تُسْلي

قال البحتري:

وقالوا تجنبها تفسق فاجتنبتها | زماناً فما أسْلى هوادي التّجنُّبُ
وقالُوا تقرَّبْ يخلقُ الحبّ أو تجد | علالة قلبٍ فاختلاني التقرّبُ

● مَنْ بقي له بعد ما تسلى علالة من الهَوى

قال معاوية

صَرَمْتُ سفاهَتي وأرخْتُ حِلْمي | وفي علْمي تحمُّلي اعتراضُ[1]
علـى أنّـي أجيبُ إذا دعتني | إلى حاجاتِها الحدقُ المِرَاضُ

قال البحتري:

إني إذا جانبتُ بعْضَ بطالَتي | وتوهّمَ الوَاشون أنّي مقْصِرُ
ليشوقُني سحرُ العُيونِ المجتلى | ويروقُني وردُ الخُدود الأحمرُ

● من قَرُبَ سلوه من عشقِهِ

قال محمد بن بشير:

سريع العُلوق إذا ما هوَى | سريعُ النزوع إذا ما علق
فبينا يرى عاشقاً إذ سلا | وبينا يرى قالياً إذ عشق[2]
رأيتُ الوصالَ وهجرانَهُ | يكونان منه معاً في نَسَقْ

وقيل لأعرابية كم تعشقين؟ فقالت.

ثلاثين ألفاً كُلّ يوم أحبّهم | وما في فؤادي واحدٌ مِنْهُمْ يَبْقى

● امتناعُ النفسِ من الرجوعِ إلى مَنْ أبغضَتْهُ

قال العباس:

ردُّ الجبال الرواسي عنْ أماكِنها | أخفُّ من ردّ نفسٍ حيْنَ تنصرفُ

وقال:

إذا انصرفَتْ نفْسي عن الشّيء لم تكد | إليْه بوجه آخر الدهر تُقْبِلُ

وقال آخر:

إنّ قلبي أعزُّ من أنْ تراه | في محلّ الهوى لقلبكِ عبْداً

---

(١) صرم (الشيء): أرسله وأطلقه مأخوذ من صرّم المواشي أي أرسلها ترعى ـ السفاهة: الجهل وردءة الخلق.
(٢) سلا يسلو العاشق: نسي عشقه وتغلّب عليه ـ قالياً: مبغضاً أو كارهاً.

● **الراغبُ عن محبوبِهِ**

قال أبو حية:

لقد جعلَتْ تعرضُ لي سعادُ ... تعرّضَ مَنْ يُريدُ ولا يُرادُ
فقلتُ لها: كسدتِ فلا تعنّي ... بنا فلكلِّ نافقةٍ كسادُ[1]
فما لكِ إنْ أقمتِ عليّ رزقٌ ... ولا لكِ إنْ ظعنتِ عليَّ زادُ

وكتب أبو نواس لما خرج من بغداد.

ألا قُلْ لأخلائي ... ومنْ همتُ بهم وَجْدا[2]
شربنا ماءَ بغـ ... ـدادَ فأنساناكُمْ جِدّا
خذوا منّا فإنّا قد ... وجدنا منكمُ بُدّا
ولا ترعوا لنا عهداً ... فما نرعى لكمْ عهدا

قال كثير:

فإن سألَ الواشون فيمَ هجرتَها ... فقُل: نفسُ حرٍّ سُلِّيَتْ فتسلّتِ[3]

● **التسلي عمّنْ رغبَ في غيرِكَ**

قال الخبزارزي:

إذهبْ وهبتُكَ للذين اخترتَهم ... هبةَ الكريمِ فإنه لا يرجعُ

وقال:

ولمّا بدا لي منكَ ميلٌ مع العِدا ... سوايَ ولم يحدثْ سواكَ بديلُ
صددتُ كما صدَّ الرزيُّ تطاولتْ ... بهِ مدةُ الأيامِ وهو قتيلُ[4]

قال ابن المعتز:

القلبُ لا يجمعُ إثنينِ ... والغمدُ لا يجمعُ سيفينِ
تاهَ فأقصيْتُ إلى غيرِه ... حارَ إلهي للمريقينِ

قال ابن الرومي:

يا ذا الذي منكَ التنـ ... ـكُّرُ والتغيُّرُ والتّبزُّ[5]
إنْ كانَ أدركَكَ الملا ... لُ فقدْ تداركَني السُّلُوّ

---

(١) كسد يكسد الشيء: لم يعن لقلة الرغبة فيه ـ النافقة: خلاف الكاسدة

(٢) الوجد: شدّة الولع بالمحبوب، الكلف بالمحبوب

(٣) سليت: نُسيت ... (٤) الرزي: المكروب

(٥) التنكّر: التغيّر، وتنكّر لفلان صار غريباً عنده ـ التبزّ: الجفاء

وقال:

كـلانـا واجـدٌ فـي الـنـا ... س مـمـن مـثـلـه خَـلَـفـا

قال أبو الشيص:

إذا لم تكن طرقُ الهوى لي ذليلةً ... تنكّبتُها وانحزتُ للجانب السّهلِ

ومالي أرضى منه بالجورِ في الهوى ... ولي مثلُه ألفٌ وليس له مِثلي

● **المتبجّحُ بالغدرِ مع أحبابِهِ**

قال بعضهم:

يا ربّ مثلك في النساء عزيزةٌ ... بيضاء قد متّعتها بطلاقِ

لم تدرِ ما تحت الضلوعِ وغرّها ... منّي تحمّل شيمتي وخلاقي

● **مَنْ ذكَرَ قلّة توفره على الهوى**

يقال رجل عزهاة إذا لم يكن غزلاً وقيل هو ضد زير نساء، قال المتنبي

ولـلـخـود مـنّـي سـاعـة ثـم بـيـنـنـا ... فلاةٌ إلى غير الوفاءِ تُجابُ[1]

وغيرُ فؤادي للغواني رميةٌ ... وغيرُ بناني للزّجاج رِكابُ[2]

● **استدعاءُ القلب إلى التسلي**

قال المتنبّي:

وأعـلـمُ أنّ الـبَـيْـنَ يُـشْـكـيـكَ بعده ... فلستَ فؤادي إنْ رأيتُك شاكيا[3]

قال بشار:

وقد رابني قلبي يكلّفني الصِّبا ... وما كلُّ حينٍ يتبعُ القلبُ صاحبَهْ

وقال آخر:

كـلّ الـلـذاتِ والـتـصـابـي ... قـبـل الـثـلاثـيـن تُـسْـتَـطـابُ[4]

---

(١) الخُود: جمع الخَوْد وهي المرأة الشابة ـ تجاب الفلاة: تقطع.

(٢) الغواني والغانيات: جمع غانية، والمرأة الغانية بحسنها وجمالها عن الزينة ـ البنان: الإصبع أو طرفه ـ الزِّجاج والأزجّة: جمع زجّ: الحديدة في أسفل الرمح، ويقابل الزّج السنان، والزِّجاج أيضاً الرماح من باب المجاز المرسل وهذان البيتان ينسبان أيضاً إلى أبي الطيب.

(٣) البَيْن: الفراق ـ يقول إن قلبه سيشكو من فراق محبوبه لكن الشاعر بحكم إرادته وكبريائه فوق قلبه ولهذا يلحّ على قلبه أن يكف عن الشكوى وإلا أنكره وتبرأ منه.

(٤) التصابي: الميل إلى اللهو واللعب ـ تستطاب: تستعذب ـ يقول: يستطيب المرء في شبابه قبل الثلاثين من عمره كل لذائذ الدنيا وملاهيها.

وقال آخر:

كفى سفهاً بالشيب أن يأتي الصِّبا ... وأن يأتي الأمرَ الذي هو عائِبُهُ

(١٤)
وممّا جاءَ في فنونٍ مختلفةٍ من الغزل

•

قال شاعر:

إذا اجتمع الجوع المبرّحُ والهوى ... على الرجل المسكين كاد يَمُوْتُ

قال ابن ميادة:

فيا أهلَ ليلى أكثرَ اللهُ فيكم ... من أمثالها حتى تجودوا لنا بها

وقال جميل:

أتوني وقالوا يا جميلُ تبدّلت ... بثينةُ إبدالاً لا فقلتُ لعلّها
وعلّ حبالاً كنتُ أحكمت عقدَها ... أُتيحَ لها واشٍ رقيقٌ فحلّها

وقال البحتري:

رأيتكَ إنْ منّيتَ منّيتَ موعِدَهُ ... جَهاماً وإن أبرقْتَ أبرقْتَ خُلّبا[١]

وقال شاعر:

طلبنا دواءَ الحبِّ يوماً فلم نجد ... من الحبِّ إلا من يُريدُ مُداويا

وقال عبد الله بن طاهر:

وكلّ مُحبٍّ جفا مَنْ يُحِبّ ... جفتهُ السّلامةُ والعافيه

وله:

أيامَ لم تلج النَّوى ... بين العصا ولحائِها

وقال الخبزارزي:

ظبيٌ تفلّتَ من حَبْلي فأوقعني ... في حبله إنّ في عينيه لي شَرَكاً[٢]

---

(١) الجهام: السحاب لا ماء فيه والموعد الجهام الموعد الكاذب الذي لا يُنجز - البرق الخُلّب: الذي لا يرافقه المطر.

(٢) يشبه المحبوب بالظبي ويقول بأن هذا الظبي أفلت من حبال حبّه وأوقع هو في حبال عينيه فعيناه شرك له والشرك حبائل الصيد.

- **استفتاء فقيه في الهوى**

قال أعرابي:

إلا استفتيا المكّي ذا الفقه ما الذي ... يحلّ من التقبيل في رمضان

فقال لي المكّيّ أمّا لزوجةٍ ... فسبْعٌ وأما خلّة فثماني

وقال أبو العالية:

سل المفتي المكيّ هلْ في تزاورٍ ... وضمّة مشتاق الفؤاد جُناحُ[1]

فقالَ معاذ الله أن يذهبَ التقى ... تلاصُقُ أحشاءٍ بهنّ جراحُ

- **مَنْ سلكوا في تصرفاتهم مسلكَ مذاهبهم في صناعاتِهمْ**

قُلْتُ لا أستطيع هجرك قالت ... صرْتَ بعدي تقول بالإجبارِ[2]

ما تحيلت من مقالةِ بشر ... بين غياث ومذهبِ النّجارِ

قال السعيد بن حميد:

قد قلت بالعدل ولكنني ... عَدَلْتُ في الحبّ عن العدْلِ

فقلْتُ بالإجبار مستغفِراً ... لله من قولي ومن فعْلي

قال جعفر الخياط

فتقتُ بالهجران دَرْزَ لِهَوىً ... إذا رقعتني إبرةُ الصّدِ

قال بعض الزّراعين:

زَرَعْتُ هواه في كراب من الهوى ... واسقيتُه ماء الدّوام على العَهْد

وسرقنتُه بالوَصل لم آلُ جاهداً ... ليحرزه السرقين من آفةِ الصّد[3]

فلمّا تعالى النّبت واخضرّ يانعاً ... جرَى يرقان البينِ في سنبل الود[4]

وقال حلاّج:

حلجْتُ قطن فؤادي بالهوى فغدا ... في الصدّ تندفُه الأحزان بالنّدِ

وقال حجّام:

حلقت بموسى الغدر ناصيةَ العَهْد ... وأجريت مشطَ الهَجْر في لحيَةِ الوَجْدِ

---

(١) الجناح: الإثم.

(٢) الإجبار: أي الجبرية وهي مذهب القائلين بأن الإنسان لا يملك إرادته فهو مجبَر وليس مخيّراً وقد اصطنع الشاعر في هذا البيت الجبرية في باب الحب والسبب.

(٣) السرقين: الزبل واللفظة فارسية.

(٤) يانعاً: حال من ينع وأينع النّبت إذا نضج - اليرقان: داء يصيب الإنسان، وقوله يرقان البين: من باب الاستعارة والمجاز - البين: الفراق - الودّ: المحبة وسنبل الودّ من باب المجاز - يقول: ما إن اخضر النبت ونضج حتى جرى في سنبل الودّ يرقان البين.

وقصّتْ بمقراض القلي طرّة الهوى ... فجبهةُ رأسِ الوصلِ مكشوفةُ الجلدِ

وقال الحسن بن أبي قماش وكان بقالاً:

أصبَح قلبي بربحا للهوى ... تسدح فيه فقْحةُ الهَجْر[1]

وهذا فصل توجد فيه أشعار كثيرة ولكن لا معنى في إفناء الوقت فيما ليس فيه كبير معنى.

● ومما قيل في كثرة العِتاب

وكلُّ عتاب كان صعْباً وضيقت ... مسالكُه ألجا إلى الكذب السهْلِ

وقد تُصْقلُ الأسيافُ وهي صديئةٌ ... وما كلّ يومٌ يُبذلُ السيفُ بالصقْلِ

وقال:

لولا كراهيةُ العتابِ وأنني ... أخشى القطيعةَ إنْ ذكرت، عتابا

لذكرتُ من عثراتِكم وذنوبِكم ... ما لو يُمرُّ على الفطيمِ لشابا

---

(١) البريج: مجرى من الخزف للماء وما شاكله، وبريخ بهوى استعارة ـ الفقحة: حلقة الدبر لانفتاحها عند الحاجة، وفقحة الهجر استعارة أيضاً

الحدُّ الرابع عشر

في الشجاعة وما يتعلق بها

•

(١)
ما جاء في الشَّجاعة وأحوالِها، حقيقةُ الشجاعة

■

• حقيقةُ الشجاعة

قيل: الشجاعة صبرُ ساعة، وكتب زياد إلى ابن عباس: صف لي الشجاعة والجبن والجود والبخل فقال: الشجاع من يقاتل من لا يعرفه والجبان يفر من عرسه والجواد يعطي من لا يلزمه حقه والبخيل يمنع من نفسه، قال شاعر:

يفرّ جبانُ القومِ عن أم نفسه ... ويحمي شجاعُ القوم مَنْ لا يناسبُهْ

وسئل فيلسوف عن الشجاعة فقال: جبلة[1] نفس أبية وقيل: الرجال ثلاثة: فارس وشجاع وبطل، فالفارس الذي يشد إذا شدوا والشجاع الداعي إلى البراز، والمجيب داعية والبطل الحامي لظهورهم إذا انهزموا.

• الأسبابُ المشجعة

قال الجاحظ: الأسباب المشجعة قد تكون عن الغضب والشراب والهوج والغيرة والحمية. وقد تكون من قوة النفخ[2] وحب الأحدوثة وربما كان طبعاً كطبع الرحيم والسخي والبخيل والجزوع والصبور وربما كان للدين، ولكن لا يبلغ الرجل للدين ما لم يشبهه بعض ما تقدم لأن الدين مجتلب مكتسب ولا يكاد يبلغ الطبيعة.

وقيل: لا يصدق القتال إلا ثلاثة: متدين وغيران وممتعض من ذلّ.

• الوصيةُ بالإقدام وتركُ الفَشَلِ

قيل: قد جمع الله تعالى في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾[3]، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا

---

(١) الجبلة: الطبع، سجية النفس.
(٢) النفخ (هنا): التكبر وتطاول المرء وتطلعه إلى ما ليس له.
(٣) القرآن الكريم: الأنفال/٤٦.

إنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1] في جميع ما يحتاج إليه في الحرب، استُشير أكثم بن صيفي في حرب أرادوها فقال: أقلوا الخلاف لامرائكم وعلموا أن كثرة الصياح من الفشل، والمرء يعجز لا محالة. وادرعوا الليل فإنّه أخفى الويل.

وكان عظماء الترك يقولون ينبغي للقائد في الحرب أن يكون فيه أخلاق من البهائم. شجاعة الديك وقلب وقلب الأسد وحملة الخنزير وروغان الثعلب وصبر الكلب على الجراحة وحراسة الكركي وحذر الغراب وغارة الذئب وقال قبيصة بن مسعود يوم ذي قار[2] يحذّر بكر بن وائل الجزع لا يغني من القَدَرِ، والصبرُ من أبواب الظفر، والمنيةُ ولا الدنية[3] واستقبالُ الموت خيرٌ من استدباره والطعنُ في الثغر أكرم منه في الدبر. وهالك معذور خير من ناج غرور

وقال أبو مسلم لبعض قواده إذ عرض لك أمر نازعك فيه منازعان أحدهما يَبْعَثُ على الإقدام والآخر على الإحجام فأقْدِمْ فإنه أدرك للثار وأنفى للعار.

● الحثُّ على استعمال الخدعةِ والحيلة والتحرّزِ في الحرب

قال النبي ﷺ الحرب خدعة وقيل إذا لم تغلب فاخلبْ وقال بعضهم كن بحيلتك أوثق منك بشدّتك، وبحذرك أفرح منك بنجدتك، فإن الحرب حربٌ للمتهوّر وغنيمة للمتحذّر.

وقيل. المكر أبلغ من النجدة، وفيما كتب معاوية إلى مروان لما بلغه قتل عثمان رضي الله تعالى عنه إذا قرأت كتابي فكن كالفهد لا يصطاد إلاّ بحيلة ولا يساور إلا عن حيلة وكالثعلب لا يغلب إلا روغاناً وأخف نفسك منهم إخفاء القنفذ رأسه عن لمس الأكف وامتهن نفسك امتهان من ييأس القوم من نصره وانحث على أخبارهم بحث الدجاجة عن حب الدخن[4] عند نقفسها وقيل حازم في الحرب خيرٌ من ألف فارس لأن الفارس يقتل عشرة وعشرين، والحازم قد يقتل جيشاً بحزمه وتدبيره.

● حث من دُعِي إلى المبارزة على الإجابة

قال أمير المؤمنين رضي الله عنه لبعض بنيه لا تدْعُونَّ أحداً إلى البراز ولا يدعونّك أحد إلاّ أجبته، فالداعي باغ والباغي مصروع.

وقال طرفة

إذا القومِ قالوا من فتىً خِلْتُ أنني ... دُعِيتُ فلم أكسلْ ولم أتبلّدِ[5]

---

(١) القرآن الكريم: الأنفال/ ٤٧.

(٢) يوم ذي قار من أيام العرب تغلبت فيه جموع من العرب بقيادة بني شيبان على الفرس

(٣) الدنية أو الدنيئة (بالهمز). النقيصة.

(٤) الدُّخن: نبات حبه صغير يقدّم طعاماً للدجاج والعصافير

(٥) يعبّر طرفة بن العبد عن حبّه الجماعي وحميته فهو إذ دعي إلى مكرمة أو مأثرة أقدم ولم يتردد نافياً عن نفسه المرتة وما قد يعتري روح الفروسية من بلادة أو كسل وفي رواية عُنيت في موضع دعيت.

وقال:

إن كانَ في الألف منّا واحد فدعوا   من فارس خالهم إيّاه يعنونا

قال دعبل:

من معشر إن تدعهم لملمّة   وصلوا الحياة إلى العلا بحديدِ[1]

● المنازل وقت المنازلة

قال المهلهل:

لم يُطيقوا أن ينزلوا فنزلْنا   وأخو الحرب من يطيقُ النزولا

وقال

يطعنهُم ما ارتَموا حتى إذا اعتنقوا   ضاربَ حتّى إذا ما ضاربوا اعتنقا

وقال:

جعلتُ يدي وشاحاً له   وبعض الفوارسِ لا يعتنقُ

● الحثُّ على الثبات والنهي عن الإحجام والفكرُ في العواقبِ

قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾[2] وقال ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾[3] وقيل السلامة في الإقدام والحمام في الأحكام، قال قطري:

لا يركننْ أحدٌ إلى الأحكام   مستخوفاً يومَ الوغى لحمامِ

قال الكلبي:

إذا المرءُ لم يغشَ الكريهةَ أوشكتْ   حبالُ الهُوينا بالفتى أن تقطعا[4]

وقال أبو بكر لخالد بن الوليد رضي الله عنهما لما أخرجه لقتال أهل الردّة: احرص على الموت تُوهبْ لك الحياة. وقيل: من فكر في العواقب لم يشجع، ولما أحست امرأة ربيعة بن مكدم بهربه قالت:

مساءة تترك الفتى سماءه   حتّى يجنّ من دم أنسائه

● الحثُّ على التفكرِ قبل التقدم

قيل: الإتيان بالتندم لا يعني معدم التقدم. وقيل: من قاتل بغير نجدة وحاصم

---

(1) الملمة: النائبة، جمع ملمات ـ قوله وصلوا بحديد كناية عن الكفاح والسعي إلى الأمجاد والذود عن الحرمات.

(2) القرآن الكريم: الأنفال/ 15.

(3) القرآن الكريم: الصف/ 4.

(4) الكريهة: الحرب ـ الهوينا: الرفق والتؤدة

بغير حجة وصارع بغير قوة فقد أعظم الخطر وأكبر الغرر:

إذا ما أردت الأمر فانزعه كلّهُ وقسه قياس الثوب قبل التقدُّم
لعلّك تنجو سالماً من ندامةٍ فلا خيرَ في أمر أتى بالتندّمِ

● **المتبجّحُ بثباته**

قيل: لأمير المؤمنين رضي الله عنه أنت محرب مطلوب فلو اتخذت طرفاً. **فقال:** لا أفرّ عمن كرّ ولا أكرّ على من فرّ، فالبغلة تكفيني.

وقيل لعباد بن الحصين. إن جالت الخيل فأين نطلبك؟ **قال:** حيث تركتموني. وقيل لبعض بني المهلب بن ملتم؟ ما ملتم قال بصبر ساعة، **وقال هدبة:**

أخو الحرب من لا يجتويها إذا اجتوت ولا يظهر الشكْوى وإن كان مُوجَعَا[1]

وقال.

قومٌ إذا نزلوا الوغى لم يسألوا حَذَرَ المنيّة عن طريق الهاربِ

وقال آخر:

ولا يرتقي من خشية الموت سُلَّما

قال أبو فراس:

صبورٌ ولو لم تبق مني بقيةٌ لتزول ولو أن السيوف جَوَابُ[2]
وقورٌ وأحداث الليالي تنوشُني والموت حولي جيئةٌ وذهابُ

● **المبادرُ إلى الحرب غيرَ مبالٍ بها**

وصف أعرابي قوماً فقال ما سألوا قط كم القوم، وإنما يسألون أين هم؟ سأل رجل يزيد بن المهلب فقال صف لي نفسك، **فقال:** ما بارزت أحداً إلا ظننت أن روحه في يدي

ولما بلغ قتيبة حدّ الصين قيل له قد أوغلت في بلاد الترك والحوادث بين أجنحة الدهر تقبل وتدبر، فقال بثقتي بنصر الله توغلت وإذ نقصت المدة لم تنفع العدة فقال الرجل أسلك حيث شئت فهذا عزم لا يفلّه إلا الله، **قال السلامي:**

أتى القدرُ المتاحُ فلا اصطبارٌ يرد شباةَ عنك ولا فِرَارُ
وليس تقلّني خرقاً ولكن لغير الحرب يدّخرُ الوقارُ

---

(۱) **اجتوى الشيء** كرهه، والبلد كره المقام به، وجوي يجوى (المرء). أصابته حرقة وحالة من الوجد الشديد بسبب حزن أو عشق

(۲) يفتخر أبو فراس بصبره في الشدائد وجراءته وثباته في المواقف غير آبه بالمخاطر

وقال:

إذا فاجأته الخيل لم ينتفر بها ... لحق الرجال واجتماع المقانب

وقيل لعبد الملك: من أشجع العرب في شعره؟ فقال: عباس بن مرداس حيث يقول

أشد على الكتيبة لا أبالي ... أحتفي كان فيها أم سواها

وقيس بن الحطيم حيث يقول

وإني في الحرب العوان موكل ... بإقدام نفس لا أريد بقاءها[1]

والمزني حيث يقول

دعوت بني قحافة فاستجابوا ... فقلت ردوا فقد طاب الورود

قالت أم الهيثم التميمية:

تمشي إلى أسل الرماح وقد ترى ... سبب المنية مشية المختال

وأخذه بعض المحدثين فقال

شهدت مشيتها بمشية طافر ... يختال بين أسنة وسيوف

كلف تباهت نفسه عن نفسه ... لما انثنى بسنانه المرعوف[2]

وقال البحتري:

تسرع حتى قال من شهد الوغى ... لقاء أعاد أم لقاء حبائب[3]

- **المتوصل إلى الشدة بالرخاء**

قيل: نيل المعالي هول العوالي، ودرك الأحوال في ركوب الأهوال، بالصبر على لبس الحديد تنعم في الثوب الجديد، في الصبر على النوائب إدراك الرغائب رب قعدة تمنع قعدات وأكلة تمنع أكلات، قال الطائي:

ولم تعطني الأيام يوماً مسهداً ... ألذ به إلا بنوم مشرد

وقال يزيد بن المهلب يوماً لجلسائه: أراكم تعنفوني في الإقدام فقالوا: أي والله أنك لترمي بنفسك. فقال إليك عني فوالله لم آت الموت من حبه ولكني آتيه من بغضه ثم تمثل

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد ... لنفسي حياة مثل أن أتقدما[4]

---

(١) الحرب العوان: أشد الحروب، والتي قوتل فيها مرة بعد أخرى.

(٢) السنان: الرمح أو رأس الرمح ـ المرعوف: الذي يسيل دماً والسند المرعوف مجاز وأصله خروج الدم من الأنف. من رعف رغفاً ورعافاً أي خرج الدم من أنفه.

(٣) لقاء أعاد: لقاء الأعادي، أي الأعداء.

(٤) يقول: لا حياة لامرىء بغير السعي والتقدم نحو المطامح.

● **المخوفُ مِنْهُ**

قيل: كانت قريش إذا رأت أمير المؤمنين في كتيبة تواصت خوفاً منه. ونظر إليه رجل وقد شقّ العسكر **فقال**: قد علمت أن ملك الموت في الجانب الذي فيه عليّ.

● **تأثير الجيش**

بعث أمير في طلب قوم رجلاً، فما لبث أن جاءه برجل أطول ما يكون **فقال**: كيف تمكنت منه؟ فقال: وقع في قلبي أن آخذه ووقع في قلبه أنه مأخوذ فنصرني عليه خوفه وجراءتي. وقيل لأمير المؤمنين بم غلبت الأقران؟ **قال**: بتمكّن هيبتي في قلوبهم.

● **المؤتمر له الوغى والردى**

قال كلثوم

قِداحُ المَنايا في يديْهِ يُجيلُها

قال الفرزدق:

أظَلّهُ مِثْلَكَ حتْفٌ ظَلَّ يرقُبُهُ ... حَتّى يُؤامرَ فيهِ رأيكَ القَدَرُ

وقال دعبل:

هم المتخيّرون على المنايا ... نفوسَ ذوي الرياسة باقتراحِ

قال سلم الخاسر:

كأن المنايا جارياتٌ بأمره

وقال المتنبي:

ويستعظمونَ الموْتَ والموْتُ خادمُه

● **الموفي على جماعة والغالبُ لَهُمْ**

قيل: للإسكندر إن في عسكر دارا[1] ألف مقاتل **فقال**: إن القصاب[2] الحاذق وإن كان واحداً لا يهوله كثرةُ الغَنَمُ

فواحِدُهم كالألفِ بأساً ونجدةً ... وألفُهم للعُجْمِ والعربِ قاهِرُ

وقيل لجنية بنت رباح. أعشرة هدرة[3] أحب إليك أم ثلاثة كعشرة فقالت. ثلاثة كعشرة فولدت بني جمعر **قال الموسوي**:

قلُّوا على كثرةِ العدوِّ لهُم ... كم عددٍ لا يُعَدُّ في العَدَدِ

---

(۱) **دارا (هنا)**: داريوس كودومان ملك فارس (٣٣٦ ق. م) حاربه الإسكندر وهزمه واستولى على مملكته.

(۲) **القصاب**: الجزّار

(۳) **الهدرة**: جمع هَدِر وهو الهادي الذي يحسط في منطقه

هو من قول أبي تمام

قَلُّوا ولكنَّهم طابُوا فأنجدَهُم ... جيشٌ من الصبر لا يُحصَى لهُم عَدَدُ

قال الحسن: ما ظننت أن رجلاً يفصل ألفاً حتى رأيت عباد بن الحصين، فإنه حاصر مدينة بكابل فثلمها ثلمة وكان يقاتل عليها ألف مقاتلهم وحده ليله حتى أصبحوا ومنعهم من حفظها وسدها.

وبعث بنو حنيفة بالفند حين طلب بنو ثعلبة نصرة وقالوا قد بعثنا إليكم ألف فارس وكان يقال له عديد الألف فلما ورد قالوا له أين الألف؟ قال: أنا فلما كان الغد وبرز وأحمل على ألف فارس مردف فانتظمهم

● المشبه بالأسد

هو أشد صولة[1] من أسد وأبلغ منعة من الحصن الحصين.

كالليث لا يُثْنِيهِ عن إقدامِهِ ... خوفُ الأذى وقَماقِمُ الأعداءِ[2]

وقال ابن الأعرابي أحسن بيت في الحرب قول الشاعر

كأنَّ الجوَّ محفوفٌ بنارٍ ... وتحتَ النارِ آسادٌ تزورُ

وقال زهير

ليثٌ بعثّر يصطادُ الرجالَ إذا ... ما الليثُ كذّبَ عن أقرانه صدقاً

وصف أعرابي آخر فقال: هو أشد إقداماً من أسد وتوثباً من فهد، واحتطافاً من حدأة ومن عقاب ملاح.

● جلدٌ ابتلي بمثله

في المثل:

إن كنت ريحاً فقد لاقيتَ إعصاراً

وقيل:

إن الحديد بالحديد يفلحُ[3]

● المتشمرُ في الشدائد

قال علقمة

فلا يغرَّنك مني الثوبُ أسحبه ... إني امرؤ فيَّ عند الجدِّ تشميرُ[4]

---

(١) الصولة: القهر والسطوة

(٢) قماقم الأعداء: القماقم جمع قمقمة وهي تتبع أصوات الرعد في الشدة وقوله قماقم الأعداء من باب الاستعارة.

(٣) هذا المثل شبيه بمعنى القائل: لكل شيء آفة من جنسه... حتى الحديد يسطو عليه المبرد

(٤) التشمير عند الجدّ: التهيؤ للنهوض لمواجهة الشدائد.

وقال:

طيّات طاوي الكَشْح لا يُرخي لمظلمة إزاره[1]

● المتحمّلُ للشدائدِ الصابرُ لها

وصف رجل آخر فقال: كان ركوباً للأهوال غير ألوف للظلال. قال أعرابي لوال: اجعلني زماماً من أزمتك التي تجرّبها العدو فيّ ممن يتخذ الليل جملاً في أثر العدو وأتدرع ظلامه لا نكول ولا أكول. وقيل فلان شديد المحجزة أي الصبر على الشدة، قال الأقرع:

ونكبةٍ لو رمَى الرامي بها حجَرا | أصمّ من حجر الصوّان لانصدعا[2]
مرت عليّ فلم أطرحْ لها سلبي | ولا استكنتُ لها وهْناً ولا جزعا

وقال الموسوي:

وكم عجموني فانسللتُ مهذّبا | وأثّر عودي في نيوبِ الأعاجمِ[3]

● الموصوفُ بالقوةِ

أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلٌ يستحمله فقال له: خذ لك بعيراً فأخذ بذنب بعير من إبل الصدقة فجذبه فانتزعه فتعجب من قوته، وقال: هل رأيت أقوى منك؟ قال: نعم خرجت بامرأة من أهلي أريد بها زوجها فنزلنا منزلاً أهله خلوف، فأقبل رجل ومعه ذود[4]، فصرت إلى الحوض فساورها[5] فناديتني فما انتهيت إليها حتى خالطها فجئت لأدفعه عنها، فأخذ برأسي بين جنبه وعضده فما استطعت حراكاً حتى قضى حاجته ثم استلقى. فقالت المرأة: أي فحل هذا لو كان لنا منه سخلة[6] فأمهلته حتى امتلأ نوماً فقمت إليه بالسيف فضربت ساقه فأبنتها فانتبه فتناول رجله فرماني بها فأشواني وأصاب رأس بعيري فقتله. فقال عمر: ما فعلت المرأة؟ فقلت: هذا حديث الرجل. فكرر السؤال عليه فلم يزده على هذا فظن أنه قتلها.

وكان الوليد شديد القوة وكان يؤتى بسلسلة من حديد وفيها حبل فيشده في رجله ويؤتى بالدابة فيثب عليها وثبة واحدة ولا يمسها بيده فيقطع السلسلة. فقال لأصحابه يوماً: هل تعلمون من هو أصرع مني؟ قالوا: نعم رجل بخراسان. فأحضره وقال: أريد أن تصارعني وإن حابيتني قتلتك فصارعه فحمله ووضعه فوق دسته، وقال أنت ههنا أحسن دع رعيتك يتصارعون بين يديك ولا تدخل معهم فيما لك عنه مندوحة.

---

(1) الطيات: جمع طية وهي الثنية ـ الكشح: من الجسم ما بين السرّة ووسط الظهر.
(2) النكبة: المصيبة الشديدة ـ الحجر الأصم: الصلب ـ انصدع: انشق.
(3) عجموني: أي اختبروا مقدار صلابتي، من عجم العود إذ عضه بأسنانه ليرى مقدار صلابته.
(4) الذود: الإبل من ثلاثة إلى عشرة.
(5) ساورها: واثبها.
(6) السخلة: ولد الشاة.

قال شاعر:

وما ولدتْ أمي من القومِ عاجزاً ... ولا كانَ ريشي من ذنابى ولا لُغبِ[1]

● الممدوحُ بقوة نفسِه دون جسمِه

قيل: الكرام أصبر نفوساً واللئام أصبر أبداناً. ومنه أخذ أبو تمام قوله:

والصَّبرُ بالأرواحِ يُعرفُ فضلُه ... صبرُ الملوكِ وليس بالأجسامِ

وقال:

وإني لأقوى على المعالي ... وما أنا بالقويّ على الصِّراعِ

وقال:

لا قوّتي قوّةُ الرّاعي قلائصَه ... يأوي فيأوي إليه الكلبُ والربعُ[2]

وقال معاوية رضي الله عنه: ما كان في الشبان شيء إلا وكان في منه مستمتع إلا أني لم أكن نكحة ولا صرعة

● من لا يتألمُ من شدّةٍ

قال

لا يألم الشرّ حتى يألم الحجر

● المتبرم للحرب

قال شاعر:

يا بؤسَ للحربِ التي ... وضعت أراهطَ فاستراحوا

وقال:

ما ذاق همّاً كالشجاع ولا حلا ... ممرّةٍ كالعاجز المتواني

وقال سيف الدولة:

كأنّما لغزو مفروض على بشر ... من يملك الأرض أوساطاً وأطرافا

● فرسانُ العرب

قال أبو عبيد: فرسان العرب المجمع عليهم: دريد بن الصمة وعنترة العبسي وعمرو بن معدي كرب.

وقد عد من أكابرهم عامر بن الطفيل وعتيبة وعتيبة بن الحارث وزيد الفوارس والحرث بن ظالم وعباس بن مرداس وعروة بن الورد

---

(١) الذنابي: ذنب الطائر ـ اللغب: الفاسد والقبيح من الكلام

(٢) القلائص: جمع قلوص وهي الأنثى الشابة، والقلائص من الإبل

ومن فتاك[1] الجاهلية: الحارث بن ظالم والبراض بن قيس وتأبط شراً وحنظلة بن فاتك الأسدي.

ومن رجالاتهم أوفى بن مطر المازني وسليك بن السلكة والمنتشر بن وهب الباهلي وكل واحد منهم كان أشد عَدْواً من الظبي وربما جاع أحدهم فيعدو إلى الظبي فيأخذ بقرنه ولا يحملون زاداً. وكان أحدهم يأخذ بيض النعام في الربيع فيجعل فيه ماء ويدفنه في الفلاة حيث يغزو، حتى يكون له في الصيف إذا سلك ذلك الطريق. ومنهم الشنفرى.

- **المتفادَى من التعرض له**

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: فلان مضعني فلما صرعته لعقلني

طـوالُ قـنـى تـطـاعِـنُـهـا قِـصَـارٌ ... وقـطـرُك مـي وغـىً ونـدىً بـحـارُ

وقال:

إنَّ الـرمـاحَ وإن طـالَـت دوائـبُـهـا ... من العدى تتواصى عنه بالقِصَر[2]

- **من لا يخضعُ في شدةٍ**

قيل لأعرابي اشتد به المرض: لو تبت. قال: لست أعطي على الذلّ إن عافاني الله تبت، وإلا أموت هكذا.

لا يخرجُ القسرُ منّي غيرَ معصيةٍ ... ولا اللِّينُ لِمَنْ لا يشتفي لِيني[3]

وقال شقاخ

أبَيْنا فلا نُعطي مليكاً ظُلامةً ... ولا سُوقةً إلا الوشيجَ المقوّما[4]

وسأل عمر بن عبد العزيز ابن أبي مليكة عن عبد الله بن الزبير فقال: ما رأيت نفساً أثبت من نفسه، مر حجر من المنجنيق وهو قائم يصلّي بين جنبه وصدره فما خشع له بصره ولا قطع قراءته ولا ركع دون الركوع. وعن أمه أنها دخلت عليه في بيته وهو قائم يصلّي فسقطت حية فتطرّقت بابنه هاشم فتصايح أهل البيت بها حتى قتلوها وعبد الله قائم يصلّي فما التفت ولا عجّل. فلما فرغ قال: ما بالكم؟

- **المتأنّي**

قال خارجة

قوم إذا شومسوا لجّ الشماسُ بهم ... ذاتَ العناد وإنْ ياسرتَهُم يسرُوا[5]

---

(1) الفتاك: جمع فاتك وهو الجريء الشجاع.

(2) الذوائب: جمع ذؤابة وهي الشعر المضفور، والذؤابة شعر مقدّم الرأس، وذؤابة الجبل قمته يقال لأنالنّ في ذؤابتك أي لأنالنك.

(3) القسر: القهر. (4) الوشيج: الرماح.

(5) شومسوا: من شامسه أي عاده وعانده. والشماس: الامتناع والإباء. والشماس مصدر شمس شموساً وشماساً.

- **المؤثر الموت في العز على الحياة في الذل**

هيمٌ إلى الموت إذا خُيِّروا ما بين تبعاتٍ وتقتالِ[1]

ولما وقعت الهزيمة على مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية أهاب بالناس ليرجعوا فلم يلووا فانتضى سيفه وقاتل قتال مُستقتل، فقيل له: لا تهلك نفسك ولك الأمان. فتمثل بأبيات قالها الحسين رضي الله عنه يوم قتل وهي:

أذلُّ الحياةِ وذُلُّ الممات وكلاً أراه طعاماً وبيلا[2]

فإن كان لا بدّ إحداهما فسيري إلى الموت سيراً جميلاً

وقال أبو تمام:

يرى العلقَمَ المأدوم بالعزّ أريةً يمانيّةً، والأريَ بالذلّ علقما[3]

وقال المتنبي:

فاطلبِ العزّ في لظى ودعِ الذ لّ ولو كانَ في جِنانِ الخُلودِ[4]

وقال الموسوي

معافَ المنايا وامتطى الموتَ شامخاً بمارنِ أنفٍ لا يذلّ لخاصِمِ[5]

وقال منصور بن باذان

معش ما معيش عزيز البقاء معزك خيرٌ وإن قيل بلْ

فطولُ الحياة على ذلةٍ لعمركَ عندي حياةُ السفلْ

وكلّ مساعٍ له همّةٌ من الناس إلا قصيرُ الأجلْ

- **النهيُ عن مخافة القتلِ والحثُّ على تصوّر الموتِ والتمدّحُ بذلك**

قيل لعلي رضي الله عنه: أتقاتل أهل الشام بالغداة وتظهر في العشيّ في ثوب ورداء؟ فقال: أبالموت أخوّف؟ والله ما أبالي أسقطت على الموت أم سقط الموت عليّ. وقد أحسن المتنبي في قوله

إذا غامرتَ في أمرٍ مرومٍ فلا تقنعْ بما دونَ النجومِ

فطعمُ الموت في أمرٍ حقيرٍ كطعمِ الموتِ في أمرٍ عظيمِ

---

(١) هيم إلى الموت: أي عطاش

(٢) الطعام الوبيل: الذي يخاف وباله أي سوء عاقبته

(٣) العلقم: الحنظل وهو نبات شديد المرارة - الأرية: الشهد - يقول إن الحنظل الممزوج بالعز كالعسل اليماني إلا أن العسل الممزوج بالذل أشد مرارة من العلقم

(٤) عز: دع

(٥) مارن الأنف: طرفه، يقال: رمح مارن أي صلب لدن

وفي قوله:

ترى الجبناء أنَّ العجز عقلٌ ... وتلك خديعةُ الطبعِ اللئيمِ

وقوله:

فلو أن الحياة تبقى لحيّ ... لعددنا أضلّنا الشُّجعانا

وإذا لم يكنْ منَ الموتِ بُدٌّ ... فمن العجزِ أن تموت جَبَانا

قال أبو فراس:

تهونُ علينا في المعالي نفوسُنا ... ومن خطبَ العلياء لَم يغْلُه المَهْرُ[1]

● قومٌ تسلّطَ عليهم القتلُ فلم يُفْنِهِمْ

قال المهلّب: ليس شيء أنمى من سيف، فوجد الناس تصديق ذلك فيما نال السيف آل علي، فما زادهم إلا نمواً... أنمى عدداً وأكرم ولداً منهم قال الله تعالى ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب. وقال الحجاج لامرأة من الخوارج: والله لأحصدنّكم حصداً. **فقالت**: أنت تحصد والله يزرع. فانظر أين قدرة المخلوق مع قدرة الخالق. ولم يظهر من عدد القتلى ما ظهر في آل أبي طالب وآل المهلب وفيهم من الكثرة ما ترى. **قال شاعر**:

إذا فَرَغَ القتلُ عن غيظهم ... أبى ذلك الغيظُ إلا التقافا[2]

وقيل: أربعة يسرع الخلف إليها: الحرق والقتل والترويح والحج.

● من لم يُبالِ بأن يُقتل

قال عبد الله بن مسعود: عثرت بأبي جهل في الجرحى وقد قطعت يده ورجله، **فقلت**: يا عدو الله وعدو رسوله. **فقال**: سيفك كهام[3] فهاك سيفي فحزّ رأسي[4] من عريشي فإنه أهون عند من يراه.

وأسرت أمُّ علقمة الخارجية وأتي بها إلى الحجاج **فقيل لها**: وافقيه في المذهب فقد يظهر الشرك بالمكر **فقالت**: قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين. **فقال لها**: قد خبطت الناس بسيفك يا عدوة الله خبط العشواء فقالت لقد خفت الله خوفاً صيّرك في عيني أصغر من ذباب وكانت مُنكسة **فقال**: ارفعي رأسك وانظري إليّ فقالت أكره أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه. **فقال**: يا أهل الشأم ما تقولون في دم هذه؟ **قالوا**: حلال. **فقالت**: لقد كان جلساء أخيك فرعون أرحم من جلسائك حيث استشارهم في أمر موسى فقالوا أرجئه وأخاه، فقتلها.

---

(١) المهر: الصداق وهو ما يجعل للمرأة من مال لتتمتع به.

(٢) الالتقاف: مصدر لقف والتقف الشيء: تناوله بسرعة والطعام ابتلعه بسرعة وبفهم.

(٣) السيف الكهام: غير القاطع. (٤) حزّ رأسه: قطعه.

وكان حكيم بن جبلة قطعت رجله يوم الجمل فأخذها وزحف بها على قاطعها فقتله، وقال:

يا نفسُ لا تُراعي إنْ قطعتْ كراعي[1]
إنّ معي ذراعي

وقال أعرابي لابنه وقد قدم للقتل: يا بني أصمم قدميك وأصرز أذنيك ودع ذكر الله تعالى في هذا الموضع فإنه فشل.

- الجواد بنفسه في الحرب المستعدُ للموتِ

قال بعض بني نهشل:

أنّا لنُرخِصُ يومَ الرّوعِ أنفُسَنا ولو نُسامُ بها في الأمْنِ أغْلَينا[2]

وقالت الخنساء:

نُهينُ النفوسَ وهونُ النفوس يومَ الكريهةِ أوفى لها[3]

ونحوه للموسوي:

ولا تبذلَنّ النفسَ حتى أصونَها وغيري في قَيْدٍ من الذلّ يَرْسُفُ[4]

وقال آخر:

رخيصٌ عنده المُهجُ الغَوالي كأنّ الموتَ في فكيه شَهْدُ[5]

وقال أبو تمام:

يستعذبونَ مناياهم كأنهم لا يخرجونَ من الدنيا إذا قُتِلُوا[6]

وقال عبد الله بن أبي عيينة

وإني لِمَنْ قومٍ كأنّ نفوسَهم بها أنفٌ أن تسكُنَ اللحمَ والعظْما[7]

- تصبيرُ النفسِ في الحربِ

قال شريح العبسي:

أقولُ لنفسي لا يُجادُ بمثلها أقلّي مِزاحاً إنّني غيرُ مُدبِرِ

---

(١) لا تراعي: لا تخافي ـ الكراع: من الإنسان ما بين ما دون الركبة من مقدّم الساق.
(٢) يوم الروع: يوم الهول في الحرب.
(٣) يوم الكريهة: يوم الحرب والقتال.
(٤) يفتخر الموسوي بصون نفسه إباء وشموخاً ويسخر من الضعيف القابع في قيد الذل.
(٥) و (٦) و (٧) تشترك هذه الأبيات في امتداح التضحية بالأرواح والمهج أنفة وإباء مع الاستهانة بالموت حفاظاً على العزّة والشرف.

وقال الفرزدق وقد لقيه أسد:

لما سمعتُ له هماهمَ أجهشتْ نفسي إليّ تقول أينَ فِرَاري؟
فربطتُ نفرتَهِ وقلتُ لها: إصبري وشددتُ في ضنك المقامِ إزاري[1]

وقال أبو تمام:

وحنّ للموت حتّى ظنّ مبصره بأنه حنّ مُشتاقاً إلى وَطَنِ
لو لمْ يمُتْ تَحتَ أسياف العدا كرما لماتَ إذ لم يمُت من شدّة الحُزْنِ

وقال البحتري:

تسرع حتّى ظنّ من شهدَ الوغى لقاء أعادٍ أم لقاء حبائبِ

● المستأنفُ من موته حتف أنفه

قال بكر بن عبد العزيز:

إنّ موْتَ الفِراش ذُلٌّ وعارُ وهو تحتَ السيوفِ فَضْلٌ شريفُ

وقال عبد الملك الحارثي وأجاد

وما ماتَ منّا سيد حتفَ أنفهِ ولا طُلّ منّا حيثُ كان قتيلُ[2]
تسيلُ على حدّ السيوفِ نفوسُنا وليستْ على غيْرِ السيوفِ تسيلُ

وقال أبو فراس:

متّى ما يدنُ من أجلٍ كتابي أمُتْ بيْنَ الأسنّةِ والأعنّه[3]

وقال الموسوي:

ويستحسنون المَوْتَ والموتُ راحةٌ وأتْعَبُ مَيْتٍ مَنْ يموتُ بداء

● مخاوضُ الحرب مقتولٌ لا محالة

قال تأبط شراً:

ومن يُغْرِ بالأعداء لا بدّ أنّه سيلقى بهم من مصرَعِ الموْتِ مصرعا[4]

وقال آخر:

ومن يكثر التطوافَ في جند خالدٍ لدى الروم مضبوباً عليه دروعُها

---

(١) ضنك المقام: ضيق المقام.

(٢) مات حتفاً أنفه: أي مات على فراشه وليس في الحرب وساحة القتال.

(٣) الأسنة: الرماح - الأعنة: جمع عنان وهو سير اللجام، والموت بين الأعنة كناية عن الموت في المعركة فوق صهوة الجواد.

(٤) يغز بالأعداء: يخدع بهم.

فلا بدّ يوماً أن تحدث عرسه — إذا حدثت يوماً حديثاً يروعُها[1]

قال ابن الرومي:

ومنْ لا يزل مستبينٍ يوماً فريسةً — يرى قمناً أن لا يرى منه سالما

وقال آخر:

إن الشجاعة مقرونٌ بها العَطَبُ

● **قصدُ العدا مجاهرةً**

أشار على الإسكندر أصحابه أن يبيت الفرس، فقال: ليس من الإنصاف أن أجعل غلبتي سرقة.

قال المتنبي:

إذا انتقموا أعلنُوا أمرهم — وإن أنعموا أنعمُوا باكتِتام[2]

وقال السريّ:

ويجعل بشرَه نذر الأعادي — فيمنحها يميناً أو شمالاً

ولم يمددهم مقةً ولكن — يُرفّع أن ينالهم اغتيَالا[3]

● **الفتكُ**

ومن أمرك ما شاورت فيه ولا الذي — تخبرُ من لاقيت أنك فاعلُهْ

قال الحارث بن ظالم:

علوتُ بذي الحيّات مفرقَ رأسه — وهل يركب المكروهَ إلا الأكارمُ

فتكْتُ به لمّا فتكْتُ بخالد — وكان سلاحي يحتويه الجماجمُ

● **المتعوّدُ ملازمةَ الحربِ والأمكنةِ**

قال أبو تمّام:

لحياضها متورّدٌ ولخبطها — متعوّدٌ ويدرّها ملبونُ[4]

قال ربيعةُ بن مقروم:

وثغرٍ مخوفٍ أقمنا به — يخافُ به غيرُنا أن يُقيمَا[5]

---

(١) العرس: الزوجة

(٢) أنعموا باكتتام: أي سرّاً، كناية عن عدم التبجح بالعطاء والبذل

(٣) المقة: الحبّ مصدر ومق يمق مقة فلاناً أحبّه

(٤) حياضها: يريد حياض الحرب، والحوض أصلاً مجتمع الماء، استعارة للحرب وحوض الحرب مجتمع الدم ـ الخبط: الضراب ـ الدرّ: اللبن ودرّ الحرب استعارة

(٥) الثغر: الموضع الذي يخشى دخول العدو منه

● **الضاحكُ في الحربِ والعابسُ فيها**

توصف الحرب تارة بشاشة الوجه وطلاقته نحو قول النميري:

يَفْتَرُّ عندَ لقاءِ الحربِ مبتسماً ... إذا تغيّر وجهُ الفارسِ البطلِ

وقول صاحب البصرة:

كأنّ دنانيراً على قسماتهم ... إذا الموتُ للأبطال كان تَخَاسا[1]

وقال الموسوي:

إذا عصفَرَ الخوفُ ماءَ الوجوه ... تراها من الخوف حمر الوسام[2]

وتوصف تارة بالعبوس، قال أبو تمام

قد قلصت شفتاه من حفيظته ... فخُيِّلَ من شدّة التعبيس مُبْتَسِمَا[3]

● **المقاتلُ عن حريمه**

ليم الإسكندر في مباشرته الحرب بنفسه فقال: ليس من الإنصاف أيقتل قومي عني وأترك المقاتلة عنهم وعن أهلي ونفسي، قال عنترة:

ومرقصة رددتُ الخيلَ عنها ... وقد همّت بإلقاء الزمام

وقيل للحسن ما تقول فيمن سبى امرأة ولها زوج؟ وكان عنده الفرزدق، فقال: هل قلت في هذا شيئاً؟ قال نعم

وذات حليل أنكحتها رماحُنا ... حلالاً لمن يبني بها لم تُطَلَّقِ[4]

فقال الحسن أصبت كنت أرى أنك أشعر مني فإذا أنت أفقه، قال شاعر

يا رب من يبغض أذوادنا ... رُحْنَ على بغضائه واغتَدَيْنَ

لو نبتَ المرعى على أنفه ... لرحْنَ منه أُصُلاً قد رَعَيْنَ

قال مسلم الخاسر:

يرمي الفجاج به أغرّ محجّلاً ... جعلَ السيوفَ مناكحاً وَطَلاقا[5]

أخذه من مسلم:

إذا ما نكحنا الحربَ بالبيضِ والقنا ... جَعَلْنَا المنايا والرماحَ طلاقا

---

(١) القسمات: أمارات الوجه ـ النخّاس: بائع العبيد، شبّه به الموت بجامع البيع

(٢) عصفر الخوف الوجه: جعله أحمر اللون.

(٣) قلصت أو تقلصت: انكمشت ـ الحفيظة: الذود أو الذبّ عن المحارم ـ خُيِّل: ظُنَّ ـ التعبيس: تقطيب الوجه

(٤) الحليل: الزوج

(٥) الفجاج: جمع فجّ وهو الطريق الواسع الواضح بين جبلين

قال زياد الأعجم:

صفّان مختلفان، حينَ تلاقيا   آبا بوجه مطلّق أو ناكحِ

- **سدُّ الثغورِ**

قال دعبل:

هو الجاعلُ البيضَ القواطعَ والقنا   كماماً لأفواه الثغورِ الفواغِرِ[1]

- **قصدُ الغاراتِ بالإبل والأفراس**

كان العرب إذا قصدوا غارة ركبوا الإبل وجنبوا الخيل فإذا انتهوا إلى المعركة ركبوا الخيل، قال شاعر:

أولى فأولى بامرىء القيس بعدما   خصفْن بآثار المطيّ الحوافر

وذكر أعرابي قوماً تبعوا ناساً أغاروا عليهم **فقال**: احتثوا كل جمالية عيرانة فما زالوا يخصفون أخفاف المطيّ بحوافر الخيل حتى أدركوهم بعد ثلاثة فجعلوا المران أرشية الموت فاستقوا به أرواحهم، **قال الشريف الموسوي**:

إذا مشقّ الجشب فوق المطا   ح وقع فيهنّ بالحافر

- **المعاودُ للغاراتِ الجاني للحروب**

قال الحارث بن أبي شمر

ما إن تجفّ لبودُها من غارةٍ   حتى تعاود للحروب غوائِرا

وقيل: فلان يلقح الحرب الكشاف ويمتري من درّها السمّ الرعاف

قال بشار:

إذا الحربُ قامتْ بهم شمّروا   وكانوا أسنّة خُرصانها[2]

- **المستنكفُ من السلب**

قال أعشى همدان

وأرى مغانمَ لو أشاء حَوَيْتُها   فيصدّني عنها حياً وتَعَفُّفُ[3]

وقتل أمير المؤمنين رجلاً فأراد قنبر أن يأخذ سلبه فقال: يا غلام لا تعر فرائسي، قال عنترة:

أغشى الوغى وأعفّ عند المَغْنَم

---

(١) **البيض القواطع**: السيوف ـ **القنا**: الرماح ـ **الكمام**: من كمم البعير شد فمه لئلا يأكل أو يعض ـ **الثغور الفواغر**: الأفواه المفتوحة

(٢) **الخرصان**: الرماح جمع خِرْص والخرص بالضم الحلقة من ذهب أو فضة

(٣) **حياً**: أي حياء ـ **التعفف**: الترفع والإباء

وقال آخر:

يغشى العَوالي ولا يلْوي على سَلَبِ[1]

قال أبو تمام:

إن الأسودَ أسودُ الغابِ همّتُها ... يَوْمَ الكريهَةِ في المسلوبِ لا السّلَبِ[2]

● العاجزُ أعاديه عن إصلاحِ ما أفسده وعكسهُ

قال علي بن جبلة:

يأسو الذي يجرحُ أعداؤه ... وما لهُم من جرحه آسِ

قال الكميت:

لا يهدم الناسُ ما تبْني أكفُّهمُ ... من الفِعَال ولا يبنون ما هدَموا

قال المتنبي:

لا يجبرُ الناسُ عظماً أنتَ كاسرُهُ ... ولا يهيضون عظماً أنت جابرُهُ[3]

قال أشجع:

ولا يرفعُ الناسُ من حطّه ... ولا يضعُ الناسُ من يرفعُ[4]

● وصفُ الشبانِ والكهولِ في الحرب

قال رجل لرجل: لأعرونك بمرد على جرد، فقال: لألقينك بكهول على فحول

● تفضيلُ الشبانِ في الحربِ

قال طاهرُ بن الحسين

هيبٌ إذا لم يكُن جرب بمكتهلٍ ... مجرب قوله يكفي من العملِ[5]

واغشى اللقاء إذا كانَ اللقاءُ به ... سفك الدما بحديث السنّ مقتبل

فإنَّ ذا السِنّ يلْقَى حتْفَه أبداً ... ممثلاً بيْنَ عينيه من الوَجلِ[6]

وذو الشباب له شأوٌ يماطلُه ... فلا يزالُ بعيدَ الهَمّ والأملِ[7]

● الخيولُ السريعةُ في الحربِ

قال بعضهم:

جرّ الرجالَ على ظُهور سَعالي[8]

---

(١) العوالي: الرماح ـ السلب: الغانم في الحرب. (٢) يوم الكريهة: الحرب.

(٣) يهيضون: يكسرون. (٤) حطه: خلاف رفعه أي دفعه إلى أسفل.

(٥) المكتهل: الذي صار كهلاً، والكهل ما كانت سنه ما بين الثلاثين والخمسين ـ المجرب: ذو التجربة الخبير.

(٦) الوجل: الخوف الشديد. (٧) الشأو: الأمد، الغاية.

(٨) السعالي: جمع سعلاة، وهي أنثى الغول، وهو حيوان لا وجود له.

قال كثير:

صقورٌ على أثباجِ جرْد قوابس ... وأسدٌ إذا ما كانَ يومَ نزولِها[1]

وقال المتنبي:

إيّاهم حثوا العجاجة والقنا ... سنابكُها تحشو بطونَ الحمالقِ[2]

- **تعويدُ الفرسِ في حبسه في المعركةِ**

قال النابغة

ونحنُ أناسٌ لا نعودُ خيلنا ... إذا ما التقينا أن تحيدَ وتنفرا

وتُنكرُ يومَ الرّوعِ ألوانُ خيلنا ... من الطعْنِ حتى تحسبَ الجونَ أشقرا

فلا نحنُ معروفٌ لنا أن نردّها ... صِحاحاً ولا مستنكرٌ أن تعقرا

وقال أبو تمام:

تقاسمنا بها الجرْدَ المذاكي ... سجالَ الكرِّ والدأبَ العتيد

إذا خَرَجتْ من الغمراتِ قلنا ... خرجتِ حبائساً إنْ لم تعودي[3]

- **كثرةُ الجيش**

كسجنْجِ الليلِ أردفَ بالغيومِ ... بجمهور يحارُ الطَّرفُ فيه

يظل متصلاً فيه الفضاء

قال صاحب البصرة

بجَحفلٍ مثل سدلِ الليلِ منظومٍ من الزبد[4]

وقال المتنبي:

بجيش لهامٍ يشغلُ الأرضَ جمعُه ... عن الطيرِ حتى ما يجدْن منازِلا

وقال السري:

ومشلومة الأقطارِ حشو مجُحِها ... عتاق المذاكي والوشيج المقوّمِ

قال المتنبي:

قشير وبلعجلان فيها خفية ... كراءين في ألفاظ ألثغ ناطقِ[5]

---

(١) **الأثباج**: جمع ثبج وهو أعلى الموج، وأثباج الجرد صهوات الخيل

(٢) **العجاجة**: الغبار، ولا سيما غبار المعركة

(٣) **الغمرات**: الشدائد، جمع غمرة.

(٤) **سدل الليل**: ستر الليل المظلم ـ الربذة: العبرة، والزبد: البت

(٥) **الألثغ**: الثقيل اللسان بالكلام والذي يعثق بالسين كالثاء أو بالراء كالعين أو الياء.

وقيل: زحف ككرّ العارض[1] المسهلّ وكدفاع الأتيّ[2] المرسل فهو يتطالع من غور[3] وأنجاد ويظهر من اقتراب واتئاد

وكالسيلِ أو كاللّيلِ أو عددِ الحصى ... سالَتْ بطاحُهم بالجُرْدِ اللهاميمِ[4]

● **كثرةُ الجيشِ والأسلحةِ**

بـذي لـجـب أزبّ مـن الـمـوالـي

قال النجاشي:

وعـراصـة بـرّاقـة ضـوؤهـا دمٌ ... يـكـشـفُ عـن بـرق لـهـا الأفـقـانِ

وقال قيس بن الحطيم:

إنك تـلـقـى حـنـظـلاً فـوق بـيـضـا ... تـدحرجَ عن ذي ساحـةِ الـمـتـقـارِب

وقال المتنبي:

يـمـنـعُـهـا أن يـصـيـبـهـا مـطـرٌ ... شـدّةُ مـا قـد تـضـايـق الأسـلُ[5]

(٢)
وممّا جاءَ في التهديدِ



● **من هدّدهُ السلطانُ فاستعانَ باللهِ**

لقي الحجاج محمد بن الحنفية فقال له: نفسك فلأريقنّ دمك، **فقال محمد:** إن لله في كل يوم كذا كذا ألف نظرة يقضي في كل نظرة كذا كذا ألف أمر فعسى أن يشغلك بأمره.

● **من هدده سلطانٌ فاعتذر وأظهرَ المخافةَ**

كتب ذو الرياستين إلى طاهر بن الحسين في مصف إنسان، والله لئن أمرت لأنمدنّ، ولئن أنمدت لأبرمنّ، ولئن أبرمت لأبلعنّ. فأجابه طاهر: أنا أعزك الله كالأمة السوداء إن حمل علينا تدمدمت وإن رفّه عنها أشرت، وإن عوقبت فباستحقاق، وإن عُفِيَ عنها فبإحسان

● **تهديدُ سلطانٍ شديد الوطأة**

خطب الحجاج فقال: أيها الناس من أعياه داؤه ومن استعجل أجله، فعليّ أن أعجله

---

(١) **العارض:** السحاب المعترض في الأفق أو الجبل

(٢) **الأتي:** السيل القوي

(٣) **الغور:** الأرض المنخفضة والأنجاد جمع نجد وهو المرتفع من الأرض

(٤) **الجرد:** الخيل ـ **اللهاميم:** جمع لهميم وهو الجواد السابق، واللهميم الجيش العظيم

(٥) **الأسل:** الرماح.

إن الحزم والجد ألساني سوء ظني وجعلا سيفي سوطي، فنجاده في عنقي وقائمه في يدي.

وقطع بنو عمرو بن حنظلة الطريق فكتب إليهم: أمّا بعد فإنكم استنكحتم السمن فنسلتم الفتن، وإني أقسم بالله لئن عودتم أعلم وسعيتم في الإثم لأبعثنّ إليكم حيلاً تدع نساءكم أيامى وأولادكم يتامى. فأيما رفقة وردت ماء قوم لكم فأهل الماء ضامنون لها إن تجاوزتهم إلى ماء غيرهم تقدمة مني إليكم وبدراً لكم فالانتقام يعقب العفو والإنذار لا بقية معه والسلام

وأحضر عبد الملك بن صالح للرشيد من حبسه فلما مثل بين يديه أنشد الرشيد

أريـد حـيـاتـه ويـريـد قـتـلـي | عـذيـرك مـن خـليـلـك مـن مـراد

والله لكأني أنظر إلى شوبها وقد همع، وإلى عارضها وقد لمع، وكأني بالوعيد وقد أورى ناراً فأقلع عن براجم[1] بلا معاصم، ورؤوس بلا غلاصم[2]. مهلاً بني هاشم فبي سهل الوعر وصفا الكدر وألقت إليكم الأمور أثفاً أزمتها، فحذار من حلول داهية خبوط باليد، لبوط بالرجل. فقال عبد الملك اتق الله فيما ولاك، وراقبه فيما استرعاك ولا تجعل الكفر موضع الشكر، والعقاب موضع الثواب ولا تقطع رحمك بعد صلتها وقد جمعت القلوب على محبتك، وأذللت جمع الرجال لطاعتك، وكنت كما قال

ومـقـام ضـيـقٍ فـرجـتـه | بـلـسـان وبـيـانٍ وجـدل[3]

ولـو يـقـوم الـفـيـلُ أو فـيـالـه | زلّ عـن مـثـل مـقـامـي وزحـل

- حث من تعرض لك أن يجر بك

قال جرير يخاطب عياش بن الزبرقان:

أعـيـاشُ قـد ذاق الـمـنـون مـرارتـي | وأوقدت ناري فادنُ ويلك فاصْطلِ[4]

قال ابن أبي عيينة:

سـيـعـلـمُ إسـمـاعـيـلُ أنّ عـداوتـي | لـه ريـقُ أفـعـى لا يُـصـابُ دواؤهـا

قال سنان بن أبي حارثة:

قـلْ لـلـمـقـوم وابـن هـنـدٍ بـعـدَهُ | إن كـنـتَ رائـمَ عـزّنـا فـاسـتـقـدمِ[5]

تـلـقَّ الـذي لاقَى الـعـدوّ وتـصـطـبـحْ | كـأسـاً صُـبـابـتـهـا كـطـعْـمِ الـعـلـقـمِ[6]

---

(١) البراجم: مفاصل الأصابع جمع برجمة، والبراجم قوم من تميم

(٢) الغلاصم: اللحم بين الرأس والعنق

(٣) البيان: البلاغة وقوة الإفصاح (٤) اصطل: استدفأ.

(٥) ورأم يرأم فهو رائم: أصلح، والجرح: عالجه حتى برأ

(٦) الصُبابة: بقية الماء ونحوه في الإناء. العلقم: الحنظل، والمرارة الشديدة.

- **من أوعدَ وقدّم الإنذار**

كتب إبراهيم بن العباس الصولي إلى أهل حمص: أما بعد فإنّ أمير المؤمنين يرى من حقّ الله تعالى استعمال ثلاث تقوم بعضهن على بعض: الأولى تقديم تنبيه وتوقيف ثم ما يستظهر به من تحذير وتخويف، ثم التي لا ينفع لحسم الداء غيرها.

أناةٌ فإنْ لمْ تغنِ عقّبَ بعدَها ... وعيدٌ فإنْ لم يجدِ أغنت عزائمُه

وقال آخر:

لئن عدتَ والله الذي أنا عبدُه ... منحتُكَ مصقولَ الغرارَين أبرقا[1]

فإن دواءَ الجهلِ أن تضربَ الطُّلى ... وأن يغمسَ المريضُ حتّى يغرقا[2]

قال الموسوي:

فهذا دواءُ سطوتي من ورائه ... وعنوانُ ناري أن يبينَ دُخاني

- **من أوعدَ صاحبَه على أن يحملهُ على حالةٍ صعبةٍ**

قال سنان بن أبي حارثة:

وإنّي لشرُّ الناسِ إن لمْ أبتّهُم ... على آلةٍ حدباءَ ناتئةِ الظهرِ[3]

قال ابن أبي عيينة:

دعني وأبا خالدٍ ... فلأقطعنَّ عُرى نياطِه[4]

قال عبد المدان:

ولستُ لحرّةٍ إنْ لمْ تروني ... أمرّ لكُم قوى أمرٍ جسيمِ

وقال آخر:

ذروني ذروني ما كففتُ فإنّني ... متى ما تهيجوني تميدُ بكُمْ أرضي[5]

وأنهضُ في سردِ الحديدِ عليكم ... كتائبَ سوداً طالما انتظرتْ نهضي

- **من يناويه منْ لا يُبالي به**

أبرق رجل لآخر وأرعد فلما زاد أنشد.

قدْ هبّتِ الريحُ طولَ الدّهرِ واختلفتْ ... على الجبالِ فما نالتْ رواسيها[6]

---

(١) الغراران والغرارين: الغرار حدّ السيف

(٢) الطُّلى (بضم الطاء): الأعناق جمع طلاة وطُلية

(٣) ناتئة: بارزة

(٤) النياط: عرق غليظ متصل بالقلب، والنياط الفؤاد ومعلّق كل شيء

(٥) تميد الأرض: تزلزل. (٦) الرواسي: الجبال الراسخة

وقال الفرزدق:

ما ضرَّ تغلبَ وائلٍ أهجوتَها ... أمْ بلتَ حيثُ تناطحَ البحرانِ

وقال:

وكانَ ككلبٍ حينَ ينبَحُ كوكَبا

وقال ابن المعتز:

وكنتَ كرامي كوكبٍ ببُصاقِه ... فردّ عليه وبلَه ومواطِرَه[1]

● **تهدّد من لا يبالي بتهدّده**

قال مقاتل بن مسمع لعباد بن الحصين: لولا شيء لأخذت رأسك. فقال: أجل ذلك الشيء سيفي. وقال:

تواعدُني لتقتُلني نُمَيرٌ ... متى قتلَتْ نُمَيرٌ من هجاها[2]

قال ابن أبي عيينة:

فدعِ الوعيدَ فما وعيدُك ضائري ... أطنينُ أجنحةِ الذُّباب يُضيرُ[3]

قال جرير:

زعمَ الفرزدقُ أن سيقتلُ مربعاً ... أبشِرْ بطولِ سلامةٍ يا مربعُ[4]

وقال آخر:

تعرّضَ لي ديبانُ مَنْ لو لقيتُه ... بيومٍ بهرارٍ لم يسُدَّ لهاتي

لو انّ هبوبَ الريحِ يحملُكم قذىً ... لأعينِنا ما كنتُمُ بقذاة

واجتمع قوم على قدري يتعدلهم فقال: والله لأملأنها عليكم خيلاً. فقال له أبوه رجالك أنا وخيلك حمارك فيمَ تصول؟

وكتب بعض الكتاب: أتهدد بي ومالك مني لمقدار ما كوطأة ذرة على صلد صخرة؟ ومن فصل لابن أبي البغل وما الذباب وما مرقبه ومتى ساءت الجماء ناطحت القرناء والفراش لعبت بالنار والسابح قابلت الدبور والمهيج تعرض لريب المنون، والأعناق مالت إلى السيوف، والآجال اغترت بالحتوف ومتى ساء أبو الفضل تعرض لابن أبي البغل.

---

(١) البصاق: الريق الذي يطرح من الفم ـ الوبل: المطر الشديد.

(٢) تواعد: تهدّد ـ نمير: قبيلة ـ يسخر من توعد بني نمير لأنهم ضعفاء لا يقوون على الانتقام أو ردّ الأذى.

(٣) يضير: يؤذي أو يسبب ضرراً.

(٤) يهزأ جرير بالفرزدق ويتهمه بالجبن وأنه غير قادر على النيل من عدو، وأنه إذا هدّد بقتل أحد كان هذا تبشيراً بطول سلامته لعجزه عن قتله.

● **من يتهدّدُ بظهر الغيبِ ولا يُغني غناء**

وقال عنترة:

وموعِدينَ بِظهْر الغيبِ من شمس ... إذ التقيْنا نَبَتْ عنّي مكَاويها[1]

وقال آخر:

كالصّدى يُسْمَعُ منه صوتُه ... فإذا طلبته لم يَسْتَبِنْ

وقال بعض الشعراء:

مالك أصرة إلا وعيدٌ ... وهمهمةٌ كمَا رعد الخَريفُ

وقال عنترة:

ولقد خشيتُ بأنْ أموتَ ولم تدُرْ ... للحَرْب دائرةٌ على ابنَي ضَمْضَم[2]

الشاتِمَيْ عِرْضي ولَمْ أشتمْهُما ... والناذرَيْن إذا لقيتُهما دَمي

وَحُكي عن أبي عمرو بن العلاء قال: انصرفت من الجامع في الهاجرة فلقيني عيّار قد جرد سكيناً موضعها اتجاه قلبي وقال: كيف تروي بَيْتيْ عنترة فأنشدتهما كما تقدم فقال: والله لولا أخشى أن أفجع فيك أهل الأرض لقتلتك ما كان عنترة يستجدي هذا الاستجداء إنما قال الطائي:

الشاتمي عرضي بما هو فيهما ... والناذرين إذا لقيتُهما دمي[3]

وقال أبو زيد:

تنادروني كأنّي في أكُفّهم ... حتى إذا ما رأوني خالياً فرعوا

وقال القرمطي:

تتمنّاني إذا لم ترني ... فإذا جئتُ قطعتَ القنطرهْ

يا بني عبّاس من ينصرُكم ... أصبيٌّ أم خصيٌّ أم مرهْ

● **قلّةُ غناءِ الوعيد**

قيل: الصدق ينبىء عنك لا الوعيد، قال شاعر:

مهلاً وعيدي مهلاً لا أبا لكُم ... إنّ الوعيدَ سلاحُ العاجزِ الحمقِ

قال النجاشي:

أبلغ شُجاعاً أبا خولانَ مألكَةً ... أنّ الكتائبَ لا يُهْزَمْنَ بالكُتُبِ[4]

---

(١) نبت عنّي: ذهبت بعيداً.

(٢) ابنا ضمضم: هما اللذان قتل عنترة أباهما فهدّداه بالقتل.

(٣) نذر دمه: توعّده بالقتل. (٤) المألكة: الرسالة.

وقيل: من علامات العاقل ترك التهدد قبل إمكان الفرص وعند إمكانها الوثوب مع الثقة بالظفر.

(٣)
ومما جاء في فضل الأسلحةِ والمتسلحةِ

•

قال النبي ﷺ: إعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف. وقيل: السيف حرز إذا جرّد وهيبة إذا أغمد. وقيل: الشرف مع السيف.

وقال جعفر بن محمد السيف مفتاح الجنة والنار، ووصفه بعضهم فقال: رئيس لهوه قطف الرؤوس ضحوكٌ عبوس وهزله جطف النفوس، قال أبو تمّام:

ولَيسَ يُجَلي الكربَ رأيٌ مُسدَّدٌ ... إذا لَمْ تؤازِبهُ بسيفٍ مُهَنَّدِ[١]

قال المتنبّي:

ومنْ طلبَ الفَتْحَ الجَليلَ فإنّما ... مفاتيحُهُ البِيضُ الخفافُ الصَّوارِمُ[٢]

وقال:

والمشرفيَّةُ - لا زالتْ مشرفةً - ... دواءُ كلِّ كريمٍ داؤهُ الوجَعُ[٣]

• تفضيلُ السيفِ على القلمِ

قال المتنبّي:

حتّى رجعتُ وأسيافي قوائلُ لي ... المجْدُ للسيفِ ليس المجْدُ لِلقَلَمِ[٤]

أكتُبْ بنا أبداً بعْدَ الكِتابِ بهِ ... فإنّما نحنُ للأسيافِ كالخَدَمِ

قال أبو تمّام:

السيفُ أصدَقُ أنباءً من الكُتُبِ ... في حدِّهِ الحدُّ بين الجِدِّ واللَّعِبِ[٥]

وفي ضده قيل للكاتب: إلى مَ تدل بهذه القصبة فقال: هو قصب ولكنه يقطع العصب إن القلم يرد قضاء السيف ويفسخ حكم الحيف ويؤمن مسالك الخوف

---

(١) الكرب: الحزن والغم الشديد. (٢) البيض الخفاف: السيوف - الصوارم: السيوف القاطعة

(٣) المشرفية: السيوف.

(٤) يقول: إن المجد للسيف وليس للقلم، جاعلاً القوة في هذا السياق فوق الأدب والمعرفة

(٥) هذا البيت من قصيدة لأبي تمّام في مدح المعتصم العباسي لدى هاجم الروم في عمورية وافتتحها غير أبه بقول المنجمين الذين نصحوه بالإحجام عن غزوها، والشاعر يقول بأن الكلمة للسيف وليست كتب المنجمين، فالسيف هو الذي يرسم الحدّ الفاصل بين الجد واللعب.

● مَنْ في سيفِه ورمحِه الموتُ

قال صاحب البصرة:

حُسامٌ غداةَ الرَّوْعِ ماضٍ كأنّهُ ... منَ الموْتِ في قبْضِ النّفوسِ رسولُ[1]

وقال ابن حاجب:

لو قيلَ للمَوْتِ انتسِبْ لم ينتسِبْ ... يومَ الوغى إلاّ إلى صَمْصَامِه[2]

قيل في وصف رجل سيفه ترس ثديَ الموت إليه ويعوّل في قبض الأرواح عليه:

سيوفُهُمْ يومَ الوَغى ... يَلْعَبْنَ بالأرْواحِ

وقال ربيعة بن مقرم:

وإني لَمِنْ قَوْمٍ تكونُ رماحُهم ... لأعدائهم في الحرب سمّاً مقشبا

وقال ابن المعتز:

لنا صارمٌ فيه المَنَايا كوامِنٌ ... فمَا يُنْتَضى إلاّ لِسَفْكِ دماءِ[3]

● السيوفُ الماضيةُ

قيل: كيف وجدت سيفه؟ فقال: هو على الأرواح كالأجل المتاح.

قال إسحاق بن خلف:

ألقى بجانبِ أخصرِه ... أمضى منَ الأجلِ المُتاحِ

وكأنّما ذرّ الهَبا ... ءُ عليه أنفاسَ الرّياحِ

وقال يعقوب الأخطل:

بكلّ حُسامٍ كالعقيقةِ صارمٍ ... إذا قدّ لمْ يعلَقْ بصفحتِه دَمُ

قال المتنبي:

قواضٍ مواضٍ نسجُ داود عندها ... إذا وقعَتْ فيه كنَسْجِ الخِزرِنْقِ[4]

قال البحتري:

يغْشى الوَغى والترسُ ليسَ بجنّةٍ ... من حدِّه والدِّرعُ ليس بمعقِلِ

مصغٍ إلى حكْمِ الردى فإذا مضى ... لم يلتفِتْ وإذا قضى لم يعدِلِ

وإذا أصابَ فكلّ شيءٍ مقتَلٌ ... وإذا أصيبَ فما لهُ من مَقْتَلِ

---

(١) و (٢) الحسام والصمصام: من أسماء السيوف

(٣) الصارم: السيف القاطع - كوامن: كامنة مختبئة - ينتضى: يستل ويشهر

(٤) الخزرنق: ضرب من الثياب (فارسي) وفي رواية نخدرنق (بالدال وهو العنكبوت وروي بالذال الخذرنق).

● السيوفُ المصقولةُ

قال بعضهم:

وإذا ما سللته بهرَ الشمسَ شعاعاً فلم تكد تستبينُ
وكأنّ الفرندَ والرونقَ البا دي على صفحتيه ماءُ معينُ[1]

● غيرُ المصقولةِ

كأنّ في متنه ملحاً وقد نُثرا

وقال آخر:

كأنّ على مواقعه غُبارا

● السيوفُ اللامعةُ المهتزّةُ

قال قيس:

سيوفٌ كأنّ الماءَ في جنباته مخاديرُ غيمٍ أو قرونُ جنادبِ[2]

وقال المتنبي:

فكأنّ برقاً في متون غمامة هندية في كفه مسلولا[3]

وقال ابن هرمة:

شهابٌ زعته الريحُ في كفّ قابسِ

وقال سلم الخاسر:

وكأن السيوفَ والنقعُ عالٍ شُهبُ نارٍ في ساطعٍ ودُخانِ[4]

وقال ابن المعتز:

في كفه عضبٌ إذا هزّه حسبتَهُ من خوفه يرتعدُ[5]

● السيوفُ المتفللةُ من الضرب

قال النابغة:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنّ سيوفَهم بهنّ فُلولٌ من قراعِ الكتائبِ[6]

قال دعبل:

إذا الناس جلوا باللجين سيوفهم ردَدْتُ السيوفَ بالدماء حواليا[7]

---

(١) الفرند: جوهر السيف.
(٢) الجنادب: الجراد.
(٣) مسلولاً: مجرّداً ومشهوراً.
(٤) النقع: الغبار.
(٥) العضب: السيف القاطع.
(٦) الفلول: جمع فلّ وهو الثلم في حدّ السيف.
(٧) اللجين: الفضة.

وبضدّه هجاء عمارة بن عقيل

ولا عيبَ فيه غيرَ أن جيادَه مسلّمةٌ ليست بهنّ كُلومُ[1]
وأسيافُهُ لم تدرِ ما طعمُ ضربةٍ فهنّ صحاحٌ ما بهنّ ثُلُومُ

● السيوفُ المتضرّجةُ بالدم

قال علي بن عاصم

سمرٌ وبيضٌ إن عرَيْنَ تَسَرْبَلَتْ بدلَ الجُفُونِ جماجمُ الأبطالِ
أوردتهنّ تواصعاً لُجَجَ الرّدى فصدرْنَ في قمصٍ من الجريالِ[2]

● السيوفُ المتضرجةُ بدم المحارب المترشحة مسكاً من يد المحارب

وقال بشار:

وبيضٌ بها مِسْكٌ للمسنِ أكفّهم على أنّها ريحُ الدّماءِ تضوّعُ[3]

وقال ابن المعتز:

مقابِضُها مسك وسائرُها دَمُ

وقال آخر

بسيفِه مسكٌ وناسورٌ[4]

وقال الرماء:

يكسوهُ من دمِهِ ثوباً ويسلُبُهُ ثيابَه فهو كاسيه وسالبُهُ

● مشاهيرُ السيوفِ

قال عبد الملك بن عمير. أهدت بلقيس إلى سليمان عليه السّلام سبعة أسياف: ذا الفقار وذا النون، وضرس الحمار، والكشوح، والصمصامة، ومخدماً، ورسوباً فأمّا ذو الفقار فصار لرسول الله ﷺ وكان لمنبه بن حجّاج، فقتل يوم بدر فاصطفاه النبي ﷺ. والصمصامة وذو النون لعمرو بن معدي كرب، ومخذم ورسوب، للحارث بن جبلة الغساني ولم يذكر الكشوح

● طولُ الرماحِ

قال طرفة:

كأنّ رماحَهم أشطانُ بئرٍ بعيدٍ بينَ جاليْها جرُورُ[5]

---

(١) الكلوم: الجروح جمع كلم
(٢) الجريال. الخمر أو لون الخمر.
(٣) تضوّع وتضوع: تعبق وتفوح
(٤) يكسوه. الضمير للسيف.
(٥) الأشطان: حبال البئر، جمع شطن.

وقال امرؤ القيس:

وَمُـطَّـردٍ كـرشـاءِ الـخـزوَ ... رِ مـن خُـلْـبِ الـنـخْـلَـةِ الأجـرد[1]

وقال عدي:

رشـاء دم عـلـى أنـابـيـبـه دم

- **صلابةُ الرماح ولدونتُها**

قال ابن أحمر:

فـهـزّ رُدَيْـنِـيـاً كـأنَّ كـعـوبَـه ... نوى القسبِ نقى التمر عندَ العواجِمِ[2]

وقال المزرّد:

ومـطـرد لـدْنِ الـكـعـوبِ كـأنـمـا ... تـغـشـاه متباعٌ من الـزيـتِ سـائـلُ

وقالت عابدة المهلبية، ويروى للخوارزمي:

كـأن الـسـمـرَ والـزانـاتِ فـيـه ... نخيلٌ قد نحلْن من الفسيلِ[3]

- **الرمحُ المتأطرُ**

ويستجاد للمتنبي قوله:

ولـربـمـا أطـرَ الـقـنـاة بـفـارسٍ ... وثـنـى فـقـوّمـهـا بـآخـر مـنـهُـمُ[4]

أخذه من قول ابن الرومي:

هـمـامٌ إذا اعـوجّـت صـدورُ قـنـاتِـه ... ثـقـفـت بـيـن أحـنـاءِ الـضـلـوع تـقـوّمُ

وقال يزيد بن أبان:

يـكْـزُ الـرمـحَ مـقـدمـاً فـتـراه ... راعِـفَ لأنـفِ واهـيَ الأنـبـوب[5]

- **الرمحُ المتكسر**

قال عمرو بن معدي كرب:

ومـنـزلـة فـيـهـا الـعـوالـي كـأنـهـا ... هشيمُ شِجارٍ كسرتها الحَواطِبُ[6]

وقال الرفاء:

يـنـثـرُ بـالـطـعْـنِ أنـابـيـبَ الـقـنـا ... كمـا وهَـى سـلكُ الـفـريـدِ الـمـنـظَّـم

وقال المتنبي:

ورمـحٍ تـركْـت مـبَـاداً مُـبـيـداً

---

(١) الرشاء ولد الظبي ـ الخزوز الغلام القوي ـ الخلب لب النخلة

(٢) الرديني الرمح ـ القسب: الطويل الشديد من كلّ شيء.

(٣) السمر: الرماح الصلبة ـ الفسيل جمع فسيلة وهي النخلة تقطع من الأم لتغرس.

(٤) أطر: ثنى وعطف. (٥) راعف: من رعف (أنفه): نزف دماً

(٦) الهشيم. الحشب اليابس.

هو من قول الطائي:

وربَّ يــومٍ كــأيّــام تـركْـتَ بـه — متنَ القناةِ ومتنَ القِرْنِ مُنْقصما

● الرمحُ المنكسرُ في المطعونِ

وقال الموسوي:

وتقعقعَتْ بينَ الكُلَى قصدُ القَنا — فكأنَّ كلَّ حشارِ بابةِ ميسرِ[1]

وقال ابن نباتة:

يجرّ العوالي والسهامُ بجسمه — كمحتطبٍ للجمْلِ ليْسَ يُطيقُ

● الرماحُ اللامعةُ الأسنة

قال امرؤ القيس:

دفعْتُ رذيـنـيـا كـأنّ سنـانـه — سنا لهبٍ لمْ يستعِرْ بدُخانِ

وقال النميري:

تحكي أسنّتُهُ النّجومَ أو الذبالا

وقيل أيضاً:

كــأنّ هِــلالاً فـوقَ كـلِّ قـنـاتِـه

وقد أحسن المتنبي ما شاء في قوله:

تهْدي نواظرها والحربُ قائمةٌ — من الأسنّة نارٌ والقنا شمعُ[2]

● الكتابة بالطعن والضربِ

قال بعض الكتّاب: جبينُه طرس بالصفح ممّق مجندر[3]، وبالرماح معجم محبّر

وقال آخر:

خطٌّ ينمّقمه الحسام على جبينه

وقال أبو تمّام:

كتبت أوجُهَهم مشقاً ونمنمةً — طعْناً وضرْباً فقاتَ الهامَ والصّلَفا[4]

فإنْ ألطوا بإنكارٍ فقد تركَتْ — وجوههم بالذي أوليتَهم صُحُفا[5]

---

(١) البابة: الغاية، والصنف والخصلة، وبابت الكتاب سطوره.

(٢) الشمع: الشَمَع، وشمع شموعاً الشيء تفرّق.

(٣) مجندر: من جندر الكتاب: إذا أمر القلم على ما درس منه، والمراد معنى النقش.

(٤) المشق: الإسراع في الطعن.

(٥) ألظّ: ألحّ، وبالمكان أقام وبالشيء لازمه ولم يفارقه.

وقال المتنبي:

وكـنـتَ إذا كـاتَبْـتَـه قـبْـلَ هـذه ... كتبْتَ إليه في قَذالِ الدمُسْتقِ[1]

وقال غيره:

الـكـاتِـبـون إلـى الأعْـداءِ فـي قـلَـ ... ـل الأعداءِ كتُباً نرى الأمي والفهمَا

أمسى الرّدى أصلَها والدهْرُ مُمليها ... والسيفُ كاتبَها والكاغدُ القِمَما[2]

وقالت عايدة المهلبية ويروى للخوارزمي:

كـتـبْـت عـلى وجـوهِـهـم سُطـوراً ... عـرائـبَ حـبْـرُهُـنّ دمٌ هَـتُـولُ[3]

يـتـرجـمُـهـا الأعـادي لـلأعـادي ... ويـقـرَأهـا عـلى الـحـيّ القـتـيـلُ

ومـا لـك غـيرُ جـمْـجـمَـةٍ رسـولٌ ... ومـا لـك غـيرُ صـاحـبـهـا رسـيـلُ[4]

● تناول الرؤوسِ بالرماحِ

قال البحتري:

قـوم إذا شـهِـدوا الـكـريـهَـةَ صـيـّروا ... صـمّ الـرمـاحِ جـمـاجـمَ الـفُـرسـانِ

وقد أخذه من مسلم:

يكسُو السـيوفَ رؤوسَ الناكثين به ... ويجعَلُ الهامَ تيجانَ القَنا الذُبلِ

وقال جرير

كـأنّ رؤوسَ الـقـومِ فـوق رمـاحِـنـا ... غداةَ الوغى تيجانُ كِسرى وقيصَرِ

● طعْنُ الأحداقِ والفؤادِ

قال أبو تمام:

سِـنـانٌ بـحـبّـات الـقـلـوب مُـمَـتّـعُ

وأجاد المتنبي:

كـأنّ الـهـامَ فـي الـهَـيْـجـا عـيـونٌ ... وقـد طُـبِـعَـتْ سيوفُكَ من رُقـادِ[5]

وقـد صُـغْـتَ الأسـنّـةَ مـن هُـمـومٍ ... فـمـا يـخْـطُـرْنَ إلا فـي فُـؤادِ

وقال ابن معدي:

الـضـاربـيـن بـكـلّ أبـيـضَ مـرهـفٍ ... والـطّـاعـنـين مـجـامـعَ الأضـغـانِ[6]

---

(١) الدمستق: قائد الروم.

(٢) الكاغد: القرطاس (واللفظة فارسية)

(٣) الدم الهتول: المتتابع.

(٤) الرسيل: المرسل

(٥) الهام: الرؤوس ـ الهيجا: مخفف الهيجاء، الحرب ـ الرقاد: النوم

(٦) الأبيض المرهف: السيف الحاد ـ مجامع الأضغان: القلوب، والأضغان: الأحقاد جمع ضغن

وقال آخر:

قومٌ ترَى أرماحَهم تحتَ الوَغى ... مشغوفةً بمَواطِنِ الكِتْمانِ

وقال الشريف أبو الحسين علي بن الحسين الحسني:

فأصبحَ أغمادَ السيوفِ عيونُهم ... وأكبادُهم حلْي الرماحِ الذَوابِلِ

● ضربٌ وطعنٌ تبين منهما الرأسُ ويجلب منهما الممات

وقال عنترة:

فشككتُ بالرمْحِ الطويل ثيابَه ... ليْسَ الكريمُ على القَنا بمُحرَّمِ[1]

وقال آخر:

وضربتُه ضرباً أضا ... عَ لهُ المقادِمَ والعُرَى

وقال راشد بن شهاب:

علوتُ بذي الحيّات مفرقَ رأسِه ... وإنّ حُسامي تختويه الجماجمُ

بدأتُ بهذي ثمّ أثني بمثلِها ... وثالثةٍ تبيضّ منها المقادمُ

وقال ابن المعتز:

وكأنّ أيدينا تنفّر عنهمُ ... طيراً على الأوكارِ كنّ وُقوعا

وقال الرفّاء:

إذا ركعَ القنا الخطيّ صلّوا ... صلاةَ جلًى واجبها السجودُ[2]

وقال البحتري:

وصاعقةٍ من نصْله ينكفي بها ... على أرؤسِ الأقرانِ خمسُ سحائبِ

وله:

نثرتَ على الخليج الهامَ حتى ... كأنّ حصَى الخليج طُلىً وهامُ[3]

أخذه الموسوي وزاد فقال:

خطبْنا بالظُّبا مهجَ الأعادي ... فزفّتْ والرؤوسُ لها نِثارُ[4]

وقال الحارثي:

إذا ما عصيْنا بأسيافنا ... جعلنا الجماجمَ أغمادَها

---

(١) يفتخر عنترة بطعن عدوّه ويقول إن الفارس الكريم ليس في نجوة من القتل

(٢) القنا الخطي: الرماح المنسوبة إلى بلدة الخطّ بالبحرين.

(٣) الطلى: الأعناق - الهام: الرؤوس.

(٤) الظبا: جمع ظبة وهي حدّ السيف - الهام: الرؤوس - النثار: الناثر، الأجزاء المتناثرة

وقالت عابدة المهلبية ويروى للخوارزمي:

فصادرَهُم على الأرواحِ حرق ... إذا ابتاعُوا الحياةَ فلا يُقيلُ

● شدّةُ الطعنِ والضربِ وسعَتُهما

قال شاعر:

هم الدعو هم حماةُ الرماحِ ... ولدّوهم بالظُبا البيضِ لدّا[1]

وقال بعضهم:

وطعنٍ كأفواهِ لمرادِ المُخَرّقِ[2]

وقال أبو كثير الهذلي:

عجلت يداك لحيرهم بمرشةٍ ... كالعطِّ وسْطَ مَرادة المستخلِبِ[3]

قال امرؤ القيس

كجيب الدِفنِسِ الورهاءِ ريعَتْ وهي تستَفْلي[4]

وقال آخر:

وطعن كأذيالِ القِباء المُفرجِ

وقال ضرار في وصف ضربة

دَفوعٌ لأطرافِ الرماحِ كأنّها ... إذا سبروها فرخُ خرقاء دِعْبِلِ[5]

وقال المتنبي:

كأنّما تتلقاهم لتسلكهم ... فالطَعْنُ يفتح في الأجوافِ ما يسعُ

وسمع بعضهم قول الشاعر:

لها نَفَذٌ لولا الشعاعُ أضاءها..

فقال: هذا دَرْبٌ لا طعْن.

ويروى لخلف الأحمر:

وأطعنُ السخساحةَ المسلسلَه ... على جشاش دهش وعجلَه[6]

وأضربُ الحذباءَ ذاتَ الرغلَه ... تردُّ في نحرِ النيبِ قتلَه[7]

---

(١) لدّوهم: خاصموهم خصومة شديدة

(٢) المزاد: جمع مزادة وهي ما يوضع فيه الزاد.

(٣) العط: مصدر عط الثوب شقّه.

(٤) الدلفس: الأحمق الدنيء، والدفنس البخيل و ثقيلة من النساء ـ الورهاء الحمقاء.

(٥) الدعبل: بيض الضفدع، والدعبلة: الناقة القوية

(٦) العشاش: جمع عشّ، وهو وكر الطائر.

(٧) الرعلة: القطعة المتقدمة من الخيل، والرعال العيان ـ النيب النوق المسنة، جمعه ناب

- **الحاذقُ بالطعانِ والضربِ**

قال عبد يغوث:

لِيَبْقَ بِتَصْرِيفِ القَنَاةِ بَنَانِيا

وقال المتنبي:

يضعُ السِّنانَ بحيثُ شاءَ مجاوِلاً ⁂ حتّى من الآذانِ في أخْراتِها

وقال الموسوي:

وأسمرُ يهتزُّ في راحتي ⁂ كما هزّتِ القلمَ الأصبعُ

- **سقي الرماحَ والصفاحِ دمَ الأعداءِ**

قال شاعر:

وعاملُ الرمحِ أرويه من العَلَقِ[1]

وقال آخر:

نَهِلَتْ قَنَاتي من مطاه وعلّت

قال يحيى بن علي المنجم:

يروي السيوفَ دماً إذا شكتِ الصدى ⁂ يومَ الوغى بأساً وصدق ضرابِ[2]

فتمجُّ إن حمصت على أعقابنا ⁂ وتمجُّ إن رقفت على الأعقابِ[3]

قال دعبل:

فأصبحتُ تستحيي القنا أن تردَّها ⁂ وقد وردتْ حوضَ المنايا صواديا[4]

قال السري:

إذا الحسامُ غدا سكرانَ منتشياً ⁂ من الدماءِ سقوه أنفساً فضحا

- **الجاعلُ لواضيه بذل المماتية**

قال عمرو بن إبراهيم:

ليسَ بيني وبينَ قيسٍ عتابٌ ⁂ غيرَ طعنِ الكُلى وضربِ الرِّقابِ

وقال آخر:

دلفتُ لهُ بأبيضَ مشرفيٍّ ⁂ كما يدنو المصافحُ للسلامِ[5]

وقال بعض التغلبيين:

نزلوا منزلَ الضيافةِ منّا ⁂ فقرى القومِ غِلْمةُ الأعرابِ[6]

---

(١) العلق: الدم.

(٢) الصدى: العطش الشديد.

(٣) تمجّ: تقذف تبصق، تطرح.

(٤) الصوادي: العطاش.

(٥) دلف: قارب الخطو في مشيه، ودلف الجيش تقدّم - الأبيض المشرفي: السيف.

(٦) القرى: طعام الضيف - الغلمة: الانقياد للشهوة.

● **وصلُ السيوفِ بالخطا**

يروى أن فتى من الأزد دفع إلى المهلّب بن أبي صفرة سيفاً له وقال: كيف ترى سيفي يا عم؟ فقال المهلب: سيفك جيد إلا أنه قصير. فقال: أصله بخطوة، فقال: يا ابن عم المشي إلى الصين على أنياب الأفاعي أسهل من تلك الخطوة. ولم يقل المهلّب هذا جبناً وإنما أراد توجيه الصورة.

قال شاعر:

نَصِلُ السيوفَ إذا قصُرْنَ بخَطْونا ... قُدُماً ونُلحقُها إذا لم تلحَقِ

وقال آخر:

إذا قصرت أسيافُنا كان وصلُها ... خُطانا إلى أعدائنا فنضاربُ

● **وصفُ شجاعٍ ذي رماحٍ**

سئل أعرابيٌ عن قوم فقال: أسود الغاب يحمل غابها

قال البحتري:

إذا بدَوا في حَرَجَاتِ القَنا ... ترى أسودَ الأرضِ في غابِها[1]

قال الرّفاء:

أسدٌ لها من بيضِها أو سُمرِها ... جداولُ مطّرداتٌ بآجامِ[2]

● **من جعلَ معاقله الأسلحة والخيول**

قال شاعر:

إن السيوفَ معاقلُ الأشراف

وقال أبو الغمر:

إذا لاذَ منه بالحُصونِ عدُوّه ... فليس له إلاّ السيوفُ حصونُ

وقال آخر:

إن الخيول معاقل الأشراف

وقال آخر:

وليس لنا إلا الأسنّة معقِل

● **من لاذَ بالقواضِبِ واستعانَ بها**

أبي قومُنا أن يُنصِفونا فأنصفَتْ ... قواضبُ في أيمانِنا تقطرُ الدما

وقال آخر:

ترى السيفَ أدنى منْ أقارِبهِ رحِمي[3]

---

(١) حرجات: جمع حرجة وهي جماعة الغنم أو الإبل

(٢) الأجم: مأوى الأسد، جمع آجام، و الأجم الشجر الكثير الملتف

(٣) الرحم: القرابة.

وقال الشنفري

وإنّي كفاني فَقْدُ مَنْ ليسَ جازيا ... بحُسْنى ولا في قربه متَعَلَّلُ
ثلاثةُ أصحابٍ: فؤادٌ مشيّع ... وأبيض إصليت وصفراء عَيْطَلُ

وقال الموسوي:

أَلِفَ الحسامَ ملوْ دعاهُ لغارةٍ ... عجلانَ لبّاه بغيرِ نجادِ[1]

وقال:

ربّ ليلٍ جعلتُه طيلساني ... مؤنسي صارمي وقلبي مِجَنّي[2]

وقال طاهر بن الحسين:

سيفي رفيقي ومسعدي فرسي ... والكأسُ أنسي وقينتي جفني[3]

● **من استطابَ تناولَ الأسلحةِ**

قال البحتري:

ملوكٌ يعدّون الرماحَ خواصرا ... إذا زعزعوها والدروعَ محاصرا[4]

وقال المتنبي:

متعوّداً لبسَ الدروع يخالُها ... في البرد خزّاً والهواجرِ لاذا[5]

وقال أبو الغمر:

واعتادَ حملَ القنا لا الراحَ راحتُه ... وضاجع البيضَ لا البيضَ الرّعابيبا[6]

● **الأبقعُ الوجه من صدأ الحديدِ**

وقال الفرزدق:

يمشونَ في حلَقِ الحديدِ كما مشت ... جُرْبُ الجمالِ بها الكُحَيلُ المُشعَلُ[7]

● **طيبُ صدإِ المغفر**

وطيبُهم صدأُ المغفرِ[8]

---

(١) النجاد: حمائل السيف.

(٢) الطيلسان: كساء أخضر يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ وهو من لباس العجم ـ الصارم: السيف ـ المجن: الترس.

(٣) القينة: الجارية المغنية ـ الجفن: الحبيب أو الصاحب.

(٤) المخاصر: جمع مخصرة وهي ما يتوكأ عليه كالعصا، والمخصرة كالسوط يشير به الملك إذا خاطب.

(٥) اللاذ: ثوب حرير أحمر.

(٦) الرعابيب: جمع رعبوبة وهي الممتلئة ـ يقول: اعتاد حمل الرماح ومضاجعة البيض أي السيوف لا البيض من النساء الرعابيب.

(٧) الكحيل: القطران ـ حلق الحديد: الدروع ـ الكحيل المشعل: الذي يحرق به الجلد.

(٨) المغفر: زرد يلبسه المحارب تحت القلنسوة.

وقال مسلم بن قحطان:

فطيبُ الصدا المسود أطيبُ عندنا ... من المسك ذافَتْه كفُّ ذوائفِ[1]

● الثاني سيفُهُ عن الضريبة

قال ورقاء بن زهير وقد ضرب فنبا سيفه:

رأيتُ زهيراً تحتَ كلكلِ خالدٍ ... فأقبلتُ أسعى كالعَجول أبادِرُ[2]

فشُلَّتْ يميني يومَ أضربُ خالداً ... ويحصُنُه مني الحديدُ المظاهرُ

وكان الفرزدق قد دُفِعَ له سيف بحضرة سليمان بن عبد الملك ليقتل به رومياً فضربه فلم يعمل فيه، فقال جرير:

بسيفِ أبي رغوان سيفِ مجاشعٍ ... ضربتَ ولم تَضرِبْ بسيفِ ابنِ ظالمِ

فهل ضربةُ الروميّ جاعلةٌ لكُم ... أباً كَكُلَيبٍ أو أخاً مثلَ دارمِ

فأجابه:

فسيفُ بني عبسٍ وقد ضربُوا به ... نبا بيدَي ورقاء عن رأسِ خالدِ[3]

كذاكَ سيوفُ الهند تنبُو ظُباتُها ... وتقطعُ أحياناً مناطَ القلائدِ[4]

● عُذْرُ مَنْ يكثرُ لبسَ الدرعِ في الحروب

روي الجراح بن عبد الله وقد لبس درعين في بعض الحروب فأكثر ناظره النظر إليه فقال له: والله يا هذا ما أقي بدني وإنما أقي صبري. فأخبر بذلك سعيد بن عمرو وكان من فرسان الشام فقال: صدق لأن لامة[5] الإنسان حصيرة نفسه. عوتب يزيد بن يزيد في إحكامه الدرع، فقال: إن الله تعالى مع قضائه الأمور المحتمة أمر بالحذر، وذكر ما في صنعة اللبوس، وكان ﷺ والى يوم أحد بين درعين.

أنشد كثير عبد الملك:

على ابن أبي العاصي دلاصٌ حصينةٌ ... أجادَ المسدي سردَها فأزالَها

فقال له: هلاّ قلت كما قال الأعشى:

وإذا تكونُ كتيبةٌ ملمومةٌ ... خرساءُ تخشى من يذودُ نصالَها[6]

---

(١) ذافت: خلطت. (٢) الكلكل: الصدر.

(٣) نبا السيف: كلّ وارتدّ ولم يقطع.

(٤) المناط: موضع التعليق ـ القلائد: جمع قلادة الحلية التي تجعل في العنق.

(٥) اللامة: مخفف لأمة وهي الدرع.

(٦) الكتيبة الملمومة: الفرقة من الجند ـ يذود: يدفع ـ نصالها: سيوفها وفي رواية نهالها أي رماحها.

كُنْتَ المقدَّمَ غيرَ لابسِ جُنَّةٍ ... بالسَّيفِ تضرِبُ مُعْلِماً أبطالَها[1]

فقال: كثير ذاك وصفه بالجهل والتهور ولو وصفته بالحزم. قال البحتري:

تراهُ في الأمنِ في درعٍ مضاعَفَةٍ ... لا يأمَنُ الدهرَ أن يُدْعَى علَى عَجَلِ

● قلَّةُ غناءِ الدرعِ عندَ حضورِ الأجَلِ

سئل ابن الحسين: في أي الجنن تحب أن تلقى عدوك؟ قال في أجل مستأخر وقيل لبعضهم: أي الجنن أوقى؟ قال: العافية وقيل لآخر: لو احترست فقال: كفى بالأجل حارساً.

● وصفُ الدروعِ

قال شاعر:

كَسَيْلِ الأتيِّ على الحَديدِ

وقال آخر:

ومفاضَةٍ كالنهْيِ يسحجه الصَّبا[2]

وقال آخر:

كأنَّ قتيرَها حَدَقُ الجَرادِ[3]

وقال المتنبي:

يخطُّ فيها العَوالي ليسَ يُنفِذُها ... كأنَّ كلَّ سنانٍ فوقها قلَمُ

وقال مزرّد

ومنسوجةٍ فضفاضةٍ تبعيّةٍ ... وأها القتير تجتويها المعابلُ[4]

ويستحسن لابن المعتز:

كأنَّها ماءٌ عليه جرَى ... حتى إذا غابَ فيه جَمَدْ

قال كلثوم:

كأن سنا الماذي فوق متونهم ... مواقدُ نارٍ لم تُشَبْ بِدُخانِ[5]

● المستغْني بجلادتِهِ عن التدرّعِ والتقنّعِ

قال أبو تمام:

إذا رأوا للمَنايا عارِضاً لبِسُوا ... من اليقين دروعاً ما لَها زَرَدُ

وقال مسلمة:

على درعٍ تَلينُ المرهَفَات لهُ ... من الشجاعةِ لا مِن نسجِ داودِ

---

(١) الجُنّة: السترة ـ معلماً الأبطال: تاركاً فيهم علامة الطعن أو الجرح

(٢) المفاضة: الدرع ـ النهي: الغدير ـ الصبا: ريح تهب من جهة الشرق.

(٣) القتير: مسامير الدرع ـ تجتوي: تكره (٤) المعابل: جمع معبلة وهي النصل العريض الطويل

(٥) لم تشب: لم تخلط

إنّ الـذي صـور الأشـيـاء صـوّرنـي   نـاراً من الـبأسِ في بحرٍ من الجُودِ

- **وصفُ المغتفِر والمغفر**

قال بشر:

كـأن سـنـا قـوانـسـهـم ضِـرامٌ   مـرتـه الـريـحُ فـي أعـلـى يَـفـاعِ[1]

وقال أبو تمام:

كـأنّ نـعـام الـدوّ بـاضَ عـلـيـهِـم

وله:

مـثـلُ الـنـجـوم تـضـيءُ إلا أنّـهـم   قـد قُـلْـنِـسـوا من بِـيضِـهـم بنُجومِ[2]

وقال أبو قيس:

قـد حـصّـتِ الـبـيـضـةُ رأسـي فـمـا   أَطْـعـمُ نـومـاً غـيـرَ تـهـجـاعِ[3]

- **القسيّ**

دخل أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه على النبي ﷺ متقلداً قوساً عربية فقال: هكذا جاءني جبريل عليه السلام اللّهم من استطعمك بها فأطعمه ومن استنصرك بها فانصره ومن استرزقك بها فارزقهُ. وقال النبي ﷺ ما مدّ الناس أيديَهم إلى شيء من السلاح إلا وللقوس فضل عليه. وقيل في وصفه:

طروح مروح تعجل الظبي أن يروح

قال أعرابي في وصف قوس رمى عنها ذئباً:

وهي شـمـالـي سـمـحـة من الـنّـشـم   يـقـعُ في الكَفّ إذا الرامي اعتزمْ[4]

وتـهـزم الـفـارسَ فـي أخـرى الـنّـعـم

وقال آخر:

صـفـراءُ تـبـع حـطـمُـوهـا بـوتَـر   لام مـمـر مـثـلُ حُـلـقـومِ الـنُّـغَـر[5]

حـذب ظـبـاهـا أسـهـم مـثـل الـشـرَر

وقال آخر:

ومـقـابـلا ضـلـع الـظّـبـاء كـأنّـهـا   جـمـرٌ بـمـهـلـكـةٍ تـشـبُّ لـمُـصْـطَـلـي

نـحـفـا بـذلّـت لـهـا خـوافـي نـاهـض   حـشـر الـقـوائـم كـالـلـقـاع الأكـحـل

وإذا تُـسَـلّ تـخَـشْـخَـشَـت أريـاشُـهـا   حـثّ الـجـنـوب بـيـابـسٍ من أسـحـلِ[6]

---

(١) **القوانس**: جمع قونس، أعلى بيضة الحديد ـ **اليفاع**: التل المشرف، والمرتفع من الأرض.
(٢) **قلنسوا**: لبسوا القلنسوة وهي من ملابس الرأس. (٣) **التهجاع**: الهجوع أي النوم والرقاد.
(٤) **السمحة**: أي قوس سمحة والسمحة هنا بمعنى اللّينة والسهلة ـ **النّشم**: شجر تتخذ منه القسي.
(٥) **النُّغَر**: فراخ العصافير. (٦) **تسلّ**: تجرّد وتشهر.

النحف النصال العراض والأكحل الذي يضرب لونه إلى الغبرة

● **المجيدُ من الرماةِ**

قيل: خرج بهرام إلى الصيد ومعه جارية فعرض له ظبي فسألته الجارية أن يجمع ظلف الظبي وأذنه بنشابة واحدة فرمى أصل أذن الظبي ببندقة فأهوى الظبي بيده إلى أذنه ليحتك فرماه بنشابة فوصل ظلفه بإذنه، وهذا إن كان صحيحاً فعجيب

قال امرؤ القيس:

فـهـوَ لا تـنـمـي رمـيـتُـه مـالـه لا عُـدَّ مِـنْ نـفَـرِهِ[١]

وقال إسماعيل بن علي:

إذا تـمـطّـى قـائـمـاً ثـمَّ انـثـنـى ومـدّهـا أحـسـنَ مـدٍّ وانـثـنـى

أرسَـل مـنـهـا نـافـذاً مـمـا سـيّـان مـنـه مـا نـأى ومـا دنـا[٢]

يـسـوقُ أسـبـابَ الـنـحـوسِ والـفـنـا

وقد أوغل المتنبي في قوله:

إذا نُكِـبَـتْ كِـنَـانَـتُـه اسـتـبـنّـا بـأنـصُـلِـهـا لأنـصُـلِـهـا نُـدُوبَـا[٣]

يـصـيـبُ بـبـعـضِـهـا أفـواقَ بـعـضٍ فـلـولا الـكـسْـرُ لاتـصـلـت قـضـيـبـا

● **الرديءُ الرمي**

نظر فيلسوف إلى رام سهامه تذهب يميناً وشمالاً فقعد في موضع الهدف وقال: لم أر موضعاً أسلم من هذا. ورمى المتوكل عصفوراً فأخطأه فقال له ابن حمدون: أحسنت فقال تهزأ بي؟ فقال: أحسنت إلى العصفور. قال كشاجم:

مـشـتـهِـرٌ بـالـرَّمْـي واوِعـصـدُه أحـسـنُ شـيءٍ حـيـن يـرمـي طـردُه

كـأنـه فـؤادُه أو كـبـدُه

● **المجنّ**

قال شاعر:

يُريكَ شعاعَ الشمْس في جنّةِ الدُّجى

قال أبو فراس:

أواقـد لا آلـوك إلا مـهـنـداً وجـلـد أبي عجـل وثـيـقُ الـقـبـائـلِ

● **وصف جماعة الأسلحة**

سأل عمر بن الخطاب عمرو بن معدي كرب فقال: ما تقول في الرمح؟ قال أخوك

---

(١) لا تنمي رميته: أي لا تتحرك عن مكانها لأنها رمية صائبة.

(٢) النافذ: الرمح. (٣) الندوب: آثار الجروح، جمع ندب

وربما حانك. قال: فالنبل؟ قال: منايا تخطىء وتصيب. قال: فالدرع قال مشغلة للفارس متعبة للراجل، وإنها لحصن حصين. قال: فالترس؟ قال: مجن وعليه تدور الدوائر. قال: فالسيف؟ قال: عنده ثكلتك أمك. قال عمر: بل أنت.

● **الاستنكافُ من المحاربة بالحجر والرخصة فيه**

قال أبو النجم:

إنّـي وجـدّك لا يـكـونُ سـلاحُـنـا　　　حـجرَ الأكـام ولا عـصـا الـطـرْفـاء[1]

أوصى بعض الأعراب ابنه وقد أرسله إلى محاربة بعض أقرانه فقال: يا بني كن بذّاً لأصحابك على ما فاتك ورباك والسيف فإنّ ظله الموت، وألق الرمح فإنه رسول المنية ولا تقرب السهام فإنها رسل لا تؤامر مرسلها قال. فيم أقاتل؟ قال: بما قال الشاعر:

جـلامـيـدُ أمـلاءُ الأكـفّ كـأنّـهـا　　　رؤوسُ رجـالٍ حُـلقتْ في الـمـواسـمِ

قال الحنفي:

فـوادح مـذا الـصـخرِ الأصـم رؤوسـهـم　　　إذا الـفـلـع الـهـنـديّ عـنـهـا تـثـلّـمـا[2]

● **أصواتُ الأسلحة**

يقال للطعن الشخشمة وللضرب إهيمة وللقسي أرمة وعممة

قال الحارث بن حلزة.

وحـسـنـتْ وقـعَ سـيـوفـنـا بـرؤوسـهـم　　　وقْعَ السحابِ على الطّراف المشرجِ[3]

وقال هلال:

تـصـيـحُ الـرُدَيـنـيّـات فـيـنـا وفـيـهـم　　　صياحَ بنات الماء أصبحنَ جوّعا[4]

وقال آخر:

تـنـقّ عـوالـيـهـم نـقـيـقَ الـضـفـادع

● **إيجابُ المحاربة على المتسلّح وتبكيتُه لتقصيره فيها**

قال ابن مرداس:

فـعـلامَ إن لـم أشـفِ نـفـسـاً حـرّة　　　يـا صـاحِـبـي أجِـيـدُ حـمْـلَ سـلاحـي

وقال جرير:

تـصـفُ الـسـيـوفَ وغـيـرُكـم يَـعـصـى بـهـا　　　يـا ابـنَ الـقـيـونِ وذاكَ فـعْـلُ الـصـيْـقلِ[5]

---

(١) **الطرفاء:** ضرب من الشجر　　　(٢) **الهندي:** السيف المنسوب إلى الهند

(٣) **الطراف:** البيت من أدم ـ المسرج: المصنع بالسراج، والمسرج أيضاً: الفرس مشدود عليه السرج أو الرحل.

(٤) **الردينيات:** الرماح المنسوبة إلى امرأة تدعى ردينة

(٥) **القيون:** جمع القين، الحدّاد

قال ابن الرومي:

رأيتكم تبدون في الحرب عدّة ... ولا يمنع الأسلابَ منكم مقاتلُ[1]

فأنتم كمثلِ النخلِ يسرع شوكه ... ولا يمنعُ الجَرام ما هو حاملُ[2]

قال المتنبي:

إذا كنت ترضى أن تعيش بذلّةٍ ... فلا تستعدنّ الحُسامَ اليمانيا[3]

ولا تستطيلنّ الرماحَ لغارةٍ ... ولا تستجيدنّ العتاق المَذاكِيا

● **الاستظلالُ بالأسلحةِ**

قال امرؤ القيس:

فمثنا إلى بيتٍ بعلياء، مردَح ... سماوية منها الحمى معصبُ[4]

فأوتاده ماذيّة وعماده ... ردينية فيها أسنّةُ قعضب[5]

وقال أعرابي من بني أسد:

وفتيان ثنيتُ لهم ردائي ... على أسيافها وعلى القِسيّ

وقال

وما اتخذوا إلا الرماحَ سُرادقاً ... وما استتروا إلا بصوبِ اللهادمِ[6]

● **ذمّ العزل في الحرب**

في المثل عند النطاح يغلب الكبشُ الأجم

فمن يكُ معزال اليدين فإنه ... إذا كشّرت عن نابها الحربُ حاملُ[7]

وقال ابن الحطيم:

نبّهتُ زيداً ولم أفزع إلى وكلٍ ... رثّ السلاحِ ولا في الحرب مكثور[8]

● **من صاحبةُ الطيورُ والسباعُ**

أول من وصف ذلك النابغة الذبياني فقال:

إذا ما غزوا بالجيش حلّق فوقهم ... عصائبُ طيرٍ تهتدي بعصائبِ[9]

---

(١) الأسلاب: الغنائم التي تسلب في المعركة

(٢) الجرام: التمر اليابس

(٣) لا تستعدنّ الحسام: لا تتخذه عدّة

(٤) العلياء: المرتفع من الأرض - المردح: من ردح البيت إذا كانت عليه الطين - المعصب: المشدود

(٥) ردينية: نسبة إلى ردينة وهي امرأة كانت تصنع الرماح وزوجها قعضب وهو من بني قشير، لذا قال أسنة قعضب

(٦) اللهاذم: جمع لهذم وهو القاطع والحاد من السيوف

(٧) كشّرت عن نابها الحرب: أي احتدمت

(٨) موكل: الجبان العاجز.

(٩) العصائب: جماعات الطير.

وقال أبو تمام:

وقد ظُلِّلَتْ عُقْبانُ أعلامه ضحىً ... بعُقْبانِ طيْرٍ في الدِّماءِ نواهِلِ[1]

أقامَتْ مع الراياتِ حتّى كأنّها ... من الجيْشِ إلا أنّها لمْ تُقاتِلِ

وقال بشار

إذا ما غـزا بـشّـرتْ طـيـرُه ... بـفَـتْـحٍ وبشّرْنا بـالـنّـعَـمِ[2]

وقال المتنبي:

وأنْـبَـتَّ فـيـهـم ربيعَ السّبـاعِ ... فـأثْـنَـتْ بإحْسانك الشّامِلِ

وقال عمرو بن مامة.

إذا ألحمَت قيسٌ لحربٍ تباشَرَت ... ضباعُ الفَيافي والنّسورُ الكواسِرُ[3]

وقالت جنوب أخت عمرو:

تمْشي النسورُ إليْها وهي لاهيَةٌ ... مَشْيَ العَذارى عليهنّ الجلابيبُ

● المتزين بالجراحات

قال يعقوب بن يوسف:

وخيْلٍ تعجزُ الأرسالُ عنها ... مُزيّنةٍ بأنواعِ الجِراحِ

وقال سلم الخاسر

ولا خيرَ في الغازي إذا آبَ سالِمًا ... إلى [illegible] لم يُجْرحْ ولمْ يتحدّدِ[4]

● المتضرج بالدم

قال البحتري

سُلِبُوا وأشرقَتِ الدماءُ عليْهِم ... مُحْمَرّةً فكأنّهُم لم يُسْلَبُوا

وقال آخر

تَضَرّجَ منهُم كلُّ خدٍّ مُعَفَّرٍ ... وعُفِّرَ منهم كلُّ خدٍّ مُضَرَّجِ[5]

● المتلطّخ بالدم المتسربل بالغُبار

قال السري:

مفقودَةٌ شِيَةُ الجَوادِ عليْهِم ... وحُجُولُ أرْبعةٍ لخوضِ دمائِه[6]

---

(١) العقبان: جمع عقاب وهو طائر من الكواسر. يقول: إن رايات الممدوح عند الضحى كانت مظلّلة بعقبان الجوّ المحلّقة فوق الجيش ترقب أن تقتات بدماء وأشلاء القتلى.

(٢) النعم: الغنائم.

(٣) الفيافي: جمع فيفاء وهي المفازة التي لا ماء فيها.

(٤) آب: عاد.

(٥) الخدّ المعفّر: الممرّغ بالتراب.

(٦) الشية: مصدر وشى الثوب شية حسّنه بالألوان ونقشه.

وقال المتنبي:

وعجاجةٌ ترك الحديدُ سوادَها ... زِنجاً تبسّمُ أو قذالاً شائبا[1]

● الغبار

قال الحجّاج: اتّقوا الغبار فإنه سريع الدخول بطيء الخروج، وقال:

غبارٌ كما فارت دواخنُ غرقد

وقال أوس:

فانقضّ كالدرّيّ يتبعه ... نقعٌ يثورُ تخالُه طُنُبا[2]

يخفى وآونة يلوحُ كما ... رفع المنيرُ بكفّه لَهَبا

● الحروبُ المشهورةُ

الحروب ثلاثة لم يكن للعرب أعظم منهن: حرب بعاث بين الأوس والخزرج وكانت متصلة إلى أن بعث الله تعالى النبي ﷺ فلما أسلموا اصطلحوا. وحرب بني وائل بكر وتغلب في مقتل كليب اتصلت أربعين سنة، وحرب بني بغيض عبس وذبيان في مجرى داحس والغبراء بقيت أربعين سنة لم تحمل فيها الحمالات فبعث الله تعالى النبي ﷺ وبقي من دمائهم شيء على الحارث بن عوف فاهتدى للإسلام.

وأيام العرب ثلاثة في الجاهلية لم يكن أعظم منهن: يوم جبلة ويوم كلاب الأخير ويوم ذي قار.

وقال سفيان بن عيينة: السيوف أربعة: سيف لمشركي العرب وهو قوله تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾[3]، وسيف لأهل الردّة على يد أبي بكر رضي الله عنه (وهو تقاتلونهم أو يسلمون) وسيف لأهل الكتاب على يد عمر رضي الله عنه قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر. وسيف لأهل القبلة والصلاة على يد عليّ رضي الله عنه وهو «وإن طائفتين من المؤمنين اقتتلوا» ولولاه ما عرفنا قتال أهل القبلة.

● العصا

تسمى المنسأة[4]: قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾[5] وعصا موسى حالها ظاهرة. وقيل ألقى فلان عصاه إذا نزل، وشقّ العصا إذا خرج عن الطاعة، وعبيد العصا أي يقدرون بالعصا وسمي الصغير الرأس رأس العصا

---

(١) العجاجة: الغبار ـ القذال: ما بين الأذنين من مؤخر الرأس.

(٢) الدري: أي الكوكب الدري ـ النقع: الغبار ـ الطنب: الحبل الطويل يشد به سرادق البيت.

(٣) القرآن الكريم: التوبة/ ٣٦

(٤) المنسأة: العصا العظيمة التي تكون مع الراعي.

(٥) القرآن الكريم: سبأ/ ١٤.

وهو صلب العصا أي قوي. وقولهم: أنك خير من تعاريق العصا، فالعصا تقطع ساجورا ثم يجعل الساجور أوتاداً، والأوتاد شضاظاً، و لشظاظ مهار البخاتي، أو تشق العصا فتجعل قوساً للبندق، وتجعل القوس سهاماً والسهم حظاء والحظاء مغازل، والمغازل قداحاً

● الكرةُ والصولجانُ

وقال أبو قريش بن أسوط، وكان من بطارقة أرمينية يصف كرة

يــحــبّ دنــوّهــا إذا مــا | دنــت مــنــه بــكــدٍ أي كــدّ
قَــلاهــا ثــم أتــبــعــهــا بــضــرب | وأعــقــبَ قــربَــهــا مــنــه بــبُــعْــد

وقال بشار:

كــأنّ فــؤاده كــرةٌ تــنــزى | حــذرَ الــبــيْــن لــو نَــفَــع الــحــذارُ

وقال السيد الحميري

وكــأنّــهــا كــرةٌ بــكــفّ حــزورٍ | عــبل الــذراع دحــا بــهــا فــي ملعب[1]

● البوق:

قال البغا

ومــســمــعٍ لــيــس بــذي لــســانِ | يــحــكــم فــي صــمــم الآذان
بــســرّ يــؤديــه إلــى إعــلان

(٤)

وممّا جاء في طلب الثأرِ والدية والرخصة في الاقتصاص

●

قال الله تعالى. ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[2] ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾[3] ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ﴾[4] وقال ﷺ لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده. وسوّى بين الصريح والهجين وكانت العرب تهدر دم السيد وهو الملصق الدعي وإذ قتل برجل صك أو رجلاً من أهل بيت القاتل لم يرضوا حتى يقتلوا رهط القاتل ويحرقوهم بالنار وإذا كان القاتل هو الملك أو أحد من أهل بيته أهدروا الدم فقالوا لا عقل ولا قود. قال الجاحظ كانت الدية والصدقة مما عند الرجل إن تمرا فتمر وإن شاء فشاء وكانوا يعيرون من ديته التمر قال

ألا أبــلــغ بــنــي وهــب رســولا | بــأنّ الــتــمــر حــلــوٌ فــي الــشــتــاءِ

---

(١) الحزور: الغلام القوي ـ دحاها: بسطها
(٢) القرآن الكريم. البقرة/ ١٩٤.
(٣) القرآن الكريم. المائدة/ ٤٨.
(٤) القرآن الكريم: الإسراء/ ٣٣.

فعيّرني هذا بشيئين بأخذ الدية وبأن ديتهم التمر وكانت دية العربي المعمّ المُخوَل من التمر مائة وسق ومن الإبل مائة بعير ودية الهجين على النصف ودية المولى على الربع والملك ومن هو من بيته ألف وسق والإسلام سوّى بين الكلّ لقول النبي ﷺ المسلمون تكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم

● **التعييرُ بترك الثأرِ والحثُّ على أخذِه**

قيل لأعرابي أيسرك أنك من أهل الجنة وأنك لا تدرك ثأراً قط؟ **قال**: بل يسرني إن أدرك الثار وأنعى العار وأدخل مع فرعون النار.

قدم هدبة بن الخشرم العذري ليقتاد بابن عمه فأخذ ابن المثور به السيف فضوعفت له الدية حتى بلغت مائة ألف، فأبت أم العلاء أن يقبل الدية وقالت. أعطى الله عهداً لئن لم تقتله لأتزوجنه فيكون قد قتل أباك ونال أمك. **قال عبد الرحمن بن شافع**.

فإن أنتم لم تثأروا بأخيكم ... فكونوا نساءً للخلوق وللكحلِ[1]

وبيعوا الردينيّاتِ بالحلي واقعُدوا ... على الذلّ وابتاعوا المغازلَ بالنبلِ

ونحوه، قول عمرة بنت وقدان:

فإن أنتم لم تطلبوا بأخيكم ... فذروا السلاح ووحشوا بالأبرق[2]

وخذُوا المكاحلَ والمجاسدَ والبَسُوا ... نقبَ النساء فبئسَ رهطُ المرهقِ

● **التعيير بأخذ الدية وعدمه**

قال شاعر:

وإن الذي أصبحتم تحلبُونه ... دمٌ غيرَ أن اللونَ ليس بأحمرا

إذا سكنُوا في القعب من ذي أنانهم ... رأوا لونه في القعب وَرْداً وأشقَرا

قال آخر وكان أخذ من ابن عمه دية أبيه.

إذا صبّ ما في القعْب فاعلم بأنه ... دمُ الشيخ فاشرب من دم الشيخ أوْدَعَا[3]

قال آخر:

خذوا العقل إن أعطاكم العقل قومكم ... وكونوا كمن سيم الهوان فلم يَنَل

كان لعتبة الأعرابية غلام شديد العرامة[4]، كثير التلفت إلى الناس فواثب فتى من الأعراب فقطع الفتى أنفه فأخذت أمه ديته فحسن حالها ثم واثب آخر فقطع أذنه فأخذت ديتها ثم آخر فقطع شفته فأخذت ديته فلما رأت ما صار إليها من قبل ابنها أنشدت:

أقسم بالمروة حقاً والصفا ... أنك خيرٌ من تفاريق العصا

---

(١) **الخلوق** من ضروب الطيب.

(٢) **يقول** إذا لم تطلبوا الثأر اتركوا سلاحكم وتزيّوا بأزياء النساء، معيّراً إياهم لعدم ذودهم عن عزتهم

(٣) **القعب**. القدح الكبير الضخم (٤) **العرامة**. الإعجاب بالنفس

وروي أن أعرابيين أصابهما قحط فنحدرا إلى العراق جائعين فوطئت رجل أحدهما فرس لفارس فأدمتها وكان يسمى حيذان فتعلق به وأخذا الدية وكانا جائعين فقصدا السوق وابتاعا طعاماً فأكلا فقال الآخر:

فلا غرِمَ ما دامَ في النّاسِ سوقُهم ... وما بقيَتْ في رجلِ حيذانَ إصبعُ

● تحريمُ الملاهي على المحارِب وطالبِ الثأرِ

روي أن بعض عمّال عبد الملك بعث إليه بجارية اشتراها بعشرة آلاف دينار فلما استحضرها وأنس بها دخل إليه رسول الحجّاج بأن عبد الرحمن بن الأشعث خلعه، فأجاب عن كتابه وجعل يقلّب كفيه وقال لها: إن ما دونك منية المتمني فقالت: وما يمنعك؟ قال بيت الأخطل:

قومٌ إذا حاربُوا شدّوا مآزرَهم ... دونَ النساءِ ولو باتَتْ بأطهارِ

فمكث ثلاث سنين وخمسة أشهر لا يقرب امرأة حتى أتاه خبر قتل ابن الأشعث فكانت أول امرأة تمتع بها. وكانت العجم إذا حزبهم أمر أمروا أن ترفع الموائد ويقتصرون على الخبز والملح والبقل حتى يفرغوا. وقال معاوية: ما ذقت أيام صفّين لحماً ولا حلواء بل اقتصرت على الخبز حتى فرغت، وأتت امرأة المهلب بمجمرة، فقالت له: ضع هذه تحتك فكان ذلك تعريضاً لما أبطأ عن محاربة الأزد فقال: است المرأة أحق بالمجمرة قال قيس بن الحطيم:

حرامٌ علينا الخمرُ إن لم نضارِب

وقال الجراح العطفاني

لـه درّك ما طعمت بشاتر ... حران ليس على التراث براقِدِ

أحددته ثم اضطجعتُ ولم ينم ... أسفاً عليك وكيفَ نومُ الحاقِدِ

● من حلّ له الطيبات لإدراكِ الثأرِ

قال شاعر:

اليومَ حلّ لي الشرابُ وما ... كانَ الشرابُ يحلّ لي قبلُ

قال جابر:

وحل لي الشلعين والخمرُ بعدما ... شفيْت غليلي من ثويد المراثِدِ

● المبتهج بإدراك ثأره

قال المهلهل في إدراك ثأر كليب:

فلو نبش المقابرَ عنْ كليبٍ ... فتخبر بالذنائبِ أيّ زيرِ[1]

---

(١) الذنائب: موضع ويوم الذنائب من أيام تغلب وبكر في حرب البسوس بعد مقتل كليب ـ الزير: الذي =

بأني قد تركت بواردات ... بجيراً في دم مثل العبير
هتكت به بيوت بني عبيد ... وبعض القول أشفى للصدور

قالت صفية بنت الجذع

وقد قتلنا شفاء النفس لو قنعت ... وما قتلنا به إلا امرأً دونه

قال زبان وكانت قد هجاه بعض أعاديه فقتله وقطع لسانه ودسّه في إسته.

وإن قتيلاً بالهباءة في إسته ... صحيفته إن عاد للظلم ظالم
متى تقرؤها تهديكم من ضلالكم ... وتعرف إذا ما فضّ عنها الخواتم

- **من نزع ثوب العار وانطلق لسانه**

قال أخو ساف بن عباد اليشكري

ألم يأتيها أني صحوت وأنني ... شفاني من داءي المخامر شاف
فأصبحت ظبياً مطلقاً من أديمه ... صحيح الأديم بعد داء أساف
وكنت معطى في قناعي حيفة ... كشفت قناعي واعتطفت عطافي

قال غالب

وقد كنت محزوز اللسان ومفحماً ... فأصبحت أدري اليوم كيف أقول

- **من لا يفوته الثأر**

قال عبد الله بن العتابي:

وقد ضمنت أسيافهم ورماحهم ... لمن جاوروا أن لا يضيع لهم وِترُ[1]

قال البحتري

تذم الفتاة الرود شيمة بعلها ... إذا بات دون الثأر وهو ضجيعها[2]
حمية شعب جاهلي وغيرة ... كليبية أعيا الرجال خضوعها

وقال المتنبي:

إذا طلب النيل لم يشأه ... وإن كان دَيْناً على ماطلِ

- **من يفيته الثأر ولا يفوته**

قال الحرمي

وإذا طلبت الوتر لم تسبق به ... وتموت مطلوباً به فتبرح

---

* يكثر من زيارة النساء، وهو لقب المهلهل أخي كليب، لقبه به كليب قبل مقتله لأنه كان يتمادى في لهوه ودبيبه إلى مضاجع النساء.

(١) الوتر: الثأر.

(٢) الفتاة الرود: الشوّافة في بيوت جاراتها

وقال آخر:

تحف أغرّ لا قود عليه ... ولا دية تساق ولا اعتذارُ

● من قتلَ بعض ذويه اقتصاصا

قال قيس بن زياد:

شفيتُ النفسَ من قيس بن بدر ... وسيفي من حذيفة قد شفاني

فإنْ أكُ قد بردْتُ بهم غليلي ... فلمْ أقطعْ بهم إلا بناني[1]

ونحوه للحارث بن وعلة:

قومي همْ قتلُوا أميمَ أخي ... فلئن رميتُ يصيبُني سهمي

فلئن عفوتُ لأعفونْ جللاً ... ولئن سطوْتُ لأوهننْ عظمي

قال البحتري:

تقتل من وتر أعز نفوسها ... عليها بأيدٍ ما تكاد تُطيعها

إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها ... تذكرتِ القُربى ففاضتْ دموعُها

وقال أعرابي:

أقولُ للنفس تعزاء وتسليةً ... إحدى يدي أصابتني ولم تُرد

كلاهما خلفٌ عن فقد صاحبه ... هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

(٥)

وممّا جاء في التحذير من الحرب وطلب الصلحِ

●

● التحذيرُ من تهييج الحرب والحثّ على الصلح

قال الله تعالى ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ﴾[2] ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾[3] كان سويد بن منجوف خطب خطبة طويلة لصلح أمة، فقال له رجل: أنت مذ اليوم ترعى في غير مرعاك أفلا أدلك على مقتل؟ فقال: نعم. فقال: أما بعد فإن الصلح بقاء الآجال وحفظ الأموال والسلام. فلما سمع القوم ذلك تعانقوا وتواهبوا الديات. وقيل: الحرب صعبة مرة والصلح أمن ومسرة. كتب سلم بن قتيبة إلى سعيد المهلبي لما تحاربا بالبصرة:

خذُوا حظّكم من سِلْمنا إنّ حربنا ... إذا زَيّنتْهُ الحربُ نارٌ تُسعّرُ

---

(١) برد غليله: أطفأ جذوة حقده.

(٢) القرآن الكريم: الحجرات/ ٩.

(٣) القرآن الكريم. الأنفال/ ٦١.

فإني وإياكم على ما يسوؤكم لمثلان أو أنتم إلى الصلح أفقرُ

وقال عبد الله بن الحسين: إياك والمعدات فإنك لن تعدم مكر حكيم أو مفاجأة لئيم. وقال زيد بن حارثة: لا تستثيروا السباع من مرابضها فتندموا، وداروا الناس في جميع الأحوال تسلموا.

وقيل الفتنة نائمة فمن أيقظها فهو طعامها، قال زهير:

وما الحربُ إلاّ ما علمتُمْ وذُقتُمُ وما هو عنها بالحديثِ المُرَجَّمِ

متى تبعثوها تبعثوها ذميمَةً وتضرم إن أضرمْتُموها فتضرمِ[1]

ومن يعصِ أطرافَ الزِّجاجِ فإنّه يطيعُ العَوالي رُكِّبَتْ كلَّ لَهْذَمِ[2]

قال كثير:

رميتُ بأطرافِ الزّجاجِ فلم يُفِقْ من الجهلِ حتّى كلَّمَتْه نِصالُها

● التحذيرُ من صغيرٍ يُفضي إلى كبيرٍ

من أقوالهم: ربّ خطوة يسيرة عادت همّة كبيرة. قال شاعر:

ذرُوا الأمرَ الصّغيرَ وزمّلوه فتدفعَ الجليلَ منَ الدقيقِ[3]

وكتب نصر بن سيار إلى مروان بن محمد في أمر أبي مسلم صاحب الدولة أبيات أبي مهيم:

أرى خللَ الرمادِ وَميضَ جمرٍ ويوشِكُ أن يكونَ له ضِرامُ[4]

فإنَّ النارَ بالزندَيْنِ تُورَى وإنّ الحربَ أوّلُها كلامُ

أقولُ من التعجّبِ ليتَ شِعْري أأيقاظٌ أميّةُ أم نِيامُ

فإن يكُ قومُنا أمسوا رقودا فقُلْ هبّوا فقد آنَ القيامُ

ورأى أبو مسلم بن بحر في منشأ دولة الديلم هذه الأبيات مكتوبة على ظهر كتاب فكتب تحتها:

أرى ناراً تشبّ بكلّ وادٍ لها في كلّ منزلةٍ شُعاعُ

وقد رقدَتْ بنو العبّاسِ عنها فأضحَتْ وهي آمِنةٌ تُراعُ

كما رقدَتْ أميّةُ ثم هبّت لتدفَعَ حينَ ليسَ لها دِفاعُ

وقال آخر:

إنّ الأمورَ دقيقُها مما يهيجُ به العظيمُ

---

(١) ذميمة: مكروهة ـ تضرم الحرب: تستعر نارها.

(٢) العوالي: الرماح ـ اللهذم: القاطع والحاد من السيوف.

(٣) زملوه: أخفوه (٤) الوميض: اللمعان

وقال آخر:

وقد يملأ القَطْرُ الإناءَ فيفعَمُ[1]

وقال آخر:

وأولُ العيثِ قَطْرٌ ثم ينسَكِبُ

وقال آخر:

كم بذي الأثل دوحَةٌ من قَضيبِ

من الحبة تنبت الشجرة العميمة ومن جمرة تكون النار العظيمة. التمرة إلى التمرة تمر، والذود إلى الذود إبل. قال صالح:

قد يحقرُ المرءُ ما يهوى فيركبُه　　　حتى يكونَ إلى توريطه سببا

وحرب البسوس كانت في ضرب ناب وحرب غطفان بسبب دابة

● وصفُ الحربِ بالشدة

قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه لعمرو بن معدي كرب: أخبرني عن الحرب فقال هي مرّة المذاق إذا شمّرت عن الساق، من صبر فيها عرف ومن ضعف عنها تلف كما قال:

الحرب أول ما تكون فتية　　　تسعى بزينتها لكل جهول
حتى إذا اشتعلت وشبّ ضرامُها　　　عادتْ عجوزاً غير ذات حليل
شمطاء جزّت رأسها وتنكّرت　　　مكروهةً للشمّ والتقبيل

وقيل: موطنان تذهب فيهما العقول: المباشرة والمسابقة. ووصف رجل الحرب فقال: أولها شكوى وآخرها بلوى وأوسطها نجوى. قال الفرزدق:

وجامعة أعناقها بعد ما التوت　　　جوامعُها ما كان سيق لها مَهرُ
إذا ما التقى لاقى أخاها تعاوروا　　　عيوناً من الأعداءِ أبصارُها خُزْرُ

وقال أبو تمام:

ومشهدٍ بين حكم الذلّ مقطعٌ　　　حبالُه بحبالِ الموتِ تتّصلُ
ضنكٌ إذا خرسَتْ أبطالُه نطقَتْ　　　فيه الصوارمُ والخطيّة الذُّبُلُ[2]

وقال المتنبي:

ومبتسمات هيجاواتِ عصرٍ　　　عن الأسياف ليسَ عن الثغورِ

وقال السري:

تضايق حتى لو جرى الماء فوقهم　　　حماه ازدحامُ البيضِ أن يتسرّبا

---

(1) القطر: المطر. يفعم: يفيض.　　(2) الصوارم: السيوف. الخطية الذبل: الرماح.

- **إصابةُ الحرب جانيها وغيرَ جانيها**

العرب تقول: الحرب غشوم لأنها قد تنال غير جانيها، قال شاعر:

لم أكنْ من جناتها علم اللهُ   وإنّي بحرّها اليومَ صالِ

وقال آخر:

وليس يصلَى بحرّ الحربِ جانيها

وقال آخر:

وأصبحَ منْ لمْ يجنِ فيها كذي الذنْبِ

قال أبو حية:

أصابُوا رجالاً آمنين وربّما   أصابَ برِيئاً من يكنْ غيرَ ذا ذنْبِ

قال ابن الرومي:

رأيتُ جناةَ الحرْبِ غيرَ كفاتِها   إذا اختلفتْ فيها الرماحُ الشواجرُ[1]

كذاكَ رِماد الحربِ عنْها بنجْوَةٍ   ولكنّما يصْلى صَلاها المشاعرُ

- **التفادي من محاربةِ الأنذالِ**

قصد الإسكندر موضعاً لمحاربته، فكفّ عنهم فقيل له في ذلك، فقال: هذا جيش إذا غلبناه فما لنا به من فخر وإن غلبنا فتلك فضيحة الدهر. قال شاعر:

فسيلُ لئامٌ إنْ ظفرْنا عليهمُ   وإنْ يغلبونا يوجدوا شرّ غالبِ

- **الممتنعُ من الصُلْح**

قال عبد الرحمن بن سليمان:

فلا صلحَ حتّى تخبطَ الخيلُ في القَنا   وتوقدَ نارُ الحربِ في الحطبِ الجزْلِ[2]

وقال آخر:

فلا صلحَ ما دامتْ هضابُ أبانِ[3]

قال حرملة بن المنذر:

طلبوا صلحَنا ولاتَ أوانٌ   فأجبْنا أنْ ليسَ حينَ بقاءِ

فلحا اللهُ طالبَ الصلحِ منّا   ما أطافَ المبسُّ بالدهماءِ

وقال عمرو بن الأهيم:

ليس بيني وبين قيسٍ عتابٌ   غير طعنِ الكُلَى وضربِ الرّقابِ

وقال الزبرقان:

فلنْ أصالحهم ما دمتُ ذا فرسٍ   واشتدَّ قبضاً على الأسيافِ إبهامي

---

(١) الرماح الشواجر: المتشابكة   (٢) الحطب الجزل: الغليظ

(٣) أبان: جبل بين فيد والنباجية وهو أبيض، وأبان أسود: جبل أسود، فهما أبانان (معجم البلدان: مادة أبان)

- **تبكيتُ مَنْ عُرِضَ عليه صُلْحٌ فلم يقبله واستَوْخَمَ عاقبتَهُ**

قال ابن قيس:

ومولىً دعاهُ الغيّ والغيّ كاسمه ... ولجبنٍ أسبابٌ تصدّ عن الحزمِ[1]

أتاني يشبّ الحربَ بيني وبينه ... فقلتُ له لا بل هلمّ إلى السّلمِ

ولما أبى أرسلتُ فضلةَ ثوبه ... إليه فلم يرجع بحزمٍ ولا عزمِ

فكانَ صريعَ الجهلِ أوّل مرة ... فيا لكَ من مختارِ جهلٍ على علمِ

- **ضارع يطلب الصلح**

قال المتنبي:

من أطاق التماسَ شيءٍ غلاباً ... واغتصاباً لم يلتمسه سؤالا

(٦)

وممّا جاء في الهَزيمة والخَوْف وأنّ الفرارَ لا يُنْجي من الموْت

•

قال الله تعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ﴾[2] **وقال أمير المؤمنين يوم الجمل**: إن الموت طالب حثيث لا يعجزه المقيم ولا يفوته الهارب، وإن لم تقتلوا تموتوا وإن أشرف الموت القتل. **والعرب تقول**: أجرأ من خاصي خصاف. وكان جباراً فشهد حرباً فوقف فجزه فجاءه سهم فغرز في الأرض وجعل يهتز فبحث فرآه قد أصاب يربوعاً[3]، فقال:

لا المرءُ في شيءٍ ولا اليَربوعُ[3]

ولا أقتل إلا بأجلي. ثم حمل فخرق الصف، فأنكى[4] في القوم. **قال شاعر:**

إن الفرار لا يزيد في الأجل

- **تفضيلُ القتل على الهَرَبِ**

قال سقراط لرجل هرب من الحرب: الهربُ من الحرب فضيحة. **فقال الرجل**: شر من الفضيحة الموت. **فقال سقراط**: الحياة إذا كانت صالحة فنعم فإذا كانت رديئة فالموت أفضل منها. ولما قتل الإسكندر ملك الهند **قال لحكمائه**: لِمَ منعتم الملك من الطاعة؟ **قالوا**: ليموت كريماً ولا يعيش تحت الذلّ.

---

(١) **الغيّ**: الضلال.

(٢) **القرآن الكريم**: الأحزاب/١٦.

(٣) **اليربوع**: الفأر.

(٤) **أنكى فيهم**: قهرهم بالقتل والجرح.

● **الممتنعُ من الفرار**

قالت امرأة من عبد القيس:

أبوا أن يفرّوا والقضاءُ في نحورِهم ... ولم يرتقوا من خشيةِ الموتِ سلّما

ولو أنهم فرّوا لكانوا أعزّةً ... ولكن رأوا صبراً على الموتِ أحزَما

● **تعييرُ من آثارَ الحربَ فهرب**

قال عمارة بن عقيل

ما في السويّةِ أن تجرّ عليْهم ... وتكونَ في الهيْجاءِ أولَ صادرِ

وقال هدبة بن الخشرم.

وليس أخو الحرب العليظةِ بالذي ... إذا زبّنته الحربُ للسلمِ أخضعا

قال الحصيفي:

جنيتُم علينا الحربَ ثم همجتمُ ... إلى السلْمِ لمّا أصبحَ الأمرُ مُبْهَمَا

● **المعيرُ بانهزامِهِ**

قال الحجاج في كلامه ولّيتم كالإبلِ الشوارد إلى أوطانها النوازعِ إلى أعطانها الا يلوي الشيخ على بنيه ولا يسأل المرء عن أخيه، **قال الشاعر**

شردّه الخوفُ فأُزْرِيَ به ... كذاك من يكره حرَّ الجلا

قال خراش بن الحارث:

ما أنتَ إلا كعيرٍ خافَ ميسمَه ... قد يضرطُ العيرُ والمكواةُ في النّارِ

وقال آخر:

فولّيتَ عنه يرتمي بك سابحٌ ... وقد قابلتْ أذنيْه منهُ الأخادعُ[1]

وقال المنصور لبعض الخوارج: عرّفني من أشدُّ أصحابي إقداماً **فقال:** لا أعرفهم بوجوههم فإني لم أر إلا أقفاءهم.

وقال ابن الرومي:

لا يعرفُ القرنُ وجهَه ويرى ... قفاه من فرسخٍ فيعرفُه

وقال آخر

وولّى كمَا ولّى الظليمُ من الذُّعْر

قال المتنبي:

أشدّ سلاحِهم فيه الفرارُ

---

(١) الأخادع: الأخدع (وهما أخدعان): عرقان في صفحتي العنق قد خفيا وبطنا

وقال آخر:

قد عاذ بالإقبحيِّن الذب والمشلا

قال أبو تمام:

موكل بيماعِ الأرضِ يشرعهُ ... من حمةِ الروعِ لا مِنْ حقةِ الطَرَبِ

قال البحتري:

تخطأ عرض الأرض راكبِ وجهه ... ليمنع عنه الغدَ ما يبذلُ القرتُ

● من وَصَف قوماً هزَمَهُم

قال قيس بن عطية:

وتكرّ أولاهم على أُخراهم ... كرّ المخلى عن حياضِ المصدر

وقال منحناهم الهزيمة ونفضنا عليهم لعزيمة قال بكر بن النطاح

ولقيتهم لقي لأعا ... جم كالجراد المرتدف

فقطعت أصلهم وقطـ ... ـعُ الأصلِ أقطعُ للطّرف

قال الموسوي:

إذا ما لقيتُ الجيش أمسيتُ حلّه ... وفي ورددتُ الماضين نواعيا

ويقال تركت لهم شق الشمال إذا هزمتهم. وقيل ذلك لأجل أن المنهزم يأخذ طريق الشمال. قال شاعر

إذ حاربوا لم ينظُروا عن شمائلهم ... ولم يُمسكوا فوق القُلوب الحوافِق

● ترك أتباع المنهزم

أوصى الإسكندر صاحب جيش له فقال: حبب إلى أعدائك الهرب قال: كيف أصنع؟ قال: إذا ثبتوا جد في قتالهم وإذا انهزموا لا تتبعهم

وقيل لأمير المؤمنين: أنت رجل محرب[1] وتركب بغلة فلو اتخذت الخيل فقال أنا لا أفرّ ممن كرّ ولا أكرّ على من فرّ. وعاتب لمهلب الحجاج في تركه أتباع الخوارج لما انهزموا فكتب إليه: أما علمت أن الكلب إذا أحجر[2] عقر[3]

● المتأسفُ على مَنْ نجا ولم يؤْسَرْ

قال عوف بن عطية:

ولولا علالة أفراسنا ... لزادكم القوم جزياً وعارا

قال امرؤ القيس:

وأفلتهن علباء جريضا ... ولو أدركته صفرُ الوطابِ

---

(١) محرب: صاحب حرب. (٢) أحجر: منع. (٣) عقر: جرح

قال أبو تمام.

لولا الظلامُ وعلّةٌ علقوا بها | بانت رقابُهم بغير قلالِ
فليشكروا جنحَ الظلامِ ودروذا | فهم لدرود والظلام موالِ[1]

قال عنترة الكلبي:

فلولا الله والمهرُ المُفدّى | لأبت وأنت غربال الإهابِ

● الفارُّ في وقت الفرار والثابت في وقت الثبات

قال يوماً معاوية رضي الله عنه. لقد علم ساس أن لخيل لا تجري بمثلي فكيف؟

قال النجاشي:

ونجّى ابن حرب سابحٌ ذو علالة | أجشّ هزيمٌ والرماحُ دواني

فقال عمر وأعياني أشجاع أنت أم جبان؟ فقال شجاع إذا ما أمكنتني فرصة وإن لم تكن لي فرصة فجبان. وقيل: اهرب في وقته خير من الصبر في غير وقته وقيل من هرب من معركة فعرف مصيره إلى مستقره فهو شجاع

● تفضيلُ الإحجام حيث يكون أوفقَ على الإقدام

قال المهلّب الإقدام على الهلكة تضييع كما أن الإحجام عن الفرصة عجز وقال المتوكل لأبي العيناء إني لأفرق من لسانك فقال يا أمير المؤمنين الكريم ذو فرق وإحجام واللئيم ذو وقاحة وإقدام قال مالك الأنصاري:

أقاتلُ حتى لا أرى لي مقاتلاً | وأنجو إذا غمّ الجبانُ من الكرب

● من هربَ لمّا علم قلّة غنائه

قال هبيرة القرشي:

لعمرك ما وليتُ ظهرا محمداً | وأصحابه جبنا ولا خشية القتلِ
ولكنني قلّبتُ أمري فلم أجد | لسيفي غناء إن ضربتُ ولا نبلي
وقفتُ فلمّا لم أجدْ لي مقدماً | صدرتُ كضرغامٍ هزبرٍ إلى الشبل
ثنى عطفَه عن قرنه حيث لم يجد | مَا غالة عند التصرّفِ والختلِ

وقال آخر:

أعاذلُ ما وليتُ حتى تبددتْ | رجالٌ وحتى لم أجدْ لي مقدما
وحتى رأيتُ الوريدَ يدمى لبانه | وقد هُزم الأبطالُ واستثل الدّما[2]

---

(١) الدرود: حيوانات من الثدييات.

(٢) اثتل: استخرج

● **اعتذارُ هاربٍ زعم أن هربَه نبوة أو قدر**

قال شاعر:

أيـذهـبُ يـومٌ واحـدٌ إن أسـأتـه ... بـصـالـح أيـامـي وحـسـنِ بـلائـيـا
ولـم تـبـدُ مـنـي سـوءةٌ قـبـل هـذه ... فِـراري وتـركـي صـاحـبـي ورائـيـا

قال عبد الله بن خلفاء:

وليس الفرارُ اليومَ عاراً على الفتى ... إذا عرفتْ منه الشجاعةُ بالأمسِ

وسمع بعض الفرس قول الشاعر:

ألـم تـرَ أن الـوردَ عـرّد صـدره ... وحاد عن الدعوى وضوء البوارقِ[1]

فقال: عذره أشدّ من ذنبه فمن قصّر عن إمساك مركوبه كيف يرجى منه أن يهزم جماعة عدوّه، **قال نعيم التميمي:**

فـإنْ يـكُ عـاراً يـومَ مـلـح أتـيـتـه ... فرادى فذاكَ الجيشُ قد فرّ أجمعُ

قال ثعلبة الباهلي:

فـلا تـعـذِلانـي في الـفـرار فـإنّـني ... فرارى لـمـا قـد فـرّ قـبـلـي عـامـرُ
فـإنْ لـم أعـوّد نـفـسـي الـكرّ بـعـدها ... فـلا وألـت نـفـسـي عـلـيـهـا أحـاذرُ[2]

وقال الوليد لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: مالك جفوت عثمان رضي الله عنه؟ **فقال:** أبلغه أني لم أفر يوم أحد ولا تخلفت يوم بدر. فأخبرته بذلك. **فقال:** أما فراري يوم أحد فقال بعيرني به وقد عفا الله عني حيث يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾[3] ولـقـد عـفـا الله عـنـهـم. وأما تخلفي يوم بدر فإني كنت أمرّض بنت رسول الله ﷺ حتى ماتت. أخبره عني بذلك.

● **المُتفادي من حضور الحرب**

قيل لبعضهم لِمَ لا تغزو؟ فقال: إني أكره الموت على فراشي فكيف أسعى إليه برجلي. ورأى المعتصم في بعض متنزهاته أسداً فنظر إلى رجل أعجبه زيه وقوامه وسلاحه فقال له: أفيك خير؟ فعلم الرجل مراده فقال: لا. فقال: لا قبّح الله سواك وضحك.

واجتاز كسرى في بعض حروبه برجل قد استظل بشجرة وألقى سلاحه وربط دابّته **فقال له:** يا نذل نحن في الحرب وأنت بهذه الحالة، **فقال:** أيها الملك إنما بلغت هذا السن بالتوقي، **فقال:** زه وأعطاه مالاً.

---

(1) **عرّد:** ترفّع.
(2) **وألت:** يقال وأل من كذا: طلب النجاة منه، وألى المكان: بادر، ووألى الله رجع.
(3) **القرآن الكريم:** آل عمران/ ١٥٥.

• **وصفُ المحتجِّ لانهزامِهِ بخوفِهِ من القتلِ**

قيل لرجل: إنك انهزمت. فقال غَضَبُ الأمير عليَّ وأنا حيّ خير من أن يرضى وأنا ميت. قال زفر بن الحارث:

ألا لا تلوماني على الجُبنِ إنني	أخافُ على فخارتي أن تحطَّما
ولو أنني أبتاعُ في السوقِ مثلَها	إذا شئتُ ما باليتُ أن أتقدَّما

وقال آخر:

يقولُ لي الأميرُ بغيرِ نصحٍ	تقدّم حين جدّ بنا المراسُ
ومالي إنْ أطعتُكَ من حياةٍ	ومالي بعدَ هذا الرأسِ راسُ

وهرب الوليد من الطاعون فقيل له: قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلاً. فقال: ذلك القليل أطلب. وقيل لرجل يوم صفين، قد انهزم ما خبر الناس؟ فقال: من صبر أخزاه الله ومن انهزم نجّاه الله. قال محمد بن موسى القاضاني وله أشعار كثيرة في الدلالة على جوده

أنا المحصون من كتب المَغازي	إذا قرئت سرى فيها قرائي
أرى في النوم سيفاً أو سناناً	فأسلحُ في الفراش على الغطائي

قال أبو النمر:

باتت تشجّعني عرسي وقد علمت	أن الشجاعة مقرونٌ بها العَطَبُ
للحرب قومٌ أضلَّ الله سعيَهم	إذا دعتهم إلى مكروهها وثبوا
ولستُ منهم ولا أهوى فعالَهم	لا الجدُّ يعجبني منهم ولا اللعبُ

قالت بنت الطرماح:

فتنةٌ يسعى لها جهّالُها	أكلُبُ النار فدعها تقتتل

• **المؤثرُ الدَّعةِ على الحربِ**

قال أبو العتاهية: دخلت أنا وأبان على عنان وهي في حيش، فقلت: إن العيش حيش، فقالت: لا قتال وجيش.

قال زيد الخيل

تذكّر حضنَه لمّا رآني	أقلب آلة مثل الهلالِ

قال المهلبي:

عفوا بسهمٍ فلم يشعرْ به أحدٌ	ثم استفاؤوا وقالوا حبّذا الوضحُ[1]

---

(١) الوضح: الضوء وبياض الصبح، والوضح أيضاً الشيب والبرص.

● **الهاربُ من قومه**

قيل: الشجاع يقاتل من لا يعرفه، والجبان يفرّ من عرسه، والجواد يعطي من لا يسأله، والبخيل يمنع من نفسه.

قال شاعر:

يفرُّ جبانُ القوم عنْ أمِّ نفسه ... ويحمي شجاعُ القومِ منْ لا يناسِبُه

قال حسّان بن ثابت رضي الله تعالى عنه

إن كنتِ كاذبةَ الذي حدثتِني ... فنجوتِ منجى الحارثِ بنِ هشامِ

تركَ الأحبّةَ أن يقاتلَ دونَهم ... ونجا برأسِ طمرةٍ ولجامِ

قال أبو تمّام:

أجدى قرابيسه صرفُ الردى ونجا ... بحيثُ أنجى مطاياه منَ الهرَبِ

وله:

ونجا ابنُ خائنةِ البعولةِ لو نجا ... بمهفهفِ الكشحَيْنِ والأطالِ

تركَ الأحبّةَ سالِيا لا ناسِياً ... عَلَمُ السنيّ خلافُ عذرِ السالي[1]

● **منْ نجا وقد استولى عليه الخوفُ**

قال شاعر:

فإن ينجُ منها الباهليّ فإنّه ... قطيعُ نِياطِ القلبِ دامي المقاتِلِ

وقال أبو تمّام:

من مشرقٍ دمه في وجهه بطلٌ ... أو داهلٍ دمه في الرعب قد نزفا

فذاكَ قد سقَتْ منه القنا جرعاً ... وذاكَ قد سبقَتْ منه القنا نُطفا

وقال غيره:

وما نجا من شفار البيض منفلت ... نجا ومنهنّ في أحشائه فزعُ

وقيل لمنهزم: كيف فلان؟ **قال:** قتل **قيل:** ففلان؟ قال قتل. **قيل:** هل لك في سويق تشربه؟ **فقال:** السويق قتل.

وقيل لرجل تعرض له الأسد فأفلت منه كيف حالك؟ **قال:** سمعت غير أن الأسد خرىء في سراويلي. **قالت عابدة المهلبية:**

فإن ثبتُوا فعمرُهم قصيرٌ ... وإن هربُوا فويلُهم طويلُ

---

(١) **السني:** الكثير السيلان

• **المتبجّح بإثارة الحرب والانهزامُ**

قال شاعر:

وكـتـيـبـةٍ لـبـسـتُـهـا بـكـتـيـبـةٍ　　حتّى إذا التبسَتْ نفضتُ لها يدي

فتركتُهم تنقصُ الرماح ظهورهم　　مـن بـيـنِ مـنـجـدلٍ وآخر مـسـنـدِ

فقال أبو القاسم الدميري: هذا كقول الله سبحانه وتعالى ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ﴾[1] الآية.

• **المتبجّح بأنه عدا لما رأى العِدى**

قال تميم بن أسد الخزاعي:

لـمـا رأيـتُ بـنـي نـعـامـةَ أقـبـلُـوا　　يـغـشـوْن كـلَّ وتـيـرةٍ وحِـجـابِ

وشميتُ ريح الموتِ من تِلقائِهم　　وخشيتُ وقعَ مُهنّدٍ قرْضابِ[2]

رفـعـتُ رِجـلاً لا أخـاف عِـثـارهـا　　ونـبـذتُ بـالـمَـتْـن الـعَـراء ثِـيـابـي

• **تسلية المنهزم**

لما انهزم أمية بن عبد الله لم يدرِ الناس كيف يهنئونه أو يعزونه فدخل عبد الله بن الأهتم فقال: الحمد لله الذي نظر لنا عليك، ولم ينظر لك علينا فقد تقدمت للشهادة بجهدك ولكن علم الله حاجة الإسلام إليك فأبقاك له.

قال المتنبي يعتذر عن سيف الدولة في هزيمة وقعت له:

قلْ للدمستقِ إنَّ المسلمين لكُم　　خانُوا الأميرَ فجازاهم بما صنعُوا

لا تحسبُوا مَنْ أسرتُم كانَ ذا رمقٍ　　فـلـيـس تـأكـلُ إلا الـمـيْـتَ الـضـبـعُ

وإنّـمـا عـرضَ الـلّـهُ الـجـنـود لـكُـم　　لكيْ يكونُوا بلا فشلٍ إذا رجعُوا

فـكـلُّ غـزوٍ إلـيـكَ بـعـدَ ذا فـلـهُ　　وكلُّ غازٍ لسيفِ الدولة التبعُ

• **المظهر الشجاعة خارج الحرب والجبن فيها**

قيل: فلان يتثعلب في الهيجاء ويتنمّر في الرخاء. **قال شاعر:**

يـعـزّ بـحـيـثُ تـخـتـلِـفُ الـعَـوالـي　　وإنْ بـــأمْـــنٍ فـــذو كـــبْـــر وتـــيـــهِ

وقال دعبل:

أُسُـودٌ إذا مـا كـانَ يـومَ كـريـهـةٍ　　ولـكـنّـهـم يـومَ الـلـقـاءِ ثـعـالِـبُ

---

(١) القرآن الكريم: الحشر/١٦.

(٢) المهند القرضاب: السيف القطّاع، والقرضاب: اللص.

وله:

عَـنْـزٌ رأى أسـدَ الـعـريـن فـراغـه ... حـتـى إذا ولّـى تـولّـى يـنـهـقُ

● الخائفُ من أعدائه الجسورُ على أوليائِهِ

قيل لبعضهم: ما الذالة؟ قال: الجراءة على الصديق، والنكول عن العدو ولهذا باب في غير هذا الموضع.

● الجُبْنُ

في المثل: هو أجبن من صفرد[1] ومن صافر. قيل: هو طائر يتعلق برجليه في شجرة خشية أن ينام فيؤخذ، وأحذر من عقعق[2] وأشرد من ظليم[3].

قال عبد قيس بن خفاف:

وهـم تـركـوك أسـلـح مـن حُـبـاري ... رأتْ صـقـراً وأشـردَ مـن ظـلـيـم

وأجبن من المتروف ضرطاً، هو رجل كان إذا نبهته امرأته للصـرع يقول لو نبهتني لغارة، فجاءته يوماً تنبهه وقالت: الخيل فجعل يقول الخيل ويضرط حتى مات. قال الله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ﴾[4]. فهذا مبالغة في وصف الفزع

وسأل عبد الملك محمد بن عميرة عن بعض الأمراء فقال تركته مشفقاً على حياته محتاجاً إلى طولها. قال آخر

قـطـيـعُ نـيـاطِ الـقـلـبِ دامي الـمَـقـاتـلِ

قال أبو تمام:

حيران يحسبُ سجفَ النَّقع من دهشٍ ... طوْداً يحاذِر أن ينقضَّ أو جُرفا[5]

● مَنْ ذَكر خَور نفسِهِ

أتي الحجاج برجل من أصحاب ابن الأشعث فقال له: أسألك أن تقتلني وتخلصني فقال له الحجاج: لِمَ؟ فقال: إني أرى كل ليلة في المنام أنك تقتلني وقتلة واحدة خير فضحك وخلّى سبيله. قال شاعر

لـقـد خِـفْـت حـتّـى لـو تـمـرّ حـمـامـةٌ ... لـقـلْـتُ عـدوٌ أو طـلـيـعـةُ مـعْـشـرِ

قال آخر:

عوى الذئبُ فاستأنستُ بالذئبِ إذ عوى ... وصـوّت إنـسـانٌ فـكِـدْتُ أطـيـرُ

---

(1) صفرد: طائر يضرب به المثل في الجبن.
(2) عقعق: طائر كالغراب.
(3) ظليم: ذكر النعام.
(4) القرآن الكريم. المنافقون/ 4.
(5) النقع: الغبار ـ الطود: الجبل ـ الجرف: الجانب الذي أكله الماء من حاشية النهر.

ولما قال عرابة بن سلامة:

وددتُ مخافة الحجّاج أني ... من الجيشان في لجٍ أعومُ

قيل له. أقويت فقال الإقواء بين عقلي ونفسي أكبر من ذلك

● من ضاقت عليه الدنيا من المخافة

قال لبيد:

كأنّ بلادَ الله وهي عريضةٌ ... على الخائف المطلوبِ كفةُ حابلِ

قال دعبل:

كأنّ نفسَه من طول خيبتها ... منه على نفسه يومَ الوغى رصدُ

● المغلوبُ

كتب مروان إلى بعض الخوارج إني ويك لك الزجاجة والحجر إن وقع عليها رضّها وإن وقعت عليه فضّها قال واستضعف ابن شبرمة رجلاً، فقال: أنت حجة خصمك وسلاح عدوك وفريسة قرنك

● المتكلّح من المخافة

الخائف إذا أفرط به خوفه تقلصت شفته. قال الأعشى

وإذا العوالي أخرجت أقصى الفم ... كلّح الفتى جزعاً ولم يتبسّم

● شيوعُ المخافةِ في الناس

قال الله تعالى ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾[1] (الآية)، وقال حسّان

تشيبُ الناهدُ العذراء منها ... ويسقُط من مخافتها الجنينُ

(٧)
وممّا جاء في التلصّص وما يجري مجراه

●

● السرقةُ

قيل: فلان أسرق من دبابة ومن عقعق ومن شظاظ[2] وهو رجل موصوف بالسرقة وقيل. فلان لو خلا بالكعبة لسرقها. وقيل. لص شص[3] على الإتباع.

---

(١) القرآن الكريم: سورة الحج/ ٢.

(٢) شظاظ: خشبة عقفاء تدخل في عروتي الجوالق، وشظاظ في السياق لصّ كان معروفاً

(٣) الشصّ: اللص الذي لا يترك شيئاً إلا أتى عليه

ومن الموصوف بالسرقة شيبان بن شهاب كان يجمع القراد[1] في دبة فيأتي بها عطن الابل إذا استقرت فيه فيفتحها ثم يرسلها فتتبدد الإبل فيسرقها، ومنه قال الشاعر:

وأوصى جحدر قدماً بنيه ... بإرسال القراد على البعير

● أصنافُ اللصوصِ

قال عثمان الخياط: السارق في الحضر والسفر خمسة: المحتال، وصاحب ليل وصاحب طريق، والنبّاش والخنّاق. فالمحتال إسم لمن لا يعمل إلا بحيلة ولا يقتل فهو لا يعرف بالصبر والجدة، واللصوص يهرجونهم ولا يستصحبونهم.

وأما صاحب الليل فالنقّاب والمتسلّق والمكابر وأشباه ذلك. والنبّاش معروف وأما الخنّاق فما منهم واحد إلا وهو صاحب نمع ورضخ. والرضخ إنما يكون في الأسفار ويصحب الرجل المتفرد من الرفقة ومعه حجران أملسان ململمان قدر ملء الكف فإن قدر عليه ساجداً أو نائماً وإلا فقائماً فيعمد إلى صدخه ولا يخطىء وأكثرهم لا يرضى إلا بالقتل مخافة المطالبة.

وتعيّن[2] ناس منهم شيخاً معه مال وكان لا ينزل إلا بين القوم، فلما أعياهم أمره وكادوا يتلفون المنزل وخافوا الفوت وحنوا تشاغلاً من القوم فألقى أحدهم الوتر في عنقه وعطاه بثوبه وأذن في أذنه فأخذ المخنوق يخور واجتمع القوم، فقالوا: ما لكم والرجل خلّوا عنه. فقالوا: ضلوا رنكم العدمة وتباعدوا عنه فإنه إذا أفاق ورآكم استحى فلما رأوه قد برد قالوا: دعوه قد نام وفي النوم راحته وكما تفرق القوم أخذوا المال وتركوه.

ومن الخناقين من يحمل الرجل إلى داره بحيلته فإذا ألقى الوتر في عنقه ضرب أصحابه الطبل والصنج وتصايحوا كما يفعل سكان في البيوت ليخفى صوته.

● عونةُ[3] اللصوص

العين والموثق والشاغل والطراز. فالعين الذي يلزم الصيارف يتأمل كل مال محمول يأتي السفن فيتعرف موضع الحرز، ويأتي دار قوم يتطلب أنه يتوضأ فيتعرف حرائبهم، والموضع الذي يقصدون منه.

والموثق الذي يتولى البيع والابتياع لهم ويجمل عند ذلك كأنه أمير قرية أو زعيم محلّة.

والشاغل هو الذي يشغل القوم عن اللص. والطراز إذا ظفروا به يجيء اللص فيضربه ما لا يضربه السلطان. ويقول هذا والله صاحبي هو الذي ذهب بمالي ويضربه ويحتال بذلك حتى يتشاغل عنه القوم فإذا تشاغلوا عنه أفلته وتأشب مع القوم.

---

(1) القراد: دويبة. (2) تعيّنوه: رأوه غنياً. (3) العونة: الأعوانة.

● **المتبجحُ بالتصعلكِ والمتشوق إليه**

قال عروة بن الورد:

أقيموا بني لبْنى صدورَ مطيّكم ... فإنّ منايا القوم شرّ من الهَزْلِ

لعلّ انطلاقي في البلادِ وبغيتي ... وشدّي حيازيم المطيّة بالرحْل[1]

سيدفعُني يوماً إلى رب هجمةٍ ... يدافع عنها بالعقوقِ وبالبُخْلِ

وقال آخر:

وإنّي لأستحي منَ الله أن أرى ... أطوفُ بحبل ليس فيه بعيرُ

وأسأل ذيّاكَ البخيل بعيرَه ... وبعران ربّي في البلاد كثيرُ

وقال بعض اللصوص:

وكمْ بيتٍ دخلْتُ بغيْر إذنٍ ... وكم مالٍ أكلت بغيرِ حقِّ

وقال آخر:

وعيّابة للجودِ لم تدرِ أنّني ... بإنهاب مالِ الباخلين موكّلُ

عدوتُ على ما اختاره فحويتُه ... وغادرتُه ذا حيرة يتململُ

وقيل لأعرابي أتسرق بالنهار فقال:

معاذَ الله من سرق بليلٍ ... ولكنّي أجاهرُ بالنهارِ

وقال بعض الخراب، والخارب سارق الإبل خاصة.

أيذهبُ بارحُ الجوزاءِ عنّي ... ولمْ أذعر هوامل بالمتارِ

وإنما قال ذلك لأن البارح يعفي الأثر فيأمن أن يقتصّ أثره فيؤخذ. **ولبعض لصوص التمر:**

ألا يا جارنا بأباض إنّا ... وجدنا الريحَ خيراً منك جارا

يخبرنا إذا هبّت علينا ... وتملأ وجهَ ناظرِكُم غُبارا

● **تحسينُ التلصّصُ والتبجّحُ به**

قال عثمان الخيّاط. لم ترى الأمم يسبي بعضهم بعضاً ويسمون ذلك عزواً وما يأخذونه غنيمة وذلك من أطيب الكسب وأنتم في أخذ مال الغدر والفجرة أعذر فسمّوا أنفسكم غزاة كما سمّى الخوارج أنفسهم سراة وأنشد

سأبغي الغنى إما جليس خليفةٍ ... يقوم سواء أو مخيفَ سبيل

---

(١) الحيازيم: جمع حيزوم وهو ما يشدّ به وسط المطية.

واسرق مالَ اللّهِ من كلّ فاجرٍ وذي بطنةٍ للطيّبات أكولِ

وقالوا: اللص أحسن حالاً من الحاكم المرتشي، والقاضي الذي يأكل أموال اليتامى.

● التجسير على التلصص

قال عثمان الخياط: جسّروا[1] صبيانكم على المحارجات[2] وعلّموهم الثقافة واحصروهم ضرب الأمراء أصحاب الجرائم لئلا يجزعوا إذا ابتلوا بذلك وخذوهم برواية الأشعار من الفرسان وحذّروهم بمنتن المتين وحال أهل السجون، وإياكم والنبيذ فإنها تورث الكظة[3] وتحدث الثقل وتدعو إلى البول والنوم ولا سيما بالليل ولا بد لصاحب هذه الصناعة من جراءة وحركة وفطنة وطمع، وينبغي أن يخالط أهل الصلاح ولا يتزيّا بغير زيّه.

● إستعمالُ الظّرْفِ في التلصّص

حُكي عن عثمان الخياط أنه إنما سمّي خياطاً لأنه نقب على أحذق الناس وأبعدهم في صناعة التلصّص، وأخذ ما في بيته وخرج وسدّ النقب كأنه خاطه فسمّي بذلك. وحكي أنه قال: ما سرقت جاراً وإن كان عدواً، ولا كريماً، ولا كافأت غادراً بغدره.

وقال لأصحابه إضمنوا إليّ ثلاثاً أضمن لكم السلامة: لا تسرقوا الجيران، واتقوا الحرم ولا تكونوا أكثر من شريك مناصف، وإن كنتم أولى بما في أيديهم لكذبهم وغشهم وتركهم إخراج الزكاة وجحودهم الودائع.

وخرج سليمان وكان من أحذق هذه العصابة ليلة بأصحابه إلى دار بعض الصيارفة فاحتفروا فلما أرادوا الإنصراف، قال بعض أصحابه: دعنا نقم على مفارق الطرق لنأخذ من بعض المارّة نفقة يومنا. فقال: على أن لا تعبثوا بهم فقالوا: وهل يفعل ذلك إلا الجبان فبينما هم كذلك إذ مرّ شاب ذو هيئة فلما قرب سلّم عليهم فردّ عليهم بعضهم السلام فقام إليه بعضهم فقال رئيسهم دعه فإنه سلّم ليسلم، وأجابه بعضكم فصار له ذمّة بذلك. قالوا فنخلي سبيله. قال: أخاف عليه غيركم ليذهب مع ثلاثة يوصلونه إلى منزله ففعلوا. فلما بلغ دفع لهم مالاً وقال لأحوطكم بمالي وجهي لما عملتموني به فلما عادوا بالدراهم، قال رئيسهم: هذا أقبح من الأول تأخذون مالاً على قضاء الذمام والوفاء بالعهد لا أبرح أو تردّوا إليه المال. فقالوا: قد افتضحنا بالصبح فقال لئن نفتضح بالصبح خير من تضييع الذمام، وقال ما خنت ولا كذبت مذ تفتّيت[4].

---

(١) جسّروهم: جرّئوهم. (٢) المحارجات: المضايقات.

(٣) الكظة: ما يعتري الإنسان عند الامتلاء من الطعام.

(٤) تفتيت: أي صرت من أصحاب الفتوّة أي الشباب، والفتوّة صفة تطلق على الأحداث من اللصوص وشجعانهم.

● **المتبجحُ منهم بالصبر على الضرب**

قال أبو معن الزنجي. وكان النظّام يقول لو ادعى النبوّة وأن معجزته الصبر على الضرب بالسياط لأدخل عليهم به شبهة عظيمة

وقال عثمان الخياط ضربته يوماً بشمراخ[1] رطب فالتوى إلتواء الحية وكاد يوائيني. فقلت: أهذا صبرك؟ فقال إنك لم تتعمد أحسبت أن صبري على السياط طبيعة إنما هو الكظم والصبر على قدر النظارة ألا ترى أنه قيل أصبر الناس من ضرب في السجن خمسين سوطاً لأنه إذا لم يكن من يمدحه تألم وإذا كان بين الناس بحيث يرونه فهو العزم والمروءة والقيام بالفتوّة

وقال بعضهم ضربت بالمدينة ثلاثين حداً على ثلاثين سكراً فما قلت: حس، وإن أحدكم ليتألم من دون حد.

قيل لبعضهم: من أصبر من رأيت؟ قال: عرفت صبر الهند على النيران وصبر الأعراب على مدّ الأعناق لسيوف السلطان وصبر السند على قطع الآذان وجدع الأنوف ولم أرَ أصبر من الفتيان تحت الضرب والشاب ربما يرهق في ألف درهم وعنده عشرة آلاف فيضرب سوطاً أو سوطين فيخرج عن أهله وعشيرته

● **فعلُ الطرّارين**[2]

أتى بعضهم برازاً[3] في خلوة وهو عارض مع غلام فقال إئتني بجراب يلحيّ وجراب مروي وعجل وحد الثمن فأخرج ذلك وتساومه وأطمع التاجر. وقال: ائتني بآخر فلما دخل الحانوت قال ما أصيع متاعكم وأنتم تسخرون بالناس لو أن إنساناً أخذ متاعك هذا وقفل الباب هكذا ما كنت تعمل. فحرك التاجر الباب يظن أنه يلعب فإذا هو قد مرّ إلى الساعة.

ودخل آخر على قوم فقال أحدهم. ما في الدنيا أعجب من فلان ترمي بخاتمك في الهواء فإن شئت أتاك به وإن شئت بغيره. فقال أنا أريكم ما هو أعجب من هذا هاتوا خواتيمكم فأخذها كلّها فجعلها في أصابعه وجعل يمشي القهقرى ويصفر، وينظر إلى عين الشمس حتى غاب عن أعينهم فطلبوه فلم يجدوه. فقالوا هذا والله أعجب.

وصلّى بعضهم مع قوم فلما سجدوا تدوّر نعلاً كأنه يريد أن يقتل عقرباً فضرب بها ثم الأخرى بيساره كأنّه يريد أن يتناولها فيرمي بها ويعود إلى الصلاة فمرّ بالنعل.

واكترت امرأة داراً ثم أظهرت أنها تريد تجصيصها لأنها تريد أن تزوج فيها ابنها، فأكثرت أجراء وأخذت من الجيران آلات وجمعت متاع الاجراء والآلات في بيت ثم ذهبت.

---

(١) الشمراخ: الغصن الدقيق الرخص ينبت في أعلى الغصن الغليظ. والشمراخ أيضاً العذق عليه بسر أو عنب
(٢) الطرّار (هنا): النشال.
(٣) البراز: بائع السلاح.

وقال بعضهم: دخلت مسجداً مع صاحب لي فنام صاحبي ووضع عنده عمامته فإذا أنا برجل قد دخل فأخذ العمامة وجعل يضحك في وجهي وهو واضع سبّابته على فمه كأنه يقول: أسكت وجعل يتراجع القهقرى وأرى أنه يلاعبنا فمرّ فانتبه صاحبي. فقلت: كان كذا، فطلبناه فلم نجده

● المفتخرُ بصعود المراقب

قال ربيعة بن مقروم

ومربأة أوفيتُ جنح أصيله ... عليها كما أوفى القطامي مرقبا[1]

ربيئة جيش أو ربيئة مقنب ... إذا لم يقُدْ وعدّ من القوم مقنبا[2]

قال أبو نواس:

ربّ فتيان ربأتهم ... مسقط العيوق من سحره[3]

فاتقوا بي ما يريبهم ... إنّ تقوى الشرّ من حذره

● نوادرُ لمَنْ سُرِقَ له شيءٌ

سرق لرجل درهم فقيل له: إنه في ميزانك، فقال: قد سرق مع الميزان. وسرق لآخر خرج، فقيل له لو قرأت عليه آية الكرسي لم يسرق، فقال: إنه كان فيه مصحف تام وسرق لبعضهم نعل فقال أحد أصحابه: بئسما لك في إهماله. وقال بعضهم: الذنب للسايس، فقال هو: يا قوم واللص لا ذنب له

وسئل بعضهم إلى أين؟ فقال: إلى الكناسة لأشتري حماراً. فقال له رجل: قل إن شاء الله، فقال: وما وجه الاستثناء الدراهمُ في كمّي والحمير في الكناسة فلما ذهب سرقت منه الدراهم، فعاد فقيل له: ما الذي فعلت؟ قال: سرقت الدراهم إن شاء الله

وطرق لص عجوزاً فلما دخل حياءها وأحسّت به قالت رافعة صوتها: يا نفس لو تزوجت زوجاً فأولدك ثلاث بنين فسميت أحدهم عمراً والآخر بكراً والآخر صقراً، يا نفس ما أصنع بهم؟ وأخشى أن يموتوا فأندبهم فأقول واعمراه وابكراه واصقراه ورفعت صوتها وكان لها جيران يسمّون بهذه الأسماء فجاؤوا، فقالت: دونكم اللص

وسرق لبعضهم حماراً وذهب يبيعه فسرق منه، فقيل بكم بعته؟ فقال: برأس المال ودفع بعضهم ـ وكان ثقفياً ـ دراهم إلى بعض الصيارف فقفّ منه الصيرفي شيئاً، فقال:

عجبتُ عجيبة من ذئب سوءٍ ... أصاب فريسة من ليث غابِ

وإن أخدع فقد يخدع ويؤخذ ... عقاق الطير من جوّ السحابِ

---

(١) المربأة: مكان شرب الماء. (٢) المقنب: الجماعة من الخيل للقتال.
(٣) العيوق: كوكب أحمر مضيء بحيال الثريا (لسان العرب، مادة عوق)

مقف بكفه سعين منها من البيض المنقشة الصلاب

● حدُّ السرقة

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾[1] وقال النبي ﷺ: يقطع السارق في ربع دينار. وروي لا قطع إلا في عشرة وقال أيضاً لا قطع في ثمر ولا كثر[2]. وروى جابر عن النبي ﷺ ليس على المختلس والمنتهب والخائن.

وأتى صفوان حضرة النبي ﷺ برجل قد سرق رداءه فأمر بقطعه قال صفوان أتقطعه في ردائي؟ قال: نعم. قال: قد تصدقت به عليه. قال: هلا قبل أن تأتيني به.

وأتى معاوية رضي الله عنه بسارق فأمر بقطعه فجاءته أمه وسألته أن يعفو عنه فقالت هو واحدي وكاسبي فقال إنه حدّ من حدود الله تعالى لا نقدر على إبطاله. فقالت: اجعله بعض ذنوبك التي تستغفر الله منها فأمر بتخليته

● ردّ ذاعر بحيلة

أقبل واصل في رفقة فأحسوا بخوارج، فقال لأصحابه. دعوهم لي. فخرج إليهم فقالوا له: ما أنتم؟ قال: مشركون مستجيرون بكم ليسمعوا كلام الله. قالوا: قد أجرناكم. فقالوا علمونا فعلموهم الأحكام. فقال: إن الله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾[3] فأبلغونا مأمننا. فقالوا: هذا لكم فساروا معهم حتى أبلغوهم. وكان الخوارج حين دخلوا الكوفة فانتهوا إلى أبي حنيفة رضي الله عنه فانتضوا سيوفهم، فقالوا: يا عدوّ الله ما أحد من إلاّ وقتلك عنده أحب إليه من عبادة سبعين سنة قد جئناك بمسألتين إنْ أجبت عنهما وإلا أرقنا دمك. فقال: أنصفوني اغمدوا السيوف فإن بريقها يهولني، فأبوا. فقال: تكلموا. فقالوا: جنازتان على باب المسجد إحداهما جنازة شارب خمر شربها فمات فيها غرقاً، والأخرى جنازة زانية حبلت وشربت دواء فقتلت جنينها وماتت. فقال: أمن النصارى كانا أم من اليهود؟ قالوا: لا. قال: فمن أي الملل كانا؟ قالوا: ممن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. قال: فما يشهدان به أمن الكفر أم من الإيمان؟ قالوا: من الإيمان. قال: أقول كما قال نوح عليه السلام في قوم كانوا أعظم جرماً منهم، وما علمي بما كانوا يعملون إن حسابهم إلا على ربي. أو ما قال إبراهيم: فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم أو ما قال عيسى: إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم.

وأقول ما قال نبينا ﷺ ولا أعلم الغيب ولا أقول أني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم أني إذا لمن الظالمين. فألقى القوم

---

(١) القرآن الكريم. المائدة/٤١ (٢) الكثر: طلع النخل (٣) القرآن الكريم: التوبة/٦.

أسلحتهم وقالوا: تبرأنا مما كنا عليه.

ولقي خارجي شيطان الطاق فقال له: ما تقول في علي وعثمان؟ فقال: أنا من علي ومن عثمان بريء يعني أن علياً بريء من عثمان، وكان شيعياً.

● مَنْ تخلّص بسخفٍ أو رقاعةٍ

خرج داود المصاب وكان معه دراهم فتبعه قوم فصاحوا به: ألق ما معك يا مجنون فقال نعم فجلس وخرىء وقال ما معي وحياتكم غير هذا. وأخذ لصوص قوماً في طريق فقالوا أنتم بعلتم الدنانير فاجلسوا واحرزوا فأعجز أحدهم الخراء فرأى سرقينا[1] يابساً فجلس عليه فقالوا له أنت تخرأ سرقينا فقال الغريب مسكين أيش يمكنه أن يخرأ الأمثل هذا فضحكوا وخلوا سبيله.

ومما يدخل في الفصل قول جرير بن عبد الحميد: سُرقت من شيخ أوزة فشكا ذلك إلى سليمان بن داود عليهما السلام فخطب الناس فقال ما بال أحدكم يسرق أوزة جاره وريشها على رأسه فمد رجل يده إلى رأسه كأنه يمسحه فدعاه وقال له: أدِّ أوزة صاحبك

(٨)

وممّا جاءَ في الحبسِ والقيدِ والضربِ وغيرِها

●

● السجنُ وضيقُهُ والتشديدُ فيه

كتب بعضهم على باب السجن هذه قبور الأحياء وتجربة الأصدقاء وشماتة الأعداء وكتب تحته ما يدخل أحدهم السجن إلا رد قيل لهم فيم حبستم لقالوا مظلومين. وأمر بحبس ابن أبي علقمة في دعوى، فقال: دعني آتي البيت لحاجة فلم يترك فتمثّل بقول الله تعالى فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون. فدخل السجن فقال: ما سلككم في سقر؟ قالوا: لم نك من المصلين. فالتفت فرأى المهلب فقال من فعل هذا بآلهتنا؟

ودخل أعرابي إلى السجن فوجد على بابه تنزّ وتلين فقال:

ولما دخلتُ السجنَ كبّرَ أهلُه	وقالوا أبو ليلى الغداةَ حزينُ
وفي الباب مكتوبٌ على صفحاته	بأنك تنزو وثمّ سوف تلينُ

وقال شاعر:

وبتّ بأخصَيْها منزلاً	ثقيلاً على عنقِ المالكِ
ولستُ بضيفٍ ولا في كراءٍ	ولا مستعيرٍ ولا مالكِ

---

(١) سرقين: زبل (كلمة فارسية)

وقال في السجن:

خرجنا من الدنيا ونحنُ من أهلها ... ولسنا من الأحياءِ فيها ولا المَوْتى

إذا طلع السجّانُ يوماً لحاجة ... عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

وسمع السجّان محبوساً يقول: اللهم احفظني. فقال: قل اللهمّ ضيّعني فإن حفظه لك أن يبقيك فيه.

● من شدّد عليه من المحبسين

خرج الحجاج يوماً إلى الجامع فسمع ضجة عظيمة فقال: ما هذا؟ قالوا: أهل السجن يضجون من الحر فقال: قولوا لهم إخسئوا فيها ولا تكلموا. وأحصي من قتلهم الحجاج سوى من قتل في بعوثه وعساكره فوجد مائة وعشرين ألفاً وجد في حبسه مائة ألف وأربعة عشر ألف رجل وعشرون ألف امرأة، منهن عشرة آلاف امرأة مخدرة.

وكان حبس الرجال والنساء في مكان واحد ولم يكن في حبسه سقفٌ ولا ظلّ وربما كان الرجل يستتر بيده من الشمس فيرميه الحرس بالحجر وكان أكثرهم مقرنين في السلاسل. وكانوا يسقون الزعاف ويطعمون الشعير المخلوط بالرماد.

ولبّى رجل في الحبس في زمن المأمون فرفع إليه خبره، فوقع أظن هذا قصد خلاف بيته وأظهر ضد عزيمته وقد أخطأت إسته الحفرة، وإذا حرم الحج سوء تدبيره فلن يقدم نوى صادقة من عزيمة محكمة وهو محصر، وعليه الهدي فليؤخذ بتحصيله ولا يرخص له في تأخيره.

قال يعقوب بن داود: حبسني المهدي في مكان لا أعرف فيه الليل من النهار في بئر واسعة وفيها بئر أخرى أتغوط فيها وأعطى في كل يوم ماء وخبزاً حتى عمى شعري وصار أطول من شعر البهائم حتى مضت إحدى عشرة سنة فأتاني آت في منامي فقال: حنى على يوسف رب فأخرجه من قعر جبّ فحمدت الله فأتى على ذلك سنة ثم أتاني ذلك الآتي، فقال:

عسى فرجٌ يأتي به الله إنّه ... له كلّ يومٍ في خليقتهِ أمرُ

ثم مكثت حولاً آخر فأتاني ذلك الآتي فأنشدني:

عسَى الكربُ الذي أمسيتُ فيه ... يكونُ وراءه فرَجٌ قريبُ

فيأمنَ خائفٌ ويُفكّ عانٍ ... ويأتي أهلهُ النائي الغريبُ

فلما أصبحت دلى لي مرس فشددت به وسطي فخرجت ما أبصر أحداً فقلت: السلام على أمير المؤمنين قيل ومن أمير المؤمنين؟ قلت: المهدي. قالوا: رحم الله المهدي. قلت: الهادي قالوا: رحم الله الهادي. قلت: فمن؟ قالوا الرشيد قلت السلام على أمير المؤمنين الرشيد فقال وعليك السلام وأمر لي بخمسمائة ألف ورد علي ضياعي. فعولجت حتى عاد ضوء عيني فاستأذنته في الحج فأذن لي فمضى إلى الحج ومكث حتى توفي.

● تصبّر المحبوس وانتظاره الفَرَج

لما حبس يحيى وقيّد قال:

وإنّي من القومِ الذين يريدُهم	عدواً وفخراً شدةُ الحدَثانِ

فقيل: في هذا الوقت تقول هذا؟ فقال: من مات قبل أجله حتى أكونه؟

وكتب رجل من السجن إلى الرشيد: ما مرّ يوم من نعيمك إلا ومرّ يوم من بؤسي والأمر قريب والسلام. وأن خلاخيل الرجال قيودها.

قال العوام بن حوشب: صحبنا إبراهيم التيمي إلى سجن الحجاج فقلنا: ما حاجتك؟ فقال: حاجتي أن تذكروني إلى الرب الذي فوق الرب الذي أمر يوسف أن يذكر عنده.

ولما حبس المأمون إبراهيم بن المهدي في يد أحمد بن أبي خالد، أخذ في الصلاة والعبادة فدخل عليه أحمد فقال: أمجنون تريد أن يقول المأمون هو يتصنع للناس فيقتلك؟ فقال: فما الرأي؟ قال: أن تشرب وتطرب وتحضر القيان. فأخذ في ذلك ثم دخل أحمد على المأمون فقال له: ما خبر الندر؟ قال: صون سمع أمير المؤمنين أن أخبره بما هو فيه فقال ما هو؟ قال: مكب على الشرب والجواري وتعاطي الخسارة. فقال: والله لقد شوقني إليه فكان ذلك سبباً لرضاه عنه. وقال علي بن الجهم:

قالوا حُبستَ فقلتُ ليس بضائري	حَبْسي وأيُّ مهنّدٍ لا يُغْمَدُ[1]
أو ما رأيتَ الليثَ يألفُ غيلَه	كِبْراً وأوباشُ السباعِ تردَّدُ[2]
والبدرُ يدركُهُ السِّرارُ فينجلي	أيامُه وكأنّه متجدِّدُ
ولكلّ حالٍ معقبٌ ولربّما	أجلى لك المكروهُ عمّا يُحْمَدُ
والحبْسُ ما لم تغشَه لدنيّةٍ	شنعاءَ نعمَ المنزلُ المتودَّدُ
بيتٌ يجدِّدُ للكريمِ كرامةً	ويُزارُ فيه ولا يزورُ ويحمدُ

قال أبو فراس:

وللهِ عندي في الإسارِ وغيرِه	مواهبُ لم يخصص بها أحدٌ قبلي
فقُلْ لبني عمّي وأبلِغْ بني أبي	بأني في نعماه يشكرُها مثلي
وما شاء ربّي غيرَ نشرِ محاسني	وأنْ يعرفوا ما قد عرفتُ من الفضلِ

وقال أعرابي حبس:

ولا تحسَبَنَّ حبْسَ اليمامةِ دائماً	كما لم يدم عيشٌ بحزْوَى أبانِ

(١) يغمد: يُدخل في غمده، والغِمد بيت السيف. (٢) غيله: غابته، أو عرينه.

وقال المكيّل الهزلي:

ويمرّ في العرقات من لم يقتلِ[1]

وقال أبو تمام:

ولـلـحـديـد سـحـابٌ فـي مـقـلّـده	وفـي مـحـلـد سـاقـيْـه خـلاخـيـلُ

وقيل: فلان راكب أدهم يرسف فيه إذا قيد.

● الشماتةُ بمقيّدٍ

قال المعذل:

وقد سرّني أن بات في الكبل راسعاً	تُعنّيه في داجي الظّلام صلاصِلُهْ
فإنْ يطفر الإسلامُ منه بثأره	فيقذف إلى الإسلام دبّتْ غوائلُهْ

● معرفةُ أهل السجون بالأخبار

حكي أن يوسف عليه السلام دعا لأهل السجون، فقال: اللهم اعطف عليهم قلوب الأخيار ولا تحجب عنهم الأخبار، فبركته عليه السلام هم أعلم الناس بكل خبر في كل بلد.

● الهاربُ من السجن

كان الكميت في سجن بني أمية فلما هرب قال:

خرجتُ خروجَ القدح قدح ابن مقبلٍ	على الرغم من تلكَ النوائح والمسلي
على ثياب الغانيات وتحتها	عزيمةُ رأيٍ أشبهتْ سكة النّصْل

قال الفرزدق في ابن هبيرة حين نقب سجن خالد بن عبد الله:

ولما رأيتَ الأرضَ قد سدّ ظهرُها	ولم ترَ إلا بطنها لكَ مخرجا
دعوتَ الذي ناداه يونسُ بعدما	ثوى في ثلاثٍ مظلمات ففرّجا
خرجتَ ولم تمننْ عليكَ شفاعةٌ	سوى ربد التقريب من آل أعوجا[2]

● استطلاقُ أسيرٍ أو محبوسٍ والرغبةُ في الحبس

قال الحطيئة لما حبسه عمر رضي الله عنه في سبب الزبرقان وهجائه إياه:

ماذا تقولُ لأفراخ بذي طلحٍ	زغبِ الحواصلِ لا ماءٌ ولا شَجَرُ[3]
حبستَ كاسبَهم في قعرِ مظلمةٍ	فاغفرْ عليكَ سلامُ اللّهِ يا عُمَرُ

وقال الحارثي:

أفكُكْ أسيرَك والتمسْ بفكاكه	حسنَ الجزاء بصالحِ الأعمالِ

---

(١) العرقات: جمع عرق، كناية عن المشقّة والشدّة، والعرق (بكسر العين) الجبل الغليظ.

(٢) الربد: جمع ربدة وهي الغُبرة.

(٣) ذو طلح أو أمر وهو موضع بنجد في أرض غطفان وفي الرواية الأشهر بذي مرخ وهو واد قرب فدك.

وقال الصابي في المطهر لما قيّد وحبس.

لساني في نشرِ المدائحِ مُطْلَقٌ	وساقي في قيْدِ المحابسِ مُوثَقُ
وحلْمُكَ يأبى الجمعَ ما بين ذا وذا	فحتّى متى بيْنَ الفريقَيْنِ أفرقُ

وأتى المنصور برجل جانٍ فأمر بقتله فقال: إن الله أعظم سلطاناً منك وعاقب بالخلود لا بالفناء، فأمر بحبسه.

كتب أبو ثوابة إلى فوقارة يقول: ما رأيك أبقاك الله في المصير إلى الحبس موفق إن شاء الله فكتب فوقارة تحته لا رأي لي في ذلك.

● تهنئةُ مطلقٍ من الحبس

قال البحتري:

وما هذهِ الأيامُ إلا مراحلٌ	فمِنْ منزلٍ رحْبٍ إلى منزلٍ ضنْكِ
وقدْ هذّبتْكَ النائباتُ وإنّما	صفا الذهبُ الأبريزُ قبلَكَ بالسّبْكِ
أما لكَ في الصّديقِ يوسفَ إسوةٌ	لمثلِكَ محبوسٌ على الظلْمِ والإفكِ
أقامَ جميلَ الصبْرِ في السجنِ برهةً	فآلَ به الصبْرُ الجميلُ إلى المُلْكِ

● المصلوب

مرت امرأة بجعفر بن يحيى وهو مصلوب فقالت: لئن صرتَ اليومَ راية لقد كنت بالأمس غاية. وقيل لأعرابي إن الخليفة صلب فلاناً فقال: من طلق الدنيا فالآخرة صاحبته ومن فارق الحز فالجذع راحلته. قال أبو تمام.

بكَروا وأسروا في متونِ ضوامِرٍ	قيدتْ لهم من مربطِ النجارِ
سودُ الثيابِ كأنّما نسجتْ لهُم	أيدي السمومِ مدارعاً من قارِ[1]
لا يبرَحونَ ومن رآهم خالَهم	أبداً على سفرٍ منَ الأسفارِ

وقال ابن سلكة:

كأنّه شِلْوُ شاةٍ والهواءُ له	تنورُ شاويةٍ والجِذْعُ سفُّودُ

وقال آخر:

يظلُّ في منزلٍ أتاكَ به	مستضحكاً لا يُطيقُ ضمّ فيه
تنتابُه الطيْرُ والنسورُ وما	يبخلُ عنها بلحمِه ودمِه
عوفي من ضمّةِ الضريحِ ومن	ثقلِ الثرى والثواءِ في رحِمِه

---

(١) السموم: الريح الحارة، وقوله: قار أي برد شديد

وقال أعرابي وقد صلب صاحب له:

من مبلغ الحسناء أن خليلها ... بأرض الأعادي فوق إحدى الرواحل
على ناقةٍ لم يضرب الفحلُ أمها ... مشذبة أطرافُها بالمناجل

وقال الأخيطل:

كأنه عاشقٌ قد مدّ بسطته ... يومَ الفراق إلى توديع مرتحلِ
أو قائمٌ من نعاسٍ فيه لوثته ... مداوم لتمطيه من الكسلِ

قال أبو تمام:

سامٍ كأن العزّ يجذبُ ضبعه ... وسموه من ذلّة وسفالِ

قال مسلم:

جعلته حيث ترتابُ الظنونُ به ... وتحسدُ الطيرُ فيه أضبُعَ البيدِ
تعدو السباعُ فترميه بأعينها ... يستشرقُ الجو أنفاساً بتصعيدِ

قالت جارية محمود الوراق وقد أكثرت في وصف ذلك في بابك:

على مركب خشن ظهرُه ... طويل الوقوف بطيء المسير
تطلّ الذئابُ وعرج الضباع ... بموقوته حسداً للطيور
فأسفله مأتمٌ للسباع ... وفروته عرسٌ للنسور

● المضروبُ بالسياط

قال الفرزدق:

لعمري لقد صبّتْ على ظهرِ خالدٍ ... شآبيبُ ما استهللْنَ من سبل القطرِ

وقال آخر:

كأنما جلدُه والسوطُ يأخذُه ... قطنٌ تطايرَ عن قضبانِ نداف

قال البيغا في لص جعل على رأسه برنس فطوق به:

ويدلّ من تاج العمامةِ برنسا ... يبالغُ في تقويمه وهو مائلُ
أمالَ به طولاً سوى الجسمِ وهو من ... زيادته في طوله متضائلُ

الحدّ الخامس عشر

في التزويج والأزواج والطلاقِ والعفةِ والتدبّث

•

(١)
ممّا جاء في النكاح والطلاق وأحوال الأزواج وسياستهن

•

• حثّ الرجل على التزوّج

قال الله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ﴾[1] وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما مطلاقاً مذواقاً، فقيل له في ذلك فقال: إن الله تعالى علّق بهما الغنى فقال: وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إنْ يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله. وقال: وإن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته فأنا أتزوج للغنى وأطلق للغنى.

وقال النبي ﷺ لرجل: ألك زوج؟ قال: لا. قال: وأنت صحيح سليم؟ قال: نعم. قال: إنك إذاً من إخوان الشياطين إن شراركم عزّابكم وإن أراذل موتاكم عزّابكم، إن المتزوجين هم المبرّأون من الخنا والذي نفسي بيده ما للشيطان سلاح في الصالحين من الرجال والنساء أبلغ من ترك النكاح.

قال شاعر وأجاد:

إذا لم يكنْ في منزل المرء حرّةٌ ... تدبّره ضاعتْ مصالحُ داره

وفي رواية:

رأى ضيعة فيما تولى الولائدُ

• الحثُّ على التزوج أيام الشبابِ

مرّ ملك من ملوك العجم بشيخ يغمس في أرض فقال له: أيها الشيخ هلا أدلجت فيكون من ذلك ما يكفيك؟ فقال: أدلجت ولكن لقضاء لم يدلج فقال: أكتم كلامنا هذا حتى تراني ثم انصرف الملك فأحضر وزيره وقال: ما معنى كلام الشيخ؟، قيل له كذا فأجاب بذا وقد أنظرتك حولاً. فجعل الوزير يسأل الناس ولا يجيبه أحد حتى وقع بالشيخ فسأله فقال له: إن الملك استكتمني الأمر حتى أراه فبذل له عشرة آلاف درهم فقال: إنه

---

(١) القرآن الكريم: النساء/ ٣.

قال لي لِمَ لا تزوجت أيام الشباب؟ فقلت له: قد تزوجت ولكن لم يأتني أولاد. فجاء الوزير فأخبر الملك فقال له: عليّ بالشيخ فدعاه فلما حضر قال له: ألم أقل لك أكتمْ أمرنا حتى تراني، قال: قد رأيتك عشرة آلاف مرة، فعلم أنّ الوزير دفع إليه عشرة آلاف درهم وأنه رأى اسمه مكتوباً على كل درهم منها وصورته، فقال: زه ودفع إليه أربعة آلاف درهم أخرى وقال:

إنّ بـنـي صـبـيـة صـيـفـيّـون أفـلـحَ مـنْ كـان لـهُ ربـعـيّـون

● **الألفةُ بين الزوجين**

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾[1]. وقال رجل للنبي ﷺ: يتزوج الرجل المرأة الغريبة فتقع بينهما الإلفة، فتلا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[2] وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ﴾[3] فبدأ بهنّ لقربهنّ من القلوب

● **الرغبةُ عن التزوّج**

استشار رجل الشعبي في التزوج فقال: إن صبرت عن النساء فاتق الله، ولا تتزوج فإن لم تصبر، فاتق الله وتزوج. وقيل لمالك بن دينار لو تزوجت، فقال: إني طلقت الدنيا ثلاثاً فلا رجعة لي فيها. وقيل: ما منكم فيلسوف إلا ورأى العزبة أجمع لهمه وأجود لخاطره.

وسئل حكيم عن التزويج فقال: فعل شهر وشوك دهر. وقال آخر: مكابدة العزبة أيسر من الاحتيال لمصالح العيال. وقال أعرابي وقد عرضت عليه دلالة امرأة:

أقولُ لـهـا لـمّـا أتـتـني تـدلّـني عـلـى امـرأة مـوصـوفـةٍ بـجـمـالِ
أصبتِ لهَا واللّه زوجاً كما اشتهَتْ إن اغـتـمـرَتْ مـنـه ثـلاثَ خـصـالِ
فـمـنـهـنّ شـخـص لا يُـنـادي ولبدة ورقـــةُ إســـلام وقـــلّـــةُ مـــالِ
فإنْ رضيَتْ هذي الخصال فشأنها وإن تـكـنِ الأخـرى فـلـسـتُ أبـالـي

وقال رجل لآخر: كنا في أملاك فلان فقال: لا تقل في أملاكه ولكن في أهلاكه ثم أنشد:

يـقـولـون تـزويـج وأعـلـمُ أنّـه هـو الـرقّ إلا أنّ مـنْ شـاء يـكـذبُ

● **التزوجُ بأكثرَ من واحدةٍ**

---

(١) القرآن الكريم: الفرقان/ ٥٤ (٢) القرآن الكريم: الروم/ ٢١.
(٣) القرآن الكريم: آل عمران/ ١٤

قال المغيرة بن شعبة: صاحب المرأة الواحدة إن مرضت مرض وإن حاضت[1] حاض. وصاحب الثنتين بين جمرتين أيتهما أدركته أحرقته. وصاحب الثلاث في رستاق يبيت كل ليلة في قرية وصاحب الأربع عروس في كل ليلة. وروي أنه قال: أحصنت مائة امرأة وقيل إن الحسن بن علي رضي الله عنهما تزوّج خمساً وتسعين امرأة

وقال أعرابي لآخر لا تتزوج بأربعة فكل تأخذك بحصتها وأنت كالٌّ ولا بثلاث فإنهنّ كالأثافي تصير بينهن كالقدر، فيكوينك ولا باثنتين فإنهما يكونان كجمرتين ولا واحدة فإنك تمرض إذا مرضت، وتحيض إذا حاضت، وتلد إذا ولدت. **فقال له:** قد نهيت عن كل ما أمر الله به فما الذي أصنع؟ **قال** كروان وضمران وعادة الرحمن. وخرجت جارية من دار الرشيد معها مروحة مكتوب عليها نحر إلى أيرين أحوج من الأير إلى حرين.

- **الحثّ على اختيار ذوات الأحساب والأنساب والترغيب عن لئام ذوات المال**

قال النبي ﷺ احتفظوا لنطفكم فإن العرق نزّاع. **وقال:** إياكم وخضراء الدّمن ـ أي المرأة الحسنة في المنبت السوء ـ **وقال:** أكثم لا يمنعكم جمال النساء عن صراحة النسب فإن المناكح الكريمة مدرجة الشرف **وقال عثمان بن أبي العاص لأولاده:** المناكح مغترس فلينظر المرء حيث يضع غرسه فإن عرق السوء يعدي ولو كان بعد حين، **قال شاعر.**

لا تنكحنّ لئيمةً لمعيشةٍ / تبقى اللئيمةُ والمعيشةُ تذهبُ

- **إختيارُ ذواتِ الدين والعفةُ**

قال النبي ﷺ. تنكح المرأة لدينها ولمالها ولحسبها وحسنها، فعليك بذات الدين تربت يداك **وقال** خير النساء التي إذ أعطيت شكرت وإذا حرمت صبرت تسرك إذا نظرت وتطيعك إذا أمرت.

وقال محمد بن علي اللهم ارزقني امرأة تسرّني إذا نظرت، وتطيعني إذا أمرت، وتحفظني إذا غبت. **وقال خالد بن صفوان.** إنما الدنيا متاع وليس من متاعها أفضل من زوجة صالحة

وقال علي رضي الله عنه خير النساء العفيفة في فرجها المغتلمة لزوجها **وقيل لعائشة رضي الله عنها.** أي النساء أفضل؟ **فقالت.** التي لا تعرف عيب المقال ولا تهتدي لمكر الرجال فارغة القلب إلا من الزينة لبعلها والإبقاء في الصيانة على أهلها. **وقيل.** إياك والحمقاء فنكاحها قذر وولدها ضائع.

- **إختيارُ الحسانِ والنهيُ عن القُباحِ**

قال النبي ﷺ: إنما النساء لعب فمن اتخذ لعبة فليستحسنها. **وقال:** أعظم النساء بركة أحسنهن وجوهاً وأرخصهن. مهوراً وجاءت امرأة إلى الحسن وقالت: يا أبا الحسن أتمتي

---

(1) حاضت: خرج منها دم

الرجال أن يتزوجن على النساء، قال: نعم، فقالت: أعلى مثلي؟ وكشفت قناعها عن وجه كالقمر، فقال الحسن لمن ولّت: ما على رجل مثل هذه في زاوية بيته ما أقبل عليه من الدنيا وما أدبر. وقيل لرجل أي النساء أشهى؟ قال: التي تخرج من عندها كارهاً وترجع إليها والهاً. وقال: إياك وكل ذكرة مذكرة شوهاء موهاء تبطل الحق بالبكاء لا تأكل من قلّة ولا تعتذر من علّة.

● التحذيرُ من الحسان

شاور رجل حكيماً في التزوج فقال له: إياك والجمال.

فلَنْ تصادِفَ مرعى ممرعاً أبداً	إلا وجدتَ به آثارَ مأكولِ

وقال: الجمال للرجال مطمع وأنشد:

لا تطلبِ الحسْنَ إن الحسْنَ آفتهُ	أن لا يزال طوالَ الدهرِ مطلُوبا
وما تصادفُ يوماً لؤلؤاً حسناً	بين اللآلىء إلا كانَ مثقُوبا

وقيل لحكيم تزوج قبيحة: هلا تزوجت بحسناء؟ فقال: اخترت من الشر أقلّه

● الإستدلالُ عليها بأبويها

قال علي بن عبيد الله: إذا أردت أن تتزوج بامرأة فانظر إلى أبيها وأخيها فإنها رابطة بطب أحدهما، وأنشد للعجير:

إذا كنتَ تبغي للجهالة أيِّما	من الناس فانظر من أبوها وخالُها
فإنهما من شكلها وهي منهما	كما جذبَت يوماً بنعل مثالُها

● اختيارُهُنَّ في الطول والقصرِ

قال الربيع بن زياد: من أراد النجابة فعليه بالطوال ومن أراد اللذة في القصار فإنهن لذيذات النكاح. وقال الحجّاج: من تزوج قصيرة فلم يجدها على الموافقة فعلى مهرها ويستحسن فيه ما قال ابن عجلان:

ومخمصة باللحم من دون ثوبها	تطولُ القصارَ والطوالُ تطولُها

● الرغبةُ عن العجائزِ

قيل لرجل تزوج: كيف المرأة التي تزوجتها؟ قال: نصف. قال: شرّ نصفيها حصل في يدك ثم أنشد:

لا تنكحنّ عجُوزاً إن أتوْك بها	واخلَعْ ثيابك منها ممعناً هرَبا
فإنْ أتوْك وقالُوا إنّها نصَفٌ	فإن أحسنَ نصفَيْها الذي ذهَبا

وقال حكيم: إن خير نصفي الرجل آخرهما يذهب جهله ويثوب حلمه ويجتمع رأيه، وشر نصفي المرأة آخرهما يسوء خلقها ويحدّ لسانها ويعقم رحمها. وقال: لا تأكل

ولا تركب ولا تك إلا فتيا. وقيل: مضاجعة العجوز يحلف منها موت الفجأة قال شاعر:

ولا تنكحنّ الدهرَ ما دمت أيِّما ... مجربة قد مُلّ منها ومَلّت

وقال لبعض من فضّل العجائز إن اختيار الكبيرة على الصغيرة لعدم اللبّ واسترخاء الزب ورين على القلب والتماس سهولة العلاج للعجز عن الإيلاج فقال: كلا العجوز أقنع باليسير وأصبر على تقلب الدهور وأقل مشاغبة ومجادبة، تؤثر التذلل وتجتنب التدلل، تصبر على الإقلال وتؤمن من ولادتها لزيادة في العيال إن اتسع بعلها صانت ماله وإن ضاق سترت حاله نعم قعدة الغيور ومطية ذي الأير العثور. لا تسبق إليها الظنون ولا تثبت معها القرون، ألوف عروف غير غروف ولا عيوف.

● إختيارُ الأبكارِ والثيباتِ

قال النبي ﷺ: عليكم بالأبكار فإنهنّ أطيب أفواهاً وأنتق[1] أرحاماً. قال علي رضي الله عنه: إن المرأة لا تُثنيني أما عدرتها

وقال حكيم لمن استشاره أما البكر فلك لا عليك وأما الثيب فلك وعليك وأما ذات الولد فعليك لا لك.

وقيل إيّاك والحنّانة والمنانة والأنانة والحداقة وذات الدايات فالحنّانة التي تحن إلى ولدها من غيرك والمنّانة التي تمنّ بمالها على زوجها والأنانة التي تئن من غير وجع والحدّاقة التي تحدّق إلى كل شيء فتقول ليته لي وذات الدايات التي عندها عجوز تقول هي دايتي. وقيل إياك والرقوب العصوب القطوب العيوب الرقيبة الحنّانة والمنّانة. وقيل إن لم تتزوج بكراً فتزوج مطلقة ولا تتزوج مميتة فإن المطلّقة تقول لها لو كان فيك خير لما طلقك زوجك والمميتة تقول لك رحم الله فلان قد كان لي خيراً منك بكذا. وقال علي بن الجهم أنشدت امرأة:

قالوا عشقْتَ صغيرةً فأجبتُهم ... أشهى المطيّ إليّ ما لم يُركبِ

كم بين حبّة لؤلؤ مثقوبة ... نُظمت وحبّةِ لؤلؤٍ لم تثقبِ

فأجابتني:

إن المطيّةَ لا يلذُّ ركوبُها ... حتى تذلّل بالزمام وتركبا

والدرُّ ليس بنافعٍ أربابَه ... حتى يُجمّعَ في النظام ويُثقبا

وكانت عند الأحنف امرأة فطلقها وتزوجها ابن عم لها فكتب إلى الأحنف:

إن كنت أزمعت أمراً فامضينّ له ... إن الغزالَ الذي ضيّعتَ مشغولُ

فكتب إليه الأحنف يقول:

---

(1) أنتق: كثيرة الأولاد أو الإيلاد أو الإنجاب.

إن كـانَ مـشـتـغـلاً مـالله يـصـلـحُـه ... فـقـد لـهـوْنـا بـأمـرٍ مـنـه مـوصـولِ

ولَـنْ تـصـادفَ مـرعـىً مـونـقـاً أبـداً ... إلا وجـــدتَ بـــه آثـــارَ مـــأكـــولِ

وقيل للأحنف: فلان تزوج بالمرأة التي كنت تحتك فقال: أما أنا فقد كفيته الصيحة وسهلت عليه العورة.

● إختيارُ أجناسِ النساءِ

قال عبد الملك: من أراد التجابة فعليه بقيْنات فارس، ومن أراد النباهة فقيات بربر ومن أراد الخدمة فبنات الروم. قال المتنبي في تفضيل البدويات:

أيـنَ الـمـعـيـزُ مـن الآرامِ نـاظـره ... أو غير ناظرِه في الحُسْنِ والطِّيبِ

قال سعيد الرستمي:

فدت عـازلات الـشـعـر أبـكـارَ فـارس ... وإن وكـلـت بـي هـجـرهـا وبـعـادهـا

إذا نُـصّـتِ الـتـيـجـانُ فـوقَ رؤوسـهـا ... وأرسـلْـنَ مـن تـلـك الـرؤوس جـعـادهـا

من اللائي لـم تـزجـر سـيـداء هـجـمـة ... ولـم تـتـلـفـع بـالـعَـشِـي بـجـادهـا[1]

ولـم أتـبـع سـمـر الـعـرابِ وأدمَـهـا ... ولـم أتـشـوف جـمـلـهـا وسـمـادهـا

● مدحُ الولودِ وذمُّ العقيم

قال النبي ﷺ: سوداء ولود خير من حسناء عقيم. وقيل: مثل الحسناء العاقر كشجرة يكثر زهرها ويقل ثمرها.

وذم أعرابي امرأة فقال: ما بطنها بوالد ولا ثديها بساعد ولا فوها ببارد ولا شعرها بوارد.

وقيل لأعرابي: أي النساء أكرم؟ فقال: التي في بطنها غلام وفي حجرها غلام ولها مع الغلمان غلام.

● من خطب امرأة فخدعها على الجماع

خطب معلم امرأة وابنها في مكتبه فامتنعت عليه فضرب الابن وقال له: لِمَ لا قلت: لأمك أير المعلم كبير؟ فعاد الصبي إليها شاكياً فوقع في قلبها وبعثت إليه أحضر شهوداً وتزوج بي على بركة الله.

وقال رجل لامرأة خطبها: والله لأملأن بيتك خيراً وحرك أيراً فتزوجته كما قلت فلم تجده كذلك، فقالت:

قـد رأيـنـاك فـمـا أعـجـبـتـنـا ... وبـلـونـاك فـلـم تـرضَ الـمـخـتـبـر

---

(١) البجاد: الكساء المخطط.

وقال رجل لامرأة: هل لك في ابن عم كاسٍ من الحسب عارٍ من النسب يتصلصل معك في دارك ويقلبك بيمينك لشمالك، يواصل ثلاثة في واحد، يدخل الحمام طرفي النهار؟ فقالت: لا يسمعنّ هذا الخبر منك أحد. وخطب رجل امرأة فقالت: لي شروط من المهر ألف دينار ومن النفقة كل يوم كذا ومن الثياب كذا فقال: نعم، ولكن لي عيوب إن احتملتها. فقالت: وما هي قال أناشره بجماع أستكثر منه وأبطىء الفراغ وأسرع الإفاقة فقالت المرأة يا جارية إحضري أهل المحلة تشهد على بركة الله، فالرجل سارح لا يعرف الخير من الشر.

● من توسل إلى خطبة امرأة بما لا يتفق.

قال أبو العيناء خطبت امرأة فلما رأتني استقبحتني فكتبت إليها:

وبثنتها لما رأتني تنكّرت	وقالت دميمٌ لا رواءٌ ولا جِسْمُ
فإن تنفُري من قبحِ وجهي فإنني	أديبٌ أريبٌ لا عَييّ ولا فَدمُ

فقالت: يا ماص بظر أمه لديوان الرسائل أريدك. وقال نحوي: يا خريدة قد كنت أحسبك عروباً فقالت: يا ابن الحيئة أتجشمني بالهمز والغريب. ونظرت امرأة زوجها وهو يجيد الطعن في الحرب فقالت: رب آن تحت اللواء، فقالوا لها: أليس يجيد الطعن؟ فقالت: أما الطعن الذي ينفعني فلا.

● الحثُّ على تزويج الأيّم[1]

قال الله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾[2] وقال حكيم: عليك بتزويج حرمتك إذا جاء كفؤها فليس بعد منعها من الإكفاء إلا تعريضها للأدنياء ومن حظك تمتيع أمك. وقال الأحنف: لأمن يحترس في جوانب بيتي أحب إليّ من أيم أودعتها كفأها. ورؤي في سوق بغداد قمطر فيه صبي وعند رأسه كيس فيه مائة دينار مكتوب هذا الشقي ابن الشقية بن القدح والرطلية رحم الله من اشترى له جارية بهذه الدنانير فهذا جزاء من عضل أيّمة.

● إظهارُ المرأة الرغبةَ في النّكاح

كان لهمّام بن مرة بنات لا يزوجهن من شدّة الغيرة فاجتمعن يوماً وتشاكين فقالت الصغرى: أنا لكن فقالت لأبيها:

أهمام بن مرّة حنّ قلبي	إلى ما تحت أثوابِ الرّجالِ

فقال: تريدين سراويلاً؟ فقالت:

أهمام بن مرة حنّ قلبي	إلى حمراة مشرفةِ القذالِ

---

(١) الأيّم: من فقدت زوجها.

(٢) القرآن الكريم: النور/ ٣٢.

فقال تريدين ناقة؟ فقالت

أهمام بن مرة حن قلبي إلى أير أشد به مبالي

فقال: قاتلكن الله وزوجهن.

● **عجوز راغبة في النكاح**

مرضت عجوز فأتاها ابنها بطبيب فرآها لطيب مترينة بأثواب مصبوغة معرف ما بها. فقال الطبيب: ما أحوجها إلى زوج فقال لابن: ما أحوج العجائز للأزواج. فقالت: ويحك الطبيب أعلم منك على كل حال.

ورغبت عجوز إلى أولادها أن يزوّجوها وكان لها سبع بنين، فقالوا: لا إلا أن تصبري على البرد متعرّيةً لكل واحد منا ليلة ففعلت فلما كانت السابعة ماتت فسميت أيام العجوز وقالت امرأة لبنيها:

أيا بني إنني لناكحه وإن أبيتم إنني لجامحه

هانَ عليكم ما لقيتُ البارحه من الحكاكِ والعروقِ الطامحه

وقال حكيم لامرأة تعرضت له

وضاحكة إليّ من النقاب تلاحظني بطرفٍ مستراب

فما زالتْ تجشّمني طويلاً وتأخذُ في أحاديثِ التصابي

فقلتُ لها حلفت بشرّ وادٍ كريه قد عجبتني فخطِ الخضاب

متى تشفي العجوزُ إذا استكتْ بأيرٍ لا يقومُ على الشبابِ

● **إحتيالُ المرأةِ في التزوّج من رجُل**

كان لرجل ابنة ولها ابن عم مشغوف بها، وهو يرجو أن يتزوج بها. فجاءه رجل فأرغبه في الصداق فقالت الجارية لأمها: ما أحسب أبي يربي ابن أخيه صغيراً ويقطعه كبيراً. فقالت: كان ذلك قدراً مقدوراً. فقالت الجارية: أنا حبلى من ابن عمّي فقالت أمها: ما تقولين؟ ويحك، فقالت: أتكذب الحرة على نفسها. فأخبرت أباها فزوجها من ابن عمها فلما وقع العقد قالت الجارية: برئت من الإسلام إن رأى وجهي إلى سنة ليعلم أني متقولة فيما ادعيت.

● **اختيارُها الكهول من الرجال وذوي الشعور**

قالت امرأة: لا يعجبني الشاب يمعج[1] معج المهر طلقاً أو طلقين ثم يربض بناحية الميدان. ولكن أين أنت من شيخ يضع قب إسته بالأرض ثم سحاً وجراً

---

(١) معج: أسرع في السير.

ولما تزوج عثمان رضي الله عنه بنت الفرافصة قال: لا تكرهين ما ترين من الشيب فإن وراءه ما تحبّين. فقالت: إني من نسوة خير أزواجهن الكهول. فقال: إني قد جاوزت حد الكهول إلى الشيخوخة فقالت: أفنيت عمرك في خير ما يفني فيه العمر. وقيل لامرأة أما تكرهين شيب زوجك؟ فقالت إنه نشأ بي وإنما تكره المرأة الرجل الشائب إذا كان غريباً ورأته بديهة.

● إختيارُهنّ الشبانَ والمُرْد

قالت جارية لأخرى: التحفت على غلام ممغوج[1] فقالت: بذلك المغفع كبر أيره وكثر خيره، ولكن من شؤمك أنك عشقت من يعطيك بلحيته ويحركك بشعرته.

قال أبو تمام:

أحلَى الرجالِ من النساءِ مواقعاً … من كانَ أشبهَهم بهنَّ خدودا

وقال الأعشى:

وأرى الغواني لا يواصِلْن امرأً … فقد الشبابَ وقد يَصِلْنَ الأمرَدا

وقال أعرابي:

يروق الغواني مجتبنّ الخدّ حالِمُ

● ميلُها إلى ذي المال

قال امرؤ القيس:

أراهن لا يُحببنَ مَنْ قَلّ مالُه

قيل لابن سيابة: قد كرهت امرأتك شيبك فمالت عنك فقال: إنما مالت إلى الأنذال لقلة المال، والله لو كنت في سن نوح وشيبة إبليس وخلقة منكر ونكير ومعي مال لكنت أحب إليها من مقتّر في جمال يوسف وخلق داود وسن عيسى وجود حاتم وحلم أحنف بن قيس.

● اختيارُ الأخيارِ

قال ﷺ: من زوّج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها. وقال الحسن لرجل استشاره في تزويج بنته: زوّجها من تقيّ فإنه إن أحبها أكرمها، وإن كرهها لم يظلمها. وقيل لعبد الله بن جعفر: أتنكح ابنتك الحجّاج؟ فقال: أنكحتموه دينكم والدين أجلُّ من بضع المرأة.

● الكفاءة

قال النبي ﷺ: تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء. وقال عمر رضي الله عنه: لأمنعن

(١) المغفع: ما ينتقل إليه الطعام بعد المعدة

فزوج ذوي الأحساب إلا من الأكفاء. وقال أبو يوسف: الكفء على الحقيقة المساوي في النسب والمال والدين.

وقال بعضهم: الناس أكفاء إلا حائكاً أو حجاماً.

وقال المنصور: أعداؤنا أكفاؤنا يعني بني أمية. وقيل لماجن: فلان المؤذن تزوج بابنة فلان المقري فقال: إنهما سيلدان مصحفاً.

● مَن خَطَبَ امرأة فلم يتزوجها

خطب زياد إلى سعيد بن العاص ابنته فكتب إليه سعيد ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾[1] ولما انتهى المغيرة إلى دار هند بنت النعمان بن المنذر قال: قد جئتك خاطباً. قالت: والله ما جئتني لمالي وجمالي وإنما أردت أن يقال في محافل العرب نكح بنت النعمان، وإلا فأيّ خير في أعور وعميه؟ فقال لها: كيف كان أمركم؟ فقالت أصبحنا وما في العرب إلا من يرهبنا وأمسينا وما فيهم إلا من نرهبه.

وكانت في دار ابن عباس يتيمة فخطبها رجل فقال له: لا أرضاها لك، قال: قد رضيت بها، فقال: الآن لا أرضاك لها.

وامتنعت امرأة من رجل خطبها فقيل لها في ذلك، فقالت: لأنهم يقلّون الصداق ويعجلون الطلاق.

وكتب عبادة بن الصامت إلى معاوية لما خطب إليه:

فلو أنّ نفسي طاوعتني لأصبحتْ — لها حمد مما تعدّ كثيرُ
ولكنها نفس عليّ كريمةٌ — عَيُوفٌ لإصهارِ الرجال قَذُورُ

قال دعبل:

فلا تنكح كريمك بهشبياً — فتخبطَ صفوَ مائِك بالغُثاء[2]

وخطب قرشي ابنة الكميت فجعل يتبجح عليه فرده الكميت وقال له: أقلل فإنا إنْ زوّجناك لم نبلغ السماء وإن رددناك لم تبلغ الماء.

● تأسف من خَطَب امرأة فلم يتفق تزوجُهُ بها

خطب رجل امرأة فوعد بها ثم تزوج بها غيره فقال:

لئن كانَ أدلى خاطباً فتعذرت — عليه وماتت رائداً فتخطّتِ
فما تركته رغبةً عن جماله — ولكنها كانت لآخرَ خُطّتِ

---

(١) القرآن الكريم، العلق/٦.

(٢) تهشلياً: من تهشل الرجل أي كبر، وتهشل فلاناً عضه والنهشل الذئب

وفي المعنى ليهودي:

سلاريةَ الجُذر ما شأنها ... ومن أيِّ ما فاتنا تعجبُ
فلسنا بأول من فاته ... على رغمه بعض ما يطلبُ
وكائن ترى الناس من خاطب ... تروّج غيرَ الذي يخطبُ
وزوّجها غيره دونه ... وكانت له قبله تُخطَبُ

وقال المغيرة: ما حدثني أحد ما حدثني غلامٌ من بني الحارث فإني ذكرت له امرأة أريد أن أتزوج بها، فقال لا تفعل، فإني رأيت رجلاً يقبلها ثم ذهب فتزوج. بها فقلت له في ذلك فقال: رأيت أباها يقبلها.

● تمنى طلاق امرأةٍ مرغوبٍ فيها

قال شاعر

فما أكثرَ الأخبارَ أن قد تزوّجت ... فهل يأتيني بالطلاق بَشيرُ

وشكا رجل إلى قراص الأردي تزويج امرأة كان يريد أن يتزوجها فقال

تربّص بها ريبَ المنون لعلّها ... تطلّقُ يوماً أو يموتُ حليلُها

● توجع مَنْ صاهرَ غيرَ كفئه

دخلت هاشمية على معاوية فقال لها من زوجك؟ فذكرت مجهولاً فقال أمثلك ينكح من لا يعرف؟ فأنشدت:

إن القيوم تنكح الأيامى ... النسوة الأرامل اليتامى
المرء لا يبقى له سلامى

قال مهلهل:

أنكحها فقدُها الأراقم في ... جنب وكان الحباء من أدم
لو بأبانين جاء يخطبُها ... ضرج ما أنف خاطب بدم

ولما ظفر قتيبة بابنة يزدجرد وتزوج بها قال لندمائه: أترون ابنها يكون هجيناً فقالت: هي نعم من قبل الأب

وقالت هند بنت النعمان في زوجها ابن زنباع:

وهل هند إلا مهرةٌ عربيّةٌ ... سليلةُ أفراسٍ تحلّلها بَغْلُ
فإن نتجت مهراً كريماً فبالحرى ... وإنْ يكُ إقراق فجاء به الفحلُ[1]

وقال:

بكى النسبُ الصافي بعينٍ سخينةٍ ... من النسبِ الموصوم أن يجمعا معاً

(١) الإقراق: مصدر أقرف (عمه): أي أصلها وأضاعها

وجاء رجل إلى سعيد بن المسيب فقال: رأيت حدأة على شرف مسجد الرسول ﷺ فقال: إن صدقت رؤياك فسيتزوج الحجّاج من أهل البيت، فتزوج بأم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر

● **المتزوجةُ من ذي زيٍ قبيحٍ**

قال شاعر:

الـزوجُ زوجـان ذو مـالٍ يُـعـاش بـه ... وذو شـبـابٍ شـديد المتنِ كـالمرَسِ

فلا شـبـابـا ولا مـالا ظـفـرت بـه ... لكنّ ما شئت من لؤمٍ ومنْ دنَسِ

قال علي بن المنجم:

لـم يـرْض إلا بـالـكـريـمـة مـركَـبـا ... ولـربّـمـا امـتـعـضـت عـلـيْـه أتـانُ

ولما مات عمر بن عبد العزيز تزوج بمرأته فاطمة بنت عبد الملك سليمان بن داود بن مروان وكان أعور فاجراً **فقال الناس** هذا البدل الأعور يعنون **قول جميل:**

بـــدل لـعـمـرك مـن يـزيـد أعـور

وقال آخر فيمن طلقها سري وتزوجها دني:

وكـنـت كـذى النّبل الذي راش نَبْله ... بريش الحوافي ثم بدّلها لغبا[1]

● **ذمّ متشرف بتزويج كريمةٍ**

رأوا رفـعـةَ الآبـاء أعـيـا مـرامُـهـا ... عـلـيـهـم فـرامُوا رفـعـةً بـالـحـلائـلِ

إذا ما أعالي الأمر لم تعطك المُنى ... فلا بأس باستنجاجها بالأسافلِ

(٢)
وممّا جاء في قلّة الصداق وكثرته

●

قال النبي ﷺ: أعظم النساء بركة أحسنهنّ وجوهاً وأرخصهنّ مهوراً. **وقيل:** لا تغالوا بمهور النساء فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله كان أولى بكثرتها **قال رسول الله ﷺ** وما أصدق امرأة من نسائه ولا من بناته أكثر من إثنتي عشرة أوقية وذلك أربعمائة وثمانون درهماً.

وقال عمر رضي الله عنه لا يبلغني أن أحداً تجاوز بصداقه صداق النبي ﷺ إلا استرجعت منها. **فقامت امرأة فقالت** ما جعل الله ذلك إليك يا ابن الخطاب، فإنه يقول وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً فقال عمر ألا تعجبون من إمام أخطأ وامرأة أصابت، ناضلت أمامكم فنضلته.

---

(١) **اللغب:** الريش الفاسد.

● **وصيةُ الخَتَن بها وإكرامهُ لها**

قال عثمان بن عتبــة بن أبي سفيان: أرسلني أبي إلى عمّي عتبة لأخطب إليه ابنته فأقعدني جنبه وقال: مرحباً بأبي لم آلده أقرب قريب خطب إلي أحب حبيب لا أستطيع له رداً ولا أجد من تشفيعه بدّاً، قد زوجتكها وأنت أعزّ عليّ منها وهي ألوط بقلبي، فأكرمها يعذب على لساني ذكرك، ولا تهنْها فيصغر عندي قدرك. وقد قربتك من قربك فلا تباعد قلبي من قلبك.

وكتب الصابىء عن عزّ الدولة إلى أبي تغلب وقد نقل ابنته إليه: قد وجهت الوديعة وإنما نقلت من وطن إلى سكن ومن مغرس إلى مغرس ومن مأوى عز واعطاف إلى مأوى برّ وإلطاف، ومن منبت درّت لها سماؤه إلى منشأ تعود عليها سماؤه. وهي بضعة مني انفصلت إليك، وثمرة من جنى قلبي حصلت لديك. ولا ضياع على من تضمه أمانتك ويشتمل عليه حفظك ورعايتك. وكان الحسن إذا دخل ختنه يقول: مرحباً بمن كفى المؤنة وستر العورة ثم يتنحى له عن مكانه.

● **حث الرجل على كفاية المرأة**

قال الله تعالى: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾[1] وخطب رجل إلى قوم فقال أحدهم: إن عرفت حق المرأة زوّجناك، فقال: حقها أن لا يسمي ذكرها ولا يهتك سترها ولا يحوجها إلى أهلها. فقالت المرأة: زوّجوه.

● **وصيةُ الأبوين البنت بِحُسْنِ معاشَرَةِ الزَوْج**

زوجت امرأة بنتها فقالت: يا بنية لو تركت الوصية لأحد لحسن أدب أو لكرم حسب لتركتها لك، ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل. يا بنية إنك قد خلّفت العش الذي منه درجت والموضع الذي منه خرجت إلى وكر لم تعرفيه وقرين لم تألفيه، كوني له أمة يكن لك عبداً، واحفظي عني خصالاً عشراً تكن لك دركً وذكراً. أما الأولى والثانية فحسن الصحابة بالقناعة وجميل المعاشرة بالسمع والطاعة ففي حسن المصاحبة راحة القلب وفي جميل المعاشرة رضا الرب والثالثة والرابعة التفقد لموضع عينه والتعاهد لموضع أنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشمّ أنفه منك خبيث ريح. واعلمي أن الكحل أحسن الحسن الموجود، وأن الماء أطيب الطيب الموجود، والخامسة والسادسة فالحفظ لماله والرعاية لحشمه وعياله، واعلمي أن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير، والإرعاء على الحشم حسن التدبير. والسابعة والثامنة التعاهد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه، فحرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة. والتاسعة والعاشرة لا تفشين له سراً، ولا تعصين له أمراً. فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره.

---

(١) القرآن الكريم: البقرة/٢٢٩.

وقال أبو الأسود لابنته: إياك والغيرة، فإنها مفتاح الطلاق، وأمسكي عليك الفضلين، فضل النكاح وفضل الكلام، وكوني كما قيل:

خذي العفو مني تستديمي مودّتي ... ولا تنطقي في سورتي حين أغضبُ

- **وصيةُ الأبوين بقبحِ معاشرة الزوجِ**

زوجت امرأة بنتها فقالت: يا بنية إقلعي زج[1] رمح زوجك أولاً، فإن أقر فاقلعي سنانه. فإن أقر، فاكسري العظام بسيفه، فإن أقر فاقطعي اللحم وضعيه على ترسه، فإن أقر فضعي الأكاف على ظهره فإنه حمار. قال شاعر:

عليك يا سيدةَ البناتِ ... معصيةَ الزوج إلى المماتِ

وقال وداوي غيرته وشتمه ... وقاتلي في كلِّ يومٍ أمّه

وباعدي ما بينها وبينه ... وعينها فاسخني وعينه

- **التهنئةُ بالزفاف والدعاء للزوجين**

قال خالد بن صفوان لرجل من باهلة: باليمن والبركة وشدة الحركة والظفر عند المعركة.

- **إستعلامُ حال الزوج في افتضاض امرأته**

قيل لسليمان: كيف وجدت امرأتك؟ قال ويلم لوحيين الستر إذاً؟

قال شاعر:

أبا حسنٍ قل لي وأنت المصدقُ ... هل أنجابُ ذاك العارضُ المتفالقُ

وهل غاب ذاك الحوت في قعر لجّةٍ ... رأيتك منها تستعين وتغرقُ

فقد قيل إن الباب دونك مغلق ... وإنّ عليك الرحب منه مضيقُ

وكتب الصاحب إلى أبي العلاء الحسين بن محمد بن سهلوية لما تزوج بابنة أبي الحسن بن إسحاق:

قلبي على الجمرة يا أبا العلا ... فهل فتحتَ الموضعَ المقفلا

وهل فصصتَ الكيسَ عن ختمه ... وهل كحلتَ الناظر الأحولا

إن كانَ قد قلتَ نعم صادقاً ... فابعث نثاراً يملأ المنزلا

وإن تُجبني من حياءٍ بلا ... أنفذ إليك القطن والمغزلا

- **الرخصةُ في تزويج الأمِ**

روي أن النبي ﷺ خطب إلى سلمة بن هشام أمة صاعة بنت عامر وزوج علي بن

---

(١) الزُّج: الحديدة في أسفل الرمح

الحسين أمه سلافة الكابلية مولى له ليحيى سنة في الإسلام. وممن زوّج أمه عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد.

● المستنكفُ من تزويج أمِهِ

تزوج مروان أم خالد بن يزيد فلاحاه يوماً، فقال له: يا ابن الرطبة. فقال: مخبر. مختبر ثم دخل على أمه فقال: أنت حلبت عنيّ هذا، وأنشدها هجاء فيه:

أمــا رأيــت خــالــداً يــهــمــه إن ســلــب الــمــلــك ونــيــكــت أمّه

فقالت: دعه لي. فلما علمت أن مروان قد امتلأ نوماً عمدت إلى مخدة فوضعتها على أنفه فمات.

وكان رجل قاعد على باب داره وعنده صديق له ورجل يدخل الدار ويخرج فقال له من هذا؟ فقال: زوج أخت خالتي:

● المعيبُ بتزويج أمّهِ

قيل لأعرابي: إن فلاناً زوج أمه وأخذ مهرها فأيسر به. فقال: أعوذ بالله من بعض الرزق وقال الجاحظ معنى قول القائل يا ماص بظر أمه يعني يا آكلاً مهر أمه من غير أبيه قال شاعر

رت حــــلالٍ أكــــلــــه أقـــبـــحُ مـــن نـــجـــس الـــدنـــر

مــــن طـــمـــنّ مـــســـهـــر أمــــه جـــنـــبـــراً لـــه فـــلا جـــســـبـــنـــر

وعاتب الصاحب رجلاً قد زوّج أمه فقال له: ما في الحلال بأس، فقال: كذا أحب أن تكون لعنة كل من أحب أن تناك أمه، ثم قال فيه:

روحــــت أمـــك يـــا أخـــي إلـــى الـــرجـــال عـــلـــى طـــبـــق

وقال

عــذلــت بــتــزويــجــه أمــه فــقــال فــعــلــت حــلالاً يــجــور

فــقــلــت حــلالاً كــمــا قــد زعــمــت ولــكــن ســمــحــت بــصــدع الــمــجــور

قال ابن طباطبا

قـــل لـــلـــمـــزوج أمّــــه يـــ أكـــبـــرَ الـــنـــاس هـــمّـــه

أجـــلّ مـــجـــدٍ تـــحـــامـــي عـــلـــيـــه تـــســـكـــيـــنُ غـــلـــمـــه

كـــفـــيـــت أمـــك أمـــراً مـــن الأمـــور الـــمـــهـــمّـــه

● جوازُ المتعةِ

عيّرَ عبد الله بن الزبير عبد الله بن عباس بتحليله المتعة فقال له: سل أمك كيف سطعت المجامر بينها وبين أبيك. فسألها فقالت: ما ولدتك إلا في المتعة. وسئل عن المتعة فقال.

الذئب يكنى أبا جعدة أي ذلك حسن الإسم قبيح الفعل. وقال يحيى بن أكثم لشيخ بالبصرة: بمن اقتديت في جواز المتعة؟ قال: بعمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: كيف وعمر كان أشد الناس فيها؟ قال: لأن الخبر الصحيح أنه صعد إلى المنبر فقال: إن الله ورسوله قد أحلا لكما متعتين وإني محرمهما عليكم، وأعاقب عليهم. فقبلنا شهادته ولم نقبل تحريمه.

وقال رجل لآخر زوّجني أمك متعة فقال: يا أحمق إذا زوجتكها فما معنى المتعة إنما المتعة أن تزوج نفسها.

وقالت امرأة:

أقول للشيخ إذا طالت عروبته ... يا شيخ هل لك في فتيا ابن عباس

● معاداة الزوجة للإصهار

نحر أعرابي جزوراً فقال لامرأته: أطعمي أميّ فقالت: أيها أطعمها؟ قال: الورك فقالت: التي ظهرت بلحمة وبطنت بشحمة لا لعمري قال: المحد. قالت: الكثيرة اللحم الطيبة المخ، لا لعمري قال: الكتف قالت: الحامنة اللحم من كل مكان. قال: فما تطعميها؟ قالت: اللحي التي ظهرت بالجلد وبطنت بالعظم. قال: تزودي إلى أهلك فأنت طالق.

● موافقة زوجين قبيح وحسن؟

نظرت امرأة عمران بن حطان في المرآة وكانت جميلة وزوجها قبيح، فقالت له: أنا وأنت في الجنة قال: ولم؟ قالت: لأنك رزقتني فشكرت وأنا ابتليت بك فصبرت والصابر والشاكر في الجنة

وقال رجل لامرأته: ما خلق أحب إليّ منك فقالت: ولا أبغض إليّ منك. فقال: الحمد لله الذي أولاني ما أحب وابتلاك بما تكرهين

● موافقة قبيحين

خطب أسدي قبيحُ الوجه امرأة قبيحة فقيل لها: إنه قبيح وقد تممّ لك. فقالت: إن كان قد تمم لنا فإنا قد تبرقعنا له. استقبح رجل امرأة فقال: ويل لمن هذه ضجيعته فلّما رأى زوجها وكان في القبح مثلها قال

وافق شنٌ طبقَه ... وافقه واعتنقه

وأنشد:

نزلت سلمى بسلمى ... منزلاً ذا عذواء

● وَصْفُ الفوارِكِ

تزوج رجل امرأة فاجتمع معها في بيت حركته فرمت ببصرها المكوة فرأت الصبح فقالت:

وأنقذني بياضُ الصبح منه ... لقد أنقذتُ من شرّ طويل

وقال الجماز لامرأته في يوم غيم: ما يطيب في هذا اليوم؟ قالت: الطلاق قال شاعر:

لقد أصبحتْ عِرسُ الفرزدق ناشِزاً ... ولو رضيتْ رمحَ إسته لاستقرّت

وفي ضد ذلك قال رسول الله ﷺ: خير نسائكم التي إذا خلعت ثوبها خلعت معه الحياء وإذا لبسته لبست معه الحياء يعني مع زوجها

● الحثُّ على حفظهنّ من الخمرِ والكتابةِ

قيل: لا تسمعهنّ الغناء فإنه داعية الزنا. وذاقت أعرابية الخمر فقالت: نساؤكم يشربن هذا؟ قالوا: نعم قالت زنَيْنَ إذاً ورب الكعبة. ورأى فيلسوف جارية تتعلم الكتابة فقال: ليت شعري لمن يصقل هذا السيف؟ وقال: لا تسق لسهم سماً لترميك به يوماً ما. وقال عمر: جنبوهنّ الكتابة ولا تسكنوهن الغرف. وقيل: علموهنّ سورة النور وجنبوهنّ سورة يوسف. وقال رجل: إياك أن تترك حرمتك تصغي إلى قول أبي ربيعة

أمـن آل نـعـم أنـتَ غـادٍ فـمـبـكـرُ ... غـداة غـدٍ أم رائـحٌ فـمـهـجّـرُ

فإنه يحل السراويلات ويطرب العذيبة

● الحثُّ على شغلهنّ بالمغزل والمهنةِ

قيل: ألزموا النساء المهرة. قال شاعر:

ونـعـم لـهـو الـمـرأة المـغـزلُ

وقيل لهند بنت المهلب زوجة الحجاج: تغزلين وزوجك أمير؟ فقالت: سمعت أبي يقول قال رسول الله ﷺ: أطولكن طاقة أعظمكن أجراً والمغزل يطرد الشيطان ويذهب بحديث النفس.

● الحثُّ على سترهنّ ومنعهنّ من الخروج

ودخل ابن أم مكتوم على النبي ﷺ وعنده بعض نسائه فأقامها فقالت: إنه أعمى فقال: أعمى أنتن. وقال سلمان: النساء عيّ وعورة فداووا العي بالسكوت والعورة بالبيوت

وقال سعيد بن سلمان: لأن يرى حرمي مائة رجل مكشوفات خير من أن ترى حرمتي رجلاً غير منكشف.

وقيل للحطيئة: ما تركت على بناتك؟ قال العري فلا يرحن، والجوع فلا يمرحن وقيل لآخر: فقال: الحافظين العرى والجوع.

● ميلُ الزوجِ إلى زوجتِه أو إلى أبويه

روى نافع أن ابن عمر جاء إلى النبي ﷺ فقال: إن أبي أمرني أن أطلق امرأتي

فقال: طلقها يا عبد الله. وروي أن رجلاً أتى أبا الدرداء فقال: أمي أمرتني أن أطلق امرأتي. فقال: سأحدثك بشيء سمعته من رسول الله ﷺ: الوالدة وسط باب الجنة فاحفظ ذلك الباب إن شئت أو ضيّعه. قال: من أحفظه طلقتها. تزوج ابن الفرزدق فمال إلى امرأته وتحامل على أبيه فقال فيه:

ولـمّـا رآنـي قـد كـبـرتُ وأنّـه ... أخو الجنّ واستغنى عن المسْح شاربُه

أصـاخ لـعـريـان الـنـجـى فـإنّـه ... لا زورٌ عن بعض المقالةِ جانبُه

وكان صخر طعن فمكث زماناً عليلاً فسمع امرأته تقول لأخرى وقد سألتها عنه: كيف أصبح؟ فقالت لا حي فيرجى ولا ميت فينسى. ورأى تحرّق أمّه عليه فقال:

أرى أمّ صـخـر مـا تـمـلّ عِـيادتي ... وملّت سُلَيْمَى مضجعي ومكاني

ومـا كـنـتُ أخشـى أن أكونَ جنازةً ... عـلـيْـك ومـن يـغـترّ بـالـحدثانِ

أهمّ بـأمـرِ الـحـزْمِ لـو اسـتـطيـعُـه ... وقـد حـيـل بـيـنَ الـعَـيْرِ والـنّزوانِ

فـأي امـرىءٍ سـاوَى بـأمّ حـلـيـلـةً ... فـلا عـاشَ إلا فـي أذىً وهـوانِ

لعمْري لقد نبهت من كانَ نائماً ... وأيـقـظْـت مـن كـانـت لـه أذنـانِ

ولـلْـمَوْتُ خيرٌ من حياةٍ كأنّـها ... مُعرّسُ يعسوبٍ بـرأسِ سِـنانِ

ثم برأ من علّته فطلقها. قال معروف بن إسحاق:

إذا سـويـتُ صـاحـبـتي بـأمّـي ... مقام عليّ قبْل الصبْح ناعي

فـأمُّ الـمـرء بـاكـيـةٌ عـلـيْـه ... وجـلّـتـه تـصـدّى بـالـقـناعِ

● المؤتمرُ لامرأتِهِ والممتنعُ مِنْ ذلك

كان الأحنف مطيعاً لجاريته زبراء فقيل له في ذلك فقال: كيف لا أطيع من لي إليه في كل يوم حاجة. قال شاعر:

أقـامـت زوجـهـا مـرّة ... وقـامـت مـوضـعَ الـرجُـل

قال أبو تمام:

مـراتـه نـفـذَتْ أمـرَهـا ... حـتـى ظـنـنّـا أنّـهُ امـرأتـهـا

قال الشنفرى:

إذا مـا جـئْـت مـا أنـهـاك عـنـه ... ولـم أنكِر علـيْك فطلّقيني

فـأنـت الـبـعْـلُ يـومـئـذٍ فـقُـومـي ... بـسـوطِـك لا أبـا لـك فاضربيني

● فتنتهنّ

قال ﷺ: ما تركت بعد فتنة أضرّ على الرجال من النساء. وقال: أوثق سلاح إبليس النساء. وقال: النساء حبائل الشيطان. ونظر بقراط إلى رجل يكلم امرأة فقال له: تنحّ عن

هذا المخ لا تقع فيه. وقال لقمان: كُنْ من خيار النساء على حذر، فأنت من شرارهنّ على يقين. وقال رجل: ما دخل داري شرّ قط. فقال له حكيم: ومن أين دخلت امرأتك؟

● **وصفهنّ بِغلبةِ الرجالِ**

قال النبي ﷺ: ما من ناقصة العقل والدين أغلب للرجال ذوي الأمر من النساء. **وقال معاوية في وصفهن**: يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام. **قال شاعر**:

ويجمعن ضعفاً واقتداراً على الفتى	أليس عجيباً ضعفُها واقتدارُها

قال الرشيد:

مالي تطاوِعُني البريّةُ كلّها	وأطيعهنّ وهنّ في عِصْياني
ما ذاكَ إلا أنّ سُلْطانَ الهوى	وبهِ غلَبْنَ أعزُّ من سُلطاني

قال الموسوي:

معاداةُ الرجالِ على الليالي	أطيقُ ولا مُعاداةُ النساءِ

● **التحذيرُ من الاعتماد عليهن وذمهن**

قال أمير المؤمنين: لا تطعموا النساء على حال ولا تأمنوهنّ على مال، ولا تذروهنّ يدبّرن العيال، فإنهن إن تركن وما يردن أوردن المهالك وأزلن الممالك، لا دين لهنّ عند لذاتهنّ، ولا ورع لهنّ عند شهواتهنّ، ينسين الخير ويحفظن الشر، يتهافتن في البهتان ويتمادين في الطغيان، ويتصدين للشيطان. **وقيل**: من أطاع عرسه لم ينفع نفسه. وعارضت امرأة عمر في أمر يديره فقال: ما لكن وأمور الرجال إنما أنتن لعبة إن كانت لنا بكنّ حاجة دعوناكن. **قال المتنبي**:

وللخُودِ منّي حاجةٌ ثم بيننا	فلاةٌ إلى غيرِ اللقاء تُجابُ

● **الحثّ على مخالفتهنّ**

قال النبي ﷺ: شاوروهن وخالفوهنّ. **وقيل**: إيّاك ومشاورة النساء فإن رأيهن إلى أفن[1] وعزمهن إلى وهن. وقيل: أكثروا لهنّ من لا فإن نعم تغريهنّ بالمسألة.

قال أجدع الهمداني:

تعيّرُني بالغَزْوِ عِرْسي وما دَرَت	بأنّي لها في كل ما أمرتْ ضِدُّ

● **ذمهنّ بالجهل والاعوجاج**

قيل: إذا وصفت المرأة بالعقل فهي غير بعيدة من الجهل. **وقيل**: لا تدع المرأة تضرب صبياً فإنه أعقل منها. **وفي الحديث**: خلقت المرأة من ضلع معوج فلما أرادت

---

(١) أفن: ضعف رأي.

تقريعه الصدع. وقال ﷺ: النساء شر كلهنّ وشر ما فيهن قلّة الاستغناء عنهنّ. وقيل: تعوّذ من شرار النساء، وكن من خيارهن على حذر. ورأى سقراط امرأة تحمل ناراً فقال: نار تحمل ناراً، والحامل شرّ من المحمول. وقيل له: أي السباع شر؟ قال: المرأة. وروي عن النبي ﷺ: النساء حبائل الشيطان. وقيل: شرّ أخلاق الرجال الجبن والبخل وهما خير أخلاق النساء. وقيل: المرأة إذا أبغضتك آذتك وإذا أحبتك خانتك فحبّها أذى وبغضها داء. قال شاعر:

إن النساء وإن حسنّ صوالحاً ... فيما يحلّ من الأمور ويحرُمُ

لحمٌ تطيفُ به كلابٌ جوّعٌ ... إن لم يذدْنَ فإنه مُتقسَّمُ

● النهيُ عن حَمْدِ النساءِ

قال لقمان: شيئان لا يحمدان إلا عند عاقبتهما: الطعام والمرأة، فالطعام لا يحمد حتى يستمرأ والمرأة لا تحمد حتى تموت. وفي المثل: لا تحمد أمة عام شرائها ولا حرة عام بنائها.

● وصفهن بكونهنّ ناقصاتٍ

قال النبي ﷺ: إنهنّ ناقصات دين وعقل. فقيل: وما نقصان دينهن وعقلهنّ؟ قال: إن إحداهن تقعد نصف شهر لا تصلّي، وأما نقصان عقولهن فشهادة المرأتين تقوم مقام شهادة الرجل الواحد.

وقال وهب بن منبه: قد عاقب الله النساء بعشر خصال: بشدة النفاس والحيض وجعل ميراث إثنتين ميراث رجل وشهادتهما شهادة رجل واحد، وجعلها ناقصة الدين والعقل لا تصلي أيام حيضها ولا يسلم عليهن وليس عليها جمعة ولا جماعة ولا يكون منهن نبيّ، ولا يسافرن إلا بوليّ.

● وصف المواتية للزوج الحسنةِ الخلقِ

قال النبي ﷺ: خيرُ النساء الهينة اللينة المسلمة، تعين أهلها على العيش ولا تعين العيش على أهلها. وقال معاوية رضي الله عنه لصعصعة: أيّ النساء أشهى؟ قال: المواتية لما تهوى والمجانبة لما لا ترضى. وتزوّج رجل سيء الخلق امرأة فقال: أما أني سيء الخلق، فإن كان عندك شيء من الصبر على مكروه وإلا فلست أغرّك من نفسي فقالت: أسوأ خلقاً منك من أحوجك إلى سوء الخلق. فتزوّجها، فما جرى بينهما وحشة للموت.

وقال شريح: تزوجت امرأة صغيرة فلما بنيت بها قالت: عرفني خلقك لأعمل على مداراتك، فعرفتها فبقيت معها سنة لا أزداد فيها إلا شغفاً فدخلت يوماً فرأيت عندها عجوزاً فقلت: من هذه؟ قالت أمي: فسلمت عليها فدعت لي وقالت: كيف رضاك عن صاحبتك؟ فشكرتها. فقالت: أسوأ ما تكون المرأة خلقاً إذا حظيت عند الزوج وإذا ولدت فإن رابك

منها شيء، فعليك بالسوط فقلت: أشهد أنه ستك فقد كفيتني الرياضة

- **وصف المخالفةِ السيئةِ الخلق**

قال الأصمعي. رأيت رجلاً يطوف بالبيت يحمل شيئاً كبيراً، **يقول له**: أعييتني صغيراً وكبيراً **فقلت له** أحسن إليه فعدلم أحسن إليك. **فقال** من تراه لي؟ فقلت: هو أبوك أو جدك. **فقال** بل هو ابني **فقلت** ما صيّره إلى ما أراه، **قال**: سوء خلق امرأته.

وقال رجل لأبيه تزوجت امرأة سيئة سحق **فقال**: عجّل طلاقها فإنها تهرمك قبل الهرم، وتذهب عنك بجماع الكرم. وروي أن حكيماً زوج ثلاث بنين، فلما كان رأس الحول سأل الأول عن امرأته **فقال** هي امرأة من خير النساء إلا أنها خرقاء لا تعمل شيئاً **فقال**: أنزلها في بني فلان فإن نساءهم صنع لتتعلّم وسأل الثاني **فقال**. إنها لا تدفع يد لامس **فقال**. أنزلها في بني فلان فإن نساءهم عفيفات. وسأل الثالث **فقال**: سيئة الخلق، **فقال**: طلقها فهذا شيء لا حيلة له.

- **شُكْر أحد الزوجين الآخَرَ**

قيل لامرأة كيف زوجك؟ قالت إذ دخل فهد وإذا خرج أسد وقيل للأخرى: **فقالت** حمل طعينة وليث عرينة، **وقيل للأخرى**. **فقالت** هو سكوت خارجاً ضحوك والجاً وسئل رجل عن امرأة فقال أعيان الألة[1]، ومس نحلة، ومس رملة[2]، وكأني قادم في كل ساعة من غيبة.

وطلق رجل امرأة فلما أرادت الارتحال **قال لها**: إسمعي وليسمع من حضر إني والله اعتمدتك رغبة، وعاشرتك محبة، ولم يوجد مكاني منك زلّة، ولم يدخلني منك ملّة، ولكن القضاء كان غالباً. فقالت المرأة جزيت من صحوب خيراً، فما استربت خيرك، ولا شكوت خيرك ولا تمنيت غيرك وليس لقضاء الله مدفع، ولا من حكمه ممنع ثم تفرقا

- **ذمّ أحد الزوجين الآخر**

شكت امرأة زوجها **فقالت** هو قليل الغيرة سريع الطيرة، كثير العتاب، شديد الحساب إسترخى ذكره وأقبل زبره وبخره وطمحت عيناه، واضطربت رجلاه، يأكل همساً ويمشي خلساً، ويصبح رجساً، إن جاع جزع، وإن شبع خشع **وقالت امرأة** زوجي قصير الشبر، ضيق الصدر، لئيم النجر، عظيم الكبر، كثير الفخر، **وقالت امرأة لرجل**: إنك لضيق الفناء صغير الإناء قبيح الثناء **فقال** وأنت واهية العقد قليلة الرفد، مجانبة للمرشد.

وقال امرؤ القيس لامرأته وقد فركته. ما تكرهين مني؟ **قالت**. إنك سريع الإراقة،

---

(١) الألة: الأصل. (٢) رملة: قطعة من أرض يعلوها الرمل.

بطيء الإفاقة، ثقيل الصدر، خفيف العجز فقال وأنت حليلة الركبة، واسعة الثقبة، سريعة الوثبة قبيحة النقبة.

● شؤم أحدِ الزوجين على الآخرِ

تزوج امرأة رجل قد مات عنها خمسة أزواج فمرض السادس فقالت: إلى من تكلني قال: إلى السابع الشقيّ. وتزوج أعرابي أربعة نسوة متن عنده، ثم تزوج امرأة مات عنها خمسة أزواج فقال

بوازلُ أعوام أذاعت بخمسةٍ ... وتعتدني إن لم يقِ الله ثانيا
ومن قبلها أهلكتُ بالشؤم أربعا ... وواحدةٌ أعتدها في حسابيا
كلانا مطل مشرفٌ لمنيةٍ ... ويقضي إلهُ الخلق ما كان قاضيا

وقيل رأت عائشة بنت الفرات ثلاثة ألوية كسرت على صدرها، فسألت أمها ابن سيرين فقال: يتزوجها ثلاثة من الأشراف يقتلون عنها، فتزوجها يزيد بن المهلّب، ثم عمرو بن يزيد الأسدي فقتلا، وتزوجها الحسن بن عثمان الزهري فجرى بينهما يوماً كلام فقالت: والله لتقتلن وأخبرته فطلقها. وتزوجها العباس بن عبد العزيز فقتل.

ورُوي أن أم حبيب بنت قيس العدوية قالت: لا أنكح إلا العدويين المحمدين، فنكحت محمد بن عمرو بن العاص ففارقها، ثم محمد بن حليفة فقتل، ثم محمد بن أبي بكر فقتل، ثم محمد بن جعفر بن أبي طالب فمات، ثم محمد بن إياس فتوفيت معه وكان ابن عمر يقول: من أراد الشهادة الحاضرة فليتزوج بها.

● امتناع أحد الزوجين من التزويج بعد موت صاحبه

يقال: ما وفت امرأة لزوجها إلا قضعيتين. نائلة بنت الفرافصة أرملة عثمان فإنها قلعت ثنيتها بعد عثمان مخافة أن يخطبها رجل، وامرأة هدبة العذري فإنها لما رأت زوجها يقاد للقتل، أنشدها

فلا تنكحي إن فرّقَ الدهرُ بيننا ... أغمّ القفا والوجهِ ليس بأنزعا

فعمدت إلى سكين فقطعت أنفها وقالت: كن آمناً من ذلك فقال: الآن طاب ورود الموت. وتزوّج رجل بابنة عمّ له يقال لها رباب وتعاهدا على أن لا يتزوج أحدهما بعد موت الآخر فمات الرجل، وأكرهت المرأة على التزويج فلما كان ليلة الزفاف رأت في منامها أن ابن عمها آخذٌ بعضادتي الباب، فأنشد

حييتُ سكانَ هذا البيتِ كلَّهم ... إلا الرباب فإني لا أحييها
أمستْ عروساً وأمسى منزلي خربا ... ولم تراعِ حقوقاً كنتُ أرعيها

فانتبهت مذعورة، وحلفت أن لا تجمع رأسها ورأس الرجل وسادة. وكان شيرويه لما قتل أباه كسرى أراد أن يتزوج بشيرين امرأة أبيه، فقالت له: على ثلاث شرائط: أن

تحضر الحكماء فأخطئهم في معاونتهم إياك على قتل أبيك حتى لا يجرؤا على مثله فيك، وأن تستحضر لي نساء الكبار لأشتفي بالبكاء عليه، وأن تأذن لي في حضور المكان الذي مات فيه مرة فقال كلّ ذلك لك. فلما خطأتهم، وبكت عليه، وحضرت المكان الذي مات فيه أخرجت مصاً مسموماً فمصّته فماتت مكانها، وكنت قد عمدت إلى سمّ فوضعته في بعض الخزائن وكتبت عليه: إن من تناول منه وزن دانق أعانه على الجماع فلما ظفر به تناول منه فمات في مكانه.

● **المتزوجُ منهما بعد موتِ الآخرِ**

ماتت امرأة لرجل وكان عاهدها أن لا يتزوج بعدها فخطب امرأة في جنازتها فعوتب في ذلك فقال:

خطبت كمَا لو كنتُ قد مُتُّ قبلها ... لكانت بلا شكٍ لأوّلِ خاطبِ

إذا غابَ بَعْلٌ جاءَ بعلٌ مكانه ... ولا بدّ من آتٍ وآخر ذاهبِ

ومات زوج امرأة فراسلها في ذلك اليوم رجل يخطبها فقالت: هلا سبقت فإني قد قاولت غيرك. فقال: إذا مات الثاني فلا تفوتيني.

● **ذمّ التطليقِ وشدَّتُهُ**

قال ﷺ: ما من حلال أبغض إلى الله من الطلاق، وقال ﷺ: ما خلق الله شيئاً أحب إليه من العتاق، وما خلق الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق. وروي عنه أيضاً: لا تطلقوا النساء إلا من ريبة، فإن الله لا يحب الذوّاقين والذوّاقات. وقال عمر لرجل طلق امرأته: لِمَ طلقتها؟ قال: لا أحبها. فقال: أكلّ البيوت بنيت على الحب. أين الرعاية والذمم؟ وقال الشاعر:

وما لذعت أنثى منَ الدّهرِ لذعةً ... أشدّ عليها من طلاقٍ تسرود

● **مَدْحُ التطليقِ**

كان الحسن رضي الله عنه مطلاقاً وقال: إن الله علق بهما الغنى وتقدّم وقال عامر بن الظرف: أجمل القبيح الطلاق. وأملى أبو العجل خطبة للنكاح فقال: الحمد لله الذي جعل في الطلاق اجتلاب الأرزاق، فقال: وأن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته. أوصيكم عباد الله بالسلوة والملالة والتجني والجهالة واحفظوا قول الشاعر:

إذهبي قد قضيتُ منك قضائي ... وإذا شئتِ أن تبيني فبيني

تعاهدوا نساءكم بالسبّ وعادوهن بالضرب، وكونوا كما قال الله تعالى: ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ﴾[1] ثم إن فلاناً في خمول نسبه ونقص أدبه خطب إليكم فارهدوا فيه فرّق الله ذات بينهما وقرّبهما من حينهما

---

(١) القرآن الكريم: النساء/ ٣٤

● الحثُّ على تطليقِ غيرِ الموافقةِ

قال مرثد لرجل شكا إليه سوء خلق امرأته بخّرها بمثلثة. قال شاعر

ودواء لا تشتهيهُ النفْس تعجيل الفراقِ

أنشد دعبل بزيد بن مرثد قوله.

عـكـلـيّـة جُـهـنّـمْ مُـحَـيّـاهـا

فقال: طلقها قال. ليس لي مال فدفع إليه مالاً فقال. طلقتها ألف مرة

● المتبرّم بالمرأة المتمني طلاقَها

قال أبو سراعة:

أيّ طـيـرٍ جـرى بـفـرقـك حـتّـى	يـبـتـر الـلّـهُ لـلـرمـاة جـنـاحـه

وقال:

أحـــرزتْ كـفـاي مـنـهـا	حـسـرةً عـيـزَ سـرينّـه
سـنّـهـا سـنُّ عـجـوزٍ	وهـيَ فـي الـعـقـل صـبـيّـه
حـبّـذا الـتـطـلـيـقُ لـولا	خـيـبـةٌ فـيـه رديّـه

وقال.

لقد كنتُ محتاجاً إلى موتِ زوجتي	ولكنْ علقَ السوءِ باقٍ معمرُ
فيا ليتَ أنّ اللحدَ قد صارَ بيتَها	وحلّتها فيه نكيرٌ ومنكَرُ

ومرضت امرأة لبعض الأعراب فسمعها تقول أموت فقال.

إذا متِّ فالجرعاءُ منكِ قريبةٌ	وفي ميتتنا للغانيات معادُ

وقال جران العود يخاطب امرأة.

يقولونُ في البيْتِ لي نعجةٌ	وفي البيت لو يعلمون النّمرْ
أحبّي ليَ الخير أو أبغضي	كلانا لصاحبه يَنْتَظِرْ

● من طلّق امرأته فُسُرّ بذلك

قال شاعر:

رحلتْ أميّةُ بالطّلاق	وعُتقتُ من رقِّ الوثاق[1]
بانتْ فلم يألَمْ لها	قلبي ولم تبكِ المآقْ
لو لم أُرَحْ بفراقِها	لأرحتُ نفسي بالإباقْ
وخُصيتُ لا أريد حليلةً حتّى التلاقْ

(١) رقّ: عبودية.

وكان قتادة بن معروف تزوج امرأة فتركها من ليلة فطلّقها ولما أصبح قال:

تجهّزي للطّلاق واصْطَبري ... هذا دواءُ الجوامحِ الشُّمُسِ

لليلةُ البيْنِ إذ هممْتُ به ... أطيَبُ عندي من ليلةِ العُرُسِ

وتزوج رجل امرأة فلما دخل بها وجدها قبيحة سيئة الخلق، فقال:

امضي إلى سقر فإنّك بائنٌ ... ومطلّقٌ وخليةٌ وحرامُ[1]

والقولُ قولُ أبي حنيفة عندنا ... إذ ليس فيها رجعةٌ ولمامُ

وكان رجل طلق زوجته ثلاثاً وترافعا إلى القاضي فأخذ القاضي ينظر هل لقوله وجه فقال له: لا تتعب هي طالقة عشرين ألف مرة. فقال القاضي: قد خففت الأمر علينا.

● مَنْ أمر بمصابرة امرأتِه

قالت أم التحف وكان ابنها تزوج امرأة على غير رضاهما وحمل نفسه ما لا طاقة له به ثم همّ بتطليقها تبرماً بها:

لعمري لقد أخلفْتَ ظنّاً وسؤتني ... فحرت بعصياني الندامة فاصْبِرِ

ولا تكُ مِطْلاقاً ملولاً وسامح الـ ... ـقرينةَ وافعَل فعل حرّ مُشَهر

فقد حزتَ بالورهاء أخبث حظّية ... فدع عنك ما قد قلت يا سعد واصْبِر

تربّص بها الأيامُ على صروفها ... ستَرمي بها في جاحم متسعّرِ[2]

● مَنْ طلّق امرأته فندم

جاء أعرابي إلى ابن أبي ذؤيب في مسألة طلاق زوجته فافتاه بطلاقها، فقال:

أتيتُ ابنَ ذئب أبتغي الفقه عنده ... فطلق حبّي ليتَ بتّت أناملُه

أطلقُ في فتوى ابن ذئب حليلتي ... وعندَ ابن ذئبٍ أهلُه وحلائِلُه

وقال راوية الفرزدق: قال لي الفرزدق: امض بي إلى حلقة الحسن فإني أريد أطلق نوار فقلت له: أخشى أن تتبعها نفسك. فقال: امض ولا تخف فمضيت معه فقال: السلام عليكم إعلم إني قد طلقت نوار ثلاثاً. فقال الحسن قد علمت فلما رجع، قال: إني لأجد في نفسي شيئاً من نوار ثم أنشأ يقول:

ندمت ندامة الكسعيّ لمّا ... غدت مني مطلّقة نوارُ[3]

---

(١) سقر: جهنم.

(٢) تربص. التربص: الترقب والانتظار.

(٣) الكسعي: رجل أصلح قوسه ثم رمى بها عيرا فسمع صوت ارتطام السهم فظنّ أن قوسه لم تصب مرماها فكسرها ثم عند الصباح تبين خطأه ورأى الحمر قد صرعتها السهام فندم فقطع إبهامه، وقد شبه الفرزدق ندامته بعد تطليق نوار بندامة الكسعي ـ جاحم: جمر شديد الاشتعال.

وكانت جنّتي فخرجْتُ منها ... كآدم حين أخرجه الضرارُ[1]
ولو أني ملكتُ يدي ونفسي ... لكان عليّ للقدر الخيارُ

● قرب تطليق امرأةٍ من تزوجها

زوج بعضهم ابنته عمرو بن عثمان فلما مضت إليه طلقها على المنصّة فجاء أبوها إلى عبد الله بن الزبير فقال: إن عمرو بن عثمان طلّق ابنتي في المنصة وأخشى أن يظنّ الناس أن ذلك لعاهة، وأنت عمّه فعاتبه. فقال: أو خير من ذلك ائتوني بالمصعب فزوجها منه وأقسم ليدخلنّ بها من ليلته فما رؤيت امرأة نصت على رجلين في ليلة سواها. وتزوج الوليد في خلافته نيفاً وسبعين امرأة فلما دخل بالأخيرة وأراد أن يقوم أخذت بثوبه وقالت: ما ترى؟ أقم لك كميلاً أن لا تأمر بتسريحي. فضحك واستملحها وأمسكها أربعة أشهر ثم طلقها بعد ذلك.

● مراجعةُ المرأةِ بعد طلاقها

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾[2]. وسبب ذلك أن أحدهم كان إذا أراد أذية امرأة طلّقها فإذا قاربت انقضاء عدتها راجعها، ثم طلّقها، ثم راجعها، طلباً لأذيتها. وقيل: إن الحسن بن علي طلّق امرأتين قرشية وجعفية فأرسل إلى كل واحدة عشرين ألفاً، وقال للرسول: احفظ ما تقول كل واحدة. فقالت القرشية: جزاه الله خيراً وقالت الجعفية: متاع قليل من حبيب مفارق، فراجع الجعفية، وتزوج عبد الله بن أبي بكر عاتكة بنت زيد بن عمرو وقد أحبها حتى اشتغل بها عن كل شيء فقال له أبوه: طلّقها، فطلقها. وقال:

فلم أر مثلي طلّقَ اليومَ مثلَها ... ولا مثلَها في غير شيء يطلّقُ

فقال أبوه راجعها يا بني فإني أراك محباً لها.

● تفويضُ الطلاقِ إليها

روي عن عائشة رضي الله عنها لما أنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ﴾[3] (آية) دخل النبي ﷺ وقال: إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي بشيء حتى تستشيري أبويك. قالت: وخشي النبي ﷺ حداثة سنّي فقلت: يا رسول الله وما ذاك؟ قال: إني أمرت أن أخيركن ثم تلا الآية علينا فقلت: فيم استشير أبوي بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة. فسر ﷺ بذلك نساءه فتواترن عليه. كانت امرأة عند الحسن بن الحسين بن علي فضجرت عليه يوماً فقال: أمرك في يدك.

---

(1) الضرار (هنا): عصيان ما أمره الله به.
(2) القرآن الكريم: البقرة/ 232
(3) القرآن الكريم: الأحزاب/ 28.

فقالت: أما والله لقد كان في يدك عشرين سنة فحفظته وما ضيّعته أفأضيعه في ساعة واحدة صار في يدي، قد رددت عليك حقك، فأعجبه قولها.

● طلاقُ السنة

قال الله تعالى ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[1] وقيل. طلاق السنة أن يطلقها وهي طاهر ثم يدعها حتى تنقضي عدتها أو يراجعها إذا شاء وروي أن ابن عمر طلّق امرأته وهي حائض، فأتى عمر النبي ﷺ فقال مُرْهُ فليراجعها، حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء طلقها قبل أن يراجعها، وإن شاء أمسكها، فبها العدّة التي أمر الله بها.

● الطلاقُ الثلاثُ

قال ابن عباس: كان الطلاق في عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث. واحدة، فقال عمر إنَّ الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم، وروى عكرمة عن ابن عباس قال. طلّق ركانة امرأته ثلاثاً في مجلس واحد، فحزن عليها حزناً شديداً فسأله النبي ﷺ كيف طلقتها؟ فقال: طلقتها ثلاثاً فقال في مجلس واحد؟ فقال نعم قال، فإنما تلك واحدة فإن شئت فراجعها وقال ابن عباس: إنما الطلاق عند كل طهر فتلك السنة التي كان عليها الناس والتي أمر الله بها.

● أحوالُ الطلاق

قال رسول الله ﷺ. ثلاث ليس فيهن لعب من تكلم بشيء منهن لاعباً فقد وجب عليه الطلاق والعتاق والنكاح. وأما طلاق المكره فغير واقع لقوله ﷺ رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وقال ﷺ: لا طلاق في إغلاق. وقال: لا طلاق لامرىء في ما لا يملك، ولا عتاق فيما لا يملك، وروي من طلق ما لا يملك فلا طلاق له

● منعُ الزوجِ منها بعدَ الثلاثِ

إذا طلق الرجل المرأة ثلاثاً، فلا يحلّ له أن يراجعها حتى تنكح زوجاً غيره قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ﴾[2] (الآية) وروي أن رفاعة القرظي طلق امرأته فبت طلاقها، فتزوجها بعد رفاعة عبد الرحمن بن الزبير، فجاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إني كنت عند رفاعة فطلّقني وإنه ليس معه إلا مثل هدبة الثوب فتبسّم النبي ﷺ وقال لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة لا، حتى تذوقي عسيلته، ويذوق عسيلتك وأبو بكر جالس عند النبي ﷺ وخالد بن سعيد بن العاص جالس على باب الحجرة لم يؤذن له، فطفق خالد يتأذى ويقول: ألا تزجر هذه عمّا تجاهر به الرسول ﷺ. وروي أنها جاءت بعد فأخبرته أن قد مسّها فقال. اللهم إن كان ما بها إلا أن تحبه الرجعة فلا تتم لها نكاحه مرة أخرى فلم يتفق

---

(١) القرآن الكريم: الطلاق/ ١.

(٢) القرآن الكريم البقرة/ ٢٣٠

تزوجه بها. وسئل ﷺ عن المحلل فقال: لا، إلاّ نكاح رغبة ولا مستهزئ بكتاب الله لعن الله المحلِّل والمحلَّل له، وفي حديث آخر المستحل والمستحل له.

● مراجعةُ المرأةِ

روى عن أنس قال: طلق رسول الله ﷺ حفصة فرجعت إلى أهلها فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[1]. وقيل له: راجعها فإنها صوّامة قوّامة وأنها إحدى نسائك وأزواجك في الجنة

● ذمُّ المريدةِ لطلاقِ زوجِها والمختلعةُ

قال النبي ﷺ: أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس، حرم الله عليها رائحة الجنة وروي أن حبيبة كانت تحت ثابت بن قيس فكرهته، فجاءت إلى النبي ﷺ فقالت: لا أنا ولا ثابت، ولولا مخافة الله لبصقت في وجهه. فقال: أتردين عليه الحديقة التي أصدقك؟ قالت: نعم. فجمع بينهما فردت عليه الحديقة وفرّق بينهما. فكان أول خلع وقع في الإسلام.

● العدّةُ

كانت المرأة إذا مات زوجها تعمد إلى أخشن ثيابها فتلبسه وتقعد في البيت سنة، فإذا كان رأس الحول خرجت ورمت ببعرة على حمار وقالت: قد حللت الآن. ثم أنزل الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾[2] (الآية) وروى أن امرأة توفي عنها زوجها فشكت إلى رسول الله ﷺ أنها اشتكت عينها فهل لها أن تكتحل؟ فقال: كانت إحداكنّ تمكث في بيتها في شر أحلاسها حولاً، فإذا مر كلب رمته ببعرة ثم خرجت أفلا أربعة أشهر وأما عدة المطلقة فثلاثة قروء. وعند الشافعي رضي الله عنه القرء الطهر، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه الحيض. وأهل اللغة يعدون هذه اللفظة من الأضداد وقوله تعالى ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[3] في المطلقة والمتوفى عنها جميعاً.

● الظهارُ والإيلاءُ

كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية: أنت عليّ كظهر أمي حَرُمتْ عليه. وكان أول من ظاهر في الإسلام أوس ابن الصامت وكانت ابنة عم له تحته يقال لها خولة فظاهر منها فسقط في يده، وقال: ما أراك إلا قد حرمت عليّ فجاءت إلى النبي ﷺ فسألته فقال: يا خولة ما أمرنا في أمرك بشيء فأنزل الله تعالى ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[4]، فقال لها ادعي زوجك فدعته فقال: هل تجد رقبة تعتقها؟ فقال: لا أملك رقبة غير هذه، وضرب بيده على عنقه فقال له: تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين، فقال إذا لم آكل في اليوم ثلاث

---

(١) القرآن الكريم: الطلاق/ ١

(٢) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٣٤.

(٣) القرآن الكريم: الطلاق/ ٤.

(٤) القرآن الكريم: المجادلة/ ١.

مرات غشي عليّ، فقال: أطعم ستين مسكيناً فقال والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا وحشا مالنا طعام. فدفع إليه خمسة عشر صاعاً فقال ما بين لابيتها أحوج إليه منّي فقال: كله أنت وعيالك. والإيلاء هو أن يحلف أن لا يجامع امرأته أربعة أشهر وما كان دون ذلك فليس بإيلاء ومتى حلف كذلك فقد قال الله تعالى ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾[1] الآية

(٣)

ومما جاء في العفة

•

قال ﷺ: من حفظ ما بين لحييه ورجليه دخل الجنة. وقال: من وقي شر لقلقه وقبقبه وذبذبه فقد وقي شرة الشباب.

وسئل عن أكثر ما يدخل الرجل النار فقال: الأجوفان الفم والفرج. وقيل لبطليموس: ما أحسن أن يصير الإنسان عما يشتهي؟ فقال: أحسن منه أن لا يشتهي إلا ما ينبغي، وقيل في قوله تعالى ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[2] قيل: هو الرجل يحلو بالمعصية فيتركها خوفاً من الله رجاء ثوابه وخوف عقابه.

وقال ابن عباس: الشيطان من الرجال والنساء في ثلاثة منازل في النظر والقلب والفرج. وقال ﷺ: العينان تزنيان والرجلان تزنيان ويحقق كل ذلك الفرج. وكان طاوس تمثلت إليه امرأة تراوده فواعدها يوماً إلى رحبة المسجد فلما حضرت إليه قال: إيحصعي. قالت: ههنا قال: نعم إن الذي يرانا ههنا يرانا في الخلا فاقشعرت المرأة وانزجرت وتابت.

● مَنْ تعفَّف عند مشارفة بلوغ الشهوة

قال الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾[3]، لولا أن رأى برهان ربه. واجتمع بعض الأعراب بامرأة فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة ذكر معاده، فاستعصم وقام عنها، وقال: إن من باع جنة عرضها السموات والأرض بمقدار فتر بين رجليك لقليل البصر بالمساحة.

وكان سليمان بن يسار مفتي المدينة من أحسن الناس وجهاً فدخلت إليه امرأة فسامته نفسه وقالت: إن لم تطاوع لأخبرنَّ الناس أنك فعلت ولأفضحنك. قال: نعم وتركها في البيت وخرج وفرّ ثم رأى في منامه يوسف عليه السلام فقال له: يا يوسف أنت الذي هممت فقال له: وأنت الذي لم تهم.

وقال رجل لسقراط: إني تفرست فيك أنك تميل إلى الزنا فقال له صدقت فراستك إني أشتهيه ولكني لا أفعله. وقلت لبعض متصوفة إنك لوطي فقال: ما تقول في لص لا

---

(١) القرآن الكريم البقرة/ ٢٢٦ (٢) القرآن الكريم النازعات/ ٤٠.

(٣) القرآن الكريم: يوسف/ ٢٤

يسرق هل يلزمه القطع؟ ومرّ القس بسلامة المدنية وهي تغني فأعجبته وطرب وقال: والله إني أحبك. فقالت: نفسي بين يديك فما يمنعك؟ فقال: يمنعني قول الله تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين، وأخاف أن تكون خلتنا اليوم عداوة يوم القيامة.

● **امرأة تعرّض لها رجلٌ فَدَعَتْهُ إلى العَفافِ**

قال أعرابي: خرجت في ليلة بهيمة فإذا أنا بجارية كأنها علم فراودتها **فقالت**: أما لك زاجر من عقل إن لم يكن لك ناهٍ من دين؟ فقلت: إنه لا يرانا إلا الكواكب **فقالت**: وأين مكوكبها؟ ونزل أسدي بطائية في يوم صائف فأتته بقرى[1] فمشته بعينيها من وراء البرقع فراودها[2]، **فقالت**: أما يردعك الكرم والإسلام؟ كُلْ وأقِلْ وإن أردت غير ذلك فارتحل.

ورُوِيَ أن أبرويز راود امرأة عن نفسها، **فقالت**: أيها الملك إن المرأة طبعت على ثلاثة أجزاء من الإنسانية فإذا افتضت ذهب جزء، وإذا حملت ذهب جزء وإذا ولدت ذهب جزء، وقد أبيت عن ذلك. فأنا أعيذ الملك أن يخرجني من حد الإنسانية.

وقيل: انقطع بعض أولاد الملوك عن أصحابه ودخل إلى منزل امرأة فراودها، **فقالت**: حتى تتغدى. فوضعت له خواناً عليه عشرون سكرُجة[3] كلها كامخ فذاقها فرآها لوناً واحداً، وطعماً واحداً ففطن إلى أنها تشير إلى أن النساء لون واحد وأن الذي معها مع زوجته، فانكفّ عنها.

● **الممدوحُ بذلك**

قال شاعر:

خلوْتُ بها ليلاً ولم أقضِ حاجةً ... ولستُ على ذاك العفافِ بنادمِ

قال المتنبي:

عفيفٌ تروقُ الشمسَ صورةُ وجهه ... فلو نزلت يوماً لحادَ إلى الظِّلِّ

وقال:

كم حبيبٍ لا عذْرَ في اللوم فيه ... لكَ فيه من التُّقى لوّامُ

وسمعت امرأة رجلاً ينشد:

وكم ليلةٍ قد بِتُّها غيرَ آثمٍ ... بمهضومةِ الكشحَيْن ريّانةِ القَلْبِ

قالت له: خزاك الله ألا تأثمت.

● **من تعفّف عن امرأة حراماً فأوصله الله إليها حلالاً**

كان لأمير المؤمنين عليه السلام جارية وعلى بابها مؤذن إذ اجتازت به يقول لها: أنا

---

(1) القِرى: ما يقدّم للضيف. (2) راودها: خادعها وطلب منها المنكر.

(3) السكرُجة: الصحفة التي يوضع فيها الأكل (واللفظة فارسية)

أحبّك فضحكت الجارية لأمير المؤمنين فقال لها: قولي له وأنا أحبك، فماذا؟ فقالت له، فقال: نصبر إلى يوم يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب. فأخبرت أمير المؤمنين بذلك فدعاه وقال: خذ هذه الجارية فهي لك.

- **صعوبةُ الأمر على من اجتمع فيه العفّةُ والغزلُ**

نظر محمد بن عبد الله بن الحسين إلى امرأة جميلة فأعجبته، فقال:

أهوَى هوى الدينِ واللذّات تعجبُني ... فكيفَ لي بهوى اللذات والدّينِ

فقالت يا هذا دَعْ أحدهما تنل الآخر. قال المتنبي:

إذا كنتَ تخشى العارَ في كلّ خلوةٍ ... فلم تتصبّاك الحسانُ الخَرائدُ[1]

متى يشتفي من لاعجِ الشوقِ في الحشى ... محبٌّ له في قربهِ متباعدُ

- **المتعفّف عن الجارة**

مرّ سفيان بن عيينة بدار فسمع قينة تغني:

ما ضرّ قوماً كنتُ جارَهم ... ألّا يكون لبيتهم سترُ

ساري ونارُ الجار واحدةٌ ... وإليه قبلي يُنزلُ القِدْرُ

فدقّ الباب وقال مثل هذا علموا فتيتكم.

قال حاتم الطائي:

وما تشتكيني جارتي غيرَ أنّني ... إذا غابَ عنها زوجُها لا أزورُها

سيبلُغُها خيري ويرجع بعلُها ... إليها، ولم تُرْسَل عليها ستورُها

وقال:

ربّ بيضاءَ فرعُها يتثنّى ... قد دعتني لوصلها فأبيتُ[2]

لم يكنْ بي تحرّجٌ غيرَ أنّي ... كنتُ خِدْنًا لزوجِها فاستحَيْتُ[3]

قال أبو تمام:

بيضاءُ كان لها من غيرِها حرمٌ ... ولم يكن يستحلّ الصيْدُ في الحرمِ

- **التغازلُ بالنظرِ والقولِ دون الفعلِ**

قيل لأعرابي: ما الزنا عندكم؟ فقال: الشمّة والضمّة والقبلة. فقيل: لكن أهل القرى يعدون ذلك المباضعة فقال: ليس ذلك زنا إنما هو طلب ولد. وقالت جارية لرجل:

إن كانت الغلمةُ هاجتْ بكم ... فعالجِ الغلمةَ بالصومِ

---

(١) الخرائد: جمع خريدة وهي المرأة البكر لم تمس، والحيّية، ولؤلؤة خريدة: لم تثقب.

(٢) فرعها يتثنى: الفرع الشعر التام، وتثنى فرعها أي تمايل زهواً.

(٣) الخِدن: الصاحب.

لَيسَ بِكَ الحبُّ ولكنّما تحومُ من هذا على الكوم[1]

وقيل: إن عمر بن أبي ربيعة لما اشتدّ به المرض بكى أخوه فرفع طرفه وقال: لعلك تشفق مما قلته في شعري؟ قال: نعم. قال: عتق ما أملك أن وطئت امرأة حراماً قط. فقال: الحمد لله هوّنت عليّ.

وقال أبو زيد: كان الرجل إذا عشق جارية فراسلها سنة رضي بأن تمضغ علكاً فتبعثه إليه، والآن لا يرضى إلا أن يشيل رجليها كأنه قد أشهد على نكاحها أبا هريرة وحربه.

وقال أعرابي: خلوت الليلة بعلانة فكان لقمر يريبها فلم عاب خلقته. قيل: فما جرى؟ قال: الإشارة بغير بأس والتقرب بلا مساس.

قال ابن طباطبا:

فَطَرِبْتُ طَرْبةَ فاسقٍ متهتّكٍ وعقدتُ حبوةَ ناسِكٍ متحرّجِ
واللّهُ يعلمُ كيفَ كانتْ عفّتي ما بينَ خلخالٍ هناكَ ودُمْلجِ

قال العباس بن الأحنف:

أتأذنونَ لِصَبٍّ في زيارتِكم فعندَكم شهواتُ السمعِ والبصرِ
لا يُضمرُ السوءَ إنْ طالَ الجلوسُ به عفُّ الضميرِ ولكنْ فاسِقُ النظرِ

وقال أبو حيّة

إنْ تروني فاسقَ العينيْنِ فالفرجُ عفيفُ ليسَ إلا النظرُ الفاسقُ والشعرُ الظريفُ

وقال الحصين بن سهم:

وما في اكتحالِ العينِ بالعينِ ريبةٌ إذا عفَّ فيما بينهنّ السّرائرُ

● امرأة شارفت شهوةً فارتدعتْ لِكَرمٍ أوْ دِيانَةٍ

حُكي أن امرأة عشقت فتى فدعاها يوماً فأجابته فغنّى معنّ عندهما

منَ الخفِراتِ لمْ تفضحْ أخاها ولمْ ترفعْ لوالدِها شَنارا[2]

فلما سمعت ذلك أبت إلا الخروج ثم بعثت للرجل بألف دينار وقالت: هذا مهري، فإن أردتني فاخطبني من أبي.

واشترى عبد الملك جارية فلما خلا بها، قالت: يا أمير المؤمنين ما منزلة أرفع منزلة من منزلة هذه، ولكن القيامة لها خطر، إنّ ابنك فلاناً كان قد اشتراني وخلا بي ليلة فلا يحلّ لك مسّي. فاستحسن قولها وولّاها أمر داره.

● عفيفةٌ ألفت بريبةٍ عن نَفسِها

لما أكثر الأحوص التشبيب بأم جعفر المخضّبة جاءته يوماً متنقبة وهو في نادي قومه،

---

(١) الكوم: الموضع المشرف كالتلّ.
(٢) الخفرات: الحييات جمع خفرة.

فقالت. إدفع لي ثمن الأغنام التي ابتعتها مني فقال: والله ما ابتعت منك شيئاً. فقالت لقومه: قولوا له لا يجحد الحق. فقالوا. ن كان حق فلا تجحدنّه. فقال والله ما عرفتها قط فتكشمت عن وجهها وقالت: لعلك لا تستثبتني، فقولوا له يستثبتني فقالوا له: فقال. والله ما عرفتها قط ولا رأيتها ولا شاهدتها. فقالت مالك تشبب بي وتفضحني؟ فخجل وانزجر ولم يعد وكذّبته عشيرته.

● امرأةٌ لطيفةُ القولِ بعيدةُ التناولِ

قال شاعر:

يحسبْنَ من لين الحديثِ زوانيا ... ويصدّهنّ عن الخنا الإسلامُ

ومرّ عبد الله بن جعفر بامرأة مزيّنة معتنية جالسة على باب دارها وفي يدها سبحة، فقال: ما التسبيح بمشابه لحالك؟ فأنشدت.

ولله عندي جانبٌ لا أضيعُه ... وللهو مني جانبٌ ونصيبُ

ولستُ أبالي من رماني بريبةٍ ... إذا كنتُ عندَ الله غيرَ مُريبِ

وقال علي بن الجهم:

وقلْنَ لنا نحنُ الأهلّة إنّما ... نضيءُ لِمَن يسري بليلٍ ولا نُقري

فلا بذلَ إلا ما تزوّدَ ناظرٌ ... ولا وصْلَ إلا بالخيال الذي يسري

وزاد أبو سعيد الرستمي فقال:

وحسناء لم تأخذْ من الشمسِ شيمةً ... سوى قربِ مسراها وبعدِ منالِها

وقال المتنبي:

كأنّها الشمسُ تعيي كفَّ قابِضها ... لبعدِها ويراها الطرْفُ مقترِبا

● مدحُ المرأةِ العفيفةِ

قال الشنفرى[1]:

لقدْ أعجبَتْني لا سقوطٌ قناعها ... إذا ما مشت ولا بذاتِ تلفّتِ

كأنّ لها في الأرض نسياً تقصّه ... على أمّها أو إن تكلّمك تبلتِ

وقال جميل:

خودٌ من الخفِرات البيضِ لم يرَها ... بساحة البيت لا بعلٌ ولا جارُ

(1) الشنفرى (أوائل القرن السادس) هو ثابت بن أوس الأزدي من شعراء الجاهلية الصعاليك له «لامية العرب» ومطلعها

أقيموا بني أمّي صدور مطيّكم ... فإنّي إلى قوم سواكم لأميلُ

وقال حسّان:

حصانٌ رزانٌ ما تُزن بريبةٍ

وقال الموسوي:

دونَ القِبابِ عفافٌ مع حلاتقها والصوتُ تحفيظ ما لا تحفّظ الجيَمُ

وكانت قرشية رأى شعرها رجل محققه وقالت لا أريد شعراً اكتحل به نظر غير ذي محرم.

● من تجنّب العفة فاستوخم عقبى[1] أمرِهِ

من ذلك حبر يسار الكوكب، وهو عبد تعرض لابنة سيده فقالت له. يا يسار شرب من هذا السمار وقل في ظل الأشجار وإياك وبنت الأحرار فلما أبى دعته إلى نفسها، وكانت قد أعدت موسى فجبت به مذاكيره، فصار مثلاً

وكان أبرويز اختبر رجلاً فرآه رابياً حائناً فوسمه بسمة الزناة ونفاه من المدائن فأخذ موسى وجب نفسه وقال من أطاع عضواً صغيراً فسدت سائر أعضائه فمات من ساعته

(٤)

وممّا جاء في الغيْرة والتديث[2]

● مدحُ الغيرة

قال النبي ﷺ لا خير فيمن لا يَغار. وقيل: كلّ محب بلا غيرة فهو محب كذاب وقيل. لا كرم في من لا يغار وقال قيس بن زهير لما تزوّج في غير قومه لامرأته أنا غيور فخور أنف ولكني لا آنف حتى أضار، ولا أفخر حتى أفاخر، ولا أغار حتى أرى وإنما على رؤية الإمارة لا رؤية المواقعة ودخولٍ لليل في المكحلة

● الحثُّ على حفظ النساء

إنّ الكريمة ربّما أزرى بها لينُ الحجاب وضعفُ من لا يغرمُ

وكذاكَ حوضُك إن أضعْتَ فرته يوطأ ويشرَب ماؤه ويهدَّمُ

● مَدْحُ تركِ الإفراطِ في الغيرة

قيل. كثرة الغيرة إضجار وقلتها اغترار وقال معاوية رضي الله عنه من السؤدد الضلع واندحاق البطن وترك الإفراط في الغيرة. قال مسكين الدارمي:

ألا أيّها الغائرُ المستشيطُ على من تغارُ إذا لم تغرْ

فما خير عرسٍ إذ خفتَها وما خيرُ بيتٍ إذا لم يُزرْ

---

(١) عقبى: نهاية.

(٢) التديث: الليونة

يغارُ على الناسِ أن ينظروا ... وهل يفتنُ الصالحاتِ النظَرْ
فإنّي سأخلي لها بيتَها ... فتحفظُ لي نفسها أو تذَرْ

قال الخالدي: ما أراه إلا وكان يقول بالإباحة وإلا فلِمَ يجوّز ما يأنف منه الأحرار

وقيل: إتهام الرجل المرأة في غير موضع لتهمة يدعوها إلى ارتكابها.

● **تركُ الغيرةِ على القيانِ والتمدحُ بذلك**

أتى معاوية رضي الله عنه بالفيل فصعد سطحاً يرى الفيل فلما أشرف رأى في خزانة رجلاً مع جارية له، فقال لها: يا فلانة هذا أخوك الذي كنت تذكرينه؟ قالت: نعم فقال: أصعد أيها الرجل فصعد، فقال: أعجبتك الأماكن كلها إلا داري أتراك عائداً؟ قال: لا. فقال معاوية وعلى من يخرج هذا الحديث لعنة الله

قال شاعر:

لا تغارَنّ على جاريةٍ ... إنما الغيرةُ من سوءِ الخُلُقِ
إقصِ أوطارَكَ منها ثم قمْ ... إنما أنتَ لمزارِ الطرقِ

وقيل لبعض عشاق قينة: ألا تغار عليها؟ فقال: إمنع الناس عن ورود الفرات، وأنشد:

وإذا ما أردت أن تمنع الناس ... من ورود الفرات كنتَ سفيها

وقال آخر:

أأمنعُ مِنْ وادي ربالةَ شربةً ... وقد نهلتْ منه الكلابُ وعلّت

وكتب ماج إلى غلام يعشقه وكان قد تهدّده بمواصلة غيره، فقال:

لا تمنعَنَّ حِمى إزارِكَ سيدي ... خلْقاً من البيضانِ والسّودانِ
فليبلغنّكَ من جميلِ تغافلي ... ما لمْ تسلمْ قطُّ من كشخانِ
مالي أروعُ بالقُرونِ كأنّني ... في الناسِ أولُ عاشقٍ قرنانِ

قال الخبزارزي:

قالوا تحبُّ فلا تغارُ فقلْ لهُمْ ... لا يمنعُ الماعونَ عندي مَنْ عقلْ
إنْ مسَّه دنسُ الإجارةِ مرّةً ... فالماءُ يغسلُ عذْرَ ذاكَ إذا اغتسَلْ

● **منع المرأة من الاكتحال برؤية الرجل**

قال عمر: ولأن يرى امرأتي ألف رجل أحب إليّ من أن ترى امرأتي رجلاً واحداً، وحج الأشجعي بامرأته فنظر إلى الناس يوم التروية فهاله كثرتهم فقال: إن رجلاً يدخل امرأته وسط هؤلاء لمجنون وضرب وجه راحلته وعاد ولم يحج، وقال:

وليس بحرٍّ من يوسّطُ زوجةً ... لهُ بينَ أهلِ الموسمِ المتقصدِ

وفيهم رجالٌ كالبدورِ وجوهُهم فمن سين ذي ظرفٍ كثيرٍ وأمْردِ

● وفي غيرة النساء

رُوي في الخبر: أيما امرأة غارت فصبرت دخلت الجنة. وقيل: غيرة النساء أشد من غيرة الرجال. وقيل: هذا خطأ فليس ما ينال المرأة إذا رأت امرأة على فراش زوجها، من جنس ما ينال الرجل إذا رأى رجلاً على فراش امرأته.

تزوّج رجل من همدان بنت عمه وكان محباً لها فلم يلبث أن ضرب عليه البعث إلى أذربيجان فأصاب بها خيراً واستفاد جارية تسمّى حبابة وفرساً يقال له الورد. فلما قفل القوم امتنع من القفول وقال أخشى أن امرأتي تمنع عليّ جاريتي، وإني لمشغوف بها، ثم قال:

ألاَ لا أبالي اليومَ ما صنعت هندُ إذا بقيت عندي حبَابةُ والوردُ

شديدُ مناطِ المنكبين إذا جرَى وبيضاءُ مثلُ الرّيم زيّنها العِقْدُ

فسمعت بذلك المرأة فكتبت إليه:

ألا فاقرِه مني السلامَ وقلْ له غنينا بفتيانٍ غطارفةٍ مُرْدِ[1]

إذا شاء منهم ناشئٌ مدَّ كفّه إلى كفل ريّان أو كاعبٍ نهد

فأرسل لنا مثلك السراحَ فإنّه مُتاحٌ ولا تدعو لك اللهُ بالردُّ

إذا رجعَ الجندُ الذي أنت فيهم فزادك ربُّ الناس بعداً إلى بعْدِ

فلما وصل إليه الكتاب باع الجارية وبادر إليها فرآها معتكفة في مصلاها فقال: ما فعلت؟ فقالت: معاذ الله أن أركب محرّماً ولكني أردت أذيقك طعم الغيرة كما أذقتني.

وكان رجل بالكوفة متزوجاً بابنة عمه وله ضيعة بالبصرة يخرج إليها في كل سنة، فتزوج امرأة بالبصرة فسقط خبرها إلى ابنة عمه فكتبت يوماً كتاباً عن أم البصرية تعزّيه في ابنتها وتستعجله لقسمة ميراثها ودفعته إلى رجل غريب وأمرته أن يوصله إليه خفية فلما قرأه تجهّز، وقال: إنّ أمر ضيعتي بالبصرة قد تشعّث، ولا بد من أن ألم بها. فقالت المرأة: كم تقول البصرة؟ أحسبك ذا امرأة بالبصرة تشتاق إليها أحلف لي بطلاق كل زوجة لك بالبصرة. فقال الرجل في نفسه: وما يضرني ذلك وقد ماتت امرأتي بها؟ فحلف لها فقالت: استقر الأمر فلا بأس بالضيعة وأخبرته بالخبر.

● جوازُ نهي الرجل عن التزويج بغير زوجته وخطرُ ذلك عليه

رُوي أن النبي ﷺ صعد المنبر يوماً فقال: إن بني هشام بني المغيرة استأذنوني أن ينكحوا فتاتهم علياً ألا فلا آذن ثم لا آذن ثلاثاً إلا أن يحب عليّ أن يطلق ابنتي وينكح فتاتهم. إن فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها، وقال ﷺ: جدع الحلال أنف الغيرة.

---

(١) غطارفة: جمع غطريف أو غطروف وهو الشاب الظريف، والغطريف السيّد السّخي.

● الميلُ إلى كل ممنوع والرغبةُ عن كل مبذولٍ

قال ابن الطثرية:

أعافُ الذي لا هولَ دونَ لقائِه ... وأهوى منَ الشُّرْبِ الحريزَ الممنَّعا

قال أبو تمّام:

إني امرؤٌ أسِمُ الصبابةَ وسمَها ... وتعزُّلي أبداً بغيرِ المغزَلِ
غالى الهوى ممّا يرقِصُ هامتي ... ورويْتني الشغفَ التي لم تُنْهَلِ

● الرغبة عمّن يشرِكُك فيه غيرُك

قال شاعر:

تبِعْتُك لمّا كنتَ عندي ممنَّعاً ... وأمسكْتُ لمّا صِرْتَ نهباً مقسّما
ولا يلبَثُ الحَوْضُ الجَديدُ بناؤُه ... إذا كثُرَ الورّادُ أن يتهدّما

قال دعبل:

قَصَّرَ الغوايةَ عن هوَى قمرٍ ... وجدَ السبيلَ إليه مشتركا

وقال:

كيفَ أُصفي الودَّ مشتركاً ... لا آمنُ المشتركةَ فيه

وقال:

فإنْ تحمِلي ردفين لا آكُ فيهما ... فغيري رويداً لستُ ممّن يرادِفُ

● من غار على محبوبه مِنْ غيرِه

قال شاعر:

أغارُ عليكِ من الناظرين ... فلو أستطيع طَمَسْتُ العُيونا

قال ابن المعتز:

أغارُ عليكَ من قُبَلي ... وإن أعطيتني أمَلي
وأشفِقُ إن رأى خدَّيْـ ... ـكَ بعضُ مواقعِ المقلِ

وقال جميل بن معمر: ما رأيت مصعب بن الزبير يمشي بالبلاط إلا لحقتني الغيرة على بثينة وهي بالجناب. وكان مالك ابن طوق شديد الغيرة تزوج بامرأة فلم يأذن لأخيها عليها إلا بعد سنة، قال عبد الرحمن بن أحمد بن يوسف:

أغارُ على قميصك حين تلبسُه وأتهمه

قال شاعر:

أغارُ على نفسٍ لها وتغارُ لي ... على نفسِها إن الهوى لعجيبُ
على أنّنا لم نَدْنُ يوماً لريبةٍ ... ولا مثلُنا فيمن يريبُ مريبُ

وقال الخبزارزي:

إنّي لأحسُدُ ناظري عليكا ... حتّى أغضّ إذا نظرتُ إليكا

● الصائن محبوبه عن ذكره عند الرِّجال

وقال الحكيم بن قنبر:

ولستُ بواصفٍ أبداً خليلاً ... أعرّضه لأهواء الرّجالِ

وما بالي أشوّق عين غيري ... إليه ودونه سجف الحجالِ

كأنّي أشتهي الشركاء فيه ... وآمن فيه تغيير الليالي

● من رضي بميل محبوبه إلى غيره

قال علي بن عبد الله بن جعفر:

ولمّا بدا لي أنّها لا تحبّني ... وأنّ هواها ليس عنّي بمنجلي

تمنيتُ أن تهوى هوايَ لعلّها ... تذوقُ صباباتِ الهوى فترقّ لي

فعير بهذا حتّى أنه كان يسمى المتديّث في شعره. قال: وكنت محبوساً في بعض الأحايين فجاء رجل إلى باب السجن، فقال أين المتديث في شعره؟ فقلت: لئن كان مني ذلك القول فإني أقول:

ربّما سرّني صدودك عنّي ... وإذا ما خلوتُ كنتَ التمنّي

وأنشد بحضرة عبد الملك بن مروان قول نصيب:

أهيمُ بدعدٍ ما حييتُ فإن أمتْ ... فيا حربا ممن يهيمُ بها بعدي[1]

فقال بعض من حضر لقد أساء القول بل كان ينبغي أن يقول:

أوكلُ بدعد من يهيمُ بها بعدي

فقال هذا أشرّ من الأول، بل يقال:

فلا صلحتْ دعد لذي خلة بعدي

● حكم لقاء الرجل بحرمته منكراً

قال عبد الله كنا في مسجد رسول الله ﷺ إذ دخل رجل فقال: أرأيتم إن وجد الرجل مع امرأته رجلاً فتكلم به جلد ظهره، وإن قتل قتل وإن سكت سكت على غيظه. فقال اللهم افتح فجعل يدعو فأنزل الله تعالى آية اللعان ـ ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾[2] (الآية) فجاء هو وامرأته إلى النبي ﷺ فتلاعنا، فلما التفت قال: أنظروا فإن جاءت به أسحم أدعج العينين عظيم الإليتين خدلج الساقين فلا أحسب عويمر إلا وقد

---

(١) يا حربا أو واحربا: كلمة يندب بها الميت، وتستخدم للتأسف.

(٢) القرآن الكريم. النور/٦.

صدق عليها، وإن جاءت به أحيمر كأنه وحرة فلا أحسب عويمر إلاّ وقد كذب.

وقال النبي ﷺ لرجل سأله عمن رأى رجلاً مع امرأته: كفى بالسيف شيئاً، أراد شاهداً ثم سكت تفادياً من أن تسبق الغيرة إلى نعيرة فيرتكبوا من ذلك محظوراً.

● الرّضى بالتديث

رُوي أن رجلاً قال للنبي ﷺ إنّ امرأتي لا تَرُد يد لامس. قال: طلّقها. قال إني أحبها قال: فأمسكها إذاً. وقال الجاحظ: إن جماعة من الرافضة يقولون بالوفاية إذا اعتلت امرأة أحدهم، استعار امرأة غيره بشريطة أن لا يتعرض للفرج بل لما دونه. ولما ملك قباذ خرج مزدك فدعا الفرس إلى الزندقة فقال: تبادلوا النساء والأموال فأجابوه.

ودخل يوماً مزدك فرأى أم أنوشروان فسأل قباذ أن يدفعها إليه فقبل قباذ وجعلّه أن يتجافى عنها فعمل. فلما مات قباذ وتولى أنوشروان دخل مزدك فأمر أن يقتل وقال: ما ذهبت ريح جوربك من أنفي بعد فقتله وقتل مائة ألف من الزنادقة في غداة واحدة.

وقال رجل لآخر: امرأتك قد كثر ناكحوها فقال لو ناكها أهل منى ما أرادت إلا حظوة عندي. وقالت امرأة لزوجها: يا ديوث يا مفلس، فقال: واحدة من الله وواحدة منك عما ذنبي أنا.

● في التزوّج برقيقة الحافر أو مثلولة

قال أبو الشمقمق لمن أراد التزوج: تزوج بقحبة فقال: ما هذا؟ فقال: إسمع. القحبة تكون أملح وأحرى بأن تكون عالمة بما يحبه الرجال وتأخذ نفسها بالتنظيف، ومتى قلت لها يا زانية لم تأثم، ثم إنها تجتهد أن لا تأتيك بولد ثم أنها تعرف أنك تعرفها فلا تتكبر.

وفي أخبار أبرويز أنه انقطع يوماً عن عسكره فدخل قرية، وكان بها له امة، يقال لها شيرين في نهاية الجمال، فتزوج بها ثم لحقه عسكره فتكلم فيه فصنع طعاماً فأكلوا. ثم أحضر لهم شراباً ثخيناً يطوف به غلمان سود فعافوه، فطاف نصاف مع حسان فشربوا، وعلموا أنه يشير أن شيرين إنما اصطفاها بعد الطهارة.

المغير بفساد الحرمة

قال ابن طباطبا في أبي علي الرستمي:

أغلق الرستميّ باب حديد	حذقة الباب من قبيح اللقاءِ
إنّ دارَ الرجالِ وجهُك يكفيـ	ـها فعلّقهُ بابَ دار النساءِ

وكان بعض القضاة اتهم ابنته برجل فأخذه وضربه وحضر مجلس الوزير ابن الزيات، فقال:

فيا أهلَ ليلى كيف يُجمعُ شملُها	وشملي وفيما بينَنا شنّتْ الحربُ
لها مثلُ ذنبي اليومَ إن كنتُ مُذنباً	ولا ذنبَ لي إن كانَ ليسَ لها ذَنْبُ

فنكس القاضي رأسه وعلم أنه المعني.

قال بعضهم:

يا إخوتي إنّ القيامة دانيه ... زانٍ يحدّ ولا تحدّ الزانيه

إن كان هذا في الحكومة جائزاً ... مستعملاً زني النساء علانيه

قال الخوارزمي:

زفت إليك صديقة ... لفتى معزت له شريكا

فعليك كل مؤنة ... وعلى شريكك أن ينيكا

قال أبو علي البصيري وهو من الغايات في هذا الباب:

أمست كشاحة الدنيا بأجمعها ... بيادقاً وعدوت الرخ والشاها[1]

وقال آخر:

دهتك بعلة الحمام خود ... ومالت في الطريق إلى سعيد

أرى أخبار بيتك هتك تطوى ... فكيف وليست ديوان البريد

قال عمر بن سعدان:

سألت زوجها الخروج إلى الحمـ ... ـام ويا رب باطل في الحقوق

وأقامت بمأتم اللهو لا ... تم حق الشموف والتمزيق

وقال ابن عباد:

أيا سعد تزوجت العفيفه ... سخيف قد تجمع مع سخيفه

فتاة لو ينادي بايكوها ... لكانت، جيشها جيش الحليمه

إذا ما غاب يوماً عن ذراها ... يبيت لها ابن عم في القطيفه

● المعروفة أن أولادها من غير زوجها

أبو عمر السراج في أبي العيناء

جاء أبو العيناء فيما أشتهي ... من لذة العيش بلا مريبه

ينيك من يختار من أهله ... ويحصل الأعمى على التريبه[2]

وتزوج رجل بامرأة فأتت بولد من ستة أشهر فقال ما هذا؟ فقالت بنيت جدارك على أسّ غيرك. وقال بعضهم: رأيت رجلاً ومعه ابن لا يشبهه فقلت له: إن ابنك هذا لا يشبهك، فقال: وهل تدع جيراننا أولادنا تشبهنا.

---

(١) بيادق: جمع بيدق طائر من الجوارح بحجم الشق، والبيذق (بالذال) من أحجار الشطرنج - الرخ طائر وهمي - الشاة: الحادة البصر

(٢) التريبة: العظمة من الصدر جمع ترائب

قال كشاجم:

وَلَـــدَتْ لَــبَـلَـــةُ الـــزّفـــا ... فِ إلـــى بَـعْـلِـهَـا ذَكَـــر
قُـلْـتُ مِـن أيـن ذا الـغُـلا ... مُ ومـا مَـسَّـهَـا بَـشَـر
قَـالَ لـي بَـعْـلُـهَـا أَلَـمْ ... يـأتِ فـي مُـسْـنَـدِ الـخَـبَـر
ولَـدُ الـمـرءِ لِـلـفِـرا ... شِ ولِـلْـعَـاهِـرِ الـحَـجَـر
قُـلْـتُ هَـنِّـيـتُـهُ عَـلَـى ... رَغْـمِ مَـنْ خَـالَـفَ الأثـر

قال عيدان:

والمستمون إليه من أولاده ... الله يعلم أنهم أولادي

وقال مقال:

لك أنثى تزيف في كل عش ... وترني المراح في أعشاشك

وقال أبو تمام وقد قلب المعنى

لو كان حوضاً سابه وجدوره ... قلت بنوها عنده وبناتها
إن السلاذ إذا السيول تعاورت ... ساحاتها عم القصاة نباتها[1]

● من رأى حرمته على مكروهٍ فلم يُنكِرْهُ

دخل رجل على امرأته فرأى عندها رجلاً كانت تعرف به فقال له الزوج: أَقِلّ الاجتماع معها فإن الناس يذكرونك بها، فقال له: لا يجوز لهم ذلك حتى يروا الميل في المكحلة

وكان رجل يأتي امرأة فقالت له يوماً وهو يواقعها: إن الناس يتهموني بك، فقال لها: ما عليك أن تؤجري ويأثموا. ودخل رجل على امرأته فرآها تحت رجل فلما فرغ منها العشيق أخذ الزوج بيكها ويقول له: أنظر إلى عشيقتك تحتي.

● مَن حمل على امرأته وصديقته

قال الرقاشي في دعبل:

لدعبل حرمة يمت بها ... ولست حتى الممات أنساها
أدخلنا داره فأكرمنا ... ودسّ لي امرأته فنكناها

قال فلما سمع دعبل قال لو قال، المتخلف فعفناها كان أبلغ في الهجاء وأعف وقوله: فحقناها أقرب من قول الراعي

فلما قضينا من رباب لبانة ... أرادت إلينا حاجة لا نريدها

(١) تعاورت: تداولت

قال دعبل في الرقاشي:

إن الرقاشي من تكرمه ... سلعه منه منتهى همته
يبلغ من بره ورأفته ... حملان إخوانه على حرمه

قال ابن الرومي:

يدخل في زوجته ... أير سواه بيديه

قال ابن الحجاج:

لي حريف أفديه في كل حال ... فهو والله من سراة الرجال[1]
بت مع عرسه وكان هو الغا ... ئب في ليلة تسود الليالي
فتكرهت قربها أي بأني ... رجل لا أريد غير الحلال
ورأى حشمتي فقال حبيبي ... ليس هذا طريق نيك عيالي
تشتهي أن تكون في صورة العبـ ... ـد وإلا في صورة الأنذال
فابق إني رأيت مثلك لا يحـ ... ـرز في صفعه طيوز الرجال

● من تعرض لصاحبه فجاوبه بما فيه قلف حرمه

قال الفرزدق لكثير وأراد أن يمسه: أكانت أمك بالبصرة وأنا بها؟ قال: لا ولكن أبي كان فيها مع أمك، وكان يكثر الثناء عليها ويقول رحمها الله تعالى، فقال الفرزدق: هذه عاقبة من تكلم فيما لا يعنيه.

وقال الفرزدق لزياد الأعجم أتكلمت ب أقلف[2]؟ فقال: ما أسرع ما أخبرتك أمك رحمها الله تعالى.

وقال ابن سمية للربيع بن قعنب

لقد رأيتك عرياناً ومؤتزراً ... فما علمت أأنثى أنت أم ذكر

فقال: لكن سمية قد علمت.

وقال إنسان لجرير: أنت تقذف المحصنات، قال: لكن أمك لا يصيبها من ذلك شيء

وقال عمر بن عبيدة: متى عهدك بالرب؟ فقال: مذ ماتت عرسك رحمها الله. وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب رضي الله عنهما: إن فيكم لشبقاً يا بني هاشم، فقال هو منا في الرجال ومنكم في النساء. وقال مدني لمخنث: مز بي ولاعبني كيف كنت يا أخي البارحة؟ فقال ما لقي إنسان أختك البارحة حتى تركت السوق وتمنيت الموت. ومر رجل بأكار فقال: لو أن هذه المزرعة تنبت أيوراً أين كنت تقعد؟ قال كنت أعمد إلى حرمة فأجعلها في حِر[3] أمك وأقعد مكانها.

---

(١) الحريف: معاملة في حرفته. (٢) أقلف: لم يختن. (٣) الحر: الفرج.

● **التعييرُ بالأكلِ مِنْ كَسْبِ امرأتِهِ**

قال شاعر:

جَواريكَ أطْعَمْنَكَ السُّكَّرَ وأنْزَلْنَكَ المَنْزِلَ الأكْبَرا
ولولا جَواريكَ ما أطْعَمو كَ على قُبْحِ وَجْهِكَ إلا خَرا

وكان رجل له امرأة تتكسب وتطعمه فطلقها وتزوج عفيفة فلم يجد ما كان يجده فذكر لها ذلك، فجاء يوماً فوجد طعاماً وشراباً فقال من أين هذا؟ فقالت: زارنا فلان فأكل وشرب وجامع وحمل إلينا طعاماً وشراباً وحلواء وهذا نصيبك. فقال: إذا تعاطيت مثل هذا فإياك وإخباري وتفاصيل ما يجري فإني غيور.

● **من ذكر حظوته عند حرمة صاحبه**

قال منصور بن باذان:

لئن كنتُ عندَكَ لا قدْرَ لي فعنْدَ عيالِكَ في المَخْنَقَه
وإن كنتُ عندكَ ذا تُهْمَةٍ فإنِّي بعِرْسِكَ عينُ الثِّقَة

● **منْ قَذَفَ امرأته برجلٍ فرأى حقيقة ذلك**

وقع بين مزيد وبين رجل خصومة فقال الرجل: أتخاصمني وقد نكت امرأتك كذا كذا مرة. فرجع إلى إمرأته فقال: أتعرفين فلاناً؟ فقالت: أبو فلان فقال: ناكك والله. وقال أبو عمرو بن العلاء أقبلت من مكة ومعي جمّال فجعل يقول:

يا ليتَ شعري هل بَغَتْ عليه

فسمع رجلاً يقول:

نعَمْ بغَتْ وناكَها حجيو

فرجع إلى إمرأته وقال لها أتعرفين فلاناً؟ فقالت: ما زال لنا متعهداً وفي حاجاتنا سريعاً فأحس بالشرّ فنظر فإذا الرجل في فقال: إذهبي فأنت طالق

● **وصفُ المرأةِ الفاسدة**

تقول هي رقيقة الجاعر وهي واسعة الحبل، قال شاعر

ألمّا على دارٍ لواسعةِ الحبْلِ ألوفٌ تسوّي صالحَ القوم بالرذْلِ
ولو شهدَتْ حجّاجَ مكّةَ كلّهم لأمسَوْا وكلُّ القوم منها على وصْلِ

وقال:

وما هي إلا نظْرةٌ وتبسّمٌ فتصْذلُ رِجْلاها وتسْقطُ للجنْبِ

وقال:

فلا تكْثري قوْلاً متحنّثٌ ودَبْ فقولُك هذا للفؤادِ مريبُ

تعذبنّ ما أوليتني منك نائلاً	وللقابس المجلان منك نصيبُ[1]

وقال:

تصاحبُ في اليومِ القصير ثلاثةً	فإن زاد شيئاً أكملتها برابعِ
وكنتُ أسميها النوار فأصبحت	لديّ وقد كنيتها أمّ جامعِ

● نوعٌ من ذلك

تشاجر رجلان من حمص في مراتبهم إليهم أحسن فرآهما القاضي فأقبل على أحدهما فقال نيك امرأتك في إستها أحب إلي من بيت امرأة عدا في حرها فأقبل المحكوم له على رفيقه وقال: ألم أقل لك وقال جرير للأحوص أنت القائل:

يقرّ بعيني ما يقرّ بعينها

قال: نعم قال إنه يقرّ بعينها أن يدخل فيها مثل ذراع البكر أفيقرّ بعينك ذلك؟ فأفحمه.

قيل: لا يمنع مرعى عرسه من أباح حمى نفسه وقيل لأعرابي هل بامرأتك حبل؟ فقال: لا أدري والله ما لها ذنب فتشول به وإني لا آتيها إلا ضبعة تم الحد ولله الحمد

---

(1) القابس: من قبس أي أخذ

الحدّ السادسَ عَشَر

في المجونِ والسُّخْفِ

•

(١)

فمما جاء في اللواطةِ والإجارةِ والابنةِ والتخنثِ والدلكِ والدبيبِ والقيادةِ والزنا

■

● **النهيُ عن اللواطَةِ**

قال الله تعالى حكاية عن لوط عليه السلام ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم﴾[1] ولعن النبي ﷺ الفاعل والمفعول به وقد أجرى كثير من الفقهاء فاعل ذلك مجرى الزاني، وأمر أمير المؤمنين رضي الله عنه فيمن رؤي كذلك أن يرمى من سطح

قال شاعر:

قد أمر الله فلا تعصينه إن لا يزارُ البيتُ من خلفه

● **المعير بها**

كان أبو نواس مولعاً بأبي عبيدة النحوي فكتب يوماً على إسطوانة كان يستند إليها

صلّى الإلهُ على لوطٍ وشيعتِه أبا عُبَيدة قُلْ بالله آمينا

لأنت عندي بلا شكٍّ زعيمُهم منذُ احتلمتَ وقد جاوزتَ ستّينا

فلما رآه أبو عبيدة **قال لأحد أصحابه:** ويلك إصعد فوقي وحكه. فتطأطأ له فلما ثقل فوقه قال: أوجز قال: قد حككتها إلا لوطاً فقال: ويحك تركت المقصود وكتب لتوّه رقعة دفعها إلى علي بن عيسى:

وزعمتَ أنّك لا تلوطُ فقُلْ لنا هذا المهفهفُ واقِفٌ ما يصنعُ

شهدَت عليكَ بهِ شواهدُ ريبةٍ وعلى المُريبِ شواهِدٌ لا تُدفَعُ

فوقّع فيها:

إنّ الفؤادَ بمن تراه مشغَفٌ والقلبُ ذو حَرَجٍ فماذا أصنَعُ

ورأى يحيى بن أكثم في دار المأمون جماعة من صباح الغلمان، **فقال:** لولا أنتم

---

(١) القرآن الكريم. الشعراء/ ١٦٥، ١٦٦

لكنّا مؤمنين. فرفع ذلك إلى المأمون فعاتبه، فقال: إنّ درسي كان انتهى إلى ههنا.

● **الراغبُ عن النساء المائلُ إلى المُرْد**

قيل لأبي نواس زوّجك الله الحور العين، فقال: لست بصاحب نساء بل الولدان المخلّدين، قال شاعر:

أنا الماجنُ اللوطيّ ديني وجدّ ... وإنّي في كسب المعاصي لرَاغِبُ
أدينُ بدين الشيخ يحيى بن أكثم ... وإنّي لمن يهوى الزّنى لمُجانِبُ

وقال الأصمعي: رأيت شيخاً يطعنُ به ويبادي عليه. هذا جزاء من يلوط، والشيخ يقول: بخ بخ لا زنا ولا سرقة إلا لواطاً محضاً.

قال أبو نواس:

ولي قلمٌ يكبو إذا ما حملته ... على بطنِ قرطاسٍ وفي الظهر يعنقُ[1]

واجتمع الجرشي وسياه اللوطيان فقيل لأحدهما: ما بلغ من لواطك؟ فقال: أنيك كل ذكر. وقيل لآخر فقال: أدلك على كل ذكر وقيل لشيخ تعاطى اللواط: ألا تستحي؟ فقال أستحي وأشتهي.

قال شاعر:

إنّما الدنيا طعامٌ ... ومدامٌ وغلامُ
فإذا فاتتك هذا ... فعلى الدنيا السلامُ

● **تفضيلُ المردِ على النسوان**

قيل لأبي مسلم صاحب الدولة: ما ألذّ تعيش؟ قال: طعام أمير ومدام أصفر وغلام أحور. وقيل له: لم قدمت الغلام على الجارية؟ فقال: لأنه في الطريق رفيق وفي الإخوان نديم وفي الخلوة أهل. وقيل لعافية القاضي: لِمَ اخترت الغلام على الجارية؟ فقال لأنه لا يحيض ولا يبيض. قال شاعر في معناه:

ومأمونٌ بخدِ الأمِ مثـ ... ـه الطمثُ والحبَلُ

وقال بعضهم: الغلام استطاعة المعتزلة[2] لأنه يصلح للضدين يفعل ويفعل به والمرأة استطاعة المجبرة[3] لا تصلح إلا لأحد الضدين.

● **الرغبةُ عن الغلمان إلى النسوان**

قيل لأعرابي: ما تقول في نيك الغلمان؟ فقال: أعزب قبحك الله إني والله لأعافُ الخراء أن آمر به فكيف ألج عليه في وكره. وسئل أبو عبيد الله المتوف ما بال النائك في

---

(١) يكبو: يزلّ ويسقط ـ يعنق: يسرع، من العنق وهو السير السريع.
(٢) قوله: استطاعة المعتزلة من باب الاستعارة للدلالة على مقصده.
(٣) قوله: المجبرة، أي الفرقة القائلة بالجبرية، وهي مناقضة للمعتزلة، واللفظة من باب الاستعارة أيضاً.

الإست أسرع فراغاً من النائك في الجر فقال: إنك لو ألقمت حراه كنت أسرع قيئاً منك إذا شربت بولاً.

قال محمد بن جعفر العلوي:

وكم تـادّنـت مِـن ذكـرٍ وأنـثـى — مـفـضّـلـةَ الإنـاث عـلـى الـذكـور
إلا أن الإنــاث ألــذ قــربــاً — والوَطْ بـالـقـلـوبِ وبـالـصـدورِ[1]

● غلامٌ تشير إليه الرجال والنساء لِحُسْنِهِ

قال أعرابي: فلان تتنافس فيه عيون الرجال وتعشقه ربّات الحجال.

قال الخوارزمي:

مــؤنــث الــدل إلا أنــه ذكــرٌ — لـمـسـلـمٍ واسٍ هـانـي فيه شـرطـان

وقال أبو نواس:

لـهـا شـجـيّـان لـوطـيٌّ وزنـاة

ويصح أن يحمل على هذا قولُ الآخرِ:

تـتـنـافـسُ فـي عـيـونِ الـرجـالِ — وتعشُر بي في الحُجول الغواني[2]

● تفضيلُ ذوي الخصي في التعاطي معهم على الخصيان

قيل لأبي نواس: لِمَ تدفع إلى الغلام أكثر مما تدفع إلى الخصي؟ فقال: لأن مع الغلام بندقين يلعب بهما الشاه في وسط الرقعة. وقيل لآخر: لِمَ ترغب في الخصيان؟ فقال لأني لا أركب الزورق بلا دقل[3] وطلب رجل من بعض القوّادين أمرد فجاءه بجارية، فقال: لا أريدها. قال: أفتريد أحسن منها؟ قال: إنما أريد من تحته ذكر وخصيتان. قال: فَدُسّ في حرّها جزرة وعلّق عليها بصلتين، واحسب أنها ذكر وائتها في دبرها إن لم يكن لك غرض آخر.

● المُتعاطي مع كلّ أحدٍ

قال ابن الحجاج:

الـنـيـكُ بـالـتـمـيـيـز لا وجـه لـهُ — فـلا تـكـنْ تـيـسـاً شـديـدَ الـبَـلَـه
إيّـاك تـسـتـقـذِر شـيـئـاً تـرَه — وبـك ولـو كـلـبـاً عـلـى مـزبَـلَـه

قال الخوارزمي:

إذا فـاتـه تـحـصـيـلُ ظـبـي مـقـنّـعٍ — فـهـمّـتـهُ تـحـصـيـلُ ظـبـيٍ مـعـمّـمِ

---

(1) الوط: ألصق

(2) الحجول الغواني: أي النساء من الحرائر والجواري.

(3) دقل: خشبة طويلة في وسط السفينة

يصيدُ كلا الظَّبْيَيْن هذا وهذه ... حنيفٌ ولكن فعلُه فعل مُجرمِ

قال ابن بسّام:

وأهوى المردَ والشّبّان طرّا ... ولا آبى مواصلةَ الكعابِ

وسأل بعض المتفاكهين رجلاً إلى أي الجنسين تميل؟ فقال: إلى كليهما. فقال: أنت إذاً الغراب تأكل الخراء وتلتقط الحب

● من رُؤِيَ من اللاطة متعاطياً فاحتج بآية

وجد مؤذن على ظهر صبي نصراني بمسجد فقيل: ما تصنع؟ فقال: أليس الله يقول: ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ﴾[1]. فأي موطىء أغيظ للكفار من هذا؟

وقيل لرجل حصل مع صبي على منارة: ما تصنع؟ قال: أبدل تكّته بتكتي. ورؤي معلم ينيك صبياً قائماً فقيل له: لِمَ لَمْ تنمه؟ فقال: وقع عليه الفعل فانتصب. ورؤي آخر على ظهر غلام فقيل له ما تصنع؟ قال أردت أن أريه باب الفاعل والمفعول فقالوا: وماهذا الذي بينكما؟ قال: حرف جاء لمعنى.

وذكر رجل رجلاً فقال هو أبداً مضاف أو مضاف إليه. ورؤي شيخ ينيك أمرد قبيحاً فقيل له فقال: أنا اليوم شيخ أنيك مهما تيسّر. ورؤي شيخ في مسجد وتحته صبي فهجم عليهما فعدا الصبي فنظر الشيخ إلى عجانه منتصب فقال: وتركوك قائماً.

● من فعل به من المردان وسئل فاحتجّ أنه كان هو الفاعل

أدخل الجمار غلاماً ففعل به فلما خرج الغلام قال: أدخلني الجمار لأفعل به. فقيل: ذلك للجماز، فقال: قد حرم اللواط إلاّ بولي وشاهدين

وحُكِيَ عن بعضهم أنه أدخل صبياً فدفع إليه دريهمات وقال له انبطح. فقال الغلام: بلغني أن الغلمان يفعلون بك فقال: أما الفعل فلي وأما الدعوى فمنهم، فانبطح وقل ما بدا لك.

● المتكسبُ بالإجارة والمحتجّ لها

فرّ غلام من حمص إلى بغداد فرأى كثرة الإجارة بها فاستردته أمه لعمارة طاحونة له بحمص، فكتب إليها: يا أماه إن إستاً بالعراق خير من طاحونة بحمص

قال ابن سكرة فيمن اكتسب مالاً بالإجارة فقطع عليه الطريق

وصائنُ الأقوات والأرزاقِ ... لا أفلحت دراهمُ البراقِ

---

(١) القرآن الكريم: التوبة/ ١٢٠.

وقال رجل لغلامه: يا مؤاجر، فقال: أنت صيرتني هكذا. ونحوه قال بعضهم لامرأته: يا واسعة، فقالت: أنت وسعتني بدهونك التي تحتك. وقيل لغلام: ما صناعتك؟ قال أتهدف للزناة، قيل: فما صبرك؟ قال أصبر من أرض على وتد. وقيل لمؤاجر في شهر رمضان: هذا شهر كساد؟ فقال: بقي اليهود والنصارى ومثلهما أحيل على مؤاجر بدراهم في شهر رمضان فقال للمحتال: إصبر إلى زمن الافتتاح يعني الإفطار. قال الصاحب:

صاحبنا أحذقُ في الإجارةِ ... من جعفر اليزديّ في التجارة

وقال آخر:

له براحٌ في سراويله ... يزرعُ فيه قصبَ السكّر[1]

● المرخصُ السعر قبلَ طلوع اللحية

كان أمرد رخّص سعره حين بقل[2] عذره فقيل له في ذلك، فقال: وتجارة تخشون كسادها.

قال شاعر:

تغيّرُ حسْنُ صورته البهيّة ... وكانَ خروجُ لحيّته بليّة

وقال ابن طباطبا لأمرد قد شارف الالتحاء:

فبادِر بإحسان ينوبُ فقد ترى ... بدائعَ شعرٍ في عذاريْكَ تطلعُ

وقال آخر:

قد انقضَتْ سوقُه فأرخصَها ... وآخِرُ السوق ترخصُ السِّلعُ

● طلب المردِ والنساءِ الدراهم

أنشد بشار امرأة:

هل تعلمين وراء الحبِّ منزلَةً ... تُدني إليكَ فإنّ الحبّ أقصاني

فأجابته:

نعم علمتُ وخيْرُ القول أصدقُه ... بذْلُ الدراهم يدْني كلّ إنسانِ

من رادنا الـقدَ رداً في مودّته ... ما يطلبُ الناسُ إلا كلّ رُجحانِ

وقال رجل لصبي كان يصحبه فتركه وصحب غيره: يا غدّار كيف تركتني وصحبت غيري؟ فقال: الدنيا قبّان والناس مع الرجحان.

وكتب غلام على تكته:

فقلتُ يا قومُ على تكّتي ... لكنّما مفتاحها الدرهَمُ

---

(١) براح: متسع من الأرض. (٢) بقل: ظهر.

وكتب آخر:

مَنْ رامَ أن يدخلَ حانوتَه   فليرنِ الشرطَ قَبلَ بغيتِهِ

وقالت مغنية لمن رام وصلها.

على جزى غلةٌ موظعةٌ   تمنع سيكي إلا بتخصيلِ

ودخل أبو نواس خربة فرأى شيخاً مع غلام، فقال: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟ فقال الشيخ: تريد أن نأكل منها فقال أبو نواس: فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير. فقال الغلام: لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون.

وراود مقري غلاماً فقال له ما تعطيني؟ فقال: أستغفر لك ما دمت حياً وأقرأ لك كل يوم آيات، فقال له:: إقرأ عليّ نفسك ورداً كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً.

ودفع رجل إلى أمرد دراهم فلما كشف أيره استعظمه فامتنع. فقال له الرجل: إما أن تستدخله وإما أن تشتم معاوية فقال: لعَنْرٌ عني الاستدخال أهون من شتم خالي وخال أمير المؤمنين أدخله فيه. قال: أخ يا رب هذا في هوى وليك قليل، اللهم إنّي قد بذلت نفسي دون شتم معاوية فصبّرني.

● من ردّ من المرد مراوده بلطف

عشق رجل غلاماً فكتب إليه يدعوه، فكتب الجواب له: شكواك تدعونا إلى إسعافك، وصيانتنا أنفسنا تدعونا إلى منعك، والمكروه المتبع خير من إسعاف يطلق لسان الحاسد بما يشينا ويشينك. فإن وَجَدْتُ فرصة أثق معها بالستر، وآمن سوء الذكر أصل إليك مشترطاً عليك أن تحمل العفة نصب عينيك والسلام.

● من قصرت أيام مرودية

قال كشاجم:

قد رأيناهُ بالعشيّ غُلاماً   وغدَونا نعدُّه في الكُهولِ

وقال ابن طباطبا:

فالمردُ أطولُ ملكهم في عصرنا   ما بينَ مدّةِ غدوةٍ وعشاءِ

● من تمنّى التحاء محبوبه

قال شاعر:

يا ربِّ إنْ لَمْ يكُنْ في وصْله طمعٌ   وليس لي فرَجٌ من طُولِ جفْوتهِ

فاشفِ السقامَ الذي في لحظِ مقلتهِ   واستر ملاحة خدّيه بلحيتهِ

(٢)
ذمّ من التحى وكسدَ سوقُه واستُقْبِحَ وجهُهُ

●

كان يقال: سبح الله أرضه من غير رضاه إذا التحى. ويقال: كساه أبو الحالك كساء أسود من نسج أم سويد.

قال ابن المعتز:

أنّـى تُـتـيـهُ وقـد عـلا ك الشـعـرُ في الخـدِّ الـقُـحُلِ
وخـرجـتَ مـن حـدِّ الـظـبـا ءِ وصـرْتَ فـي حـدِّ الإبـلِ

وقال آخر:

الـمـوتُ أهـونُ مـن سـوا دِ الـعـارضَـيْـن لـمَـن عـرف

وقال.

هـلالـي كـانَ حـيـنَ يُـرى يُـفـدى فـصـارَ الآنَ حـيـنَ يُـرى يـرْثـي

وقال:

قـد هـربَ الـتـقـبـيلُ من خدِّ لـمٍ يـنـجلـي عـلـى عـارضِـه الـمُـشْـطُ

وقال آخر:

قفا نبكِ في رسْمِ الخدودِ الذَّواهبِ منازلَ مُجَّتْ باللحى والشَّواربِ

وقال أحمد بن أبي فنن يخاطب صاحباً له التحى:

الآنَ إذا لـعـبَ الـبـلا بـكَ زرتَـنـا هـيْـهـاتَ مـا يـقـرأ عـلـيْـك سَـلامُ

وقال علي بن حمزة الأصفهاني:

أيـا عـارضـاً غـطّـاه مـخـلاةُ بـغـلـةٍ حكَى شعرَها ليفاً على جوزةِ الهنْدِ
كـمـثـنـونِ بـكـرٍ أنـسـلَ الـبـقـلُ زفّـه وشعرةِ أنثى من عَرينةٍ أو فَهْدِ[1]

● المُتَماطي مع ذوي اللِحَاء

قيل لبعض الغلمان: ما حالك؟ قال: لا تسأل. مولاي يبكني منذ ستين سنة بالحجة. قال: كيف ذلك؟ قال إنه ينيكني كل يوم فإذا قلت له أما تستحي قد كبرت وشبت؟ يقول لي: يا بارد كبرت من البارحة إلى اليوم. قال جحظة.

يـقـولُ لـي يـومـاً وقـدْ جـئـتـه تـلـوطُ بـي بـعـدَ الـثـلاثـيـنـا

---

(١) مثنون: لحية.

فقلتُ إن دمتَ كذا طيّبا ... نِكْناكَ من بعدِ الثمانينا

قال أبو نواس:

فدونَك معشراً عظمَت لحاهمْ ... وأشرعَ فيهم سمرُ العوالي

ولا تعدلْ بهم ما دمتَ حيّاً ... فإنّ العيشَ في القضُب السّبالِ

● من ازدادَتْ صبوتُه بالتحاءِ محبوبِه

قال إبراهيم بن العبّاس:

وكنتُ أرجّي أنه حينَ يلتحي ... يفرّجُ أحزاني ويعقِبُني صبْرا

فلما التحى واسودّ عارِضُ خدّه ... تزايدَتِ البلوى لواحدةٍ عشْرا

قال أبو تمّام:

قالَ الوشاةُ بدَت في الخدّ لحيتُه ... فقلتُ لا تكثروا ما ذاك عائبُهُ

الحسْنُ منه على ما كنتُ أعهدُهُ ... والشعرُ حرزٌ له ممّن يطالبُهُ

فصارَ منْ كان يَلحى في محبّتهِ ... أن سيل عنّي وعنه قالَ صاحبُهُ

● ذمُّ المائلِ إلى المُلْتحِين

قال شاعر:

من يعشقِ المردَ له حجّةٌ ... وعذره في الناس مبسوطُ

ولستُ أدري ما يقولُ الورى ... في حاطيّ اللحيةِ تخليطُ

وقال أبو نعامة:

وإذا الفتى حامى على ذي لحيةٍ ... وخلا به فوراءه تخليطُ

وقال ابن أبي البغل:

تعشّقُكَ الرجالَ يدلّ عندي ... على أن الرحى قلبَت ثِفالا

وإلا فالصغارُ ألذّ طعماً ... وأحلى إنْ أردت بهم فعالا

وقال أبو نوفل:

فواللّهِ ما أدري إذا ما خلوتُما ... وأرخيتِ الأستارُ أيكما يعلُو

● المتمكنُ من غلامٍ مطلوبٍ والتعريضُ به

قال جحظة:

سألتُه حوزيجةً تمرّصا ... وكانَ ما كانَ فكابَدْنا القصَصا

احتال عبد الصمد على غلام حتى أدخله الدار وترفّق له حتى قضى منه وطره، فقال:

قد علَوْنا على الكفَل ... واسترحْنا من الخَجلِ

لـــمْ يــــزَلْ فـــي تـــمـــنّـــعٍ ... وإبــــــــاءٍ ولَـــــــمْ أزَلِ
فـــــلـــغـــتُ الـــذي بـــلـــغـــ ... ـتُ بـــــه غـــــايـــــةَ الأمـــلِ

وقال ابن الرومي:

يـا طـيـبَ الـثّـغْـرِ والـمـجَـاجـه ... اقـضِ لـنـا حـاجَـةً بـحَـاجَـه
خُـذْ مِـن دنـانـيـرنـا وبِـعْـنـا ... نـيـكـا ودَعْـنـا مـن الـلـجـاجَـه
فـإنّـمـا حـاجَـتـي إلـيْـكـم ... حـاجـةُ ديـكٍ إلـى دَجـاجَـه

● الميلُ إلى سُوْدِ الغلمانِ في التعاطي

رؤي سياه ينيك غلاماً أسود فقيل في ذلك، فقال: الأسود طيب النكهة لين الأفخاذ ملتهب الجوف رخيص الجلد سريع الإجابة لأنك تدعوه لتنيكه فيظن أنك دعوته لينيكك، وقيل لبعضهم لم تختار السودان؟ فقال لأنهنّ أسخن قيل نعم للعين

● استعارتُكَ غلامَ صاحبِك

كتب البحتري إلى صديق له كان تعرّض لغلامه معاتبه

بِـكَ غُـلامـي إن اتـخـذْتُ غـلامـاً ... واعـفُ إن الـمـعـروف كـانَ قُـروضـاً
وإذا مـا أردْتَ أن تـتـمـتّـع الـبـا ... بَ ورود الـقُـرات كـنْـت بـغـيـضـا

وبعث أبو سعد الشاعر غلامه إلى الرّبعي متورّكاً فاحتبسه وكتب إليه

أمـسـى رسـولُـك رهْـنـاً لا فـكـاك لـه ... والرهْنُ في الحكْم محلوبٌ ومركوبُ
فـالـدرّ مـنـه حـرامٌ مـا نـطـيـقُ بـه ... والظّهْرُ منّهُ على الأحوال مرغوبُ

ونحوه:

أفـيـضـوا عـلـى عـزابـكـم بـنـسـائـكـم ... فما في كتابِ الله أن يحرم الفضْلُ

● تحاكمُ لوطيٍ ومؤاجِرِ

قال جرابُ الدولة وافق غلام رجلاً أن أدخله بدرهمين وإن فاخذ بدرهم فدفع له درهماً وأدخله فيه فتحاكما إلى القاضي فقال الغلام أيها القاضي أكريت هذا حماراً على أنه إن ذهب به إلى باب المدينة فعليه درهم، وإن أدخله المدينة فدرهمان. فدخل المدينة ولم يوفني الدرهمين. فقال الرجل: إني أتيت بالحمار إلى باب المدينة ولكنه دخل بغير إذني. فقال القاضي: زن الدرهمين فخير الأمور أوسطها.

ويقارب ذلك أن الجماز دخل مع غلام فلما قارب الفراغ فتح الغلام بين رجليه خوفاً على ثوبه فقال الجماز إنه كان شعراً حسناً ولكن قوافيه مطلقة

● الغلامُ الصبيحُ المنظر القبيحُ المخبرِ

مر أبو نواس بغلام خفيف العجز حسن الوجه، فقال:

دُنْـيـاه مـا شـئْـتَ ولـكـنّـه ... مـنـافـقٌ لـيـسـت لـه آخِـرَه

ونحوه لسعيد بن حميد:

فلْبيك هذا حَسَنٌ وجْهُه ... وما سوى ذاك فمنه يُعابْ
فافهَمْ كلامي يا أبا عامر ... لا يشبِهُ العنوانُ ما في الكِتابْ

● المفاخذةُ

قد تأول بعض المصريين قول الله تعالى إلا اللمم، على المفاخذة. أنشد محمد بن المتكدر قول وضّاح:

فلمّا أبَت ما زلْتُ أضرَع جاهِداً ... وأخْبِرُها ما رخّص الله في اللمَم

فقال: إنّ وضاحاً عقيه مقت في نفسه وأعطى رجل مؤاجراً درهمين فقال لا تدخله وضعه بين الفخذين، فقال: إن أمري بين الفخذين منذ خمسين سنة فما معنى إعطاء الدرهمين

وقال بعض شيوخ بغداد إني حملت بالبصرة غلاماً إلى دهليزي فأردت أن أدخله فيه، فقال لا تفعل فإنّي مسحت على خفّي وأخاف أن ينتقض وضوئي فعلمت بهذا أن الإتيان بين الفخذين لا يوجب الغسل عليهم

ولأبي نواس:

كأنّ فخذَيه إذا ضمّنا ... والأيرُ فيه عقدُ عشرينا

وقال:

وغلامٌ تشهّره الشفْـ ... ـقفُ السني حسنٌ إزاره
بسطته سورةُ الكأ ... س ليتها بعد ازوراره
فأطفنا بسنواحيـ ... ـه ولم نعرض لداره

● المأبونُ المتلوطُ

دخل يحيى بن أكثم على المأمون فرأى عنده صبيح الوجه، فقال له المأمون استنطقه وامتحنه. فقال له القاضي ما الخبر؟ فقال له الخبر خبران خبر في الأرض أنك لوطي وخبر في السماء أنك مأبون[1] فقال له المأمون وأيهما أصح؟ قال خبر السماء. فخجل يحيى وانقطع.

قال شاعر:

لي صاحبٌ زعمَ الخبيرُ بأنّه ... شقّ المؤخر ساكنُ القُدّام
يبدي من الحملان أكلَ رؤوسِها ... وهواه في أكلِ الكراعِ النّامي

قال الصاحب:

ولوطيّ كما زعموا ... ولكن ههنا سببُ

---

(١) المأبون: المتّهم، الذي يزنّ بالعيب القبيح، من الأبنة وهي العيب في الكلام والأبنة أصلاً العيبُ في الخشب والعود، والأبنة العقدة.

وقال:

يظهر الانعاظ والعما	ده منه أن يطاطي[1]
والذي يشهد يدري	من يلي وجة البساط

وقال:

جمع المال صغيراً بإسته	ثم أعطاه عليها في الكبر

● **الاحتجاج للحلاق**

دخل مطيع على صديق له فرأى تحته غلاماً وفوقه آخر فقال ما هذا؟ قال: هذه اللذة المضاعفة. وقال: بعض المخنثين. وزعم لأطباء أن الطبائع أربع: : الصفراء والسوداء والبلغم والدم وإنما هي عندي الأكل والشرب وأن تيك وأن تناك.

وسئل بعضهم عن قول القائل إذا عز أخوك فهن. فقال المعنى إذا لم يسم لك فنم له، قال اليعقوبي:

ولقد أكون إذا الشباب بمائه	طوع الصبا وشفاء كل سقام
أيام أمشي للهوى عرصية	وأتاك من خلف ومن قدام
وأعير من يدنو إلي صبابة	وأبيت بين غلامة وغلام
فأنيكها وأنيكه وينيكني	لا ترعوي لملامة اللوام

وقيل لماجن ما تقول في حبق له ما للنساء منها للرجال؟ فقال يروح من حلقى بيبكها وتنيكه.

● **المتبجح بالابنة والمحتج لها**

عوتب ابن مكرم على حب غلام كان يعرف به فأهوى بيده إلى حلقه وقال

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم	من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

وقيل لرجل تتبطح مع شرفك، ولا تأنف؟ فقال: ذو قوائم لوموا. وقيل لبعضهم أيسرك أن تكون شاة في الجنة، فقال بشريطة أن أحمل كل يوم إلى التياس

وعوتب مأبون فقال لولا علة العرص؟ وسبب ابتداء لم باليت أن لا يزل عني قال ابن المعتز في مأبون اشترى غلاماً:

كان يستدخل الأيور حراماً	فاستقف الفتى بأير حلال

وانتهى رجل إلى دهليزه فرأى رجلاً قد امتطى مأبوناً، فقال له أتناك في دهليزي وجعل يكررها فقال له إلى كم تكرر ذلك، تعال إلى دهليزي ونك فيه عشرين مرة وقيل

(١) الإنعاظ الشبق ـ يطاطي. مخفف يطاطئ، أي ينحني.

المأبون إن بنتك به ابنة فقال المفتاح لا يخرج من بني شيبة.

● المائلُ إلى ما فيه مشابهةُ المَتاع

قيل لمأبون. لِمَ لزمت هذا الغلام؟ **قال.** إن في أيره خمسة أسماء من العروض الطويل والمديد والبسيط والوافر والكامل. **قيل لمخنث:** أي الأسماء أحب إليك؟ **قال.** الزبير، لاجتماع زب وأير فيه. **وقيل:** أي الأنبياء أحب إليك؟ **قال:** لوط **قيل** فأي الفقه أحب إليك؟ **قال:** باب النكاح **قيل** فأي النحو.

قال: باب الفاعل والمفعول.

قال شاعر:

لا يعـرفُ الـرفـضَ وأشـيـاعـه ودبـرُه يـدعـو إلـى الـقـائـم

● من رأى مفعولاً فاحتج بآيةٍ

قال أبو العيناء للمعتصم: دخلت على أبي العلاء وغلامه على ظهره فسألته **فقال.** إنه يزعم أنه احتلم فأردت أن أمتحنه **فقال المعتصم** قاتلك الله فما أقرأ بعدها سورة الممتحنة إلا ذكرته.

وذكر بعضهم أنه صعد قصر أحمد بن نساء فرأى شيخاً قد علاه رجل فأرسل عليهما لبنة فأصابت ظهر الرجل فقام وذهب وقام الشيخ يشد تكته، ويقول أليس من الصواب أني كنت من تحت فلم تصبني اللبنة.

● المستدعي الفحل إلى نفسه تعريضاً

كان سكران يبكي **ويقول:** لو عرفت قتلة عثمان. **فقال له مخنث** ما كنت تعمل بهم؟ **قال:** كنت أنيكهم **فقال المخنث:** أنا قتلته فامتطاه وجعل يقول يا ثارات عثمان، والمخنث **يقول** من تحته إن كنت وليّ الدم وهذه عقوبتك فإني أقتل كل يوم عثماناً.

وغضب رجل على مخنث، **فقال** لأحمِلن عليك عشرة فشفعوا إليه حتى سكن فتنفس المخنث **وقال:** لو قضي أمر كان، ومر الطائف فرأى مخنثين فأراد أن يقول خذوهما، **فقال** نيكوهما. ثم قال أضربوهما. فقال له أحدهما سبقت الرحمة العذاب فلا ترجع.

● قبضُ المَتاعِ باليد

دخل عرابة المخنث على رجل فرأى أيراً عظيماً فقبض عليه فقال له الرجل ماذا؟ فقال

إذا مـا رايـة رفـعـت لـمـجـد

وقال آخر:

الأيرُ لا يـخـرجُ مـن قـبـضـتـي إلا إذا مـا صـار فـي فـقـحـتـه

وقيل لبعض القضاة. ما تقول في القبض؟ قال أصحابنا فيه على مذهبين والقبض أحب إليّ.

● المبتلي بالابنة من الأكابر

قيل أول من ظهرت به الابنة العزيز صاحب يوسف. وكان أبو جهل مأبوناً وكان إذا حز به الداء ألقم دبره حجراً، ويقول: واللات والعزى لأعلاك ذكر.

وكان بجالينوس ابنة فناكه غلام خلف حائط فطارت دجاجة ففزع الغلام وعدا، فقال جالينوس: دعني والدجاج فلأفيئه، فما زال يصفه للمرضى حتى قطع أصله وصار طعاماً للمرضى إلى يوم التناد.

● قبيح مبتلى بالابنة

قيل لمأبون: أنت مع قبحك من يرغب فيك؟ قال. الحمار إذا جاع أكل المكنسة وقال عند الخنازير تنفق العذرة. وقال مأبون قبيح لرجل كبير الأير نكني واحداً وأعدده زكاة أيرك. وقيل نيك البغاء الكبير زكاة الأير.

● صبيح يستطيه قبيح

رأى مخنث رجلاً أسود ينيك غلاماً رومياً فقال: كان أيره في إسته كراع عنز في صحفة أرز قال بعض شعراء أصبهان: فيمن تهم بغلام أسود

وكـأنـه وكـأن بـشـري فـوقـه ... قـنـفـر تـقـرعـه غـراب أبـقـع

● المعير بالابنة

قال أبو العيناء في ابن مكرم. هو إذا عز معطية جنده وإذا قعل معطية عبده. قال شاعر

عجبتُ من أمر قُطيبٍ قد حدث ... أبـو تـمـيـم وهـو شـيـخٌ لا حـدث

قد حبس الأصلع في بيت الحدث

وقال:

أريـتُـه الأصـلـع مـن كـمّـي ... فـحـطّ عـن كـلّ حـسـابٍ لـه

كـلّ خـراجٍ ثـابـتٍ بـاسـمـي ... فـبـت مـمـنـوعـاً عـلـى رغـمـه

وبـات مـنـكـوحـاً عـلـى رغـمـي

وقال:

أراه فـتـى خـاخـان مـا تـحـتَ ثـوبـه ... فـأعـجـبـه مـقـدارهُ فـتـمـدّدا

إذا وضعَ الراعي على الأرضِ صدرَه ... فـيـوشـك لـلـمـعـزى بـأن تـتـنـدّدا

ومر راكب فقال: أين دور آل الربيع؟ فقال له مخنث. مر مستقيماً فإذا رأيت بعلك قد أدلى فثم دورهم.

قال شاعر:

وبـعـثـت غـرمـولـي لـيـخـدمَ بـاتـه ... وجـعـلـتـه لـدواتـه مـخـراكـا

ثم اعتذرتُ وقلت لولا شيبتي | لحلفتُ في دار النساء أولاكا

● المعروفُ بالابنة تعريضاً

قال ابن المكرم لأبي العيناء أما ترى غلامي هذا كم أعطيه وماله شيء؟ قال: نعم كسب الكاسين لا بركة فيه وقيل: فلان يحبأ العصا كناية عن الابنة، وفلان ينام بلا نيام ولا يحمي ظهره.

وكان حفص النحوي معروفاً بالابنة فقال يوماً وعنده حمّاد عجرد بلغني أن لهم أرماحاً منكوسة قال حماد: أصح الحديث ما أخذ عن أهله. وعرض غلام على رجل فجعل يبالغ في تقليبه والغلام يخجل فقال له النخّاس لا تخف إنك أنت الأعلى وقال سليمان لرجل: بلغني أنك مأبون فقال مكتوب عليّ وعليك.

قال أبو تمّام:

إنَّ فـي الـكـتـابِ شـيـخـاً | يـشـتـهـي فـي الـجـوقِ داخـل
يـا سـلـيـمـانُ مـن وهـب | فـي حـرام الـمـتـغـافـل

وقال

أنـا أعـرفُ لـلـقـاضـي الـ | ـذي يـقـضـي مـاصـرًا
غـلامـاً اسـمُـه حـسـن | يـجـرّ قـنـاتـه جـرّا

وأنشد أبو ثمامة عمراً الحارثي:

يـبـخـل الـنـاسُ بـنـي مـعـقـل | ومـا بـهـم بـخـلٌ ولا لـؤمْ
لـكـنـهـم قـومٌ إذا مـا انـتـشـوا | نـالـوا لـغـلـمـاتِـهـم قـومُـوا

فقال هذا يتصرف على معان ولكن أقربها أنه رماهم بالابنة

● مأبون

عنين. قال شاعر:

أنـتُ أبـي الـخـارثـيّ لـوطـيّـةٌ | وأيـرُه فـي حـفـرِ عـنـيـن

وانقطع رجل عن امرأة طول ليلته فقالت المرأة: ما أحوجني إلى رجل ينيكني خمساً وينيكك عشراً فيكون للرجل مثل حظ الأنثيين فقال الرجل: هو من الله بريء إن انقطع إلا شهوة لما تقولين.

● التجافي عن المفعول به

أُتِيَ بمأبون فعل به إلى بعض الولاة. فقال: ما أصنع أوكل به رجالاً يحفظون إسته إذا والله أكون في عناء. ورفع بعضهم إلى بعض الولاة فقال: ما ولأبي أمير المؤمنين حفظ الاستاه

● افتخارُ المخنثين بصناعتِهِم واعتذارُهُم

قال مخنّث: نحن خير قوم إن حدثنا ضحكتم وإن غنينا طربتم وإن نمنا ركبتم. تلاقى

مخنث ولوطي فقال. أنا خير منك لأني فوق فأنا قريب إلى السماء. فقال. أنا أشد تواضعاً منك بلصوقي إلى الأرض.

● **ذمّ ذي التخنيث**

كان مخنث يدخل إلى حجرة النبي ﷺ فقال: إن ملك النبي ﷺ الطائف آخذ ابنة نقيلة تقبل بأربع وتدبر بثمان، فقال له النبي ﷺ. أو تعرف ذلك فطرده

قال شاعر:

إذا كانَ الفتَى حسَناً جميلاً وكان مخنثاً فسُدَ الجمالُ

وقال:

تحلوا بآداب النساء وصففوا شعورَهم واستسمنُوا وتخلّروا

قال الصاحب

قلْ لأبي الفتح أيا قحبة تزني فلا تطلُب قوادَه

شبهتَ بي نفسَك من ذا الذي قاسَ ابنَ عباد بعبادَه

(٣)
النهيُ عن الدلك والرخصةُ فيه

●

قال النبي ﷺ سبعة لا ينظرُ الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ويدخلهم النار مع الداخلين الناكح يده، والفاعل والمفعول به، والناكح حليلة جاره، والمدمن الخمر والضارب والديه.

وقد رخّص بعض العلماء لمن اضطر إلى ذلك في سفر فلمس متاعه حتى سال منه ما كان يؤذيه، فقال: لا بأس به.

وحُكِي عن أحد صاحبي أبي حنيفة أبي يوسف أو محمد لا بأس أن يأخذ المضطر جريرة ليمسحه بها حتى ينزل.

قال شاعر:

إذا حللتَ بأرضٍ لا أنيسَ بها فاجلدْ عميرَة لا عارٌ ولا حرجُ

وقال:

إذا امتحنت بعدمٍ وابتليتُ به فاجلُد عميرَة حتى تنقضِي المحَنُ

● **نوادرُ في الدَّلْكِ**

نظرت امرأة أشعب إليه وهو يجلد عميرة فعاتبته فقال: كانت عميرة خيراً منك فما

أصنع؟ ودعاها إلى الطعام فقالت: أنا لا آكل مع ضرّتي. ودخلت امرأة مرتد عليه يوماً وهو يصب الماء على رأسه فقالت: ما هذا؟ فقال: جلدت عميرة. ودخل عليها يوماً فوجدها تغتسل فسألها فقالت جلدتني عميرة. وكان رجل هجمه الحر فاستند إلى جدار دار فانعظ فجلد عميرة فأشرفت جارية فرأته فكتبت إليه رقعة:

يعزّ على البيض الأوانس كالدمَا   وقوفُك بين الباب والدار تصلجُ
تقلّبُ أيراً ليس للعيْر مثلُه   وهنّ إليه من تسائلك أحوجُ

وقيل لرجل بذلك: ما تصنع؟ قال أرفق المعيشة. وقال بعضهم: رأيت أعمى يجلد ويقول فديتك يا سكينة فأخذت خشبة ولوثتها بعذرة ومسحت بها شاربه فقال: فسوت يا سكينة.

● المباذلةُ

قال الجماز لم يبق من العدل إلا المباذلة.

قال راشد:

إذا ضاقتِ الأيدي وأعوزَ نقدُها   رأينا ابتياعَ النيكِ بالنيْك أجملا

قال الجمازُ:

فسك المرد فمَا من لذّةٍ   جعلْتَ ما لمْ تنكهُم وتنك

● المتوسطُ بين متباذلين

قال الخبرازري.

أتنشطُ للوصْل يا سيّدي   فإنّ الحبيب لهُ قد نشط
أحبّ اجتماعَكما في الهَوى   عسَى الله يصنعُ لي في الوسَط

وله يخاطب صبيين:

وتعلّما أن الحديا حقُّ من   أضحَى وزيراً في الدال وحاكَما

● الدبيبُ

قيل لمحمد بن زياد: أنفقت على جارية فلان خمسة آلاف دينار وكان يمكنك أن تحصلها شراء بألف دينار. فقال: يا أحمق وأين شهوة الدبيب ولذة المسارقة والانتظار الخفي وأين برد الحلال وفتوره من حرارة الحرام؟ ألم تسمع إلى قول أبي نواس:

ألذّ النيْكِ ما كانَ احتيالاً   بمَنع الجنّ أو منْع الرقيب

وأضاف الفضل بن عتبة رجلاً فدبّ على جارية فلما تمسح لدغته عقرب فصاح، فقال الفضل:

وداري إذا نامَ سكّانُها   أقامَ الحدودَ بها العقربُ

إذا غـفـلَ الـشـاسُ عـن دينـهـم فـإنّ عـقـاربـهـم تـغـضـبُ

ودب إنسان على إنسان فانتبه وفي يده أيره فقال: ما هذا؟ فقال: والله الذي لا إله إلا هو ما علمت ولكن من هنا تمّم النعمة واجعلها عندي يداً. ودبّ رجل إلى الجمّاز يظنه أمرد فانتبه فناوله براقاً وقال: مرّ في سمرك فستحتاج إلى هذا إذا انقضى بك السمر بمن أنك ستبطح.

● نيكُ البَهائِمِ

في الخبرِ أنه لعن من يتعاطى مع بهيمة وقال ابن عباس: اقتلوا مواقع البهيمة مع البهيمة. قال عباد: فقلت لعكرمة: فما بال البهيمة؟ قال: لئلا يقال هذه البهيمة التي واقعهما فلان ناك رجل كلبة فعقدت عليه فجعلت تعدو والرجل يتبعها، فقال له رجل: عضّ[1] جنبيها وأضربها ففعل فأفرجت له. فقال له: لله درّك أيّ نياك كلاب أنت.

ورؤي شيخ ينيك أتانا في يوم الجمعة وهي تضرط وهو يصلّي فقيل له، فقال: ألا أشكر الله على أير يضرط الأتان. وسئل ابن لأعرابي عن قول الشاعر:

إذا مـا ولـدوا شـاةً تـنـادَوا أجـدْيٌ تـحـت شـاتِـكَ أمْ غـلامُ

قال: إنه يعيرهم بنيك البهائم. أخذ فتيان بني كلب الفرزدق فأتوه بأتان فقالوا أنكحها كما كنت تعير ابن الخطفي فقال إنْ كان ولا بد فائتوني بالصخرة التي كان يقوم عليها فضحكوا وخلّوا عنه.

● النهيُ عن القيادة والرخصةُ فيها

رُوي عن النبي ﷺ: يتاب عن الزاني ولا يتاب عن القوّاد. وروي في الخبر أنه أحد رجل كان يجمع بين الرجال والنساء فقال: ما لكم ولمن يجمع بين الصديقين فيرخي عليهما ستره وفي بيته استراحة الأحرار ودري الأقدار. والعرب كانت تسمّي القوادة أم الحكيم لأنها تأتي الصعب فتسهله والقريب فتبعده.

● الحاذِقُ في القِيادَةِ

سمع رجل قول عمر بن أبي ربيعة في قوادة:

فـبـعـثـنـا طِـبّـة عـالـمَـة تـخـلـط الـجـدّ مـراراً بـالـلـعـب
تـرفـعُ الـصـوتَ إذا لانَـت لـهـا وتـدري عـنـد ثـوراتِ الـغـضـب

فقال: لو ادعت النبوّة بهذا الحلق تسلّم لها. وسمع ذلك ابن أبي عتيق فقال: ما أحوج الناس إلى خليقة مثلها. قال شاعر:

في فـمـهـا من رقـي إبـلـيـس مـفـتـاحُ

(١) عضه عضها: كذب، وعضه الرجل شتمه صريحاً، وأعضه أيضاً جاء بالإفك والبهتان.

وقال:

لا يغرنك في مجلسه طول السكوت
وتسابيح أديرت في بليه بخفوت
أن يشا ألف ضبا حس تأليف بخوت
ويقود الجمل الصعب بخيط العنكبوت

وقال:

إذا هويت يا أخي عناده من الغواني صعبة المقاده
فابعث لها عجوزة قواده كالحسن البصري أو قتاده
تلوح في جبهتها سجاده

وقيل: هي أقود من ظلمة وكانت امرأة قوادة وصنت إذا هي ماتت أن تحرق وتجعل في صرة فيذر منها على ختان الصبي فيلتحم وعلى أحراح الصبيات فإنهن يلهجن بالزنا ما عشن. وقيل أقود من ليل بهيم ومنه:

الشمس نمامة والليل قواد

وقيل لرجل: ما بقي عندك للنساء؟ قال: القيادة عليهن. وقيل لآخر: ما بقي عندك من آلة الزنا قال النصاق.

● نوادر في القيادة

سمع أبو الهذيل رجلاً ينشد:

يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

فقال: أوشك أن تكون هذه دار قواد أو خمار.

وأخذوا محنثاً جمع بين شريف وشريفة فحلوهما وحملوا القواد إلى السلطان فسئل فقال: هؤلاء وجدوا طائرين في قفص فحلوا الطائر وحبسوا القفص.

● المعيّر بالقيادة

قيل لرجل: يا قواد فقال: قدمت على أمك ليس هذا عذراً لك. قال أبو نواس:

كل عن حمله السلاح إلى الحرب فأوصى المقيم أن لا يقيما

وقيل لأبي عون قد بنى المتوكل بناءين سماهما الشاه والعروس، فقال: فرغ من حمل ذكران الناس على الإناث، حتى صار ينايك بين الأبنية.

● حظرُ الزِنا واستباحتُه

أما الزنا فمجمع على تحريمه وجاء أبو كثير الهذلي إلى الرسول ﷺ فسأله أن يحل

له الزنا فقال: أتحب أن يأتي إليك في حرمك مثل ذلك؟ قال: لا ثمّ قال فادع الله لي أن يذهب منّي الشبق فدعا له. فقال حسّان

سألت هذيلُ رسولَ الله فاحشةً ضلّت هذيلٌ بما قالت ولم تصبِ
سالوا فيهم ما كان محرمهم حتّى الممات وكانوا عزّة العربِ

(٤)
وممّا جاء في السوأتين والجماعِ

• **جوزُ ذكرِ السوأتين والجماعُ واستحباب الكناية عنهما**

قال ﷺ: من تعزّى بعزاء الجاهلية فأعضوه[١] بهن أبيه ولا تكنّوا. ورأى ابن عباس رجلاً يتظلّف[٢] عن ذكر السوأتين فقال إن تصدق اطير بنث لميسا. ودخل في الصلاة يريه أن ذكر ذلك مما لا يحرج.

وقال محمد بن سيرين في قوله تعالى وإذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً أي إذا ذكروا الفُرُوج كنوا عنها. وكثرا استعمالهم الكناية في ذكره نحو هن، وذكر، وسوأة.

ويقول البغداديون في الكناية أبو أيوب، وكنّت العرب فرج المرأة أبا ادراس وذلك من الدرس وهو الحيض.

• **قوّةُ الأيرِ على العمل**

سمعت أعرابية رجلاً ينشد:

وأنعظُ أحياناً فينقد جلده فأعذله جهدي وما ينفع العذلُ[٣]
فأدخله في جوف جاري وجارتي مكابرةً منّي وإن رغمَ المخلُ

فقالت: بئس والله جار للغيبة أنت فقال والتي معها زوجها وأبوها وأخوها وأنشد بشار:

عجِل الركوبِ إذا اعتراه ناهضٌ وإذا أفاقَ فليس بالركّابِ
فتراه بعد ثلاث عشرة قائماً مثلَ المؤذن شكّ يوم سحابِ

وقيل: أنكح من حوات وهو صاحب ذات النحيين، وأنكح من ابن العزّ وهو الذي أنعظ فجاء بعير فاحتك بأيره يظنه جدلاً[٤] وقيل أير كعصا البقار، ومنه يحمل أيراً مثل أير البغل.

---

(١) عضه عضهاً: كذب، وعضه الرجل شتمه صريحاً وأعضه أيضاً جاء بالإفك والبهتان.

(٢) يتظلف عن كذا: يترفع ويتبعد. (٣) أنعظ (الرجل): اشتهى الجماع.

(٤) جدلاً: الجدل عود ينصب للإبل الجربى لتحتك به، وبالتصغير جُذيل، وفي المثل أنا جذيلها المحكّك، أي هو صاحب رأي يستعان به.

وقال:

يحمل أيراً مثل جُردانِ الجمَلِ ... لو دسّ في متن صفاةٍ لدَخَلِ[1]

وقيل إن جعفر بن يحيى الصيرفي خرج من الدنيا وما نكح امرأة بكل أيره وقيل أعظم الأيور أير الفيل وأصغرها أير الظبي وكان لابن عمر أربع نسوة وثلاثون جارية وربما طاف عليهنّ في ليلة.

● النعظ

قيل: أنعظ من بلبلة الإبريق. قال حسنويه:

أنعظ حتى كأن فيقحته ... مجموعة في زيار بيطار[2]

كأنه والأكف تلمسه ... عنقُ ظليم بغير منقار[3]

وقال سهل بن هارون: ثلاثة يعودون إلى حال المجانين السكران والغضبان والغيران فقال بعض أصحابه وما تقول في المنعظ فضحك وقال: وما شر الثلاثة أم عمرو

● تمنّي عظم المتاع

قال أبو سعيد راوية بشار رأيت بشاراً يوماً وهو يضحك فسألته فقال: تفكرت في شيء ليس على وجه الأرض رجل إلا يود أن أيره أكبر مما هو عليه ولا امرأة ألا تود أن حرّها أضيق مما هو عليه ولو أُعطيَ كل واحد طلبه لبطل التناكح فمنع سؤليهما لطف من الله تعالى

وحكى المعروف بابنة الجن المخنث ليس في الأرض رجل إلا وهو يتمنّى لامرأته أير الحمار قيل: وكيف ذلك؟ قال: لأنه يتمنّى أن يصير أيره كأير الحمار ينكح به امرأته

وقال مديني: اللهم أرزقني أيراً سداه عصب ولحمته قصب ولا يصيبه تعب ولا نصب، وبيك من رجب إلى رجب.

وكان بعض الكبار يقول: اللهم قوّ أيري فإنه به قوام أهلي. وتفاخر قوم بكبر الأيور، فقال أعرابي: لو كان كبر الأير فخراً لكان البغل من قريش

وقيل لبعضهم: أتحب أن يكون لك أير كبير؟ قال: لا، لأن منفعته تكون لغيري وثقله عليّ.

● إستعظامُ قَدْرِ الأير

رأى مخنث قادماً من بعيد فظنه أمرد فلما دنا منه قال: يا ناقص هذا صلف من له أربعة أيور وأنت فارغ السراويل ورأى مخنث رجلاً يتبختر فقال له: أعلوي أنت أم قرشي؟

---

(١) الجُردان (بالضم): القضيب من ذوات الحافر، وقيل هو الذكر والجمع جرادين. الصفاة: الصخرة

(٢) زيار البيطار: عبارة عن خشبتين يضغط بهما البيطار جحفلة أو شفتي الفرس ليتمكن من بيطرته

(٣) الظليم: ذكر النعام

قال: أنا فوق ذلك إني أير **فقال**: تبحتر ثم تبختر. وسمع مخنث رجلاً يذم ابنه **ويقول**: ومع ذلك له أير في طول المنارة فقال ابنك كله فصيلة وأنت لا تشعر. ونظر آخر إلى قبيح كبير الأير **فقال**: ياشين ما علق عليك هذا لزين. ونظر آخر إلى كبير الأير كثير الشعر فأخذ يبكي **ويقول**: أنظروا إلى الخليفة في القطيفة

قال شاعر في أير:

تـهْ عـلـى الـنـاس جـمـيـعـاً	وتـقـدّمـهـم بـأيـرِك
نـال مـوسـى بـعـصـاه	فـوق مـا نـلـت بـأيـرك

● **مفاخرةُ الرجلِ والمرأةِ بسوأتيهما**

قال المتوكل يوماً لعبادة وركوية: تسابقا فأيكما سبق فله كذا فسبقت ركوية فقال المتوكل لعبادة: سحنت عينك تسبقك امرأة **فقال**: هي تعدو ببذاذين[1] وأنا أعدو بخرجين وعلاوة. **وقالت جارية لمخنث** ما أعظم سبني بك! **قال**: بليتك بحرك أعظم سود وجهه وشق وسطه وقطع لسانه وحضر إلى جانبه كيف.

رأت صبية صبياً كشف لها عن أيره **فقالت**: من طوقه؟ **قال**: أبي. **قالت**: فمن خرقه؟ **قال**: أبي. **قالت**: فمن حرقه؟ **قال**: أبي تكشفت عن جرها **وقالت**: لعن الله أبي ما زاد على أن شقه وتركه.

● **المستفتي في سوأته عالماً محكماً**

سئل الأحنف: ما بال إستاه الرجال عليها شعر وإستاه النساء لا شعر عليها؟ **قال**: لأن إستاه الرجال حمى وإستاه النساء مرعى وسئل مخنث فقال هن[2] المرأة ينبت أسرع من الرجل؟ فقال لقربه من السماء ويسقى من فوقه. **قيل لقطرب**: أيهما أسرع على المناضعة الأير أم الحِرّ؟ **فقال**.

فوالـلّـهِ مـا أدري وإنّـي لـصـادقٌ	الأيـرُ أدنـى لـلـفـجـور أم الـحِـرُ
فقـد جـاء هـذا مـرحـبـاً مـن عـنـانـهِ	وأقـبـل هـذا فـاتـحـاً فـاه يـهـدُرُ

● **اختيارُ المرأةِ أيراً دون أير**

قالت ابنة الكميت لأمها: أي الأيور أحب إليك؟ قالت: أير عرس في حرارة قيس في لين فنك[3] في استدارة فلك في حفو[4] رجل صمك **وقالت جارية**: ما شيء أحب إليّ من

---

(١) **البداد**: البراز والأقران.

(٢) **هنُ المرأة**: فرجها وفي المثنى هنان وقيل هنانان والأصل هنو بحذف الواو

(٣) **الفَنَك (هنا)**. حيوان صغير طوله بحدود أربعين سنتمتراً وفروته من أجود الفراء.

(٤) **الحفو**. الحضر ـ **الصمك**: القوي الشديد والعبظ الجافي.

رجل ينيكني بأيره في حري وخصيته تدق على باب إستي فتهيج شهوتي.

- **وصفُ المتاعِ على سبيلِ اللغزِ**

سأل خلف الأصمعي عن قول الشاعر:

ولقد غدوتُ بمشرق يافوخه ... عسرُ المكرّة ماؤه يتدفّقُ
مرحٌ يسيلُ من النشاط لعابُه ... ويكادُ جلدُ إهابه يتمزّقُ

فقال: يصف فرساً، **فقال:** أرايتك الله عني مثله. ووقف أعرابي ينشد بكراً على جماعة **فقال:** من عرف بكراً أحمر في عنقه علاط[1] وفي أنفه خزام[2] يتلوه بكرتان سمراوتان وإن أقرب عهد العاهد به لليلة؟ فقالت جارية: ما عنيت بذلك إلا ما ضمّه سراويلك.

وقال مخنث لأعرابي: هل لك في شيء أسفله ربع وأعلاه ضرع وليس سانحان ولا قرع. **فقال:** على هذا لعنة الله

- **وصفُ الحِرِ بالضيقِ والحرارة**

سئلت بنت الحسن أي الأحراج أطيب؟ **فقال:** الذي إذا دخلت فيه عضّ وإذا أخرجت منه مصّ. ووصف رجل امرأة. **فقال:** أحرّ من الحمام وأمصّ من المحجام

قالت امرأة:

إن حِري أضيقُ من تعجبن ... يمتصُّ مصَّ الحاجم المكين

وقال ابن الرومي يصف سوداء:

لها حِرٌ تستعيرُ وقدته ... من قلبِ صبٍّ وصدرِ مختنقِ
يزدادُ ضيقاً على المِراسِ كما ... تزدادُ ضيقاً أنشوطةُ الوهَقِ[3]

أخذه من قول النابغة

وإذا لمسْتَ لمسْتَ أجثمَ جاثماً ... متحيّزاً بمكانِهِ مِلءَ اليَدِ[4]
وإذا طعنْتَ طعنْتَ في مستهدفٍ ... رابي المجسّةِ بالعبيرِ مُقَرْمَدِ[5]
وإذا نزعْتَ نزعْتَ عن مستحصفٍ ... نزعَ الحَزوّرِ بالرشاءِ المحصَدِ[6]

---

(١) **العلاط**: حبل يجعل في عنق البعير (٢) **الخزام**: حلقة يشدّ بها الزمام.

(٣) **الوهق**: الحبل.

(٤) **الأجثم**: المرتفع والغليظ ـ **المتحيز**: المرتفع بالقياس إلى ما حوله

(٥) **المستهدف**: البارز والناتئ ـ **بالعبير مقرمد**: أي مطلي بالزعفران

(٦) **المستحصف**: الضيّق ـ **الحزور**: ذو القوة ـ **الرشاء**: الحبل **والمحصد**: أي الحبل المفتول

● **الواسعةُ البارِدةُ**

وصف أعرابي امرأة **فقال**: مغارة مكّة في سعتها ثقب عفصة وبلح همدان عند بردها حرّ مكة وسئل عمر بن عثمان عن جارية شتراها **فقال**: فيها خصلتان من الجنة البرد والسعة. **وللصاحب**: وفلانة وصفت بأنها في الضيق كور فقاعه فكشفتها في الخلوة عن ذيل دراعه الناجم، يشبه عندي بربخا[1]، مركباً في مخرج.

وقال رجل لجارية ما أوسع حرك! **فقالت**: مديت من كان يملأه، ثم قالت:

وقـالَ لـمّـا خـلَـوْنـا أنـتِ واسـعَـةٌ وذاكَ مـن خـجَـل مـنّـي تـغـشّـاه

فـقـلْـتُ لـمّـا أعـاد الـقـول ثـانـيـةً أنـتَ الـفـداء لـمَـنْ قـد كـانَ يـمْـلاه

وقال ما جن لجارية لأنيكك بأير مثل صومعة حصين. **قالت** إذاً والله أمكنك من حر مثل صحراء نجد ثم. **قالت**: تعتمر بحرها.

تـدلّ بـطـولِ الأيـرِ مـنْـك وعـرضِـه ولي كعثب أحفيكَ في شطْر نعصهِ[2]

ولـو أن عـرجـاً فـوقَ قـيـلٍ فـأقـبـلا إلـيْـه لـمـرّ الـعـيـل فـيـه بـركْـضِـهِ

وقال أبو زيد الكتاف: بقيت زماناً لا أجد امرأة تستوعب ما صدي فظفرت بواحدة فجعلت أدخله شيئاً فشيئاً حتى أوعيته ثم قلت: أخرجه، **فقالت** سقطت بعوضة على نخلة فلما إن أرادت الطيران قالت: استمسكي لأطير، **فقالت النخلة** ما شعرت بوقوعك فكيف أشعر بطيرانك.

دهـبْـتَ والـلّـهِ تـفْـخـر فـيـكَ يـا أحـمَـق مـكـرا

إنّـمـا طـولُـك فـتـرٌ كـيـفَ تـسـتـوعـبُ شـبـرا

وقالت امرأة لرجل جامعها وأبطأ لفرغ أسرع فقد ضاق قلبي **فقال** لو ضاق حِرُك لكنت أفرغت منذ زمان. ورأى رجل رجلاً يبول بأير حمار **فقال له**: كيف تحمل هذ الأير؟ فقال أكبير هو قال نعم قال إن امرأتي تستصغره.

● **احتلامُ المرأةِ بغيبةِ الرجلِ**

خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة يطوف بالمدينة فمر بامرأة من نساء نجد تقول:

تـطـاولَ هـذا الـلّـيـلُ تـسـرى كـواكـبُـه وأرّقـنـي أن لا خـلـيـلَ ألاعـبُـه

فـوَالله لـوْلا الـلّـهُ والـعـارُ بـعْـده لـحـرّكَ مـن هـذا الـسـريـر جـوانـبُـه

ثم تنفست **وقالت**: هان على ابن الخطاب وحشتي في بيتي وغيبة زوجي عني فلما

---

(١) **بربخ**: مجرى من الخزف للماء.

(٢) **الكعثب (هنا)**: الفرج، والكعثب الركب الضخم، وامرأة **كعثب**: ضخمة الرّكب.

أصبح بعث إليها نفقة وكتب إلى عامله برد زوجها، وسأل ابنته حفصة ما قدر ما تصبر المرأة قالت: أربعة أشهر.

● **المتعرضُ للنكاحِ تعريضاً وتصريحاً**

كانت رقاش بنت عمرو بن الصلت عند كعب بن مالك **فقال لها يوماً: إخلعي درعك. فقالت:** خلع الدرع بيد الزوج **فقال لها:** تجرّدي **فقالت:** التجرد لغير النكاح مثله. **وقال رجل لجاريته:** نأكل ثم ننيك **فقالت:** بل ننيك ثم نأكل، فاستملح ذلك منها.

وكتبت امرأة إلى صديقها:

عـجّـلْ فـقـد أمـكـن الـزمـانُ ... وبـادر الـوصـل يـا جـبـانُ
بـادِرْ فـإنّ الـزمـانَ غـرٌّ ... من قبل أن يـفـطـنَ الـزّمـانُ

ونتفت امرأة **وكتبت إلى صديقها:**

فديتُك سهّلتُ السبيلَ الذي أشتكي ... جوادُك فيه للخفا من حشونةِ
فإنْ كنت تهوى أن تزور جماسا ... فلا تبطِ عنّا فالهلال ابنُ ليلتِهْ

وقالت جارية ابن سيرين له يوماً كنْ وقدّم النون. **فقال** الساعة وبعث هشام إلى عبلة بنت عبد الله بن معاوية وكانت عصبى فلم تجبه فجاءت جارية له فكشفت جانب ستره **وقالت** أما من استغنى فأنت له تصدّى وما عليك أن لا يزكّى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهّى، فاستحسن ذلك ودعاها

وكان رجل يعشق جارية فاجتمع بها ليلة فجعل يعاتبها **فقالت** يا جاهل دع العتاب للكتاب واجعل قميصي مخنقتي **وقال رجل لجارية** ما إسمك قالت أمالك قال من خلف أم من قدام حلال أم حرام قالت كيف شئت كما شئت **وقال أبو العيناء:** اشتريت جارية فقعدت يوماً بجنبي فجعلت أقبلها وأترشفها ألا أريد مني ذلك **فقالت** أتحفظ لأبي نواس

حـدّثـنـا الأشـيـاخُ فـيـمـا رووا ... أبـو زيـاد شـيـخُـنـا عـن شـريـك
لا يـشـتـفـي الـعـاشـقُ مـمّـا بـه ... بـالـضـمّ والـتـقـبـيـلِ حـتّـى يـنـيـك

وكان للرشيد مائتا جارية تبلغ الدعوةُ إلى كلّ جارية في مائتي ليلة فصعد ليلة فإذا جارية تغني:

ألا يـا دارُ كـم تـحـويـن ... من كـس ومـن غـلـمـه
أأيـرٌ واحـدٌ يـشـفـي ... تـراه مـائـتـي حـرمـه
مـتـى يُـصـلـحُ طـيـبـان ... ضـعـيـفٌ مـائـتـي ثـلـمـه

فاستدعاها واستعاد أبياتها **وقال** تريد في زيارتك. **فقالت:** لا أريد أكانت كما قال أبو حكيمة:

أتـت بـجـرابـهـا تـكـتـالُ فـيـه ... فـقـامـت وهـي فـارغـةُ الـجـرابِ

فقال: لا بل لا برد الجراب فارغاً وقدم قوائمها وقال لها. يا لخنا[1] جعلتني طيابا ضعيفاً فقالت: لو لم أجعلك هكذا لم آكل هذا الرغيف على هذا الجوع الصادق.

واستعرض رجل جارية فقال لها: أتحسنين أن تضربي بالعود؟ فقالت: بل أحسن أن يضربني العود. وقالت امرأة لزوجها اشتر لي خفاً فقال: بل أنيكك قرداً فقالت: هذا الخف يكفي هذه السنة.

● اختيارُ المرأةِ الرجلَ القويّ على النِّكاح

استعرض غلام وصيء جارية عاشة، فعلمت الجارية أنه يدلّ بحسنه. فقالت له: إن كنت يوسف الحسن وليس معك أير ذو عروق صلبة وهامة رحبة يدخل غضبان ويخرج سكران لم أعدك إلا شيطاناً مريداً أو قرداً عبداً.

وقيل لمصرية: أيّ الرجال تشتهين فقالت: لا أدري غير أني أعلم أن الأوّل داء والثاني دواء والثالث شفاء ومن ربّع فنفسي له الفداء.

● شكرُ المرأةِ لِمَنْ بالَغَ في مباضعتها

قالت امرأة: ناكني فلان نيكاً كأنه يعصب في حري كراً من كرور الجاهلية. كانت امرأة تبكي على قبر قتيل لها ما كان لك؟ قالت: زوجي وكان والله يجمع بين الجماع والساق ويهرهر الصارم للأعناق وقد كذبتك امرأة تبكي لغير ما أخبرتك. وقيل تزوّج رجل بامرأة فجعل يقبّلها ويشمّها ويلاعبها، فقالت

ليس بهذا أمرتني أمّي والله لا تمسكني بضمّي
ولا بتقبيل ولا بشمّ إلا بزعزاع يُسلّي همّي[2]
لمثل هذا ولدتني أمّي

● اختيارُ المرأة نوعاً من الجماعِ دُوْنَ نوعٍ

اجتمع بنات حي المدينة عندها فقلن للكبرى: كيف تحبّين أن يأخذك زوجك؟ فقالت: أن يقدم من سفر فيدخل الحمام ثم يأتيه زوّاره المسلّمون عليه، فإذا فرغ أغلق الباب وأرخى الستر فحينئذ أتى ما أرومه.

فقالت لها: إسكتي فما صنعت شيئاً؟ فقالت الوسطى: أن يقدم من سفر فيأتيه زوّاره فإذا جاء الليل تطيّبت له وتهيأت، ثم أخذني على ذلك فقالت: ما صنعت شيئاً.

فقالت الصغرى: أن يقدم من سفر وكان قد دخل الحمام واتطلى ثم قدم وقد شول فيدخل عليّ ويغلق الباب ويرخي الستر فيدخل أيره في حري ولسانه في فمي وأصبعه في

---

(١) لخنا: مخفف لخناه يريد أنها تتكلّم بقبيح

(٢) الزعزاع: الريح الشديدة التي تزعزع الأشياء، و بزعزاع هنا من باب المجاز والاستعارة.

إستي فيبكني في ثلاثة مواضع. فقالت. أسكتي فأمّك لساعة تبوّل.

● الراغبُ عن متعرّضة للنكاح

قال أبو حكيمة.

وضاحكةٍ إليّ من النقابِ ... تلاحظني بطرْفٍ مستَرابِ
كشفتُ قناعها فإذا عجوزٌ ... مسوّدةُ المفارقِ بالخضابِ
فما زالت تجمّشني طويلاً ... وتأخذُ في أحاديثِ التّصابي
تحاولُ أن تقيمَ أبا زيادٍ ... ودونَ قيامهِ شيبُ الغرابِ
فقلتُ لها حللتِ بشرِّ وادٍ ... كريهِ المجتنى فخطِ الجنابِ
متى تشفي العجوزُ إذا استناكت ... بأيرٍ لا يقومُ على الشبابِ

وله:

دعاني إلى ما يستحلّ ابنُ أكثم ... وقد يستحلُّ المرءُ غيرَ حلالِ
ولو قامَ لم أسعفْه فيما أراده ... أحقّ بأيري منه أمّ عيالي

قال ابن حجّاج:

خطبت النطراء لنفنا ... فقد رأت ممتاحَ ذيري
ورجعت مني حمورا ... قلتُ لا ترجيس حيري
إبعدي عني رهصدا ... فالتمليه مع عيري
أنت في دعوة أذني ... لست في دعوة أيري

● إرضاءُ المرأةِ بالخلوةِ معَهَا

وقع بين رجل وامرأته خصومة فغضبت فكيدها حتى رضيت وقالت خزاك الله فقد جئتني بشفيع لا أستطيع ردّه.

ومرّ الحجّاج متنكراً فرآته امرأة فقالت: الأمير وربّ الكعبة. قال. فمن أعلمك أني الأمير؟ قالت: شمائلك. قال: هل عندك من قرى؟ قالت: نعم الخبز الشعير والماء النمير فأكل وشرب. ثم قال. هل لك أن تصحبيني فتصلحي بيني وبين امرأتي. قالت: هل عندك من جماع قال: نعم قالت فهو يصلح بينكم رداً

● حمد إفحاش الجماع ونحوه

قال ابن سيرين: ألذ الجماع أفحشه. وقال الأحنف. إن أردتم الحظوة عند النساء فافحشوا النكاح وأحسنوا الخلق. وقال رجل للشيخ: ما تقول في امرأة تقول لزوجها: إذ وطئتها قتلتني أرجعتني. فقال: يقتلها بذلك رديتها في عنقي. وقدّم رجل امرأته إلى أمير المؤمنين رضي الله عنه وقال إنها مجنونة إذا جامعتها غشي عليها. فقال. أحسن إليها فما

أنت لها بأهل. وقيل: موطنان يذهب فيهما العقل: المباشرة والمسابقة.

- **الأسبابُ المقوّيةُ للجماع من ملاعبةِ المحبوب**

قال الحسن: أكثروا من مداعبة النساء ولا تكونوا كالبهيمة التي يطرقها الفحل بغتة. والمداعبة للشهوة كالرعد والبرق للمطر. القبلة بريد اليك. **قال شاعر**:

إنــمــا الــقــبــلَــةُ عــنــوان الــصّــلــة

وطلب رجل من امرأته **فقالت**: الإيناس قبل الإيناس.

- **كراهتُها الاعتزالَ**

كره الفقهاء الإعتزال عن المرأة إلا برضاها. **وقال رجل لزانية: ما تقولين في الاعتزال؟ قالت**: يلغني أنه مكروه. **قال**: أولم يبلغك أن الزنا حرام. وكانت ليوسف بن عمر جارية تصحبه في السفر والحضر وكانت يوماً قائمة على رأسه فورد عليه كتاب فتغيّر وجهه فقالت الجارية: أكتاب عزل قال كيف علمت ذلك؟ **قالت**: لأن وجهك قد تغير من غير حذر ولا سهر ولكن استجرت عزلك عني كل يوم وهذا طعمه عندك مرّة واحدة.

- **ميلُها إلى الإعتزال**

قال بعضهم: دخل قوم من الأعراب البصرة يحدث أصابهم فرأيت جارية تتكفّف[1] فخدعتها وأدخلتها دهليزي فلما وطئتها قامت لَحَ عنّي بزلك لئلا تلحقني حبياً. **وقال بعضهم**: اشتريت جارية فوطئتها فجعلت تروم التنحي فأكرهتها، **فقالت**: أردت أن لا يأتيك أربع أكارع نصيح مالك. فأما وقد أبيت فشأنك وما تريد.

- **المذبوطُ**

وهو الذي إذا جامع وبلغ الفراغ وجرت النطفة في إحليله استرخت مفحته فسدح وكذلك المرأة. وأما الزبوح فالمرأة يغشى عليها عند الجماع قبل الفراغ.

وقال دعبل كان جميرات لا تقيم عنده امرأة فتزوّج امرأة فأقامت عليه فسألته **فقال**: إنها مثلي وقد قلت فيها:

لـمـا ضـربْتُ بـخُرمولي مضـارطَـهـا	بـالَتْ فقلتُ اشلحِي إن شئتِ أو بُولي
إنّي سـأخرى إذا أنعظْتُ من شبَقٍ	فإن خريتُ فقد أعطيتِنِي سُولي
سلحٌ أتى بين عذبوطَيْن شككَني	منها أتى أو أتى من تحت غُرمولي
وسالحَتْني فلم أشعرْ بما فعَلَتْ	حتّى وجدتُ خراها في سَراويلي

وقال بعض النخّاسين كانت عندنا جارية عذيوطة كلما يعاه ردّت. فعاها مرة

---

(١) تتكفف: تمدّ يدها لتستعطي.

فأبطأت فلقيتها فسألتها قالت: مولاي مثلي قد لقي سنبر قنبر أدخل الغلط.

● **الرخصةُ في إتيانِ المرأةِ في دبرِها**

استدل مالك في ذلك بقوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ﴾. **وقالت عائشة رضي الله عنها:** إذا حاضت المرأة حرم الجُحران فدل على أنهما كانا حلالاً قبل الحيض. وقال بعض أهل اللغة الجحران بالضم الفرج.

● **تحريمُ إتيانها في دبرها**

نهى النبي ﷺ عن إتيانهن في محاشهن وسئل في أي الجزرتين **فقال: أما من دبرها في قبلها فنعم وأما في دبرها فلا، إن الله لا يستحي من الحق، لا تأتوا النساء في أدبارهن.**

● **النوادرُ في إتيانها في ذلك الموضعِ**

قال مزيد لامرأته: دعيني آتيك في إستك **فقالت:** لا أجعل إستي ضرّة لحري مع قرب ما بينهما. وسئل أبو حفص عن إتيان المرأة في دبرها، **فقال:** إن الله يقول نساؤكم حرث لكم، والإست لها مزرعة من حلت له القرية حلت له المزرعة. **قال همّام القاضي:**

ومذعورة جاءت على غير موعدٍ	تقنّعتُها والنّجمُ قد كادَ يطلُعُ
فقلتُ لها لمّا استمرّ حديثُها	ونفسي إلى أشياء منها تطلّعُ
أبيني لنا هل تؤمنين بمالكٍ	فإني بحبّ المالكيّةِ مولعُ
فقالت نعم إني أدينُ بدينه	ومذهبُه عدل لديّ ومقنعُ
فبتنا إلى الإصباح ندعو لمالك	ونؤثر فتياه احتساباً وتتبّعُ

وحاضت امرأة أعرابي فتعرض لإستها وقال: قد يؤخذ الجار بذنب الجار.

قال ابن الحجّاج:

حاضتْ وقدْ كانتْ لهُ مدّةٌ	طويلةٌ عندَ استِها طائلةْ
وثبتُ في الحالِ على سرمِها	وثبةَ النّيكِ على العاقلةْ

رفعت امرأة قصة إلى القاضي تدّعي أن زوجها يأتيها في دبرها، فسأله فقال: نعم أتيكها في دبرها وهو مذهبي ومذهب مالك، فخجل القاضي.

ورفع رجل إلى ابن سيمجور قصة وكان يتولى النظر بنفسه بين الرعية وكان في القصة: ابنتي تحت فلان التركي وهو يسومها النيك في دبرها وكان الزوج غلاماً له فقال له: ما هذا؟ **فقال:** إني حملت من تركستان إلى الطراز فناكوني في إستي ثم إلى بخارى إلى هراة وفي كل مكان كانوا ينيكوني في إستي ثم حملت إليك فكنت تنيكني في إستي فما علمت أن ذلك محظور فخجل ابن سيمجور.

● **شكايةُ المرأة كثرة جماع زوجها**

تزوّج مزيد مولاة لأبي المثنى الخزاعي فجاءت إلى أبي المثنى فشكت إليه كثرة جماعه فلقيه أبو المثنى فعاتبه فقال له مزيد: كن بيني وبينها كف عنّي ضرسها أكف أيري. أتراني أعنف ولا أركب. ورفعت امرأة زوجها إلى القاضي تشكو كثرة جماعه فقاره القاضي على عشرة كل ليلة. فقال: أيها القاضي سدها تسلمتني متى شئت فأجابه إلى ذلك فعادت المرأة بعد ثلاث فقالت أيها القاضي لا صبر لي عليه فقد استلف في ثلاث لخمس.

● **شكايةُ المرأة عنة زوجها**

رفعت امرأة زوجها إلى القاضي وقالت: بعلي هذا ليس يضاجعني، فقال الرجل: صدقت ولكنّي مؤاخذ عنها. فقال القاضي: الحكم فيه أن تؤجر سنة. فقال: الحكم أحق أن يتبع. فلما خرجت إذا هي سخنت. فقال لها: أما تستحيين أن تقولي للقاضي ليس ينيكني. فقالت: إن شيئاً نقلك من طلع الرحال إلى طلع النساء حتى عفّرت لحيتك في التراب. حقيق أن لا يستحي منه.

وقدمت امرأة زوجها إلى القاضي وقالت: إن زوجي ليس يضاجعني. فقال الزوج إني عنين. فقالت المرأة: هو يكذب فقال القاضي ناولني أيرك حتى أمتحنك فناول أيره بمرسه وكان القاضي قبيحاً فلم يقم أيره فقالت للقاضي: لو رآك مالك الموت منعظاً لاسترخى. إدمه إلى غلامك هذا وكان للقاضي غلامٌ صبيح فدفعه إليه فانتشر سريعاً فقالت: أعطِ القوس باريها. فقال القاضي: مرياً كشحان وخذ امرأتك ولا تطمع في غلمان القضاة.

وقال المهدي لجارية له: أنت أودق[1] من أتان عاقر. قالت: إذا رزم الفحل ودمت الحجر تعرض بأنه مقصر في الباه مححل. وعشق رجل امرأة فزارته فلما صارت عنده ضعف عنها فأخذ يمر به طولاً وعرضاً على حِرها وقال لها ألك زوج؟ فقالت: يا ابن اللخناء لو كان لي زوج لم أدعك تحد جري طبوراً تضرب عليه بمضراب منكسر.

● **المتعذرُ من عجزه عن المطاعنة**

دخل ابن شبابة إلى امرأة وخرج سريعاً فقال له صاحبه فأومأ بيده إلى أيره وقال:

شُمُسُ العداوة حتّى يستقاد لهم ... وأعظمُ النّاسِ أحلاماً إذا قدرُوا

وقال:

أيـري عـلـيّ مـع الـزمـا ... نِ فـمـن أذم ومـن ألـومُ

---

(١) أودق. أي أكثر وَدْقاً من وَدَق يَدِق أي تسع

وقال هارون لعنان جارية الناطفي وقد قبّلها ولم ينتشر عليه.

أقولُ وقد حاولْتُ تقبيلَ خدِّها ... وبي رغدةٌ من حبّها ليس تسكُنُ

فديتُكِ إني أشجعُ الناسِ كلّهم ... لدى الحرب إلا أنني عنكِ أجبُنُ

واستهدفت امرأة لرجل شيخ فأبطأ عليه الانتشار فعاتبته فقال: أنت تفتحين بيتاً وأنا أنشر ميتاً. وقعد أعرابي بين فخذي امرأة فلم ينتشر فقالت له قم يا خائب فقال الخائب من فتح جرابه ولم يكتل. ومن هذا أخذ الشاعر قوله:

أتت بجرابها تكتال فيه ... فقامت وهي فارغةُ الجِراب

● تعييرُ العاجز عن الافتضاض

كتب أبو العيناء إلى ابن مكرم: العجب لكم أنكم تناكون ولا تنيكون كيف غررتم الحرائر واستهديتم المهائر وعلام قدمتم المهور وأنتم تحتاجون إلى الذكور؟ ولم أظهرتم حب النساء وبكم عرق النساء؟

وكيف ادعيتم يوم الروع الطعان وأنتم تحرون للأذقان؟ فأنتم كما قال الشاعر

فلسنا على الأقدام تدْمي كلومُنا ... ولكنْ على أعقابنا تقطُر الدّما

سألتكم عند جيرانكم ورجالكم تحت علمائكم فيا بؤساً للعروس وإزارها لم يحلل، وشحورها لم تبال

قال أبو علي البصير

ردّ ابنةَ القوم أو ماطلْتَ لها ذكَراً ... يكفيك كل شأنها بعض الذي عُسرا

فقدْ تأتوك حتى لا أناة بهم ... وجمجموا الأمر حتى شاع واشتهرا[1]

قالت بقدّم قبل الأيْر أصبعه ... متى تماطى بكفّيه جرٌ أعقرا

وعجز رجل عن امرأته ليلة العرس، فقالت:

تبيتُ المنايا حائراتٍ عن الهُدى ... إذا ما المَطايا لم تجدْ من يقيمُها

● اغتباطُ مَنْ تقوى على الجماع

كان سعيد بن المسيب يقول: اللهم قوّ أيري ففيه قوام أهلي وقوّ سني ففيه قوام بدني. وقال أبو مهدية لأبي عمرو: لا يزال المرء بخير ما اشتد أيره وضرسه

وقال رجل لابن شعيب: إني إذا دخلت في الصلاة انتشر عليّ. فقال: طوبى لك فإني أتمنى انتشاره في الفراش.

● الشاكي ضعفه عن الجماع

قيل لأبي مهدية: ما عندك من الجماع؟ قال ما يهيج شهوتها وينقص عفتها ويستعدي

---

(١) جمجم الكلام: لم يبيّنه

بعضتها. وقيل لآخر فقال. إن منعت عصيت وإن تركت عجزت وقال يمتد ولا يشتدّ وإذا كرهته يرتد. وقيل لمدني: كيف حالك؟ فقال أيري إذا فقد قام وإذا وجد نام المفجع.

لـي أيـرٌ أراحـنـي الـلّـهُ مـنـه ... صـارَ هـمّـي بـه عـريـضـاً طـويـلاً
نـام إذ جـاءه الـحـبـيـبُ كـيـاداً ... ولـعَـهْـدي بـه يـنـيـكُ الـرّسُـولا

● المستحسنُ لعجزِهِ

سئل شيخ عن حاله فقال: ذهب مني لأطيبان السنّ والأير ويقي الأرطبان الضراط والسعال. وقيل لأبي عبد الله المنتوف. ما بقي عندك من آلة الباه؟ قال البزاق. وقال ابن أبي البغل لقاضي أصبهان: هل في البيت صلاة؟ قال: لا. قال: أنا في البيت أصلي منذ سنين وأشار إلى متاعه. وقال أبو حكيمة من مرثية لأير مما لم يسبق إليه

أيـحـسُـدنـي إبـلـيـسُ داءيـن أصـبـحـا ... بـرأسـي وجـسْـمـي دُمّـلاً وزكـامـا
فـلـيـتـهـمـا كـانـا بـه وأريـدُه ... زمـانـةَ أيْـرٍ لا يُـطـيـق قـيـامـا
إذا انـتـبـهـتْ لـلـنّـيـك أزبـابُ مـعـشـر ... تـوسّـد إحـدى خـصـيـتـيـه ونـامـا

ومن قوله وهو أحسن ما قيل في ذلك:

يـنـامُ عـلـى كـفّ الـفـتـاة وتـارةً ... لـه حـركـاتٌ مـا يـحسّ بـهـا الـكـفّ
كـمـا يـرفـعُ الـفـرخُ ابـن يـومـيـن رأسَـه ... إلـى والـديـه ثـمّ يـدركُـه الـضّـعْـفُ

وله:

قـلّـمَـا تـهـوى الـغـوانـي ... حـلـم أيْـرٍ ووقـاره

وله:

كـأنّـه قـوسُ نـدّافٌ بـلا وتـر

وله:

سـيـر يـلـفّ عـلـى دوّمـة الـرّيـق

وله:

رشـاة عـلـى رأسِ الـركـيّـة مـلـتـفُّ

ولي وصفه: قيل قناة معقفة وعروة على الإبريق مركّبة

● ذمّ كثرة الجماع

قال جالينوس[1]: صاحب الجماع يقتبس من نار الحياة فليكثر منه أو يقلل. وقال رجل لأرسطاطاليس. أي وقت أجامع؟ قال: إذا شئت أن تضعف. قال معاوية: ما رأيت منهوماً بالجماع إلا تبيّنت ذلك في مشيته. وقيل: الضرير أنكح من البصير والخصيتان أصحّ

---

(١) جالينوس: (نحو ١٣١ ـ ٢٠١) طبيب يوناني اشتهر باكتشافاته في التشريح. أخذ عنه الأطباء العرب

بصراً من الفحول. وقال طبيب لرجل: قد ذهب الجماع ببصرك. فقال: قد وهبت بصري لذكري.

● نوادرُ امرأةٍ غازلها رجلٌ فأخجلَتْهُ

قال رجل لامرأة: أريد أن أذوقك فأنظر أنتِ أطيب أم امرأتي؟ فقالت: سل زوجي فإنه ذاقني وذاقها ونظر رجل إلى امرأة، فقالت له: يا سيدي تريد النيك؟ قال: نعم قالت اقعد حتى يجيء مولاي لعله ينيكك. وقال رجل لامرأة: أيري في إستك فقالت: هلاّ جعلته في يدي أضعه حيث شئت. قال: قد جعلته في يدك. قالت: قد وضعته في حِر أمك.

وروود الظّام جارية وتبعها، فقالت: إن لي صاحباً ينيكني ولي زوج لا يتركني عن عشرة ولي صديق أنا أعشقه، ولي حبة لا تعتر عن النساء فإن وجدت في حري فضلة فاحمل.

وانعظ رجل فعرض أيره على مغنّ فقالت: يا رقيع إعرض هذا على من لم ير أيراً قط. وأما أنا فعندي من الأيور أكثر من التكبير يوم الأضحى.

وكان لرجل دبّة فقال لامرأة خذي هذه الدبة واسمحي لي بواحد فقالت: أخشى أن أرزق منك ولداً فيكون ابن قحبة بريت.

ومن النوادر أن امرأة مرت بأبي العيناء فقالت أين درب الحلاوة؟ فقال: بين سراويلك.

● من حامشَ امرأةً باستدعاء نفع منها

كتب رجل إلى صديقته: ابعثي لي بعمك بين ديناريين فكتبت إليه: قد سارعت إلى أمرك فتفضّل برد الطبق والمكبة. استعملت قول النبي ﷺ إستدروا الهدايا بردّ الظروف. وقال رجل لامرأته: أعطيني خاتمك الذهب أذكرك به، فقالت: هذا ذهب وأخاف أن تذهب، ولكن خذ عوداً فلعلك تعود.

● نوادرهنّ في كبر العجيزة[1] وصِغَرِها

قال الجاحظ: مررت بامرأة قائمة كبيرة العجيزة فقلت لبعض من معي: ما أعظم عجيزتها إذا لم تكن عليها عظمة[2]، فكشفت عن عجيزتها وقالت: أنظر إلى الحق ولا تكن من الممترين. ولبست امرأة ثيابها واتخذت عظمة لتري عجزها فرآها رجل فأعجبته فراودها فلما خلا بها وجدها كالعود فسألها، فقالت: ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربّي نسفاً.

---

(١) العجيزة: المؤخرة.

(٢) العظمة: شيء كالوسادة تعظم به المرأة عجيزتها

• الكيرُ بيخ

جاءت امرأة إلى ربيعة الرأي فقالت: ما تقول في الكيربيخ[1]؟ فقال: اعربي قبّحك الله. فقالت: بل أنت قبحك الله جئت أستشهد بك وأسترشدك فتردني بضلالتي فقال: عافاك الله كل شيء استترت به شهوة غير محلال فحرام.

ومرت امرأة بمخنث ومعها كير بيخ فقالت تأخذ درهمين والنية عليك؟ قال: نعم فأخذ درهمين ودخل خربة وقام على أربع وشدت المرأة ذلك على حقوها وجعلت تدخل فيه وتخرج فتطلع رجل من ورائهما وصاح واعجباه من امرأة تنيك رجلاً. فقال المخنث: الرجال ينيكون النساء منذ خلقت الدنيا وأي عجب إن ناكت امرأة رجلاً يوماً.

• أنواعٌ مختلفةٌ في وصف الجمَاعِ

لدغت عقرب جارية في فرجها فقالت أمها واويلاه في اي وقت وأي موضع. وكان عراقي يهوى امرأة فجاء على حمار مع غلام وجاءت المرأة على أتان مع جاريتها فخلا بها والغلام بالجارية والحمار بالأتان، فقال: هذا يوم غابت عذاله

سأل جعفر بن سليمان عن قول جرير:

لو كنتُ أعلمُ أنَّ آخر عهدكم ... يوم الرحيل فعلتُ ما لم أفعل

فقال فتى من الاعراب في آخر المجلس: أنا أعرف ما كان يعمل كان ينيكها فضحكوا وقال: أصبت. وقيل: من حسن تربية الرجل لولده أن ينيك دابته. وكان لرجل غلام أسود سندي فسافر وخلّف الغلام في أهله فأحبل امرأته فلما جاء الرجل خرج للقائه وحمل أحد الغلامين على عاتقه والآخر خلفه فقال له: ما هذا يا مبارك؟ قال: ابني. قال: أتزوجت؟ قال: لا ولكن ولدته من الست فقال: هذا عجب فقال السندي: وهذا الذي خلفي فوق العجب.

وقال إسحاق: أتت امرأة حيي المدينة تسألها المهراس وزوجها يواقعها فقالت إطلبي المهراس من ابني فمهراسنا مشغول في الهون. وحُكِيَ أن ابن نوبخت كان له جارية وغلام فكان إذا خرج أخرج أحدهما معه خشية أن يجتمعا فلما أعياه الأمر زوج أحدهما بالآخر فكان يتعاطى معهما، فقيل له في ذلك فقال: لئن أكشحتهما أحب إليّ من أن يكشحاني

---

(١) الكيربيخ: لفظة أعجمية وهي أداة تشبه ذكر الرجل

(٥)
وَمِمَّا جاءَ في السَّحْقِ والمُساحقاتِ

•

• تفضيلُ السَّحْقِ على الجِمَاعِ

قالت امرأة لساحقة: ما في الدنيا أطيب من الحور قالت صدقت ولكنه ينفخ الجنبين تحني الحبل.

وقال الأصمعي: كنت في دار الرشيد فخرج على عجلة فقال: أين الأصمعي؟ فمثلت بين يديه. فقال: من الذي يقول ولا تستعملي المردي وما أوّله فقلت هذا شعر لبعض السحاقات بالبصرة وأوّله:

صـفـي الـهـزّ عـلـى الـهَـن	ولا تـسـتـعـمـلـي الـمـردي[1]
فـذا أحـلـى وذا أشـهـى	مـن الـقـائـم كـالـوتـد

فضحك وأمر لي بألف دينار.

• تفضيلُ الجماعِ على السَّحْقِ

قيل لامرأة: ما تقولين في السحق؟ قالت: إنه التيمم لا يجوز إلا عند عدم الماء. ونظر رجل إلى جارية على سطح تساحق[2] فرمى بنفسه لوقتها فقالت جاء الحق وزهق الباطل

قال شاعر:

ألا يا ذواتَ السحْقِ في الغرْب والشرْقِ	أفقْنَ فإنّ النّيك أحلى من السحْقِ
أفـقْـن فـإن الـخـبـز بـالأدم يـشـتـهـى	وليس يسوغُ الخبزُ بالخبزِ في الحلقِ
أراكـنّ تـرقّـعْـنَ الـخـروقَ بـمـثـلـهـا	وأيّ لـبـيـب يـرقّـع الـخرقَ بـالـخـرقِ
وهـل يُـصـلـح الـمـنـحـار إلا بـعُـوده	إذا احـتـاج فـيـه ذاتَ يـوم إلى الـدّقِ

وقال:

أمـا والـلّـهِ لـو نـاجـاك أيـري	قـبـيلَ الـصـبـح فـي ظـلـمـاء بـيـتِ
إذاً لـعـلـمْـتُ أن الـسـحْـق زورٌ	وأن الـعـيْـش فـي ركـص الـكُـمَـيْـتِ

وذكر السحق لامرأة فقالت: أير أبخر خير من حر مبخر.

• نوادرُ في السحقِ

قيل لأبي فرعون. امرأتك تساحق فقال إنها والله تحسن. قيل ولِمَ؟ قال لأنه أنقى لشعرتها وأتقى لصحن فرجها وأحرى إذا ورد عليها الأير أن تعرف فضله. ودخل رجل على

---

(١) المردي: هي في الأصل خشبة تدفع بها السفينة، والمردي هنا من باب المجاز أو الاستعارة
(٢) تساحق: تمارس السحق.

جاريته وهي تساحق وحرها رطب فقال ما هذا، قالت ذكرك حرى قبيل ما دخلت فبكى.

● المعروفاتُ بالسَّحْقِ

أول من سنت السحق ابنة الحسن هويت امرأة النعمان بن المنذر، وكانت قد وفدت عليها فأنزلتها عندها، وشغفت بها. فلم تزل تزين لها ذلك وقالت في إجتماعها أمن من الفضيحة وإدراك للشهوة. فاجتمعتا وبلغ من شغف كل واحدة بالأخرى أنه لما ماتت ابنة الحسن اعتكفت هند امرأة النعمان على قبرها واتخذت الدير المعروف بهند في طريق الكوفة وفيها يقول الفرزدق:

وفيتِ بعَهْدٍ كانَ منكِ تكرّماً كمَا لابنةِ الحسَنِ اليماني وفتْ هِنْدُ

● سنن السحاقات

عادتهنّ أن لا يتناولن ما فيه مشابهة من هنّ الرجال فلا يأكلن القثاء والجزر والباذنجان لأجل شبهه، ولا الفالوذج لأنه يتخذ للوالدات منهن، ولا يشربن في الكاس لطوله، ولا يشربن من القناني لعنقها ولا من الأباريق، ولا يتناولن المراوح لدبيبها، ولا يقعدن في مجلس فيه ناي ولا طنبور لعنقه، ولا يأكلن العصب ولا الشيم المحشي. والكبار منهن لا يصلّين لأجل الركوع ولا يتحدن السيوف ولا الحمام لسعاده ولا يكتحلن لدخول الميل

(٦)

ومما جاء في الضِّراط والفَسْوِ

●

● الحثُّ على إرساله

زعمت الهند أن حبس الضراط داء دوي وأن إرساله منج وأنه العلاج الأكبر. وكانوا في يوم اجتماعاتهم ومحافلهم لا يحبسون ضرطة ولا يسرّون فسوة ولا يرون ذلك عيباً ولا ضحكة

قال شاعر

الريحُ في الجوْفِ ليْس عِنْدي لــهُ دواءٌ سوى الضّراطِ

● وصفةُ بالشؤم

رُوي عن بعض الكبار أن الضراط شؤم وكل قوم وقع بينهم الضراط تفرّقوا، قال شاعر:

ليس التظارُف بالضرا طِ يا سعيد من الفتوّةْ

وإذا تضارَط معشرٌ هدَمُوا بضَرْطِهِم المروّةْ

وقيل لضرّاط: الضراط شؤم. قال: هو حدير أن أخرجه من بطني. وقيل لآخر إنه يوقع التفرق فقال لو كان حقاً لما آثر أهل السجن شيئاً عليه. وقيل لماجن: الضراط إثم فقال إن كان الضراط إثماً فالخراء كفر.

● الحاذقُ بالضراطِ المتكسِّبُ به

جاء رجل إلى المعتصم فقال: ما بلغ من صراطك؟ قال اضرط ضرطة فافتق نفق السراويل فقال إن فعلت فلك مائة دينار وإن عجزت فمائة سوط ففعل وأخذ المال. وكان رجل يصفق الباب بضرطة وكان سعيد بن حميد يضرط على إيقاع العيدان.

من يُضارِطُني يضارِطْ موسِراً ... يخرجُ الضرطة كالرَّعْد القَصِفِ

وقيل فلان أضرط من عنز ومن عير ومن عول

● خُبْثُ الضِّرَاط وقرقرةُ البَطْنِ

ضرب يزيد بن المهلب تميرياً فقال: والله لأضربنه حتى يضرط. فقيل له فقال: والله لا يرى ذلك أبداً وأنه كما قال الأعشى:

كتومُ الرُّغاء إذا هُجِّرَتْ ... وكانت بقيةَ قومٍ كُتُمْ[1]

وعكسه، قال رجل لمخنث لأضربنك حتى تخرا فمن أوّل سوط لطخ البساط وقال ألست تطلب الخراء خذه وخلّصني وقال رجل لطبيب: في بطني مممممة وقرقرة، فقال أما المممة فلا أعرفها، وأما القرقرة فضراط لم ينضج.

قال ابن سادر:

سطنك يا عبيدي قد قرقرا ... إن صدقَ الوعدُ مطرنا خرا

● عُذْرُ مَنْ خَرَجَ منه ريحٌ من الكبار وقلّةُ مبالاته

قال النبي ﷺ: العين وكاء[2] الاست فإذا نامت العين استطلق الوكاء وكان أبو عبيد يحدث بهذا الحديث ويروى أن عمر رضي الله تعالى عنه كان يخطب فقال أيها الناس إني ميرت بين أن أخاف الله وأخافكم فرأيت خوف الله أولى ألا وإني قد خرجت مني ضرطة وها أنا أتوضأ وأعود وضرط الحجاج على المنبر فقال ألا إن كل جوف ضروط واستدعى بالماء فتوضأ وكان بالأهواز عامل به صمم فاجتمع إليه أهل عمله وهو يضرط فكتب إليه كاتبه إنك تضرط ولا تشعر فوقع له إنا استكفيناك أمر كتابتك ولم نجعلك محصياً علينا فتعامل كما تعامل القوم والسلام غنت مغنية فضرطت فأنشدت:

ضرطْتُ فما أبدعتُ في النّاس بدْعَةً ... ولَمْ آتِ أمْراً مُنْكَراً فأتوبُ

إذا كانتِ الأستاه تضرطُ كلُّها ... فليس عليّ في الضرْط رقيبُ

---

(١) كتوم الرغاء: أي لا ترغو حين تمتطى، وهذا من باب الكناية عن الأدب، وفي رواية: الذود في موضع القوم، والذود من الإبل بين الثلاثة إلى العشرة.

(٢) الوكاء: رباط القربة.

قال الكميت:

أيا عجباً للناس يستشرفونني كأنْ لم يرَوا قبلي ضروطاً ولا بعْدي

وضرط أبو الأسود عند معاوية فقال: أكتمها عليّ يا أمير المؤمنين. قال: لك ذلك. فلما اجتمع عنده ناس قال أعلمتم: أن أبا الأسود ضرط آنفاً فقال أبو الأسود إن من لم يؤتمن على ضرطة لحريٌ أن لا يؤتمن على أمر الأمة.

● **نَوَادِرُ مَنْ خَرَجَتْ منه ضَرطَةٌ في مَحْفَلٍ**

صلّى الدلال المخنث في جماعة فضرط في الصلاة فرفع رأسه وقال: سبح لك أعلاي وأسفلي فضحك كل من في المسجد.

وقال العتّابي كنت أمر في طريق فتقدمتني امرأة فاستعجلتها فضرطت، فقلت: سبحان الله. فقالت: سبحت في غلّ وقيدين يا بغيض يا بارد لمَ ذا تسبّح قطعت عليك الطريق شتمت لك عرضاً امض لا مصحوباً ولا محفوظاً فما زلت تقول حتى خجلت كأني ضرطت.

وقال أبو نواس مرّت امرأة في طريق فضرطت، فقلت: أتبيعين هذا الحمام الراعبي؟ قالت: لا، ولكن إذا فرّخ أطعمناك من فرخه. وحضر التنوخي نادياً فقام وحبق حبقة فضحك القوم فأنشأ:

إذا باست العينان من متبلفظ ترامت بلا شك مشاريخ فقحته

فمن كان ذا عقل تناسى ضراطه ومن كان ذا جهل فمي وسط لحيته

وكان رجل يقدر بناء فقال: يبني ههنا كذا، ويبني ههنا كذا ثم وقف في مكان فضرط، فقال: مهما شككت فلا أشك أن هذا موضع كنيف، ثم صور صورته

وورد بعض أهل أصبهان على خليفة يشكو إليه شدة السنة وانقطاع الغلة فضرط في أثناء الكلام. فقال: وهذا أيضاً من آفات السنة فوالله يا أمير المؤمنين ما تعوّدته إلا في موضعه

وكان أعرابي يكلّم رئيساً فضرط فالتفت إليها فقال: حلف نطق حلفاً، ألم أقل لك إذا رأيت إنساناً يتكلم فاسكتي؟

وضرط شيخ في مجلس فقال: وإن من شيء إلا يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم. ولما وقع مسيلمة على سجاح ضرط فقال ما هذا؟ قالت: هذا من ثقل الوحي

● **مَنْ عذَر ضارطاً وسَكّنَ منه**

كلّمت امرأة هشام بن عبد الملك في حاجة فضرطت فسكتت وخجلت، فقال تكلّمي ولا تستحي فما سمعت هذا من أحد أكثر مما سمعته مني. وكان لمطيع بن إياس جليس فضرط فغاب أياماً خجلاً فكتب إليه:

أمن قلوص تمدّت أظهرت مقلية وغبت عنا زماناً لست تغشانا

خفّضْ عليْكَ فمَا في النّاسِ ذو بلٍّ إلا وأيسُقه يضرِطْنَ أحيانَا

وحضر بعض الفقهاء مجلس الصاحب فضرط فاشتد خجله فقال الصاحب:

قلْ لابنِ ذو شاب لا تخرج على خجل من ضرطة أشبهت نايًا على عُودِ

فإنّها الرِيحُ لا تستطيعُ تحبسُها إذ أنت لستَ سليمانَ بنَ داودِ

وله:

أبا الحَسَنِ الحضيري اغتفرْنا ضراطَكَ ما على إستك من جُناحِ

فلا تدفنْ على خجلٍ وعاوِدْ فبعضُ القَولِ يذهَبُ في الرياحِ

وكان أراد من عند الحجاج يشكو إليه فساد غلته فبدرت منه ريح، فخجل وأراد الحجاج أن يبسطه فقال: قد وضعت عنك الخراج فهل من حاجة أخرى؟ قال: نعم والتفت فرأى أعرابياً يقدمه الحجاج للقتل فقال: تهبني هذا الأعرابي قال: قد وهبته لك خذه فخرج الأعرابي وجعل يقبل إسته ويقول بأبي إستك التي تحطّ الخراج وتخلص الأسرى من القتل.

وضرط حمدون بن إسماعيل بين يدي المتوكل فاستحيا وقال: ضرطت. فقال المتوكل: ما سمعت.

● أعذارُ ضاحِكٍ من ضارِطٍ

كان ابن الرومي في مجلس فضرط بعض الحاضرين فضحك فغضب الضارط وشتمه فأنشد:

بليتَ بزلّةٍ فضحكتُ منْها فلا تعجَب كلا الأمرين بَغتَة

ولي فضلٌ عليك لأنّ فعلي بغيرِ أذى عليك فلِم كرِهتَهُ

أتسمعُني الأذى وتسيءُ نيه وتجشمني رضًا ما قد فعلْتَه

وتغضبُ إنْ ضحِكتَ بغيرِ عَمْدٍ ولمْ تسمَع أذاي ولا سمعْتَه

● المعيَّر بضرطةٍ بَدَرَتْ منه

تعير عبد القيس بذلك وذلك أن رجلاً من أياد خرجت منه ريح فعير بذلك فقام بسوق عكاظ وقال: من يشتري عار العسو ببردي حبرة فقام عبقسي فقال: أنا، فقال له قومه جئتنا بعار الدهر. وحضر جبلة بن عبد الله عند مسلمة فزحف إلى المائدة فضرط، فقال: كل جوف أضرط، فقال مسلمة: أنت عودته في الخلا فضحك في الملا. وروي ذلك عن أمير المؤمنين رضي الله عنه.

وتزوج قطني امرأة فضرط عندها يوماً وهو يشرب فتمثل بقول الشاعر:

إنْ كنتُ ساقيةً يوماً على ظمأ صفو المدامة فاسقيها بني قطنِ

فقالت وهذه إسقيها بني قطن، فخجل وطلقها. ودخل أعرابي على المساور الضبّي وهو في عمله بالري فسأله وألحّ عليه فسعل المساور فضرط، فجذب سفطه وقال لكاتبه

غلطنا في الحساب فقال الأعرابي:

أتيت المساورَ في حاجة ... فما زالَ يسعُلِ حتّى ضرَطْ
وحكّ قفاه بكرسوعِه ... ومسح عثنونَه وامتخطْ
وقال غلطنا حساب الخراج ... فقلتُ من الضرطِ جاه الغلط
وأمسكتُ عن حاجتي رهبةً ... لأخرى تقطعُ شرْج السقط[1]

وقال:

وما في الضرط للإستاه ذنبٌ ... إذا كانتْ توسّعُ بالأيورِ

وقال آخر:

دخلت وهب في حشاه قد كمّن ... وهب وهو صاحبُ البريد

وكان في مجلس الوزير عبيد الله بن خاقان، فضرط فأكثر الشعراء القول فيها وكان راكب يسير وبين يديه جمل عليه كمثري فقال رجل استقبله إن الكمثرى تهيج الريح ومدّ يده ليأخذ واحدة فضرط فقال ما رأيت شجرة أثمرت قبل أن تغرس غيرها

ودفع الفتح بن العميد إلى ابن حجاج قول الشعر

ولما التقينا لجلجت في حديثها ... ومن آية الحبّ الحديثُ الملجلَجُ

فقال:

ولما التقينا لجلجت في ضراطها ... ومن آية السرم الضّراط المجلجلُ
ألا أيّها الأستاذُ دعوة شاعرٍ ... طريقته في السخف لا تتمهرجُ

● التعريضُ بِمَنْ خرجت منه ضرطةٌ فقدّر أنّها لم تسمع

اضطجع رجل في مجلس فيه مزيد فضرط فضحكوا، وثنّى، فقال مزيد: نبهوه قبل أن يأتي بطامة تتبه، فقال: كنت في أطيب نومة رأيت كأني صدت ديكين ألعب بهما، فقال مزيد: صدقت قد زقيا وسمعنا.

ودخل بعض الكتاب حماماً بأصبهان وقدر أن ليس فيها أحد، فضرط ضرطة صيّاحة، وقال ما أطيب الضراط في الحمّام، وكان ثمّ المعروف بابن الهذرة فسعل بعد ضراطه بساعة فقال: إذا خرجت فالقني قبل كل أحد فدخل عليه، فكتب له رقعة بخمسة أقفزة حنطة. وقال: خذها من الوكيل ودع ما بشأنه ما سمعت. فقال فديتك ليس ذلك ضراط خمسة أقفزة حنطة زدني فقال: أخزاك الله فقد صار ذلك نادرة.

● لغزٌ فيها:

ومولدةٍ لم تدرِ ما الطمْثُ أمّها ... وليس لها زوجٌ ولا تتحرّكُ

(١) السقط: وعاء كالقفة

يقهقهُ منها القومُ من غيرِ رؤيةٍ   ووالدُها من عارِها ليس يضحكُ

وقال ابن الرومي:

ما هنةٌ عمّت بني آدم   يُغيّر النّاسُ بها النّاسا
يعتمدُ العامدُ إتيانَها   فلا يرى الناس لها باسا
حتى إذا جاء بها فلتةً   نكّس من سَوْءتها الرّاسا

● الضراطُ على الغيرِ على سبيلِ التهكّمِ

قال الصاحب:

قلْ لابن حمزة يستنحِ   بكفّه عارضيه
فقد قرأت بجدرٍ   والمرسلاتُ عليه

وقال:

وضرطةٍ مرعدةٍ مبرقه   يحملُها سُرْمٌ إلى عنفقه[1]
مسحتها الشيخ أبا جعفرٍ   ويمدّها من سلحتي ملعقه

وقال:

ولحيةٍ طويلةٍ عريضه   الضرطُ في أمثالِها فريضه

● الفساءُ

دخل أعرابي الحمام بالبصرة وكان يفسو فأنكر القيم عليه فقال: الحلقة لي والريح لله يرسلها فدع عنك إن للإست نمّة وللأنف شمّة. وليس كل ما تلقاه حبياً ولا كل ما تشمه طيباً.

وقيل: هو أفسى من الظربان وذلك أنه يفرق بين الإبل بفسوه ويأتي حجر الضب فيفسو عليه فيأكله ويقولون هو أفسى من الخنفساء.

ولبعضهم:

ولي صاحبٌ أفسى البريّة كلّها   يشكّكني فوهُ إذا ما تنفسّا
تحولَتِ الأنفاسُ منه إلى إستهِ   فما أحدٌ يدري تنفّس أمْ فَسَا

وقال:

لله درّ عصابةٍ نادمتهم   من كلّ خرق في بيوتِ بلالِ
باتُوا موترة على قسيّهم   يرمونني رشقاً بغيرِ نبالِ
يرمون نبلاً من رياح بطونهم   فظلَلت مقاتلةً لغيرِ قتالِ

---

(١) السُرم: طرف المعي والدبر ـ العنفقة: شعيرات بين الشفة السفلى والذقن.

سئل أبو حفص الوزاق في بعض مد عباته ما بال العسر لا يبقى والطيب يعلق ويبقى؟ فقال: إن للباطل جولة ثم يضمحلّ، وللحق دولة لا ينخفض ولا يذل. وقال بعض القصاص: أشكروا الله. فقيل: شكر الله على ماذا؟ فقال تفسون فتذهب عنكم رائحته وتبخّرون فتعلق بكم فائحته. أليس هذه نعمة من الله صافية؟

● التخري على سبيل التلاعب

تقايأ رجل على أبي الصلت قال: ويحك ما هذا؟ قال جاشت نفسي فقام وخرأ عليه فقال ما هذا قال جاشت إستي. عبد الصمد بن بابك

ولحية للمختلي حشأتها في أسفلي
حتى إذا ما اختضبت قمت لها تسطلي

وقال الشاعر:

لو تمنيت أن أبلع حالاً لتمنيتُ سلحةً في سبالك

وروي في مداعبات لأبي الفضل بن عميد وكان عنده بعض من يخلع العذار في مداعبته فتناول طاقة شعر من لحيته، وقال: خذها يا فلان ودسّها في إستك حتى إذا قلت لحيتك في إستي كنت صادقاً. ويقرب منه لربتور بن أبي حماد

كتبت على حر أم أبي سواس
أبجد هوز وحطي
وصيرت الختام عليه أيري فإن هم غيّروه عرفت خطي

الحدّ السابع عشر

في خَلْقِ الإنسان

•

(١)
الخلقةُ المستحسنة عند العرب

•

قيل لأعرابي: ما الجمال؟ قال: ضخم الهامة وطول القامة ورحب الشدق وبعد الصوت. ومما دل على حمد عظم الرأس ما قد جالينوس: إن الصغير الرأس لا عقل له. وسئل آخر فقال: غور العينين وإشراق الحاجبين ورحب الشدقين.

وقال:

وصلعُ الرؤوسِ عظامُ البطونِ رحابُ الشداقِ طوالُ القَصَر[١]

وقالت امرأة خالد له إنك لجميل، فقال: كيف تقولين ذلك وما فيَّ عمود الجمال ولا رداؤه ولا برنسه. إن عموده الطول ورداؤه البياض وبرنسه سواد الشعر وأنا قصير أسود أشمط، ولكن قولي إنك مليح.

● **الخلقةُ الدالةُ على النجابة أو غيرها**

دخل أعرابي على محمد بن سليمان فقال: أكان لك ولد؟ قال: نعم المخش قال: وما المخش؟ قال: خرطمانيا أشدق إذا تكلم سال لعابه، ينظر بمثل فلسين كأن صدره كركرة[٢] بعير وكأنّ ترقوته خالفة، فقأ الله عيني إن رأيت قبله أو بعده مثله وقال رجل لسنان بن سلمة: ما أنت بأرسح[٣] فتكون فارساً، ولا بعظيم الرأس فتكون سيداً.

قال شاعر:

تقلب رأساً لم يكنْ رأسَ سيّدٍ وكفّاً ككفّ الضبِّ أو هي أحقرُ

وقال الزبرقان: أبغض صبياننا الأقيعس[٤] الذكر الذي كأنما يطلع في حجر، وإذا

---

(١) القصر: جمع قَصَرة وهي أصل العنق إذا غلظت.

(٢) الكركرة: صدر كل ذي خفّ من البهائم. (٣) الأرسح: الثابت المتمكن.

(٤) الأقيعس: ضد الأحدب، وهو الخارج الصدر والداخل البطن.

سأله القوم: أين أبوك؟ هزّ في وجوههم وأحب صبياننا الطويل العزلة أي جلدة الذكر السبط الغرّة العريض الورك، الأبله المعمول الذي يطيع عمّه ويعصي أمه إن سأله القوم أين أبوك؟ قال: محكم.

● **الموصوفُ بحسنِ الوجهِ وإشراقِه**

فلان كأنه شهاب في ظلمة الليل ساطع وكوكب في أفق السماء لامع، قال ابن عبدل الأسدي:

وكـأنـمـا نـظـرُوا إلـى قـمَـرٍ أو حـيـثُ عـلّـقَ قـوسَـه زُحَـلُ

وقال ابن العتاهية:

كـأن الـثـريّـا عـلّـقـتْ فـوقَ نـحـره وفي أنفِه الشعرى وفي وجْهه القمرُ

وقال أوس بن حجر:

تَجرّد في السِّرْبالِ أبيضَ صارماً مبيناً لعيْنِ الناظرِ المتوسّمِ[1]

وقال آخر

تـراهُ كـالـبَـدر جـلّـى لـيـلـةَ الـظُّـلَـمِ

وقال ابن الرومي:

كأنه الشمسُ إذ وافى المُنيفَ بها على البريّة لا نارٌ على علَم

● **الموصوفُ بالقبح**

يقال: أقبح من القبيحة في عين ضرّتها، كما يقال: أحسن من الحسناء في عين أمها، وأقبح من زوال النعمى وموت المنى وطلعة الردى وأسمج من واو عمرو

قال شاعر:

ووجـهُـك مـن وجـه يـومِ الـفـرا قِ فـي مـقـلـتَـيْ عـاشـقٍ، أقـبـحُ

لما سمع بشّار قول حمّاد عجرد فيه

شـبـيـهُ الـوجـه بـالـقـرْدِ إذا مـا عَـمِـيَ الـقـرْدُ

بكى وقال: ألَمْ يكفِهِ تشبيهي بالقرد حتى جعله أعمى. هو يراني فيصفني ولست أراه فأصفه، وقال المتنبي:

وإذا أشـارَ مـحـدّثـاً فـكـأنّـه قِـرْدٌ يُـقـهْـقِـهُ أو عـجُـوزٌ تـلـطِـمُ

وقيل: أقبح من العزالى[2] ومن زوال نعمة، ومن الحدثان ومن سنة بلا نيل. ووقع

---

(١) قوله: تجرّد في السربال أبيض صارماً، عبارة عن مثل مصه، أنه متجرّد للأمور وقوله أبيض أي نقي العرض من الدنس

(٢) العزالى: جمع عزلاء، وهي الإست، العافلة.

بين الأعمش وبين امرأته وحشة فسأل بعض أصحابه أن يرضيها ويصلح بينهما فدخل عليها وقال: إن أبا محمد شيخنا وفقيها فلا يزهدنّك فيه عمش عينيه وحموشة[1] ساقيه وضعف ركبتيه، وقزل[2] رجليه ونتن إبطيه وبخر[3] شدقيه. فقال الأعمش: قم عنا قبّحك الله فقد أريتها من عيوبي ما لم تكن تعرفه وتبصره.

قال ابن الرومي:

يفزَعُ الصبيّةُ الصغارُ بهِ   إذا بكى بعضُهم فلمْ ينَمِ

يقال: هو قراعة في قرح، وخراة في مستراح، وجيء بعيّار إلى بعض الكبار فقال لغلامه: الطم حر وجهه فقال: يا سيدي ليس لوجهه حر لأنه كان قبيحاً.

قال آخر:

وجهُ قبيحٌ حامِض   لو عضّه الكلب ضَرِس

● المعرِّضُ بقبحِ غيرِهِ

رأى خالد بن صفوان الفرزدق فقال: يا أبا فراس ما أنت بالذي لما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن؟ فقال له: ولا أنت بالذي قالت الفتاة لأبيها يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين.

أخذ رجل من لحية آخر شيئاً مما يدع له بغضب فقال: لا تغضب فما منعني أن أقول صرف الله عنك السوء إلا خوفاً أن يصرف عنك وجهك من السوء كله فيه.

وقيل لرجل كيف رأيت فلاناً؟ فقال: لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً. وقال رجل للفرزدق: ما أقبح وجهك كأنما خلق من أحراح[4] فقال أنظر هل ترى حر أمك فيها.

ونظر رجل قبيح وجهه في المرآة فقال: الحمد لله الذي أحسن خلقي، فقال مخنث: أم من يبهت ربه زانية.

وقال ابن مكرم لأبي العيناء يا قرد فقال: وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه.

● القبيحُ المتغازلُ

قال إسماعيل القراطيسي:

جاريةٌ أعجبَها حسنُها   ومثلُها في الناس لم يخلقِ
قلتُ لها إنّي محبٌّ لها   فأقبلتْ تضحكُ من منطقي

---

(١) الحموشة في الساق: دقة الساق.
(٢) القزل: أقبح العرج.
(٣) البخر: رائحة الفم الكريهة.
(٤) الإحراح: جمع حر وهو الفرج.

فالتفتت نحو فتاة لها | كأنها الريربُ في القرطق
قالتْ لها قولي لهذا الفتى | أنظُرْ إلى وجهك ثم أعشق

وقال ابن الرومي:

أقبحْ بوجهِ أبي حفص وعفته | هذان أمران لا والله ما اجتمعا

وقال:

تيس تنفق بالدلال ليشتهى | فازداد مقتاً بالدلال وما نفق
فكأنه من نتنه وسواده | صحراك تنور تلوّى فاحترق

وقيل: للمحظوة أين تذهبين؟ قالت: أفارق القباح

● **المستقبحُ وجهَ نفسِهِ**

نظر أبو شراعة في المرآة وكان قبيحاً فقال: الحمدُ لله الذي لا يحمد على المكروه سواه، ونظر بعضهم في المرآة وكان جدر مدل خمته، فقال: الحمد لله الذي خلقني فأحسن خلقي، ثم بدا له فشوّهني فأخذه سعيد بن بوقة فقال:

قد كانَ ربّي سوى خلقه فطغى | فأحسنَ الله في تشويه خلقته

قال الحطيئة:

أرى لي وجهاً قبّح الله خلقه | فقُبّح من وجه وقبّح حامله

● **المعتذرُ بقبحِهِ**

قيل لحكيم: ما أقبح صورتك، فقال: ليس حسنك إليك فتحمد عليه ولا قبحي إليّ فأعاتب عليه، إنما ذلك صنع الباري تعالى من دمه كفر.

● **ذمُّ المجدورِ**[1]

قال شاعر:

ووجهه بخرءِ الذبّان منقوشُ

ويقال كأنما ينظر من كرش. قال أبو جعفر: كنت أدور مع الصاحب فنظر إلى باب قلعت مساميره فقال:

وجهُ أبي جعفر تصاويره | كالباب إذ قلعت مساميره

قال ابن طباطبا:

لنا صديقٌ نفسُهُ | في مقته منهمكه[2]
ذو جُدَري وصفُهُ | يحكيه جلدُ السمكه

وهي أبيات كثيرة ذات أوصاف.

---

(١) المجدور: الذي أصيب بالجدري فتشوه وجهه.

(٢) المقت: الكراهية.

● **الموصوفُ بِحُسْنِ الأنفِ**

وصف رجل قوماً بالشمم فقال ترد أنوفهم الماء قبل شفاههم، **قال شاعر:**

شُمُّ الأنوفِ من الطِّرازِ الأوَّلِ

● **الأنفُ القبيحُ**

خطب رجل قبيحُ الأنف امرأة فقال: عندي احتمالٌ لمكروه ووفاء عظيم. **فقالت:** ما أشك في احتمالك للمكروه لأنك تحمل هذا الأنف أربعين سنة، كأن أمه كيف مملوء شسوعا[1].

قال بعض المحدثين:

سودُ الوجوه لئيمة أحسابُهم ... فطسُ الأنوف من الطِّراز الآخَرِ

هذا معارض لقوله

بيضُ الوجوه كريمَة أحسابُهم ... شمُّ الأنوف من الطِّراز الأوَّلِ

● **الممدوحُ بطول القامة**

قال شاعر:

كأن زرور القبطريّة علّقت ... علائقُها منه بجذعٍ مقوّمِ[2]

قال أبو نواس:

أشمّ طويلُ الساعدَيْن كأنّما ... يُناط نجاداً سيفه بلواءِ[3]

وقال آخر:

يمدّ ركابَيْهِ من الطّول مائِح[4]

قال عمرو الباهلي:

يطولُ على الرمْح المدينيّ قامةً ... ويقصُر عنه باعُ كلّ نجادِ

وفد على معاوية رضي الله عنه وفد الروم وفيهم رجل لم يرَ أتمّ خلقاً منه وكتب ملك الروم مما فضل به الروم على العرب هذه الجسوم، فأحضر له قيس بن عبادة فرمى إليه سراويله فكانت إلى حلق الرومي فليم على نزع سراويله فقال:

أردت لكيمَا أعلمُ القوم أنّها ... سراويلُ قيسٍ والوفودُ شهودُ

---

(١) **الشسوع:** جمع شسع وهو زمام للنعل.

(٢) **زرور:** جمع زرّ ـ **القبطرية**: ضرب من الثياب ـ **علائقها**: وفي رواية بنادكها.

(٣) **النجاد:** حمائل السيف.

(٤) **الركاب:** ما يعلق في السرج ليجعل الراكب فيه رجله ـ **المائح**: الطويل.

وأنْ لا يقول غاب قيسٌ عهده ... سراويلُ عادٍ قد نمته ثمودُ

● الملومُ بالطول

هو ظلّ الرمح وظلّ النعامة وظلّ الشيطان للمكر الضخم، وأطول من السكاك أي الهوى.

قال ابن الرومي:

من رأيتم بعد طالو ... ت له علمٌ وجسمُ

وقد مدح الله تعالى طالوت بقوله ﴿وزاده بسطة في العلم والجسم﴾

● نوادرُ في القِصَر

وقف رجل طويل على بائع رمّان فقال له: رمّانك صغير، فقال له: اقعد وانظر، فلو نظرت من ههنا إلى بطيخة لم ترها إلا عفصة[1]. كان قصّار يعمل كل يوم على نهر ويرى كركيّاً يأخذ الدود فيأكله. فرأى الكركيّ صقراً قد انحط على حمامة فأخذها بمخاليه، فقال الكركيّ: أنا أعظم جسماً منه فمالي رضيت بأكل القاذورات فرأى حماماً فانقض عليه فوقع في الماء ونشب في الوحل فأخذه القصار فكان يقول لمن يسأله عنه هذا كركي تصقّر[2] فتصقّر

● الملومُ بالقِصر

أقصر من إبهام القطاة ومن قتر الضبّ ومن إبهامه ومن إبهام الحبتري. قال شاعر:

رأيتُ خليلي من تقارب شخصه ... يعضّ القرادُ باسته وهو قائمُ[3]

قال الناجم:

ألا يا بيدقَ الشطر ... نج في القيمة والقامه

لقد صغّرَ منك الـ ... كلّ غير الدبْر والهامه

وقال

أقصرُ من يأجوجٍ في قدّه ... وقرنه أطولُ من عوجِ[4]

قال عباس المصيصي:

يقطّعُ دوّاجاً له سبغاً ... وربقة من ورقِ التوتِ[5]

---

(١) العفصة: شجرة من نوع البلوط (٢) تصقر: أراد أن يصيد كالصقر

(٣) القُراد: دويبة كالقمل تتعلق بالبعير

(٤) يأجوج ومأجوج: شعب استنجد بالإسكندر، فبنى الإسكندر السدّ الذي يعرف اليوم باسم سور الصين الكبير.

(٥) الدوّاج: ضرب من الثياب، وقيل الكلمة غير عربية ـ الربقة: نسج من الصوف، والربقة الحبل أو الحلقة لشد الغنم الصغار.

وقال:

كأنه البرغوث لم يخطه ... في صعر الجثمان والقرص

ويوصف القصير بالمكر والخبث قيل إن كسرى جلس للمظالم فتقدم إليه رجل قصير فأخذ يصيح أنا مظلوم وهو لا يلتفت إليه فقال. الموبذان أنصفه فقال إن القصير لا يظلمه أحد. فقال الرجل. إن الذي ظلمني هو أقصر مني فضحك وأشكاه.

وقيل إن سقراط قال لا تجوز شهادة الأحدب والقصير وإن تركيا لخبثهما فقيل ولِمَ خبثا؟ فقال: لقرب دماغيهما من فؤاديهما كان يوسف بن عمر عامل هشام على العراق قصيراً وكان إذا خاط الخياط له ثوباً فقال له: تحتاج إلى خرقة لأن تفصيل الأمير طويل يعطيه ما يريد وإذا قال يكفيك أو يفضل يضربه ويشتمه.

● المعتذرُ للقصر

قال المهلّب لرجل: ما أصغرك وأقلك. فقال: إن كثر عقلي عما تغرني قلّتي وإن طال زهدي فما يعيبني قصري ولما استحضر النعمان ضمرة بن ضمرة قال: إن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه فقال كل الرجال ليسوا بجزور إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه إن نطق نطق ببيان وإن قاتل قاتل بجنان[1]:

وما عظمُ الرجالِ لهم بفخرٍ ... ولكن فخرُهم كرمٌ وخيرُ

● الممدوحُ بالخفةِ والمعتذر للنحافة

قال العجيل السلولي:

فتىً قد قدّ السيفَ لا متضائلٌ ... ولا رهلٌ لباتُه ومبادله[2]

قال الأشجعي:

وإني على ما تزدري من نحافتي ... تزيد موازيني على الرجل الضخم

قال آخر:

بدن ناحلٌ وعزمٌ جسيمُ

قال حاتم

تراني كأشلاء اللجام ولا ترى ... أخا الحرب إلا ساهمَ الوجهِ أغبرا

قال ابن نباتة:

إن كان يؤتي فؤادٌ من نحافته ... فإنّ قلبي لا يؤتى من الخَوَرِ[3]

---

(١) الجنان: القلب.

(٢) قدّ السيف: قطعه ـ اللبات: جمع لبة وهي موضع القلادة من الصدر ـ المبادل: جمع مبدلة وهي الثوب.

(٣) الخور: الضعف.

قال آخر:

لا تجزعنّ من الهزال فطالما ... ذُبح السمين وعُوفي المهزولُ

وقيل لأعرابي: ما أنحفك؟ فقال سوء الغداء وجدب المرعى وتناجي الهموم في صدري.

● ذمُّ السمنِ

قيل السمنة عقلة. ونظر عمر رضي الله عنه إلى رجل بادن[1] فقال: ما هذا؟ قال بركة الله فقال: بل شحطه ثم قال إياكم والبطنة فإنها ثقل في الحياة ونتن في الممات. ورأى حكيم رجلاً سميناً فقال ما أكثر عنايتك برفع سور جسمك وقال الشافعي ما رأيت سميناً ذكياً إلا محمد بن الحسن قال ابن الرومي:

لَيْسَ بالراجح من رجحانه ... لحمٌ وشحمْ

من رأيتم سفد طالو ... ت له جسم وعلمْ

وقال:

أميرٌ كلّه شحمٌ ولحمٌ ... وليس وراءه علمٌ وفهمُ

وقال بعضهم محال أن يكون روح خفيف في جسم كثيف.

قال كشاجم:

كأنما قدامه بطنه ... راوية قد سقيت دلوا[2]

● السَّبَبُ المسمِنُ

قيل لسمين: أي شيء سمنك؟ فقال أكلي الحار وشربي القار واتكائي على اليسار، وأكلي من مال كل ذي يسار. ولآخر لاتكئي على شمالي والأكل من غير مالي. وسئل آخر فقال قلّة الفكرة وطول الدعة والنوم على الكظة[3] وقيل لمحبوس فقال القيد والرتعة، ومن يكن جار الأمير يسمن

● أعسر أيسر

حضر أبو العيناء علوية المغني وكان يضرب بالعسر فقال: أسأل الله الذي جعل السرور بيسارك أن يعطيك كتابك بيمينك.

● ذم القلح[4]

قال ﷺ ما لكم تدخلون عليّ قلحاً ستاكوا[5] وقال نظفوا أفواهكم فإنها ممر القرآن.

---

(١) البادن: السمين الضخم.

(٢) الراوية: الناقة التي تحمل الماء.

(٣) الكظة: الامتلاء.

(٤) القلح: صفرة تعلو الأسنان.

(٥) الاستواك: تنظيف الأسنان بالمسواك.

قال جرير:

كــأن مــقــالــعَ أضــراسـهــم　　　إذا ضحكوا جيفُ الخنفُسِ

قال عبد الصمد:

إذا افــتــرّ أبــرز قــلــحَ الأصــول　　　كــمــا كــشــر الــعــيــر لــلــتــهــقــة

قال عبدان:

ومــن رأى مــن شــيــخــهــم　　　أبــدانــه ومــقــشــره

تــجــيــشُ مــنــه نــفــثــه　　　حــتــى يــقــيء الــعــذره

● ذمُّ البخرِ

شكا أبخر ضرسه ففتح فاه للطبيب فشمّ منه رائحة كريهة فقال له: مر كناساً يكنسه فهذا كنيف. وقيل اشترى رجل أبرخ جارية فسأله صالح الخيّاط عن خبرها فقال: ما زالت تمص الدرحة لساني. فقال: إن صدقت فإنها بنت وردان[1].

وكان عبد الملك يسمى أبا الذباب لأن الذباب كان يسقط إذا قرب من فيه ومازَ سعيدَ بن حميد رجل به بخر فقال: مثلك لا يسار، وإنما يكاتب. قال ابن المعتز

وإن امرأً يقوى على لثم ثغره　　　على الضغط والتعذيب في قبره يقوى

وقال:

كلمتني فقلت خيراً وخيراً　　　جعل الله بين فكيك دبرا

وقال:

إنما نحنُ في كنيف إذا ما　　　جمعَ الريقَ والخرا في مكان

وقالت امرأة.

فما جيفةُ الخنزيرِ عند ابنِ مقرب　　　قتادة إلا ريحُ مسك وغاليته[2]

● عِلّةُ طيب الفمِ والبخر[3]

قيل من كثر ريقه وسال لعابه لا يعرض له الخلوف ولذلك كانت الكلاب أطيب أفواهاً ويعرض بانطباق الفم الخلوف وأطيب الناس أفواهاً الزنج. والأسد والصقر موصوفان بالبخر.

● طيب الرائحة

قال شاعر:

الطيبون ثياباً كلما فرقوا

وقيل:

أطيبُ ريحاً من المسك ومن نفحةِ النسيم

---

(1) بنت وردان: الصرصار.　　(2) الغالية: ضرب من الطيب.

(3) البخر: رائحة الفم الكريهة.

● نَتْنُ الإبطِ والجَسَدِ

قال شاعر:

وإبطُكَ قابضُ الأرواحِ يرمي ... بسَهْمِ الموتِ من تحتِ الثيابِ

قال الخبزارزي:

وكأن ريحَ صُنانِهِ من نتنه ... في أنفِ باكيةٍ سعوطٌ يُنْشَقُ[1]

وقيل لمخنث: لِمَ كان الإبط أنتن الأعضاء؟ قال: لأنه كان مقحة فتورت[2]

ريحُه ريحُ كلابٍ ... هارشت في يومِ طَلّ

وكأنَّ الريقَ منه ... طعمُ صحناةٍ بخلّ

وقال الخياط الشامري:

يا رحمتي لبخورهِ من نتنه ... كم في الكنيف يضيعُ ريحُ العنبرِ

وقيل أنتن من ريح الجورب

● الشاكي ضعف بصرِه

قال شاعر:

أشكو إلى اللهِ أقوالاً أكابدُها ... إذا سرى القومُ لم أبصر طريقهم

● تسلّي من كُفّ بصره

قيل لرجل قد ذهب بصره قد يسلب حسن وجهك قال: لكنني منعت النظر إلى ما يلهي وعوضت الفكرة فيما يجدي. فحكى ذلك لبعض البلغاء فقال: العماء على التحري إلا بمثل هذا الكلام

وقال الجنيد حضرت أبا علي الأشني وكان ضريراً مقرأ قارئه يعلم حالة الأعين وما تخفي الصدور فقال: سقط عني نصف العمل.

قال أبو يعقوب الجريمي:

فإن تكُ عيني خبا نورُها ... فكَمْ مثلُها نورُ عينٍ خَبَا

ولَمْ يعمَ قلبي ولكنّه ... أرى نورَ عيني إليه سَرَى

قال محصن بن كنان

يقولون ماء طبيبٍ خانَ عينَه ... وما ماءُ عينٍ خانَ عيناً بطيبِ

ولكنّه أزمانَ أنظرُ طيباً ... بعيني قطامي على ظهر مرقبِ[3]

---

(١) السعوط: الدواء يصب في الأنف، أو دقيق التبغ، والريح الطية والسعوط تسميه العامة العطوس

(٢) صحناة: أي الصحناءة وهي السمك الصغير المملوح

(٣) القطامي: الصقر.

كأن ابنَ حجلٍ مذ فضَّلَ جناحه ... على بإنسانيهما المتعقّبِ

● نوادرُ العميانِ في صمامم

كان أعمى يقول أرحموا ذا الرمتين. فقيل: ما هما؟ قال العمى وقبح الصوت أما سمعتم:

فبي عيبان إن عدّا ... بحيزٌ منهما الموتُ
فقيرٌ ما لَهُ قدرٌ ... وأعمى ما لَه صوتُ

وقال المتوكل يوماً لجلسائه لولا ذهاب بصر أبي العيناء لجعلته نديمي. فقال أبو العيناء لما بلغه ذلك: إن كان يريدني لقراءة نقش الخواتم وقراءة الأهلة لم أصلح. فضحك واتخذه نديماً.

وقال معاوية لابن عبّاس رضي الله عنهما إنكم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم فقال وأنتم يا بني أمية تصابون في بصائركم. وقيل لبشار. ما أذهب الله عينيْ امرئٍ إلا عوضه عنهما فما الذي عوضك؟ قال: أن لا أرى مثلك وسأل رجل بشاراً عن دار فهداه إليها فلم يكن يهتدي فقال:

أعمى يقودُ بصيراً لا أبا لكُمُ ... قد ضلّ من كانتِ العُميان تهديه

وتزوّج أعمى امرأة فقالت لو رأيت بياضي وحسني لعجبت، فقال إسكتي فلو كنت ما تقولين لما تركك البصراء لي. وقيل لأعمى مكابرٌ والأعور ظلومٌ والأحول تيّاه وقيل: في أعمى يدّعي العوَرَ

أعمى يدلّس نفسَه في العُور

وقال أعمى لآخر فلان أقل حيلة من بصير فعدهم البصراء قليلو الحيلة.

● العوَرُ

أصاب أعور أرمد فقال يا رب ليس محنه وكتب الصاحب في أعور يريد أن يثبت اسمه في العميان هذا الفتى قد جبر عور عينه بعمى قلبه فألحقه بالعميان والسلام وقيل لأعور: ما أشد العمى؟ قال عندي نصف الخبر وقيل لأعور أعمى الله عينك قال: قد أجبت نصف دعوتك.

وأصاب حجر عين أعور الصحيحة فوضع يده عليها وقال أمسينا وأمسى الملك لله. وتجارى قومٌ في مجلس فقال أحدهم من كان أعور فهو نصف رجل ومن لا يحسن السباحة فهو نصف رجل، ومن لا يتزوج فهو نصف رجل، وكان معهم رجل اجتمعت فيه هذه كلها فقال إني أحتاج إلى نصف رجل حتى أكون لا شيء وقال أعور في نفسه وصاحب له أعور

ألم ترني وعمراً حين نغدو ... إلى الحاجاتِ ليس لنا نظيرُ

أسايِرُه على يمنى يديه	وفيما بيننا رجلٌ ضريرُ

ومثله:

هي عوراءُ باليمينِ وهذا	أعورُ بالشمالِ وافق شنّا
بين شخصيهما ضرير إذا ما	قعدتْ عن شمالِه تتمنّى

● وما قيلَ في الحَوَلِ

خرج هشام فتلقاه أعور فقال: إني تشاءمت بعورك، فقال له الرجل: شؤم الأعور على نفسه وشؤم الأحول على الناس. وكان هشام أحول فخجل وعرض على أمير أثواب خزّ، وفي المجلس أعور وأحول، فقال الأعور للأحول: بهذا الثوب عيب فقال: يا صفعان إن بصرك بعين واحدة أجدّ من بصري بعينين، فقال الأعور: دُرَيْهِم جيد خير من درهمين مزيّفين.

وفي وصف أحول

ومجمّتين في برجَيْن هادٍ وحائرٌ	متى طلَّما حلَّ الكسوفُ بواجِدِ
لهذا على التقديرِ قوةُ زهرةٍ	وفي ذا على التشبيه ظرف عطاردِ
إذا أفل الهادي ووافاه برجه	تراءى لنا المكسوفُ في زيّ قاصدِ
من الأنجمِ اللاتي حرّت في بروجها	ولم تدر ما معنى نُجوم المراقدِ

● الصممُ

قال المأمون لليزيدي: لم نرك مذ أيام، فقال: حصل في سمعي ثقل فأنا أتعلّم الآن إفهاماً واستفهاماً فقال الآن طبت أن تكون معنا ما شئنا أسمعناه وما احتشمنا فيه أسررناه عنك فأنت غائب شاهد وانصرف أطروش[1] من الحلبة فلقيه رجل فقال هذا الرجل يسألني الآن من أين؟ فإذا قلت له من الحلبة فيقول من سبق فأقول الحليمة بالأدهم. فلمّا دنا الرجل سلّم على الأصم فقال: من الحلبة فقال: نكت أمك قال: بالأدهم. وصلى أطروش بجنبه أبخر فلما سلّم، قال له الأبخر، أسها الإمام؟ قال لا بل فسا ألم تشم؟

● عظمُ الأذن وصغرُها

قيل: طول الأذن دليل على طول العمر. وقدّم رجل للقتل وكان طويل الأذن فقيل له: أليس زعموا أن طول الأذن دليل طول العمر؟ فقال: لو تركوني لطال، ولكن حالوا بيني وبينه وأحضر رجل طويل الأذن للقتل فجعل يلمس أذنيه ويقول: واضياع أمله وانقطاع رجاه.

---

(1) الأطروش: الأصم

● الحَدبُ

قال الجاحظ: من اعتراه الحدب طال أيره واشتد شقه وكثر حبّه وظرفه. وأتى بعض الولاة بأحدب جنى جناية فقال: لأضربنك ضرباً يقيم ظهرك فقال إنك إذاً لعظيم البركة.
وقال شاعر:

تعدو الجياد بخالد ... فكأنما تعدو بقُربه[1]
تيس أنب من التيو ... س كأن لحيته مذبّه

● العَرَجُ

قال بشر:

إذا غدوا وعصى الطلح أرجلهم ... كما ينصب وسط البيعة الصلبُ

وقال:

قد كنتُ أمشي على رجلين معتدِلاً ... فصرت أمشي على رجلٍ من الشجرِ

وقال:

وما بي من عيبٍ الفتى غيرَ أنني ... جعلْت العصا رِجْلاً أقيمُ بها رِجْلي

وقال الغساني:

إذا ما تعدّت بي وسارت مخفّةً ... لها أرجلٌ يسعى بها رجلان
وما كنتُ من فرسانها غيرَ أنها ... وقتْ لي لما خانتِ القدمان

● الاعتذارُ من سواد اللون ومدحُه

وقال عبد بني الحسحاس:

إن كنت عبداً فنفسي حرّة كرماً ... أو أسودَ اللونِ إني أبيضُ الخُلُقِ

وقال

وما ضرّ أثوابي سوادي وتحته ... لباسٌ من العلياء بيضٌ نبائقه[2]

وقال المتنبي:

فدىً لأبي المِسْك الكرامِ فإنها ... سوابقُ خيلٍ يهتدين بأدهمِ

وقيل لنصيب أيها العبد الأسود فقال: أما العبودية فإني ولدت حراً، وأما السواد فأنا كما قال:

فإن يكُ حائلاً لوني فإنّي ... لعقلٍ غير ذي سَقطٍ وعاءُ

---

(١) أنبّ التيس: هاج. (٢) النبائق: العقد في العقود

● هِجَاءُ السودان

قال كشاجم:

يا مشبِهاً في لونه فعلَه ... لم تعْدُ ما أوجبتِ القِسْمَه

ظلمُكَ من خلقِك مستخرجٌ ... والظُّلم مشتقٌّ؟ من الظُّلْمَه

وهو مأخوذ من قول حكيم. وقيل له: ما تقول في الأسود قال خيره كلونه وسأل المتوكل رجلاً لِمَ ملت إلى السودان؟ فقال: لأنهن أسخن. فقال عبادة ـ وكان حاضراً ـ نعم للعين.

وقال جرير في أسود عليه ثوب أبيض:

كأنه لما بدا للناس ... أيرُ حمارٍ لُفَّ في قرطاس

● نوادرُ في السودان

رأى مخنث زنجياً يعجر برومية فقال: يولج الليل في النهار. ورأى زنجياً يبكي فقال كأنه مطبخ يكف. ورأى سوداء متخمرة بأصفر، فقال: كأنها فحمة في رأسها نار

● البَرَصُ

كان جذيمة أبرص فكني عنه بالأبرش. ودخل عامر بن مالك وكان عمّ لبيد وكان شيخاً، على النعمان فعبث به الربيع بن زياد وأضحك منه الحاضرين، فخجل الشيخ وانصرف وشكاه إلى لبيد فقال: دعه لي، فدخل على النعمان وهو يؤاكل الربيع فقال:

مهلاً أبيتَ اللعنَ لا تأكل معه

فقال النعمان: لمه؟ فقال:

إن إسته من برص ملمّعه ... وإنه يُدخِلُ فيها إصبَعَهْ

يدخله حتى يواري إشجعه ... كأنه يطلبُ شيئاً ضيّعه[1]

فأمسك النعمان ولم يأذن له بعد ذلك فأرسل إليه يقول: إنه كاذب فأرسل من يفتشني. فقال النعمان:

قد قيلَ ما قيل إن حقاً وإن كذبا ... فما اعتذارك من قولٍ إذا قيلا

وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه: إن كنت كاذباً فرماك الله ببيضاء لا تواريها العمامة فصار به برص وجلس عمرو بن هداب للشعراء فأنشده طريف بن سوادة أرجوزة فيه حتى انتهى إلى قوله:

أبرصُ فيّاضُ اليدين أكلفُ ... والبرص أندى بالنُّهى وأعرَفُ

---

(١) الإشجع: واحد الأشاجع، وهي أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف، أو هي عروق ظاهر الكفّ.

وكان عمرو أبرص فثار به بعض حاضريه. اسكت قطع الله لسانك فقال عمرو مه إن البرص من مفاخر العرب أما سمعت ابن حبنا يقول

لا تحسبنّ بياضاً فيه منقصةً	إن اللهاميمَ في أقرابِها بُلْقُ[1]

وقال جرير:

كأن بني طهية رهط سلمى	حجارةُ خارئٍ يرمي كِلابا
لها برصٌ بأسفلِ اسكتيْها	كعنفقةِ الفرزدق حين شابا

ويقال لما أنشد صدر البيت وضع الفرزدق يده على عنفقته علماً بما يؤول إليه صدر البيت.

● **القملُ**

كان أعرابي يفلّي كساءه فيأخذ البراغيث ثم يدع القمل فقيل له فقال أبدأ بالفرسان وأكر على الرجالة. ورأى فيلسوف قملة تدبّ في رأس أقرع، فقال هذا لصّ في خربة

وقال أبو نواس.

للـه درُّكَ مِـن أخـي	قنـص أظـافـرُه كـلابُـه

رؤي أعرابي يأكل ويحرأ ويتملّى فقيل له في ذلك، فقال. أخرج داء وأدخل دواء واقتل عدواً.

وقال الصاحب:

أمـا تـرى وجـهَ أبي زيـدِ	أقـبـحَ مـن حـبـس ومن قـيـدِ
وحـوشـه تـرتـعُ في جيـبـه	وظـفـرُه يـركـبُ لـلـصـيـدِ

وقال:

للقمل حولَ أبي العلاء مصارعُ	ما بين مقتولٍ وبين عقيرِ
وكأنهـن لـدى دروعِ قميصـه	فـذٌّ تـوأم سـمسـمٍ مقشـورِ

قال كشاجم:

لـو بـدّل الـلـهُ قـمـلـةً غـنـمـا	مـا طـمـع الـجـارُ مـنـه فـي صُـوفِـه

● **أنواعٌ مختلفةٌ متعلقةٌ بهذا الفصلِ**

دخل أكثم البطحاء ورأى بني عبد مناف فقال: كأنهم أبرجة الفضة وكأن عمائمهم فوق الرجال يلحفون بالخيرات الأرض، وقال يا بني تميم إذا أراد الله أن ينشيء دولة نبت لها مثل هؤلاء هذا غرس الله لا غرس الرجال.

---

(١) اللهاميم جمع لهموم وهو الجواد من الناس أو الخيل ـ البلق: البيض، جمع الأبلق

وقيل: من قصرت قامته وصغرت هامته وطالت لحيته كان حقيقاً على المسلمين أن يقروه على قلّة عقله. وقال:

يلحنُ في المَشْي حين يفقُدني ... وإن رآني مشى بإعرابِ

(٢)

وممّا جاء في محاسنِ المحبوبِ وميلِ النفوسِ إليه

•

رأت رابعة الحسنَ يقبل غلاماً صغيراً مليحاً فقالت: أما شغلك حب الله عن حبّ غيره؟ فقال: من حبّ الله حبّ من حسن خلقه:

● الكاملُ الحسنِ

قال شاعر:

ليس فيها ما يُقال لهُ ... كمُلَتْ لو أنّ ذا كمُلا

قال آخر:

خلقْن أحسن ممّا قال مَنْ يَصفُ

قال الحكم بن أبي قنبر:

لو قسم اللهُ جزءاً من محاسنه ... في الناس طرّاً تمّ الحسنُ في النّاس

● الموصوفُ بإزالةِ الظلام

وأنه قائم مقام أقمار

قال آخر:

رأيتُ عليه مسحةَ الشمس والبدرِ

وقال آخر:

رأيتُ به من سُنّةِ البدر مَطْلعاً

وقال آخر:

كأنّما البدرُ من إزراره طلعَا

قال بكر بن النطاح يصف نسوة:

توزّعن فيما بينهنّ سنَا البَدْرِ

قال البحتري:

أضرتْ بضوءِ البدْر والبدرُ طالعٌ ... وقامتْ مقامَ البدْر لمّا تغيّبا

وقال ابن الرومي:

يا شبيهَ البدْر في الحُسْن وفي بُعْدِ المَنال

ورأى بعضهم مليحاً يمشي في الشمس فقال: اتق صرّتك لا تكسفك.

- مَنْ هُوَ كالشمس الطالعةِ والجانحة

قال قيس بن الحطيم:

فرأيتُ مثْلَ الشمسِ عند طلوعِها ... في الحُسنِ أو كدنُوها لغروبِ

وقال البحتري يصف مرتحله

دنَتْ عند الوداعِ لِوَشْكِ بَيْنٍ ... دنوَّ الشمسِ تجنَحُ للأصيلِ

- الموفي على النيّرين

قال عليّ بن الجهم:

يا بدرُ كيفَ صنعْتَ بالبدرِ ... وفضحْتَه من حيثُ لا يدْري

الدهرُ أنتَ بأسرِهِ قمرٌ ... ولذاك ليلتُه من الشهرِ

قال عليّ بن الأصفهاني:

وقد خجلتْ شمسُ الضحى منك غُدوةً ... فكادَتْ كما جاءَتْ إلى الشرقِ ترجعُ

قال كثير

لو أن عزة خاصمَتْ شمسَ الضحى ... في الحُسْنِ عندَ موفقٍ لقضى لها

فكمل المعنى بقوله عند موفق:

- من يَزْدادُ حسناً بتزايدِ النظرِ إليه

قال شاعر:

لها النظرةُ الأولى عليهم وبسطةٌ ... وإن كرّتِ الأبصارُ كان لها العُقْبى

قال أبو نواس:

يزيدُكَ وجهُهُ حسْناً ... إذا ما زِدْتَهُ نظرا

- مَنْ يَهْوَاه لحسنِهِ مَنْ يَراه

قال عليّ بن جبلة:

أعزُّ تَوالدُ الشهواتُ منه ... فما تغدوه أهواءُ القلوبِ

وما اكتحلتْ بِهِ عينٌ فتبقى ... مسلمَةُ الضميرِ من الذنوبِ

وقال آخر:

كأن قلوبَ الناسِ في قلبِهِ قلْبُ

قال الصاحب:

وسألْتُه مَنْ أنتَ يا ... شُغلَ القلوبِ فقالَ أقه

● من هو قَيدُ النواظرِ لجماله

قيل هو قيد النواظر. قال أبو فراس:

فإذا بدا اقتادَت محاسنُه	قسراً إليه أعنَّةَ الحدَقِ

قال ابن المعتز:

منظرُه قيدُ عيونِ الورى	فليسَ خلقٌ يتعدّاهُ

قال أبو نواس:

للحسنِ في وجناته بدَعٌ	ما أن يملّ الدرسَ قاريها

● من هو في الحسن كالنار أو كالثلج

قال أعرابي: رأيت جارية كأنها نار موقدة، وقال

كجمرِ غضى هبّت له الريحُ ذاكيا[1]

قال ديك الجن:

إن بيتاً أنت ساكنُه	غيرُ محتاجٍ إلى السُرُجِ

● مَنْ أعطي من الحسنِ مُشتهاهُ

قال أبو نواس:

حلّيت والحسنُ تأخذُهُ	تنتقي منه وتنتخبُ
فاكتسَت منه طرائفَه	واستزادَت فضلَ ما تهبُ

وقال المتنبي:

حبيبٌ كأن الحُسنَ كان يحبّه	فآثرَه أو جار في الحسنِ قسمُه

وقال محمد بن وهب:

قد خلع الحسنُ على وجهِه	سربالَ محمودٍ ومحسودِ

● حُسْنُ السافرة

قال بعضهم.

وجوهٌ زهاها الحُسنُ أن تتنقّبا

وقال الشماخ.

أطارَت من الحُسنِ الرداءَ المحبّرا

قال يزيد بن الثرية

فألقَتْ قناعاً دونَه الشمسُ واتّقَتْ	بأحسنِ موصولَينِ كفٌّ ومعصَمُ

(١) الغضا: نوع من الشجر جمره يدوم طويلاً.

قال بعضهم:

لها حاجبان الحسنُ والقبح منهُما كـأنّـهمـا نـونـان مـن كـفّ عـاشـقِ

● العينُ المكسرةُ

يستحسن في صفتها قول بشار

حـوراءُ إن نـظـرت إلـيـك سقَتْك بالعينين خَمْرًا[1]

وكـأنّ تـحـت لـسـانـهـا هـاروتُ ينفُثُ فيه سِحْرًا[2]

وسمع ذو الرمّة إنساناً ينشد قوله:

وعَيْنَان قالَ اللّهُ كونا فكانَتا فعُولان بالألبابِ ما تفْعَلُ الخَمْرُ

فقال ذو الرّمة فعولان كأنه ترزع أن يقرن فعولين فيكون ذلك بأمر الله تعالى.

● العينُ الفاترةُ

وسنانُ أقصدَه النعاسُ فرنّقتْ في عينِه سِنَةٌ وليس بِنائِمِ

قال البحتري:

وكـأنّ فـي جـسـمـي الـذي في ناظريك من السّقَم

وله:

ما بعيني هذا الغزالِ الغرير من فتونٍ مستجلَبٍ من فُتورِ

قال أبو عبيدة يعجبني من شعر أبي نواس قوله

ضعيفةُ كرِّ الطرفِ تحسَبُ أنّها قريبةُ عهدٍ بالإفاقةِ من سُقْمِ

● العينُ الجارحةُ

قال أشجع:

وتـنـالُ مـنـك بـحـدّ مـقـلـتِـهـا مـا لا يـنـال بـحـدّه الـنـصـلُ

وقال أبو تمام:

إن لـلّـه فـي الـعـبـاد مـنـايـا سلطتْها على القُلوب العيونُ

وقال المتنبي:

من طاعني ثُغَرِ الرِّجالِ جآذِرٌ ومنَ الرِّماحِ دمالِجٌ وخلاخلُ[3]

---

(١) الحوراء: العين الشديدة البياض والسواد.

(٢) هاروت. ومثله ماروت ملكان وقعا في الخطيئة، وينسب السحر إلى هاروت

(٣) الثغر. جمع ثغرة وهي نقرة النحر ـ الجآذر جمع جؤذر ولد البقرة الوحشية، والجآذر (هنا): النساء ـ الدمالج: الدملج حلي يلبس في العضد ـ الخلاخل: حلى تزين بها الساق

ولذا إسمُ أغطيةِ العيونِ جفونُها ... من أنّها عَمَلُ السيوفِ عواملُ

وقال جعفر المصري:

نظرت إليها نظرة فكأنّما ... نظرَتْ بتلك العيْنِ سكينُ شاطِرِ

● العينُ الساحرةُ

قال كشاجم

يالله يا متفرّداً في حسنِه ... ومقلباً هاروت بين محاجِرِه

وقال الصاحب:

ولو أن هاروتاً رأى فترَ عينِه ... تعلّم كيفَ السحرُ من حدّ جفْنِه

● العين الكحلاء

وقال صالح بن عبد القدوس

كحل الجمالُ جفونَ أعينِها ... فغنينَ عنْ كحلٍ بلا كُحْلِ

وقال:

كأنّهما مكحُولتان بإثْمِدٍ ... وما بهما غيْرُ الملاحَة من كُحْلِ

وقال المتنبي:

لَيْس التكَحُّلُ في العَيْنَيْن كالكَحَل

● العينُ الحولاءُ

قال الصاحب من بديع ما قيل في الحول:

نظرتُ إليْها والرقيبُ يخالُني ... نظرْتُ إليْهِ فاسترَحْتُ من العَذْلِ

● العينُ الضيقةُ

قال الخوارزمي:

بأبي مَن عينُه أبداً ... في عداتٍ وفيَ لا تُعدُ

وقال:

يقاربُ ما بيْن الجُفونِ كأنّما ... يلاحِظُ من شقّ على حَرْفِ درهمِ

● حسنُ الأنفِ

وقال طريح بن إسماعيل:

وليسَ المنخَرَيْن معتدلُ الـ ... ـمارِنِ لا سابلٌ ولا جَسِدُ

● حسنُ الثغر

قيل: الثغر الحسن يحلّي الوجه القبيح قال البحتري:

كأنّما يبسَمُ عن لؤلؤٍ ... منضّدٍ أو بَرَدٍ أو أقاح

وله:

لكَ من ثغره ومن خدّه ما ... شئتَ من أقحوان أو جُلّنار[1]

ومن جيّده لبعض القدماء:

إذا ما اجتلى الرائي إليها بطرفه ... غروب ثناياها أضاء وأظلما

● الأسنان

قال المتنبي:

ويبسمن عن درٍّ تقلّدن مثله ... كأنّ التراقي وُشّحت بالمباسمِ

وقال طرفة:

بردٌ أبيض مصقولُ الأشر

وقال البحتري:

لها مبسمٌ كالبَرَدِ يضحكُ عن درّ

وقال الزاهر:

تومات درّ على دالات مُرجان

وقال ذو الرمة:

جرى الأسحلُ الأحوى بطفلٍ مطرّفٍ ... على العرّ من أنيابها فهي نُصّعُ

● طيبُ الفمِ

قال كشاجم:

تبسّم عن واضح مُسرود ... تحقيقُ عن طيبه الكؤوسُ

قال المتنبي:

وأشنبُ معسولُ برد الثنايا ... لذيذُ المقبّل والمبتسم

ويقال: فمها أعذب من برد الشراب وجسمها أعجب من برد الشباب.

● مَنْ ذَكَرَ طيبَ فمٍ زعم أنّه لم يذُقْه

أول من قاله النابغة فقال:

زعمَ الهمامُ ولَمْ أذُقه، أنّه ... يُشفى بريّا ريقِها العطشُ الصّدي

قال بشار:

يا أطيبَ الناس ريقاً غيرَ مختبَرٍ ... إلا شهادةُ أطرافِ المساويكِ

● طيبُ الفمِ وحسنُ المبتسمِ معاً

قال ابن الرومي:

وقبّلتُ أفواهاً عذاباً كأنّها ... ينابيعُ خمرٍ حصّبت لؤلؤَ البحرِ

---

(١) الأقحوان: زهر أبيض مفلّج الأوراق تشبّه به الأسنان. الجُلّنار: زهر الرمان، شبّه به حمرة الخدّ.

وقال:

ومبتسم عذبُ الأشر ... ألف من خمر ودُرّ[1]

وقال:

أحاذِرُ في الظلمات أن يستشفني ... عيونُ الغيارى في وَميض المضاحِكِ[2]

وقال:

تبسّمْنَ فاستضحكْنَ طامِسَةَ الدُّجى ... عنِ الأفقِ في الظلماء أوجهها طحْلُ[3]

وقال:

كأنّ ابتسامَ البرْق بيني وبينها ... إذا لاحَ في بعض البيوتِ ابتسامُها

وقال آخر:

تبسّم إيماض الغمامِ المُكلّلِ[4]

ولمسلم وهو نادر

تبسّم عن مثلِ الأقاحي تبسّمَت ... له مزنةٌ صيفيّة فتبسّما[5]

وقال:

كأنّ دراً إذا هي ابتسمت ... من ثغرِها في الحَديث ينتثر[6]

● الحَسَنُ الحديثِ والكلامِ

قال أبو حيّة:

إذا هنّ ساقطْنَ الحديثَ كأنّه ... سقاط حصى المرجان من سلكِ ناظم[7]

رمين فأقصَدْنَ القلوبَ ولم تجدْ ... دماً مائراً إلّا جرى في الحيازِمِ[8]

قال البحتري:

ولما التقينا والنّقا موعِدٌ لنا ... تعجّب رائي الدرّ حسناً ولاقِطُه

فمِن لؤلؤٍ تجلوه عند ابتسامِها ... ومن لؤلؤٍ عند الحديثِ تساقطُه

قال آخر:

كأن حديثها سُكْرُ الشباب

---

(١) الأشر: التحزيز في الأسنان

(٢) استشفّ (ه): نظر ما وراءه ـ المضاحك: الأسنان الضواحك

(٣) الطُحل: جمع الأطحل من الطُحلة وهي لون كلون الرماد

(٤) الغمام المكلّل: السحاب المتراكم بشكل إكليل

(٥) المزنة: السحابة الممطرة.

(٦) يقول كأنّها وهي تبتسم متحدثة تنثر من ثغرها لؤلؤاً

(٧) المرجان: صغار اللؤلؤ.

(٨) أقصدت القلوب: رمتها بسهام عيونهن وأصبن فيها مقتلاً

وقال:

هي الدرّ منظوماً إذا ما تكلّمت ... وكالدرّ مجموعاً إذا لم تكلّمِ

وقال:

إن طالَ لمْ يملِلْ وإن هِيَ أوجزَتْ ... ودّ المحدِّثُ أنّها لم تُوجِزِ

وقال:

كأنما عسَلٌ رجعانُ منطقِها ... إن كان رجعُ كلامٍ يشبِهُ العَسَلا[1]

● الفرعُ الوارِدُ والكثيفُ

قيل لأعرابي: أي النساء أحسن؟ فقال المرأة الفرعاء أي الحسنة الممتلئة عن الشعر الوافرة الشعر، فمها بارد وشعرها وارد.

قال بعضهم في وصف ما حلقه عمر رضي الله تعالى عنه ـ من الشعر ـ وقيل هو أحسن ما قيل في الشعر.

لقد حلقوا منها غُداها كأنّها ... عناقيدُ كرْمٍ أينَعَتْ فاسْكرَت[2]

وقال:

عناقيدُ غربيبٍ تدلَّتْ عن كرْمِ[3]

وقال المخبّل السعدي

وتضِلّ مدراها المواشط في ... جعْدٍ أغمّ كأنّه كرْمُ[4]

قال ابن المعتز:

دعَتْ حلاحيلُها ذوائبُها ... فجئن من رأسها إلى قدَمِ[5]

● وصفُ الشَعَر والوجْهِ معاً

قال بكر بن النطاح:

بيضاءُ تسحَبُ من قيامٍ فرعَها ... وتغيبُ فيه وهو ليلٌ أسحَمُ[6]

وكأنّها فيه نهارٌ ساطعٌ ... وكأنّه ليلٌ عليها مظلِمُ

---

(١) رجعان منطقها: ترداده ومعاودته.

(٢) الغداف: الشعر الطويل الأسود والغداف والغراب الكبير الطويل الجناحين.

(٣) الغربيب: الأسود الحالك.

(٤) المدرى: المشط ـ الجعد الأغمّ: الشعر الأسود، وقد شبهه بعناقيد العنب.

(٥) الذوائب: ضفائر الشعر والحلاحيل ما يزين الساق من حلي، وقوله دعت حلاحيلُها ذوائبها كناية عن طول شعرها.

(٦) الفرع: الشعر، شُبّه بالليل الحالك السواد.

وقال آخر:

نشرَتْ غدائِرَ فرْعِها لتظلَّني ... حذرَ الوُشاةِ من الغيورِ المطرِقِ

فكأنّني وكأنّه وكأنّها ... صبْحانِ باتا تحت ليْلٍ مُطْبِقِ

قال منصور النمري:

ودنَتْ عناقيدُ الكرو ... مِ على الأهِلّةِ والبُدورِ[1]

● السوالفُ

قال امرؤ القيس:

وجيدٍ كجيدِ الرّيمِ ليْسَ بفاحِشٍ ... إذا هِيَ نصّتْهُ ولا بمُعَطّلِ

وقال بكر بن النطاح:

ترى القرطَ منها في قناةٍ كأنّها ... بمهلكةٍ لولا العُرى والمعاقِلُ

وقيل: هي بعيدة مهوى القرط.

وقال ابن الرومي:

أساءني إعْراضُهُ ... عنّي ولكن سرّني

ما السالفتاه عرضُهُ ... مِنْ كلّ شيءٍ حسَنْ[2]

وقال الصنوبري:

للغُصْنِ أعطافُها وقامتُها ... وللرّشا جيدُها وعينُها[3]

● الصدغ

قال أبو نواس:

كأنّ مخطَّ الصُّدْغِ في حُرِّ وجْهِها ... بقيّةُ أنقاسٍ بإصبعِ لائِقِ[4]

وقال ابن المعتز:

ألم ترَني بليتُ بذي دَلالٍ ... حلِيٍّ ما يرِقّ وما يُبالي

غِلالةُ خدّهِ وردٌ جنيٌّ ... ونونُ الصدْغِ معجَمَةٌ بِخالِ[5]

وقال ديك الجن:

كأنّ قافاً أديرَت فوْقَ وجنَتِه ... واحتَطّ كاتبُها مِن بعْدِها ألِفا

---

(١) يقول إن ذوائب شعرها الأسود غطت وجوها كل منها يشبه الهلال والبدر.

(٢) السالفتان: الشعر في جانبي الوجه

(٣) الرشا: ولد الظبية

(٤) مخطّ الصدغ: مبته - الأنقاس: النقس المداد - اللائق: الذي يصلح المداد أو الحبر.

(٥) غلالة الخدّ: أي بشرة وجهه شبهها بالغلالة وهي شعار يلبس تحت الثياب

وقال الصنوبري:

عقربُ الصدغِ لمّا دا ... ما لمته وهو وحده[1]
تلدغُ الناسَ جميعاً ... ثم لا تلدغُ حده

● العِذار والطرّة

قال أبو الفضل بن العميد:

من عذيري من عذاري قمر ... عرّض القلبَ لأسبابِ التلَفْ
علم الشعر الذي عاجله ... أنه جارٍ عليه فوقف

وقال بعضهم:

رأيتُ وقد لاحَ العِذارُ بخده ... على وجهه نملاً يدبّ على عاجِ

وقال:

له شعرٌ من زغبه في بياضه ... كمثل قطار النمل دبّ على ثلجِ

وقال السلامي:

مددتُ طرّته كيما الامسه ... فأقبلت واستدارت كالحواتيمِ

● الشاربُ

قال السلامي:

له من عيونِ الوحشِ عينٌ مريضةٌ ... ومن خضرة الريحان خضرةُ شاربِ
كأن غلاماً ماهراً خطّه له ... فجاء كنِصفِ الصادِ من خطِّ كاتبِ

● حسنُ الكف والأناملِ

قال النابغة:

بمخضّب رخصٍ كأنّ بنانه ... عَنَمٌ يكادُ من اللطافة يعقدُ[2]

وقال ابن المعتز:

أثمرت أغصانُ راحته ... لجناةِ الحُسنِ عنّابا[3]

قال آخر:

أطرافه تعقدُ من لينه

---

(١) عقرب الصدغ: شعر جانب الوجه المعقوف كالعقرب.

(٢) البنان: الأصابع، جمع بنانة ـ الرخص: الناعم طري أو اللطيف ـ العنم: شجر لين الأغصان وورده أحمر كالبنان الطويل.

(٣) الراحة: باطن الكف ـ العنّاب: ثمر أحمر اللون بحجم حب الزيتون.

وقال آخر:

عضّتِ العُنّابَ بالبَرَدِ[1]

وقال المتنبي:

ويمسحُ الطَّلَّ فوقَ الوردِ بالعَنَمِ

● **البنانُ المخضّبةُ**

قال بعضهم:

أنابيبُ درّ قُمِّعَتْ بعقيقِ[2]

وقال الناشي:

كأن تطاريفَ الخِضابِ بكفِّها ... فصوصُ عقيقٍ فوقَ قضبِ زبرجدِ

وقال ابن الرومي:

وكفٌّ كأنَّ الشمسَ أمدّتْ بنانَها ... إلى الليلِ مخضوباً مقمّعُها الليلُ[3]

وقال دعبل يهجو:

كأنّما كفُّها إذا اختضَبَتْ ... مخلبُ بازٍ قد ضُرِّجتْ بدمِ

● **طولُ القامةِ**

قال تميم:

يهززن للمشي أعطافاً منعَّمةً ... هزَّ الجنوبِ ضحىً أغصانَ يبرينا[4]

أو كاهتزازِ رُدينيٍّ تداولَهُ ... أيدي التجار فزادُوا متنَه لينا[5]

وقال آخر:

ويخجَلُ الغصنُ من تثنّيهِ[6]

وقال أبو نواس:

طويلةُ خوطِ المتنِ عند قيامِها ... ولي بالطويلاتِ المتونِ وَلوعُ

وأنشد بشار قول المجنون

ألا إنّما ليلى عصا خيزرانةٍ ... إذا غمزتْها الكفُّ فهيَ تلينُ

فقال: والله لو جعلها عصا مخ أو ثريد لكان قد هجن فكيف بذكر العصا هلا قال كما قلت

وحوراءِ المدامعِ من معدٍّ ... كأنّ حديثَها قطعُ الجُمانِ[7]

إذا قامتْ لحاجتِها تثنّتْ ... كأنّ عظامَها من خيزرانِ

---

(١) العناب: الأصابع الشبيهة بثمر العناب ـ البرد: الأسنان البيضاء

(٢) العقيق: الخرز الأحمر (٣) مخضوباً: مصبوغاً أو ملوناً بالحناء

(٤) الأعطاف: جمع عطف وهو جانب الجسم ـ يبرين: موضع ـ الجنوب: ريح تهب من جهة الجنوب

(٥) الرديني: الرمح المنسوب إلى ردينة وهي امرأة كانت تصنع الرماح

(٦) تثنيه: تمايله برهو. (٧) الجمان: اللؤلؤ، واحدته جمانة

وقال آخر:

كــأنّــه فـــي اعــتــدالــه أَلِــفٌ ... لـيـس لـهُ فـي الـكِـتـابِ تـخـريـفُ

وقال آخر:

شــبـهـتُـهـا حـيـنَ قـامَـت ... سـاريـةً مِـن سـواري

أنـامـلُ أخـرجـتـهـا ... شـبّـهـتـهـا بـالـمـداري

الربعة:

عبد الله بن عجلان

ومخملة باللحم من دون ثوبها ... تطولُ القصارَ والطوالُ تطولُها

قال بعضهم: أعلاها قضيب وأسفلها كثيب لم تذهب طولاً في إفراط ولا قصراً في انحطاط[1]

● طولُ القامةِ مع عظم العجيزة

قيل لبعضهم: كيف رأيت فلانة؟ قال: عصا حاملاً لكثيب

قال عديّ بن الرقاع:

تـاهـم ثـوبـاهـا فـفـي الـدرعِ غـادةٌ ... وفـي الـمـرط لِـفّـا وإن ردفـهـا عـبـلُ[2]

قال الخبزارزي:

تـراكَ سَـرَقْـتَ قـدّكَ مـنْ قـضـيـبٍ ... أم اسـتـوهـبْـت ردفَـك مـنْ كـثـيـبِ

وقال: قدهما قناة وردفها نقا.

● عظمُ العجيزة

وصف بعضهم نسوة فقال: هن والله عبرَ قبيحات الطول، إذا مشين انتعلن الذيول، وإذا ركبْن أثقلن الحمول، تجاهد بالمشي أكفالها.

قال أبو النجم:

تـأزرَتْ تـحـت الأزر: رمـالُ عـالِـج[3]

قال ابن أبي زرعة:

إذا مـا نـهـضَ الـخـضـر ... بـه أقـعـده الـردفُ[4]

وقالت امرأة لأخرى: أنحتك وسادة نفست: وسادة وسدّيها الله.

---

(١) شبّه قامتها بالعصا وكفلها أو عجيزتها بكثيب من الرمل

(٢) اللّف: البستان المجتمع الشجر أو الملتف النبات، والّلف الروض أيضاً ـ الردف العبل: الممتلىء

(٣) عالج: موضع رمليّ مشهور

(٤) يشير إلى امتلاء الردف وثقله وهذا الوصف من مظاهر الحسن عند العرب القدامى

● **دقَّةُ الخَصْرِ**

مخضَّرُ الخصْرِ هضيمُ الحشَى ... ضميرُ ثنْاه الوشاحين[1]

وقال آخر:

هضيمُ الكشح جاملةُ الوِشاح

قال امرؤ القيس:

وكشْحٍ لطيفٍ كالجَديلِ مُخَصَّرٍ[2]

قال ابن الرومي:

ظبيٌ كأنَّ بخَصْرِه ... من ضمره ظمأً وجوعاً

قال السري الرّفاء:

ضعفت معاقِدُ خصره وعهوده ... فكأن عقد الخصر عهدُ وفائه

قال المتنبّي:

وخصر تثبتُ الأبصارُ فيه ... كأن عليه من حدَقٍ نِطاقَا

قال الرّفاء

أحاطَتْ عيونُ الناظرين بخَصْرِهِ ... فهُنَّ لهُ دونَ النطاق نِطاقُ

● **عِظَمُ المخلخل ودقّةُ الخَصْرِ**

قال أعرابي أملى وخصورهن تخبن وخجولهن تقلق فكما بين أسير ومطلق قال عبّاس:

بكَى وشاحاها فلَم يسكتا ... وإنّما أبكاهُما الجوعُ

ما بالُ خلخالِك ذا خرسَة ... لسانُ خلخالِك مقطوعُ

وفيه:

خلخالُها مشبعٌ ... وشاحُها مجوعُ

وقال عبيد الله بن طاهر:

وشاحُها يحسُد خلخالَها ... كجائعٍ يحسُد شبْعانا

وعكس ذلك دعبل فقال:

خلخالُها يشْخَب في ساقِها ... وقرطُها في الجيدِ ما ينطِقُ

وقال ابن أبي زرعة:

فاستكتمَتْ خلخالها ومشَتْ ... تحتَ الظّلام به فما نطَقا

---

(١) هضيم الحشى: ضامر البطن، نحيل الخصر (٢) الكشح: الخصر، شبهه لضموره بالحبل المجدول

حتى إذا ريحُ الصَّبا نسمتْ	ملأ العبيرُ بسرّنا الطرُقا

- **عِظَمُ الكَفَلِ مع دِقّةِ الخَصْرِ**

قال ابن الطثرية:

عقيليّةٌ أما ملاة إزارها	فدعصٌ وأما خصرها فنبيلُ[1]

وقال المتنبي:

كأنما قدُّها إذا انفتلتْ	سكرانُ من خمر طرفها ثمِلُ[2]
يجذبُها تحتَ خصرها عجزٌ	كأنه من فراقِها وَجِلُ[3]

وقال علي بن عاصم:

بيضٌ سرقْنَ من الصَّريم عيونَها	ومن الصَّريم مآكمَ الأكْفالِ[4]

- **مدحُ عِظَمِ الثدي وتناهُدِه**

قيل: لا تحسُن المرأة حتى يعظمَ ثديها. **وقيل:** خير الثدي ما يدفيء الضجيع ويروي الرضيع. **وقيل للنظّام:** أي مقادير الثدي أحمد؟ **فقال:** وجدت الناس مختلفين في الشهوات، ولكن سمعت الله تعالى يقول في وصف الحور وكواعب أترابا ولم يقل فوالك ولا نواهد.

وقال مسلم:

فأقسمتُ أنسى الداعياتِ إلى الصِّبا	وقد فاجأتها العينُ والسترُ واقعُ
فغطّت بأيديها ثمارَ نحورِها	كأيدي الأسارى أثقلتها الجوامعُ

قال محمد بن الحسن الأزدي:

وقابلتْني بعتورِ الجفونِ	ومستوقرَين على مِنْبرِ
بحُقّين من لبنٍ كورةٍ	برأسيهما نقطتا عَنْبرِ

وقال ديك الجن:

وذاتِ رمّانتين في طبَقٍ	من فضّة فصّصا بفضّتينِ

- **تناهدُ الثدي مع عظَمِ العجيزةِ**

قال عروة بن الورد:

أبتِ الروادفُ والثديُّ لقمصها	مسّ البطون وأن تمسّ ظُهورا
وإذا الرياحُ مع العشيّ تناوحتْ	نبّهن حاسدةً وهِجْنَ غيورا

وصف أعرابي امرأة فقال: بيضاء جعدة لا يمس الثوب إلا مشاشة منكبيها وحلمة

---

(١) **الدعص:** كثيب الرمل المتجمّع.

(٢) **الثمل:** سكران.

(٣) **الوجل:** الخائف، **الوجل:** الخوف.

(٤) **الصريم:** القطيع من اللّيل.

ثدييها أو وصاف ركبتيها ورائحة أليتيها.

● طيبُ الرائحةِ

وصف رجل امرأة فقال: ملذُ كف ومشمُ أنف كنورٍ يتبسّم في الأسحار، ونور يتبسم في الأشجار ولما أنشد كثير عبد الملك بن مروان قوله

وما روضةٌ بالحَزْنِ طيّبةُ الثرى ... يمُجُ الندَى جَثْجاثُها وعرارُها
بأطيبَ من أردانِ عزّةَ موهِناً ... إذا أوقدَت بالعنبرِ اللدْنِ نارُها

قيل له: امرؤ القيس أشعر منك حيث يقول:

ألم تريَاني كلّما جئت طارقاً ... وجَدْتُ بها طِيباً وإن لم تَطيَّبَ

وقال صالح اللخمي:

قسم الأترجُ قسمين ... بين صنفين سواء
فلي اللونُ صمماة ... ولك الريحُ ذُكماء

وللبعيث:

إذا هي زارَت بعْدَ شحْطٍ من النوى ... وفي نشرها لا مسكُها وعبيرُها

وقال العبّاس:

فكيفَ أصنعُ بالواشين لا جمعوا ... والعنبرُ الوردُ يأتيهم بأخباري

وقال التونجي:

إذا كتَمتُ زيارتَها ... أذاعَ الطيبُ ما كتمتْ
فأنطقَ ألسنَ الواشين لا كانت ولا نطقت

● مَنْ يطيبُ به ما يمسّهُ

قال عبد بني الحساس:

وبتْنا وسادانا إلى عِلْجانة ... وحقف تهاداها الرياحُ تهاديا
فما زالَ بُردي طيّباً من ثيابِها ... إلى الحوْلِ حتى يهبّجَ البرد باليا

● مَنْ تطيبُ به الأمكنةُ

قال عبد الله بن محمد بن نمير

تَضَوّعَ مسكاً بطنُ نعْمان إذ مشت ... به زينبٌ في نسوةٍ عَطِراتِ

وأنشد ثعلب:

واستودعتْ نشرها الديارَ فما ... تزدادُ طيباً إلا على القِدَمِ

وقال أبو حية

تطيبُ دُنيانا إذا ما تنفَّسَتْ ... كأن فَتيتَ المِسْكِ في دورنا نَهْبا

● **التثني في المشي**

قال أبو النجم:

إذا مشَتْ سالَت ولمْ تدَحْرَجِ ... كما جرَى الجدولُ بيْنَ الأفْلُجِ[1]

وقال امرؤ القيس:

وإذ هي تَمْشي كمَشْي النَّزيفِ ... يصرَعُهُ بالكثيبِ البَهُرْ[2]

قال الشمّاخ:

تخامصُ عنْ بردِ الوِشاحِ إذا مشَى ... تخامصَ حافي الخَيْلِ الأمعزِ الوجى[3]

لو قاله في المرأة كان أبلغ.

قال ابن مقبل:

يهزُزْنَ للمَشْي أعطافاً منعّمةً ... هزّ الرياحِ ضحىً عيدانَ يبْرِينا

يمْشينَ هيلَ النقَا مالَتْ جوانبُه ... ينهالُ حِيناً وينهالُ الثّرَى حِينا[4]

ويستحسن للسعدي قوله:

مريضاتُ أوباتِ التهادِي كأنّما ... تخافُ على أحشائها أن تقطّعا

تسيبُ انسيابَ الأيمِ أحصرهُ الندى ... فرفّعَ من أعطافه ما ترفّعا[5]

وقال البحتري:

لما مشَيْنَ بذِي الأراكِ تشابَهتْ ... أعطافُ قضبانٍ بهِ وقُدودُ[6]

وقال آخر:

يطأن ولو أعنقن في جدد وحلا[7]

فهذا زاد بقوله أعنق في جدد وحلا.

قال الموسوي:

وكأنّهُنّ إذا أردْنَ خَطا ... يقلَعْنَ أرجلَهنّ منْ وحَلِ

---

(١) **الأفلج**: جمع فلج وهو الأرض التي شقّت للزرع.

(٢) **النزيف**: المخمور الذي يتهادى في مشيه ـ **البهر**: انقطاع النفس من الكلال.

(٣) **تخامص**: تجافى ـ **الأمعز**: المكان الصلب الكثير الحجارة والحصى.

(٤) **النقا**: القطعة المحدودبة من الرمل، وهيل النقا: ما انهال منه.

(٥) **الأيم**: ذكر الأفعى، جمع أيوم.

(٦) **ذو الأراك**: موضع، والأراك شجر يستاك بأغصانه.

(٧) **أعنق**: من أعنقت الدابة إذا سارت سيراً واسعاً ممتداً وسريعاً ـ **الجدد**: ما استرق من الرمل.

● وفي الربيبةِ النعمةِ

قال عمر بن أبي ربيعة:

واعجبها من عيشها ظلّ غرفةٍ ... ومُلتفّ ريّانُ الحدائقِ أَخْضَرُ
ووال كفاها كلّ شيء يهمّها ... فليس لشيء آخر الليل تسهرُ

وقال نصيب:

قليلةُ لحمِ الناظرين يزينُها ... شبابٌ ومخفوضٌ من العيش باردُ

وقال المرقش

تواعمُ لا يرين لبؤسٍ عيشٍ ... أوانسُ لا تُراعُ ولا تُذادُ[1]

● تفضيلُ السوداءِ

قال العبّاس:

إن سعدى واللّهُ يكلأ سعدى ... ملكتْ بالسّواد رقّ سوادي
أشبهتْ مقلتي وحبّةَ قلبي ... وبها فهي ناظري وفؤادي[2]

قال ابن الرومي في سوداء:

كأنّها والمِزاحُ يُضحِكُها ... ليلٌ تعرّى دُجاه عن فَلَقِ[3]

وذُكرت قصيدةُ ابن الرومي في وصف السوداء وأبو الحسن الموسوي حاضر فأسرف بعضهم في مدحها فقال أبو الحسنُ بديهاً

أحبّك يا لونَ السّواد لأنني ... رأيتُكما في العينِ والقلبِ توأما
سكنت سوادَ العينِ إذ كنت شبهه ... فلم أدرِ من عز من القلب منكما

(٣)
أوصافٌ مجموعة من الجمالِ

●

قيل لأعرابي: أي امرأة أحسن؟ فقال: لتي لطفت كفّها، وخدلت ساقاها، والتفت فخذاها، وعرضت وركاها، ونهد ثدياها، وعظمت إليتاها، وسال خدّاها. ويقال: كان وجهه البدر ليلة سعده وتمامه، قد ركب في غصن بان وقضيب ريحان أهيف القد، أدعج العين مقرون الحاجبين، أسيل الخدّين حسن الذراعين، أرقّ من الهواء والماء وأحسن من

---

(١) لا تراع: لا يثار روعها أي فزعها ـ لا تذاد: أي مطمئنة وآمنة

(٢) حبة القلب: مهجته، شغف القلب.

(٣) تعرّى عن: تكشف، والفلق: الصبح

الدمى وأضوأ من النهار إذا استنار وأبهى من سرابيل[1] الأنوار. لا يجري بوصفه الوهم، ولا يبلغ نعته الفهم. كأنَّ أنفه قصبة درّ وخدّ حسام وكأنَّ فمه حلقة خاتم، وكأنَّ جيدَه جيد ظبي قد أتلع[2] لرؤية قانص[3]، سبطُ الأنامل، لينُ المنتصب دقيق الخصر حلو الشمائل، كأنما خلق من كل قلب. فكل طرف له فيه حظّ ولكل قلب إليه ميل.

وقيل في وصف جارية: وجهها كضوء البدر، وخدّها كجني الورد ولسانها ساحر، وطرفها فاتر. ضمّها يهيج اللوعة، ونطقها ينقع الغلة[4] تنهض بقدّ كالقضيب، وتُدبر بكفَل كالكثيب ثديها يربو إلى دقها، ولا يطرف عكنها[5] شعرها، لاحقٌ بذيلها في مثل سواد ليلها، ثغرها كاللؤلؤ النظيم، يجلو دجا ليل البهيم، ريحها[6] كالراح المعتّق ختامه كالمسك المعتق، يستجمع صنوف النعيم مضاجعها، ولا يأسى على ما فاته مالكُها، صحيحة الحدَقة، مريضة الجفون كأنَّ ساعديها طلعة، ومعصمها جمار، وأصابعها مداري فضة. وكأنَّ نحرها من ساج وبشرتها من زجاج وسرتها من عاج ولينها من حر، ودثارتها من قز.

وقال أعرابي في وصف امرأة: عذبَ ثناياها[7] وسهلَ خدّاها ونهدَ ثدياها ولطُف كفّاها ونعُم ساعداها، وعرضت وركاها والتفّ خداها، وخدلت ساقها، فتلك هي المنى ومناها.

قال المرقش الأكبر:

النَّشْرُ مِسْكٌ والوُجوهُ دنا نيرٌ وأطْرافُ الأكفِّ عَنَمْ

وقال علي بن عاصم:

السيفُ مضحكُهُ والقوسُ حاجبُه والنَّبْلُ عيناه والأشفار أرماحُ[8]

وقال المتنبي:

سهادٌ لأجفانٍ وشمسٌ لناظرٍ وسُقْمٌ لأبدانٍ ومسكٌ لِناشِقِ

- **ما يجب أن تكون عليه الحسانُ من حُسْنِ الجَوارِح**

يجب أن يكون في المرأة، **أربعة أشياء سود**: شعر الرأس والحاجبان وأشفار العين والحدقة، **وأربعة بيض**. اللون وبياض العين والأسنان والساق، **وأربعة حمر**: اللسان

---

(١) **سرابيل**: جمع سربال، القميص وكلّ ما يلبس. وسربال الأنوار استعارة
(٢) **أتلع**: طال. (٣) **القانص**: الصائد.
(٤) **الغلة**: الظمأ الشديد والحرقة (٥) **العكن**: البطن
(٦) **ريحها كالراح**. أي رائحتها كالخمرة المعتقة. (٧) **الثنايا**: أسنان مقدّم الفم
(٨) **المضحك**: الثغر والشايب ـ شبه ثغره وافترار بالسيف بجامع الرونق والتلألؤ، وحاجب عينه بالقوس لانحنائه، كما شبه العينين والنواظر بالنبل وأهداب العين بالرماح مؤكداً ما فيها من السحر القاتل وكان وقع النظرات القاتلة كوقع النّبل أو الرماح

والشعتان والوجنتان واللثة، وأربعة مدوّرة: الرأس والعنق والساعد والعرقوب[1] وأربعة طوال: الظهر والأصابع والذراعان والساقان، وأربعة واسعة: الجبهة والعين والصدر والوركان، وأربعة دقيقة: الحاجبان والأنف والشفتان والأصابع، وأربعة غليظة: العجز والفخذان والعضلتان والركبتان، وأربعة صغيرة: الأذنان والثديان واليدان والرجلان، وأربعة طيبة: الريح والعرق والفم والأنف والفرج، وأربعة عفيفة: الطرف والبطن واللسان واليد.

(٤)

وممّا جاء في مَقَابح خلق النسوة

●

● قُبْحُ الوجهِ

قال دعبل

وجه كوَجْهِ الغول فيهِ سَمَاجَةٌ مفروقةٌ شوهاءُ ذاتُ مَشافرِ[2]

وقال:

تُحاكي نعيماً زَلَّ في قبح وجْهِهَا

وقال:

في صورة الكلب إلَّا أنها بَشَرٌ

وقال:

لهَا عينان من أقطٍ وتمرٍ وسائرُ خلقِها بعد الثَّريدِ[3]

● النمشُ

قال ابن الرومي:

كأنَّ الشآكيلَ في وجهها إذا سفرت بدد الكشمش[4]

وقال:

رشت بخيلانها فجلدتُها منقوشةٌ مثلُ جلدَةِ النمرِ[5]

وقال:

ووجهٍ كبَيْضِ القطا الأبرشِ

● الفَمُ

---

(١) العرقوب: العصب الغليظ فوق العقب.

(٢) السماجة: القبح ـ المشافر: جمع مشفر وهو تعبير كالشفة للإنسان.

(٣) الأقط: الجبن.

(٤) الكشمش: ثمر لذيذ بشكل عناقيد صغيرة بيضاء وحمراء تشبه عناقيد العنب، والبدد ما تفرّق من حبّات ذلك الثمر.

(٥) الخيلان: جمع خال وهو الشامة وهي عبارة عن بثرة سوداء مثل شامة الخد.

قال بعضهم:

رقطاءُ كيداءُ يبْدي الكيْدَ مَضْحَكُها ... تنوءُ بالعَرْضِ والعَيْنانُ بالطُولِ[1]

لها فَمٌ ملتقى شِدْقَيْه نقرتُها ... كأن مِشْفَرَها قدْ طُرّ مِن فِيلِ

وقال:

كانت ثَنَاياها وما ذُقْتُ طَعْمَها ... لبأ نعجةٍ سوطَتْهُ بدَقيقِ[2]

وقال:

كـأنّـمـا نـكـهـتُـهـا كـابـخٌ ... أو حـزمـةٌ مـن حـزم الـثـومِ

وقال:

وتفتَرُ عن ثَلجٍ عدمت حديثها ... وعن جَبلَيْ طيٍّ وعنْ هَرَمَيْ مِصْرِ

● اليدُ والرجلُ

كــأنّ ذِراعــاً عــلــى كــفّــهــا ... إذا حسَــرت ذَنَبُ الـمِـلْـعَـقَـة

وقال:

خنصراها كدبوقِ القصّارِ[3]

وقال:

وساقٌ مـخـلـخَـلـةٌ حَـمْـشَـةٌ ... كـسـاقِ الـجَـرادةِ أو أحـمَـشُ[4]

وقال:

تـمْـشـي عـلـى قـوائـمٍ عِـجَـافٍ ... كـأنّـمـا جُـمِـعْـنَ مـن خِـلافِ[5]

وقال:

وتـحـفُـرُ الأرْضَ إذا مـا مـشَـتْ ... كـأنّـمـا تـحـفُـرُ رِخـلاهـا

● القامةُ القصيرةُ

قيل لرجل كيف رأيت فلانة؟ فقال:

دوَامَــــةٌ صَــــغـــيــــرَه ... فــي ورقــةِ الــمُــغــيــرَه

وقال ابن الرومي:

محداجةُ الخِلْقَةِ حذاؤُها ... قامَتُها قامَةُ فَقّاعَه[6]

لو أنّها مِلْكي ولي ضيعَةٌ ... جَعَلْتُها للطَّيْرِ فزّاعَه[7]

---

(١) الرقطاء: المطرّزة ـ الكيداء: الحية الماكرة.

(٢) لبأ الشاة: أول لبنها ـ سوطته: خلطته.

(٣) القصّار: مبيض الثياب ومحورها، والحرفة القصارة.

(٤) الساق الحمشة: الدقيقة.

(٥) عجاف: مهزولة.

(٦) محداجة: قصيرة ـ فقاعة: الشديدة الخبث.

وقال:

حدباءُ وقْصاءُ صيغَت عَجَبا ... وفي تراقيها عن صدرِها زورُ[1]

● الوطباءُ[2] الثدي

قال ابن مقبل الحنفي:

وثدي يجُول على نحرِها ... كقربةِ ذي الثلّةِ المعطشِ

وقال دعبل:

وثديان ثديٌ كسَلْوطةٍ ... وآخرُ كالقِرْبَةِ المُذهقةِ[3]

● المهزولةُ

قال بعض القدماء:

لقد لمست معراها فمَا وقعَتْ ... ممّا لمسْت يدي إلا على وتدِ[4]

وقال:

وذاتُ جِسْمٍ مشبه الساجور ... وجؤجؤٍ كجؤجؤ الطنبورِ

وقال:

وصدر فسيحٍ كثيرِ العِظام ... تقعقعُ من يُبْسه المِخْنَقه[5]

● شَعَرُ البدنِ

وقال شاعر:

حضباء لا تنبتُ في قفاها ... ولم تزل في إسْتِها ضميرَه

وقال دعبل:

بظراءُ سوّداءُ لهَا شعرة ... كأنها نملٌ على مِسْحِ[6]

● أوصافُ مجموعةٍ من المقابحِ

قال ابن الرومي:

صغرَت عينُها ووسّع فوها ... ومشق استُها ونقب المُبال

وقال الأسود بن يعفر:

لها وركا عنزٍ وساقا نعامة ... وأسنانُ خنزيرٍ ومكشَرُ أرنبِ

---

(١) المزاعة: ما ينصب في المزرعة تخويفاً للوحش

(٢) الوقصاء: القصيرة العنق خلقة

(٣) الوطباء: العظيمة الثدي.

(٤) المدهقة: المملوءة.

(٥) معراها: ما يرى من جسمها غير مستور بالثياب

(٦) تقعقع: تحرّك مع صوت

(٧) المِسْح: الكساء من شعر جمع أمساح

وقال ناصر العلوي:

يـا قـردةً أبـصـرتَ فـي مـأتـم ... تـمـدُّ شـجـواً بـتـخـالـيـطِ
تـبْكـي فـتُلقي البعْرَ من عينِها ... وتـلـطُـم الـشـوكَ بـبـلـوطِ

(٥)

وممَّا جاء في وصفِ اللحيةِ والشَّيب والخِضَاب وذكْر المعمَّرين

•

● مدحُ اللحيةِ وذمُّ المرادةِ

قال النبي ﷺ: الشعر الحسن من كسوة الله فأكرموه وكان من يمين عائشة رضي الله عنها: لا والذي زيّن الرجال باللحاء.

وقال الموسوي:

رأتْ شعراتٍ في عذاري تنمنمت ... كما أثَّرَ طفلُ الروضِ عن خلعِ الوسْمي[1]
فقلْتُ لها ما الشعرُ سالَ بعارضي ... ولكنّه نبْتُ السيادةِ والحلمِ
يريدُ به وجْهي ضياءً وبهجةً ... وما تُنْقِصُ الظلْماءُ من بهجَةِ النَّجْمِ

قيل: لا تصافين من لا شعر على عارضيه وإنْ كانت الدنيا خيراً إلا منه.

● ذمُّ اللحيةِ

قيل فلان سبخ الله أرضه من غير رضاه، وقيل: كأنه أبو الحالك من نسيج أم سويد

قال ابن طباطبا:

الـمـوْتُ أهـونُ مـن سـوا ... دِ الـعـارضـيْـن لـمـن عـرَف

قال أبو العنبر:

أنـى تـتـيـه وقـد عـلا ... كَ الشعرُ في الحدّ المَحِلِ[2]
وخـرجـتَ مـن حـدِّ الظِّبا ... ء وصـرْتَ فـي حـدِّ الإبِـلِ

● وَصْفُ لحيةٍ طويلةٍ لم يصرحْ لها بمدحٍ ولا هجوٍ

قال شاعر:

يـا لـحـيـةً سـرّحْـتـهـا ... فـقـعـدتُ مـنـهـا في جوالِق

وقال ابن نوفة:

يـا لـحـيـةً أربـعـةً في أربعةٍ ... تُـنْـسَـجُ منها كلّ يوم مدرعه

---

(١) الوسمي: أول مطر الربيع.

(٢) المحل: المجدب.

قد ذهبتْ في الطول منها والسَّعَة   وتختشي من حافتيْها برذعه

- **مدحُ اللحيةِ والاعتذارُ لها**

دخل رجل على قتيبة بن مسلم وكان عظيم اللحية وقتيبة كان خفيف اللحية فقال: لقد كثرت لحيتك فقال: والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً. فقال قتيبة: قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبتك كثرة الخبيث وقد أمر النبي ﷺ بتوفير اللحية فقال: أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى.

- **ذمُّ طولِ اللحيةِ ومدحُ خفتها**

قال الجاحظ: ما طالت لحية رجل إلا تكوسج[1] عقله

قال شاعر:

ألم تر أنَّ اللَّهَ أعطاكَ لحيَةً   كأنَّك منها بين تيسَيْنِ قاعِدُ

وقال مديني لرجل قد ملأت لحيته وجهه: حمق على وجهك قبل أن يجري الماء في العود فيصير وجهك كله رأساً. وقيل: ما زادت لحية عن قبضة إلا نقص بمقدار زيادتها من العقل.

قال شاعر

إذا لحيَةٌ خفَّتْ وما عقَّ ربُّها   وإن ضَخُمَتْ لم يحظَ إلا بها الصَّدْر

وقال ابن الرومي:

إذا عرضَتْ للفتى لحيَةٌ   وطالَتْ وصارَتْ إلى سرَّتِه

فنقصانُ عقلِ الفتى عندنا   بمقدارِ ما زيد في لحيَتِه

وعرض الرشيد خيل مصر فمر به أفراس كثيرة وسمها الجعيدي، فسأل عنه فقيل هو صاحب هذه الافراس، فاستحضره فإذا هو لحياني[2] أحمق. فقال الرشيد: ما أحسن هذه الأفراس فقال: هي للخليفة يقبلها. وقيل: اللحية الطويلة عش البراغيث ومزبلة التراب والغبار.

- **عُذرُ من نتَفَ مِنَ السُّخفَاء**

قيل لمخنث لِمَ تنتف لحيتك وهي من هبة الله؟ فقال: إن الله تعالى أمرني بذلك فقال: وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ولم أجد أحسن منها فرددتها. وقيل لآخر: لِمَ تنتف لحيتك وقد زين الله بها وجهك؟ فقال: أتحب أن يزين بها قفحتك؟ قال: لا قال: ما لا تحب أن يطلع في إستك كيف أستصلحه لوجهي؟

---

(١) تكوسج: صار كالكوسج والكوسج الذي لحيته على ذقنه لا على العارضين

(٢) اللحياني: الطويل اللحية.

وكان لرجل ابن مخنث وكان يمنعه من نتف لحيته فنام أبوه يوماً فحلقها وهو نائم فانتبه أبوه فقال: أين دقنك؟ فقال: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾[1].

وقيل لأبي عبد الله المنتوف: لِمَ تنتف لحيتك؟ فقال: وأنت لِمَ لا تنتفها؟

● وَصْفُ النَّاتِفِ

كان بلال لا يجيز شهادة من ينتف اللحية أو يأكل الطين. قال ابن طباطبا في بعض من كان ينتفها:

يـا مـن يـزيـل خـلـقـة الـرحـمـن عـمّـا خُـلـقـتْ
هـل لـك عـذر عـنـده إذا الـوحـوش حُـشـرتْ
فـي لـحـيـة إن سـئـلـتْ بـأيّ ذنـب نُـتِـفَـتْ[2]

وفي حاذق بالنتف:

أنـامـلـه فـي عـارضـيـه كـأنـمـا تسنّح بالمِنقاش في خفّةِ النّتفِ[3]

وقال:

إن كان بالمِنقاش يحصُدُ نبتَها فيَدُ الليالي مِن وراهُ تَزرَعُ

● قصُّ الشعرات البيض

قال أبو حنيفة رضي الله عنه للحجّام: التقط عنّا الشعرات البيض، فقال الحجام لا تلقطها فإنها تكثر، فقال: فإذاً التقط السود فعسى تكثر.

كان حجام يلتقط البيض من لحية رَجل فلما كثر قال ما ترى في الحصاد فقد ذهب وقت الالتقاط. قال ابن طباطبا

تـأوبـنـي هـمّ لـبـيـضـاء نـابـتـه لها بغضةٌ في مضمَرِ القلب ثابتَه
ومـن عـجـبٍ أنـي إذا رمـت قـصّـهـا قَصَصْتُ سِواها وهي تَضحك شامِتَه

وقال أبو دلف:

اشـتـعـل الـشـيـبُ فـأخـفـيـتـه وكـل مـقـراضـي فـأعـفـيـتـه
وكـلـمـا عـالـجـت قِـصـالـه وقـلـت فـي نـفـسـي أخـفـيـتـه[4]
طـلـعـنـي مـن طـرتـي طـالـع كـأنـنـي بـالأمـس رتّـبـتـه[5]
أرومُ مـا لـيـسـت لـه حـيـلـة أعـيـانـي الـشـيـب فـخـلّـيـتـه

---

(١) الصريم: الليل أو القطعة منه - القرآن الكريم القلم/ ١٩، ٢٠

(٢) جارى في هذا البيت الآية الكريمة ﴿وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت﴾ [التكوير، ٨]

(٣) المنقاش: آلة ينقش بها (٤) قصاله: قصه

(٥) الطرة: الناصية، الجبهة وطرّة الجارية أن يقطع للجارية كالعَلَم في مقدّم ناصيتها.

وقال:

يا شعرةً طلعت في الرأس طالعة ... كأنما طلعَت في ناظر البصَر
لئن قصصتك بالمقراضِ عن بصَري ... فما قصصتُك عن همّي وعن فِكري
فما تلبّثتْ إن قهقهتْ ضاحكةً ... تحتَ الخضاب كفعلِ الشامتِ الأشِر

- **ظهورُ الشيب واختلاطُ البياضِ بالسواد**

قال الفرزدق:

والشيبُ ينهضُ في السّواد كأنّه ... ليلٌ يصيحُ بجانبَيْه نهارُ

قال مروان:

كالصبح أحدثَ للظلام أفولا

وقال

ليلٌ تلفّع منذراً بنهار

وقال البحتري:

مشيبٌ كبثّ الـزّجيّ نحملُهِ ... تُحدثُه أوصاف صبرٍ مليمِ

وقال دعبل:

لا تعجبي يا هندُ من رجُلٍ ... ضحِكَ المشيبُ برأسه فبكى

وقال تميم بن مقبل:

يا حرّ أمسى سوادُ الرأسِ خالطه ... شيبُ القذالِ اختلاطَ الصّفْوِ بالكدرِ

وقال:

رمانٌ على غُراب غُدافٍ ... فطيّره القدر السّابقُ[1]
وصارَ على وكْره عقعقٌ ... من البُلْق ذو شيةٍ باعِقُ[2]

وقال ابن الرومي:

شعراتٌ في الرأس بيضٌ ودعجُ ... حلّ رأسي خيلان رومٍ وزنجِ[3]
طارَ على هامتي غرابُ شبابٍ ... وعلاه كأنّه شاهُ مرجِ
حلّ في صحنِ هامتي منه لونا ... ن كما حلّ رقعة شطرنجِ

- **مبدأ ظهور الشيب**

قال بعض الحكماء ظهور الشيب في الناصية كرم، وفي القفا لؤم، وفي الهامة وفاء، وفي الفودين شرف، وفي الصدغين شجع وفي الشارب فحش.

---

(١) الغداف: الشعر الأسود الطويل، والغراب الغداف: الأسود الضخم الكبير الجناحين.
(٢) الوكر: عش الطائر ـ العقعق: طائر كالغراب ـ باعق: من بعق إذا برق أو اندفع بشدة.
(٣) روم وزنج: كناية عن بياض الشيب وسواد الشعر.

● نزلَ المشيبِ في وقتِهِ

قيل لرجل: أين ذهب شبابك؟ قال: ذهب به حصال طال أمده وكثر ولده وقلّ عدده وذهب جلده

أفنى الشبابَ الذي حاولتُ جدَّته ... مرّ الجديدَين من آتٍ ومنطلِق[1]
لم يُبْقيا لي من طُول اختلافِهما ... شيئاً أخافُ عليه لذعة الحدَق[2]

وقال البحتري:

إن كانَ قد عبثَ المشيبُ بلمّتي ... فلقدْ أخذتُ من الشّبابِ نَصيبي

وقال:

ومن يطلع شرفَ الأربعين ... يحيى من الشيب زوراً غريباً

قال ابن الرومي:

أرى غراب الشيْب فوقَ مفارِقي ... وكأنّ السنين الراكضاتِ أمامي

وقال:

وافتني الليالي أم عمرو ... وحلّي في التنايف وارتحالي
وتربيتي الصغيرَ إلى مداه ... وتبليلي هِلالاً عن هِلال

وقال:

ومن يلقَ رغماً للّيالي ومرّها ... كلّ كليلِ القلبِ والسمعِ والبصَر

● مَنْ شاب قبل أوانِهِ

قال أبو نواس:

وإذا عددت سنّي كم هيَ لمْ أجِد ... للشيب عذراً في النزولِ برأسي

وقال كشاجم:

إذا فكّرتُ في شيْبي وسنّي ... عتبتُ عليه فيما نالَ منّي
كأنّ الشيْبَ غارَ على الغَواني ... فعرضهُنّ للإعراضِ عنّي

وقال:

لو كانَ يمكنُني سفرتُ عن الصبا ... فالشيْبُ من قبلِ الأوانِ يَلثّمُ
ولقَد رأيْتُ الحادثاتِ فلا أرى ... شيْباً يميتُ ولا سواداً يعصِمُ

وقال:

وهل أنا إلا ابنُ الثلاثين لم تشِب ... لذاتي ولكنّ الخطوبَ تُشيمُ

وقال:

---

(١) الجديدان: الليل والنهار.

(٢) الحدق: نظرات العيون.

قد رأيناه بالعشيِّ غلاماً   فغدونا نعدّه في الكهولِ

وقال الموسوي:

عجّلتَ يا شيبُ على مَفْرِقي   وأيّ عذر لك أن تعجَلا

وكيفَ قدمتَ على عارضٍ   ما استغرقَ الشعر ولا استكمَلا

يا زائراً ما جاءَ حتّى مضَى   وعارضاً ما غام حتّى انجَلى

وما رأى الراؤون من قبلها   زرعاً ذوى من قبل أن يُبْقِلا[1]

وقال:

وعارضَني في عارضِي منه أنجُمٌ   ظلمْنَ شَبابي وهي في القلْب أسهُم

قال ابن المعتز:

يا هند ما شاخَ الفتى   وإنما شاخَ الشعر

- مَنْ شابَ من الوقائع والشدائد

قال الحسن بن رجاء:

إنْ يشبْ رأسي فمن كبرٍ   لا يشيبُ المرءُ من كِبَرِه

وخطوبٌ قد تجيء بهِ   ومشيبُ الحرِّ في صِغَرِه

وقال ابن المعتز:

قالت كبرتَ وشبتَ قلتُ لها   هذا غبارُ وقائع الدّهرِ[2]

وله:

إنّ شيبَ الرأسِ نوّارُ الهُموم[3]

قال الموسوي:

وما شبتُ من طولِ السنين وإنّما   غبارُ حروبِ الدّهر غطّى سواديا

- مَنْ شاب من استعمال الطيبِ وهجر الحبيبِ

قال بعض الأقدمين:

جلا الأذفر الأحوى من الطيبِ فرقَه   وطيبُ الدهانُ رأسَه فهو أنزَعُ[4]

وقال:

إنما شيّبني الطيـ   ـب وأنفاسُ الغواني

---

(١) ذوى الزرع: ذبل ـ أبقل الزرع: ظهر وطلع

(٢) وقائع الدهر: حدثانه ونوائبه.

(٣) النوار: الزهر، ونوار الهموم: من باب الاستعارة شبه الشيب بالنوار لابيضاضه

(٤) الأذفر: الشديد الرائحة ـ الأنزع: الذي انحسر الشعر عن جانبي جبهته

واهـتـمـامـي بـغـزيـلٍ ... أو بـقـضـيـب أو بـعـانِ
قـصـرت عـن جـانـب الـحـق لـه بـنـي الـبـدانِ

قال كشاجم:

لا تـنـكـريـنّ الـشـيـب أنـتِ جـلـبـتـه ... بـجـنـايـةٍ وقـطـيـعـةٍ وعـتـابِ
لـو لـم تـروّعـي بـالـغـرورِ وبـالـنّوى ... طـوراً لـطـال تـمـتّـعـي بـشـبـابِـي

● **الشبابُ مقتضٍ لارتكاب التصابي**

قال النبي ﷺ إن الله يبغض ابن الستين في طرّة ابن العشرين. **وقال أبو عمرو السلمي** وقد رأى قوماً يعذلون شاباً: لا تعذلوه فقد رأيتني وأنا شاب أعضّ على الملام عضّ الجموح على اللجام حتى أخذ الشيب بعنان شبابي وإن لم يكن الشيب شعبة من الجنون فإنه عصارته.

قال أبو نواس:

إنّ الـشـبـاب مـطـيّـةُ الـجـهـلِ ... ومـزيـنُ الـضّـحـكـات والـهـزْلِ

ومنه للنابغة

فإن مطيّة الجهل الشباب

وقيل: اليد الفارغة والنفس المستريحة والشباب المقتبل[1] تكتسب الآثام وتستحل الحرام، ومنه:

إنّ الـشـبـاب والـفـراغَ والـجِـدَه ... مـفـسـدةٌ لـلـمـرءِ أيّ مُـفـسِـدَه

قال الجرمي:

الـلـهـو يـحـسـن بـالـفـتـى ... مـا لـم يـكـن شـيـبٌ يُـشـيـنـه[2]

وقال شبيب بن شبة:

رعى الله دهراً أخرس العذلَ عذرَه ... بشرخِ شباب لم يَشُبْ صفوَه كدَرُ

وقال:

كـلّ الـلـذاذات والـتّـصـابـي ... قـبـل الـثـلاثـيـن تُـسـتـطـابُ

● **المتلوّم لتعاطي ما تعاطاه في أيّام الصبا**

قال الواسطي: حان حصادي ولم يصلح فسادي.

قال البحتري:

وأضللتُ حلْمي والتفتُّ إلى الصِّبا ... سفَاهاً وقد جزْتُ الشّبابَ مراحِلا

---

(1) مقتبل الشباب: الذي لم يظهر فيه أثر الكبر.   (2) يشينه: يعيبه.

وقال ابن المعتز:

أنت في الأربعين مثلك في العشرين قل لي متى يكونُ الفلاحُ؟

قال المتنبي:

وفي الجِسْم نفْسٌ لا تشيبُ بشيبه ولو أنّ ما في الوجه منهُ خرابُ
يغير مني الدهرُ ما شاء غيرها وأبلغ أقصى العُمْر وهي كعابُ

قال أبو سعيد الرستمي:

قبيحٌ بذي الشيب أن يطربا وما للمشيب وما للصّبا
أمِن بعد خمسينَ صاغت سدىً وأودى بها اللهوُ أيْدي سَبا[1]
تشيمُ بروق الدمى دائماً وقد شابت العارضَ الأشيبا
وأقبح بذي عارضٍ أشيب إذا قابلَ العارضَ الأشنبا[2]
وأهلك والليلُ بادر به فقد كادتِ الشمسُ أن تغربا

قال علي بن عبد العزيز:

التصابي على المشيبِ مُحالُ

● مَنْ أقلعَ لظهور شيبه

نظر إياس بن معاوية في المرآة فرأى شيبة في لحيته فقال: لا أراني سمير الحاجب بني تميم فلزم بيته ولم يدخل بعد ذلك على السلطان. وقال مسلمة بن عبد الملك: ما وعظني شعر ما وعظني ما قال عمرو بن حطان:

صبا ما صبا حتى علا الشيبُ رأسَه فلما علاه قالَ للباطل أبعدِ

وقال أعرابي: فلان وضع رداء مجونه لما بدا الفجر من ليالي قرونه. وقيل لرجل: ألا تشرب؟ فقال: في شيب الرأس مطردة عن الكاس. وكان الرجل إذا بلغ أربعين طوى فرشه وجدّ في عمله.

وقيل: ثلاثة كل منها يقتضي تجنب الصبا: ظهور الشيب والتحصن بالتزوّج والحج إلى بيت الله الحرام.

وقالت امرأة لرجل كان يخادنها ما فعل عزلك؟ فقال: أماته شيب العارضين.

قال أبو الفرج الببغاء:

لا عذرَ بعد عذارٍ شاب أكثرُه فالشيبُ أوعظُ أعذار وأنذار

---

(١) أودى بها: أهلكها وأيدي سبا كناية عن الهلاك والتمزق مأخوذ من المثل تفرّقوا أيدي سبا والأصل سبأ وهو أبو عائلة قبائل اليمن التي تفرقت بسبب السيل العرم.
(٢) الأشنب: من الشنبة وهي حسن الأسنان وبياضها والفم أو العارض الأشنب الطيب الرائحة.

وقال كثير: أتيت جميلاً استنصحه هل أصهر الشعر، فأنشدته:

وكان الصبا خدنَ الشباب فأصبحا	وقد تركاني في مغانيهما وحدي

فقال: حسبك أنت أشعر الناس.

قال أحمد بن أبي طاهر:

ركبت الصَّبا حتّى إذا ما وَنَى الصَّبا	نزلتُ من التقوى بأكرم منزِلِ[1]

ودينُ الفتَى بين التنسّك والنُّهى	ودُنيا الفتى بيْن الصبا والتغزّلِ

● فيمَن زعم أنه ترك التصابي لغير ملالةٍ

قال إسحاق الموصلي:

سلامٌ على سيْر القلاص مع الركْب	ووصلِ الغواني والمدامَةِ والشرْب

سلام امرىءٍ لم تَبْقَ منه بقيةٌ	سوى نظرِ العينيْن أو شهوة القلْبِ

قال البحتري:

إنّي وإن جانبتُ بعضَ بطالَتي	وتوهّم الواشون إنّي مقْصِرُ

ليشوقُني سحْرُ العيونُ المجتلَى	ويروقُني وردُ الخدود الأحمرُ[2]

وقال:

قد رأيتُ الشيبَ إلا أنّنـ[illegible]	لم يطْعني الشيْب عنْ وجهٍ حسَن

قال بشّار:

إن المشيبَ وما ترى بمفارقي	صرف الغواية فانصرفتُ كريما

وصحوتُ إلا مِنْ لقاءِ مُحدِّثٍ	حسنِ الحديث يزيدُني تعليما

● تاركُ الصبا قبلَ هجوم شيبِهِ

ما كنْتُ أوّلَ آخذٍ بعزيمةٍ	هجر الغواني والمفارقُ سودُ

وقال:

لا أجْمَعُ الحلْم والصهْباء، قد سكنَت	نفسي إلى الماءِ عن ماءِ العَناقيدِ[3]

لم ينْهني كبرٌ عنه ولا فَنَدٌ	لكنْ صحوتُ وغُصْني غيرُ مخضودِ[4]

● الحثُّ على مبادرةِ المشيب بتعاطي صلاحٍ أو تصَابٍ

قال هارون بن علي:

أعطِ الشبابَ نصيبَه	ما دمْتَ تُعذرُ في الشبابِ

---

(١) ونى الصبا: فتر وخمدت جدوته

(٢) السحر المجتلى: المعروض والمجلو كما تجتلى العروس.

(٣) ماء العناقيد: الخمر	(٤) الفند: العجز.

وقال ابن أبي السمط:

ويادِرْ بأيامِ الشبابِ فإنّها ... تفوتُ وتمضي والغوايةُ تنجلي

وأنشد أبو العتاهية قوله:

إن الشبابَ حجّةُ التصابي ... روائحُ الجنّةِ في الشبابِ

قال: كيف تروبه؟ فقالوا: حسن فقال: إن له جناحين يطير بهما في الجنة.

● مَنْ تعاطى التصابي في مبدأ ظهور شيبه

قال ديك الجن:

وقالُوا قد توشّح عارضاه ... فقُلْتُ الآنَ أوضعَ في الآثام[1]

وقال ابن طباطبا:

أقولُ وقد أوقظتُ من سنةِ الهوى ... بعذْلٍ يحاكي لذْعُه لذعَةَ الهَجْرِ

دعوني وليلُ اللهوِ في ليل لمّتي ... ولا توقظوني بالمَلام إلى الفجْر

● مَن استهانَ بالشيب فتعاطى بعدَهُ التصابي

قيل لخاسر: ما أكبر ما صنع بك الشيب؟ فقال: ما صنعت به أكبر والله ما هتك ولا رعيته ولا امتنعت له عن تعاطي محرم وبرتكاب مأثم، ونظمه من قال:

لعمري لئِنْ حلّ المشيبُ بلمّتي ... لقد كان ما أحللتُ بالشيب أعظما

سل الشيبَ عنّي هل عرفتُ وقارَهُ ... وهل عفْتُ حُوباً أو تجنّبتُ مأثماً[2]

وقال أبو نواس:

يقولون في الشيْبِ الوقارُ لأهلِه ... وشيبي بحمْدِ الله غيرُ وقارِ

وقال ابن المعتز:

لمّا تولّى الشبابُ عنّي ... صفعتُ وجْهي على المَشيبِ

وقال بعض العلويين:

إنْ يكتهلْ منهُ القذالُ فحبّه ... في الغانيات وحبّهنّ غُلامْ

● هُمُ متعاطي التصابي ومشتاقٌ إليه

حمل شاب غلاماً إلى خربة فلما خلا به اطلع عليهما شيخ، فقال: فعل الله بكم فمن مثل فعلكم يعلو السعر وينزل البلاء. فعدا الشاب خوفاً، فخلا الشيخ بالغلام فاطلع الشاب، فقال: يا عمّ الحمد لله قد رخص السعر وارتفع البلاء.

---

(١) العارضان: مثنى العارض وهو صفحة الخد. (٢) الحوب: الإثم أو الخطيئة

ودخل شيخ مسجداً فراود صبياً معلم الإمام فعاتبه وعنّفه فلما أطال له قال له: كم ذا تعنفني كأنْ لم ير سفلة غيري. ورأى سفيان في مجلسه شيخاً همّا يتخرق صفوف النساء ويبكي فظنّ أن بكاه لما سلف من ذنوبه فاستعتبهنّ، ثم قال:

علـيكنّ الـسلام فـليس عنـدي ... لـكـن فـدعـنـنـي غـيـرُ الـسّلامِ
وكــنّ إذا تــنظــرن إلــيّ أمــشــي ... تـقـبّـن عـنـيّ من خـلل الـخـيـامِ

وقيل: إن إبليس إذا رأى شيخاً ذا طرة قال: فديت من لا يفلح

● الحثُّ على تعظيم المشايخ ومخالطتِهِمْ

روي أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: أصابتني خصاصة فقال: لعلّك مشيت أمام شيخ. وقام وكيع لسفيان فأنكره وقال: ألست حدثتني عن النبي ﷺ أنه قال: من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن؟

وقال ﷺ: ثلاثة لا يستخف بهم إلا منافق: إمام مقسط وذو شيبة في الإسلام وذو علم، وقال أزدشير لابنه وقّر المشايخ، فهم مواطن الوقار ومعادن الآثار ورواة الأخبار وحفظة الأسرار. إن رأوك في قبيح صرفوك، أو جميل أيدوك وإياك وأعمار الشباب فهم أهل الصبوة إلى الشهوات.

وأوصى يزيد بن المهلب ابنه فقال: ليكن جلساؤك ذوي الأسنان فالشباب شعبة من الجنون ومرّ الحسن بفتيان فقال: شوبوا بمجلسكم شيخاً. وقيل: من عرف حقّ من فوقه، عرف حقّه من دونه.

● تفضيلُ الشيب في الرأي على الشباب

في المثل: جري المذكيات غلاء جرى بمذاكي حسرت عنه الحمر. وقيل: الشيخ في رأيه كالجذل المحكك، لا يهدّه خطب ولا يزعزعه صرف، والشاب كالغصن الناعم الذي يستحيل بأيسر ريح وأيسر آفة

وقيل: الشيخ كالبازل المستقل بما يحمل والشاب كابن اللبون لا ينهض بما يحتمل. وقال:

وابنُ اللّــــبونِ إذا ما لُـزّ فـي قـرن ... لم يستطع صولةَ البُزْل القناعيسِ[1]

● تفضيلُ الشبان فيه

قال ﷺ: وسّعوا للشبان في المجالس وأفهموهم الحديث. وكان عمر رضي الله عنه، إذا نزل به معضل دعا الفتيان واستشارهم وقال هم أحدّ قلوباً. وقيل: الشيخ كالزند

---

(١) البزل: الإبل ـ القناعيس: الضخمة العظيمة

الذي قد انثلم[1]، ورأي الشبّان كالزند الصحيح الذي يورى بأيسر القداح.

● مَدْحُ الشيبِ بالوقارِ والعفةِ

تأمل حكيم شيبةً فقال: مرحباً بزهرة الحنكة وثمرة الهدى ومقدّمة العفة ولباس التقوى. وروي أن إبراهيم عليه السلام لما بدا الشيب بعارضيه قال: يا ربّ ما هذا؟ قال وقار. قال: يا ربّ زدني وقاراً.

وعيّر حكيم بالشيب فقال: الشيب نور يورثه تعاقب الليالي والأيام، وحلم يفيده مرّ الشهور والأعوام، ووقار تلبسه مدة العمر ومضي الدهر.

قال دعبل:

أهلاً وسهلاً بالمشيب فإنّه ... سمةُ العفيفِ وحليَةُ المتحرّجِ
ضيفٌ ألمّ بمفرقي فقريتُه ... رفضَ الغوايةِ واقتصادَ المنهَجِ

وقال أبو تمام:

ولا يروعُك إيماضُ القتير به ... فإنّ ذاكَ ابتسامُ الرأي والأدبِ[2]

● مناقضةُ مَنْ مَدَحَ الشيبَ بالوقار

قال أبو تمّام:

حلّمتني زعمتُم وأراني ... قبلَ هذا التحليم كنتُ حليما
دقّة في الحياة تدعى جلالاً ... مثلَ ما سمّي اللديغُ سليما

قال المتنبّي:

ليتَ الحوادثَ باعتني الذي أخذَت ... مني بحِلْمي الذي أعطَتْ وتجريبي[3]
فما الحداثةُ من حِلْمٍ بمانِعَةٍ ... قد يوجد الحِلمُ في الشبانِ والشيبِ

قال عبدان:

إن شيئاً سعى إلى حياتي ... لبغيضٌ وإن أفادَ الرشادا

قال الموسوي:

غالطوني عن المشيبِ وقالوا ... لا تُرَعْ إنّه جلاءُ الحُسامِ
قلتُ بل مرّ بي على الرأسِ منه ... صارمُ الجدّ في يدِ الأيامِ

---

(١) انثلم: انكسر. (٢) القتير: أول ما يظهر الشيب.
(٣) يقول: أتمنى لو أن الحوادث تسترد ما أعطتني من الحلم والتجاريب لترد علي الشباب.

(٦)
في حُسْن الشباب وطيبه وقُبْحِ الشَّيب وعيبِهِ

●

قال عكرمة في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾[1] إلى الهرم، وللأخطل:

لا تـحـمـدنَّ شـعـراً تـغـشـا ... ه الـبـيـاض فـلـيـس يُـحْـمَـدْ
قـد كـنـتُ أبـيـضَ فـي الـعـلـو ... بِ زمـان كـنـت تـراه أسْـودْ

قال أبو تمام:

عــزة بُـهْـمَـةٌ ألا إنّـمـا كـنـ ... ـتُ أغرّاً أيامَ كنتُ بَهيما[2]

وقال:

إن قبحَ البياضِ في شعر الرأ ... س كقُبحِ البياضِ في الأحداقِ[3]

وقال المتنبي:

متى لحظت بياضَ الشيبِ عيني ... فقد وجدته منها في السَّوادِ

وقال أبو تمام:

لو رأى اللّهُ أنّ في الشيب فضلاً ... جاورته الأبرار في الخُلْدِ شيبا

وقال البحتري:

وددت بياضَ السيفِ يومَ لقيتُها ... كانَ بياضَ الشيبِ كانَ بمفرقي

وقال المتنبي:

ضيفٌ ألمّ برأسي غيرَ محتشِمٍ ... والسيفُ أحسنُ فعلاً منه باللِّمَمِ

وقال الموسوي:

مـا كـانَ أضـوأ ذلـك الـلـيـل فـي ... سـو د عـطـفـيـه ولـمْ يـقـمـر

● التسميةُ بما يدل على الكبر ذمٌ

لو قيل لعجوز صحية يا عجوز ويا جدة لغضبت و ستوحشت ولو قيل يا جارية لقالت

---

(١) القرآن الكريم: الحجر/ ٢٦.

(٢) عزة بهمة: أي شديدة السواد ـ قوله كنت أغرّ أيام كنت بهيماً: أي يوم كان شعره أسود ولم تكن لي غرّة أي شيب.

(٣) الأحداق. العيون.

لبيك وسعديك، وعلى ذلك يا شيخ ويا فتى. قال يزيد بن عتاب:

يا حرقةَ القلبِ بيا شيخ ويا … برد الفؤادِ حينَ يدعى يا فتى

وقال:

وإذا دعَوتَـك عمَّهـن فإنّـه … نسبٌ يزيدُك عندهنّ خبالا[1]

وقد ظرف البحتري في قوله

يتظرّفن للذليلِ المسمّى … من تصابٍ دون العزيزِ المكنّى

وقال أبو حازم:

إذا ما دعوتُ الشيخَ شيخاً هجوتُه … وحسبُك مدحاً للفتى قولُ يا فتى

● إزورارُ النساءِ عن الشيبِ

قال بعض المشايخ: رأيت امرأة راقتني فقلت هل لك فيّ؟ فقالت: إن بي عيباً شيب رأسي فثنيت عناني فصاحت أنت وكشفت عن شعر كالحمم وقالت: إني أكره من الشيب ما كرهته. قال المتنبي:

أرى شيبَ الرجالِ من الغواني … بموقعِ شيبهنّ من الرجالِ

وقال ابن الرومي:

أعِزْ طرفَكَ المرآةَ وانظُر فإنْ نبـ … بعينِكَ منه الشيبُ فالبيضُ أعذَرُ[2]

إذا شنأت عينُ الفتى شيبَ نفسِه … فعينُ سواه بالشناءةِ أجدَرُ

وقال ابن المعتز:

لقد أبغضتُ نفسي في مشيبي … فكيفَ يحبّني البيضُ الكعابُ

قال الحكم الخضري:

قد كانَ يعجبُ بعضَهنّ تزاغتي … حتّى سمعْنَ تنحنُحي وسُعالي

وقال الصاحب: قد سبق ابن المعتز كل من قال في رغبة النساء عن المشيب بقوله:

فظللتُ أطلبُ وصلَها بتذلّلٍ … والشيبُ يغمزُها بأنْ لا تفعلي

وقال:

الشيبُ أعظمُ ذنباً عند غانيتِه … من ابن ملجم عند الفاطميينا

---

(١) الخبال: الفساد والعنت.

(٢) نبا بعينك منه الشيب: أي لم يطمئن إليه وجفاه. البيض: كناية عن النساء، يقول: إذا نبا ناظرك عن الشيب فالحسان أكثر عذراً في ذلك

● رغبةُ الشيبِ عن النساءِ

قال بعض الشيوخ: كنت أخاف أني إذا شبت تزهد فيّ النساء فلما شبت كنت أزهد منهنّ فيّ. قال شاعر:

رَمتني وسترُ الله بيني وبينَها ... ونحن بأكناف الحَطيم قُديمُ[1]

فلو أنني لما رمتْني رميتُها ... ولكنّ عهدي بالنضال قَديمُ

● معرفةُ فضلِ الشباب عند فَقْدِهِ

قال بعضهم. شيئان لا يعرف فضلهما إلا من فقدهما الصحة والشباب. قال ابن الرومي:

لا تلحُ من يبكي شبيبتَه ... إلا إذ لم يبكِها بدَمِ[2]

لسنا نراها حقّ رؤيتِها ... إلا زمان الشيْبِ والهرَمِ

كالشمسِ لا تبْدو فضيلتُها ... حتى تغشّى الأرضَ بالظُلَمِ

ولربَّ شيءٍ لا يبيّنُه ... وجدانُه إلا مع العَدمِ

وقال ابن الأعرابي: لا أعرف في مدح الشباب وذمّ الشيب أحسن من قول محمد بن حازم

لا تكذبنّ فما الدنيا بأجمعها ... من الشباب بيومٍ واحدٍ بدَلِ

قال محمود الوراق:

سقياً لأيام تولّت به ... أحسنَ ما كانتْ صروفُ الزّمَن

ولى فما الدنيا بأقطارِها ... لليوم والساعةِ منه ثمَن

● غمُّ مَنْ ذَهب شبابُه قبل تمتعِهِ به

قال منصور النمري.

ما كنتُ أوفي شبابي كُنه عزّتهِ ... حتى مضى فإذا الدنيا له تبَعُ

وسمع ذلك الرشيد فقال وما خير دنيا لا يخطر فيها برداء الشباب قال عمر بن أبي ربيعة:

إن الشباب الذي كنا نزِن به ... مضى ولم نقْض من لذاته أملا

(1) أكناف: جمع الكنف وهو الناحية ـ الحطيم: جدار حجر الكعبة

(2) لا تلح: أي لا تلم

(٧)
البكاءُ على فَقْدِ الشباب والتأسفُ له

●

نظر رجل إلى شيبة في رأسه فجمع ساده وقال: أنديتني قد مات بعضي.

قال الخريمي:

إذا ما مات بعضُك ماتكِ بعضا ... فبعضُ الشيء من بعضٍ قريبُ

وقال محمود الورّاق:

أليس عجيباً بأنّ الفتى ... يُصابُ ببعض الذي في يديْه

فمن بين باكٍ له موجَع ... وبين معنّى معزٍ إليه

ويسلبُه الدهرُ شرخَ الشبابِ ... وليس يعزّيه خلقٌ عليْه[1]

وقال:

شيئان لو بكَت الدماءَ عليهما ... عيناك حتى يؤذنا بذهاب

لم يبلغا المعشار من حقّيهما ... فقْدُ الشبابِ وفرقةُ الأحباب

● ذمّ الشباب بقلّة الوفاء واللبث والتسلّي عنه

قال شاعر:

ما في يدي من الصبا ... إلا الندامةُ والأسف

كان الشبابُ كزائرٍ ... مرّ الزيارة وانصرَفْ

قال بعضهم:

لم أقلْ للشبابِ في دعَة ... اللّهُ وفي حفظه غداة تولّى

زائرٌ زارني أقامَ قليلاً ... سوّد الصحف بالذنوبِ وولّى

قال منصور الفقيه:

ما كانَ أقصرَ أيامِ الشباب وما ... أبقى حلاوةَ ذكراه التي يدع

وقال المتنبي:

مشيبُ الذي يبكي الشباب مشيبُه ... فكيفَ توقّيه وبانيه هادِمُه

● تمني عوده والدعاء لَهُ

(١) شرخ الشباب: مقتبله وريعانه

قال أبو العتاهية:

ألا ليتَ الشبابَ يعودُ يوماً … فأخبرَه بما فعلَ المَشيبُ

وقال النمري:

واللهِ لو أُعطى المُنى … لوددتُ أيامَ الصِّبا

ومعاتباتٍ كنَّ لي … ومداعباتٍ للدُّمى

قال حميد:

فلا يبعُد اللَّذةُ الشبابُ وقولُنا … إذا ما صبَوْنا صبوةً سنتوبُ[1]

ليالي سمعُ الغانياتِ وطرفُها … إليّ وإذ ريحي لهنّ جنوبُ

وقال ديك الجن:

لله درّي في الشبيبـ … ـة من أخي لهوٍ أريبِ[2]

أيامَ يحملُني الشبا … بُ على التهاونِ بالذُّنوب

● تولّي العيشِ بتولّي الشبابِ

قال كثير:

وكانَ الصبا خدنَ الشباب فأصبحا … وقد تركاني في مغانيهما وحدي[3]

وقال:

ولّى الشبابُ وولّى العيشُ والعُمُرُ … وأقبلَ المُنذِران الشيبُ والكبَرُ

وقال ربيعة بن الأبيض:

بانَ الشبابُ بكلِّ ما … تهوى النفوسُ وتَطلبُ

طفىءَ السراجُ وكلَّت الأضـ … ـراسُ وانكسرَ القضيبُ[4]

قال عليّ بن جبلة:

ولما انقضى عصرُ الشباب وعهدُه … ذوى ورقُ الدنيا وأغصانُها الهدْلُ[5]

● كراهةُ ذهابِ الشيب وكراهةُ نزولِهِ

قال مسلم:

الشيبُ كرهٌ وكرهٌ أن يفارقَني … فأعجبْ لشيءٍ على البغضاءِ مودودِ

يمضي الشبابُ ويأتي بعدَه خلَفٌ … والشيبُ يذهبُ مفقوداً بمفقودِ

---

(١) صبونا: أي ملنا إلى الصبوة وهي جهالة الصبا.

(٢) الأريب: البصير بالأمور.

(٣) الخدن: الصاحب.

(٤) طفىء السراج: أي خمدت جذوة الشباب وولّى.

(٥) الأغصان الهدل: الظليلة الوارفة.

قال البحتري:

تعيبُ الغانياتُ عليّ شيبي ... ومن لي أن أمتّعَ بالمَعيبِ

وأنشد ابن دريد في وصفه:

ولي صاحبٌ ما كنتُ أهْوى لقاءَهُ ... فلما التقيْنا كانَ أكرمَ صاحبِ

عزيزٌ علينا أن يفارقَ بعدما ... تمنّيْتُ دهراً أن يكونَ مُجانِبي

● الشيب داء متمنى

قيل لأبي العيناء: كيف أنت؟ قال في الداء الذي يتمنّاه الناس يعني الهرم. وقيل لأعرابي وقد ضعف من الكبر لقد أدب إليك الدهر، فقال: كثر الله من ذنوبه عندي

● طول العمر يُفْضِي إلى الهرَم والمصائب

قيل من أخطأ سهم المنية قيّده الهرم. ومن وطّن نفسه على طول العمر فليوطنها على كثرة المصائب. وقال ابن الحارث في وصيته لبنيه من متّع بكبر بني نحير، ومن تأخّر يوماً ملّه قومه

وقال زهير:

رأيتُ المنايا خبْطَ عشواءَ من تصبْ ... تُمِتْهُ ومنْ تخطِئ يعمّر فيهرَمِ

وقيل: كفى بالسلامة داء، وقال[illegible]

فكيف ترى طولَ السلامةِ يفعل

● مَنْ أضعفَهُ كِبَرُهُ وهَرَمُهُ

سأل الحجاج شيخاً فقال. كيف طعمك؟ قال: إذا أكلت ثقلت، وإذا تركت ضعفت. قال: كيف نكاحك؟ قال: إذا بذل لي عجزت، وإذا منعت شرهت. قال كيف نومك؟ قال: أنام في المجمع وأسهر في المضجع. قال: فكيف قيامُك وقعودُك؟ قال. إذا قعدت تباعدت عني الأرض، وإذا قمت لزمتني قال كيف مشيك؟ قال تعقلني الشعرة وتعثرني البعرة.

وقيل لشيخ ما صنع بك الدهر؟ قال: فقدت المطعم وكان المنعم، وأجمت النساء وكن الشفاء. فنومي سبات، وسمعي خفات، وعقلي تارات.

وقيل لآخر. فقال: أدرج من العشاش، وأخرأ في الفراش، وأنبو عن القماش، وأنمر من لاش.

وقيل لآخر فقال ضعضع قناتي، وأوهى شواتي، وجزّ أعلى عداتي وسئل ابن القرية عن وصف الكبر فقال: إقبال البحر وإدبار الزهر، وانقباض الذكر وقيل: الشيخوخة غمامة تمرض الأمراض.

قال أبو الطمحان:

حنتني حانياتُ الدهر حتى كأني خاتلٌ أدنو لصيدِ
قريبُ الخطوِ يحسَبُ من رآني ولستُ مقيداً أني بقيدِ

وهذا من قول شيخ مرّ به غلام فقال: يا عمّاه قد قصر قيدك، فقال: تركت الذي قيدني يفتل قيدك.

وقال ديك الجن:

نهنهتِ الخمسون من شرّتي وضيقتْ خطوي بعدَ اتساعِ[1]
واتحفتني خوراً ظاهراً وكنتُ قبلَ الشيبِ عينَ الشجاعِ[2]
تعترفُ النفسُ ببعضِ القوى فامسكِ النفسَ ببعضِ الخداعِ
أذكر إنسان التي عرقتها والموتُ قد يودي بمن في الرّضاعِ

وكان أبو محلم لما كبر ينشد

إذا ما امرؤٌ أحصى ثمانينَ حجّةً وعاشَ، تشكّى كلُّ عضوٍ ومفصَلِ

وقد أحسن القائل:

قالوا أنينُك طولَ الليلِ يسهرُنا فما الذي تشتكي قلتُ الثمانينا

● المشيبُ مؤذنٌ بالموتِ

قيل: المشيب تمهيد الحمام وتاريخه وعنوانه ورائده وبديره. وقيل: الشيبُ مقرّض الحيام ومميض الحمام. وقيل: هو أول مواعيد الفناء. وقيل: هو واعظ نصيح ومنذر فصيح.

وقيل: هو لمحة من سحاب المنون ونوبة من نوب الدهر الخؤون. وقيل: في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾[3] والنذير الشيب.

وقيل: إذا ضحك الشيب في لقذال[4] بكت الحياة للزوال.

ونظر حكيم إلى شيبه فقال أرى شيبة قد أينع ثمرها وحان قطافها.

وأظرف ما قيل في ذلك قول منصور

من شابَ قد ماتَ وهو حيّ يمشي على الأرض وهو هالكْ
لو كانَ عمرُ الفتى حِساباً لكانَ في شيبه فذالكْ

وقال:

الشيبُ والموتُ مقرونانِ في قرنِ

ونظر فضيل إلى رجل قد وخطه الشيب فقال: اتّق الله فإنّ الموت قد غرز أعلامه في

(1) نهنهه: جعله يكفّ، زجره.
(2) الخور: الضعف.
(3) القرآن الكريم: فاطر/٣٧.
(4) القذال: ما بين الأذنين في مؤخر الرأس.

لحيتك. ولأبي الفضل بن العميد من فصل قد طررت الأيام عارضيك بتاريخ، يفصح عما كتمته وينشر للناس من أمرك ما طويته، وكأنك تقول هو مقدمة الهرم والمؤذن بالخرف والعائد إليّ ولا أريد تطيراً من ذكره.

● من مات أقرانه فقد آن أوانه

قال أبو عيينة:

واستحصدَ القرنُ الذي أنا منهم ... وكفى بذاكَ علامة لحصادي

وقال معاوية لجلسائه: ما تعدون الغريب فيكم؟ فقالوا: الذي لا أحد له فقال بل الغريب الذي مات نظراؤه الذين كان يأنس بهم قال أبو محمد التيمي:

إذا ذهب القرن الذي أنتَ منهم ... وخلفت في قرن فأنت غريبُ

قال ابن المعتز:

لأيّ غاياتٍ رجالي بعدما ... رأيتُ أترابي وقد صاروا تُرابا[1]

وقال أبو سعيد الرستمي:

جاوزت سنّي الأشدّ ومارسـ ... ـتُ بنفسي من الخطوب الأشدّا

وتفانى الأقران دوني جميعاً ... وتبقيتُ في الكنانة فردا

وقال العلوي الكوفي

أجالس معشر الأشكال فيهم ... وأشكالي قد اعتنقوا التجردا

● المدة التي يخاف عندها الموت

قيل في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾[2] أنه الأربعون قال شاعر:

إذا المرءُ وافى الأربعين ولَمْ يكُن ... له دونَ ما يأتي حياءٌ ولا سِتْرُ

فدعْه ولا تنفِس عليه الذي مضى ... وإن مدّ أسباب الحياة له العُمُر

وقال رجل لعبد الملك: كم لك من السنين؟ فقال: أنا في معترك المنايا ابن ثلاث وستين. وكتب الحجّاج إلى قتيبة بن مسلم إني نظرت في سنّي فإذا أنا قد بلغت خمسين سنة وأنت نحو مني في السن. وإن امرأ قد سار خمسين حجّة إلى منهل لقمينٌ أن يرده فأخذ ذلك أبو محمد التيمي فقال:

فإن أمرأ قد سار خمسينَ حجّة ... إلى منهل من ورده لقريبُ

فإن كانتِ الستون سنّك لم يكن ... لدائك إلا أن تموتَ طبيبُ

(١) الأتراب: جمع ترب وهو من ولد معك

(٢) وردت سابقاً

قال ابن المعتز:

إحدى وخمسون لو مرّت على حجرٍ لكانَ من حكْمِها أن يفلَقَ الحَجَرُ

● جماعةُ سني العمر

تقول العرب: الغلام إذا بلغ عشراً قد رمى، وفي عشرين قد لوى أي لوى يد غيره، وفي ثلاثين قد غوى، وأربعين قد استوى، وفي خمسين قد حرى أي صار حرياً بأن يظهر فضله.

وقيل ابن عشر طفل وابن عشرين فحل، وابن ثلاثين كهل وابن أربعين معتدل، وابن خمسين مترحل.

وحكي عن بزرجمهر أنه قال: في عقد العشرة دليل على أن الصبي إذا بلغ عشر سنين فقد انعقد فإذا صار إلى عشرين عقد توسط الخير والشر توسط الإبهام للسبابة والوسطى، فإذا صار إلى الثلاثين عقد كمل واستوى وإذا بلغ الأربعين فقد بلغ الأشد وشدّ الأزر وإذا بلغ الخمسين فقد انكسر وقعد، وإذا بلغ الستين فقد انضم، فإذا بلغ السبعين فقد عاد في أخلاق الصبيان، وأشبه ابن الثلاثين الكامل الشهوة وابن العشرة الصبي فإذا بلغ الثمانين فقد تقوّس عقد ما فإذا بلغ التسعين فقد صار في ضيق عيش كضيق عقدها، وإذا بلغ المائة انتقل عن الدنيا انتقال عقدها إلى اليد الأخرى. وقيل لرجل كم أنت؟ قال. ابن قبضة يعني ثلاثاً وتسعين.

● في المتبرّم بحياته لضعفه

قال زهير:

سئمتُ تكاليفَ الحياة ومن يعش ثمانينَ حولاً لا أبا لكَ يسأم

وقال زهير بن جناب:

الموتُ خيرٌ للفتى فليهلكنْ وبه بقيّة

من أن يرَى الشيخ البجا ل وقد تهادى بالعشيّة[1]

وقال عبيد:

والمرءُ ما عاش في تكذّب طولُ الحياةِ له تعذّبُ

وقيل: أهون هالك شيخ يقاد به البعير وكان من عادتهم إذا تبرموا بشيخ ربما أنهم تركوه إذا ارتحلوا ليموت أو يأكله الذئب أو يحملوه على بعير نفور يسقطه فيموت فيستريحوا منه وقيل. أهون هالك عجوز في سنة جدب

---

(١) البجال: المكرّم والمعظم.

(٨)

المعمّرون

●

عاش نوح ألف سنة وأربعمائة وخمسين سنة، بُعث بعد مائتي سنة ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، بقي بعد الطوفان مائتي سنة وخمسين سنة فلما أتى ملك الموت قال له كيف رأيت الدنيا؟ قال: كدار لها بابان دخلت من هذا وخرجت من هذا.

وعاش لقمان خمسمائة وستين سنة عمر سبعة أنسر كل نسر ثمانون سنة ومنه قيل طال الأمد على لبد.

وعاش المستوغر بن ربيعة ثلاثمائة وثلاثين سنة ولما بلغ ثلاثمائة قال

ولقد سئمتُ من الحياةِ وطولِها   وعمرتُ من عددِ السنين مئينا

مائةٌ حدتها بعدها مائتان لي   وازددتُ من عددِ الشهور سنينا[1]

هل ما بقي إلا كما قد فاتنا   يومٌ يمرُّ وليلةٌ تحدونا

وعاش معدي كرب الحميري مائتين وخمسين سنة. وعاش عامر بن الظرب ثلاثمائة سنة وكذلك أكثم بن صيفي، وكانا من حكماء العرب. وأدرك أكثم الإسلام واختلف في إسلامه. وعاش قسّ بن ساعدة الأيادي ستمائة سنة، وكان من عقلاء العرب وحكمائهم، وهو أول من أقرّ منهم بالبعث وأول من قال في الخطبة: أما بعد. وعاش دريد بن الصمة دهراً طويلاً حتى سقط حاجباه على عينيه ولم يسلم وشهد حنيناً.

وعاش عبيد الجرهمي مائة سنة وعشرين سنة وكان معاوية رضي الله عنه حجّ من الشام فقال هل تعرفون أحداً بقي له علم بأيام العرب فسأله، فقالوا: عبيد وهو على طريقك فدعاه فقال: ممن أنت؟ فانتسب إلى قبيلة، فقال: وهل بقي منهم أحد؟ قال: نعم أنا. قال وكم لك من السنين؟ فقال مائتان وعشرون سنة. فقال: من أين تعلم؟ فقال: أما قال الله تعالى وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلاً. فقال: أخبرني عمّا رأيت فقال تمت عليّ سنيهات بلاء وسنيهات رخاء ويوم في إثر يوم وليلة في إثر ليلة. ومنهم لبيد بن ربيعة وخبره مشهور ومعاذ بن مسلم عاش مائة وخمسين سنة، صحب بني مروان وفيه يقول الشاعر:

قل لمعاذٍ إذا مررتَ به   قد ضجّ من طولِ عمرك الأبدُ

---

(١) جزتها: اجتزتها وتجاوزتها

قد أصبحت دار آدم خربت ... وأنت فيها كأنك الوتد[1]
تسأل غربانها إذا نعبت ... كيف يكون الصداع والرمد

● فصل من ذلك

قيل: فلان أعمر من القراد وذلك أنه يعيش سبعمائة سنة، وأعمر من الضب. قال الأصمعي إن الحسل[2] يبلغ مائة سنة ثم يسقط

قال:

فقلت لو عمرت عمر الحسل ... أو عمر نوح زمن الفحطل[3]
والصخر مبتل كطين الوحل ... صرت رهين هرم أو قتل

وقيل: أعمر من حية لأنها لا تموت حتف أنفها فيما يقال. وأعمر من نسر وللفرس زيود هشتا دكور تيرست رهمنه مزو مري به مريد خركش يوريه مرد معناه يعيش العير ثمانين سنة وثلاثمائة والحية لا تموت إلا قتلاً

(٩)

الترغيبُ في الاختضاب والرغبة فيه

●

قال عمر رضي الله عنه: اختضبوا بالسواد فإنه أسكن للزوجة وأهيب للعدو وقيل لرجل إلام أخضب؟ فقال: ما قام أيرك. قال شاعر:

الشيبُ ضيفُك فاقرِه بخِضابِ

وقال: إن الخضاب هو الشباب الثاني.

وقال:

إن الخضاب لحيلة ... في رد أيام الشباب

قال رستم بن محمود.

ولما رأيتُ الشيب قد شانَ أهلَه ... تقنعتُ وابتعتُ الشبابَ بدرهم[4]

قال ابن المعتز وقد ناقض بذلك محموداً الوراق حيث قال

يا خاضبَ الشيبِ الذي ... في كل ثالثةٍ يعودُ

---

(١) دار آدم: الدنيا. (٢) الحسل: ولد الضب.

(٣) الفحطل: لم نقع على هذه اللفظة في لسان العرب "الفحطل (بسطاء)"، وهو اسم وقال بأنه ورد في هذا البيت

تباعدني فحطل، إذ سألته ... أنين، فزاد الله ما بيننا بعدا

ثم ذكر بأن الاسم في الصحاح وهو طحطح وزمن الفحطل هو زمن نوح الليثي والراجح أن هذا هو المقصود.

(٤) شان أهله: عابهم، وبات بدرهم، والشين: العيب

إن النصول إذ بدا ... فكأنه شيب جديد[1]

فقال:

وقالوا النصول مشيب جديد ... فقلت الخضاب شباب جديد

إساءة هذا بإحسان ذا ... فإن عاد هذا فهذا يعود

● **الاعتذار لذلك**

قال علي بن عيسى لإبراهيم بن إسماعيل يوماً: الخضاب باطنه داء وظاهره غرور ثم لقيه وقد اختضب، فقال: أين كلامك؟ قال: فكرت فإذاً أمور الدنيا كلها مرمة وهذا من مرمتها. قال ابن الرومي:

فإن تسأليني ما الخضاب فإنني ... لبست على فقد الشباب حدادي

● **مَن اختضب لمجيء الشيب في غير وقته**

قال محمود الوراق:

إذا ما الشيب جار على الشباب ... فعالجه وغالط في الحساب

فقل لأمر لا مرحباً من نزيل ... وعذبه بأنواع العذاب

بنتف أو بقص كل يوم ... وأحياناً بمكروه الخضاب

وإن هو لم يجر وأتى لوقت ... فقل في رحب دار واقتراب

● **الترغيب عن الخضاب والرغبة فيه**

قيل لأفلاطون: لِمَ اختضب فلان؟ فقال: كره أن يوجد بحكمة المشايخ.

قال ابن الرومي:

يا أيها الرجل المسوّد وجهه ... كيما يُعَدّ به من الشبان

أقصر فلو سوّدت كل حمامة ... بيضاء ما عدّت من الغربان

وقيل لأعرابي: لِمَ لا تختضب لتصبوا إليك النساء؟ فقال أما نساؤنا فما يردن بنا بدلاً، وأما غيرهن فلا نريد صبوتهن[2].

قال كشاجم:

يا خاضب الشيب والأيام تظهره ... هذا شباب لعمر الله مصبوغ

وقيل لأعرابية: فلان يختضب. فقالت: لا ينال الشباب بالخضاب كما لا ينال الغنى بالمنى. ولما وفد عبد المطلب على سيف بن ذي يزن ورأى لحيته بيضاء بعث إليه بجارية ومعها خطر ليخضب لحيته فأنشأ عبد المطلب:

وقائلة تخضّبْ فالغواني ... نوافر عن مصادقة القتير

---

(١) نصول الشيب: خروجه من الخضاب.

(٢) الصبوة: الميل إلى اللهو وأهواء الصّبا.

فقلتُ لها المشيبُ نذيرُ عمْري ولستُ مسوّداً وجهَ النذيرِ

وقال:

إذا ذهبَ الشبابُ فليس إلا غبارُ الشيْبِ أو ذلُّ الخضابِ

● مَدْحُ الصَلَعِ

قال الخليل: كان الشريف إذا لم يصلَع نتفوا شعره تشبّهاً بذلك.

وأنشد العتبي:

قد حصّ رأسي فتيت المسك أخلطُه بالعنبر الورد حتى ما به شعَر[1]

فقال لشتان ما بينه وبين أبي قيس بن الأسلت في قوله:

قد حصتِ البيضةُ رأسي فما أطعمُ نوماً غيرَ تهجاعِ

● ذَمُّ الصلعِ

دخل الأبرش الكلبي على هشام بن عبد الملك وحجّام يحجمه فمسّ رأسه فقال: يا أبرش ما صلعَ لئيمٌ قط فكشف رأس الحجام فإذا هو أصلع، فقال: أمن كرم صلع هذا؟ وقالت امرأة لزوجها وكان أصلع لست أغط إلا شعرَك حيث فارقك فاستراح منك.

قال شاعر:

خفافان مثل القُذَّتينِ وهامةٌ يزلّ الذبابُ السقف عنها فيصرعُ[2]

وقال:

إذا أبصرتَهم صُلْعاً وثُطاً تبيّنَ ذاك من صلعٍ ومن هام

● التأسفُ للملك

قال بعضهم

جزعتُ للشيبِ لما حل أوّلهُ فجاءني حادثٌ أنساني الجزَعا

هبْ المشيبُ يُداوي الخطْر شدته فكيفَ لي بدواءٍ يُذهِبُ الصَلَعا

قال أبو النجم:

قد تركَ الدهرُ صِماتي صَفْصَفا فصارَ رأسي جبهةً إلى القفا

كأنما تلقى به صفصفي عفا

● الإعتذارُ عنه

قال بشر:

رأتني كأفحوصِ القطاة ذؤابتي وما منها من منعم يستثيبُها[3]

---

(١) حصّ الرأس: حلَق شعره (٢) القذّة القطعة من الريش (٣) الذؤابة ضفيرة الشعر

قال ابن الرومي:

يعيّرني لبسَ العمامة سادراً ... ويزعمُ لبسيها بعيبٍ مكتَّمِ
فقولا له هبْني كما أنا صلعةً ... ألستُ حصينَ الحلْف ماضي المقدَّمِ
وأنّى تُعيبُ الصلعَ والأيرُ منهم ... وأنت بحبّ الأيرِ عينُ المتيّمِ

● نوادرُ للصّلْع

قيل لأصْلع: إن الصلعة من بَش الدماغ. فقال: لو كان ذلك كذا لم يكن على حرامك طاقة شعر. وجلس أصلع بين يدي حجّام فحلق نصف رأسه وتماسكا في الأجرة، فقال الأصلع: خلق نصف رأسي فله نصف الأجرة فقال المحجّام حلقت له إبطين أربع أذرع كأنهما تنوران يشوى فيهما السالح لنتنهما فحكم له بالأجرة تماماً وقال أصلع لرجل رأى عليه جرباً كثيراً أراك لابساً جوشناً[1] بلا بيضة.

(١٠)
وممّا جاء في الأسماء والكنى والألقاب

●

● الحثُّ على تسمية الأبناء بأحسن الأسماء

قال النبي ﷺ: إياكم وهذه الأسماء القبيحة؛ فما من مولود يولد إلا ويحضره ملك وشيطان، فيقول الملك سمّوه بكذا اسماً حسناً، ويقول الشيطان سمّوه بكذا اسماً قبيحاً.

وقال: كنية الرجل أحد شواهد عقله واسمه أحد شواهد عقل أبيه. وقيل: أشيعوا الكنى فإنها منبّهة. وقال ﷺ: من آتاه الله وجهاً حسناً واسماً حسناً وجعله في غير موضع شائن فهو من صفوة خلقه.

● الميلُ إلى الأسماء الحسنة والتفاؤلُ بها

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أحبكم إلينا أحسنكم أسماء، فإذا رأيناكم فأجملكم منظراً. فإذا اختبرناكم فأحسنكم مخبراً.

وخرج الرشيد يوماً فرأى سعيد بن سلم فقال: من قال سعيد أسعدك الله؟ قال: ابن من قال ابن سلم سلمك الله قال: أبو من؟ قال: أبو عمرو، وعمرك الله فقال بارك الله عليك وأكرمه

● المُسمّى باسم حسن معناه موجودٌ فيه

قال:

وقلّما أبصرَتْ عيناك من رجُلٍ ... ألا ومعناه في اسم منه أو لقبِ

---

(١) الجوشن: الدرع.

قال ابن الرومي:

أنت أبو الفضل وأنت ابنه فالفضل لا يعدُوك في كلِّ حال

وسأل رجل صبياً صبيحاً ما اسمك؟ فقال وصف وجهي، فقال: ما أراك تسمّى إلا حسناً فقال: كذلك. وفي ذلك لأبي نواس:

إن اسم حسني لوجهها صفه وما أرى دا لغيرها اجتمعا

فهي إذا سميت فقد وُصفت قد يجمع الاسمُ معنيَيْن معا

ونظر المأمون إلى غلام فقال له ما اسمك؟ قال: لا أدري؟ فقال: لم أرَ مثل هذا. وأنشد:

تسميت لا أدري لأنك لا تدري بما فعلَ الحبّ المبرّحُ في صدري

● المُسمّى باسم حسن معناه معلومٌ فيه

ولي رجل يقال له البحر أبو العمر بعض كور خراسان فمدحه شاعر فأعطاه درهمين فقال

تركْتُ لبَحْر درهمين ولم يكنْ ليدفع عنّي فاقتي درهما بحْرِ

وقلت لبحر خذهما واصرفْهما سيغنيك في نقص المروءة والفخر

وقالت عمرة بنت النعمان بن بشير

سميت روحاً وأنت الغم قد علموا لا روّح الله عن روح بن زنباعِ

ومرّ صاعد بشار فقال. من هذا؟ قيل صاعد فقال: الصاعد اسما السافل فعلا.

ودفع أبو العياض بن بحر رقعة إلى أبي الفضل بن العميد فكتب عليها بحر بن محمد بن بحر فكتب تحتها محمد مسكين غرق بين بحرين. قال ابن الرومي

سميت أحمد مظلوماً ولست به كلا ولكن من الأسماء مقلوب

عرضت على كشاجم جارية حسناء فقال ما اسمك؟ قالت مظلومة فقال.

مملوكةٌ تملكُ أربابها ما شانها ذاك ولا عابها

قد سمّيت بالضدّ مظلومةً وهي التي تظلمُ أصحابها

● من عُيّرَ بقبيحِ اسمِهِ

قال بعضهم في رجل اسمه فضل:

هو فضلٌ وفضلة الشيء لغوٌ ثم أردفت قلة التصغير

وأراد عمر رضي الله عنه أن يولّي رجلاً فسأله عن اسمه فقال: ظالم بن سراق. فقال: أنت تظلم وأبوك يسرق لا خير فيك ولم يولّه

وقال معاوية رضي الله عنه لجارية بن قدامة من هوانك على أهلك سموك جارية

فقالت: أنت كنت أهون على أهلك إذ سمّوك معاوية، وهي الأنثى من الكلاب.

ووقف رجل على ثلاثة نفر فسألهم عن أسمائهم، فقالوا: حافظ ومنيع ومحرز. فقال: ما أظنكم من أسمائكم إلا كما قال أبو فراس

إذا نُسِبوا لم يعرفوا غيرَ ثعلبٍ   إلا أن أشرار السباع الثعالبُ

وقال العتابي لإبراهيم الموصلي عند المأمون وكان أغرى بينهما: ممّن وما اسمك؟ فقال: من الناس واسمي كل بصل. فقال: أما النسبة فمعروفة وأما الاسم فمنكر. فقال وما كلثوم من الأسماء، البصل على كل حال أطيب. وقيل لرجل: ما اسمك؟ قال: شعيب، فقال: لا خير في اسم في أوله شين وفي آخره عيب. وهذا مثل قول الصاحب في قابوس نصف اسمه صحف وآخره بوس، ونحوهما ما قال موسى بن عبد الملك في عيسى: أنّى يكون بليغاً ونصف اسمه عي ومن تأخر عنه ثلثا حروف مسي».

وقيل في نفطويه:

أحرقه اللّهُ بنصف اسمه   وصيّر الباقي نواحاً عليه

ونحوه:

أبو رياش بغي والبغي مصرعة   فشدّدوا العين ترموه بآلته
عبدٌ دليل هجا للحبس سيّده   تصحيف كنيته في صدغ والدته

أي أيور ناس.

وقال ابن أبي البغل: ولد لي سبط فما أسميه؟ فقيل له: لا تخرج من الاصطبل وسمه ما شئت.

ومن نوادر الصاحب أنه وقّع في قصة ابن حيلة: لا تترك استعمال أبيك وقال:

ابنُ عذاب إذا تغنّى   فرنّي منه في عذابِ

وقال ابن سوادة لعبدان: أبوك كان ثنوياً ولذلك سماك عبدان، أي عبد النور وعبد الظلمة.

وقال الصاحب للبعلي: ما اسم أبيك؟ قال: موسى. قال: وابنك؟ قال موسى. قال وهذه اللحية بين موسيين على خطر. وفيه:

حلقتْ لحيةُ موسى باسمه   وبهارون إذا ما قُلبا[1]

● من استحمق في اسمه

قال ابن أبي عتيق لرجل: ما اسمك؟ قال: وثّاب. قال وكلبك؟ قال: عمرو. فقال:

فلو كانَ من التوفيق   قد أعطى أشبيا

---

(١) يقصد أنه يقلب هارون يكون الاسم نوره وهي مادة لإزالة الشعر

لـسـمّـى نـفـسـه عـمـراً   وسـمّـي الـكـلـب وثـابـا

وقال رجل لآخر: ما اسمك؟ قال: وردان. قال: وفرسك، قال: عمران. ودهب رجل إلى باب، فقيل عبد من الأرض جميعاً قبضته والسموات مطويات بيمينه، فقال: إن نصف المصحف بالباب وسئل رجل عن كنيته، فقال: أبو الحسن وأبو العمر. فقيل: ألم تكف واحدة؟ فقال: لا إن ضاعت واحدة بقيت الأخرى

● **المتأوّل قبيح اسمه على تأويلٍ حسنٍ**

كان بنو أنف الناقة يستنكفون من هذا الاسم حتى قال فيهم الشاعر:

قـومٌ هُـم الأنـفُ والأذنـابُ غـيـرُهـم   ومَـنْ يـسـوّي بـأنـفِ الـنـاقـةِ الـذّنـبـا

فصاروا يتبجّحون به.

واستقبح قوم اسم العجلان فقال بعضهم: وما سمّي العجلان إلا لقوله:

خذ الوطب واحلُبْ أيها العبْد واعجلِ[1]

● **المعتذرُ لشناعةِ اسمه أو كنيته**

قيل لأعرابي اسمه ثمامة: أي شيء هذا الاسم؟ قال: الاسم علامة ولو كان كرامة لتشارك الناس كلهم في اسم واحد. وقال يزصوما لأبيه: ألم تجد اسماً أحسن من هذا؟ فقال: لو علمت أنك تجالس العلماء باسمك لسمّيتك يزيد بن مزيد.

وطلب الحسن بن سهل مؤدّباً لولده فأتي بمعاوية بن القاسم وكان صئيلاً فقال: ما اسمك قال: كنيتي أبو القاسم ولضرورة تكنيت فاستظرفه.

وقيل لمحرم المحدث لِمَ تسميت بذلك؟ فقال: حتى أبدب فيقال واحرماه. وأتى ضرار المتكلم بمجوسي ليكلمه فقال: أبو من أنت؟ فقال: نحن أجل من أن ننسب إلى أسامينا إنما ننسب إلى آبائنا. فورد على ضرار ما لم يكن في حسابه فأطرق ساعة ثم قال: أنا وآباؤنا أعمالنا وآباؤنا أعمال غيرنا. وسئل بعض الأعراب لِمَ تسمون أبناءكم بالأسماء القبيحة وعبيدكم بالحسنة فقال: لأن أبناءهم لأعدائهم وعبيدهم لأنفسهم

● **مدحُ الكنيةِ واللقَبِ وذمّهُما**

قيل: الكنية للإبانة واللقب للتبجيل فلا يكون لله تعالى كنية لأنه يدل بصفاته. واللقب على أوجه: لقب على سبيل الهزؤ، وذلك منهي عنه وربّما يحصّ الرجل على التعيين، وربّما يعمّ الجنس كقولهم للأحدب: أبو العصى، وللقصير أبو الرماح والثاني على سبيل التخفيف يستغنى به عن الاسم والنسب وهو كثير كأبي فلان والثالث للتعظيم كلقب الخلفاء والأمراء، والرابع لفعل يختص به كهاشم لهشمه الثريد، وعدوان لعدوه على أخيه وقتله إياه، ودارم لدرمانه تحت المال

---

(١) الوطب: سقاء اللبن، الرجل العليظ

● المقاتلُ باسمه حَسَناً كان أو قبيحاً

خرج عمر رضي الله عنه فلقي رجلاً من جهينة فقال: ما اسمك؟ قال: شهاب قال: أبو مَنْ؟ قال: أبو جمرة. فقال: ممن أنت؟ قال: من بني حرقة، ثم من بني ضرام. قال أين مسكنك؟ قال: ذات لظى. قال: أدرك أهلك وما أراك تدركهم إلا وقد احترقوا. فأتاهم وقد أحاطت بهم النار.

ولما حاصر قتيبة سمرقند أرسل إليه دهقانها[1]: لو حاصرتها الدهر الأطول لم تظفر بها فإنا نجد في كتبنا أنه لا يفتحها إلا بالآن فقال قتيبة الله أكبر أنا صاحبها لأن قتيبة تفسيره بالفارسية بالآن، فلما يئس من مكابرتها هيأ صناديق وجعل لها أبواباً تغلق من داخل وجعل فيها رجالاً مستلئمين، وقال: أنا راحل عنكم ومعي أموال أريد أن أجعلها عندكم. فأمر دهقانها ففتح الباب وأدخلت الصناديق فخرجوا وقتلوا من فيها وفتحوها.

● المتسمّي باسم لا يليقُ به

قال بكر بن النطاح:

وأعجبُ منك اليومَ تسليمُ أمرِه	عليك على طنبر وأنك قابلُه

وقال عبدان:

هل رأيتم أو سمعتم	بكياه أضيقهان

وقال الصاحب:

العضاري قال ادعى كَياء	لستُ أرضى بالشيخ والأستاذِ
هل رأيتم يا سادتي أو سمعتم	بكياه من أهلِ نصر أباذِ

● الحثُّ على تعرف أسماء الأصدقاء.

وقد تلتقي الأسماء في النّاس والكنَى	كثيراً ولكن لا تلاقي الخلائق

وقال:

وكم من سميّ ليس مثل سميه	وإن كانَ يدعى باسمه فيجيبُ

وقال:

لشتانَ ما بيْن اليزيديْن في النّدى	يزيد سليم والأغرّ بن حاتمِ

وفي فصل لأبي الفضل بن العميد إلى محمد بن يحيى: وما أحسبنا نشترك إلا في الاسم وشتان بين محمد، ومحمد فلو كنا السماكين لكنت الرامح وكنت الأعزل أو النسرين لكنت الطائر وأنا الواقع، أو السعدين لكنت سعد السعود وكنت سعد الذابح.

---

(١) دهقان: (كلمة فارسية) معناها سيّد الإقليم

● **الحثُّ على تسمية الغيرِ بأحسنِ الأسماءِ**

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾[1]، وقال ابن الخزاعي:

ولستُ بذي نيربٍ في الكرا ... م ومناع خيرٍ وسبابِها
ولكن أطاوعُ ساداتِها ... ولا أتعلَّم ألقابَها

وقيل ثلاثة تثبت لك الود عند أخيك: أن تبدأه بالسلام، وتوسّع له في المجلس وتناديه بأحب الأسماء إليه.

وقال الطائي:

لا يُضْمِرُ العذرَ للصديقِ ولا ... يخطر اسم ذي ودّه إلى لقبه

وقال:

أكنّيه حين أناديه لأكرمَه ... ولا ألقّبه والسوءةُ اللقبُ

وجرى بين أبي بكر بن مريمة القصبي وبين بعض القواد كلام في مجلس أبي الحسين بن بويه وكان أبو بكر يقول مرّة: يا إبراهيم، ومرة يا أبا إسحاق، فغضب القائد من ذلك وقال: لِمَ لا تقول كياه؟ فقال إنما نكياك إذا أنصفتنا، فإذا ظلمتنا سحقناك وبرهمناك.

● **الاعتذارُ لِمَنْ سمّي بغير اسمهِ المشهورِ بِهِ**

صاح أعرابي بعبد الله بن جعفر فقال: يا أبا الفضل، فقال: ليس هذا كنيتي، فقال إن لم يكن كنيتك فإنه وصفك.

وكان يحيى بن أكثم يناظر رجلاً في إبطال القياس وكان الرجل يكنيه بأبي زكريا. فقال له: يحيى إنها ليست بكنيتي فقال إن كل يحيى يكنى بأبي زكريا. فقال: يحيى العجب أنك تكنيني بالقياس، وتناظرني في إبطاله. ودخل رجل على أمير يدعى إسحاق فقال له: يا أبا يعقوب، فقال: أخطأت أنا أبو الحسين، فقال إنما أخطأ الأمير لأنّ كل إسحاق يكنى أبا يعقوب.

● **المشاهيرُ بأسماء لا يُعْرف بها غَيْرُهُمْ**

إذا قيل أمير المؤمنين مطلقاً فهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وابن عبّاس عبد الله، وابن عمر عبد الله. وكان لهما أولاد غيرهما. والحسن بالحسن البصري، والنابغة نابغة بني ذبيان. والأعشى أعشى بني قيس.

● **من سمّي من الكبار بأسماء وكنى**

النبي ﷺ سمي محمداً ومحموداً وأحمد ولهذا باب طويل:

---

(١) القرآن الكريم: الحجرات/ ١١.

● **نوادر مختلفة في ذكر الأسماء**

قيل لحائك أبو مَنْ؟ فقال أبو محمد عليه السلام وقال علي رضي الله عنه: ما اجتمع قوم في مشورة فلم يدخلوا من اسمه محمد إلا لم يبارك لهم فيها.

وقال ابن أبي ليلى: أحب الأسماء إلى الله تعالى ما فيه الإقرار بالعبودية له تعالى.

ودقّ باب الجاحظ رجل فقال من؟ قال: أنا. قال: لا يُعرفُ مَنْ اسمه أنا. ودق آخر فقيل مَنْ؟ قال: أنا. قال: ما أملح ذو أنا.

ودخل مجوسي على والٍ فقال: ما اسمك؟ قال: يزدان بأذان. قال: اسمان وجزية واحدة لا يكون ذلك وألزمه جزيتين.

وقال رجل للفرزدق: من أنت؟ قال: فرزدق. قال: لا نعرف فرزدقاً إلا عجيناً فتيتا تأكله نساؤنا. فقال: الحمد لله الذي جعلني في بطون نسائكم.

وقال أعرابي لرجل: ما اسمك؟ قال: عبد الله قال: ابن من؟ قال: ابن عبيد الله. قال: أبو من؟ قال: أبو عبد الله الرحمن. فقال الأعرابي أشهد أنك تلوذ بالله لياذ لئيم جبان.

وجاءت عجوز إلى لحّام بالمدينة فدفعت له درهماً وقالت ادفع لحماً طيباً، واذكر اسمك لأدعو لك فدفع إليها أخبث لحم. وقال اسمي من يمد، فجعلت المرأة تأكل وتقول: لعن الله من يمد تلعن نفسها ولا تدري.

وكان بالبصرة شيخ يقال له أبو حفص اللوطي فدخل يعود جاراً له فوجده كالمغمى عليه فقال له: أتعرفني؟ قال نعم أنت أبو حفص اللوطيّ فقال تجاوزت حد المعرفة لا رفع الله صرعتك.

● **مَنْ غضب على غيره لموافقة اسمه مَنْ لا يحبّه**

من الشيعة قوم يبغضون ويقتلون من كنّي بأبي بكر أو سمّي بعمر. وكانت قرية يقال لها يزداد وأهلها في الشيعة، مرّ بهم رجل فسألوه عن اسمه فقال: عمران فضربوه ضرب التلف، وقالوا في اسمه عمر وحرفان من اسم عثمان ألا يستحق القتل؟

● **المسمّى بفعل منه جداً أو هزلاً**

سُمّي إبراهيم حنيفاً لأنه حنف عن عبدة الأوثان، ومريم البتول لتبتلها أي انقطاعها إلى الله تعالى، وخطب والٍ باليمامة فقال: إن الله تعالى لا يقرّ على المعاصي فقد أهلك أمة في ناقة لا تساوي مائتي درهم فسمي مقوم الناقة.

وقال الخليل: كان قوم يلقبون كلّ من مر بهم فأتاهم رجل، فقال: إني أريد أن أتصل بكم بشرط أن تلقبوني أدعوني رأساً برأس فلقبوه رأساً برأس. والشعراء منهم كثير كالمرقش لقوله:

رقّش في ظهر الأديم قلم

وجران العود لقوله:

خـذا حـذراً يـا جـارتـي فـرتـنـي رأيت جران العُود قد كانَ يصلُح

والممزّق لقوله ولما أمزق.

• ألقابُ الخلفاءِ والولاةِ

أول من لقب من الخلفاء عبد الملك بن مروان لقب الموفق لأمر الله، ثم الوليد المنتقم لأمر الله.

وأول من قال يا أمير المؤمنين أول من قصد أبا بكر وهذا باب واسع. وقيل سمي طاهر ذا اليمينين لأن المأمون كتب إليه. إن أمير المؤمنين قد جعل يمينك يمينه ويسارك يساره فسمي ذا اليمينين.

وكان أصحاب السلطان في زمن التتابعة سبعة أقسام: التابعة والمباهلة وهم الذين ليس فوقهم، والمقاول وقيل الأقيال والأذوال الواحد قيل وهم ستون رجلاً من أهل بيت الملك يرشحون له ثم المثامنة ثمانون رجلاً إذ مات التبع وضعوا رجلاً من الأقيال تبعاً، ووضعوا رجلاً من الثامين في الأقيال مكانه، ثم الصنائع وهم ثقات الملك يصنعهم لنفسه ثم الوضائع وهم أصحاب المناظر والمسالح، والمقيمون في الثغور ثم العباد وهم خدم السلطان الذين يلزمون بابه ويختلفون في رسالته ثم الأحيار.

• أسماءُ ملوكِ كلِّ صقعٍ وفرسانُها

قد تقدم أسماء ملوك الأصقاع من البسيادة فأما الفرسان فيقال المرازبة في فارس البطارقة في الروم البكاكرة في السند والهند والمقاول في اليمن والكبش في ترار وتبع في العرب

• من سماه أبوه باسم نفسه من الكبار

عبد الله بن عبد الله بن أبي بكر الصديق، الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، مسلم بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب، عبد الله بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، عبد الله بن عبد الله بن عمر سعيد بن سعيد بن العاص عتاب بن عتاب بن أسيد

• شبه ألغازٍ بأسماء

قال المنصور لأبي بكر بن عياش يا أبا بكر أخبرني عن عين فقأت عيناً يريد رجلاً أول اسمه عين قتل رجلاً أول اسمه عين وأراد أن يعلم هل تحدث الناس بما كان منه إلى عبد الله بن علي. فقال نعم يا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قتله عبد الرحمن بن ملجم، وعبد الله بن الزبير قتله عبد الملك بن مروان وعبد الملك قتله ابن عمه عمرو بن سعيد، وسقط البيت على عبد الله في عهد أمير المؤمنين عبد الله المنصور، فقال: ويلك ودلك مني. وكان عبد الله بن علي خرج على المنصور فوجه إليه أبا مسلم فهزمه ثم صار إلى المنصور بأمان فقيل إنه بنى له بيتاً جعل في أساسه الملح

وأجرى الماء تحته فوقع فمات ولذلك قال ما قال.

وقال مروان نجد في كتبنا أن عين ابن عين ابن عين يقتل ميم، ابن ميم ابن ميم وأظن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز قاتلي، فأنا مروان بن محمد بن مروان قال.

يــا أبـا إسـحـاق اقـلـبْ ... نـظْـم إسـحـاقَ وصَـحِّـفْ

واتـرُكِ السخـاء عـلـى حـا ... لٍ فـمَـا لـلـحـالِ مـصْـرِفْ

● **المسمّى باسم أمّه وخالِهِ**

مما عيّر به قول دعبل يهجو:

سـألْـتُـه عـنْ أبـيـه ... فـقـالَ ديـنـار خَـالـي

فـقـلْـت ديـنـار مـنْ هـو ... فـقـال والـي الـجِـمـالِ

قال أبو محمد اليزيدي:

قـلـتُ وأدغـمْـت أبـا خـامـلاً ... أنا ابنُ أختِ الحسَنِ الحاجبِ

ونحو ذلك ما حكي أن أبا العيناء سأل ابن أخت أبي الوزير حاجة فلم يقضها له فقال: إنما ألوم نفسي في تأميلك وأنت مضاف إلى مضاف.

ولأبي سعيد الرستمي:

كفى حزناً فاسمَع علي بن رستم ... لِيَسْخطك أن يدعى بسيط جنيد

وليسَ بـحـمـدِ الله فيه مـزلّة ... ولكن دعوا سعْداً بلفظ سعيد

● **المنسوب إلى مَن يجالسُهُ حتى صَار كالعَلَم لَهُ**

قال خالد الواسطي الطحان ما كنت طحاناً ولكن كنت أجلس إلى طحان فسميت به. وكذلك خالد الحذاء تزوج امرأة من الحذائين فنسب إليهم، وواصل الغزال إنما كان يجلس إلى غزال، وإسماعيل المكي كان يتجر إلى مكة، وهو من أهل البصرة وسمي اللبّي لبت[1] كان يعمله

● **أنواعٌ مختلفةٌ**

دق إنسان على بشار فقال: من أنت؟ قال. أنا، فقال: انصرف يا أنا، قال أبو علي النطاح كان المهدي يحب ابنه إبراهيم فقالت له شكلة أتراه يلي الخلافة؟ فقال: لا، ولا يليها من اسمه إبراهيم. إن إبراهيم الخليل أول من ألقي في النار وإبراهيم ابن النبي ﷺ لم يعش وبويع إبراهيم بن الوليد فلم يتم له الأمر، وأحكم إبراهيم الإمام أمر الملك فقتل وتم لغيره. وطلب الخلافة إبراهيم بن عبد الله بن الحسن فما تمت له على جلالته وكثرة جيشه، وقد بايع المتوكل لابنه إبراهيم المؤيد فلم يتم له وقتل.

---

(١) اللبت: الثوب الغليظ جمع يترت.

الحدّ الثامن عشر

في الملابس والطِّيب

•

(١)
الرُّخصةُ في إجادةِ المَلْبِس وعُذرُ فاعلِهِ ديناً ودنيا

•

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[1] وقال تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[2] وقال ﷺ: إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويكره البؤس والتباؤس.

وبعث ملك الروم إلى النبي ﷺ جبة ديباج فلبسها ثم كساها عثمان واشترى ﷺ جبة بثمانين ناقة. وكان الحسن يلبس ثوباً بأربعمئة درهم وفرقد السبخي كان يلبس المسوح، فلقيه الحسن فقال: يا أبا سعيد ما ألين ثوبك، فقال الحسن: يا فريقد ليس لين ثيابي يباعدني من الله ولا خشونتها تقرّبك منه، إنّ الله جميل يحب الجمال.

وكان سعيد بن المسيّب يلبس الحلّة بألف درهم ويدخل المسجد ويقول: أجالس ربّي. ودخل الوليد بن يزيد على هشام وعليه عمامة وشي، فقال: بكم أخذتها؟ قال بألف درهم. قال: عمامة بألف درهم؟ قال: إني أخذتها لأشرف أعضائي، وأنت أخذت جارية بألف دينار لأخسّ أعضائك.

وقال ابن عباس: كلْ ما شئت والبس ما شئت ما أخطأك اثنتان: إسراف ومخيلة. وقيل: مروءتان ظاهرتان: الرياش والفصاحة. وقيل: المروءة الظاهرة الثياب الطاهرة وأنشد:

إذا النَّفَرُ السودُ اليمانون حاولوا ... له حسنَ بُرديه أدقُّوا وأوسَعوا

• **الحثُّ على تغطيةِ سوءِ الحالِ بإجادةِ الثّياب**

قال بعض الحكماء: كن أحسن ما تكون في الظاهر حالاً أقل ما تكون في الباطن مآلا فالكريم من كرمت عند الخصاصة[3] جنّته، واللئيم من لؤمت عند الحاجة طعمته. وكان بعض القرشيين إذا اتسع لبس أرث ثيابه وإذا افتقر لبس أحسنها ويقول: إذا اتسعت تزيّنت بالهبة، وإذا افتقرت تزيّنت بالهيئة.

---

(١) القرآن الكريم: الضحى/ ١١. (٢) القرآن الكريم: الأعراف/ ٣١. (٣) الخصاصة: الفقر والضيق.

● النهيُ عن الملابسِ المَشهورةِ وما لا يَليقُ بلابِسه ومدحُ الاقتصادِ

قال النبي ﷺ: من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب ذلّ يوم القيامة. وقال عمر رضي الله عنه: إياكم أن تلبسوا ألبسة مشهورة أو محقورة. وقال خالد: إلبسوا من الثياب ما تستحسنه الملوك والسوقة، فإن تغيرت بأحدكم حال لم يعلم به أحد. وقيل إلبس ما لا يزدريك به السفهاء ولا يعيبك به العلماء.

قال العلوي:

لـيـس لـبـسُ الـطـيـالـس ... مـن لـبـاس الـفـوارسِ[1]

لا ولا حـرمـة الـوغـا ... كـصـدور الـمـجـالسِ

● نَهْيُ من يداخلُ السَّلاطينَ عن الثِّيابِ الفاخِرة

قال دهقان[2] لابنه: إياك إذا نلت مرتبة من السلطان أن تلبس ما يديم نظره إليك، واعلم أن الوشي لا يلبسه إلا أحمق أو ملك، وعليك بالبياض اللين فكل أبيض عندهم ثوب. وحكي أن الشيخ الأمين عتاد بن العباس كان له جبّات كثيرة كلها عتابي على لون واحد، يخدم بها ركن الدولة الحسن بن بويه، فقال يوماً لحاشيته: أنظروا إلى نظافته يلبس جبّة كذا كذا سنة لا يغيّرها ولا يبليها.

وقيل: أراد عمرو بن مسعدة يوماً الركوب إلى السلطان في ثياب وشي، فقال له نوح بن إبراهيم: لا تفعل، فقال: لم لا أفعل وغلتي كل شهر كذا؟ فقال إبراهيم: غلّتك مسموعة وجبّتك ملحوظة.

● مَنْ لَبِس المَخاوِزَ من الصالحين

قيل: كان أويس يلتقط الخرق من المزابل فيخيطها ويلبسها. وعمر رضي الله عنه رؤي عليه قميص فيه اثنتا عشرة رقعة وهو يخطب. وقال أبو أويس الخولاني: قلب نقي في ثوب دنس أحب من قلب دنس في ثوب نقي. وكان لعمر رضي الله عنه قميص قيمته أربعة دراهم، فقال: إني أخشى أن أسأل عن لبسه يوم القيامة، فبكى سالم غلامه وقال له: رأيتك قبل الخلافة لبست ثوباً بأربعين ديناراً فاستحسنته. فقال: يا سالم إني كنت لم أنل شيئاً إلا طلبت ما فوقه فلما نلت الخلافة علمت أن ليس فوقها إلا الجنة فدعني أطلبها.

وقال رجاء بن حيوة قوّمت ثياب عمر بن عبد العزيز وهو خليفة بإثني عشر درهماً قميصه وخفّه وعمامته وسراويله وقلنسوته.

● حمد لبس المخاوز

قيل: ألبس من الثياب ما يخدمك ولا يستخدمك وقال عمرو بن العاص: لا أملّ

---

(١) الطيلس: جمع طيالس، كساء أخضر يلبسه الخواص من المشايخ والعلماء

(٢) دهقان. (فارسية) جمع دهاقنة، رئيس الإقليم

ثوبي ما ستر عورتي ولا دابتي ما حملت رحمي، وكان خريم الناعم لم يكن يلبس في الصيف إلا خلقاً[1] ولا في الشتاء إلا جديداً.

● **عُذْرُ مَنْ لِوْمَ لِبسهُ وكَرُمَتْ نَفْسُهُ**

دخل النجار العذري على معاوية فزدراه، فقال: يا أمير المؤمنين إن العباءة لا تكلمك إنما يكلمك من فيها فملأ سمعه حكمة ثم نهض ولم يسأله شيئاً فقال ما رأيت أحقر أولاً ولا أكبر آخراً منه وعاتب يحيى بن خالد لعتبي في خلق ثيابه، فقال: أحرى الله من ترفعه هيئتاه ثيابه وجماله ولم يرفعه أكبراه همته ونفسه إنما الهيئة للأبناء والنساء وقال حبيب بن أبي ثابت: لأن أعزّ في خميصة أحب إليّ من أن أذلّ في مطرف، وقيل: لا يسود الرجل حتى لا يبالي في أي ثوبيه ظهر. قال أبو عفان

تعجّبتْ درُّ من شيبي فقلتُ لها: لا تعجَبي مطلوعُ الشمس في السَّدَفِ[2]

وزادها عجَباً أن رحتُ في سَمِلٍ وما درتْ درّ أنّ الدرّ في الصَّدفِ[3]

وقال

أعاذلُ أن يكونَ ردائي رثاً فلا يعدمك بينهما كريمُ

وقال النمر بن تولب

فإن يكُ أثوابي تمزّقن عن بلى فإني كمثل السيف في خَلَق الغِمْدِ[4]

ونظرت جارية لابن هبيرة وهو أمير العراق وعليه قميص مرفوع فضحكت، فأنشد

هزئتْ أمامةُ أن رأتني مُخلِقاً ثكلتْكِ أمّكِ أي ذاك يروعُ

قد يدركُ الشرفَ الفتى ورداؤه خلقٌ وجيبُ قميصِهِ مرقوعُ

وقيل: لا يسود الرجل حتى لا يدري أي ثوبيه لبس

وقال البحتري:

وليس العُلى درّاعةً ورداؤها ولا جُبّةٌ موشيةٌ وقميصُها

وفي صبيح الوجه عليه خلق

لا تعجبوا من بلى غلالته قد زرّ أزرارَهُ على القمرِ

● **مَنْ عُوتِبَ في خَلق ثيابِهِ فاعتذرَ بالفقرِ**

قال بعض الكبار لأبي الأسود عليه جبة خز خلقة طال صحبتها له: أما تمل لبسها؟ فقال: رُبّ مملول لا يستطاع فراقه فأمر له بمال ودخل محمد بن كعب على سليمان فقال.

---

(١) الخلق من الثياب: البالي. (٢) السدف: ظلمة الليل.

(٣) السمل: الثوب البالي.

(٤) خَلَق الغمد: الغمد: غلاف السيف، والغمد الخلق البالي.

ما هذه الثياب الرثّة؟ فقال: أكره أن أقول الزهد فأطري نفسي أو الفقر فأشكو ربي.

وقال الإسكندر لرجل رث تكلم بفصاحة: ليكن حسن ثيابك كحسن كلامك، فقال: أما الكلام فأنا قادر عليه وأما الثياب فأنت تقدر عليها. فخلع عليه.

● العُرْيانُ

قيل: فلان أعرى من المغزل، وقيل لأعرابي: ما تلبس؟ قال: الليل إذا عسعس[1] والصبح إذا تنفس. قال أبو هفان:

عُريانُ أعْرى من فُصوصِ النَّرْدِ ... كالسَّيْفِ ماضٍ ما لَه من غِمْدِ

وأنشد رجل يحيى بن خالد:

إنّي امرؤٌ في أعالي بيتِ مَكرُمَةٍ ... إذ تمرّقَ ثَوْبي أرْتَدي حَسَبي

فقال يحيى: ما أقل غناء هذا الرداء في الكانونين. وقال الأصمعي: قلت لأعرابي في يوم بارد ألا تصلي، فقال: البرد شديد ومالي كسوة، وأنشد:

فإن يكسني ربي قميصاً وجُبّةً ... أُصلّ وأعبدْه إلى آخرِ الدهرِ

وإنْ لا يكن إلا سقاية عبءةٍ ... محرّقة مالي على البرد من صَبْرِ

● من يصونُ ثوبَه ويُهينُ نفسَهُ

قال ابن أبي الصمت:

أرى حُللاً تُصانُ على رجالٍ ... وأعراضاً تُذالُ ولا تُصانُ

وقال:

فَترى حسيسَ القومِ يتركُ عِرْضَهُ ... دنِساً ويَمْسحُ نعلَه وشِراكَها

● عُذرُ مَنْ يَشوّه لِبسَهُ

كان ابن أبي داود، مضطرب الطيلسان لا يحسن لبسه، فقال له أبو العلاء المعري: لئن كنت لا تحسن أن تلبس الطيلسان إنك لتحسن أن تلبس معك جماعة الإخوان. وقال آخر وقيل له لا تحسن أن تلبس الثياب، فقال: لكني أحسن أن ألبسها.

وعوتب آخر فقال: من عظمت مؤنته في نفسه قلّ تفقده لأمر غيره، وقيل: من كان شغله بنفسه فقد مكر به. وقيل ما استوت عمامة على رأس كريم قط.

● إعطاءُ الخِلَعِ

قيل: من راح منك في الثياب تغدو منه في الثناء.

قال البحتري:

وَراحَ في ثناني ... ورحتُ في ثيابه

---

(١) إذا عسعس: إذا أظلم

وقيل: أحق الناس بحلتك أصدقهم في خنتك وقيل: ثوبك على أخيك بالياً أحسن منه عليك جديداً وقال المهلب لأولاده: ثيابكم على غيركم أحسن منها عليكم.

● مَنْ تُزَيِّنُ بِهِ الثِّيابُ ولا يَتَزَيَّنُ بِها

كتب بعضهم: فلان تتزين به المطارف وتتشرف به المكارم

قال بشار:

زَيْنُ الـمـلاسـيِ حـيـنَ يَـلْـبَـسُـهـا ... وإذا تـســلَّــتْ زانــه سَــلَــبُــه

وقال:

إنَّ الـمـلـيـحـةَ من تُـزيِّـن حُـلْـيَـهـا ... لا مـن غَـدَتْ بـحُـلْـيِـهـا تـتـزيـنُ

قال جميل:

إذا ابـتـزلـت لـم يُـزْرِهـا تَـرْكُ زيـنـةٍ ... وفيها إذا ازدانَتْ لذي نيقةٍ حسبُ[1]

قال المتنبي:

لـبِـسْـنَ الـوشـيَ لا مـتـجـمِّـلاتٍ ... ولـكـنْ كـيْ يَـصُـنَّ بِـهِ الـجَـمـالا

قال كشاجم:

قـد تـأمَّـلْـتُ فـي الـغـلالـةِ مـثلـهُ ... جَـسَـدَ الـنُّـورِ فـي قـمـيـصِ الـهـواءِ

● ذَمُّ مَنْ حَسُنَ لِباسُهُ ولؤمَ فِعالُهُ وَخلقُهُ

ذمّ أعرابي رجلاً فقال: هو عبل البدن حسن الثياب عظيم الرواق صغير الأخلاق، الدهر يرفعه ونفسه تضعه. ونظر أرسطاطاليس إلى رجل حسن اللباس سيء الكلام فقال له: يا رجل تكلم على قدر لباسك أو ألبس على قدر كلامك. وقيل ثوب نظيف وجسم سخيف. قال شاعر:

إذا لـبِـسُـوا دكْـنَ الـخـزوزِ وخـضْـرَهـا ... وراحُوا فقد راحتْ عليكَ المشاجبُ[2]

قال الفرزدق:

يـبكـي الـخـزّ من عوفٍ وأنكر جلـدَه ... وعجّت عجيجاً من جذامِ المَطارفُ[3]

وقال البسامي

كـأنَّــه لـمَّــا بـدا مُـقْـبِــلاً ... فـي حـلـلٍ يَـقْـصِـرُ عـن لـبـسِـهـا

جـاريـةٌ رعْـنــاءُ قــد قــدَّرتْ ... ثـيـابَ مـولاهـا عـلـى نـفْـسِـهـا

---

(١) النيقة: الزينة والمعجب من الثياب.

(٢) الخزوز: جمع خزّ، وهو الحرير. والمشاجب: جمع مشجب، وهو الخشبة تعلّق عليها الثياب.

(٣) المطارف: جمع مطرف، وهو رداء من حرير. جذام: داء يسبب تساقط اللحم والأعضاء.

قال الخوارزمي:

أبو سعد له ثوبٌ نفيسٌ ... ولكنْ تحتَ ذاك الثوبِ عرَّبه[1]
فإنْ جاوزت كسوته إليه ... فليسَ وَراء عيادانِ قُرْبُه[2]

وقال:

وما الشقفيُّ إذْ جادت كِساهُ ... وراعَك شخصُه إلاَّ خيالُ[3]

وقال آخر.

استجيدوا الثيابَ إنَّ حمارَ السُّوءِ ... تُخفى عيوبُه بالجِلالِ[4]

وقال المتنبي:

ولا يروقُ مُصيماً حُسنُ بِزَّتِهِ ... وهل يروقُ دفيناً جودةُ الكَفَنِ[5]

● ذمُّ ملابِس التصوُّف

قال ابن السماك الصوفي: إن كان لباسكم وفقاً لسرائركم فقد أحببتم أن يطّلع الناس عليها، وإن كان مخالفاً لها فقد نافقتم وهلكتم. وقال الحسن فيما أظن أن قوماً جعلوا تواضعهم في ثيابهم وكبرهم في صدورهم حتى لصاحب المدرّعة بمدرعته أشد فرحاً من صاحب المطرف بمطرفه.

● حَمْدُ لُبْسِ الصُّوفِ وذمُّهُ

روي عن النبي ﷺ: من لبس الصوف وأكل خبز الشعير وركب الأتان فليس فيه شيء من الكبر. وقيل: من أحب أن يجد حلاوة الإيمان فليلبس الصوف. وقيل: لراهب لم تلبسون السواد؟ قال: لأنه أشبه بلباس المصيبة.

وقال ابن سيرين: كان عيسى عليه السلام يلبس الصوف ونبيّنا يلبس الكتان وهو أحب إلينا أن نقتدي به.

● لِبْسُ الحَريرِ والكتّانِ

قال النبي ﷺ: إنما يلبس الحرير من لا خلاق له وروي أنه ﷺ خرج وفي إحدى يديه حرير وفي الأخرى ذهب فقال: هذان على ذكور أمّتي حرامان حلالان على أناثهم. وقال بعض الأمراء لحاجبه: أدخل إليّ رجلاً عاقلاً فأدخل رجلاً فقال: من أين عرفت عقله؟ قال: رأيته لبس الكتان في الصيف والقطن في الشتاء والعتيق في الحرّ والجديد في

---

(١) عزبه: العزب: من لا أهل له.

(٢) القربة: القرب من الرحم، والقُرب ما يتقرّب به إلى الله.

(٣) راعك شخصه: أعجبك. (٤) الجلال: ما تُلبسه الدابة لتصان به.

(٥) المُضيم: الذليل.

البرد. وقال أمير المؤمنين: لا يلبس الكتّان إلا غنيّ أو عيي[1].

● ثُمّ سَحْبِ الثَّوْبِ ومَدْحُهُ

روي في الحديث: فضل الإزار في النار. وقال عمر بن عبد العزيز لمؤدّبه: كيف كانت طاعتي إليك؟ قال: أحسن طاعة. قال: فأطعني كما أطعتك خذ من شاربك حتى تبدو شفتاك ومن ثيابك حتى تبدو قدماك.

وخلع الرشيد على يزيد بن مزيد وكان يجالسه رجل من اليمن، فقال اليماني: أجرر فما عرق جبينك في نسجه فقال: عليكم نسجه وعلينا سحبه. ونظر سعيد بن سالم إلى أحمد إبنه وعليه ثوب طويل يجرّه فعاتبه، فقال: يا أبتي إني قصير وعدتي إذا لبست ثوباً مرة ومرتين أن أهبه وأكره أن أهبه لمن لا يصلح له فاحتملت قبح ذلك لما فيه من مصلحتهم.

● الثَّوْبُ الخَلِقُ

للحمدوني في ذلك أشعار كثيرة وله اختصاص بوصف ذلك، منها قوله في طيلسان كثر رفوه[2].

يا ابنَ حربٍ أطلْتَ فقري برفوي طيلساناً قد كنتُ عنه غنيّا
فهو في الرفوِ آلُ فرعون في العرض على النار بكرةً وعشيّا

وقال:

طالَ ترداده إلى الرفو حتى لو بعثناه وحده لتهدّى[3]

وقوله

عمرته الرقاعُ فهو كمصرٍ سكّنته نزاعُ كلّ قبيلة[4]

ولآخر في جبة

دبّ فيها البلى فدقّت ورقّت فهي تقرا إذا السماء انشقّت[5]

قال البسامي:

أرقعُ كسمّيْسها وأرفو ذيولها فلا رفوها يُجدي ولا رقعُها يُغْني
إذا قمتُ فيها أو قعدتُ تنفّستْ تنفّسَ صبّ ما يقرّ من الحُزْنِ[6]

● التعمّم

قال ﷺ: اعتمّوا تزدادوا حلماً. وقال عمر رضي الله عنه: العمائم تيجان العرب.

---

(١) العيي: المهتم. (٢) الرفو: إصلاح الثوب.
(٣) لتهدّى: أي لاهتدى واسترشد بمفرده. (٤) نزاع: خصومة.
(٥) إشارة إلى الآية القرآنية: ﴿وإذا السماء انشقت ..﴾ [الانشقاق ١].
(٦) الصبّ: العاشق، المولّه.

وقولهم سيّد معمّم معصب فيه تأويلان أحدهما هو المتعصب بجرائر قومه والآخر بمعنى الشرف، ومنه قول دريد:

عاري الأشاجعِ معصوبٌ بلمّته ... أمرُ الزعامةِ في عِرْنينه شَمَمُ[1]

وقال أبو أمامة: إذا طولت الكمة وكورت العمة ووسعت الأكمة فقد هلكت الأمة وكان السيد يتعمّم بعمامة صفراء ومنه الزبرقان لصفرة عمامته.

وذكرت العمامة لأبي الأسود فقال: هي جنّة في الحرب ومُكنة في الحر ومدفأة في القرّ، ووقار في الندى، وزيادة في القامة وتعظيم للهامة. وبعث ﷺ أسامة بن زيد في بعض سراياه فعمّمه بيده، وسدل طرف عمامته

قال شاعر:

إذا لبسوا عمائمهم طَوَوْها ... على كرمٍ وإن سَفَروا أناروا

● مَدْحُ التقنّعِ وذمُّهُ

كان فرسان العرب يتقنعون إلا أبو تميم بن طريف لم يتقنّع قط، ولم يبال أن يعرف. وقيل: التقنّع بالليل ريبة وبالنهار مذلة. وكان التقنّع من شيم الأشراف يقصدون بذلك مباينة العامّة، ويقولون: ضم القناع بعضي إلى ملال وابتذال فمن وطئته الأعين وطئته الأرجل.

● التاجُ

كانت ملوك العجم وكثير من ملوك العرب يتتوّجون ويقولون للملك: المتوّج وقالت الخزرج للنبي ﷺ في عبد الله بن أبي بن سلول: لقد جئتنا حين نظمنا الخرز لتتويجه وكان السيف من قريش يتعصب في النادي ويفتخر

وبنو أمية جلسوا على الأسرة ولم يتوّجوا. وكان الوليد الخليع بنى قبّة ليضعها فوق الكعبة، لتكون مجلساً له ونزهة، وانتظر بذلك مع وضع التاج على رأسه كيف احتمال الناس له

● الألوانُ

سئل بعض الأعراب عن ألوان الثياب فقال: الصفرة أشكل والحمرة أجمل والخضرة أنبل والسواد أهول والبياض أفضل.

وقال ابن عباس: لو كان البياض صبغاً لتنوفس فيه. قال شاعر:

وتعرّضت لك في البياض كأنّهُ ... درٌ تنظّمهُ بِنَحْرٍ فصولِ

قال العباس في سوداء، لبست قميصاً موردا:

فحمةٌ ألبست رداءً من الجمـ ... ـر وناراً تمتّعن في جراقِ

(١) العرنين: الأنف. والسيد الشريف

وكان الأوزاعي يكره لبس السواد ويقول يلبس في المأتم وبمثله يعاقب المحرم، ولم أره على محرم ولا جليت فيه عروس ولا كفن فيه ميت. قال أفلاطون: الصبغ الشقائقي والروائح الزعفرانية تسكن العصب، والصبغ الياقوتي والروائح الوردية والنرجسية تحرك السرور، فإذا قرنت اللون الأحمر باللون الأصفر حركت القوة العشقية، وإذا قرنت الأصفر بالأسود تحركت الشوقية، وإذا مزجت الحمرة بالصفرة تحركت القوة الغريزية، وإذا مزجت التفاحية بالخمرية تحركت الطبائع كلّها

● الحثُّ على صيانة الثّوبِ

قيل لكل شيء راحة وراحة الثوب طيبه وراحة البيت كنسه. وقيل: إن الثوب يقول: صنّي[1] بالليل أصنك بالنهار.

● ذمُّ مَنْ وَسَخ ثوبهُ

قال بعضهم:

وَسِخُ الثّوبِ والعمامةِ والبِرْ ... دونِ والوَجْهِ والقَفا والغُلامِ

وقال بعضهم:

دنسُ القميصِ عليهِ مِنْ غيرِ لحمتهِ سداه
وشعارُهُ من شعرِهِ مكفاته في مسكِ شاه[2]

ودخل دمنته على بعض المياسير بخراسان يستميحه، وكان وسخ الثياب، فقال: لو غسلت قميصك، فقال:

أشرت بغسل كمتنا علينا ... وقد أرعيتها أذناً سميعَه
سأغسلُ كمتي ونَدي منكم ... وأنشر عنكم لومَ الطبيعَه

وذكر لأبي أيوب المتقشفة فقال: ما علمت أن لقذر من الدين. ورأى أبو الفتح بن زنكلة صوفياً قذراً، فقال: ما علمت أن طريق الجنة على الكنيف[3].

● النّعلُ

قال عمر رضي الله عنه: اتزروا وارتدوا وانتعلوا وتمعددوا أي إعملوا فعل معد. وقيل: استجيدوا النعال فإنها خلاخيل الرجال. وألغز بعضهم فيه:

وَمَخْزومةُ الأذنينِ ما تَشتكيهما ... وَمطعونةٌ في الصّدْرِ ما فَجّرَتْ دماً

ودخل ابن سكرة الحمام فسرقت نعله، فقال:

وَلَستُ بداخلِ حَمّامَ موسى ... وإن كان المنى طيباً وبُشرا

---

(١) صنّي: من الصيانة، أي احفظني. (٢) المسك: الجلد. (٣) الكنيف: المرحاض.

تكاثفتِ اللصوصُ عليَّ حتّى ... دحلتُ محمّداً وخرجتُ بِشرا

أي كنت صاحب النعل فلما خرجت صرت بشراً الحافي. وقال هشام بن محمد: مثل الذي يقعد ولا يخلع نعليه مثل الدابّة فلا يحلّ حمها.

قال شاعر:

يُمشي ويغدو رجلاً ... في خَلقٍ من الحِذا
حقّك يمشي جانباً ... وأنت منه في جِذا[1]

وفي المثل: كل الحذاء يحتذي الحمي الوقع

● أنواعٌ من الثيابِ

قيل: ثلاثة من لباس الحلاء لحرّ والقوسية والأدم، وقيل: الدواويج من لباس القبط، والدراريع لباس الروم، والأقبية لباس الفرس، والفوط لباس الهند، والأزر لباس العرب.

وقيل: كان لأبرويز عمامة طولها خمسون ذراعاً إذا اتسخت طرحت في النار فتأكل وسخها، وكان له ثوب قرمز يتلوّن كل ساعة بلون، وسراويل جوهر وتكّة أنابيب زبرجد في اللين كالعصن.

● الخاتمُ

كان خاتمه ﷺ حلقة فضّة وعليه فصّ عقيق وكان يتختّم به في يمينه وسبب اتخاذه أنه كتب إلى ملك الروم، فقيل له: إنه لا يقبل كتاباً إلا مختوماً، فاتّخذه حينئذ. وعنه ﷺ: لا يلبس الخاتم إلا أمير أو ذو مال. وأوّل من تختّم في يساره معاوية رضي الله عنه، وقيل:

قالوا تختّمْ في اليمين وإنّما ... مارستُ ذاك تشبُّهاً بالصّادقِ
وتقرُّباً منّي لآل محمّد ... وتباعُداً منّي لكلّ مُنافِقِ
الماسحين فروجهم بخواتم ... اسم النبي بهنّ واسم الخالقِ

● إتخاذُ الحُلي

نهى النبي ﷺ عن اتخاذ أواني الذهب والفضة وقال: من شرب في إناء من فضة فكأنما تجرجر في جوفه نار جهنم. واتخذ الهادي لجاماً من فضّة فقال له المهدي: أما تعلم الناس أنّ لك فضة ارجع إلى حالك.

● مَحبّةُ الطِّيبِ والحثُّ على تَناوُلِه

قال ﷺ: حبب إليّ من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرّة عيني في الصلاة. وقال ﷺ: حق على كل مسلم الطّيب والغسل والسواك يوم الجمعة، وأن يلبس من أحسن ثياب أهله، وأن يمس الطيب إن وجد وإن لم يجد فالماء له طيب

---

(١) وأنت في خلفه: وأنت بحذائه.

وقال الشعبي: الرائحة الطيبة تزيد في العقل. وقيل: من طاب ريحه زاد عقله ومن نظف ثوبه قلّ همه.

● نَهْيُ مَنْ عُرِضَ عَلَيه طِيبٌ رَدَّه والحثُّ على عَرْضِهِ

قال النبي ﷺ: إذا أتى أحدكم بطيب فليمس منه وإذا أتى بحلواء فليمس منها. وروى أبو هريرة: لا تردّوا الطيب فإنه طيب الريح خفيف المحمل.

● ما يُسْتَحَبُّ للرِّجال والنِّساء مِنَ الطِّيبِ

كان ابن عمر يستجمر بالألُوّة[1] غير مطرّاة وبكافورة معه. وقال ﷺ: طيب الرجال ريح لا لون له وطيب النساء لون لا ريح له، يعني طيب النساء إذا خرجن. وروي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما: تحفة الصائم أن يدهن لحيته ويجمّر ثيابه، وتحفة الصائمة أن تذرر وتمشط رأسها وتجمر ثيابها[2].

● أنواعُ الطِّيبِ

أوّل من سمى الغالية[3] معاوية، وذلك أن عبد الله بن جعفر اتخذها وأهداها له فسأله عن كلفتها فأخبره، فقال: هي غالية. وقال مالك بن أسماء لأخته وقد شم منها ريحاً طيبة علميني هذا الطيب، فقالت: ما أخذته إلا من شعرك.

أطيبُ الطِّيبِ طيبُ أم أبان   فارُ مسك بعنبر مسحوق[4]

فأدخل على الحجاج، فقال: ما الذي أسهرني سمي الساهر به. وقال بعض النصارى: دخنة مريم تبلغ رائحتها عنان السماء، فقال مخنث: فالند[5] إذاً يبلغ تحت العرش.

● الإستقصاءُ في التبخُّرِ

قيل: من الظرف والكرم الإستقصاء في التبخّر، ووضعت مجمرة تحت رجل فاستعجله الواضع، وقال ألا تضجر منها، فقال: إني أقعد على المستراح ساعات فلا أضجر، أفأضجر من ثلث ساعة أتبخر فيها.

● المُسْتَغْني عَنِ الطِّيبِ بطيبِ رائِحته

قال شاعر:

الطيّبون ثياباً كلما عرقوا

وقال آخر:

يا باسطاً كفّه نحوي بطيّبي   كفاك أطيبُ في نفسي من الطِّيبِ

---

(١) الألُوّة: عودٌ يُتبخّر به

(٢) يجمّر ثيابه: يبخّرها بالطّيب

(٣) الغالية: الطِّيب، الرائحة العطرة.

(٤) فأر مسك: وعاء المسك

(٥) الند: البخور

وقال

وما ضرَّ مَنْ أمسيتُ جارةَ بيته ... وفي رَحلِهِ أن لا يمسَّ مِن الطِّيبِ

- **البخورُ الطيِّبُ**

قال الخوارزمي:

بخورٌ مثلُ أنفاسِ الحبيبِ ... وطيبٌ قد أحلَّ بكلِّ طيبِ

يظلُّ الذيلُ يسترُه ولكنْ ... تنمُّ عليه أنفاسُ الجنوبِ[1]

إذا ما شمَّ أنفٌ حنَّ قلبٌ ... كأنَّ الأنفَ جاسوسُ القلوبِ

- **وصفُ من رُؤي متطيِّباً**

كان النبي ﷺ يُعرف خروجه برائحة المسك، وكان يعجبه المسك

قال الشاعر:

ويضوعُ مسكاً ريحُ طيبِ ثيابِه ... وكذاك ريحُ الماجدِ الوهّابِ

وقال:

كأن تجاراً تحمل المسكَ عرّسوا ... به ثُمَّ فضّوا ثم كل ختام[2]

قال أبو نخيل:

في كفه خيزرانٌ ريحُه عَبِقٌ ... من كفِّ أروعَ في عِرنينه شممُ[3]

وكان الزهري يشم منه رائحة المسك حتى من علاقة سوطه. قال طرفة:

ثم راحوا عبق المسك بهم ... يلحقون الأرض هداب الأزر[4]

قال أبو نواس:

وكأنَّ القومَ بهتى ... بينهم مسكٌ ذبيحُ[5]

قال شاعر

بأبي مَنْ بعضه مِنْ ... طِيبه يَعشقُ بَعْضا

حُمل بخور إلى مجنون فخرق ثوبه فجعل لا يتبخر إلا عرياناً.

---

(١) **أنفاس الجنوب**: إشارة إلى ريح الجنوب.

(٢) **عرّسوا**: عرّس المسافرون: نزلوا للاستراحة. (٣) **العرنين**: الأنف.

(٤) **هُدّاب الأزر**: خيوط الثوب التي تبقى في طرفيه لا يكمل نسجها.

(٥) **بهتى**: مدهوشون.

(٢)
وممّا جاء في آلاتِ الدارِ

●

قال الله تعالى في ذم قوم: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾[1] والمحلات عند العرب الدلو والمقدحة والفأس والقربة و بقدر، وذلك أن من كان معه ذلك حلّ حيث أراد:

لا يـعـدلـن إتـاويـون تـضـرُبـهـم   نكـبـاءُ صرّ بأصحابِ المحلات[2]

وقيل: أشبه امرأ بعض بزه وكل سلعة لا تشبه صاحبها سرقة. وقيل: إستبن حزم الرجل بمتاع بيته. وأراد رجل أن يمدح رجلاً عن خالد بن عبد الله، فقال: دخلت عليه فوجدته أثرى الناس داراً وآلة وأثاثاً وفرشاً، فقال خالد: هذه حالة من لم تدع فيه شهوته للكرم والمعروف موضعاً.

ودعا بعض الناس حكيماً إلى داره وهي في غاية الفرش والرجل في غاية الجهل، فبزق الحكيم في وجهه فعصب الرجل، فقال الحكيم: طلبت موضعاً في دارك أبزق فيه فلم أجد موضعاً أقبح من نفسك فجعلتها موضعاً لبزاقي، إذ كان من شرطه أن يقذف في أخس ما كان. قال شاعر في وسادة منقوشة:

ومـكـسـورة حـمـراً كـأن مـتـونـهـا   سطورٌ لدى جنب الحوان جُموخ

وقال:

ومـكـسـورة بـالـتـين وهـي صـحـيـحـةٌ   حـبـيـبٌ إلى كلِّ النفوس المرامُها

وقيل: في الفراش الطبري فضيلتان برد صفحته ومجانسة لونه لون السماء فالنفس تسكن إليه من الجهتين.

● **الفُرشُ المُصوّرةُ**

كان ﷺ إذا رأى صورة في ثوب قضّه ونهى عن التصاوير. وبعث كسرى إلى أبي سفيان بوسادة مصورة فجعلها على رأسه فستحمقه، وقال قد بعثتها إليك لتقعد عليها، قال: قد علمت ولكن رأيت عليها صورة تملك فوضعتها على أكرم أعضائي، قال الببغاء في فارة مصورة:

أنظر إلى صورة لو أنها علمت   بمن تُشبه لم تَظهرْ لبانيها

---

(١) القرآن الكريم: الماعون/ ٧.

(٢) أتاويون: جمع الإتاوي وهو الغريب ـ النكباء: ريح تنحرف عن مهاب ريحين هما الصبا ورياح الشمال ـ والريح الصر: الشديدة.

تَرى الملوكَ وقوماً حولَ مالكِها　　وعدةُ الدولةِ المأمولُ يحليها

وقال الرّفّاء:

صَنَعَتْ فوقَها التماثيلَ أيدٍ　　عاجزاتٌ عن صنعةِ الخلّاقِ

ألبستْها محاسنَ الخَلْقِ لمّا　　عجزتْ عن محاسنِ الأخلاقِ

حيوانٌ بلا حياةٍ فمنهُ　　حائدٌ من منيّةٍ وملاقِ[1]

وقال المتنبي:

وأحسنُ من ماءِ الشبيبةِ كلِّهِ　　حَيا بارقٍ في فازةٍ أنا شائمُهْ[2]

عليها رياضٌ لم تَحُكْها سحابةٌ　　وأغصانُ دوحٍ لم تغنَّ حمائمُهْ[3]

ترى حيوانَ البرِّ مصطلحاً بها　　يحاربُ ضدٌّ ضدَّه ويسالمُهْ

إذا ضربتْهُ الريحُ ماجَ كأنّهُ　　تجولُ مذاكيه وتدأى ضراغمُهْ[4]

وفي صورةِ الروميِّ ذي التاجِ ذلّةٌ　　لأبيضَ لا تيجانَ إلّا عمائمُهْ[5]

وقال الببغاء في تمثال سبع في رمح:

وضيغمٍ في ذابلٍ يلوحُ　　مساورٌ تسيلُ منه الروحُ[6]

جسمٌ ولكنْ ليسَ فيه روحُ

- في صورة أفعى:

ومارقٍ معتدلِ الكُعوبِ　　يقلّ أفعى مدّةَ التركيبِ

تدبُّ في الجوِّ بلا دبيبِ

- اللِّبْدُ

قال أبو طالب المأموني:

وواضعةٍ خدَّها بالصعيدِ　　لأربابها فلها حرمةٌ[7]

منسوجةٍ من جُلودِ النعاجِ　　بغيرِ سداءٍ ولا لُحمةٍ

---

(١) **الحائد**: من حاد حيداً عن الطريق أي عدل عنه ومال - **المنية**: الموت - **مُلاق**. أي يلاقي المنيّة إذ لم يجد حيداً عنها

(٢) **الحيا**: المطر - **البارق**: السحاب ذو البرق - **الفازة**: المظلّة بعمودين - **والشائم**: الناظر إلى البرق راجياً المطر.

(٣) **الدوح**: الشجر العظيم جمع دوحة.

(٤) **المذاكي**: الخيل المسنة - **تدأى الصيد**: ختله - **الضراغم**: الأسود

(٥) **الرومي ذو التاج**: ملك الروم - يقول بأن تيجان العرب إنما هي العمائم

(٦) **الذابل**: من الرماح: الدقيق. (٧) **الصعيد**: التراب.

تزف على الرِّقّ زفّ الرِّئال ... وتربو على الخزّ في نِعْمَه[1]

● خركاة

قال أبو محمد الباوردي في خركاة عليها ثياب بيض وقد كُشف بعضها:

رأيتُك والبستانُ يحكي حسنَه ... سماءً وفيها حَول حُسْنك مَضْرَبُ
وقد كُشِفتْ للجوّ منه جوانبٌ ... فنورُك في آفاقِه يتشعّبُ
كأنّك شمسٌ من وراء غمامةٍ ... يمزّقها عنه الشعاع المطنَّبُ[2]

● الكرسيّ

قال أبو طالب المأموني:

ومعتقدٍ يعجبُ الناظرينا ... ويعجزُ عن وصفه الواصفونا
كأنّ دعائمَه إذ حُنينَ ... صوالجةٌ في يد اللاعبينا[3]

وقال:

ومُستوقفٍ بجلوس الخُصور ... على أربعٍ بالعُرى مُوثَقَه
يمدّ على فرعه مفرشاً ... ويُظهرُ في خصره منطقه
فمَن شاء صيّره مقعداً ... ومَن شاء صيّره مرفقه
إذا ظلّ يستشبرُ ما قد طووه ... أرى الحاصرين بما أوسقَه[4]
صليبيّ حديدٍ إزاءين فيّ ... عمودٍ وتعلوهما مشرقه

● الشمعة

قال أبو طالب المأموني:

وطاعنةٍ جلبابَ كلّ دجنّةٍ ... بماضي سنانٍ في ذؤابة ذابلِ[5]
تجودُ على أهل الندى بنفسها ... وما فوق بذل النفس جودٌ لباذلِ
ويقرى عيون الناظرين ضياؤها ... وقد قيدت ألحاظَهم بالأصائل[6]

وقال السري:

أغصانُ تِبْرٍ عُرّيتْ من الورقِ ... آثارُها بين مصابيحِ الأفقِ

---

(١) الرئال: جمع رئل، وهو ولد النعام. تزف: زف الطائر: بسط جناحيه ـ زفّ الرئال: ريش ولد النعام.
(٢) المطنّب: المعلّق بالحبال.
(٣) صوالجة: جمع صولجان، وهي العصا المعقوفة الرأس.
(٤) ما أوسقه: ما حمّله.
(٥) ذؤابة ذابل: علاقة رمح دقيق.
(٦) الأصائل: جمع أصيل، وهو العشية.

يُغْني الندامى ضوؤُها عن الفلَقِ … شفاؤُها إنْ مرضتْ ضربُ العُنُقِ[1]

● المَنارة

وقال أبو طالب المأموني:

وقائمةٍ بين الجلوس على سوى … ثلاثٍ فما تخطر بهنّ مكانا
على رأسها نجل لها لم تجنِه … حشاها ولا علّته قط لُبانا[2]
يسدّدُ في أعلاه كلُّ عشيةٍ … لِشَقّ جلابيبِ الظلام سِنانا[3]

قال ابن طباطبا في منارة وسخة:

ومنارةٍ في زيّ صاحبها … وسخاً تراها رثّة قذِرَه
سوداءُ منتنةٌ فتحسبُها … ملطوخةً بالكُشْب والعُذرَه[4]

وله:

يسيلُ على صدره المنارة مزرها … كمثل لعابٍ حين سال به ألثُ

وقال الصنوبري في سراج مظلم:

لنا سراجٌ نورُهُ ظلمةٌ … كأنّما يوقدُ من قلبي
الحبُّ أضناني فما بالُهُ … يَنضو ولا يشكو جوى الحُبِّ[5]

● الكُوزُ

عاب عمرو بن عبيد قلّة الحرف فقال: ليست بصغيرة فيسقى بها ولا بكبيرة فيستقي منها، وهي ضيّقة الفم ويمنع ذلك من النظر إلى القذى فيها، ونحيفة فلا يصل إليها الهواء، وثقيلة على اليد فاصلة عن الروي.

قال الخوارزمي في كوز فقاع:

وضيّقةِ الفمِ دحداحَةٍ … عليها قميصٌ ندى أخضرُ[6]
تثورُ إذا كشفوا رأسها … وإن قبّلوا فمها تهدرُ

● الزُّجاج

قال الله تعالى في شأنه: صرح ممرّد من قوارير وضربه مثلاً لنوره فقال: ﴿مَثَلُ نُورِهِ

---

(١) الفلق: الصبح. (٢) اللُّبان: الرضاع، واللَّبان: الصدر
(٣) جلابيب: جمع جلباب، وهو الثوب الواسع ـ السنان: نصل الرمح
(٤) الكُشب: عصارة الدهن ـ العُذرة: الغائط.
(٥) ينضو: ضعيف ومهزول ـ جوى: شدة الوجد والعشق.
(٦) دحداحة: قصيرة.

﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾[1] وسئل النظام عن عيبه، فقال: يسرع إليه الكسر ويقصر عنه الجبر، فقال:

مثل الزجاجة صدعها لا يُشْعَبُ

وقيل: الزجاج لا يألف الزهومات[2] ولا يقبل القاذورات قابل للألوان المحمرة والأشكال المرموقة. وقيل: الزجاج أبقى في التراب من الذهب

قال كشاجم:

وجسم هواء وإنْ لم يكن ... يُرى لِلهواء بكفٍّ شَبَح
يردُّ على الشخصِ تمثالَه ... وإن تتخذه مرآة صَلُح

● المِدْخنةُ

قال بعضهم

مقوّارةٌ من أديم الصخورِ ... تُحيَم في مِلك الخَيزُرانِ[3]
تغذي قِطاعاً كعُرف الحَبيب ... وتَرقى وَليس لها مِسرحانِ[4]
وتَنبعُ عن مثل خبْث القلوب ... من الجمرِ ليس لها من دُخانِ

وقال الصنوبري:

مجمرةٌ طاب بها الجِنْمانُ ... كأنها فيما حكى العيانُ
مقوّارةٌ ومازُها الدُّخانُ ... في بِرْكةٍ حصباؤُها نيرانُ[5]

● المشطُ

قال كشاجم:

مِشطٌ من العود لم نعنه ولا ... مالت به خفَّةٌ ولا ثِقَلُ
يَحنو اللِّحى طيبُها وزينتُها ... فهو على المقبلين مُشتمِلُ[6]

وقال آخر يذم مشطاً متكسر الأسنان:

ومشط إذا سرّحت يوماً به ... قطع لحييك بأسنانه

● المِنقاشُ[7]

قال أبو طالب المأموني:

لديّ ذو نابين أعصليْنِ ... ينتزعان شَعرَ الحدْيَنِ

---

(1) القرآن الكريم: النور/ ٣٥ (2) الزهومات: جمع الزُّهمة، الرائحة النتنة
(3) مقوّارة: أي مقوّرة، ويروى أيضاً قوارة: وهي ما قوّر وقطع من جوانب الشيء، من ثوب وغيره
(4) ترقى: ترتفع (5) الحصباء: الحجارة
(6) يحنو اللحى: يعطيه (7) المنقاش: المنتف

حتى ترى الوَجنة كاللُّجَيْنِ كخصومَةٍ قد طويَتْ طاقيْنِ[1]

● المِرآة

قال امرؤ القيس:

وعينٌ كمرآةِ الصَّناعِ تُديرُها لِمَحْجِرِها تحت النَّصيفِ المُنقَّبِ[2]

وقال أيضاً:

كلّ فضلٍ لكلّ نوعٍ وجنسٍ دونَ فضلِ المرآةِ من غير لَبْسِ

لطفُتْ رقةً وفاقتْ صفاةً فهي كالماءِ في عيانٍ ولَمْسِ

واستدارَتْ بباهرِ النور حتى ظنّها الناظرون قطعةَ شَمْسِ

وهي أصفى أخٍ يكشفُ لي عنّي وأدنى خِلٍّ يوفّرُ أُنسي

وإذا ما نأى نديمي عنّي ظلّ طرفي بها ينادمُ نفسي

وفي ذمّها، قال بعض الشعراء

مرآته سيّان في لونها ولمعةٌ من بعضِ حيطانِه

● المِرْوَحةُ

وذاتِ وَصْفٍ خُصّ بالشتاءِ من صِفةِ الأرواحِ والأنداء

كأنّما صِيغت من الهواءِ تعرفنا في الصَّيفِ والشِّتاءِ

● الملبَة

قال كشاجم.

مِلبَةٌ تُهدى إلى سيّدٍ ما زالَ عن كلّ وَليٍّ يَذُبُّ[3]

ناصيةُ الأدهم من عذوِها لم تكُ من عُرفٍ ولا من ذَنَبْ[4]

وذاكَ فألٌ إنْ تأمّلته لما يُرجى من نواصي الرُّتَبْ

● الزّنبيلُ

قال أبو طالب المأموني:

وذي أذنينِ لا تعيانِ قولاً وجوفٍ للحوائجِ ذي احتمالِ

يُكلّفُ شملَ أهلِ البيتِ طرّاً ويحملُ فيه من قوتِ العِيالِ

---

(١) اللجين: الفضة.

(٢) الصَّناع: المرأة الحاذقة، ومرآتها مجلوّة دائماً ـ محجرها: ما دار بعينها ـ النّصيف: الخمار الذي يُغطّى به الرأس.

(٣) يذُبّ: يدفع عنه ويحمي.

(٤) الناصية: مقدم الرأس ـ الأدهم: الحصان الأسود.

مُطيعٌ في الحوائجِ غيرُ عاصٍ ... ولا شاكٍ إليكَ من الكَلالِ[1]
تُسرّ عليه في الأسواقِ سراً ... فلا يبديه إلا في الرّحالِ

- **التفسرة**

وهي قارورة الطبيب التي تعرض عليه. قال المأموني:

ركيبةٌ تشفُّ ذاتُ طول ... من الزجاج الفائق المغسولِ[2]
تُظهرُ ما في الجسم من فضولٍ ... مُفصِحَة للطِّبّ لا بقيلِ
عن كل داءٍ غامضٍ دخيلِ ... مرآةُ ما في جسدِ العليلِ
تبديهِ للعَيْنِ على التفصيلِ ... مؤيّداً بواضحِ الدّليلِ

- **الأرجوحةُ**

قال المأموني:

سفينةٌ لا على ماء مُلجلجَة ... تجري براكبها في لجّةِ الرّيحِ[3]
إذا انتهتْ بي إلى أقصى نهايتها ... عادت كجريِ أتيٍّ سالَ مسفوحِ

- **طرّادةٌ**

طائرةٌ تسري بلا بَراحِ ... جولَ العقاب في سنا الصّباحِ[4]
ساطعةٌ بمائسِ الرّياحِ

- **أنواع**

قال بعضهم يصف البطّ:

وبطٌّ لا يزال السما ... ءُ يسقفاءُ ويسقيه

وقال شاعر

ثلاثةٌ تمسيه تدورُ ... الطّشتُ والكاساتُ والبخورُ

رؤي على مقراض مكتوباً هذه الكلمة:

دبر مِراراً ما همَمْتَ بقطْعِه ... فإذا استبانَ لكَ المِقصُّ فَقصّه

---

(١) الكلال: التعب.

(٢) الركية: البئر ذات الماء.

(٣) ملجلجة: من لجلج: تردد، وأدار الشيء.

(٤) البراح: الظهور والبيان، ويقال: بلا براح: أي بلا ريب. العقاب: حجر ناتىء في جوف البئر أو الحجر الذي يقوم عليه الساقي.

الحدُّ التاسعَ عشر

في ذمّ الدنيا ونُوبَها

•

(١)
أسماءُ الدُّنيا

•

يُسمّى الدهرُ أبا العجب والدنيا أم دفر وأم شميس. قال شاعر:

ما الدَّهرُ في فعله إلا أبو العجب

وقيل: الدهرُ اسم لزمانٍ متصل، والزمن اسم لدهر منفصل، وقال بندار الصوفي: الدنيا ما دنا من القلب وشغل عن الحق.

● قِلّةُ لبثِ الإنسانِ في الدنيا

قال النبي ﷺ: فيم أنا من الدنيا ومالي ولها وإنما مثلي ومثلها كراكب سار في يوم صائف، فرفعت له شجرة فقال تحتها ساعة من نهار ثم راح وتركها.

قال الموسوي:

وكأنّ طولَ العُمْرِ روحةُ راكبٍ قضى اللّغوبَ وَجَدَّ في الإسْراءِ[١]

وقال المسيح: الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمّروها. وقال أمير المؤمنين: الدنيا دار ممر لا دار مقر، والناس فيها رجلان: رجل باع نفسه فأوبقها ورجل ابتاع نفسه فأعتقها.

وقال أبو يعقوب:

لعَمْرُكَ ما الدُّنيا بدار إقامةٍ ولكنها دارُ انتقالٍ لمَنْ عَقَلْ

وقيل لنوح عليه السلام: كيف وجدت الدنيا؟ قال: كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر.

وكتب أبو زيد الطائي إلى صديق له: اجعل الدنيا كيوم صمته عن شهوتك، واجعل فطرك الموت.

● قِلّةُ مَتاعِ الدُّنيا

---

(١) اللّغوب: الإعياء والفساد.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾[1] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[2] وقال المنصور لما حضرته الوفاة: بعنا الآخرة بنومة. وقال شاعر:

إنـمـا الـدنـيـا كـرؤيـا سـرّة ... مـن رآهـا فـرحـتـه وانـقـضـت

وقال آخر:

أراها وإن كـانـت تُـحَـبُّ فـإنـهـا ... سحابةُ صيفٍ عن قليلٍ تُقشَّعُ

وقال أعرابي: ما كانت الدنيا على بني فلان إلا حيناً لما انتبهوا ولى عنهم.

وقال العلوي الكوفي:

مـررتُ بـدورِ بـنـي مـصـعـبٍ ... بـدور الـسـرورِ ودورِ الـمـرحْ

فـشـبّـهـتُ سـرعـةَ أيـامِـهـم ... بـسـرعـة قـوسٍ يُـسـمّـى قُـزَحْ

تـلـوّن مـعـتـرضـاً فـي الـسـمـاءِ ... فـلـمّـا تـمـكّـنَ مـنـهـا نـزَحْ

● الماضي من الحياة والحاضرُ والمستقبلُ

قال حكيم: أمسُكَ ماضٍ ويومُك ممثّل وغدك مُبهم. وقال الحسن: أمسُ أجل واليومُ عمل وغداً أمل.

وقال أبو العتاهية:

أرى الأمـس قـد فـاتـنـي ردّه ... ولـسـتُ عـلـى ثـقـةٍ مـن غـدِ

وقال أبو حازم: بيني وبين الملوك يوم واحد أمّا أمس فلا يجدون لذّته ولا أجد شدته، وأما غد فإني وإياهم منه على خطر، وما هو إلا اليوم فما عسى أن يكون.

● التحذيرُ من تضييعِ الأيامِ

قال عبد الله بن المبارك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾[3] أي اعمل في الدنيا لآخرتك. وقيل: من لعب في عمره ضيّع أيام حرثه وإذا ضيع أيام حرثه ندم عند حصاده.

وقال الحسن: ما وعظني شيء مثلُ ما وعظني كلام الحجّاج في خطبته: إن امرأً ذهبت عنه ساعة من عمره في غير ما خُلق له لحقيق أن تطول حسرته يوم القيامة. وقال حكيم: الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما. وقال رجل لداوود الطائي: ما ترى أن أتعلم الرمي؟ فقال: حسن ولكن إنما هي أيامك فدعها فيما شئت.

● مرورُ الأوقاتِ هادمٌ للحياة

---

(١) القرآن الكريم: النساء/ ٧٧.

(٢) القرآن الكريم: يونس/ ٢٤.

(٣) القرآن الكريم: القصص/ ٧٧.

قال حكيم: من كان الليل والنهار مطيته سارا به وإن لم يسر.

وقيل:

رأيتُ أخا الدنيا وإن كان خافضاً ... أخا سفرٍ يسعى به وهو لا يدري[1]

وقيل: أنفاس المرء خطاه إلى أجله، وأمله خادعه عن عمله. لكلّ زمن فوْت وفي كل طرفة موت. وقال:

ما ارتد طرف امرىء بلحظته ... إلا وشيء يموت من جسده

وقال أعرابي: كيف تفرح بعمر تقطعه بالساعات معرضاً للآفات. قال أبو العتاهية:

تظلّ تفرحُ بالأيام تقطعها ... وكلّ يومٍ مضى يدني من الأجل

وقيل لأعرابي: أنظر إلى الهلال، فقال: ما أصنع به محل دين ومقرب حين. قال عبدة:

إذا ما سلختُ الشهرَ أهللتُ مثلَه ... كفى قاتلاً سلخي الشهورَ وإهلالي[2]

وقال:

إلا أنّ الفتى رهنٌ ... بدي للوسى خَذاع[3]

ومنه قول ابن قميئة:

رمتني صروفُ الدهر من حيثُ لا أرى ... فكيفَ بمن يرمى وليسَ برامِ

فلو أنني لما رمتني رميتُها ... ولكنها ترمي بغير سهامِ

وقال:

عوّق الدهرُ إلينا تسلّةً ... عللاً يقصدنا بعد نهل[4]

فهو رامينا ولا منتصره ... مثلُ رامٍ رامَ صيداً فختل[5]

- **البقاءُ في الدُّنيا سببُ الفناء**

قال بعضهم: انصرفت من مجلس حمّاد الراوية فقال أبي ما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن النبي ﷺ أنه قال: لو لم يكسب ابن آدم إلا الصحة والسلامة لكفى بهما داء. فقال أبي: قاتل الله حميداً حيث قال:

أرى بصري قد رابني بعد صحّة ... وحسبكَ داءً أن تصحّ وتسلَما[6]

وقال:

---

(١) خافض: الخافض من العيش: الواسع.

(٢) سلخ الشهر: قضاه وصار في نهايته.

(٣) خذاع: قطاع.

(٤) عللاً: الشرب تباعاً ـ نهل: أول الشرب.

(٥) رام صيداً فختل: مثلٌ للصياد يتخفى ويستتر لطريدته.

(٦) رابني: أوقعني في الشك.

ودعوت ربي بالسلامة جاهداً ليصحني فإذا السلامةُ داءُ

وقال:

لو لم يوكَل بالفتى إلا السلامةُ والنعَمْ

فتداولاه لا وشكا أن يُسلماه إلى الهَرَمْ

قال معدي كرب:

أراني كلما أبليتُ يوماً أتاني بعده يومٌ جديدُ

يعودُ شبابُه في كلّ فجرٍ ويأبى لي شبابي ما يعودُ

وقال الصّلتان:

إذا ليلةٌ هرمت يومها أتى بعدَ ذلك يومٌ فتي

● فرحُ الدُّنيا مَشوبٌ بالترح ومعقبٌ بالهموم

قيل: في كل جرعة شرطة ومع كل أكلة غصة. ونظر أنوشروان إلى ملكه فأعجبه، فقال: هذا ملك لولا أنه هالِكٌ ونعيم لولا أنه عديمٌ، وغناء، لولا أنه عناء وسرور لولا أنه شرور، ويوم لو كان يوثق له بغد، قال المغيرة بن حبناء:

وكذاكَ الدهرُ مأتمُهُ أقربُ الأشياءِ من عرسِه

وقال:

لا يغرَّنْكَ عيشٌ ساكنٌ قد توكّلَ بالمنياتِ السَّحر

وقال:

إنّ الليالي لم تحسن إلى أحدٍ إلاّ أساءت إليه بعد إحسانِ

وقال بعضهم: ما من إنسان قيل له: طوباك إلا وقد هيأ له الدهر يوم سوء، قال المتنبي:

ومن كان في السّراء في حال معجبٍ فمحصولُه منها على حالِ نادمِ

وقال ابن لنكك:

كلُّ من حار سروراً أو نعيماً هو فيه

فالمنايا والرزايا عن قريبٍ تقتضيه

وقال:

لم يشمع الدهرُ الخؤونُ لمهجةٍ في العمرِ إلا عادَ وهو خصيمُها[1]

● الدُّنيا هُمومٌ وغُمُوم

---

(١) مهجة: روح ونفس - خصيمها: عدوها ومنازعها

قال رجل لأمير المؤمنين: صف لي الدنيا، قال: ما أصفُ في دار أولها عناء وآخرها فناء حلالها حساب وحرامها عذاب، من أمن فيها سقم ومن مرض فيها ندم ومن استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن.

وقال بعض الصالحين: الدنيا دار غرست فيها الأحزان وذمّها الرحمن، وسلط عليها الشيطان يضل به الإنسان.

وسئل آخر عنها فقال: من نالها مات عنها ومن لم ينلها مات حسرة عليها

وقال سفيان: الدنيا دار التواء لا استواء من عرفها لم يفرح فيها برخاء، ولم يحزن بشقاء. وسمع حكيم رجلاً يقول لآخر: لا أراك الله مكروهاً، فقال: دعوت عليه بالموت من عاش لا بدّ له من مكروه. وقال شاعر:

في كل دار ترحةٌ وبليةٌ وهمومُ دارِك إن شكرْتَ أقلُّها[1]

وقيل للنظام وفي يده قدح دواء: ما حالك؟ فقال:

أصبحتُ في دار بليّات أدفع آفاتٍ بآفاتِ

وقال أبو علي كاتب بكر:

أفٍّ من الدنيا وأسبابها فإنها للحُزن مخلوقه
همومُها ما تنقضي ساعةً عن مَلِك فيها ولا سُوقَه[2]

وقال:

أسرَّ الزمانُ لنا طعمَهُ فما إن ترى ساعةً عذبَه

وقال:

مضى قبلنا قومٌ رجوا أن يقوّموا فلا تعجب عيشاً فلم يستقوّما

وقال المنصور:

كنْ موسراً إن شئت أو معسراً لا بدَّ في الدنيا من الغمّ
وكلّما زادك من نعمةٍ زاد الذي زادك في الهمّ

● قِلَّةُ السرورِ وكثرةُ الهُموم

روي عن الأمام الشافعي رضي الله عنه، قوله

محن الزمانِ كثيرةٌ لا تنقضي وسرورُها يأتيكَ كالأعيادِ[3]

وقال:

---

(1) ترحة: مصيبة.
(2) السوقه: الرعيّة من الناس واللفظة للواحد والجمع والمذكر والمؤنث
(3) محن الزمان: مصائبه وفجائعه

تأتي المكارهُ حين تأتي جملةً ... وترى السرورَ يجيءُ في الفَلَتاتِ

وقال ابن نباتة:

وما خيرُ عيشٍ نصفُه سنةُ الكرى ... ونصفٌ به نعتلُّ أو نتوجَّعُ[1]

مع الوقت يَمضي بؤسُه ونعيمُه ... كأنْ لم يكُنْ والوقتُ عمرُك أجْمَعُ

● سُرعةُ المكارهِ وتباطؤُ المحابّ

وقال شاعر:

ألم ترَ أنَّ سيرَ الخيرِ ريثٌ ... وإنَّ الشرَّ راكبُه يَطيرُ[2]

وكان لسفيان جار مخنّث فمرض فعاده سفيان بأصحابه، فقال: كيف تجدك؟ فقال: إن العلل والآفات تجيء في الدنيا دفعات والعافية تجيء طاقات، فقال سفيان: ما خرجنا إلا بفائدة.

وقال الحارثي:

تقضَّاك دهرٌ ما تَسلَّفا ... وكدَّرَ عيشَك بعدَ الصَّفا

فلا تُنكِرنَّ فإنَّ الزمانَ ... رهينٌ بتشتيتِ ما ألِّفا

وقال أبو الوليد:

وليسَ الدهرُ مؤتمَنٌ ... على تفريقِ ما جمَعا

وقال:

ألا إنَّما الدنيا مطيَّةُ بُلغةٍ ... علا راكبوها فوقَ أعوجَ أحدَبا[3]

شموسٌ متى أعطتْك طوعاً زمامَها ... فكنْ للأذى من عَسْفِها مترقِّبا[4]

● التحذيرُ من النُّقصانِ عند التَّمام

قيل: من بلغ غاية ما يحبّ فليتوقع غاية ما يكره. وقال الأصمعي: وجدت لبعض العرب بيتين كأنهما أخذا من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾[5] وهما قول سعيد بن وهب:

أحسنْتَ ظنَّك بالأيام إذ حَسُنتْ ... ولم تخفْ غِبَّ ما يأتي به القدرُ

وسالمتْك الليالي فاغترَرْت بها ... وعند صفوِ الليالي يحدثُ الكدرُ

---

(١) سنة الكرى: النوم. (٢) ريث: بطيء.

(٣) بُلغة: ما يُتبلّغ به العيش، ولا يفضل.

(٤) الشموس: الصعبة المراس، والشديدة العداوة ـ العسف: الجور.

(٥) القرآن الكريم: الأنعام/ ٤٤.

ومن دعاء بعضهم: صرف الله عنك آفات التمام.

وكتب الإسكندر إلى أرسطاطاليس. أكتب إليّ موعظة تردعُ وتُقنع، فكتب إليه إذا استوت بك السلامة فجدّد ذكر العطب وإذ اطمأنّ بك الأمن فاستشعر الخوف، وإذا بلغت نهاية أملك فاذكر الموت. وقال شاعر:

إذا تـمَّ أمـرٌ بـدا نـقـصُـه ... تـوقّـعْ زوالاً إذا قـيـل تـمّ

● عَرَضُ الدنيا عارية

قال ابن مسعود: عرض الدنيا عارية ومن فيها ضيف، والعارية مؤداة والضيف مرتحل.

والـمـال فـي الأقـوام مـسـتـودَعٌ ... عـاريـةٌ والـشـرطُ فـيـهـا الأداءْ[1]

وقال:

ومـا الـمـالُ والأهـلـون إلاّ ودائـعٌ ... ولا بـدّ يـومـاً أن تُـرَدَّ الـودائِـعُ

وقال:

أبـداً تـسـتـردُّ مـا تـهَـبُ الـدُّنـيـا فـيـا لـيـت جـودَهـا كـان بـخـلا

فـكـفـى كـون فـرحـةٍ تـورث الـهـمّ وحـلّ يـغـادرُ الـوجـد خِـلا

وقال:

لـم يـظـلـم الـدّهـرُ ولـكـنّـه ... أقرضَـنـي الإحـسـان ثـم اقـتـضـى

● الدُّنيا مُتقلِّبةٌ

من أمثالهم. الدنيا طرفة عين لا تثبت على حالة. دخل أعرابي عمّر مئة وعشرين سنة على معاوية فقال له. صف لي الدنيا. فقال. سنيات بلاء وسنيات رخاء يولد مولود ويهلك هالك، ولولا المولود باد الخلق ولولا الهالك ضاقت الأرض.

وقال شاعر:

هـل الـدهـرُ إلا ضـيـقـةٌ وانـكـشـافُـهـا ... وشـيـكـاً وإلا تـرحـةٌ وانـفـراجُـهـا

وقال

وحـادثـاتٌ أعـاجـيـبٌ خـسـاً وذكـا ... ما الدهرُ في فعلِه إلا أبو العَجبِ[2]

وقال:

الـدهـرُ مـن شـأنـه أن لا يـدوم لـه ... ما يحتويه الفتى منه وما يمق[3]

---

(١) العارية: ما يتداوله القوم بينهم، وما تعطيه لغيرك على أن يعيده إليك.

(٢) خساً: غباء وضعفاً ـ ذكا: سعة وفطانة. (٣) يمق: من ومق. أحب.

وقال:

وما حالةٌ إلا ستطرف حالُها ... إلى حالةٍ أخرى وسوف تزولُ

وقال آخر:

ومن عادةِ الأيام أنّ صروفَها ... إذا ساء منها جانبٌ سرّ جانبُ

وقال:

إنما الدنيا هباتٌ ... وعوارٍ مستردّه[1]

شدةٌ بعد رخاءٍ ... ورخاءٌ بعد شدّه

- **الدُّنيا لا يدومُ فيها فَرَحٌ ولا تَرَحٌ**

قال شاعر:

وما اكتأبتْ نفسٌ فدامَ اكتئابُها ... ولا ابتهجَتْ نفسٌ فدام ابتهاجُها

وقال آخر:

هل الدهر إلا ساعةٌ ثم تنقضي ... بما كانَ فيها من بلاءٍ ومن خفْضِ

فهوِّنْ لا تحفلْ إساءة عارضٍ ... ولا فرحةً تأتي فكلتاهما تمضي[2]

ويُروى عن أبي الفتح بن العميد لما قبض عليه، قال: الملك أحد والدوار أجد من أن يُبقي أحداً على أحد.

- **إعتبارُ الباقي بالماضي**

قال الحجّاج: والله إن الذي بقي من عمري لأشبه بما مضى من التمرة بالتمرة ومن الماء بالماء.

الدهرُ آخرُه شِبْهٌ بأوّلِه ... يومٌ بيومٍ وأيامٌ بأيامِ

وقال حارثة بن بدر:

وما الدهر إلا مثلُ أمسِ الذي مضى ... ومثلُ الغدِ الجائي وكلٌ سيذهبُ

وقال أعرابي: جعلنا الله ممّن يعتبر ممن يعبر الدنيا أي يعتبر بمن يقطعها

- **وصفُ الدنيا بأنّها غرّارةٌ**

قال أمير المؤمنين: الدنيا تغرّ وتضرّ وتمرّ. وقيل الدنيا غرور حائل وزخرف زائل وظلّ آفل ومسند مائل. وقال يحيى: الدنيا جارية زانية وتتهم بمن يقرب منها:

يغرُّ الفتى مرُّ الليالي سليمةً ... وهنّ به عمّا قليل عوائرُ[3]

---

(١) عوار: جمع عارية، ما يتداوله القوم بينهم

(٢) هوّنك: أي هوّن عليك.

(٣) عوائر: جمع عاثر، وهي مصيدة الصياد

وقال آخر:

وما زالتِ الأيامُ تستدرجُ الفتى … وتملي له من حيثُ يدري ولا يدري

وقال آخر:

لقد غرّت الدنيا رجالاً فأصبحُوا … بمنزلةٍ ما بعدَها مُتحوّلُ

وقال آخر:

يعلّلنا هذا الزمانُ من الوعدِ … ويخدعُ عمّا في يديه من النّقدِ

وقال آخر:

فذي الدارُ أخدعُ من مومسٍ … وأخونُ من كفّةِ الحابلِ[1]

وهذا مثل ما قيل: الدنيا قحبة، يوماً عند عطار ويوماً عند بيطار

● النهيُ عن الإغترارِ بأوقاتِهَا

قيل: لا تغتر بصفاء الأوقات، فتحتها غوامض الآفات، وقيل: لا يغرّنك الإملاء فالإملاء من الإستدراج، والله تعالى يقول: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[2].

وقيل: مثل الدنيا مثل الحية ليّنٌ لمسُها وفي جوفها السم الناقع، يهوي إليها الصبي الجاهل ويحذرها الحازم العاقل.

وقال شاعر:

إنَّ دنياكَ حيّةٌ تنفثُ السُّـ … ـمَّ وإن كانت المجسّةُ لانت[3]

وقال أبو عمرو بن العلاء: كنت أدورُ في صيعتي في شدّة الحر فسمعت هاتفاً يقول:

وإن امرأً دنياه أكبرُ همّهِ … لَمُستمسكٌ منها بحَبْلِ غُرورِ

فنقشت ذلك على خاتمي.

وقال الشاعر:

يا واثقاً بزمانه … أخطر تصرّفُه ببالِكْ

ووجد بخط نصر بن أحمد:

ولا تخدعنّكَ صروفُ الزمانِ … فإنَّ الزمانَ كثيرُ الخِدعْ[4]

---

(1) الحابل: الساحر.

(2) القرآن الكريم: الأعراف/١٨٢، ١٨٣.

(3) المجسة: ملمس الحية أو موضع الجّس.

(4) الصروف: الأحداث والتقلّبات.

● تصوُّر الدنيا يزيدُ الهُمُومَ

قال الشاعر:

ومن عرفَ الأيامَ لم يرَ خفْضَها نعيماً ولم يعدُدْ تصرُّفَها بلْوى[1]

● الدُّنيا واعظةٌ

قال أمير المؤمنين: أيها الذم الدنيا بمَ غرتك؟ بمصارع آبائك تحت الثرى، أم بمضاجع أمهاتك في البلى. كم مرّضت بيديك وعللت بكفيك فلم يغن عنك. وقيل: ما ضمنت الدنيا لأحد المتاع بها، بل نادت فصرحت إنها ميراث الدول وصبابة الأزمنة وأوعية الفجائع ومفرقة الآلات.

وقال عبد الله بن عيينة:

إن الليالي والأيام لو سُئِلَتْ عن عيبِ أنفسها لم تَكْتمِ الخَبرا

وقال أبو تمام

عمري لقد نصحَ الزمانُ وأنه لَمِن العجائبِ ناصحٌ لا يَشْفَقُ

وقال أبو العتاهية

نحنُ في دارٍ تخبرنا ببلاءٍ ناطقٍ لخص

قال المسيح عليه السلام: الدنيا مزرعة إبليس وأهلها له حرّاث. وقيل: كل قتيل يُقتص له يوم القيامة إلا قتيل الدنيا يقتص منه.

● مَدْحُ الدنيا بأنّها يُتوصَّلُ بِها إلى الآخرة

ذمّ رجلٌ الدنيا بحضرة أمير المؤمنين فقال: أسكت فإن الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار غناء لمن تزوّد منها ودار عافية لمن فهم عنها، مسجد أنبياء الله ومهبط وحيه، متجرُ أوليائه فاكتسبوا منها الرحمة وادّخروا منها الجنة.

وقيل: الدنيا دار تجارة والويل لمن تزوّد منها الخسارة

● الدُّنيا مَحْبوبةٌ وإنْ كانت مَعيوبةً

قال الشعبي: ما أعلم لنا وللدنيا كقول كثيّر:

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومةً لدينا ولا مقليّةً إن تقلّتِ[2]

وقال المأمون: لو نطقت الدنيا لم تصف نفسها بأجود مما قال أبو نواس:

إذا امتحنَ الدنيا لبيبٌ تكشّفتْ له عن عدوٍّ في ثيابِ صديقِ

---

(1) الخفض: سعة العيش ـ تصرّفها: تقلّبها عليه

(2) مقلية: أي مبغضة ومكروهة ـ قلى: أي أبغض ومقت وكره

وقال:

يذمون دنيا لا يرجون ذَرْهـ ... ولم أر كالدنيا يُذمُّ ويُحلبُ

وقال سابق البربري.

النفسُ تكلَّفُ بالدنيا وقد علمتْ ... أن السلامةَ منها تركُ ما فيها

وقال أبو العتاهية.

كلّنا يكثر المذمة للد ... نيا وكلٌّ بحبّها مفتونُ

وقال الموسوي:

دنيا تضرُّ ولا تبرُّ وذا الورى ... كلٌّ يجاذبُها وكلٌّ عائبُ

● الدّنيا ضارّة لأهلِها

قيل. الدنيا تضرّ محبيها ما كرمت على أحد نفسه إلا هانت عليه الدنيا. وقيل. أوحى الله إلى الدنيا إن أخدمي من جفاك واستخدمي من يهواك

وقال عمر بن عبد العزيز: الدنيا لا تضرّ إلا من أمنها ولا تنفع إلا من حذرها

وقال عمر رضي الله عنه: ما كانت الدنيا هم امرىء إلا لزم قلبه خصال أربع، فقر لا يدرك غناه وهم لا ينقضي مداه وشغل لا ينفد أولاه وأمل لا يدرك منتهاه.

أرى الدنيا لمَنْ هي في يديهِ ... عذاباً كلما كثُرتْ لديْهِ

تهين المكرمين لها بصغرٍ ... وتكرمُ كلَّ من هانت عليْهِ

وقال المتنبي.

وكلٌّ يعشق الدنيا قديماً ... ولكن لا سبيلَ إلى الوِصَالِ

وقال ابن نباتة:

تُعَلُّ مآربُ الأيام منّا ... وبعشقها لقد عَظُم البلاءُ[1]

وقال أبو العيناء:

ملعومةٌ بالهمّ مخطوبةٌ ... سُمّ زعافٌ ذرّ أخلافها[2]

ولم تزلْ تقتُلُ ألافها ... أفٌّ لمن تقتُلُ ألافها

● تبكيتُ النّفسِ في الميلِ إلى الدّنيا مع المَعْرِفةِ بها

قال شاعر:

ومن عجب الدنيا ركُوني وصبوتي ... إليها على سنّي كأني وليدُها

أجاري الليالي ليلةً بعد ليلةٍ ... مُشيحاً كأنّي تربُها وطريدُها[3]

---

(١) المآرب: الحاجات، جمع مأرب. (٢) الإخلاف للوعد: عدم الإيفاء به

(٣) تربها: مماثلها في السن ـ طريدها: مطرودها

وتنقصني في كلّ يومٍ وليلةٍ ونفسي على نقصانها تستزيدُها

وقال:

وإن امرأً يبتاعُ دنيا بدينِهِ لمنقلِبٌ منها بصفقةِ خاسرِ

وقال الموسوي:

نرجو البقاء كأننا لم نختبر عاداتِ هذا العالَم المشهودِ

● الدنيا غيرُ مستغنى عنها

قال العتبي: كنت قاعداً في دهليزي عقب علّة فدخل مجنون يدعى بالغيث فقلت: أنا منه بين لطمة وشتمة فنظر إليّ ساعة، ثم أنشأ يقول

نظرتَ إلى الدنيا بعينٍ مريضةٍ بفكرةِ مغرورٍ وتأميلِ جاهلِ

فقلتَ هي الدارُ التي ليسَ مثلُها ونافستَ فيها في عناءٍ وباطلِ

وقال:

كفلت بنا الدّنيا ولا طمعٌ بعيشٍ بغير ظئرٍ[1]

وذكر لأمير المؤمنين قوم يذمون الدنيا فقال: هم أبناؤها أيُلام الرجل على حب والديه؟

● بنو الدنيا غرضٌ لأنواع البلاء

قيل للحسن: كيف أصبحت؟ فقال: كيف يصبح من هو غرض لثلاثة أسهم، سهم رزية وسهم بلية وسهم منية.

وقال ابن المعتز:

أرى كلّ نفسٍ للمنايا دريّةً وللعيش بمشي كدحُها ودؤبُها[2]

تناضلُها الآفاتُ من كلّ جانبٍ فتخطئها يوماً ويوماً تصيبُها

وقال الربيع لأبي العتاهية كيف أصبحت؟ فقال:

أصبحتُ والله في مضيقِ فهل سبيلٌ إلى طريقِ

أفٍّ لدنيا تلاعبتْ بي تلاعبَ الموجِ بالغريقِ

وقيل: من أخطأه سهم المنية لم يخطئه سهم الرزية.

● إنكارُ ذمّ الدّهر

قال ﷺ: إذا قال الرجل لعن الله الدنيا قالت الدنيا: لعن الله أعصانا لربّه. وقال: لا

---

(١) الظئر: الانثى المرضعة لولد غيرها، أو العاطفة على ولد غيرها.

(٢) دريّة: تقال للفرس الكثير الجري

تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر أي الفاعل هو الله لا الدهر. قال الشيخ أبو القاسم الراغب: ألمّ بهذا المعنى الخوارزمي، فقال:

وكم تُكني وكم نهجو الليالي ... وليس يخصّنا إلا القضاء

وقال الناجم:

نعيبُ زماننا والعيبُ فينا ... ولو نطق الزمانُ بنا هجانا

وقال رجل للأصمعي: فسد الزمان، فقال:

إن الجديدَيْنِ في طولِ اختلافِهما ... لا يفسدان ولكن يفسُدُ النّاسُ[1]

وقال أبو عبد الرحمن الأصم لأبي العتاهية: أي خلق الله أصغر عنده؟ قال: الدنيا لا تساوي عنده جناحَ بعوضة، قال: أصغرُ منها شحنها.

لم يفسدِ الدهر لكنّ أهلَه فسدوا

وقال المتنبي:

ألا لا أري الأحداث حمداً ولا ذمّا ... فما بطشُها جهلاً ولا كفُّها حلْما

● الدَّهرُ يتراذَلُ

قال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه: معروف زماننا منكرُ زمانٍ قد فات ومنكرُه معروفُ زمانٍ لم يأت. وسمع زياد امرأة تقول: اللهم أعزل عنا زياداً، فقال لها: زيدي في دعائك وأبدي لنا خيراً منه فإن الأخير أبداً شر.

وقال بعض العلماء: أخرُ الناس شِرارُهم الذين تقومُ عليهم القيامة

● حَمْدُ ماضي الزَّمانِ وذمُّ حاضرِه

كانت عائشة رضي الله عنها تنشد قول لبيد:

ذهبَ الذينَ يعاش في أكنافِهم ... وبقيت في خلْفٍ كجلْدِ الأجربِ[2]

وتقول: رحم الله لبيداً كيف لو عاش إلى زماننا. وكان ابن الزبير ينشده ويقول: رحم الله عائشة كيف لو عاشت إلى زماننا. وقال بعضهم: كان الناس ورقاً بلا شوك، فصاروا شوكاً بلا ورق.

وقال شاعر:

لم أشكُ من زمنٍ شكوتُ صروفَه ... إلا بكيتُ عليه حين يزولُ

وقال:

تنسى أيادي الزمان فينا وما ... نذكُر من دهرنا سوى نُوَبِه[3]

---

(1) الجديدان: الليل والنهار

(2) جلد الأجرب: كناية عن صعوبة العيش

(3) نوب: جمع نائبة، وهي المصائب.

● المسرة من حيث تخشى المضرة

قال الله تعالى ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾[1] وقيل: خف المضار من خلل المسار، وارج النفع من موضع المنع. فأكثر ما يأتي الأمن من محل الفزع. وقال حكيم: أعناق الأمور تتشابه، ورب محبوب في مكروه ومكروه في محبوب ومغبوط بنعمة هي داؤه ومرحوم من داء فيه شفاؤه.

وقيل: رُبّ سلامة تكون للتلف سبباً ومكروه يكون للنجاة مفتاحاً

وقد يأسف المرء من فوت ما   لعلّ السلامة من فوته[2]

وقال حكيم: لله مصالح في مكاره عبده. وقيل: العاقل لا يجزع لأول نكبة ولا يفرح بأول نعمة فربما أقلع المحبوب عما يضرّ وأسفر المكروه عما يسرّ.

كم مرة حفّت بك المكاره   خار لك الله وأنت كاره[3]

وقال أبو عمرو بن العلاء خرجت هارباً من الحجاج فسمعت أعرابياً ينشد:

ربما تجزع النفوس من الأ   مر لها فرجة كحلّ العقال

سبب البلاء سبب إتيان الرخاء. وقال ﷺ: اشتدي أزمة تنفرجي. وقيل: إذا اشتد الأمر هان.

● من أشرف على الهلاك ففرج الله تعالى عنه

أتي يزيد بخارجي فأراد قتله، فقال:

عسى فرج يأتي به الله إنه   له كل يوم في خليقته أمر

فقال: والله لأضربنّ عنقك أقتموه. فدخل الهيثم بن الأسود فقال أمسكوه قليلاً، فدنا منه فقال: يا أمير المؤمنين هب مجرمَ قوم لوافدهم، فقال: هو لك، فخرج الخارجي وهو يقول: تأبى على الله فأبى إلا أن يكذبه وغلبه فأبى إلا أن يغلبه.

واحضر رجل ليقتل في أيام بارزك فدعا بطعام فأخذ يأكل ويضحك، فقيل: تضحك وأنت مقتول؟ فقال: من الساعة إلى الساعة فرج فسمعت صيحة فقيل: مات بارزك، فحلوا الرجل.

وشدّ بعض العمال رجلاً إلى أسطوانة يريد ضربه، فقال: حلّني من هذه إلى هذه فحله فما حله إلا وقد عزل وشدّ إلى الاسطوانة بعينها

---

(١) القرآن الكريم: النساء/ ١٨.   (٢) الفوت: الانقضاء وذهاب الأوان.
(٣) حفّت: أحاطت به ـ خار الله: فضّل واصطفى.

● مُسْتَضْعَفٌ أعانَهُ اللّهُ فَقَوَاهُ

قال الله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[1] وقال ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾[2].

(٢)
حثُّ الممتحَنِ على مُصابرَة الزمن إلى انقضاء زمن المحن

●

قال النبي ﷺ: للمحن أوقات ولها غايات، واجتهاد العبد في محنته قبل إزالة الله لها زيادة فيها. قال تعالى: ﴿إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[3]. وقيل الممتحن كالمختنق كلما ازداد اضطراباً إزداد اختناقاً. وقيل: إذا أراد الله خلاص غريق عبر البحر على ساريه. وقيل: حامل الدهر إلى أن يحمل وأقبل منه إلى أن يقبل.

● مَنْ زالَ غمُّه فنسي صُنعَ الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[4]، وقال الله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[5] الآية، وقال تعالى ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[6] الآية، شكا يوسف عليه السلام طول الحبس فأوحى الله تعالى إليه أنت حبست نفسك حيث قلت السجن أحب إليّ. وقيل: من سبح في النهر الذي فيه التمساح عرض نفسه للهلكة. وقيل: ما صاحب البلاء الذي طال بلاؤه بأحق بالدعاء من المعافى.

● مَنْ ذكَر إحسانَ الزمانِ إليه بَعْدَ إساءتِهِ

قال شاعر:

أيها الدهر حبذا أنت دهراً	قِفْ حميداً ولا تزول حميدا
كل يوم تزدادُ حُسناً فما تبـ	ـعث يوماً إلا حسبناه عيدا

وقال آخر:

رقَّ الزمانُ لفاقتي	ورثى لطول تحرّقي

---

(١) القرآن الكريم: القصص/ ٦.
(٢) القرآن الكريم: النمل/ ٦٢.
(٣) القرآن الكريم: يوسف/ ٦٧.
(٤) القرآن الكريم: يونس/ ١٢.
(٥) القرآن الكريم: يونس/ ٢٢.
(٦) القرآن الكريم: الأنعام/ ٦٣.

فأنا الذي ما أرتجي | وأجار مما أتقي
فلأغفرنّ له الكبا | ئر من الذنوب السّبّق
حتى جنايته بما | فعل المشيبُ بمفرقي

وقال آخر:

ربما أحسن الزما | نُ وإن كان قد أسا

وقال وهو الصدق:

وآخرُ إحسانِ الليالي إساءةٌ | على أنها قد تُتبعُ العسر باليُسرِ

- **أصحابُ الرّجاءِ والخوفُ**

قال شاعر:

في كلّ شيءٍ أرتجي مخافةٌ | وفي كلّ شيءٍ أشتهيه آفه

- **فضلُ العافيةِ وسلامةُ الدين**

قال النبي ﷺ: من أصبح آمناً في سربه معافًى في بدنه عنده قوتُ يومه فكأنما حيزتْ له الدنيا. وقيل: أراني غنياً ما كنتُ سوياً. وقيل: من أوتي العافية فظنّ أن أحداً أوتي أكثرَ منه فقد قلّل كثيراً وكثّر قليلاً.

وقيل: صلاح الآخرة بخلة واحدة وهي التقوى وصلاح الدنيا بثلاث: العافية والغنى والعمر.

وقيل: العافية الملك الخفيّ الهنيّ. وقيل: الدنيا بحذافيرها الأمنُ والعافية.

لا بأسَ من دنيا على فائتٍ | وعندك الإسلامُ والعافيه
إن فات شيءٌ كنتَ تسعى له | ففيهما من خلفٍ كافيه

- **معرفةُ فضلِ السلامةِ عِندَ فوتِها**

قيل: لا يعرف طعم النعمة إلا من نالته يد العلّة والبلاء.

فبضدها تتميّز الأشياء

وقيل: شيئان لا يعرف فضلهما إلا من فقدهما الغنى والعافية. **وقال أبو تمام**:

وليس يعرفُ طيبَ الوصلِ صاحبُهُ | حتى يُصابَ بنأيٍ أو بهجرانِ

وقلب المتنبي هذا المعنى فقال:

ولولا أيادي الوصل في الجمع بيننا | غفلنا فلم نشعر له بذنوبِ[1]

وقال حكيم: كمْ من نعمةٍ عُرفتْ ببليّةٍ نزلتْ ونعمةٍ جُهلتْ بسلامةٍ لبثتْ

(١) **الأيادي**: النعم؛ أي لولا إحسان الوصل لم تُعرف إساءته في التفريق.

الحدّ العشرون

في الديانات والعبادات

•

(١)
الدَّلالةُ على وحدانيةِ اللهِ تعالى

•

● **من قول الأوائل**

قال أفلاطون لتلميذه أرسطو: ما الدليل على وحدانية الله تعالى؟ **فقال**: ليس شيء من خلقه بأدلّ عليه من شيء.

وقال لبيد:

فوا عجباً كيف يُعصى الإلهُ ... أم كيف يجحده الجاحِدُ
وفي كلّ شيءٍ له آيةٌ ... تدلُّ على أنّه واحدُ
ولله في كلّ تحريكةٍ ... وتسكينةٍ أبداً شاهدُ

وسئل سقراط عن دلالة الصانع، فقال: دلّ الجسم على صانعه فجمع بهذه اللفظة دلالة حدوث العالم، وإن صانعه حكيم. ونظر أعرابي إلى الناس في يوم الجمعة **فقال**: صورة واحدة وخلق مختلف، ما هذا إلا صنع رب العالمين.

● **نفيُ الكيفية عن اللهِ سُبحانَهُ وتعالى**

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1]. وسئل جعفر بن محمد عن كيفية الله تعالى، **فقال**: نور لا ظلمة فيه وعلم لا جهل فيه، وحياة لا موت فيها. وسأل رجل أمير المؤمنين: أين الله تعالى؟ **فقال**: هذا سؤال عن المكان، وكان الله ولا مكان **وقال عثمان لأعرابي**: أين ربك؟ **قال**: بالمرصاد.

وقال العتبي: من جعل الله في مكان فقد حدّه ومَنْ حدّه فقد عدّه ومن عدّه فقد ثنّاه، تعالى الله عن ذلك.

● **حقيقةُ الإيمان**

سئل الجنيد عن الإيمان **فقال**: ما أوجب الأمان. وأتى رجل إلى الحسن **فقال له**:

---

(١) **القرآن الكريم**: البقرة/١٣٧.

أمؤمن أنت؟ فقال له: إن كنت تريد قول الله تعالى: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾[1] فنعم به نتناكح وبه نتناسل وبه حقنا دماءنا، وإن كنت تريد قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾[2]، فما أدري أنا منهم أم لا؟

وسئل الفضيل عن الورع فقال: اجتناب المحارم. وقيل لأبي هريرة: صف لنا التقوى، فقال: إذا دخلت أرضاً فيها شوك كيف تصنع؟ فقال: أتوقى وأتحرز، فقال: فاتق من الدنيا هكذا، فهذه التقوى. أخذه ابن المعتز، فقال:

كـــنْ مِـــثْـــلَ مـــاشٍ فـــوقَ أرْ ضِ الـــشّـــوكِ يـــحـــذرُ مـــا يَـــرى

لا تـــحـــقـــرَنَّ صـــغـــيـــرةً إنّ الـــجـــبـــالَ مـــنَ الـــحـــصـــى

وقيل: ليس الإيمان بالتحلّي ولا التمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال، وأتى النبي ﷺ بجارية فقيل له: هل تجزي هذه عن العتق؟ فقال ﷺ: أين ربُّك؟ فرفعت يدها إلى السماء فقال لها: من أنا؟ قالت: رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة.

- **حقيقةُ التَّقوى**

قيل: هي الامتناع من المحرّمات. وقيل: تعيّب المولى في قلوب أوليائه يحثّهم على الخير ويمنعهم من الشر. وقال الحارث: يعني انتهاء الجوارح عما نهى الله تعالى عنه إلى ما أمر به، قال الله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾[3]. وقال عمرَ بن عبد العزيز: ليست التقوى قيام الليل ولا صيام النهار والتخليط فيما بين ذلك، ولكنّ التقوى ترك ما حرم الله، وأداء ما افترض الله، فمن رزق خيراً بعد ذلك فهو خير.

وسئل رسول الله ﷺ: مَنْ آلك؟ فقال: كلّ تقي ألا أن أولياء الله هم المتقون.

- **حقيقةُ المحبّةِ وعلاماتُها وأحوالُها**

قال يحيى بن معاذ رحمه الله: حقيقة المحبّة لا يزيدها البرّ ولا ينقصها الجفاء. وقال ﷺ: إذا أحب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه وزاجراً من قلبه يأمره وينهاه. وقال إن الله تعالى يقول: ما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ من أداء ما افترضت عليه وإنّ عبدي لا يزال يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته.

وقال جعفر: إذا أحبّك الله سترك وإذا أحببته شهرك.

وقال: إذا أحبك أنامك وإذا أحببته أقامك، فهذا هو الفرق بين المريد والمراد.

---

(١) القرآن الكريم، آل عمران/ ٨٤. (٢) القرآن الكريم، الأنفال/ ٢. (٣) القرآن الكريم، الدخان/ ٥١.

وقال بعضهم: سمعت امرأة تطوف بالبيت وتقول: بحبك لي إلا ما غفرت لي فقلت لها. أما يكفيك أن تقولي بحبي لك؟ قالت: أما سمعت قوله تعالى يحبهم ويحبونه، فقدم محبته لهم.

وسأل فقير الشبلي عن قول الله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[1] فزعق وقال:

إذا أنتَ لم تعطِفكَ إلا شفاعةٌ ... فلا خيرَ في ودٍ يكونُ بشافعِ

● حالُ التصوُّفِ والمتصوِّفةِ والمريدِ والمرادِ

قيل لأبي عبد الله الحضرمي وكان يعرف بالصامت لأنه صمت عشرين سنة وقد سئل عن المتصوِّفة، فقال: رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فقيل: كيف صفتهم؟ قال: لا يرتد إليهم طرفهم وأشغلتهم هواه. قيل: فأين محلهم؟

فقال: في مقعد صدق عند مليك مقتدر. قيل: زدنا. قال: إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً.

وسئل بعضهم عن حدّ الصوفي فقال: الأكول الكسول الكثير الفضول، فحكى ذلك للإمام الشافعي، فقال: الأكول للحلال، الكسول عن المعاصي، الكثير الفضول بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقيل: الصوفي من لبس الصوف على الصفا وذاق طعم الهوى والجفا وترك الدنيا والقفا. وسئل أبو سهل الصعلوكي عن التصوّف فقال: الإعراض عن الاعتراض. وللجنيد: التصوّف ترك التصرف. وقال: أبو عبد الله بن خفيف: هو لائح لاح فاصطلم واستباح، وقال المحاسبي: الرضا بسكون القلب تحت جريان الحكم.

وأقبل أبو العباس وشريح على الجنيد رحمه الله تعالى فقال: يا أبا العباس في كتاب الله تعالى آية تدل على مذهبكم، فبرك جنيد على ركبتيه، وقال: بلى قال الله: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ﴾ الآية وقال أبو العباس بن عطاء في كتاب الله تعالى آية هي صفتهم يعرف معناها من تلاها وهي ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾[2] الآية. وسئل أبو عبيد الله عن المراد والمريد فقال المريد الذي سأل ربه فقال اشرح لي صدري ويسرّ لي أمري، والمراد الذي قيل له ألم نشرح لك صدرك إلى آخرها. وقيل ما حقيقة الفقر؟ قال أن لا ترى مع الله في الدارين غيره.

● حقيقةُ الذِّكرِ

هي أن يكون القلب فارغاً إلا منه. قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾[3] أي بذكر موسى من غير قصد منها إلى ذكره.

---

(١) القرآن الكريم: آل عمران/ ٣١ — (٢) القرآن الكريم: التوبة/ ٢٥

● مدح الله تعالى باللسان

قال الله تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾[1] و ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[2] وقيل: أوجب الله الذكر في الصلاة في كثير من المواضع. وقيل: ما سمع ﷺ أحداً ذكر الله إلا جاذبه الحمد. وقال معاذ: لا يتحسر أهل الجنة على شيء كتحسرهم على وقت مرّ عليهم ولم يذكروا الله تعالى فيه.

● ذمُّ ذكرِ الله تعالى باللِّسانِ وتذكُرُهُ عن النسيان

قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾[4] قيل: السكران المذموم ههنا مَنْ تعرّى أجزاء صلاته عن الحضور.

● التحذير من الكلام فيما يؤثم

سمع حكيم رجلاً يفحش فقال: يا هذا إنك تملي على حافظيك كتاباً إلى ربك. وقال: عمر رضي الله عنه: من علم أن الكلام عمل أمسك. وقال الجنيد: الرحمة تنزل على العارف في ثلاثة مواضع: عند الأكل، فإنه لا يأكل إلا عن جوع وعند الكلام، فإنه لا يتكلم إلا عن ضرورة. وعند السماع فإنه لا يسمع إلا من الله. ورأى إبراهيم بن أدهم رجلاً يحدث بما لا يعنيه فوقف عليه، وقال: أكلاماً ترجو منه الثواب، قال: لا، قال: أفتأمن عليه العقاب، قال لا، قال: فعليك بذكر الله ما تصنع بكلام لا ترجو منه ثواباً ولا تخاف عقاباً

● ذمّ مَنْ خلا قلبُه مِن حَلاوةِ الوحدانيةِ

قيل: أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء أما يستحي من يدّعي حبي وقلبه مملوء من غيري هذا علامة الخدام. قيل: وكان في بني إسرائيل حبر فقال في دعائه: يا ربّ كم أعصيك وأنت لا تعاقبني فأوحى الله تعالى إلى نبيّ ذلك الزمان: قُلْ لعبدي كم أعاقبك ولا تدري، أسلبك حلاوة مناجاتي. وسئل الشبلي عن قول النبي: إذا رأيتم أهل البلاء فسلوا ربكم العافية من هم؟ قال: هم أهل الغفلة عن الله. وقيل: من لم يرتدع بأمر الله وذكر الموت ثم تناطحت الجبال بين يديه لم يرتدع

● قلّة المبالاة بما يفوت من عَرَضِ الدنيا

قال الله تعالى: و ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ﴾[6] الآية. وقيل: حق المؤمن أن لا يتحاشى ما به نجاة نفسه ألا ترى إلى السحرة لما آمنوا وهددهم فرعون، قالوا: اقض ما أنت قاض.

---

(1) القرآن الكريم: الأحزاب/ ٣٥. (3) القرآن الكريم: الماعون/ ٤. (5) القرآن الكريم: التوبة/ ٢٤

(2) القرآن الكريم: الأحزاب/ ٤١ (4) القرآن الكريم: النساء/ ٤٣.

● **الحثُّ على اعتبارِ الله دونَ غيرِهِ**

قيل للشعبي: أوصني فقال: قل الله، ثم ذرهم في خوضهم يلعبون. وقال أبو جعفر الجوهري: سمعت زنجياً يقول: هذا قسمي فتشوه فإن وجدتم فيه غير واحد فانبشوه، وسئل عن قوله تعالى: وإبراهيم الذي وفّى قال: أبدى رضى بإسقاط الوسائط فإنه لما جعل في المنجنيق، قال: حسبي الله ونعم الوكيل، فلما صار في الجوّ أتاه جبريل عليه السلام فقال: ألك حاجة؟ قال: أمّا إليك فلا.

وكتب الجنيد إلى علي بن سهل: سل محمد بن يوسف ما الغالب عليك؟ فقال: والله غالب على أمره. وقيل للشبلي: أنظر في الفقه لعنتي، فقال: خاطر يحرك سرّي أحب إليّ من سبعين قضية قضاها شريح.

● **الأنسُ باللهِ في الخَلْوةِ**

قال عمرو بن عثمان: من كان في خلوته غيّب الله على نفسه كفاه الله هم أمره في علانيته. وقال بنان الحمال: دخلت بادية فاستوحشت فهتف بي هاتف نقضت العهد أليس حبيبك معك. وقيل: من أنس بغير الله في الخلوة فهو أبداً في وحشة.

● **تعظيمُ الله تَعالى**

سمع الشبلي رجلاً يكثر عند ذكر الله من قوله تعالى عزّ وجل، فقال: أحب أن تجنّه عن هذا فإنه أجل من أن يجلّ. وقيل للجنيد: تقول الله ولا تقول لا إله إلا الله، فقال: أخاف أن يدركني الحقّ في قولي لا وهو شأن الجحود. وقال عبد الله بن سهل: إن الله يطلع على القلوب فأيّ قلب رأى فيه غيره سلّط عليه العدو.

● **مراعاةُ الله في الشّدةِ والرَّخاءِ**

دخل حميد الطويل على سليمان بن علي والي البصرة فقال له: عظني، فقال حميد: لئن كنت حين عصيت ربك ظننت أنه يراك فقد اجترأت على الله ولئن كنت ظننت أنه لا يراك فقد كفرت. وقال عمرو بن عثمان: قال عيسى: يا رب من أشرف الناس قال من إذا خلا علم أني ثانيه فأجلّ قدري عن أن يشهدني معاصيه. وقال رجل للحسين بن علي: من أشرف الناس؟ قال: من اتعظ قبل أن يوعظ واستيقظ قبل أن يوقظ، فقال: أشهد أن هذا هو السعيد. وسارّ سليمانُ عمر بن عبد العزيز، فقال: هل يرانا من أحد فقال: نعم عين لا تحتاج إلى تحديق وترميق. ومرّ عمر رضي الله عنه بمملوك يرعى غنماً فقال: أتبيعني منها شاة؟ قال ليست لي، قال: فأين المللك؟ قال: فأين الله؟ فاشتراه عمر وأعتقه، فقال المملوك: اللهم قد رزقتني العتق الأصغر فارزقني العتق الأكبر، أعوذ بك من قلب غائب عنك.

وقال السري السقطي: بتصحيح الضمائر تغتفر الكبائر. وقال النبي ﷺ: تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، أي تعرف إليه في الرخاء بالشكر وذكر الآلاء يعرفك في الشدة بالعصمة.

● الحثُّ على مُراعاةِ ما فيه رِضا الله دونَ المخلوقين

قال النبي ﷺ: من طلب رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن طلب رضا الناس بسخط الله وكله إلى الناس. وقيل: من خاف الله تعالى أجلّ ومن خاف الناس ذلّ، وقال سهل بن عبد الله: أعجز الناس من خشي ما لا يبصره ولا يسمعه والله تعالى يقول: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾[1] وقيل: من خاف الله أخاف الله منه كل شيء. قال الشبلي: ولذلك دليل، خاف يعقوب على يوسف الذئب فمحن بما محن ولو خاف الله تعالى لمنع كيد الأخوة. وقال محمد بن السماك: إن قدرت أن لا تكون لغير الله عبداً ما وجدت للعبودية بدأً فافعل، وقيل: من أوطأ راحة الواثق بالله وآنس المطيع لله

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز: عليك بما يبقى لك عند الله فإنه لا يبقى لك ما عند الناس، فبلغ ذلك الزهري فقال: لقد وعظه بالتوراة والإنجيل والفرقان. وقال أمير المؤمنين: من حاول دفع أمر بمعصية كان ذلك أبعد لما رجا وأقرب لمجيء ما اتقى وقال بندار بن الحسين الصوفي: من أقبل على الدنيا أحرقته نارها وصار رماداً لا ينتفع به، ومن أقبل على الآخرة أحرقته نورها وصار سبيكة ذهب ينتفع بها، ومن أقبل على الله تعالى أحرقه التوحيد وصار جوهرة لا قيمة لها.

● الحثُّ على إصلاحِ الضمير

قال سفيان بن عيينة: لو لم ينزل الله تعالى علينا إلا قوله تعالى ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾[2] لكان قد أعذر. وقال ذو النون: سهراً فسدت النية وقعت البلية. وقال أبو سعيد الخراز: دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيراً عليه خرقتان فقلت في نفسي هذا وأمثاله كلّ على الناس فناداني ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾[3]، فاستغفرت الله تعالى في نفسي، فناداني: و ﴿هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾[4]، وغاب عني وسئل ذو النون عن قوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾[5] فقال: القرية قلب المؤمن والملك المعرفة فإذا سكنت المعرفة القلب طردت ما فيه غير ذكر الله. وقال أبو علي السنوي: رأيت النبي ﷺ فقلت يا رسول الله إنك قلت شيبتني هود فما الذي شيبك منها، قال: قوله تعالى ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾[6]

● العفوُ عن حديثِ النَّفْس

قال النبي ﷺ: عفي عن أمتي الخطأ والنسيان. وقال: إن العبد إذا هم بمعصية لم تكتب عليه وسئل سفيان عن الهم هل يؤخذ به العبد، قال: نعم، إذا كان عزماً قال الله تعالى وهموا بما لم ينالوا.

---

(١) القرآن الكريم، المائدة/ ٣
(٢) القرآن الكريم، البقرة/ ٢٣٥
(٣) القرآن الكريم، البقرة/ ٢٣٥
(٤) القرآن الكريم، التوبة/ ١٠٤
(٥) القرآن الكريم، النمل/ ٣٤
(٦) القرآن الكريم، يونس/ ١٠٤

● الحثُّ على تقوى الله وطيبُ عيشِ فاعلِها

قال الله تعالى. ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ﴾[1] الآية. **وقال النبي ﷺ** من سرّه أن يكون أكرم الناس فليتق الله، ومن سرّه أن يكون أقواهم فليتوكل على الله، ومن سرّه أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يديه **وقال:** من أراد عزاً بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان، وغنى بلا مال فليخرج من ذل معصية الله تعالى إلى عز طاعته. **وقال جعفر بن محمد** اتق الله بعض التقوى وإن قل، واجعل بينك وبين الله ستراً وإن رق.

وقال بزرجمهر: من قوي فليقو على طاعة الله ومن ضعف فليضعف عن معصية الله **وقال ابن المقفع:** ليحرص البلغاء أن يزيدوا على هذه الكلمة حرفاً. **وقال عبد الملك لبنيه في مرضه:** أوصيكم بتقوى الله فإنها أزين حلة وأحصن كهف، **فقال مسلمة:** وأقرب إلى الصواب وأنفع في المآب، فقال عبد الملك هاتان لا الأوليان

● الحثُّ على الإشتغال باللّٰهِ عَنِ النَّفسِ

قيل لداوود الطائي لو سرحت لحيتك، **قال** إن الرجل إذا اشتغل بنفسه نسي الله وإذ اشتغل بالله نسي نفسه وقيل لقي داود محمد بن واسع فقال يا أخي مالي لا أراك؟ **قال:** لأني انقطعت إليه، **فقال** الشأن في أن يقبلك فخشي عليه **وقال الهيثم الهاشمي** ذكر في مجلس أبي عبد الله بن حنيف أن جنيداً **قال:** لا تصحب من تحتاج أن تكتمه ما يعرف الله منك، **فقال** أبو عبد الله أراد جنيد أن يشغل الخلق عن الخلق بالله **وقال الجنيد** من ذكر الله نسي نفسه ومن ذكر نفسه ذكر الخلق، ومن ذكر الخلق فقد هلك **وقال الشبلي**

يـا مـنـيـة المـتـمـنـي   شـغـلـتـنـي بـك عـنـي

عـجـبـت مـنـك ومـنـي

ونحو ذلك قيل لأبي يزيد البسطامي أين أبو يزيد؟ **فقال:** أنا في طلب أبي يزيد منذ عشرين سنة. **وقال رجل لأبي الربيع:** أوصني، **فقال:** إن الله لا يشغله عنك شيء فإن استطعت أن لا يشغلك عنه شيء فافعل.

● الحثُّ على الاهتمامِ بأمرِ الآخرةِ دُونَ الدُّنيا

قال ابن عباس: ما انتفعت بشيء بعده ﷺ كانتفاعي بما كتب إلى أمير المؤمنين: أما بعد فإن المرء يسرّه درك ما لم يكن ليموته ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، فليكن سرورك بما نلت من آخرتك وأسفك على ما فاتك منها، وليكن همّك فيما بعد الموت والسلام.

وقيل. من كان بالآخرة اشتغاله حسنت في الدنيا حاله **وقال زيد بن علي بن**

---

(١) القرآن الكريم: يوسف/٩٠

الحسين رضي الله تعالى عنهم. أطلب ما يعنيك ودع ما لا يعنيك فغي تركه درك ما يعنيك فإنما تقدم على ما قدمت ولا تقدم على ما أخرت، فآثر ما تلقاه غداً على ما لا تلقاه أبداً. وقيل الدنيا والآخرة في قلب المؤمن ككفتي الميزان إذا رجحت هذه خفت هذه. وقال يحيى بن معاذ: الناس ثلاثة، رجل يشغله معاده عن معاشه وتلك درجة العابدين ورجل يشغله معاشه عن معاده وتلك درجة الهالكين ومشتغل بهما وهي درجة المخاطرين. وقيل لعبد الله بن إبراهيم من أسخى الناس، فقال من بذل دنياه في صلاح دينه. وقال ﷺ: الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني. وقال رجل: من جعل همه في الله هماً واحداً جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً وجعل الغنى في قلبه وأتته الدنيا راغمة ومن شتت عليه همه شتت الله عليه ضيعته وجعل الفقر بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له ثم لا يبالي في أي واد هلك.

● الحثُّ على مُراعاةِ الدينِ والدُّنيا ومَدْحُ فاعلِ ذلك

قال النبي ﷺ: ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته ولا من ترك آخرته لدنياه، ولكن من أخذ منهما جميعاً. وكان محمد بن علي يقول اللهم أعني على الدنيا بالغنى وعلى الآخرة بالتقوى. وقال بعض العلماء لست آمركم بترك الدنيا فترك الدنيا فضيلة وترك الذنب فريضة وأنت إلى إقامة الفرائض أحوج منك إلى اكتساب الفضائل. وقيل لعمر بن عبد العزيز لم لا تنام، قال: إن نمت بالليل أضعت نفسي وإن نمت بالنهار أضعت الرعية. وقالت امرأة:

ولله مني جانبٌ لا أضيعُه — وللهو مني والخلاعةِ جانبُ

وقال ابن أبي حفصة لعمارة أنشدت المأمون قولي

أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلاً — بالدين والناس بالدنيا مشاغيل

فلم يهتم لذلك، فقال عمارة ما زدت على أن صيرته عجوزاً معتكفة في محرابها، فمن لأمور المسلمين هلاّ قلت كجرير:

فلا هو في الدنيا مضيِّعٌ نصيبَه — ولا عرضُ الدنيا عن الدين شاغلُه

● احتمالُ المضرةِ في العاجلِ رجاءَ المسرّةِ في الآجِلِ

قال ﷺ: لن تنالوا ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون ولا تبلغون ما تهوون إلا بترك ما تشتهون. وقال عليه الصلاة والسلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات، احتمل مضرّة يومك لمسرّة غدك، العاقل يحتمل الصبر في دار الفناء إيقاناً بالنعم في دار البقاء. ولما تاب عتبة الغلام كان لا يتهنأ بطعام ولا شراب، فقالت له أمه: أرفق بنفسك، فقال: الرفق أطلب لها.

● الحَثُّ على حِفْظِ النَّفسِ من النار

نظر أبو هريرة إلى رجل وضيء فقال: إني أرى لك قدمين لطيفتين فابتغ لهما موقفاً صالحاً يوم القيامة. وقال رجل لحكيم أوصني، فقال: إن استطعت أن لا تسيء إلى من تحب فافعل، فقال: وهل يسيء المرء إلى من يحب، قال: نعم. نفسك إن عصيت الله وقيل: المغبون من رأى الدنيا بحذافيرها ثمنه ثمناً. وقيل: كل قتيل يودي إلا قتيل نفسه.

● النَّهْيُ عن التَّهَافُتِ في العِبادَةِ

قال ﷺ: إن الدين متين فأوغلوا فيه برفق، فإن المنبتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: استق نفسك ولا تكرهها فإنك إن أكرهت القلب على شيء عمي. وقال ﷺ: إن الله بعثني بالحنيفية السمحة ولم يبعثني بالرهبانية، فمن رغب عن سنتي فليس مني. وقال المرعشي: من شغله الفرض عن الفضل فهو معذور، ومن شغله الفضل عن الفرض فمغرور.

● التَّوبة

قيل: التوبة النصوح ترك ما تكره سنة في الظاهر والباطن. وقال أمير المؤمنين: التوبة على أربعة دعائم، استغفار باللسان رية بالقلب وترك بالجوارح وإضمار أن لا يعود وسئل السوسي عنها، فقال: الرجوع عن كل ما ذمه العلم إلى ما مدحه. وقيل: هي الاعتراف والندم والإقلاع. وقال عليه الصلاة والسلام: من تاب قبل موته بفواق ناقة حرم الله وجهه على النار.

● الحَثُّ على المُبادَرةِ إليها

قيل في قوله تعالى: بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئة، هو من مات على المعصية من غير توبة، وقال مجاهد: التوقف حسن إلا في التوبة. وقيل لرجل: أوص فقال: أحذركم سوف. قال شاعر:

والمرء مرتهن بسوف وليتني ... وهلاكه في سوفه والليت

وقال ﷺ: إياكم ولو، فإن لو من أقوال المنافقين. وقيل: من وجد في قلبه التحويف فلا يطلبن لنفسه التسويف. وقيل في قوله تعالى: ﴿بِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾[1] أي يقول غداً أتوب وقال أبو حازم: نحن لا نريد أن نموت حتى نتوب ولا نتوب حتى نموت. قال شاعر:

أسوِّفُ توبتي خمسين عاماً ... وظنّي أن مثلي لا يتوبُ

وقال:

متى يفلحُ من قد عا ... شَ خمسين وما أفلح

(1) القرآن الكريم: القيامة/ ٥.

وقال عمر بن عبيد الله لرجل. عظني، فقال: قد قطعت عامة سفرك فإن استطعت أن لا تضلّ في آخره فافعل. وقال المؤلف وأنا أقول: قد ضللت عامة سفري فإن لم يهدني الله فويل لي. ختم الله لي بخير ولمن كتب، وقرأ. وقال مصعب بن الزبير. إدفع سطوة الله بسرعة الرجوع وحسن الرجوع ويوشك أن الدنيا تسبق الوصايا.

● الحثُّ على الاستغفارِ واختلاط سيّءِ الأفعال بالحسَنِ

قال ﷺ: ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم خمسين مرة. وقال بعضهم: حق على المؤمن أن يقتدي بأبويه في قولهما ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾[1] الآية، وبما قال نوح عليه السلام: وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين. وقوله تعالى ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا﴾[2] الآية. وقال أمير المؤمنين. العجب لمن يقنط ومعه النجاة الإستغفار. وقيل: لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الإستغفار. وقال عمر رضي الله عنه: لم أر أشد طلباً وأسرع دركاً من حسنة حديثة لذنب قديم. وقيل لرجل ألا تأتي إلى الحسن لتسمع منه؟ فقال: أنا مشغول بذنب أستغفر منه وبنعمة أشكر عليها فمتى أتفرغ لإتيانه. وسئل بعض المجان كيف أنت في دينك؟ قال. أخرقه بالمعاصي وأرقعه بالإستغفار. وقال بزرجمهر. أيها السلاطين لا بدّ لكم من المعاصي الكبار فافعلوا بإزائها طاعات عظيمة، أيها الأوساط يمكنكم الطاعات العظيمة كالمصالح التي لا يقدر عليها إلا السلطان فلا تركبوا المعاصي الكبيرة.

● النَّهيُ عن الإستغفارِ ما لَمْ يصاحِبهُ الفِعْلُ

سمع معروف رجلاً يقول. أستغفر الله وأتوب إليه، فأخذ بذراعيه وقال. لعلك لا تفعل ومن وعد فقد أوجب. وقال أبو عبد الرحمن سمعني راهب أقول أستغفر الله فقال يا فتى سرعة اللسان بالإستغفار توبة الكذابين ويدل على ما قاله ﷺ. المستغفر باللسان المصر على الذنب كالمستهزىء بربه. وقيل. الإستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين، وقال الربيع بن خيثم لا يقولن أحدكم أستغفر الله وأتوب إليه فيكون ذنباً جديداً إذا لم يفعل، ولكن ليقل. اللهم تب عليّ واغفر لي، فقيل لم. فقال. انتهِ عما ينهاك عنه فإنه يغفر لك.

● تحذير من دَنا أجَلُه وساء عَملُه

اجتمع فيلسوف الروم وحكيم الهند وبزرجمهر عند كسرى فتذاكروا في شر الأشياء. فقال الرومي: الهم يقترن به العدم وقال الهندي. سقم البدن ودوام الحزن. وقال بزرجمهر. دنو أجل وسوء عمل، فحكم له. ودعا بعض الصالحين، فقال. اللهم اجعل خير عملي ما ولي أجلي وقال آخر. أعوذ بالله من وقوع المنية ولما أبلغ الأمنية، وقال ابن أبي البغل.

أستغفرُ الله من عمرٍ أضعتُ به ... حظّي من الذكرِ في قالٍ وفي قيلِ

---

(١) القرآن الكريم. الأعراف/ ٢٣

(٢) القرآن الكريم. الأعراف/ ١٩٠.

أستغفرُ اللهَ ربَّ العرشِ من عمرٍ أضعتهُ في خساراتٍ وتضليلِ

● **الحثّ على تجنُّب فعلٍ مذموم**

قال حكيم: الأيام صحائف آجالكم فأودعوها أجمل أعمالكم. **وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما** عجبت لمن يحتمي عن الطعام لمضرته ولا يحتمي عن الذنب لمعرته[1] فأخذ ذلك **محمود الوراق حيث يقول:**

عمرَك قد أفنيتَه تحتمي فيه من الباردِ والحارِ
وكان أولى بكَ أن تحتمي من المعاصي خشيةَ النّارِ

وقال بعضهم. حضرت مجلس الشبلي فقام إليه رجل من أصحابه، **فقال له:** أوصني، **فقال له:** لقد أوصاك الشاعر بقوله

قالوا تروّقْ ديارَ الحيّ إنَّ لهُم عيناً عليكَ إذا ما نِمتَ لم تنمِ

وقال يحيى بن معاذ اجتناب السيئات أشد من اكتساب الحسنات

● **النّهيُ عن تضييع الوقتِ**

قال النبي ﷺ إغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك **وقال سفيان** تذكر الماضي ورجاء الباقي ذهباً بركة ساعاتك. **وقال عمر بن ذر** الأيام إذا فكرت فيها ثلاثة، يوم مضى لا ترجوه ويوم أنت فيه ينبغي أن تغتنمه ويوم في يدك أمله، فلا تغتر بالأمل فتحل بالعمل فإنما اليوم والأمس كأخوين نزل بك أحدهما فأسأت نزله وقراه فرحل عنك وهو ذام لك، ثم نزل بك أخوه **فقال.** إن أسأت إليّ كما أسأت إلى أخي فما أحلقك أن تهدم شهادتنا.

وسمع الحسن رجلاً **يقول** اللهم اجعلنا ممن على حذر، **فقال:** إنه فعل ذلك، أليس قد ستر عنك أجلك فلست من حياة ساعة على يقين.

● **عَتْبُ مَنْ يتوبُ ثم يعود**

قال شاعر.

كمْ قلتَ لستَ بعائدٍ في توبَة ونذرتَ فيها ثم صرتَ تعودُ

قال مالك بن دينار: دخلت على جار لي وهو مريض فقلت له عاهد الله أن تتوب فلعله أن يشفيك فقال: هيهات قد عاهدته فسمعت هاتفاً من جانب البيت قد عاهدناك مراراً فوجدناك كذوباً.

---

(١) معرته. معرّة الذنب

● حث الراجع عن التوبة إلى العودة

جاء حبيب بن الحارث إلى النبي ﷺ فقال: إني مقارف للذنوب فقال: تب فقال: إني أتوب ثم أعود فقال: كلما أذنبت ذنباً فتب فعفو الله أكبر من ذنوبك. وقال ﷺ: إن الرجل ليذنب الذنب فيدخل به الجنة. فقيل: كيف يا رسول الله؟ قال: يكون نصب عينه خائفاً منه حتى يدخل الجنة.

● قِلَّةُ مَنْ لا ذَنْبَ له من المُكلَّفين

قال الله تعالى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[1] وذكر يونس عليه السلام فقال: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾[2] الآية، ونص قصة داوود عليه السلام وقد عوتب محمد عليه الصلاة والسلام بعبس وتولى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ و ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾[3] الآية، وقال في جميع الناس، ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة.

● جوازُ إظهارِ الكفر تقيةً

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[4] وكان عمار أظهر الرضا بفعل الكفار مع انطواء قلبه على الإخلاص، وقال ﷺ: إن عادوا فعد وأتى مسيلمة برجلين فقال لأحدهما: تعلم أني رسول الله. قال: بل محمد رسول الله فقتله. وقال للآخر فقال: أنت ومحمد رسول الله فخلى سبيله فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: أما الأول فمضى على عزمه ويقينه، وأما الآخر فأخذ برخصة الله فلا تبعة عليه، وكالمضاد له

مــن راقــب الــنــاس فــي مــذاهــبــه ... أصــمــتــه ربــه وأغــمــاه

● ورجاء رحمة الله وغفرانه ومدح ذلك

قال النبي ﷺ: ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[5] وقال: إن الله تعالى يقول: أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء. وقال ابن عباس لابن عمر رضي الله عنهما: أي آية أرجي؟ فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾[6] الآية، فقال: إن هذه لمرجوة وأرجى منها قوله تعالى ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾[7] وقيل: أعظم من الذنب اليأس من الرحمة وأشد منه المماطلة بالتوبة. وقال أعرابي لابن عباس من يحاسب الخلق يوم القيامة؟ قال: يحاسبهم الله تعالى قال: نجونا ورب الكعبة فقال: كيف؟ قال إن الكريم إذا قدر عفر. ورؤي الشبلي

---

(1) القرآن الكريم: طه/ ١١٥.
(2) القرآن الكريم: الأنبياء/ ٨٧.
(3) القرآن الكريم: الأنفال/ ٦٨.
(4) القرآن الكريم: النحل/ ١٠٦.
(5) القرآن الكريم: الزمر/ ٥٣.
(6) القرآن الكريم: النساء/ ٤٨.
(7) القرآن الكريم: الرعد/ ٦.

في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فأنشد:

حاسبونا فدققوا ... ثم منوا فأعتقوا

وسمع أعرابي ابن عباس يقرأ قول الله تعالى ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾[1] قال: والله ما أنقذنا منها وهو يريد أن يلقينا فيها، فقال ابن عباس: خذوه من غير فقيه. ولقي يحيى عيسى عليهما السلام فعبس هذا وتبسم هذا، فقال: هذا لهذا مالك عابس كأنك قانط، وقال: هذا لهذا مالك ضاحك كأنك آمن، فأوحى الله تعالى إليهما: أن أحبكما إليّ أحسنكما ظناً بي. وقيل لرجل: كم تكون تاركاً للتوبة؟ فقال: رأيت الله تعالى وصف قوماً فقال: وآخرون اعترفوا بذنوبهم إليّ عسى الله أن يتوب عليهم، وعسى من الله واجب. فقيل له: قد قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[2] الآية وقال عمر بن عبد العزيز لعمر بن علقمة: أخاف عليك النار، فقال: لكني لا أخالها قال لِمَ، قال لأن الله تعالى يقول: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾[3]، وأنا صدقت وأقبلت.

وقال أبو نواس:

يا كثير الذنب عفو ... الله من ذنبك أكبر

وقال بعضهم: يا رب حجتي حاجتي ووسيلتي فاقتي.

● الحثُّ على الجمعِ بينَ الرَّجاءِ والخوف:

قال الله تعالى في صفة المؤمنين: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾[4] وقال أمير المؤمنين: خف الله خوفاً ترى أنك لو أتيت بحسنات أهل الأرض لم تقبل منك، وارجه رجاء ترى أنك لو أتيت بسيئات أهل الأرض غفرها لك. وقيل: أرج إذا خفت وخف إذا رجوت؛ وكن كالمرأة الحامل ليس رجاؤها أن تلد ولداً ذكراً بأكثر من خوفها أن تلد أنثى. وقال بعض الصالحين: لو أنزل الله كتاباً أني معذب رجلاً واحداً لخفت أن أكون، أو أنه راحم رجلاً واحداً رجوت أن أكونه ولو أنزل الله أنه معذبي ما ازددت إلا اجتهاداً لئلا أعود على نفسي بلائمة. وقال رجل لابنه: خف الله خوفاً لا يمنعك من الرجا، وارجه رجاء لا يمنعك من الخوف، فالمؤمن له قلبان يرجوه أحدهما ويخافه الآخر، وقال:

أنا بين الرجاء والخوف منه ... واقفٌ بين وَعْدِهِ والوَعيدِ

وقال أبو نواس:

لا تحظرِ العفوَ أنْ كنتَ امرءاً حرِجاً ... فإن حظركهُ بالدّين إزراءُ

---

(1) القرآن الكريم: آل عمران/١٠٣.
(2) القرآن الكريم: الزلزلة/٧.
(3) القرآن الكريم: الليل/١٦.
(4) القرآن الكريم: الإسراء/٥٧.

- **ذمُّ مَنْ يرْجو الغُفرَانَ مِنْ غيرِ تركِ ذَنْبٍ**

قال سعيد بن جبير: من الاغترار بالله المقام على الذنب ورجاء الغفران. وقال سليمان بن علي لعمرو بن عبيد: أخبرني عن هذا المال، فقال: إن أخذ من حله فوضع في حقه سلمت فقال: أنا أحسن ظناً بالله، قال: ما كان أحد أحسن ظناً بالله من رسول الله ﷺ فما أخذ درهماً إلا من حله ولا وضعه إلا في حقه.

وقيل في قوله تعالى بل يريد كل امرىء منه أن يؤتى صحفاً منشرة. قال: يراه من الله من غير عمل يقدمه. ولقي زاهد أخاً له فقال: أتاك اليقين أنك وارد جهنم، قال: نعم، قال: فهل أتاك اليقين بالصدر؟ قال: لا، قال: فما الانتظار والتناعس. وقال الثوري: قطع أطماع العباد آيتان ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ﴾[1] وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾[2] الآية، وقال محمود الوراق:

يا ناظراً يرنو بعيني راقد	ومُشاهِداً للأمر غير مشاهد
تصلُ الذنوب إلى الذنوب وترتجي	درك الجنان بها وفوز العابد
ونسيت أن الله أخرج آدماً	منها إلى الدنيا بذنب واحد

- **تكذيبُ مَنْ ادعى حُسن ظنه بربِهِ وعِلَّةُ مُنَاقِ للملك**

قال الحسن: إن قوماً ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم حسنة يقول: إني أحسن الظن بربي وكذب لو أحسن الظن بربه لأحسن العمل ثم تلا ﴿وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[3] وقال جعفر: رأيت ميسرة العابد وقد بدت أضلاعه من الاجتهاد فقلت له: إن رحمة الله قريب قال نعم من المحسنين.

- **ذمُّ متمنٍّ غيرِ عاملٍ**

قيل: إذا أبغض الله عبداً أعطاه ثلاثاً يحبب إليه الصالحين ويمنعه القبول منهم ويحبب إليه الأعمال ويمنعه الإخلاص فيها ويجري الحكمة على لسانه ويمنعه التصديق بها. وكتب أبو عمير إلى صديق له: أما بعد فإنك تتمنى على الله بسوء فعالك إنما تضرب في حديد بارد.

- **التحذير من الاغترار بالله تعالى في تأخير العقوبة**

قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ﴾[4] وقال ابن السماك: إن الله أمهلهم حتى كأنما أهملهم ولقد ستر حتى كأنه غفر، وخطب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

---

(١) القرآن الكريم: الزمر/ ٤٤

(٢) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٥٥

(٣) القرآن الكريم: فصلت/ ٢٣

(٤) القرآن الكريم: آل عمران/ ١٧٨.

فقال: لا يغرّنكم الإملاء فإن الإملاء من الاستدراج، والله تعالى يقول: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[1] وكتب أيضاً إلى عامل له لا تغتر بتأخير العقوبة من الله فإنّما يعجل خائف الفوت.

● عَتْبُ طالبِ الرّخَصِ

قال الأصمعي: من التمس الرخص من الإخوان عند المشورة ومن الأطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة تاه وازداد سقماً واحتمل وزراً. **وقيل**: إذا رأيت الزاهد يتروح إلى طلب الرخص فاعلم أنه قد بدا له في الزهد.

● تفضيلُ المُذنبِ الخائفِ على الورعِ المُعجب

الورع الوقوف مع الشرع. **وقال بعضهم**: الورع ترك ما حاك في صدرك. **وقال بعض الصالحين**: ضحك العبد وهو مشفق من ذنبه خير من بكائه وهو مدل بربه.

وقال أبو سليمان الداراني: ما عمل داوود عملاً خيراً من خطيئته ما زال خائفاً منها حتى لحق بربه، **وقال مطرف**: لأن أبيت نائماً وأصبح نادماً خير من أن أبيت قائماً وأصبح معجباً. **وقال القاسم بن محمد الصوفي**: إذا كان الرجل لجوجاً معجباً برأيه ممارياً فقد استكمل الخسارة.

وقال رجل ليحيى بن معاذ: متى أتهم قلبي؟ قال: إذا فارقه الخوف. **وقال الخلدي**: سألت الجنيد عن الظرف، فقال: أن تعمل لله ولا ترى أنك عملت.

وقالت عاجلة في قوله تعالى: ﴿يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[2] يخاف أن لا يقبل منهم. **وقال الحسين الحلاج**: من نظر إلى العمل حجب عمن عمل له ومن نظر إلى من عمل له حجب عن رؤية العمل.

● التَوَقِّي من الصَّغائِرِ

قال علي كرم الله تعالى وجهه: إياكم ومحقرات الذنوب فإن الصغير منها يدعو إلى الكبير. **وقيل**: من العود إلى العود ثقلت ظهور الحطابين ومن الهفوة إلى الهفوة كثرت ذنوب الخطائين. **وقال بعض الأسديين**:

ألا من لنفسٍ بالذنوب رهينةٍ — قليلٌ على مسِّ العذاب اصطبارُها
كفى سقماً بالمرء يا أم عاصمٍ — ركوب المعاصي عامداً واحتقارُها

وسقط من يد بعض الصالحين دينار فوجده في الحال، فلم يأخذه، **وقال**: لعله غير ديناري. وكان عمر أتي بالعشاء فأطفأ السراج، **وقال**: لا آكل على سراج العامة.

---

(١) القرآن الكريم: الأعراف/ ١٨٢، ١٨٣.

(٢) القرآن الكريم: المؤمنون/ ٦٠.

● المُتَبيِّنُ فيهِ مَخافةُ الله تعالى

قيل ما رؤي النبي ﷺ صاحكاً بعد نزول قوله تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾[1] وقال رجل ليونس بن عبيد: صف لي الحسن. قال: إذا أقبل فكأنما أقبل من دفن حبيبه، وإذا جلس فكأنه أمر بضرب عنقه وإذا ذكرت النار فكأنما خلقت له.

ووصف ابن عباس أبا بكر رضي الله عنهم فقال: كان كالطائر الحذر له في كل وجه جسد، وكان يعمل لكل يوم بما فيه وكان محمد بن المنكدر لا يرى إلا كئيباً، فقيل له في ذلك، فقال: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾[2] وقال الفضيل من علامة الشقاء جمود العين وقساوة القلب وطول الأمل. وكان يقول: حقيق على من كان الموت موعده والقيامة مورده والوقوف والحساب مشهده أن يطول حزنه وبكاؤه. قال مالك بن دينار في التوراة إن الرجل إذا استكمل النفاق ملك عينيه.

● المُستكبِرُ ذَنْبَ نَفْسِه والمُتَلَمِّمُ لِفِعْلِه

قال بعض الصالحين: كم لي من ذنب لو عرف به الصديق لمقتني ولو عرف به العدو لهتكني وقال مطرف: ما نزل بلاء فاستعظمته إلا ذكرت ذنوبي فاستصغره. قيل لحكيم كيف أصبحت؟ قال: آكل رزق ربي مطيعاً عدوه. وقيل لحسان بن سنان كيف أصبحت؟ قال أصبحت قريباً أجلي بعيداً أملي سيئاً عملي. وقال أبو العتاهية:

يظُنُّ النَّاسُ بي خيراً وإني   لَشَرُّ النَّاسِ إنْ لم تَعْفُ عنّي

وقال أبو محمد الخازن:

معصيةُ الله وفيسي داره   معصيةٌ جَهْلاً وسوء اختيارِ
إن لم يعشني عفوُه عاجلاً   فإنني واللهِ في النار جارِ

● المُمتنِعُ من تناول المشتهيات والمباحات

عاد مالك بن دينار جاراً له فقال له: أتشتهي شيئاً فقال: نفسي تنازعني منذ أربعين سنة رغيفاً أبيض ولبناً في زجاج فأتاه بهما فجعل ينظر إليهما ويقول: دافعت شهوتي عمري حتى لم يبق إلا مثل ظمأ الحمار، ومات بشهوته.

● الحثُّ على عِبادةِ الله تعالى لا طلباً لثوابِه ولا مَخافةً مِنْ عِقابِه

قال الشباجي. لو لم يكن لله ثواب يرجى ولا عقاب يخشى لكان أهلاً أن لا يعصى ويذكر فلا ينسى بلا رغبة في ثواب ولا رهبة من عقاب لكن لحبه وهو أعلى الدرجات، أما

---

(١) القرآن الكريم. النجم/٦٠.   (٢) القرآن الكريم: الزمر/٤٧.

تسمع قول موسى عليه السلام: وعجلت إليك رب لترضى. وإن من عمل لحبه أشرف ممن عمل لخوفه.

وقال حكيم: إني لأستحي من ربي أن أعبده رجاء الجنة فأكون كالأجير أو خوف النار فأكون كعبد السوء إن خاف عمل وإن لم يخف لم يعمل، لكن يستخرج مني حب ربّي ما لا يستخرجه غيره.

قال أبو يزيد البسطامي: الظالم الذي يعبده على العادة والمقتصد للرغبة والرهبة والسابق للمحبة. وقال الشبلي: من عبده رجاء الجنة فهو عبدها أو خوف النار فهو عبدها، لأن من خاف شيئاً أو رجاه فهو معبوده. وقال بعضهم: من عبده الله بعوض فهو لئيم. وقال علي بن الموفق: اللهم إن كنت تعلم أني أعبدك خوفاً من نارك فاحرقني أو طمعاً في جنتك فحرمنيها، وإن كنت تعلم أني أعبدك حباً لك وشوقاً إلى لقائك فأبحه.

وقال بعض الصوفية: حقيقة المحبة أن لا يزيدها البر ولا ينقصها الجفاء. وقيل لرابعة مالك لا تسألين الله الجنة في دعائك فقالت: الجار ثم الدار.

وقال سهل بن عبد الله وتلا ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾[1] لو علموا عمن شغلوا ما اشتغلوا به. وقيل: في قوله ﷺ أكثر أهل الجنة البله قال: لأنهم في شغل فاكهون شغلهم النعيم عن المنعم ومن رضي بالجنة عن الله فهو أبله. وقال البوشنجي: الدنيا سجن المؤمن والجنة سجن العارف.

● فضيلةُ من كان في كَلاءة الله تعالى وحفظه

قال ممشاد الدينوري: من كان مع الله فقد هلك وإنما نجا من كان الله معه. وقال رجل للشبلي: متى يقرب العبد من ربه، فزعق ثم أنشد:

مَنْ لَمْ يكنْ للوصالِ أهلاً ... فكلُّ إحسانِه ذنوبُ

وقيل: أجلّ ما ينزل من السماء التوفيق وأجلّ ما يصعد من الأرض الإخلاص.

● في ذمِّ عالمٍ غيرِ عاملٍ

قال أبو الدرداء: إن أخوفَ ما أخاف إذا وقفت على الحساب أن يقال لي قد علمت فما عملت فيما علمت. وقيل: ويل للذي لا يعلم مرة وويل للذي يعلم سبع مرات. وقال محمد بن واسع: إنّ قوماً يشرفون على قوم يوم القيامة فيقولون قد نجونا بما أخذنا منك، فما لكم في العذاب فيقولون كنا نعلم ولا نعمل.

● قِلّةُ اليقينِ في الناسِ

قال الشعبي: لم يقسم الله بين الناس أقل من اليقين، وقال بعض أصحابنا: من الدلالة

---

(1) القرآن الكريم: يس/ ٥٥.

على قلة اليقين إنك تخيّر يوماً عن خير الدنيا بنسيئة طمعاً في الربح طفيف ربح مع ما فيه من الخطر وتأبى أن تقرض الله درهماً بثمانمائة مع زعمك وقولك إنّ مستقرضه مليّ وفيّ.

● ترغيبُ اللّهِ تعالى عبادَهُ في جنّتِهِ

قال الحسن: إن الله دعا كل قوم إلى الجنة، فقال للعرب بشوقهم ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً لما كان أحب الأشياء إليهم ذلك، وقال للفرس يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيه حرير لما كان أحب الأشياء إليهم ذلك. وقيل: إنما ذكر الله تعالى درجة الخائفين ولم يذكر درجة المحبين، لأن القلوب لا تحتمل ذلك، كما أمسك عن ثواب النبيين وأظهر ثواب المتقين، فقال في النبيين ﴿واذكر عبدنا داوود..﴾[1] الآية وأظهر ثواب المتقين فقال وإن للمتقين لحسن مآب. ومثال ذلك إن الشيء إذا عظم ثوابه لم يذكر مفصلاً كصوم رمضان والزكاة. وقال: فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقال: ولدينا مزيد. وقال النبي ﷺ: فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وذكر الثواب في إماطة الأذى عن الطريق وعيادة المرضى ونحو ذلك.

● فضيلةُ العبادة مع العِلْم

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[2] وقال النبي ﷺ: فقيه واحد أشد على إبليس من ألف عابد. وقال الحسن: أدركت قوماً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون من عمل بغير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه.

● ذمُّ الوَرَعِ مَعَ الجَهْلِ

روي عن أمير المؤمنين أنه قال: قصم ظهري رجلان، جاهل متنسك وعالم متهتك وروي عن الحسن: قصم ظهري عالم لا زهد معه وزاهد لا علم معه، هذا يدعو إلى جهله بزهده وهذا ينفر عن علمه بحرصه. وقال النبي ﷺ: يكون في آخر الزمان قراء فسقة وعباد جهلة، وركعة من عالم أفضل من سبعين ركعة من عابد لا علم معه وكان لأبي سعيد الخراز ابن فمات فرآه في المنام، فقال: يا ولدي أوصني، فقال: يا أبت لا تعامل الله على الحمق، فقيل لإبراهيم، فقال: نعم لأنه لم يلبس القميص ثلاثين سنة. وقيل لأنوشروان: أي الناس أولاهم بالسعادة؟ فقال: أقلهم ذنوباً، قيل: ومن أقلهم ذنوباً؟ قال: أكملهم عقلاً.

● ذمُّ متحامقٍ رقيعٍ في وَرَعِهِ

حلق صوفيّ لحيته وقال: إنها نبتت على المعصية. ولطّخ رقيع شاربه بالعذرة فقيل له في ذلك، فقال: أردت التواضع لله. وأذّن مؤذن فقال: أشهد أن أبا القاسم رسول الله، وقال النبي: عندنا أعظم من أن نسميه ولا نكنيه. ورأى ابن أبي ليلى رجلاً قد أخذ رمانة

(١) القرآن الكريم: ص/١٧.
(٢) القرآن الكريم. فاطر/٢٨.

من حمال وأعطاها مريضاً، وقال: إن سيئة بسيئة وحسنة بعشرة فقد ربحت تسعة.

وكان رجل يحج عن حمزة بن عبد المطلب ويقول: قتل قبل فرض الحج. وآخر يضحي عن أبي بكر وعمر ويقول: أخطأ السنة في الأضحية. وكان أبو شعيب العلائي لا يصلي ولا يصوم ويقول من أنا حتى أصلي وأصوم، إنما يعمل ذلك الكبراء الذين أريد منهم التواضع.

وفضل اللحمي قبر إحدى عينيه، وقال: النظر بهما إسراف. وقال بعضهم: صحبني رجل في طريق يدعي أنه بلغ في التصوف منزلة الرضا، فجاءني يوماً فقال إن فلاناً دب عليّ البارحة فما قلت شيئاً حتى فرغ وكرهت أن أخرج من منزلة الرضا فقلت هذا رضا مأبون أحمق.

وقال بعضهم: مررت برجل في يده سبحة أطول من باع وهو يقف في كل حبة مقدار عشر آيات فقلت له: ما تقول؟ قال: أقول أبري في حر أم المعتزلة سبع مرات، وأبري في إست القدرية عشر مرات، فقلت: لِمَ زدت هؤلاء، قال: لأنهم خرجوا على أمير المؤمنين الحجاج بن مروان.

● ذمُّ مبالغ في نُسكِهِ إلى حدِّ الرقاعة

سأل الشعبي رجلاً بِمَ أفطر قال: أفطرت بزيتونة أو نصف زيتونة أو ربع زيتونة أو ما شاء الله من زيتونة ومر آخر بحمال معه شوك فشكت رجله، فقال للحمال: احملني في حل من هذه الشوكة فلا يمكنني إخراجها.

● الحثُّ على التنظيف

قال الله تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[1] وقال ﷺ: إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويكره البؤس والتباؤس. وقال ﷺ: إن الله جميل يحب الجمال. وقال عيسى عليه السلام: ألبسوا لباس الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية.

● النَّهيُ عن التماوتِ وفَرْطِ التَّخشُّع

رُوي أن عمر رضي الله عنه رأى رجلاً متماوتاً في إظهار النسك فعلاه بالدرة وقال: لا تمت علينا ديننا. ومرّ رجل بعائشة رضي الله عنها متماوتاً فقالت: ماله؟ قالوا: متخشع. قالت: هو أخشع من عمر، وكان إذا مشى أسرع وإذا قال أسمع وإذا ضرب أوجع.

● مَنْ تورَّعَ في الفُسْق

اجتمع جماعة على امرأة فقال أحدهم: خذي هذه الخمسة دراهم وقولي: قد فعل فقالت: أعوذ بالله أن أكذب جماعة بخمسة دراهم.

---

(١) القرآن الكريم: الأعراف/٣١.

فسق بعضهم بغلام وكان عليه خف فقال. له نزع خفك، فقال أخاف أن ينتقض وضوئي. وقال بعضهم. أدخلت قحبة على جماعة فشارطوها كل فرد بدرهم وواحد يصلي ويقول سبحان الله ويشير إني أريد فردين بدرهم.

● ذمُّ الرِياءِ

قال النبي ﷺ: إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء الظاهر والشهوة الخفية. وقال أمير المؤمنين لا تفعل شيئاً رياء ولا تتركه حياء. وقيل أعظم الرياء حب المحمدة

وقيل إذا عمل الرجل العمل وكتمه وأحب إعلام الناس أنه كتمه فذلك أقبح الرياء. وكان الشبلي إذا رأى من يدعي التصوف يقول ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب.

وقال أبو نواس:

وإذا نـزعـتَ عـن الـغـوايـة فـلـيـكُـن لله ذاكَ الـنــزعُ لا لـلـنــاسِ[1]

وقال لقمان لابنه اتق الله ولا تُري الناس أنك تخشاه ليكرموك وكان الناس يراؤون بما يفعلون. فصاروا يراؤون بما لا يفعلون وقيل ما الدخان بأدل على النار من ظاهر أمر الرجل على باطنه قال شاعر

إن الـتـخـلـق يـأبـى دونـه الـخـلـقُ

وقيل:

لــه سـمـت أبـي ذر علـى قـلـب أبـي جـهـل[2]

● ذمُّ متنسكٍ طمعاً في عَرَضِ الدنيا

قال ﷺ. أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما: إن الناس عبيد المال والدين لعو على ألسنتهم يحوطونه ما درت به معايشهم فإذا محص للإبتلاء قل الديانون ويقال. إن بلال بن أبي بردة وفد على عمر بن عبد العزيز فجعل يديم الصلاة، فقال عمر ذلك للتصنع، فقال له العلاء أنا آتيك بخبره فجاءه وهو يصلي، فقال له مالي عندك إن بعثت أمير المؤمنين على توليك العراق، قال: عمالتي سنة وكان مبلغه عشرين ألف درهم، فقال: أكتب به خطك فكتب إليه، فجاء العلاء إلى عمر فأخبره، فقال: أراد أن يغرنا بالله.

ودخل على المنصور رجل بين عينيه كركبة البعير يريد القضاء، فقال إن كنت أردت الله بهذا فما ينبغي لنا أن نشغلك عنه، وإن كنت أردت خداعنا فما ينبغي أن ننخدع لك

قال شاعر:

لا تـصـحـبـن صـحـابـة حـلـقـوا الـشـوارب لـلـطـمـع

---

(١) نزعت عن: كففت ـ الغواية الضلالة (٢) السمت. الهيئة

يبكي وجسلُ بُكائه ... لسلفريسة لا تقع

ورأى المنصور رجلاً واقفاً ببابه وبين عينيه سجادة، فقال له: بين عينيك درهم مثل هذا وتقف ببابي فقال: إنه ضرب على غير سكة. وقال بعضهم في أصحاب السجادات: أما ثقلت رؤوسهم أو خشنت الأرض. قال شاعر:

تصوّفَ فازدهى بالصّوفِ جَهْلاً ... وبعضُ الناسِ يلبسه مجانَه[1]

ولم يرد الإلَه به ولكن ... أراد به الطريق إلى الخيانه

وقال:

عمّروا مواضعَ التصنُّعِ منهم ... فكأنَّ الصّلاحَ منهم خرابُ

وقال:

تسبيحهُ ريحٌ فلا تسكنوا ... من شقةِ الشيخِ إلى الريحِ

وقال عيدان في أبي القاسم بن بحر وقد عاد من الحج

تعنيتَ أبا القاسم في السعي إلى الحجّ

بما سوّغت من سُحتِ زمانَ الجورِ والهَرْجِ[2]

وما يصلح ما تأتي للثجّ وللعجّ[3]

ودخل المرء من سحتٍ كذا يخرج في الخرجِ

● مَنْ يُخادعُ اللهَ في زكاته وصدقته

قال الجاحظ: كان ببغداد لوصي موسر فإذا كان وقت الزكاة يدعو الغلام ويقول له: ألك أم أو أخت تستحق الزكاة فيدفعه له؟ ويقول: خذ هذا من زكاة مالي وأنعم لي بواحد. وبعض أصحابنا يبيع زكاته من الفقير ويسترجعها منه بدرهم أو درهمين يخادعون الله وهو خادعهم.

● ذمُّ مَنْ حَسُنَ مقالهُ وقَبُحَ فعالهُ

قال النبي ﷺ: سيكون بعدي أقوام يعطون الحكمة على المنابر وقلوبهم أنتن من الجيفة. وقال سليمان بن عبد الملك لبلال بن أبي بردة: صف لي الحجّاج فقال: كان يتزين بزينة المومسة فإذا صعد المنبر تكلم بكلام القسيسين وينزل فيعمل بعمل الفراعنة، وقال شاعر:

إذا نَصبوا للقولِ قالوا فأحسنوا ... ولكنَّ حُسْنَ القولِ خالفَهُ الفعْلُ

---

(١) المجانة: المزاح والهزل ... (٢) السحت: الحرام

(٣) الثج: سيلان دم الأضحية ـ العج: الصياح وارتفاع الأصوات

وذمّوا لنا الدنيا وَهُمْ يُرْضِعونَها أفاويقَ حتّى ما يدِرُّ لها ثُعْلُ[1]

وقال:

قـلـوبُـهـم أمـرُّ مـن دَغَـلٍ ولـفظـهـم أحلى من العسَلِ[2]

● المتبجّح بقوّة رَقاعةً

صلى رجل بحضرة الشعبي فأطال، فقال الشعبي: ما أحسن صلاته فلما سلم الرجل، قال: وأنا مع هذا صائم. وقال ذو اليمينين لأبي بكر المروزي: مذ كم صرت إلى العراق؟ قال: مذ عشرين سنة وأنا أصوم مذ ثلاثين سنة.

● تَنسُّك كلِّ صِنْفٍ من الناس

قال الجاحظ: لكل صنف من الناس نسك، فنسك الحمصيّ غزو الروم، ونسك الخراساني الحج، ونسك المغنّي كثرة التسبيح والصلاة على النبي ﷺ وشرب النبيذ، ونسك الرافضيّ ترك النبيذ وزيارة المشهد، ونسك السواديّ ترك شرب المطبوخ، ونسك المتكلم رمي الناس بالجبر والتعطيل والزندقة، ونسك المخنث أن يصير دلاّل النسوة. وقيل: إذا نسك الشريف تواضع أو الوضيع تكبر.

● رقاعةُ الجُهّالِ في زَمَنِ العُلماء بالبدعة

رفع إلى المأمون سبعمائة قصة من بشر المريسي تشهد بكفره، فجمعهم يوماً وقال لهم: ما الذي ظهر من كفره؟ قالوا: قوله ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك، فقال المأمون: قد شهد الله بهذا. فقال شيخ منهم هذه الآية مسرحة بقوله تعالى: وحاج موسى إبراهيم، فقال له: على من قرأت القرآن؟ قال على أبي وكان يقرأه بسبعة ألسن.

وسئل رجل كان يشهد على رجل بالكفر عند جعفر بن سليمان، فقال: إنه خارجي معتزلي ناصبي حروريّ جبريّ رافضيّ يشتم علي بن الخطاب وعمر بن أبي قحافة وعثمان بن أبي طالب وأبا بكر بن عفان ويشتم الحجّاج الذي هدم الكوفة على أبي سفيان، فقال جعفر: ما أدراك على أي شيء أحسدك، أعلى علمك بالأنساب أم بالأديان أم بالمقالات.

وقال الصاحب: رأيت يوماً جماعة مجتمعين على رجل يضربونه ويقولون يجب أن يقتل فسألتهم ما عمل، فقال كلٌّ: لا أدري. كان المنصور أمر أبا دلامة أن يلازم صلاة الجماعة ويترك البطالة، فقال:

ألـم تـعـلـمـي أنّ الـخـلـيـفـة لـزّنـي بمسجدِهِ والقصرِ مالي وللقصْرِ[3]

---

(١) أفاويق: ... الرسل: اللبن.

(٢) الدغل: الزفت أو القطران.

(٣) لزّني بالمسجد: ألزمني إياه.

يُكلِّفُني من بعد ما شبتُ توبةً | يحطُّ بها عني العظائمَ من وِزري[1]
وما ضرّه والله يصلحُ أمرَهُ | لو أن ذنوبَ العالمين على ظهري

وقال:

وجفاني الأميرُ كي أتقرّا | فتقرأتُ مُكرهاً لجفائه[2]
والذي أنطوي عليه المعاصي | علِم اللّهُ نيّتي من سمائه

● التجاسرُ على الذنب إتكالاً على التوبة

حُكِيَ أن الأعشى لما مدح النبي ﷺ بقوله:

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا

قصده بها فلقيه بعض الكفار فقال: ما تصنع عنده وقد حرم عليك الزنا وشرب الخمر؟ فقال أما الزنا فقد ضعفت عنه لكبري ولكن عندي دنّان فسأشربهما ثم أقصده قبل استيفاء شربهما. وقال جميل:

تعالي نبغ في العام يا بثنَ ديننا | بدنيا فإنا قابلاً سنتوبُ

وقال:

تعالي نبع دينا بدنيا نُصيبها | ونستغفرُ الرحمنَ فاللّهُ غافرُ

وقال:

سقى الله أيامَ الوِصال وقولَنا | إذا ما صبَوْنا صبوةً سنتوبُ[3]

وقال:

نسرقُ هذا اليومَ من دهرِنا | فربّما يُعفى عنِ اللصِّ

● ذمُّ خليعٍ مُتمثّلٍ بما اعتقدَ فيه الصَّلاح

مرّ أبو حازم في بعض الليالي فسمع دللاً ينشد

أسأتُ وقد أنبتُ فلا أعودُ[4]

فقال: اللهم إن الرحمة بيدك وعبدك هذا قد اعترف بذنبه، وقرع عليه الباب وقال سَلْ ما تريد فإنه كريم يعطيك، فقال:

فعدْ للوصل قد سمَحَ الصدُودُ[5]

فقال أبو حازم أنت من جند إبليس يا فاسق أتمزج الخبيث بالطيّب، أستغفر الله من دعائي ومرّ سفيان برجل ينشد:

أتوبُ إلى الذي أمسى وأضحى | وقلبي يرتجيه ويتّقيه

---

(1) الوزر: الاثم والخطيئة.
(2) أتقرا: أتنسك
(3) صبونا صبوة: ملنا إلى اللهو.
(4) أنبت: تبت
(5) سمَحَ: تَحَ

تشاغلَ كلُّ مخلوقٍ بشيءٍ وقلبي من محبّته وفيه

فدنا منه وأخذ يبكي معه، ثم قال:

عسى قلبُ الممكَّن من فؤادي يرقُّ لذُلِّ طاعةِ عاشقيه

فقال سفيان: اللهم لا تضلّنا بعد إذ هديت. ومرَّ بناسك بدار فيها أبو نواس ينشد

إن في توبتي لَفَضحاً لجُرمي فاعفُ عنّي فأنت للعفو أهلُ

فرفع يده وقال: اللهم تبْ عليه، فقال:

لا تؤاخذْ بما يقولُ على السـ ـكرِ فتىً ماله لدى الصَّحْوِ عَقْلُ

فقال: اللهم أرشدنا.

- **خليعٌ تأوّلَ كلامَ صالحٍ على اعتقاده**

سُرق لرجل دراهم فقيل له: تكون في ميزانك غداً، فقال: مع الميزان سرقت وسرقَ لآخر خرجٌ فقيل: لو قرأت عليه آية الكرسي لم يُسرق، فقال: كان فيه مصحف وسرق أعرابي نافجة مسك فقيل له: من غل شيئاً يأتي به يوم القيامة، فقال إذاً والله آتي به خفيفة المحمل طيبة الريح.

- **عَكْسُ ذلك**

رُوي أن رجلاً سأل ملالاً وقد أقبل من الحلبة من سبق، فقال: المقربون فقال السائل: سألتك عن الخيل فقال: أنا أجيبك بالخير. قيل لعمرو بن عبيد ما البلاغة؟ فقال ما بلغ بك الجنة وعدل بك عن النار. وقيل لأبي الدرداء وكان مريضاً: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي فقيل له: ما تشتهي؟ قال: الجنة، فقيل: ندعو لك طبيباً قال: الطبيب أمرضني.

وجاز الشبلي بمن يقول السعتر البري متواجد، فقيل له ما يقول؟ قال يقول الساعة ترى بري. وأمّ أبو العلا عمراً يوماً فلما قال استووا غشي عليه. وقال: قد وقع بقلبي هل استوى معي طرفة عين.

- **أنواعٌ مختلفة**

قيل ليحيى بن معاذ: ما بال أبناء الدنيا يحبون الزاهدين وهم يفرون منهم، قال: ذلك كالدباغ يستروح إلى العطار والعطار يفر من ريحه. وقال ابن أبي الورد: إبليس يقول من ظن أنه نجا مني فبجهله وقع في حبائلي. ومرّ داوود الطائي برطب فقال لبائعه انسئني بدرهم لغدٍ فأبى فتبعه رجل وعرض عليه المال، فوجده يقول: يا نفس تريدين الجنة وأنت لا تساوين درهماً، وأبى قبول المال، وقال: إنما أردت أن أعرف نفسي قدرها.

وقال راهب: إزهدْ في الدنيا ودع أهلها وكن مثل النحلة إن أكلت أكلت طيباً وإن

أطعمت أطعمت طيباً وإن وضعت على عودة ثم تتكسر. وقالت امرأة العزيز. الحمد لله الذي جعل العبيد بطاعته ملوكاً والملوك بمعصيته عبيداً.

وقيل: المحسن في معاده كالغائب يرد إلى أهله مسروراً والمسيء كالآبق يرد مأسوراً.

وقيل في قوله ﷺ: نية المرء خير من عمله، أي خير يعد من عمله وليس مِنْ للتفضيل. وقال ابن عباس: كنا نحدث عن رسول الله ﷺ قبل أن يركب الناس الصعب والذلول فلما ركبوهما أقللنا.

وقال الزهري: حدثني فلان وفلان قبل تلاطم الأحاديث. وقال الحسن: يا ابن آدم تحب الصالحين وتفر من أعمالهم وتبغض الفجار وأنت منهم. وعن بعضهم أنه قال: ما معي من الصلاح غير حبي لأهله. وقال ﷺ: المرء مع من أحب.

(٢)

وممّا جاءَ في المذاهب المختلفة

١

● اختلافُ أقوالِ غير أهلِ الكتاب في العَالَم

قال أهل الدهر جميعاً: العالم كله قديم الطينة والصنعة وأهل هذه المقالة مختلفون، فمنهم من قال إنه أربعة أشياء حر وبرد ويبس وبلة وبينها روح سائح في جميعها يديرها ويصورها ولا أول له ولا آخر، وقال آخر: الأشياء صنعت نفسها وصنعت بعضها بعضاً. وقالت السمتية: لم تزل الأشياء متنقلة كانتقال البيضة من الدجاجة والدجاجة من البيضة. وقال بلعام بن باعوراء: العالم قديم وله مدبر خلاقه في جميع معانيه. وقال بعض الملحدة: العالم جوهرة قديمة وهي في ذاتها واحدة لا اختلاف فيها ولكنها تختلف على قدر الالتقاء والمماسة وعلى الحركات فتصير رطوبة وحر أو برد أو يبساً. وقال أرسطو: الهيولى أصل طينة العالم قديمة ومعناها أصل الشيء كالفضة أصل الدراهم. وقال الصابئون: النور قديم لم يزل وهو خالق الظلمة.

وقالوا: الشيطان كلمة الله لا خلقه وزعموا أن الظلمة تقلب على النور امتزاجاً فما كان من خير فمن الله وعمله ومن شر فمن الشيطان. وقول المجوس مثله لكنهم تفردوا أنهم زعموا أن النور يخلق كل حسن والظلمة تخلق كل قبيح. وقالت الجرمية: أصل العالم النور فمسخ بعضه بعضاً فاستحالت ظلمة. وقالت الثنوية بالنور والظلمة. وأن للنور خمسة أجناس، الضياء والنسيم والماء والنار والروح. والظلمة خمسة أشياء الدخان والحريق والظلمة والسموم والضباب، فخالط الدخان النسيم وخالط الحريق النار وخالط النور الظلمة وخالط الريح السموم وخالط الضباب الماء، فما كان محموداً منها فمن النور أو مذموماً فمن الظلمة. وزعموا أن هذه

الأجناس من الظلمة لما خالطت أجناس النور عمد النور مس فيها عشر سموات وثمان أرضين وعمد إلى أكابر الشياطين فشدهم في السموات وكبس العفاريت تحت الأرض ووكل ملكاً بإدارة السموات ليشد ما فيها فيمنعها من الصعود إلى النور، ووكل ملكاً بحمل السماوات وآخر بحمل الأرضين ووكل الجو بأسفل الأرض إلى أعلى السموات

وقالت المجوس: الأشياء شيئان قديمان سميعان بصيران، وزعموا أن الله كان وحده ولا شيء معه فلما طالت وحدته فكر متولد من فكرته أهرمن وهو إبليس، فلما مثل بين يديه أراد قتله فامتنع عليه وسالمه إلى غايته، وزعموا أن العالم جوهر والظلمة والنور فيه غريب مجتاز، وزعموا أن للثلاثين يوماً كل يوم ملائكة إلا أهرمن فإن الله تعالى قالوا وكل ما يقرب من أهرمن من الأيام فهو أقرب منه في المنزلة. **وعظموا النار** لكونها من جنس النور وزعموا أن العذاب في الجحيم البرد لأنه لما جاء زردشت إلى بلخ وادعى بها النبوة كان البرد فيها يعظم. **وزعموا** أن كل مؤذ من خلق أهرمن وكل نافع من خلق الله. **وقالوا الفأرة** من خلق الله والهرة من خلق الشيطان. **وزعموا** أن سنورا لو بال في البحر يقتل عشر آلاف سمكة والسمك أحق أن يكون من خلق الشيطان لأنه يأكل بعضه بعضاً ويأكل من غرق من الناس، وشرع لهم نيك الأمهات والتوضؤ ببول البقر لما رآهم في غاية العبادة

وقالت السوفسطائية الأشياء على الحسبان ظنها ظناً ولا نعرف لها حقيقة استدلالاً بأن نرى الأشياء في المنام كما نراها في اليقظة، فلا ندري العالم قديم أم محدث. وأما البراهمة فاختلفوا فمنهم من قال بقدم العالم، **فقال**: المقدرات في النجوم، ومن قال محدثة. غير أنهم نفوا النبوات

وأما عبدة الأصنام من العرب فقد أثبتوا الصانع قديماً والأشياء محدثة وزعموا أن ذلك يقربهم إلى الله، **وقالوا**: إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر. **والفلاسفة** يثبتون أشياء كثيرة ثم يسمون واحداً منها ملك الأملاك ويجعلونه رأساً على ما يعبدون.

● اختلافُ أهْلِ الكُتُبِ غير الإسلام

فمنهم **اليهود** فعامتهم جعلوه لحماً ودماً كمقالة مقاتل بن سليمان. **وقال أبيض الرأس** واللحية، **والسامرية** لا يشبه شيئاً **والأصبهانية** عزير ابن الله، وعامة اليهود تقول ذلك لا على معنى بعقل. **وقالوا** ذلك من أجل أن **بختنصر** لما هدم بيت المقدس وقتل قراء التوراة كان عزير صغيراً فلم يقتله، ثم مات عزير ببابل ورجع بنو إسرائيل إلى بيت المقدس، ولم يكن منهم أحد ليجدد لهم التوراة، فلما بعث الله عزيراً أتاهم، وقال: أنا عزير فكذبوه، **وقالوا**: إن كنت إياه فأمل علينا التوراة ففعل، **فقال بعضهم** أبي حدثني أن التوراة جعلت في خابية ودفنت في أصل كرم لنا فانطلقوا فاستخرجوه ونظروا فإذا هو لم يغادر منها شيئاً، **فقالوا** ما قدر على هذا إلا وهو ابن الله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً

● **النصارى**

النسطورية واليعقوبية والملكانية واللاهوتية والصقالبة. فالنسطورية منسوبون إلى نسطور الاسكندراني[1]، **يقول**: عيسى كلمة الله وروحه حدث في بطن مريم بطبيعة لاهوتية. **ويقولون** أنه ليس بجسم، وفي عيسى روحان قديم ومحدث. **والملكانية** وصاحبهم توفيباس قالوا ليس في عيسى نفس مخلوقة والله إسم لثلاثة معان أب وابن وجوهر ثالث وهو روح القدس. **واليعقوبية** إلى يعقوب يقولون عيسى كلمة الله وكلمة الله لا لحم ولا دم، ثم نزل في بطن مريم عليها السلام فاتخذ من لحمها هيكلاً فصارت الكلمة لحماً ودماً فذلك هو الابن اللاهوتي، وكان في مكان ثم صار في مكان وهم ينالون مذهبهم للفظة زعموها في الإنجيل. **والصابئون** هم قوم من النصارى الصقالبة يقرون بالخالق ويسمونه نعم، وكان له ولد فغرقت الدنيا ولم يبق إلا الله كأنهم يعنون نوحاً.

● **المُتَبجّحُ بالتعطيل**

قال أبو نواس:

وأيسر ما أبثك أن قلبي ... بتصديق القيامة غيرُ صاف

وقال ديك الجن

أأترك لذة الصهباء عمداً ... لِمَا وعدوه من لَبَنٍ وخمرِ[2]

حياةٌ ثم موتٌ ثم بعثٌ ... حديثُ خرافةٍ يا أم عمرو

وغضب الفضل بن الربيع على أبي نواس، **وقال أنت القائل**

يا أحمدَ المرتجى في كل نائبةٍ ... قمْ سيدي نعصِ جبارَ السماوات

فقال: نعم، فسأل جماعة الفقهاء عنه فكل قال يحل دمه، فقال أبو نواس إن كنتم قلتم ذلك من عقولكم فقبحاً لها وتحميقاً، فما أبعدكم من العقل هل للسماء من جبر أو كان بها كسر فاحتيج إلى أن تجبر. **قال بعض الثنوية:**

عجبتُ لكِسْرى وإيوانه ... وغسلِ الوجوه ببول البقرْ

وقيصرُ لمّا ثوى عاكِماً ... لِما عملته أكفُّ البشرْ

وعجبُ اليهود بربٍّ يُسَرّ ... بسفك الدماء وشمِّ القُتَرْ

وعند النصارى طريقُ النجاة ... بشرب الخمور وترك الزّفرْ

وقوم يرومون بيت الحرام ... لرمي الجمار وحَلْق الشعَر

---

(1) **نسطور** (نحو ٣٨٠ - ٤٥١) وُلد في قيصرية - سورية. بطريرك القسطنطينية ٤٢٨. أتباعه هم النساطرة. قال بأقنومين في المسيح.

(2) **الصهباء**: الخمرة - **اللبن والخمر**. إشارة إلى الآيات المتعلقة بوصف النعيم في القرآن.

يعيبون إذا أبصروا ساجداً — لشمس النهار وضوء القمر

- **ذمُّ المتبجّحِ بالمَيْلِ إلى الزَّنْدقةِ والتمجُّس**

قال شاعر:

ليس بزنديق ولكنما — أراد أن يوسَمَ بالظَّرْفِ

وقال:

تزندقَ معلِناً ليقولَ قومٌ — إذا ذكروه زِنديقٌ ظريفُ

فقد بقي التَّزندقُ فيه وسماً — وما قيل الظَّريفُ ولا اللطيفُ

وقال:

إذا ذُكِرَ أشركَ في مجلسٍ — أضاءت وجوهُ بني بَرْمَكٍ[1]

وإن تُليت عندهم آيةٌ — أتوا بالأحاديث عن مزدكٍ[2]

وقال:

يصيخُ لكسرى حين يسمعُ ذكرَهُ — ويُصغي عن ذكرِ النبيِّ صدوفُ

ويُعجبه أخبار كسرى ورهطِه — وما هو في أعلاجِهِم بشريفُ[3]

وقال علي بن الحسين الكاتب في الكندي:

ما أرغب الكنديَّ في الزَّندقه — تعساً ليعقوب فما أحمقه

لو علّق الكنديُّ في حلقه — قلقةً باء أبداً مخنقه

ما كان إلا مؤمناً مسلماً — لا غمر الله لمن زندقه

- **نوادرُ لِمَنْ أسْلَمَ عن كُفْرٍ**

قيل لمجوسي أسلم، وكان يتعاطى كل ما يتعاطاه في التمجس: ما أحسن ما عملت أسقطت عن نفسك الجزية؟ وأسلم نصراني فقالت أمه: سخنت عيناك، محمد لم يعرفك والمسيح تبرأ منك. ولمّا أسلم صاعد قصده أبو العيناء مرتين فوجده يصلّي، فقال: لكل جديد لذة. وأسلم رجل فقيل له صلِّ اليوم فقال لا أبتدىء اليوم بالصلاة والقمر في المحاق.

- **نوادرُ مَنْ مَالَ إلى الكُفْر**

سئل زنديق عن الأضحى فقال: وباء كل سنة يقع في الأغنام والبقر. وختن رجل إبنه

---

(١) بنو برمك: البرامكة.

(٢) مزدك: إشارة إلى المذهب المزدكي.

(٣) الأعلاج: جمع علج، صفة تطلق على الرجل المكابر.

فقال: أوه قتلتني، فقال: إنما قتلك أبوك إبراهيم. ولما أسر عيينة بن حصن دخل المدينة فقال له رجل: يا منافق فقال يا بارد متى كنت مسلماً حتى أكون منافقاً

(٣)

نوادرُ في مناظرةِ النَّصارَى والمَجوسِ واليَهودِ

•

قال بعض المتكلمين لبعض النصارى: لم قلتم إن لله تعالى ولداً؟ فقال: لأن كل من لم يكن له ولد يكون عقيماً وهو وصف نقص. قال: فهل للابن ابن؟ قال: لا، قال: فإذاً يكون عقيماً.

وجلس المأمون وبحضرته المتكلمون والجاثليق فأقبل الموبذ فقال: يا أمير المؤمنين أتحب أن أضحكك من الموبذ، فأقبل على الموبذ وقال: هذا يزعم أن باب الجنة في حرامه، فكلما أكثر من حماقه كان أقرب إلى باب الجنة. فقال الموبذ: ما كنا نعمل ذلك حتى أخبرنا أن إلهكم حرج من ذلك، فأخجله، وضحك المأمون حتى فحص برجله.

وقيل: أول ما ظهر من كيس إياس بن معاوية أنه كان في المكتب فسمع عند المعلم نصارى يعيبون الإسلام، فقال: من العجب أنكم تقولون إنكم في الجنة تأكلون وتشربون ولا تتغوطون. فقال إياس: أفما علمتم أن الدنيا مرآة الآخرة قالوا: نعم. قال: أفكل ما يؤكل في الدنيا يخرج غائطاً؟ قالوا: لا، قال: فأين يذهب؟ قالوا غذاء قال: فما يبعد أن يكون كل ما يؤكل في الجنة يكون غذاء، فقال المعلم: قاتلك الله مكراً

وقال يهودي لمسلم: أنتم قريبو العهد بنبيكم فافتتنتم. فقال: أنتم ما جفت أقدامكم من البحر حتى قلتم اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة. ونظر المأمون ثنوياً، فقال: أخبرني هل ندم مسيء على فعله قط؟ قال: نعم، قال: فندم على الإساءة ما هو؟ قال: إحسان، لكني أقول إن الذي أحسن غير الذي أساء، قال: فهذا الذي ندم على فعله أو فعل غيره فأفحمه

وغرق مجوسي في البحر فجعل يقول يا نار فارس يا نار أذربيجان، فقال قل يا رب النار فإنك لو وقعت موقعها لكنت أسوأ حالاً منك

وقال أبو الهذيل لمجوسي: ما تقول في النار؟ قال: بنية الله، قال: فالبقر، قال ملائكة الله تعالى، قال: فالماء، قال: نور الله، قال: فالجوع والعطش، قال: هما فقرا بهمن وفاقته، قال: فمن يحمل الأرض، قال: بهمن الملك، قال: بئسما عملتم، أخذتم الملائكة ذبحتموها ثم غسلتموها بنور الله ثم شويتموها ببنت الله ثم دفعتموها إلى فقر الشيطان وفاقته ثم سلحتموها على الملك

• المُتبجِّحُ بارتكابِ المَحظورِ المُحتجُّ له

قيل لأبي الطمحان: ما أدنى ذنوبك؟ قال: ليلة الدير نزلت على نصرانية فأكلت

عندها طفيلياً بلحم خنزير وشربت من خمره وزنيت بها وسرقت كساءها. وقيل لرجل من أين؟ فقال من دير ليلى، وزنت درهمين وأكلت رغيفين وشربت رطلين وعملت فردين ولم أبع نقداً بدين. ورؤي شيخ بمقبح أتانا يوم الجمعة وكلما صرطت صلّى على النبي ﷺ، فقيل له: تنيك أتاناً. فقال: عوّضني عنها أحسنَ وأنا أترك الأتان، فقيل له في يوم الجمعة، فقال: تصمتها إلى يوم السبت. فقيل له: ولِم تصلي على النبي ﷺ فقال لأنه يصرط الأتان.

● اختلافُ الناسِ في القَدَرِ

قالت عامة المعتزلة: إن الله يقدر على فعل الظلم ولكن لا يفعل والدلالة على القدرة على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾[1]، وقوله: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡ﴾[2] وإنما يتمدح بذلك من قدر على ضده. وقال بعضهم: لا يوصف بأنه قادر على الظلم. وقال بعضهم: لا يقدر على ذلك وقال جهم بن صفوان: إن الله تعالى يفعل ما نعتقده ظلماً لكنه عدل. وقالت المعتزلة: قدرتنا تصلح للضدين. وقال جهم: تصلح لأحدهما فالكافر لم تجعل له قدرة على الإيمان والمؤمن لم تجعل له قدرة على الكفر.

● مَنْ ذَهَبَ مَذْهَبَ أحد الفريقين من الشُّعراء

قال بعض العلماء: قد ذهب الأعشى مذهب المعتزلة في قوله:

استأثر اللَّهُ بالوفاءِ وبالعد	لِ وولّى الملامةَ الرجلا

وقال صالح بن عبد القدوس:

ولا أقول إذا ما جئتُ فاحشةً	إنّي على الذنبِ محمولٌ ومجبور

وقال:

لم تخلُ أفعالُنا اللاتي نُذَلُّ بها	إحدى ثلاثِ خصالٍ في معانيها
إما تفرّدُ مولانا بصنعتِها	فاللومُ يسقطُ عنّا حين نأتيها
فكان يُشركُنا فاللومُ يلحقُهُ	إن كان يلحقُنا من لائمٍ فيها
ولم يكن لإلٰهي في جنايتِها	صنعٌ فما الصنعُ إلا ذنبُ جانيها

وقال الصاحب:

اصفعِ المُجْبِرَ الذي	يَعْزُ ضنا السوءِ قد رضي
فإذا قال لِمْ فعلْتَ	فَقُلْ هكذا قضي

● إلزاماتٌ في المُناظرةِ لِمنْ ذهبَ مَذْهَبَ المعتزلة

قال أبو العتاهية لثمامة: ألا ترضى من خلق المعاصي ربّاً قال لا ولا عبداً. وحصر

---

(١) القرآن الكريم: النساء/ ٤٠

(٢) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٢٠

يوماً عند الرشيد فحرك أبو العتاهية أصبعه، وقال لثمامة: من حرك هذا، قال ابن زانية، فقال أبو العتاهية أفترني، فقال ثمامة: إن قلت إني حركتها فقد تركت المذهب وإن قلت حركها غيري فلم أشتمك وإنما شتمته.

● إلزامات مخالفيهم

صحب مجوسي معتزلياً فقال: ما بالك لا تسلم؟ فقال: حتى يشاء الله. قال: قد شاء الله ولكن الشيطان لا يدعك، فقال: أنا مع أقواهما.

● النَّهْيُ عن الخَوْضِ في ذِكْرِ القَدَر

روى أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: آخر الكلام في القدر لشرار هذه الأمة. وقال عمر بن عبد العزيز لرجل سأله عن القدر: إن الله لا يطالب بما قضى وقدر وإنما يطالب بما نهى وأمر. وقال الأصمعي: سألت أعرابياً عن القدر فقال: ذاك علم اختصمت فيه الظنون واختلف فيه المختلفون فالواجب علينا أن نرد ما أشكل علينا من حكمه إلى ما سبق من علمه.

وذُكر القدر عند أعرابي، فقال: الناظر في القدر كالناظر في ضوء الشمس يعرف ضوءها ولا يقف على حدودها. وقيل: اختصمت بنو إسرائيل في القدر خمسمائة سنة ثم صاروا إلى عالم فسألوه عنه، فقال: القدر حرمان للعاقل وظفر للجاهل ولم يعرف القدماء القدر.

● حماقاتٌ لعَوَام المُجْبِرة

قال أبو المنذر وكان من أجلّة القرّاء المصريين: ما كان موسى إلاّ قدرياً حيث قال: وما أنسانيه إلا الشيطان. وقال: هذا من عمل الشيطان. وقال: لا أملك إلا نفسي وأخي فلم يرض أن ادعى أن يملك نفسه حتى ادعى أنه يملك أخاه. ووجد عامي رجلاً يفجر بجاريته في دهليزه فأراد رفعه إلى السلطان فقال: اتق الله فهذا قضاء الله عليّ فقال قد عفوت عنك لمعرفتك بالسنة.

ومر جعفر بن حرب برجل يقول ما سرق مالي بعد الله إلا فلان فاطلبوه، فقيل له: قد ظفرت بأحد اللصين فكر وراء الآخر. وانكسرت رجل رجل فقيل له أطلب مجبراً يجبرها، فقال: معاذ الله أيكسره الله وأجبره أنا، إني إذاً عاديته. وكان صاعدة مجبراً فناظره الزيادي عند المتوكل، فقال: أترضى بقضاء الله، قال: نعم، قال: إن دخلت دارك ورأيت رجلاً مع إمرأتك أليس ذلك بقضاء الله قال ما عندي جواب فإني إن قلت رضيت أكون ديوثاً وإن قلت لم أرض أكون قدرياً فسقط المتوكل ضحكاً.

● حكاياتٌ عن الأوائل

حكي بعض الأوائل أن عبد الله بن حسن قال لابنه محمد: يا محمد إن لأمك

لاثم في العزل مما يكون من جوابك قال: أقول أتلومني على ما أقدر على تركه أم على ما لا أقدر على تركه، فإن قال على ما لا تقدر على تركه قلت له: كيف أترك ما لا أقدر على تركه، وإن قال الأخرى، قلت له: صرت على قولي. قال: لله درك.

وقال موسى بن جعفر: ليس من العدل أن يشترك إثنان في فعل فيُعَذَّرُ القوي ويلام الضعيف، يعني ما يقوله الأشعرية ما من حركة ولا سكون إلا والله خالقه والعبد مكتسبه.
وقال بعضهم: لو كان الرنا مما قضى الله لكان الرضا به خيرة لإجماع الناس على قولهم الخيرة فيما قضى الله. وقيل: إن الحسن لما بلغه قول الحجاج بعد قتله لسعيد بن جبير الله قتله، قال: لعن الله قوماً باتوا وأقلامهم تجري بدماء المسلمين وأموالهم. يقولون إنما تجري بأقلام الله وكذبوا لأن أقلام الله تجري بالبر والتقوى وأقلامهم تجري بالإثم والعدوان فإن كذبوا، زعموا أن الله قد أسر عندهم كتاباً نهاهم عنه في العلانية، لقد اغتشوا ربهم واتهموه وقالوا عنه قولاً عظيماً.

وقال محمد بن سيرين لرجل كيف جرت النصراني؟ قال كما شاء الله، قال: قل كما علم الله إن الله لا يشأ المعاصي. وأُتي عمر بسارق فقال له ما حملك؟ قال قضاء الله، فقطع يده وقال هذه للسرقة، وجلده وقال هذه لكذبك على الله. وسئل ابن حنيف: هل منع إبليس من السجود أو امتنع، فقال منع في لسان حكمه وامتنع في لسان ملكه.

وقيل ليحيى بن معاذ: إنَّ الله ضمن أرزاقنا أضمنها حلالاً أم حراماً، فقال إن الله وعدنا شيئين فإن وفينا له وفى لنا: أوجب الطاعة على أن يدخل لنا الجنة وأوجب الصبر على أن يطعمنا الحلال فإن صبرنا أكلنا الحلال وإن لم نصبر وقعنا في الحرام.

● **الإيعادُ والإستطاعةُ**

قال أبو عمرو بن العلاء لعمرو بن عبيد: أتيأس الناس من عفو ربهم، والعرب تتمدح بإنجاز مواعيدها وتناسي وعيدها، وعلى ذلك قول الشاعر:

وإنــي وإن أوْعــدْتــه أو وَعــدْتُــهُ ... لـمخـلـفُ إيـعادي ومـنجزُ مـوْعِدي

وروي أن عمراً قال: إن الشاعر قد يذم بعض ما يمدح فأين أنت عن كتاب الله ما يبدل القول لدي وإن أبيت إلا الشعر، فقل كما قال الأول:

إنّ أبـا ثـابـت لـمـجـتـمـع الـرأ ... ي كـريـم الآبـاء والـبـيـت
لا يـثـبـتُ الـوعـدَ والـوعـيـدَ ولا ... يـنـبـت مـن ثـاره عـلـى فـوت

وقيل: ثلاثة ضمنهن الله على نفسه إن الله لا يضيع أجر المحسنين، إن الله لا يهدي كيد الخائنين، إن الله لا يصلح عمل المفسدين. ورأى محمد بن سويد بخارياً فقال

البخاري. أتقول لا استطاعة قبل الفعل وما من عامي إلا ويعلم خلاف قولك، فقال: بل يعلم خلاف قولك فانظر، فدعا بحمال فقال: إن هذا يزعم أنك لا تستطيع حمل هذا الكور. فقال: أم الذي يقول هذا ألف قاعة

● خَلْقُ القرآنِ

قال النخعي: سألت جعفر بن محمد عن القرآن فقال: لا أقول خالق ولا مخلوق. واحتج بهذا أحمد بن حنبل رضي الله عنه على المعتصم فقال ابن أبي داوود: أين حديث عمران بن حصين عن النبي ﷺ ما خلق الله خلقاً أعظم من آية الكرسي وكان الخليل يمنع أن يوصف كلام بالمخلوق، فيقول: الكلام متى وصف بالخلق فالقصد به الكذب ولهذا يقال هذا كلام خلقه فلان أي تقوّله. وقال بعضهم: أصفه بأنه محدث ولا أقول أنه مخلوق لقوله تعالى ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾[1] وسمع مخنث رجلاً يقرأ قراءة قبيحة فقال أظن هذا القرآن الذي يزعم ابن أبي داوود أنه مخلوق. قال أبو العالية

لو كان رأيك منسوباً إلى رشد ... وكان عزمك عزماً فيه توفيق
لكان في الفقه شغل لو قنعت به ... عن أن تقول كلام الله مخلوق
ماذا عليك وأصل الدين يجمعكم ... ما كان في الفرع لولا الجهل والموق[2]

وكان بعض القصاص بأصبهان يتشدد في خلق القرآن، فسئل عن معاوية هل كان مخلوقاً، فقال: نعوذ بالله من نهايات الجهالات.

● رؤيةُ اللهِ تعالى وتقدّس

من نفى عنه الرؤية احتج بقوله تعالى ﴿لَن تَرَانِي﴾[3] وذلك مذكور على طريق التمدح فلا يختص به وقت دون وقت ومخالفوه احتجوا بقوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[4] وقالت عائشة رضي الله عنها: من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله، ولكنه قد رأى جبريل مرتين في صورته وخلقه ساداً ما بين الأفق.

وقال ابن عباس لقد رأى من آيات ربه الكبرى أنه رأى جبريل على رفرف قد سد أفق السماء وروي أن أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه سمع رجلاً يقول والذي احتجب بسبع سماوات، فقال: إن الله لا يحجبه شيء عن شيء، فقال هل أكفر عن يميني قال لا لأنك حلفت بغير الله ومن حلف بغيره لا تلزمه.

(١) القرآن الكريم: الأنبياء/ ٢

(٢) الموق: الجهل والحمق

(٣) القرآن الكريم: الأعراف/ ١٤٣.

(٤) القرآن الكريم: القيامة/ ٢٢، ٢٣.

(٤)
وممّا جاء في الأنبياء والمتنبئين

•

• أدلّة نبوّة النبي من القُرآن

إعجاز العرب عن الإتيان بمثل القرآن، حيث قال الله تعالى ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾[١] فلم يقدروا مع فصاحتهم وبلاغتهم على الإتيان بمثله وإخباره عن غيوب تحققت نحو ﴿الم غُلِبَتِ الرُّومُ﴾[٢] فكان كما ذكر. وقال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾[٣]، يعني فتح مكة فكان وقال: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾[٤] الآية، فكان كما قال وقال ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾[٥] الآية فوعدوه إلى وادي باهلة، فقال والذي نفسي بيده إن باهلوا أضرم الله عليهم الوادي فامتنعوا وقال: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[٦]، كانوا: الوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث والأسود بن عبد المطلب والعاص بن وائل والحارث بن الطلاطلة فنزل جبريل عليه السلام وقال إذا طافوا بالبيت فاسأل فيهم ما أحببت حتى أفعل، فمر به الأسود فرمى في وجهه بورقة خضراء وقال اللهم أعمِ بصره وأثكله ولده ففعل، ومر بالأسود بن عبد يغوث فأومأ إلى بطنه فشق فمات، ومر به الوليد بن المغيرة فاندمل جرح ببطنه فمات، ومرّ به العاص فأشار إلى أخمص رجله فدخل به شوك فمات، ومر به الحارث فأومأ إليه فتقأ قيحاً فمات.

• معجزاتُهُ المشهورةُ من فِعْلاتِهِ وأخبارِهِ الدالّة على صِدْقِهِ

لما أصاب مضر الجهد وبهكهم الأزل سألوه أن يسأل الله تعالى الغيث لهم فسأل فأتاهم ما هدم بيوتهم، حتى قال ﷺ حوالينا ولا علينا فأمطر الله تعالى ما حولهم وأمسك عنهم.

وكتب عليه الصلاة والسلام إلى كسرى وبدأ باسمه فمزق كتابه، فقال اللهم مزق ملكه كل ممزق، فجذّ الله تعالى أصله، فكل ملك له بقية إلا ملكه وكتب كسرى إلى فيروز الديلمي أن أحمل إليّ رأس هذا العبد الذي بدأ باسمه قبل اسمي ودعاني إلى غير ديني فأباه فيروز، فقال: إن ربي أمرني أن أحملك إليه، فقال ﷺ إن ربي أخبرني أنه قتل ربك البارحة فألبث، فإن جاءك ما دلّ على صدقي، وإلا فأنت

---

(١) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٣.
(٢) القرآن الكريم: الروم/ ٢.
(٣) القرآن الكريم النصر/ ١
(٤) القرآن الكريم الفتح/ ١٦.
(٥) القرآن الكريم آل عمران/ ٦١.
(٦) القرآن الكريم الحجر/ ٩٥

على رأس أمرك، فأتاه الخبر أن شيرويه قتل أباه في الليلة التي ذكرها ﷺ فأسلم فيروز وحسن إسلامه، وهو الذي قتل مسيلمة وقال في زيد بن صوحان يسبقه عضو منه إلى الجنة فقطعت يده في يوم نهاوند.

وقال عمر رضي الله عنه: فلأنزعنّ ثنيتيْ سهيل بن عمرو فلا يقوم عليك خطيباً قال: فعسى يقوم مقاماً محموداً فكان منه ما بلغه حين هاج أهل مكة عند موته ﷺ وضلت ناقته، فقالت قريش. إن هذا يخبرنا عن السماء ولا يدري أين ناقته فصعد المنبر وخطب، فقال: إني لا أعلم إلا ما علمني الله وقد أخبرني أنها في وادي كذا وتعلق زمامها بشجرة فوجدوها.

كذلك وأخبار الأمم بذلك كثيرة وكلمته الذراع المسمومة والذئب والبعير وأظلته غمامة وحنّ إليه عود المنبر وأطعم عشراً من ثريدة وسقى عالماً ووضأهم بميضأة في حسم صاع وأمرّ يده على ضرع شاة حائل حتى غدت كالحامل، وما أرى أبا جهل حين أهوى بالصخرة نحو رأسه فهوى له فحل ليلقم رأسه فرمى الصخرة وعاد إلى أصحابه ممتقع اللون، فقال كان كذا وكذا.

● ما دلّ على نبوّتِهِ من أخبارِ الفُرْس

قيل لما كانت الليلة التي وُلِدَ فيها رسول الله ﷺ ارتجس إيوان كسرى فسقطت منه اثنتا عشرة شرفة، وخمدت نار فارس ولم تكن خمدت قبل بألف عام، وغارت بحيرة ساوة، مجمع كسرى الأكابر وأحبرهم. فقال الموبذان: وأنا قد رأيت الليلة إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادنا، فقال وما هو قال حادث يكون من العرب.

فكتب إلى النعمان بن المنذر أن ابعث إليّ عالماً فبعث إليه بعبد المسيح بن عمرو بن نفيلة الغساني فلما أخبره، قال: عِلْم ذلك عند خال لي يسكن مشارق الشأم فقال له: إذهب وائتني بخبره فذهب وقال له، أصم لم يسمع غطريف اليمن. فلما رفع صوته رفع سطيح رأسه وقال عبد المسيح على جمل مشيح إلى سطيح وقد أوفى على الضريح بعثك ملك ساسان لارتجاج الإيوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان، ثم قال: يا عبد المسيح إذ بعث صاحب الهراوة وكثرت التلاوة وغاض وادي سماوه وغاضت بحيرة ساوه وخمدت نار فارس فليست الشام لسطيح شاماً يملك منهم ملوك على عدد الشرافات وكل ما هو آت آت فأثار عبد المسيح راحلته وهو ـ يقول:

شمّر فإنك ماضي الأمر شمير	لا يفزعنك تفريقٌ وتغييرُ
الخيرُ والشر مقرونان في قرنٍ	والخير متبع والشرُّ محذورُ

- **ما دلّ على نبوّته ممّا أنزل اللهُ تعالى في الكُتُب الأُوَل**

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ﴾[1] واسمه مشفع ومعناه محمد

- **كثرةُ آياتِ الأنبياءِ وقلّتُها**

قال العلماء رضي الله عنهم: إنما كثر أعلام موسى لأن عمله كان مع غباوة بني إسرائيل ونقصان أحلام القبط. قال الجاحظ: ومتى أردت ذلك فانظر إلى بقاياهم هل لهم حكمة أو مثل أو شعر. وانظر إلى أولادهم مع طول لبثهم معنا هل تغيرت بذلك أخلاقهم، ثم من عبوتهم ما حكى الله تعالى عنهم في قولهم: ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة وأرنا الله جهرة واذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون﴾[2] وآياتهم انقطعت بموتهم وعرفها من بعدهم وجعل من معجزات نبينا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأشرك الله تعالى فيه السلف وجعله باقياً على مرور الأزمان.

- **من ادّعى النبوّة برقاعة غير حِلْق**

قيل للأحنف وكان ممن زف سجاح إلى مسيلمة: ما وجدته؟ قال: ما هو بنبي صادق ولا متنبيء حاذق، وفيها يقول:

أصبحت نبيتنا أنثى يُطاف بها ... وأصبحت أنبياء الله ذكرانا

ولما تنبأت سجاح أتبعها ناس كثير من بني تغلب ومسيلمة باليمامة، وكان أصحاب سجاح يكذبون مسيلمة وأصحاب مسيلمة يكذبون سجاح، فقالت سجاح: نذهب إليه فمن كان نبياً أطعناه فذهبت بقومها فأغلق باب حصنه وشارطها على الدخول وحدها فلما حلت به قالت: ما أنزل عليك؟ قال إنه يحل لي أن أنكح المتزوجات وتصبو إليّ المرأة المصيلة تجدها فيّ وتدع زوجها، قالت: فهل من آية غيرها؟ قال: لم أؤمر بآية فأقلع عنها حتى تقبل أو ترد. قالت: فقد ركنت إلى ذلك، قال فسمعي:

ألا قومي إلى المنيك	فقد هُيء لك المَضْجَعْ
فإن شئت علقناك	وإن شئت على أربع
وإن شئت ففي البيت	وإن شئت ففي المخدع
وإن شئت بثلثيه	وإن شئت به أجمع

ثم واقعها فخرجت إلى قومها فقالت: إني وجدت نبوّته صادقة وتزوجته فقالوا لها: إنا نكره رجوعنا بها بلا صداق، قال: قد حططت عنكم صلاة الفجر والعشاء الأخيرة. وقيل لنبي ما دليلك؟ قال القرآن. أما قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾[3]، واسمي الفتح قالوا: فينبغي أن يشركك في النبوّة من اسمه اسمك. قال كم

(١) القرآن الكريم: الأعراف/ ١٥٦. (٢) القرآن الكريم: المائدة/ ٢٤. (٣) القرآن الكريم: النصر/ ١

في الناس من محمد والله تعالى يقول وما محمد إلا رسول

ومن خرافات مسيلمة أنه كتب إلى رسول الله من مسيلمة إلى محمد أمّا بعد، فإن الأرض بيننا وبين قريش نصفان ولكن قريشاً قوم يعتدون، فأجابه ﷺ من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين

● نوادرُ من تَنبأ فَقُتِل

تنبأ رجل في زمن ابن هبيرة فصُلب فمرّ به حمف بن خليفة فقال: أما أنزل عليك قرآن؟ قال: نعم، إنّا أعطيناك الجماهر فصلِّ لربك وجاهر إن عدوك هو الفاجر

فقال ابن خليفة إنا أعطيناك العمود فصلّ لربك على العود وأنا كفيلك أن لا تعود

وادّعى رجل النبوة وادعى أنه نوح فصُلب فمَرّ به مجنون فقال: يا نوح لم تحصل من سفينتك إلا على دقل وتنبأ آخر في زمن الرشيد فضربه بالسياط فأخذ يصيح، فقال له المأمون اصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، فاستعبر الرشيد إعجاباً بقوله وتنبأ رجل فأمر بضربه والطواف به، فجعل يقول:

أنــــا مــــالــــي والـــنــــبـــوّة لــيـــس لـــي بـــالـــنـــاس قـــوّه

تـــركـــوا بـــطـــنـــي وظـــهـــري فـــيـــهـــمـــا عـــشـــرون كـــوّه

● متنبئٌ طالبَهُ سلطانٌ بمعجزته فتخلص

تنبأ رجل في زمن المأمون فقال أنا إبراهيم الخليل فأحضره وقال: إن إبراهيم أُلقي في النار فصارت عليه برداً وسلاماً، فهلمّ نلقيك في النار لنعرف معجزتك، فقال هات غير هذا، قال ائتني بمثل براهين موسى وعيسى عليهم السلام، قال جئتني بالطامة الكبرى قالوا: مالك معجزة، قال: سألتهم وقلت إنكم توجهوني إلى قوم شياطين فأعطوني حجة وإلا لم أذهب، فقال جبريل: أحدث في شؤم الساعة اذهب أولاً وانظر ما يقولون فضحك المأمون، وقال: هذا هاجت به السوداء فخلّوا عنه.

وتنبأ آخر في زمن الواثق فأدخل عليه وهو على بركة، فقال له: اضرب بعصاك هذا الماء حتى ينفلق، فقال حتى تقول أنا ربكم الأعلى. وقيل لآخر: ما معجزتك؟ قال ائتوني بجارية أحبلها حتى يكلمكم جنينها فقالوا هذه الشاة إن أحبلتها فأنت نبي، فقال أنتم تريدون تيساً لا نبياً. وقيل لآخر ما نبوتك؟ فقال: في حرام من يشك في نبوتي، فقال: عبادة أشهد سوءتك وتنبأ آخر في زمن المعتصم وقال: أحيي الموتى ائتني بسيف أضرب به عنق ابن أبي داود ثم أحييه، فقال ابن أبي داود آمنت بك وأتى المأمون بآخر فقال له: ما تقول؟ قال قال لي ربي لا تكلم المأمون بشيء واذهب إلى الهند فضحك وأطلقه وأتى المهدي بمتنبىء فقال له إلى مَنْ بعثت؟ فقال: أو تركتموني بعثت بالغداة فحبست بالعشي؟

(٥)

ومما جاء في مبدأ القرآن ونزوله

•

قال النبي ﷺ: بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً فرفعت رأسي فإذا بالملك الذي جاءني على كرسي بين السماء والأرض، فجئثتُ خديجة فقلت: زملوني زملوني فأنزل الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾[1] وعن جابر أن ذلك أول ما نزل.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أول ما نزل من الوحي ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾[2] و ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾[3]. وقال الزهري: أول آية نزلت في القتال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾[4]

وقال علقمة: كل ما في القرآن من قوله تعالى ﴿ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ﴾. فإنه نزل بالمدينة.

و ﴿ظَلِمُوا۟ ٱلنَّاسَ﴾ فإنه نزل بمكة.

وقيل: نزل القرآن جملة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل في عشرين سنة، وذلك قوله تعالى ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ ﴾[5] (الآية)

وقال البراء: آخر آية نزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾[6] وقال ابن عباس: آخر آية نزلت ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾[7] فمات ﷺ بعد نزولها بليال.

وقيل: آخر القرآن عهداً بالعرش آية الربا والوالدين.

• جَمْعُ المصاحفِ

كان رسول الله ﷺ إذا نزلت سورة قال: ضعوا هذه في الموضع الذي ذكر فيه كذا.

وروي أن عمر رضي الله عنه كان قد جمع القرآن في مصحف، كان عند حفصة وهو الذي أرسل مروان فيه وهو والي المدينة إلى عبد الله بن عمر يوم ماتت حفصة فأمر بإحراقه مخافة الاختلاف.

وقال أبو بكر إن عمر لما رأى القتل قد استحر بقراء القرآن يوم اليمامة قال: إني لأخشى أن يذهب قرآن كثير، وإني أرى أن يجمع القرآن. فقلت: كيف أفعل ما لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال: إنه لخير. فشرح الله صدري ففعلت.

---

(١) القرآن الكريم: المزمل/ ١.
(٢) القرآن الكريم: العلق/ ١.
(٣) القرآن الكريم: ن/ ١.
(٤) القرآن الكريم: الحج/ ٣٩.
(٥) القرآن الكريم: الإسراء/ ٦
(٦) القرآن الكريم: النساء/ ١٧٥
(٧) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٨١.

وقيل: أول من جمع القرآن بين لوحين أبو بكر رضي الله عنه. وقال زيد بن ثابت: دعاني أبو بكر وقال: إنك رجل شاب وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فاجمع القرآن واكتبه ففعلت.

قيل: أحرق عثمان رضي الله تعالى عنه مصحف ابن مسعود، وإن ابن مسعود كان يقول لو ملكت كما ملكوا لصنعت بمصحفهم كذلك، وأحرق مروان مصحف عمر رضي الله عنه. وقيل: القرآن ثلاثمائة ألف حرف وواحد وعشرون حرفاً، وهو ستة آلاف وستمائة وتسعٌ وتسعون آية.

● ما ادّعي أنه من القرآنِ ممّا لَيس في المُصْحَفِ وما ادّعي أنه منْهُ ولَيسَ فِيه

أثبت زيد بن ثابت سورتي القنوت في القرآن، وأثبت ابن مسعود في مصحفه لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب.

ورُوي: أن عمر رضي الله تعالى عنه قال: لولا أن يقال زاد عمر في كتاب الله تعالى لأثبت في المصحف، فقد نزلت: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله شديد العذاب.

وقالت عائشة: لقد نزلت آية الرجم ورضاع الكبير وكانتا في رقعة تحت سريري وشغلنا بشكاة رسول الله ﷺ فدخلت داجن فأكلته. وقال علقمة: أتيت الشام فجاءه رجل فقعد إلى جنبي فقيل لي: هو أبو الدرداء، فقال: ممن أنت؟ قلت: من الكوفة، قال: أولم يكن فيكم صاحب السواك والنعلين والمطهرة يعني ابن مسعود، قلت: نعم فقال: أتحفظ كيف كان يقرأ والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى؟ قلت: نعم هكذا أقرأنيه رسول الله ﷺ وفوه إلى فيّ فما زال هؤلاء بي حتى كادوا يردونني عنهما.

وأثبت ابن مسعود بسم الله في سورة البراءة. وقالت عائشة: كانت الأحزاب تقرأ في زمن رسول الله ﷺ مائة آية، فلما جمعه عثمان لم يجد إلا ما هو الآن. وكان فيه آية الرجم وأسقط ابن مسعود من مصحفه أم القرآن والمعوذتين.

● قراءةٌ تخالِفُ صورةُ حروفِها ما في المُصْحَفِ أو ترتيبها

قرىء بدل كالعهن كالصوف، وبدل فهي كالحجارة فكانت كالحجارة. وذكر بعض العلماء أن ابن عباس كان يجوز أن يقرأ القرآن بمعناه، واستدل بما روي عنه أنه كان يعلم رجلاً طعام الأثيم فلم يكن يحسن الأثيم فقال: قل الفاجر. وليس ذلك بشيء فيما ذكره جلّ العلماء، لأن ابن عبّاس أراد أن يعرفه الأثيم معرفه بمعناه لما أعياه، وقُرىء بدل والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهم فاقطعوا أيمانهما

وكان عمر يقرأ غير المغضوب وغير الضالين، وعبد الله بن الزبير صراط من أنعمت عليهم. وقرأ بعضهم: وضربت عليهم المسكنة والذلّ، وأبو بكر رضي الله تعالى عنه وجاءت سكرة الحق بالموت.

● ما رُوِيَ فيهِ زيادةٌ

قرىء: اصبروا وصابروا ورابطوا بعضهم. وقرأ بعضهم: وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم. وقرأ بعضهم إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة أنثى. وقرىء: السارقون والسارقات فاقطعوا أيديهما.

وقرأ ابن عباس: أن لا يطوف وليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج عبد الله: فلا إثم عليه لمن اتقى. وعن أبي ذرّ: فإن فاءوا فيهن فإن الله غفور رحيم. وقوله: حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر. وقرأ سعد: وإن كان له أخ أو أخت من أبيه ومثل هذا كثير فنقتصر على هذا القدر منه.

● ما في القُرآنِ مِنْ تغييرِ الكِتابةِ

كان القوم الذين كتبوا المصحف لم يكونوا قد حذقوا الكتابة فلذلك وضعت أحرف على غير ما يجب أن تكون عليه. وقيل: لما كتبت المصاحف وعرضت على عثمان وجد فيها حروفاً من اللحن في الكتابة، فقال: لا تغيروها فإن العرب ستغيرها أو ستعربها، ولو كان الكاتب من ثقيف والمملي من هذيل لم يوجد فيه هذه الحروف.

● ما سدَّ منه لَحْناً

عن ابن عروة عن أبيه قال: سألت عائشة عن لحن القرآن عن قوله: إن هذان لساحران، وعن قوله: والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة، وعن قوله: إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون، فقالت: يا ابن أختي هذا عمل الكتّاب أخطأوا في الكتابة.

● الرخصةُ في اختلافِ القراءاتِ

كان عمر رضي الله عنه يقول: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأها، وكان رسول الله ﷺ أقرأنيها فأخذت بثوبه فذهبت به إلى رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعته يقرأ القرآن على غير ما أقرأتني فقال: إقرأ. فقرأت فقال ﷺ: هكذا أنزلت، ثم قال لهشام: إقرأ فقال ﷺ: هكذا أنزلت. ثم قال: إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه.

وفي خبر أنه ﷺ قال: إن جبريل وميكائيل أتياني فقعد جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري، فقال جبريل: إقرأ القرآن على حرف فقال ميكائيل استزده حتى بلغ سبعة أحرف وكل حرف شاف كاف.

● تعظيمُ القرآنِ

رأى عمر رضي الله عنه مصحفاً بخطٍّ دقيق، فقال: ما هذا؟ فقيل: القرآن كله. فضرب صاحبه، وقال: عظموا كتاب الله. وكان أمير المؤمنين يكره أن يكتب القرآن في الشيء الصغير.

وكان ابن عبّاس إذا رأى مصحفاً قد فضض أو ذُهِّب يقول: أتغرون به السارق وزينته في جوفه. وقال أبو ذر: إذا حلّيتم مصاحفكم وزخرفتم مساجدكم فالدمار عليكم.

وقال مالك والشافعي رضي الله عنهما: لا يمس القرآن إلا طاهر. قال الله تعالى: لا يمسه إلا المطهرون. وكان الشعبي لا يرى بأساً أن يأخذ بغلافه وهو على غير وضوء. وقال ﷺ: لا توسدوا القرآن واتلوه بالليل والنهار.

● فضلُ قراءةِ القرآنِ

قال النبي ﷺ: إن العبد إذا قرأ مصحف كتبه أمسك كما أنزل. وكان ابن مسعود يقول: من ختم القرآن فله دعوة مستجابة. وقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾[1] قال ابن عباس: يتبعونه حق اتباعه. وقال تعالى في ذم قوم: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾[2]. قال الشعبي: أما إنه كان بين أيديهم ولكن نبذوا العمل به. وقال ﷺ: قراءتك في المصحف تزيد على قراءتك ظهراً كفضل المكتوبة على النافلة.

● تعظيمُ قرّاءِ القرآنِ

قيل: عظموا من رفعه الله بالقرآن، وقال ﷺ: إنّ من تعظيم الله إجلال ثلاثة: الإمام المقسط وذي الشيبة وحامل القرآن لا الغالي فيه ولا الجافي فيه. وكان عمر رضي الله عنه يجري على كل حافظ قرآن مائة دينار.

● فضلُ تعلُّمِ القرآنِ وتعليمِهِ

روي عن النبي ﷺ: إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا مأدبته. وروي عنه: خياركم من تعلم القرآن وعلمه. وقال عقبة بن عامر: خرج علينا رسول الله ﷺ وكنا في الصفة فقال: أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو العقيق فيأخذ كل يوم ناقتين كوماوين زهراوين في غير إثم ولا قطيعة رحم؟ فقلنا: كلّنا يا رسول الله. قال: فلأن يغدو أحدكم كل يوم إلى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين ومن ثلاث. وقيل: في قوله تعالى ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾[3] وبالإسلام والقرآن.

---

(١) القرآن الكريم: المائدة/ ٢٧.

(٢) القرآن الكريم: آل عمران/ ١٨٧.

(٣) القرآن الكريم: يوسف/ ٥٨.

● الرُّخصةُ في أخذِ الأجرةِ بتعليمه

ممّا يدل على الرخصة في ذلك ما روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن نفراً من أصحاب النبي ﷺ مروا بحيٍّ من أحياء العرب فلدغ رجل منهم، فقالوا: هل فيكم من راق فرقاه رجل بأم الكتاب فأعطي قطيعاً من الغنم؟ فقدموا على النبي ﷺ فأخبروه، فقال: من أخذ برقية باطل فقد أخذت برقية حق. اضربوا معكم بسهم وقال ﷺ: تعلموا القرآن وسلوا الله به من قبل أن يتعلمه قوم يسألون به الدنيا، فإن القرآن يتعلمه ثلاثة نفر: رجل يباهي به ورجل يستأكل به ورجل يقرأه لله. وأقرأ أبي رجلاً من اليمن سورة فأعطاه فرساً، فقال: إن كنت تريد أن تقلد سيفاً من النار فخذها.

● الجهرُ والمُخافتةُ

مر ﷺ بأبي بكر وهو يخافت وبعمر يجهر فسألهما فقال أبو بكر: إني أسمع من أناجي فقال ﷺ: إرفع شيئاً. وقال عمر: أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان فقال: أخفض شيئاً كأنه ذهب إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾[1]

● المدةُ التي يُسْتَحَبُّ فيها الخَتْمُ

سأل قيس بن صعصعة النبي ﷺ في كم أقرأ القرآن؟ قال: في كل خمس عشرة قال: إني أجد فيَّ أقوى من ذلك. قال: ففي كل جمعة. وقال سعد بن المنذر الأنصاري للنبي ﷺ أقرأ القرآن في كل ثلاث، قال: نعم إن استطعت. وكان سليمان يقرأ القرآن في كل ليلة ثلاث مرات، يقعد في كل مرة ويجامع امرأته ويغتسل، فلما مات قالت رحمك الله إن كنت لترضي ربك وأهلك. وكان عمر رضي الله تعالى عنه يقرأ القرآن في ركعة.

● تَحقيقُ القُرآنِ والتَّغنّي به

قال ابن مسعود رضي الله عنه: أعربوا القرآن فإنه عربي. وقال أبو بكر: لأن أعرب آية من القرآن أحب إليّ من أن أحفظ آية. وقال عمر: تعلموا إعراب القرآن كما تتعلمون حفظه. وقال ﷺ: زينوا القرآن بأصواتكم ودخل ﷺ المسجد فسمع صوت رجل فقال: من هذا؟ قيل عبد الله بن قيس فقال: لقد أوتي هذا من مزامير آل داود.

وكان عمر إذا رأى أبا موسى يقول: ذكرنا ربنا فيقرأ عنده وقول النبي ﷺ ليس منا من لم يتغن بالقرآن، فقد تأوّلوه على هذا وعلى الاستغناء. وكره بعض الفقهاء التحدّث بهذا الحديث كراهة أن يتأوّل على الألحان المكروهة، فقد روي عن النبي ﷺ: أن قوماً يتخذون القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليس بأفقههم وأعلمهم ليغنّيهم به غناء.

وقال الهيثم العلاف: قرأت عند المنصور فقال: ما لكم أهل البصرة أقرأ

(١) القرآن الكريم. البقرة/ ١٢٦

البلاد، فقلت: إن أهل الحجاز قرأوا على النصب غناء العرب، وأهل الشام قرأوا على قراءة الرهبان، وأهل الكوفة قرأوا على قراءة النبط، والبصرة على الخسرواني غناء فارس.

• النَّهْيُ عن المِرَاءِ فيه وَعَنْ تَفْسِيرِهِ

قال ﷺ: لا تماروا في القرآن فإن المراء فيه كفر. وسأل أبو بكر عن قوله تعالى ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾[1]، فقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني؟، إن قلت في كتاب الله بما لا أعلم.

• التَّداوي بالقُرآنِ

قالت عائشة: كان النبي ﷺ إذا مرض يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث. وكان الحسن يكره أن يغسل القرآن ويسقى. وسئل إبراهيم عمّن حُمَّ فعلق عليه تعويذ فيه ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا﴾ (الآية)، فكرهه. وسئل عطاء عن الرجل يعلق عليه شيئاً من القرآن فقال: ما سمعنا بكراهة ذلك إلا منكم معاشر أهل العراق.

• الحُذَّاقُ بالقُرآنِ

المشهور منهم ثلاثة: عبد الله بن مسعود وأبي وزيد. وقال ﷺ: من أحب أن يقرأ القرآن غضاً فليقرأه على قراءة ابن أم عبد. وقال ابن مسعود: كنّا مع رسول الله ﷺ وأنزلت والمرسلات عرفاً فأخذتها رطبة من فيه، وهو أول من جهر بقراءة القرآن بمكة. وأقرأ معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه. وروي أنه ﷺ قال: أقرأكم أبي وقال له النبي ﷺ: أمرت أن أعرض عليك القرآن. فقال أبي: سماني لك ربك قال: فبفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون. وقال له: أي آية في كتاب الله أعظم؟ فقال: الله لا إله إلا هو الحي القيّوم. فضرب في صدره، وقال: ليهنك العلم أبا المنذر، وإنما أخذ الناس بقراءته لكونه كان آخر من يقرأ على رسول الله ﷺ. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إنا نأخذ بالآخر من قول رسول الله ﷺ وفعله.

• بَيْعُ المَصاحِفِ

بيعت المصاحف في زمن معاوية، وكره ابن عمر بيع المصاحف. وقال ابن عباس: اشتر المصاحف ولا تبعها. وسئل بعض الفقهاء عن ذلك، فقال: كان حبرا هذه الأمة لا يريان ببيعها بأساً: الحسن والشعبي.

---

(1) القرآن الكريم: عبس/ ٣١.

(٦)
ومِمَّا جاءَ في العباداتِ

•

• الطَّهارَةُ والوُضُوءُ

قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾[1]. وسئل ﷺ عن البحر فقال: الحلُّ ميتته الطهور ماؤه. وقال: من لم يطهره البحر فلا طهارة له. وقال ﷺ: خلق الماء طهوراً لا ينجسه شيء إلا ما غيَّر طعمه ولونه.

• دِبَاغُ الجُلُودِ

قال ﷺ: أيما إهاب دبغ فقد طهر، ومرَّ بشاةٍ لميمونة وقد ماتت فألقيت، فقال: هلا أخذتم إهابها فدبغتموه فانتفعتم به. وقال ﷺ: لا بأس بجلد الميتة إذا دبغ ولا بصوفها إذا غسل بالماء، واعتبر الحربي الغسل في الشعر. وقال الشافعي: نجس غسل أو لم يغسل.

• تحليلُ الأواني وتحريمُها

قال ﷺ وقد خرج على أصحابه وفي إحدى يديه حرير وفي الأخرى ذهب، فقال: هذان حرامان على ذكور أمتي حلٌّ لإناثها. وقال ﷺ: من شرب في آنية من فضة فإنما يجرجر في بطنه نار جهنم.

• السِّواكُ

قال ﷺ: مالكم تدخلون عليَّ قلحاً استاكوا. وقال: لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة. وقال: طهروا أفواهكم فإنها ممر القرآن. وقيل: السواك مطهرة للفم، مجلبة لشهوة الطعام، جلاء للأسنان مطلق للسان، وعن ابن عباس: فيه عشر خصال: مرضاة للرب ومسخطة للشيطان ومفرحة للملائكة ومشد للثة وذاهب بالحفر وجلاء للبصر ومطيب للفم ومقلٌّ للبلغم وهو من السنة ومما يزيد في الحسنات.

• التغوُّطُ والإستنجاءُ

قال النبي ﷺ: لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها بغائط أو بول، ثم رؤي جالساً على لبنتين مستقبل بيت المقدس، فقيل: إن الإستدبار منسوخ. وقيل لم ينسخ وإنما النهي في الصحراء دون البيوت. وقال ﷺ: إتقوا الملاعن وهو التغوط على قارعة الطريق. وقال: من استجمر فليوتر ومن لا فلا حرج.

وقال سلمان رضي الله عنه: نهانا النبي ﷺ أن نجتزي بأقل من ثلاثة أحجار نستطيب

---

(١) القرآن الكريم: الأنفال/١١.

بهن ونهى عن الروث والرمة، وقال: إنه زاد إخوانكم من الجن. وقال: إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء، وإذا أتى الخلاء فلا يمس ذكره بيمينه ولا يتمسّح بيمينه.

وأهدى أعرابي إلى عبد الملك شيئاً فقال: كيف أقبله منك وأنت لا تحسن أن تطوف أي تقضي حاجتك؟ فقال: إني لأطيل المشي حتى أتوارى كراهة أن أرى ولا أستقبل الريح وأجتنب القبلة وأستتر بالموجود وأقدم رجلاً وأؤخر أخرى وأفج إفجاج الثعلب وأتمسح بالحجر والمدر وأجتنب الروث والرمة، فقال عبد الملك: أنت نبيل أصيل فقيه، وقبل هديته وأجزل عطيته.

وكان ﷺ إذا دخل الخلاء يقول: اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث. وروي: أعوذ بك من الرجس النجس الشيطان الرجيم، ولم يكن يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض.

● الوُضوءُ

اعتبر الشافعي رضي الله عنه النيّة في الوضوء لقوله ﷺ: الأعمال بالنيات، والتسمية مستحبة لقوله: إذا تطهر أحدكم فليذكر اسم الله فإنه يطهر جسده وإن لم يذكر اسم الله لم يطهر إلا ما مرّ عليه الماء. وقال ﷺ: لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله وقال: بالغ في الإستنشاق إلا أن تكون صائماً. وقال: خللوا الشعر وأنقوا البشرة فإن تحت كل شعرة جنابة.

وتوضأ ﷺ مرة مرة وقال: هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به، ومن توضأ مرتين فهو أفضل ثم ثلاث مرات وقال: هذا وضوئي ووضوء الأنبياء قبلي. ورأى ﷺ قوماً تلوح عراقيبهم ما يصيبها الماء فقال: ويل للعراقيب من النار. وكان عبد الله بن رواحة وقع على جارية له ورأته امرأته فأنكر، فأمرته أن يقرأ القرآن، فقال:

شهدتُ بأنَّ وعدَ الله حقٌّ ... وأنَّ النارَ مأوى الكافرينا

فقالت: صدق الله وكذب بصري ثم أخبر النبي عليه السلام فضحك ولم ينكره.

● كراهةُ صبِّ ماءِ الوَضُوءِ على الإنسان

كان الرضا عند المأمون فلما قرب وقت الصلاة رأى الخدم يأتونه بالطشت والماء فقال الرضا: لو توليت هذا من نفسك، لأن الله تعالى يقول: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[1] فقال: سمعاً وطاعة، وأمر الغلمان بانصرافهم وقد أجازوا ذلك. ووضع لرسول الله ﷺ وضوء فقال: من صنع هذا؟ فقيل ابن عباس فقال: اللهم فقهه في الدين.

● وُضوءُ العربِ والحمقَى

كان أعرابي إذا توضأ قدم غسل وجهه على إسته، ويقول: لا أقدّم السوءة على

(١) القرآن الكريم: الفرقان/ ٤٨.

الوجه. وقال أبو مهدية: كنا نتوضأ وضوءة تكفينا لأسبوع والأسبوعين حتى جاءنا هذا الوالي يأمرنا أن نليق كل يوم استاهنا إلاقة السوق فأفسد علينا ما كنا فيه، وانتقص أعرابي ثم أقبل فقيل له: ألا تمس ماء فتنظف به، فقال هبوني غسلت ظاهرها فكيف أصنع بباطنها. وقال أعرابي: إني لأسبغ الوضوء وما تقع على الأرض مني قطرة. وكان بعض الناس يعاتب ابنه في تركه الوضوء والصلاة، فلما أكثر عليه، قال: يا أبت إما أن أتوضأ ولا أصلي أو أصلي ولا أتوضأ.

● نَقْضُ الوُضُوء

قال النبي ﷺ: إذا وجد أحدكم في بطنه شيئاً فأشكل عليه أخرج منه شيء أم لا، فلا يخرجنّ من المسجد حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً. وقع الخلاف بين الصحابة رضي الله عنهم في التقاء الختانين من غير إنزال، فقال بعضهم: لا يجب عليه الغسل لقوله ﷺ: إنما الماء من الماء. وقال بعضهم يجب. فبعث عمر إلى عائشة رضي الله عنها فقالت: قال ﷺ: إذا التقى الختانان وجب الغسل، فقال عمر: لئن بلغني عن أحد أنه فعل ذلك ولم يغتسل عاقبته.

● سُؤرُ الكلبِ

قال ﷺ: إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبع مرات أولاهن أو أخراهن بالتراب.

● التنزّه من البول وغسله

قال ابن عبّاس: مرّ رسول الله ﷺ بقبرين فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان في كثير أما أحدهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة، ثم أخذ جريدة رطبة فشقّها نصفين فغرز في كل قبر واحدة ثم قال لعلهما يخفف عنهما ما لم ييبسا.

● المَنِيّ

قالت عائشة رضي الله عنها: كان ﷺ إذا أصاب ثوبه المني غسله وكأني أنظر إلى البقع في ثوبه من أثر الغسل. ورآه ﷺ في ثوب رجل فقال أمطه عنك بإذخرة[1].

● فَضْلُ مَنْ بَاتَ على الوُضوء

قال ﷺ: إذا أتيت مضجعك فتوضأ للصلاة ثم اضطجع على شقّك الأيمن، وقل اللهم أسلمت وجهي إليك وفوّضت أمري إليك والجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت فإن متّ في ليلتك متّ على الفطرة.

---

(١) الإذخرة: واحدة الإذخر، وهو نبت طيب الرائحة، والإذخر الحشيش الأخضر.

● الحَيضُ

قالت عائشة كنت إذا حضت يأمرني ﷺ أن أتزر ثم يباشرني وأيكم يملك أربه كما كان ﷺ يملك أربه.

● التيمُّم

قال الله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾[1]. وقال ﷺ: التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين وقال ﷺ: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً. وجاء رجل إلى عمر بن الخطاب وقال: إني أجنبت فلم أصب الماء، فقال عمار بن ياسر لعمر رضي الله عنهما: أما تذكر أنا كنا في سفر فأجنبت أنا وأنت فأما أنت فلم تصل وأما أنا تمعكت في التراب فصليت، فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له فقال لي إنما كان يكفيك هكذا. وضرب بكفيه الأرض ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه.

(٧)

وَمِمَّا جاءَ فِي الصلاةِ

● الحثُّ على عِمارةِ المساجد

قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[2]. وقال ﷺ إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان، لأن الله تعالى قال إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله (الآية)

وقال أبو بكر رضي الله عنه: من بنى مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة. وقال الحسن مهور الحور العين في الجنة كنس المساجد وعمارتها. وروي أن مسجد النبي ﷺ في عهده كان مبنياً باللبن وسقفه الجريد وعمده خشب النخل، فلم يزده أبو بكر، وبناه عمر كما كان في عهده ﷺ، ثم غيّره عثمان وزاد فيه زيادة كثيرة وبنى جداره من الحجارة المنقوشة والقصة، وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه من ساج

وقال ﷺ جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم ورفع أصواتكم وخصوماتكم وإقامة حدودكم وسلّ سيوفكم وشراءكم وبيعكم. ولما حصب عمر المسجد قال هو أعفر للنُّخامة[3].

● فَضْلُ القعودِ في المساجدِ

قال أبو الدرداء لابنه ليكن المسجد بيتك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول

---

(١) القرآن الكريم: الكهف/ ١١٠.

(٢) القرآن الكريم: التوبة/ ١٨.

(٣) النخامة: ما يدفعه الإنسان من صدره أو أنفه

المساجد بيوت المتقين وقال ﷺ ترهب أمتي الجلوس في المساجد وقيل. المسجد مجالس الكرام

وقال بعض الأنصار: من أتى المسجد وجد فيه ثماني خلال أخاً مستفاداً وعلماً مستطرفاً وآية محكمة ورحمة منتظرة وكلمة ترده عن ردىء وترك الذنوب حياء وخشية وقال ﷺ: الملائكة يصلون على أحدكم ما دام في المسجد الذي صلى فيه. يقولون: اللهم أغفر له اللهم تب عليه ما لم يؤذ فيه أو يحدث فيه.

● أوقاتُ الصلواتِ

قال الله تعالى ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾[1]. وقال ﷺ: إذا زالت الشمس فصلوا. وصلى جبريل بالنبي ﷺ لما صار ظل كل شيء مثله. وصلى في اليوم الثاني لما صار ظل كل شيء مثليه، وقال يا محمد ما بين هذين وقت. وقال ﷺ: إذا اشتد الحر فأبردوا بالظهر فإن شدة الحر من فيح جهنم. وروي أنا كنا نصلي العصر ثم يرجع أحدنا إلى أقصى المدينة والشمس حية. وقال: لا تزال أمتي بخير ما لم يؤخروا المغرب إلى اشتباك النجوم فإذا غربت فقد وجبت الصلاة

وقال لولا أن أشق على أمتي لأخرت العشاء إلى نصف الليل. وعن أنس أن النبي ﷺ أخر العشاء الآخيرة إلى نصف الليل ثم صلى بنا ثم قال قد صلى الناس وناموا أما أنكم أن تزالوا في صلاة منذ انتظرتموها.

● أوقاتُ الضرورةِ للصلاةِ

قال ﷺ: من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك الصلاة، وروي من أدرك ركعة من الصبح قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك الصبح، ومن أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك العصر

● الأوقاتُ المَنْهي فيها عن الصَّلاةِ

نهى النبي ﷺ عن الصلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس، وعن الصلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس.

وقال ﷺ: لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها فإنها تطلع بين قرني شيطان. وقال: إذا برغ حاجب الشمس فدعوا الصلاة وإذا غاب حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تغرب الشمس. وروت عائشة رضي الله عنها ما ترك النبي ﷺ ركعتين بعد الصلاة في بيتي قط

---

(1) القرآن الكريم: الإسراء/ ٧٨.

(٨)
بابُ الأذان

●

روي عن بلال أنه قال: أمرني النبي ﷺ أن أؤذن للفجر بالليل. وروي أنه غاب ليلة عن أصحابه ومعه أخو صدى فلما كان وقت السحر، قال: قم فأذن. فما زلنا ننتظر الصبح بعد ذلك حتى جاء بلال فأراد أن يقيم، فقال ﷺ: إن أخا صدى قد أذّن وإنما يقيم من أذن.

وروي أنه ﷺ أمر بلالاً بالترجيع. وقال ابن عمر رضي الله عنهما: كان الأذان على عهد رسول الله ﷺ مثنى مثنى والإقامة مرة مرة، غير أنه يقول قد قامت الصلاة مرتين.

وكان عثمان رضي الله عنه يقول إذا سمع الأذان: مرحباً بالقائلين عدلاً وبالصلاة مرحباً وأهلاً. وروي أن المسلمين لمّا قدموا المدينة كانوا يجتمعون فيتحينون الصلاة وليس ينادى بها فقال بعضهم: اتخذوا ناقوساً كناقوس النصارى. وقال بعضهم قرناً كقرن اليهود، فقال عمر رضي الله عنه: أولا تبعثون رجلاً ينادي بالصلاة؟ فقال رسول الله ﷺ: ناد بالصلاة فأمره أن يشفع الأذان ويوتر الإقامة.

● التّخفّفُ في الأذانِ

قيل: استؤجر رجل في قرية على أن يؤذن بعشرة دراهم، فاسترادهم، فقالوا: ليس لنا ما نزيدك ولكن قد سامحناك في حيّ على الفلاح فلا معنى له مع قولك حي على الصلاة.

وقال بعضهم: مررت برجل يقول في أذانه أشهد أن لا إله إلا الله وهم يشهدون أن محمداً رسول الله فقلت: مالك لا تشهد شهادتهم؟ فقال: إنه يهودي مستأجر. وقال بعضهم: دخلت قرية فحان وقت الصلاة فدخلت مسجدها، فأذنت وأقمت وصليت بجماعة منها دخلوا المسجد، فلما سلمت ودعوت قال أحدهم: أمسلم أنت أم يهودي؟ فقلت: هل رأيت يهودياً صلّى بمسلمين؟ قال: إنما نقول لأن يهودكم خير من مسلمينا.

● الواجبُ من الصلاة

قال أبو حنيفة رضي الله عنه: الوتر واجب ولم يوجبه غيره واستدلّ بما روي عن النبي ﷺ أنه قال: إنّ الله تعالى زادكم صلاة ألا إنها هي الوتر فأوتروا. وروي أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فسأله عن الصلاة الواجبة عليه فذكرها له، فقال: هل علي غيرها فقال لا إلا أن تتطوع. وروي أن أعرابياً قال للنبي ﷺ بعد أن علمه الصلاة: هل عليّ غيرها؟ قال لا، قال: والله لا أزيد فيها ولا أنقص، فقال: أفلح إن صدق. وروي الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله. وروي من ترك صلاة العصر فكأنما حبط عمله.

● الحثُّ على صلاةِ الجَماعة

قال ﷺ: لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد. وقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا

﴿يَمْنَعُهُمْ مَنكِبِهِمْ أَقْوَمَ﴾[1] أي بالسعي إليها والصلاة فيها.

● الصَّلاةُ في المطرِ

خطب ابن عباس في يوم جمعة، وكان ذا مطر، فأمر المؤذن أن يؤذن فلما قال: حي على الصلاة. قال: أمسك وأذن، الصلاة في الرحال[2]، فنظر القوم بعضهم إلى بعض فقال: قد أنكرتم ذلك قد فعله خير مني ومنكم فإنها عزمة، وإني كرهت أن أحرجكم. وقال ﷺ: إذا ابتلت النعال فالصلاة في الرحال.

● القراءةُ في الصلاةِ

قال الله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾[3]، قيل: عنى ذلك في الصلاة. وقال ﷺ: لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب. وروى أبو سعيد الخدري أنه ﷺ قال في كل ركعة قراءة فمن لم يقرأ في جميع الركعات فلا صلاة له. وقال: إذا أمن الإمام فأمنوا.

● رَفْعُ اليدينِ والذِّكْرُ

روى جابر أن النبي ﷺ كان يرفع يديه إذا افتتح الصلاة وإذا ركع وإذا رفع رأسه من الركوع. وقال: إذا سجد أحدكم فليبدأ بركبتيه قبل يديه، ولا يبرك بروك الجمل. وقال: مكّن وجهك من الأرض حتى تجد حجم الأرض. وقال: أمرت أن أسجد على سبعة آراب.

● التشهدُ والتسليمُ

قال النبي ﷺ: إذا قعد أحدكم في الصلاة فليقل: التحيات إلى آخره. وروي أنه كان يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن. وقال ﷺ: تحريمها التكبير وتحليلها التسليم.

● سترُ العورةِ في الصَّلاةِ

قال الله تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[4] قيل المراد بها في الصلاة لإجماع الناس أن أخذ الزينة لأجل المكان لا يجب. وسأل سلمة بن الأكوع النبي ﷺ قال: ربما أكون في الصيد وليس عليّ إلا ثوب واحد وأريد الصلاة فقال: زره لو بشوك. ولما سئل عن جواز الصلاة في الثوب الواحد، قال: أوكلكم يجد ثوبين، وقال: غطّ فخذك فإنها عورة. وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه: لا تكشف فخذك ولا تنظر إلى فخذ حيّ ولا ميت. وقال: إذا زوج أحدكم عبده من أمته فلا ينظر إلى ما بين سرته وركبتها فإن ذلك عورة من كل مسلم ونهى النبي ﷺ الرجل عن اشتمال الصماء وهو أن يجعل الثوب على أحد عاتقيه.

---

(١) القرآن الكريم: التوبة/ ١٩

(٢) الرحال: جمع رحل وهو ما يجعل على ظهر البعير كالسرج، وما تستصحبه من الأثاث في السفر، والرحال الطنافس المصنوعة بالحيرة.

(٣) القرآن الكريم: المزمل/ ٢٠ (٤) القرآن الكريم: الأعراف/ ٣٠.

● الكَلامُ في الصَّلاةِ

روى أبو هريرة أن النبي ﷺ تكلم بالمدينة فسهى، وروى زيد بن أرقم قال: كان الرجل منا يتكلم خلف رسول الله ﷺ فيدخل الداخل فيقول بكم سبقت، حتى أنزل الله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[1]، فأمرنا بالسكوت. وقال النبي ﷺ: إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الآدميين إنما هي قراءة وتسبيح.

● إعادةُ الصلاةِ لِمَنْ حَضَر الجَماعة.

رُوِي أن النبي ﷺ صلى صلاة الفجر فلما فرغ رأى رجلين خلف الصف فقال: ما منعكما أن تصليا معنا؟ قالا: كنا قد صلينا في رحالنا فقال إذا جئتما فصليا وإن كنتما قد صليتما تكون الأولى فريضة والثانية سنة.

● إعادةُ الصلاةِ

قال النبي ﷺ: من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها لا كفارة إلا ذلك لقوله تعالى ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾[2].

● سجودُ التلاوة والشُكْرُ

قيل: سجدات القرآن أربع عشرة، وقال مالك: ليس في المفصل سجود. وروى أبو هريرة أن النبي ﷺ كان يسجد في ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾[3] واقرأ ﴿بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾[4]. وروى عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال ﷺ: في الحج سجدتان فمن لم يسجدهما فلا يقرأهما. وروى عبد الرحمن بن عوف أن النبي ﷺ سجد فأطال السجود فقال: بشرني جبريل أن من صلى عليك واحدة صليت عليه عشراً فسجدت هذه السجدة شكراً لله تعالى.

● الشَكُّ في الصَّلاةِ

قال ﷺ: من شك في صلاته فلم يدر ثلاثاً صلى أم أربعاً فليصل أخرى، فإن كانت رابعة فقد تمت صلاته وإن خامسة كانت الركعة والسجدتان ترغيماً للشيطان. وروي عنه أنه صلى الظهر خمساً فلما أن سلم قيل له: أحدث في الصلاة حدث؟ قال وما ذاك؟ فقيل له في ذلك فثنى رجله وسجد سجدتي السهو.

● المرورُ بين يدَي المصلي والاعتراضُ بينه وبَيْنَ القبلَةِ

روي أن أبا سعيد كان يصلي فمرّ رجل من آل أبي معيط بين يديه فمنعه، فأبى أن ينتهي، فمنعه فأبى فدفع في صدره. قال ومروان يومئذ على المدينة فشكا إليه، فقال مروان لأبي سعيد، فقال أبو سعيد قال رسول الله ﷺ: إذا مر بين يدي أحدكم شيء وهو يصلي

---

(1) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٣٨.
(2) القرآن الكريم: طه/ ١٤.
(3) القرآن الكريم: الانشقاق/ ١.
(4) القرآن الكريم: العلق/ ١.

فليمنعه، فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان. وبي كنت نهيته فأبى أن ينتهي. وروي أن النبي ﷺ كان يصلّي وعائشة معترضة بينه وبين القبلة على الفراش الذي ينامان عليه.

وذكر بعد ذلك عند عائشة أنّ الصلاة يقطعها الكلب والحمار والمرأة، فأنكرت ذلك لما كانت تعلم من حالها. وكان ﷺ يحمل أمامة بنت زينب على عاتقه فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها.

● **التوجُّهُ للقِبلةِ**

قال البراء: قدم رسول الله ﷺ المدينة فصلى للقدس ستة عشر شهراً أو سبعة وكان ﷺ يحب أن يتوجه نحو القبلة فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ..﴾[1] (الآية) فمرّ رجل من الذين انحرفوا معه للقبلة بقوم من الأنصار يصلون للقدس، **فقال:** أشهد لقد تحولت القبلة للكعبة، فانحرفوا في صلاتهم نحو الكعبة فقالت اليهود ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ فقال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾[2] الآية وكان ﷺ يصلي على راحلته حيث توجهت فإذا أراد الفريضة نزل فاستقبل.

● **رَميُ البزاقِ في الصَّلاةِ**

رأى النبي ﷺ نخامة[3] في الصلاة فشق ذلك عليه حتى رؤي في وجهه، فقام فحكه، **وقال:** إنّ أحدكم إذا قام في صلاته فإنما يناجي ربه وإن ربه بينه وبين القبلة فلا يبصقن في قبلته ولكن عن يساره أو تحت قدمه ثم أخذ طرف ردائه فبصق فيه ثم رد بعضه إلى بعضه فقال أو يفعل هكذا.

● **الصلاةُ خَلفَ كلِّ مُسْلِم**

قال ﷺ: صلوا خلفَ كل برّ وفاجر. وكان ابن عمر رضي الله عنه يصلّي مع الحجاج فقيل له في ذلك، **فقال:** إذا دعونا إلى الصلاة أجبناهم وإذا دعونا إلى الشيطان تركناهم.

● **القصرُ في الصَّلاةِ**

قال الله تعالى: لا ﴿عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾[4] وسئل رسول الله ﷺ ما بالنا نقصر وقد أمنا؟ **فقال:** صدقة تصدق الله بها عليكم. **وروي:** أنا سافرنا مع النبي ﷺ فمنا من أتم ومنا من قصر فلم يعب بعضنا بعضاً.

● **غسلُ الجُمُعَةِ وَفَضْلُهُ**

قال النبي ﷺ: من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما

---

(1) **القرآن الكريم** البقرة/ ١٤٤.
(2) **القرآن الكريم** البقرة/ ١٤٢.
(3) **النخامة**: ما يدفعه الإنسان من صدره أو أنفه.
(4) **القرآن الكريم**، التوبة/ ١٩.

قرب كبشاً، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة.

● وُجُوبُ الجُمُعَةِ

قال النبي ﷺ: إن الله فرض عليكم الجمعة في عامكم هذا في شهركم هذا في يومكم هذا إلا من تخلف عنها في حياتي أو بعد وفاتي، ألا لا جمع الله شمله ولا بارك له في أمره. ألا لا صلاة له، ألا لا زكاة له، ألا لا حج له. وقال: الجمعة واجبة على كل مسلم إلا امرأة أو صبياً أو مملوكاً. وقال: من ترك ثلاث جمعات متواليات طبع الله على قلبه.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه من عسى أن الليل يؤويه إلى أهله فليشهد الجمعة. وقال: إذا جاء أحدكم الجمعة والإمام يخطب فليصلّ ركعتين قبل أن يجلس.

● النهيُ عن تأخيرِ الصَّلاةِ عن وَقْتِها

قال ﷺ: الصلاة في أول الوقت رضوان الله وفي آخر الوقت عفو الله. وقال وكيع من لم يأخذ أهبة الصلاة قبل وقتها فما وقرها. وقال رجل لابنه وهو مسافر: إياك وتأخير الصلاة عن وقتها فإنك تصليها لا محالة فصلها وهي تقبل. وقام بشر المريسي من مجلس المأمون للصلاة، فقال له علي بن صالح: أتقوم وأمير المؤمنين جالس؟ فقال: هذا وقت ليس لمخلوق فيه طاعة، فقال المأمون: صدق. وكان الحجاج يخطب فأطال، فقام إليه رجل، فقال: إن الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك. وقال ثعلب: ما يكاد وقت الصلاة إلا تذكرت قول أبي تمام:

وأحق الفتيان أن يقضي الدين امرؤ كان للإله غريما

● الحثُّ على المحافظة على الصلوات

قال الله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾[1] قيل هي العصر، وقيل هي العشاء. وقال ﷺ: الصلاة عماد الدين. وقال: أقرب ما يكون العبد من ربه وقت صلاته ولذلك أمر بالدعاء في عقبها. وقيل: إذا كان يوم الجمعة بعث إبليس شياطينه إلى الناس بالركائب أي يذكرونهم الحاجات.

● بَرَكَةُ الصَّلاةِ وفَضْلُ التهجُّدِ

كان ﷺ إذا أصاب أهله خصاصة، أمرهم بالصلاة، ويقول: بهذا أمرني ربي. قال تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ﴾[2] ﴿لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾[3] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾[4].

---

(١) القرآن الكريم: الإسراء/ ٧٨

(٢) القرآن الكريم: النساء/ ١٠٠

(٣) القرآن الكريم: طه/ ١٣٢.

(٤) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٣٨

وقال ﷺ: عليكم بقيام الليل فإنه توبة إلى الله وتكفير للسيئات ومنهاة عن الإثم ومطردة للداء عن الجسم.

وقال جعفر الخلدي: رأيت الجنيد في المنام فقلت ما فعل الله بك؟ فقال: طاحت تلك العبارات وطارت تلك الإشارات وفنيت تلك العلوم ودرست الرسوم فما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في السحر.

وقال يوسف بن أسباط: إذا أخلص الرجل التعبد لله أربعين صباحاً أجرى الله على لسانه ينابيع الحكمة.

وقال ﷺ: أذيبوا طعامكم بذكر الله والصلاة ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم. وقيل للربيع: لِمَ لا تنام بالليل؟ فقال: أخاف البيات. وحُكي عن بعض المتعبدين بمكة أنه افتتح الصلاة ورفع رجلاً إلى نصف الليل ثم وضعها ورفع الأخرى إلى الصباح، فقيل له فقال: لسعتني عقرب لما دخلت في الصلاة فرفعت الملسوعة، فلما كان نصف الليل لسعت عقرب الرجْل الأخرى فرفعتها ووضعت الأخرى، واستحييت أن أنصرف من بين يدي الله تعالى للسعة عقرب

وقال أبو ذر: صلوا في ظلمة الليل لوحشة القبور وصوموا في شدة الحر لحر النشور.

● التكاسُلُ عن التهجُّدِ

قال رجل للنبي ﷺ: لست أقوى على قيام الليل، فقال: فلا تعصه بالنهار، أي عجزك بالليل لعصيانك بالنهار. وقال رجل لسليمان: لا أستطيع قيام الليل فقال لعلك تفجر بالنهار.

● عَتْبُ مَنْ يخفِّفُ حتى يُخلَّ بالأرْكانِ

قال ﷺ: أسوأ الناس سرقة من يسرق من صلاته. ونظر الشبلي إلى رجل يسرع في صلاته فقال له: إنك لتخون، وبعد الخيانة لا تقبل الأمانة. وقال بعضهم: إن الصلاة مكيال فمن وفى وفي له ومن طفف فـ ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾[1]. وصلى رجل صلاة خفيفة ثم قال: اللهم زوجني من الحور العين، فقال أعرابي: بئس الخاطب أنت أعظمت الخطبة وأسأت النقد. ونظر الجماز إلى من يخففها فقال صلاتك رجز فأتى في التشبيه بما هو من صنعته

● عُذْرُ مَنْ صلّى صلاةً خفيفةً

صلى رجل صلاة خفيفة فقيل له ما هذه الصلاة؟ قال: صلاة ليس فيها رياء. وصلّى بعض العلماء فخفّف وقال: أغالب شيطاني. ورأى أبو حنيفة رجلاً يصلّي ولا يركع فقال م

---

(١) القرآن الكريم، المطففين/١

هذا؟ فقال: إني رجل عظيم البطن وإذا صليت وركعت صرطت فأيما أحسن.

● عَتْبُ إمامٍ يُطيلُهَا

قال النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: أفتان أنت يا معاذ. وقال عثمان بن أبي العاص: آخر ما عهد إلينا رسول الله ﷺ قال: إذا أممت قوماً فأخف بهم الصلاة. وقرأ إمامٌ سورة طويلة فعاتبه من كان خلفه، فقال الإمام: قد قرأ أبو بكر البقرة وآل عمران في صلاة الصبح، فقال الرجل: قد رأيت ما فعل أهل الردة من هذا وأشباهه. وأطال إمام الصلاة فلما فرغ عاتبه من كان خلفه فقال: وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين، فقال الرجل: أنا رسول الخاشعين إليك، إنك ثقيل وإنهم لا يقدرون على احتمال بردك.

● المعيَّرُ بتركِ الصَّلاةِ

قال أبو العيناء لابن مكرم: قم وصلِّ فقد قد جمعت بينهما، فقال: نعم بالترك. وكان بأصبهان رجل يقال له الكنابي في أيام أحمد بن عبد العزيز، وكان يتعلم أحمد منه الإمامة فاتفق أن تطلعت عليه أم أحمد يوماً وقالت: يا فاعل جعلت ابني رافضياً، فقال الكنابي: الرافضة تصلّي كل يوم إحدى وخمسين ركعة وابنك لا يصلّي كل أحد وخمسين يوماً ركعة.

● المُكْرهُ على الصَّلاة

أمر المنصور أبا دلامة أن يلازم الصلاة فقال:

ألم تعلموا أن الخليفة لزَّني	بمسجده والقصر مالي وللقصْرِ
أصلّيهما كَرْهاً على غير نيّةٍ	فمالي في الأولى ولا العصر من أجرِ
ويحبسني عن مجلس أستلذّه	أُعَلَّلُ فيه بالغناء وبالخَمْرِ
وما ضرّه والله يصلحُ أمرَه	لو أن ذنوبَ العالمين على ظَهْرِيَ

وله

وجفاني الأمير كي أتقرّا	فتقرأت مُكْرَهاً لجفائهْ
والذي أنطوى عليه المعاصي	علم الله نيتي من سمائِهْ

وكانت امرأة تكره ابنها على الطهارة والصلاة وهو يأبى، فقال: أرضي بإحداهما فقالت: رضيت بالطهارة. فلما تطهّر قالت له: صَلِّ فالطهارة بلا صلاة ليست بشيء، فضرط وقال: نَقَضْتِ فنقضنا.

● طُرَفٌ مِنْ صلاةِ الأعْرابِ

أقام أعرابي فقال: على العمل الصالح قد قامت الفلاح. ثم قام يصلّي فقال: اللهم حسبي ونسبي وأردد صلاتي واحفظ عملي والسلام عليكم. ودخل أعرابي المحضر فقام يصلّي في الصف الأول فقرأ الإمام ألم نهلك الأولين؟ فتأخر إلى الآخر، فقال ثم نتبعهم

الآخرين. فخرج من المسجد يقول: يا ابن مدعلة أهلكت الفريقين.

وصلّى أعرابي مع قوم فلما سجدوا عدا وقال: قد صعق القوم ورب الكعبة. وصلّت أعرابية مع الجماعة فقرأ الإمام: وأنكحوا الأيامى وأرتج عليه، فجعل يرددها، فخرجت الأعرابية إلى أخيها فقالت يا أخي ما زال الإمام يأمرهم بنكاحنا حتى خفت أن يثبوا عليّ.

• **المتبجّحُ بتركِ الصّلاةِ**

رؤي أبو نواس وهو يصلي في الجماعة فقيل له: ما هذا؟ فقال أردت أن يرتفع إلى السماء خبر ظريف. وقال السفّاح لأبي دلامة: الصلاة، فقال حتى تذهب حمياها قال وما حمياها؟ قال: الركعتان الأولتان لأنهما أطول.

وقال بعضهم: تعلمت من أحاديث النبي ﷺ ثلاث أحاديث ونصفاً الأول إذا ابتلت النعال فالصلاة في الرحال، الثاني ليس من البر الصيام في السفر، الثالث إذا حضرت الصلاة والعشاء فابدأوا بالعشاء. ونصف الحديث: حبب إليّ من دنياكم ثلاث النساء والطيب، وقد قال وجعلت قرة عيني في الصلاة.

• **المُعتذِرُ لتركِهِ الصّلاةَ**

قال الأصمعي: رأيت أعرابياً في يوم بارد وقد عمد إلى أكمة فكسها بشملته ثم توجه إلى القبلة، فقال:

إليكَ اعتذاري من صلاتي قاعِداً	على غير طهر مؤمنا نحو قبلة
فمالي ببردِ الماء يا ربّ طاقةٌ	ورجلايَ لا تقوى على ثني ركبتي
ولكنني أحصيه والله جاهداً	واقضيكهُ يا ربُّ في وجه صيفتي
فإن أنا لمْ أفعلْ فأنتَ مُسلّطٌ	بما شئت من صَفْعي ومن نتفِ لحيتي

وقال ابن طباطبا:

وما طلّت ربي بالصلاة ولم يزل	يساهلني ربّي لحسن قضائي

• **المحرّضُ على تَرْكِ الصلاةِ**

قال بعض الخاسرين لرجل كان يأتي الصلاة من أربع فراسخ ويكري حماراً بأربعة دراهم أنت تسير أربعة فراسخ وترجع أربعة وتضيع أربعة، وتغرم أربعة. ونظر بعض المعتزلة إلى رجل مغموم، فسأله فقال: فاتتني ركعة فقال إنما فاتت ما أدركته. وكان بعضهم يتباطأ عن الجمعة فرأى من يستعجل ويقول أخشى أن تفوتني الجمعة فقال: أنا أخشى أن أدركها.

• **صَلاةُ الاستِسْقاءِ**

خرج رسول الله ﷺ فاستسقى فقلب رداءه وكان يخطب يوم الجمعة، فدخل رجل المسجد، فقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطع السبل فادع الله أن يغيثنا، قال فرفع ﷺ يديه وقال: اللّهم أغِثنا اللّهم أغِثنا

قال أنس رضي الله عنه: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة وما بيننا وبين سلع من بيت أو دار. فطلعت سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المستقبلة فقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله أن يمسكها عنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: اللّهم حوالينا ولا علينا، اللّهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الأشجار. وقال: فانقلعت وخرجنا نمشي في الشمس.

(٩)

الزكاة

●

● فَضلُ التَّصدُّقِ وَمَدْحُهُ

في الخبر: الصدقة تطفيء غضب الرب وتدفع ميتة السوء. وقال ﷺ: ما تصدق أحد بصدقة إلا وقعت في يد الله قبل أن تقع في يد السائل، ثم قرأ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾(1)

وقال: استنزلوا الرزق بالصدقة. وكان أهل الصفة إذا أمسوا يطلق الرجل بالرجل والرجلين وسعد بن عبادة يطلق بثمانين.

● التداوي بالصدقةِ

قال النبي ﷺ: الصدقة دواء منجح. وقال عليه الصلاة والسلام: حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، واستقبلوا البلاء بالدعاء. وعاد حاتم الأصم بعض الأغنياء، فلما خرج، بعث إليه بمال، فقال: أهذا كان فعله في الصحة؟ فقيل: لا، فقال: اللهم أدم حاله هذه فإنه صلاح الفقراء.

● الحثُّ على الصدقةِ بالقليلِ

قال النبي ﷺ: اتقوا النار ولو بشق تمرة. وقال عليه الصلاة والسلام: لا يمنعكم من معروفٍ صغرُهُ. وقال عليه السلام: لا تردوا السائل ولو بظلف محرق أوصلة حبل. وقال عليه السلام: لا تحقروا اللقمة فإنها تعود يوم القيامة كالجبل العظيم. ثم تلا: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾(2) وقال عليه الصلاة والسلام: مهور الحور العين فلق الخبز وقبضات التمر. وقال ﷺ: على كل مسلم صدقة. قيل: يا رسول الله أرأيت لو لم يجد. قال يعتمل بيده فينفع نفسه ويتصدق. قيل فإن لم يجد، قال: يعين ذا الحاجة الملهوف، قيل فإن لم يستطع، قال يأمر بالمعروف، قيل: فإن لم يستطع، قال: يمسك عن الشر فإن له صدقة.

---

(1) القرآن الكريم: طه/ ١٣٢. (2) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٧٦.

وروي أن عائشة كانت تأكل العنب فتعرضت لها سائلة فأعطتها حبة، فقيل لها في ذلك، فقالت: إن فيها مثاقيل ذر تعني بذلك قوله تعالى ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾.

● الحثُّ على إخفاءِ الصَّدقةِ

قال الله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[1] وقال ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾[2] وقيل: لا خير في المعروف إذا ذُكِر، ولا في الصدقة إذا نُشرت. وقال عليه السلام: ثلاث من كنوز الجنة، كتمان الصدقة والمرض والمصيبة. وقال جعفر بن أبي طالب: حسن الجوار عمارة الدار وصدقة السر مثراة للمال.

● الحثُّ على التصدُّقِ أيامَ الصِّحة

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أي الصدقة أعظم أجراً؟ فقال: أن تتصدق صحيحاً تأمل العيش وتخاف الفقر، ولا تمهل حتى إذا كانت في الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا.

● الحثُّ على تطييبِ الصدقةِ

قال النبي ﷺ: لا يقبل الله صلاة بلا طهور ولا صدقة من غلول. وقال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[3] فلما نزلت هذه الآية قام أبو طلحة فقال: أحب الأموال إليّ بئر ماء والصدقة لله تعالى أرجو ذكرها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. فقال عليه السلام: بخ بخ إن ذلك مال رابح أرى أن تضعه في الأقربين، وقال بعضهم:

تنيت بما حبت الإمام سقاية	فلا شربوا إلا أمرَّ من الصَّبر
فما كنت إلا مثل بائعة إستها	تعود على المرضى به طلب الأجر

● مَنْ يُحبُّ أن يتصدَّق من غير ماله

قال النبي ﷺ: إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة فإن لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما اكتسب، وللخادم مثل ذلك، ولا ينقص بعضهم أجر بعض.

● ما يدلُّ على وُجوبِ الزكاةِ

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾[4]، وقال تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾[5] وقال ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[6]. وقال تعالى. ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[7]. وقال تعالى.

---

(1) القرآن الكريم: العنكبوت/ ٤٥

(2) القرآن الكريم: التوبة/ ١٠٥.

(3) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٧١.

(4) القرآن الكريم: البينة/ ٥.

(5) القرآن الكريم: الأعلى/ ١٤.

(6) القرآن الكريم: التوبة/ ١٠٣.

(7) القرآن الكريم: الذاريات/ ١٩

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1]. وقيل: الكنز هو كل ما لم تؤدّ زكاته بدلالة قوله عليه الصلاة والسلام: ما أدى زكاته فليس بكنز. ولما منع الزكاة من منع من العرب، قال عمر لأبي بكر: كيف تقاتل؟ وقد قال النبي ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله، فقال أبو بكر رضي الله عنه: من حقّه أداء الزكاة والله لو منعوني عناقاً لقاتلتهم على منعها.

- **من يجب أن تُدفع إليه الزكاة ومَنْ لا يجوزُ دفعُها إليه**

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[2] وقال ﷺ: إبدأ بمن تعول. وقال ﷺ: لا تردوا السائل ولو على فرس. وقال عليه السلام: قال رجل لا تصدقنّ بصدقة فخرج بصدقته فوقعت في يد سارق، وتصدق في اليوم الثاني فوقعت في يد زانية، وتصدق في اليوم الثالث فوقعت في يد غني فقيل له في ذلك، فساءه ذلك فأتى في منامه فقيل: إن الله قبل صدقتك فالزانية استعفت بصدقتك وكذلك السارق والغني اعتبر بصدقتك.

وقال أبو هريرة: أخذ الحسن بن علي ثمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال النبي ﷺ: كخ كخ ليطرحها، أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة. وقالت عائشة رضي الله عنها: أتى النبي ﷺ بلحم فقلنا هذا مما تصدق به على بريرة، فقال: هو لها صدقة وهو لنا هدية.

- **فَرضُ الإبل**

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: بسم الله الرحمن الرحيم، هذه فريضة الصدقة التي فرضها رسول الله ﷺ التي أمر الله بها فمن سئلها على وجهها فليعطها، ومن سئل فوقها فلا يعطه في أربع وعشرين من الإبل فما دونها الغنم، وفي كل خمس شاة فإذا بلغت خمساً وعشرين إلى خمس وثلاثين ففيها ابنة مخاض فإن لم تكن ابنة مخاض، فابن لبون ذكر.

وإذا بلغت ستاً وثلاثين إلى خمس وأربعين ففيها بنت لبون، وإذا بلغت ستاً وأربعين إلى ستين ففيها حقة طروقة الفحل، فإذا بلغت إحدى وستين إلى خمس وسبعين ففيها جذعة، فإذا بلغت ستاً وسبعين إلى تسعين ففيها ابنا لبون، فإذا بلغت إحدى وتسعين إلى عشرين ومائة ففيها حقّتان طروقتا الفحل.

فإذا زادت على عشرين ومائة، ففي كل أربعين بنت لبون وفي كل خمسين حقة، ومن بلغت صدقته جذعة وعنده حقة، فإنه تقبل منه ويجعل معها شاتين إذا استيسر أو عشرين درهماً، فإذا بلغت صدقته الحقة وليست عنده حقة وعنده جذعة فإنها تقبل منه الجذعة ويعطيه المتصدق عشرين درهماً أو شاتين.

---

(1) القرآن الكريم: التوبة/ ٣٤.

(2) القرآن الكريم: التوبة/ ٦٠.

● صَدَقَةُ البَقَرِ والغَنَم

روي أن النبي ﷺ أمر معاذاً أن يأخذ من ثلاثين تبيعاً ومن أربعين مسنة. وروي أنه أتي بدون ذلك فلم يأخذه وقال: لم أسمع من رسول الله ﷺ فيه شيئاً حتى ألقاه فأسأله. فتوفي رسول الله ﷺ قبل أن يقدم معاذ.

وقال عليه السلام: ليس في الغنم صدقة حتى تبلغ أربعين، فإذا بلغتها ففيها شاة ولا شيء في زيادتها حتى تبلغ مائة وإحدى وعشرين، فإذا بلغتها ففيها شاتان وليس في زيادتها شيء حتى تبلغ مائتين وشاة، فإذا بلغتها ففيها أربع شياه ثم في كل مائة شاة

وقال عمر رضي الله عنه: اعتد عليهم بالسخلة يروح بها الراعي ولا تأخذها ولا تأخذ الأكولة ولا الربي ولا الماخض ولا فحل الغنم وخذ الجذعة والثنية وقال النبي ﷺ لمعاذ: إياك وكرائم أموالهم.

● صَدَقَةُ الخَلِيطَين

في الحديث لا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة وما كان من الخليطين فإنهما متراجعان بالسوية، معناه لا يفرق بين ثلاثة خلطاء في عشرين ومائة شاة فإنما عليهم شاة وإذا كانت لثلاثة كان فيها ثلاث شياه ولا يجمع بين متفرق رجل له مائة شة ورجل له مائة شاة فإذا تركتا متفرقتين ففيهما شاتان وإذا جمعتا ففيهما ثلاث شياه فخشية الساعي أن تقل الصدقة وخشية رب المال أن تكثر فأمر كلاً

وفي حديثه عليه الصلاة والسلام: لا أخلاط ولا وراط ومن أجبى فقد أربى وكل مسكر حرام.

● وُجُوبُ الزَّكاةِ في مالِ اليَتيمِ لا المُكاتِبِ

قال النبي ﷺ ابتجروا في مال ليتيم لا تأكله الصدقة وروى جابر عن النبيّ ﷺ لا زكاة في مال المكاتب وهو عبد ما لم يؤدِ كتابته بدلالة قوله ﷺ المكاتب عبد ما بقي عليه درهم

● تعجيلُ الزَّكاة

رُوي أن العباس استأذن النبي ﷺ في تعجيل صدقته قبل أن تحل، فأذن له وشكوا خالداً والعبّاس وابن جميل فقال: أما العباس فإنا قد أسلفنا منه صدقة العام والعام المستقبل وروي أنه عليه الصلاة والسلام استسلف بكراً من الصدقة

● ما لا تجِبُ فيه الزَّكاةُ

قيل: لا تجب في عوامل الإبل صدقة بدلالة قول النبي ﷺ في سائمة الغنم زكاة، بدلالة خطابه دل أن لا زكاة في علوفتها وقال عليه السلام ليس في الكسعة ولا في الجبهة ولا في النخة صدقة والأفراس عند الشافعي رضي الله عنه لا تجب فيها الزكاة،

وعند أبي حنيفة تلزم في إناثها ويستدل أن عمر رضي الله عنه جمع الصحابة واستشارهم حتى كتبوا إليه في الشام أن أخرج المصدقين إليها فأوجب في كل فرس ديناراً. وروى أصحابه عن النبي ﷺ أنه قال: في كل فرس سائم دينار وليس في المرابطة شيء.

• زَكَاةُ الحُبوب والثِّمار

قال الله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾[1] وروي أن رسول الله ﷺ أخذ الصدقة في الحنطة والشعير والذرة، وقال عليه السلام: فيما سقت السماء العشر. فلم يعتبر أبو حنيفة القدر وأوجب في القليل والكثير. والشافعي خصص هذا الخبر بقوله عليه السلام: ليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة فلم يوجب فيما دونها، وأما الخضراوات فقد أوجب أبو حنيفة رحمة الله عليه في جميعها الزكاة، بدلالة قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾، ومنع من إيجابه الشافعي استدلالاً بقول النبي ﷺ: ليس في الخضراوات صدقة.

• خرصُ النَّخل والكَرْم

قال النبي ﷺ لليهود حين افتتح خيبر: أقركم إلا على أن التمر بيننا وبينكم؟ وكان يبعث عبد الله بن رواحة فيخرص عليهم ثم يقول: إن شئتم فلكم وإن شئتم فلي فكانوا يأخذونه. وقال عليه السلام في زكاة الكرم: يخرص كما تخرص النخل ثم يؤدي زكاته زبيباً كما يؤدي زكاة النخل تمراً وقال أبو حنيفة: لا يجوز الخرص بدلالة ما روى جابر أنه نهى عن الخرص وعن المزابنة وهي بيع الثمار على رؤوس النخل بخرصه تمراً.

• زكاة الذَّهبِ والفضَّةِ والعرَض

قال النبي ﷺ: ليس فيما دون مائتي درهم شيء فإذا بلغت مائتي درهم ففيها خمسة دراهم وما زاد فبحسابه. وقال عليه السلام في الرقة ربع العشر، فأما الحلي فقد اختلف فيه. وروي أن النبي ﷺ قال لامرأتين معهما حلي: أدي زكاتهما، وأنه قال: في الحلي زكاة. وروي عنه أنه قال: زكاة الحلي إعارته.

وقال حماس: مررت على عمر بن الخطاب وعلى عنقي أدمة أحملها فقال: ألا تؤدي زكاتك يا حماس؟ فقلت: يا أمير المؤمنين مالي غير هذه راهت في القرظ. فقال: ذاك مال فضع فوضعتها بين يديه فوجدها قد وجب فيها الزكاة فأخذها منها.

• زكاةُ الفِطرِ

روى ابن عمر أن رسول الله ﷺ فرض زكاة الفطر من رمضان على الناس صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على كل حر وعبد ذكرٍ وأنثى من المسلمين.

---

(١) القرآن الكريم: آل عمران/ ٩٢

(١٠)
ومِمّا جاءَ في الصَّوْمِ

●

● وجُوبُ الصَّوْمِ

قال الله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[1] الآية وقال ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[2] وقال رجل للنبي ﷺ أخبرني بما فرض الله من الصيام قال: شهر رمضان إلا أن تتطوع

● فَضْلُ شَهْرِ رَمَضَانَ والصَّوْمِ

قال النبي ﷺ من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر غُفر له ما تقدم من ذنبه. وقال ﷺ: إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وأغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين وقال عليه السلام: يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة[3] فليتزوج فإنه أغضّ للبصر وأعف للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء.

وقال ابن عباس ما صام رسول الله ﷺ شهراً كاملاً قط غير رمضان وكان يصوم إذا صام حتى يقول القائل لا يفطر، ويفطر حتى يقول القائل لا يصوم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما أخبروا النبي ﷺ إني أقول لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت، فقال عليه السلام: إنك لا تستطيع ذلك، فصم وافطر ونم وقم وصم من الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر، فقلت: إني أطيق أكثر من ذلك قال. فصم يوماً وأفطر يوماً فذلك صيام داود وهو أعدل صيام فقلت إني أطيق أكثر من ذلك فقال عليه السلام: لا أفضل من ذلك

● النِّيَّةُ في الصَّوْمِ

قال النبي ﷺ لا صيام لمن لم يبيت النية من الليل وروي من لم ينو الصوم قبل الفجر فلا صوم له وروي أنه بعث إلى أهل العوالي وقد تعالى النهار إن من أكل فليمسك ومن لم يأكل فليصم وتجوز النية لمتطوع في النهار عند الشافعي واستدل بأن النبي ﷺ دخل على بعض أزواجه فقال. هل عندكم غداء فقالوا لا، فقال: إني إذاً صائم.

● صَوْمُ عاشوراء

روى ابن عمر أن النبي ﷺ أمر بصوم عاشوراء إلى أن فرض رمضان، وروي أن

---

(١) القرآن الكريم، طه/ ١٣٢ (٢) القرآن الكريم البينة/٥. (٣) الباءة المنزل، والباءة المحيط

معاوية دخل المدينة فخطب فقال: أين علماؤكم؟ سمعت النبي ﷺ يقول: ما كتب الله عليهم صيامه فمن شاء فليصم ومن شاء فليفطر.

● **نَفْعُ الصَّوْمِ وَثَوابُهُ**

سئل أبو عبد الله بن الحسين رضي الله تعالى عنه عن الصوم لِمَ أوجبه الله تعالى؟ **فقال:** ليجد الغني الجوع فيعود بالفضل على الفقير وعن ابن مسعود رضي الله عنه: للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوفُ فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

وحدث مجاهد: أيما رجل أكل عنده وهو صائم صلت عليه الملائكة ما دام ذلك الطعام يؤكل عنده. وعن رسول الله ﷺ: لا يصوم العبد يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه من النار خريفاً.

● **رُؤْيَةُ هِلالِ رَمَضانَ**

قال ﷺ: صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم الهلال فعدوا ثلاثين. **وقال ابن عمر رضي الله عنهما:** تراءينا الهلال فرأيته فأخبرته ﷺ فصام وأمر الناس بالصيام. **وقال ابن عباس رضي الله عنهما:** تراءينا الهلال على عهد رسول الله ﷺ فجاء أعرابي فشهد عنده أنه رأى الهلال، **فقال له رسول الله ﷺ:** أتشهد أن لا إله إلا الله وتمامه، فقال: نعم، **فقال:** يا بلال نادِ في الناس أن يصوموا غداً.

وفي خبر آخر: لأن أصوم يوماً من شعبان أحبُّ إليّ من أن أفطر يوماً من رمضان وروي أنه كان يقبل في هلال رمضان شهادة الواحد ولا يقبل في شهادة شوال إلا عدلين. وأتى رجل في زمن عمر رضي الله عنه فشهد أنه رأى الهلال **فقال:** بأي عينيك رأيت الهلال؟ قال بشرهما وهي الباقية لأن الأخرى ذهبت مع النبي ﷺ في بعض غزواته، فأجاز شهادته.

● **كَراهَةُ رؤيَتِهِ**

نظر مخنث إلى قمر رمضان فقال أرانيك الله بالسل، فأخذه ابن المعتز فقال:

يا قمراً قد صارَ مثلَ الهلالِ	من بعدِ ما صيّرني كالخِلالِ
الحمدُ لله الذي لم أمُتْ	حتى أرانيك بداء السلالِ

وطلبوا يوماً هلال رمضان **فقال لهم أبو مهدية:** كفوا فما طلب أحد عيباً إلا وجده. وصعد قوم لطلب هلال رمضان فلم يروه فلما أرادوا الانصراف رآه صبي فآراه القوم **فقال له بعضهم:** بشر أمك بالجوع المفضي. وقيل لرجل: أما تنظر إلى الهلال **فقال:** ما أصنع به؟ محل دين ومقرب حين ومؤذن بالجوع.

• ما يُستحبُ للصائمِ تجنُّبُه

قال النبي ﷺ الصيام جنة فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم. وقال ﷺ من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فلا حاجة لله أن يدع طعامه وشرابه.

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقبّل وهو صائم ويباشر وهو صائم وكان أملككم لإربه.

• ما يُفسِدُ الصَّومَ والكفارةُ المتعلّقة بإفطارِه والرُّخصةَ فيه

قال النبي ﷺ من ذرعه القيء لم يقض، ومن استقاء عامداً فليقض. وروي أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ فقال: هلكت وأهلكت فقال ما أهلكك؟ قال واقعت امرأتي في نهار رمضان وأنا صائم، فقال: أعتق رقبة، فقال لا أستطيع، فقال صم شهرين متتابعين قال: لا أستطيع، قال فأطعم ستين مسكيناً. قال. لا أستطيع. فأتى النبي ﷺ بعرق من تمر فيه ثلاثون صاعاً فقال تصدّق به، فقال: ليس بين لابتيها أحوج إليه مني فقال ﷺ كله أنت وعيالك. وقال: من أكل أو شرب في نهار رمضان ناسياً فلا قضاء عليه ولا كفارة، وقال الله تعالى ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ﴾[1].

وقال ﷺ في المرضع إذا خافت على ولدها أفطرت ولزمها نصف صاع وروى بعضهم إذا سافرنا مع النبي ﷺ في رمضان فمنا الصائم ومنا المفطر فلا يعير المفطر على الصائم ولا الصائم على المفطر.

• ما يُفعلُ عن نسيانٍ في الصوم مما يُنافيه

قال النبي ﷺ من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه ومن النوادر في ذلك ما روي أن أبا هريرة أتاه رجل فقال: دخلت داراً فأطعموني ولم أدر فقال: الله أطعمك وسقاك، قال: ثم دخلت داري فجامعت، فقال ليس هذا فعل من تعوّد الصيام. وسئل عكرمة عن القبلة للصائم فقال هي كالحبر إذا وضعته على فمك.

• الوقتُ المَنهي عنِ الصومِ فيه

نهى النبي ﷺ عن صوم يوم الفطر ويوم النحر وأيام التشريق وقال أيضاً: ليس من البر الصيام في السفر. وقال من صام في السفر فلا صام ولا أفطر. وهذا على مذهب الإمام أبي حنيفة، فأما الشافعي فمذهبه أنه مخير بين أن يصوم أو يفطر

وروي أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال لرسول الله ﷺ أصوم في السفر، فقال إن شئت فصم وإن شئت فأفطر وقال أنس رضي الله تعالى عنه: سألت رسول الله ﷺ أصوم

(١) القرآن الكريم: البينة/ ٦١.

يوم الجمعة فلا أكلم أحداً، فقال: لا تصم يوم الجمعة إلا في أيام هو أحدها أو في شهر، ولأن تتكلم تأمر بمعروف وتنهى عن منكر خير من أن تسكت.

● النَّهيُ عن المُوَاصَلَةِ

قال النبي ﷺ: لا تواصلوا، قالوا: إنك لتواصل. قال: إني لست كأحد منكم إني أطعم وأسقى.

● إباحةُ الأكلِ والجُماعِ في لَيالي الصوْمِ

كان أصحاب النبي ﷺ إذ كان أحدهم صائماً فنام قبل أن يفطر لم يأكل إلى مثلها. وإن قيس بن صرمة كان صائماً وكان يومه ذاك يعمل في أرضه، فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال: هل عندك طعام؟ قالت: لا، ولكن أنطلق فأطلب لك فغلبته عيناه فنام فجاءته امرأته فلما رأته قالت: قد نمت، وذكر للنبي ﷺ فنزل قوله تعالى ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾[1] إلى قوله ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا...﴾[2] الآية.

وقال عدي بن حاتم: لما نزلت هذه الآية عمدت إلى عقالين أحدهما أسود والآخر أبيض فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر إليهما، فلما تبين لي الأبيض من الأسود تركت الأكل، فلما أصبحت غدوت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: إن كان وسادك لعريضاً إنما ذاك بياض النهار وسواد الليل. وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ من أصبح جنباً أفطر ذلك النهار. فسألت عائشة عن ذلك فقالت: ليس كما قال، أشهد أن الرسول ﷺ إن كان ليصبح جنباً من جماع غير احتلام، ثم يصوم ذلك اليوم، ثم سئلت أم سلمة فقالت كقول عائشة، فلما رجع أبو هريرة قال: لا علم لي إنما أخبرنيه مخبر. وبعض الأخبار أنه قال أخبرنيه الفضل بن العباس.

● ما يتَقوّى به على الصَوْمِ

قيل لرجل: كيف تقدر على الصوم في هذا الحر؟ فقال: من عرف قدر ما يسأله هان عليه ما يبذله. وقيل: قوام الصوم بثلاث من أطاقهن فقد ضبط الصوم: من تسحر وقال وأكل قبل أن يشرب وقيل: لا يقوى على الصوم إلا من كبر لقمه وطاب أدمه.

● التسحُرُ والإفطارُ

في الخبر: من السنّة تعجيلُ الإفطار وتأخيرُ السحور. وقال ﷺ: لا تزال الناس بخير ما عجلوا الفطر. وقال أيضاً: تسحروا فإن في السحور بركة.

---

(١) القرآن الكريم، الأنعام/ ١٤١ — (٢) القرآن الكريم، البقرة/ ١٨٣

● الرُّخصةُ في الإفطارِ من التطوّعِ

روي أن رسول الله ﷺ آخى بين سلمان وأبي الدرداء. فرأى سلمان امرأة أبي الدرداء مبتذلة، فقال لها: ما شأنك؟ فقالت: إن أخاك أبا الدرداء يقوم بالليل ويصوم بالنهار وليس له في شيء من الدنيا حاجة، فجاء أبو الدرداء فرحب به وقرب إليه طعاماً فقال له سلمان أطعمه قال: إني صائم قال: أقسمت عليك لتفطرن، فقال ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل معه.

ثم بات عنده فلما كان من الليل أراد أبو الدرداء أن يقوم فمنعه سلمان فقال إن لجسدك عليك حقاً، ولربك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، صم وافطر وصل وأتِ أهلك، وأعط كل ذي حق حقه. فلما كان وجه الصبح قال له: قم الآن إن شئت فقام وتوضأ ثم ركعا وخرجا إلى الصلاة، فدنا أبو الدرداء ليخبر رسول الله ﷺ بالذي أمره سلمان، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا الدرداء إن لجسدك عليك حقاً على ما قال سلمان

● المسَرّةُ بإتيان الصَومِ

قال شاعر:

جاءَ الصيامُ فجاءَ الخيرُ أجمعُهُ ترتيلُ ذكرٍ وتحميدٌ وتسبيحُ
فالنفسُ تدأبُ في قولٍ وفي عملٍ صومُ النهارِ وبالليلِ التراويحُ

● أدعيةُ الصَّوْمِ

كان ﷺ يقول في شهر رمضان: اللّهم سلمه لنا وتسلمه منا. وكان الربيع بن خيثم يقول: الحمد لله الذي أعانني فصمت ورزقني فأفطرت. وقال النبي ﷺ: اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت.

● التبرُمُ بالصومِ في غيرِ رَمَضان.

قيل لأعرابي: ألا تصوم البيض؟ قال: دعني منها فبين يديها ثلاثون كأنها القباطي.

وقيل لزيد: صوم يوم عرفة يعدل صوم سنة فصام إلى الظهر وقال يكفيني ستة أشهر فيها رمضان

● التبرُمُ بشهرِ رَمَضان

أسلم مجوسي فأطلَّ عليه شهر رمضان فضجر عن الصوم فقيل له: كيف ترى الإسلام فقال:

وجدنا دينكم سهلاً علينا شرائعه سوى شهر الصيام

وقال ابن الرومي:

شهرُ الصيام وإن عظُمتْ حُرمتُهُ شهرٌ ثقيلٌ بطيءُ السيرِ والحَرَكة

يـا صـدقَ مـن قـال أيـامٌ مـبـاركـةٌ   إن كـان يُكنى عن إسم الطولِ بالبَركة

وقال آخر:

الـغـوث مـن شـهـر الـصـيـام   إذا صـارَ لـي مـثـلَ الـلـجـام

مـا إن أمـتـّـع بـالـطـعـا   م وبـالـمـدام وبـالـغـلام

وقال بعض الكتاب:

ثـقُـلَ الـصـومُ عـلـيـنـا   أثـقـل الله عـلـيـه

زارنـي بـالأمـس حـمـلٌ   كـنـت مـشـتـاقـاً إلـيـه

فـمـضـى لـم أقـض مـنـه   حـاجـة كـانـت لـديـه

● المسَرةُ بانقضاءِ شهر رَمَضَان

قال أبو علي البصير:

أقـولُ لـصـاحـبـي وقـد بـدَا لـي   هـلالُ الـفـطـر مـن خـلـل الـغـمـامِ

غـداً نـغـدو إلـى مـا قـد ظـمـئـنـا   إلـيـه مـن الـمـدامـة والـغـلام

ونـسـكـر سـكـرة شـنـعـاء جـهـراً   ونـثـأر فـي قـفـا شـهـر الـصـيـام

وقال أبو نواس:

مـنْ شـوالُ عـلـيـنـا   وحـقـيـقٌ بـامـتـنـان

جـاءَ بـالـقـصـف وبـالـعـزْ   ف وتـغـريـدِ الـقـيـانِ[1]

أوفـى الأشـهـ   ـر لـي أبـعـدُهـا مـن رمـضـان

وقال السريّ:

تـصـرّم شـهـرُ الـصـوم شـهـر الـزلازل   وشـال بـه شـوال شـهـر الـفـضـائـل

ولاح هـلالُ الـفـجـر يـنـضـو كـأنـه   سـنـان لـواء الـطـعـن فـي رأس عـامـل

ودارت عـلـيـنـا الـراح بـيـن أهـلّـة   تـضـيء وأغـصـان رطـاب مـوائـل[2]

مـرحـنـا وفـي أجـسـامـنـا سـحـرُ بـابـل   يـدبّ وفـي أيـمـانـنـا خـمـر بـابـل

● التّجَاسُرُ على رُكُوبِ المَعاصي في رَمَضَان

حكى بعض الناس أن ديك الجن رآه يوماً في شهر رمضان. فقال له: هل لك في

---

(١) القصف: الإعلان باللهو ـ تغريد القيان: غناء المغنيات.

(٢) الراح: الخمر ـ أغصان رطاب: لينة وناعمة.

سكباجة وشواء جيد وخمر صافية وغلام غرير يلهيها، فقلت: أفي هذا الوقت؟ فقال: أي والله، فأزريت به وأعرضت عنه، فقال:

وحياة طبي لم أصم عن ذكره ... لا عصمت تندماً إبهامي
لا شافهنّ من الذنوب عظامها ... بنقد عنها جلدُ كلّ صيام

قال الخبزارزي:

أرى لي في شهر الصيام إذ أتى ... ليالي عبار وأيام عابد[1]
أناسٌ بملات الصيامِ تفرجوا ... وكانت أمور باعتلال المساجد

صام أعرابي رمضان فلما اشتد به أفطر فقالت ابنته: ألا تصوم يا أبت؟ فقال:

أتأمرني بالصومِ لا دَرّ درّها ... وفي القبر صومٌ يا أميمَ طويل

وقال:

طال ما علمنا الصو ... مُ وقراء المصاحف

● نوادرُ تارِك صوم رَمَضان

قدم أعرابي إلى الوالي، فقيل له: إنه أفطر رمضان، فقال الأعرابي: إن الله يعلم أني صائم ولكني وجدت حمارة فؤادي طَرَدَتْ أن أنداه بشربة. وأسلم مجوسي يقال له مربان فأظله رمضان حار، فعجز عن الصوم فتناول خبزاً واستتر في بيت يأكله، فرآه بعض أصحابه فقال له: من أنت؟ قال: أنا مربان آكل خبز نفسي من شؤمي في جحية. وقيل في مجلس عضد الدولة: إن الشيعة تعقد الصوم قبل وجوبه بيوم، وتخرج منه قبل رؤية الهلال بيوم وأهل السنة يعقدونه برؤية الهلال ويفارقونه، فقال: إنا نتسابق عند الدخول فيه ونتشيع عند الخروج منه ليحصل لنا يومان يوم من أوله ويوم من آخره

● الإعتكافُ

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾[2]. وكان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر وقال: التمسوها في العشر الأواخر يعني ليلة القدر. وكان إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر.

وقال عمر: يا رسول الله إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام، فقال عليه السلام: أوف بنذرك.

---

(١) ليالي عبار: العيار وعيارُ الشيء ما جعل قياساً ونظاماً

(٢) القرآن الكريم: البقرة/١٨٧.

(١١)
وَمِمَّا جَاءَ فِي الحجِّ والعُمْرَةِ

●

● **وجوب الحج والعمرة**

قال الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[1] وقال ﷺ: الإستطاعة الزاد والراحلة. وقيل: لما أهبط آدم إلى الأرض أمره الله تعالى بحج البيت. وفي رواية أن الملائكة لقيت آدم بمكة عند باب زمزم مهنأنه على ذلك، وقالت له: يا آدم برّ حجك، فلقد حججناه قبلك بألفي عام. ثم أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام بالآذان بالحج فقال ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾[2] الآية. فقال إبراهيم: وأين يبلغ ندائي؟ فقال الله تعالى: عليك النداء وعلينا الإبلاغ. فوقف إبراهيم على أبي قبيس أو بين البيت والمقام، فنادى فأجابه من في أصلاب الرجال وأرحام النساء. وقال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[3] وقال ﷺ: من وجد زاداً وراحلة وأمكنه الحج ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً. وقال: حجوا قبل أن لا تحجوا. **وقال**: حجة مبرورة لا ثواب لها إلا الجنة. **وقال**: علامة الحجة المبرورة أن يكون صاحبها بعدها خيراً منه قبلها. **وقال**: الحج والعمرة فريضتان.

● **فضلُ الحج**

قال النبي ﷺ: من مات في هذا الطريق حاجاً أو داهباً لقيه الله تعالى يوم القيامة ولم يحاسبه وأدخله الجنة. **وقال**: ما من أحد جاء يوم البيت العتيق فركب بعيره ألا ثم يرفع البعير خفاً إلا كتبت له به حسنة ومحيت عنه سيئة. **وقال**: من حج هذا البيت أو اعتمر فلم يرفث ولم يفسق كان كمن ولدته أمه. **وقال**: من حجّ وعليه دين قضى الله دينه.

واستأذن رجل الجنيد في الحجّ **فقال**: جرّد قلبك من اللهو ونفسك من السهو ولسانك من اللغو.

● **فَضِيلَةُ العُمْرَةِ**

قال النبي ﷺ: العمرة إلى العمرة كفّارة ما بينهما. **وقال**: عمرة في رمضان تعدل حجة. **وقال ابن عبّاس**: كانوا يرون أن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور في الأرض، ويجعلون المحرم صفر، ويقولون إذا برأ الدبر وعفا الأثر وانسلخ صفر حلت العمرة لمن اعتمر.

---

(١) القرآن الكريم: آل عمران/ ٩٧. (٢) القرآن الكريم: الحج/ ٢٧. (٣) القرآن الكريم: البقرة/ ١٩٦.

فلما قدم النبي ﷺ صبيحة رابع مهل ذي الحجة، أمرهم أن يحلوا، فتعاظم ذلك عندهم فقالوا: يا رسول الله أي الحل؟ قال: الحل كله وقال أيضاً: لولا أني سقت الهدى لفعلت مثل الذي أمرتكم ولكن لا أتحلل من حرام حتى يبلغ الهدي[1] محله.

● النِّيابَةُ في الحجِّ

روي أن امرأة من خثعم قالت: يا رسول الله إن فريضة الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيع إن يستمسك على راحلته، فهل ترى أن أحج عنه؟ فقال: نعم، قالت: أفينفعه ذلك، قال: أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته أما كان ينفعه؟ قالت: نعم فقال ﷺ: ودين الله أحق أن يقضى.

وروى ابن عباس: أن النبي ﷺ سمع رجلاً يلبي عن شبرمة فقال: ومن شبرمة؟ قال: أخ لي أو قريب لي، قال: وهل حججت عن نفسك؟ قال: لا قال: هذه عن نفسك ثم حج عن شبرمتك.

● كَيفِيَّةُ حَجَّةِ النَّبِي ﷺ

اختلفت الصحابة في حج النبي ﷺ فمنهم من قال أفرد، ومنهم من قال قرن، ومنهم من قال تمتع. والصحيح هو الأول عند الشافعي رضي الله تعالى عنه لما روى جابر أن النبي ﷺ مكث تسع سنين لم يحجج، ثم أذن في الناس بالحج، فخرج وأحرم ﷺ ينتظر القضاء، ولم نو أحد بهما فلما دخلنا مكة وسعينا بين الصفا والمروة نزل عليه القضاء بأن من ساق الهدى فليقم على إحرامه، ومن لم يسق فليجعلها عمرة.

وروى أنس رضي الله عنه أنه قرن، فقال نافع: دخلت على ابن عمر فأخبرته بما قال فقال: رحم الله أنساً، إن أنساً كان يتولج على النساء متكشفات الرؤوس لصغره في ذلك الوقت وأنا كنت تحت ناقة رسول الله ﷺ يصيبني لعابها أسمعه يلبّي بالحج، وقال ﷺ: لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي ولجعلتها عمرة.

● الإهلالُ بالحجِّ وتقبيلُ الحَجَرِ والوُقوفُ بعَرفة

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: ما بر الحج قال: العج والثج، فالعج الإهلال والثج النحر، وقال ﷺ: إن الله يحب الشعث الغبر والعجاج والثجاج. وكان عمرو بن معد يكرب يقول: الحمد لله لقد رأيتنا من قريب ونحن إذا حججنا نقول.

لبيك تعظيماً إليك عمرا ... نغدو بها مضمرات شزرا[2]

قد تركوا الأوثان خلواً صفرا

---

(١) الهدي: ما أهدي إلى الحرم من النعم.

(٢) مضمرات: من أضمر الفرس صيّره ضامراً ومدة التضمير أربعون يوماً - شزراً: أي نظر إليه بجانب عينه مع إعراض.

ونحن نقول اليوم كما علمنا النبي ﷺ: لبيك لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك. وأتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحجر فقبله وقال: إني أعلم أنك حجر أسود لا تضرّ ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك. وقال عروة بن مضرس رأيت النبي ﷺ وهو بجمع فقلت: يا رسول الله إني جئت من جبلي طيء، لم أدع جبلاً إلا وقفت عليه فهل لي من حج فقال ﷺ: من صلى هذه الصلاة معنا وقد وقف قبل ذلك بعرفة من ليل أو نهار فقد تم حجه وقضى تفثه[1].

● دخولُ البيتِ والخروجُ منْهُ

لا يجوز لأحد دخول الحرم إلا محرماً إلا الحطابين والرعاة، وحُرّم على المشركين دخول الحرم. وقال البراء: كانت الأنصار إذا حجوا فرجعوا لم يدخلوا البيوت إلا من ظهورها فجاء رجلا فدخل من بابه فقيل له في ذلك فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾[2]

● السّعيُ والطّوافُ

قال عروة: قلت لعائشة رضي الله عنها أرأيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾[3] (الآية) ما على أحد جناح أن لا يطوف بهما قالت: بئسما قلت، يا ابن أختي، لأنها لو كانت على ما أولتها عليه لكانت أن لا يطوف بهما ولكنها أنزلت هذه الآية في هذا الحي من الأنصار كانوا قبل أن أسلموا يتحرجون أن يطوفوا بالصفا والمروة فلما أسلموا سألوا رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية، ولما قدم النبي ﷺ وأصحابه وقد وهنتهم حمى يثرب، فقال المشركون: قدم عليكم قوم قد وهنتهم الحمى فقعد لهم المشركون فأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا ثلاثة فصار ذلك سنة.

● ما يَجِبُ للمحرِمِ تجنّبُهُ

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾[4] ورأى النبي ﷺ أعرابياً متضمخاً بالخلوق فقال ﷺ: إنزع الجبة واغسل الصفرة، وكان ﷺ يتطيب لإحرامه. وروي أن النبي ﷺ نهى النساء عن القفازين والنقاب ومس الورس والزعفران.

وقال ﷺ: لا ينكح المُحرِم ولا يُنكح. وحرم الله تعالى الصيد على المحرم في حال الإحرام، وأوجب فيه كفارة فقال تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾[5].

---

(1) قضى تفثه: تفث تفثا علاه الغش وهو التلطخ بالدم والوسخ، وقضى تفثه أي أزاله وذلك أثناء أداء الحج.

(2) القرآن الكريم: البقرة/ ١٨٩.
(3) القرآن الكريم: البقرة/ ١٥٨.
(4) القرآن الكريم: البقرة/ ١٩٦.
(5) القرآن الكريم: المائدة/ ٩٥

● **الرَّمي والحَلْق**

روى ابن عباس قال: قدمنا رسول الله ﷺ ليلة المزدلفة أُغيلمة بني المطلب على جمرات العقبة، وجعل يلطح أفخاذنا ويقول: أُبنيّ لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس.

وقال ابن عمر: وقف رسول الله ﷺ بمنى في حجة الوداع للناس يسألونه، فجاءه رجل فقال: يا رسول الله نحرت قبل أن أرمي. فقال: إرم ولا حرج. قال: فما سئل يومئذ عن شيء قدم أو أخر إلا قال إفعل ولا حرج.

● **حَرَمُ مكةَ والمَدينةِ**

قال رسول الله ﷺ: من قطع شجرة من الحرم صوّب الله رأسه في جهنم. وقال يوم فتح مكة: إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا ينفر صيده ولا يعضد شوكة ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يختلي خلاه ولا يحل فيه القتال لأحد من بعدي. ولم يحلل إلا ساعة من نهار.

وقال ﷺ: صلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة فيما سواه. وقال عليه الصلاة والسلام: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدكم هذا والمسجد الأقصى. وحرم ما بين لابتي المدينة ونهى عن الصيد فيه.

وقال: من أخذ رجلاً يصيد فيه فله سلبه. وسلبت سعد بن أبي وقاص من رآه يصيد في حرم المدينة فكلموه فيه، فقال: لا أرد عليكم طعمة أطعمنيها الله، ولكن إن شئتم أعطيتكم ثمن سلبه.

● **زِيارةُ قَبرِه ﷺ**

قال رسول الله ﷺ: من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي، ومن مات في أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة. وقال: من صلى عليّ عند قبري سمعته ومن صلى عليّ من البعد سمعته.

● **إِباحَةُ المُبايَعَةِ وَكَراهتُها للحُجَّاجِ**

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان ذو المجاز وعكاظ متجر الناس في الجاهلية، فلما جاء الإسلام كأنهم كرهوا ذلك حتى نزلت ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾[1]. وقالوا: ما حج ولكن دج أي خرج للتجارة، وقيل فلان حاج أو داج.

وقال الفضيل رحمه الله: وضعت مكة للعبادة والتوبة والحج والعمرة والزهادة

---

(1) القرآن الكريم. البقرة/١٩٨.

وأعمال الآخرة ولم توضع للتجارة، ولا يغرنّك أقوام اتخذوا فيها حوانيت ويقولون نحن مجاورون وقد أعياهم الكسب في بلادهم فصاروا فيها تجاراً، كذبوا ما هم بمجاورين إنما المجاور من هو مقيم بها للعبادة وعمل الآخرة، فيمنّ من فضل الله ما آتاه لله ولا يكسب فيه ولا يشغل نفسه بالكسب فيها، ولأن ترجع إلى بلدك فتشتري به وتبيع وتحج في كل عشرين سنة أحب إليّ من أن تكون مقيماً بمكة تحج وتعتمر كل سنة وتبيع وتشتري فيها.

● دخولُ البادِيةِ بِلا راحلةٍ ولا زادٍ

قال علي بن الموفق، وكان من كبار الصوفية متحققاً مجتهداً: حججت ستين سنة فكنت سنة في محملي، فرأيت رجالة، فأحببت أن أمشي معهم، فنزلت ومشيت وتقدمت الناس ثم عدلنا إلى الطريق فنمتُ فرأيت في المنام جواري لم أر كحسنهنّ، معهن طسوت من ذهب وأباريق، فأقبلن على أولئك المشاة يغسلن أرجلهن حتى بقيت فأرادت واحدة أن تغسل رجلي، فقالت لها أخرى: ليس ذا منهم، هذا له محمل. فقالت: بلى أحبُّ أن يماشيهم فغسلت رجلي فذهب عني كل تعب.

وسئل الجلاء عن رجال يدخلون البادية بلا زاد فقال: هم رجال الحق. قيل: فإن هلك أحدهم قال: الدية على العاقلة.

وقال بنان الحمال: دخلت بادية تبوك فاستوحشت، فهتف بي هاتف نقضت العهد تستوحش. أليس الحبيب معك؟ وقيل لبعضهم: أتدخل البادية بلا زاد؟ فقال: إن معي زادي وهو التقوى، أليس الله يقول: وتزودوا فإن خير الزاد التقوى. وأما الفقهاء فقد كرهوا ذلك لقول الله تعالى: ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة.

● يومَ النحرِ

وقف رسول الله ﷺ بين الجمرتين بمنى في الحجة التي حج، وذلك يوم النحر، فقال: هذا يومُ الحجِ الأكبر. وقال ﷺ: أفضل الأيام عند الله تعالى يوم النحر.

● الأضحيةُ

روي أن النبي ﷺ ضحّى بكبشين أملحين أقرنين، يهلل ويكبر ويسمّي، وقال: البدنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة. وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه: أمرنا النبي ﷺ أن نستشرف العين والأذن ولا نضحي بعوراء ولا مقابلة ولا مدابرة ولا شرقاء ولا خرقاء، فالمقابلة التي يقطع طرف أذنها والشرقاء التي تشق أذنها. والخرقاء التي تخرق أذنها ونهى النبي ﷺ عن المصفرة والمستأصلة والبخقاء والمشيعة، فالمصفرة التي تستأصل أذنها حتى يبدو صماخها، والمستأصلة المفقودة من أصلها والبخقاء التي تبخق عينها والمشيعة التي لا تزال تتبع الغنم عجفاً وضعفاً والكسراء الكسيرة

● مَنْ تَعاطى الخسارةَ بِعلةِ الحجّ

قال أبو علي البصير:

أتـيـنـا بـعـدكُـم مـكـ	ـةَ حـجـاجـاً وعُـمّـارا
فـلـمـا شـارفَ الـحـيـر	ةَ حـادي إبـلٍ حـارا
فـقـلـتُ احـطـطْ بـهـا الـرحـلا	ولـم أحـفـلْ بـمـن سـارا
وجـدنـا عُـهـوداً	أخـلـقـت مـنـا وآثـارا
فـصـادفـنـا بـهـا ديـراً	وبـسـتـانـاً وخـمّـارا
وظـبـيـاً عـاقـداً بـيـن الـمـ	ـقـا والـخـصـر زُنّـارا
إذا جـاذبـتَـه حـارا	وإن حـاكـمـتَـه جـارا
كـشـفـنـا لـك أخـبـاراً	وبـاسـجـنـاك أحـبـارا

وقال أبو نواس:

ألـم تـرنـي ومـوسـى قـد حـجـجـنـا	وكـانَ الـحـجُ مـن خـيـرِ الـتـجـاره
مـآبَ الـنـاسُ قـد بـرّوا وحـجّـوا	ورُحـنـا مـوقـريـن مـن الـخـساره

(٤٢)

ومِمّا جاءَ في الأدعيةِ

●

● الحثُّ على الاستغفارِ

قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ وقال تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾[1] ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2] وقال ﷺ: أفصلوا بين حديثكم بالاستغفار، وقال: الإستغفار ممحاة للذنوب. وقال: لكل داء دواء ودواء الذنوب الإستغفار. وقال مالك بن أنس: كنا عند جعفر بن محمد فدخل سفيان الثوري فقال له: حدثني رحمك الله فقال: يا أبا عبد الله قد أكثرت من الحديث وكثرة الحديث تخبل. أعلمك ثلاثاً هن خير لك من مال كثير. يا سفيان إذا أنعم الله عليك نعمة فأكثر من الحمد لله فإن الله تعالى يقول ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[3]، وإذا قلّت معقتك فعليك بالإستغفار، فإنه يزيدك من المال والولد والنعمة. قال الله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾[4] وإذا اشتد بك كرب فعليك بلا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز

---

(١) القرآن الكريم: نوح/١٠.
(٢) القرآن الكريم: البقرة/١٩٩.
(٣) القرآن الكريم: إبراهيم/٧
(٤) القرآن الكريم: نوح/١٠، ١١.

الجنة فجعل سفيان يقولها ويعدها في يده ثلاثاً وأي ثلاث، فقال جعفر: قد والله عقلها وفهمها.

● الحثُّ على حِفْظِ معنى الإستغفارِ ومُراعاتِه دُونَ التَّفوُّهِ بِهِ

قال أبو عبد الرحمن المقري سمعني سوار الراهب وأنا أستغفر الله فقال لي: يا فتى، سرعة اللسان بالإستغفار توبة الكذابين. وقالت رابعة: أستغفر الله من قلّة صدقي في قولي أستغفر الله وقيل من قدم الإستغفار على الندم كان مستدعياً.

● الحَثُّ على الأدعيةِ وإنها متضمِّنةٌ للإجابةِ

قال النبي ﷺ: من أعطي أربعاً أعطي أربعاً وهي في كتاب الله من أعطي الذكر ذكره الله لقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[1] ومن أعطي الدعاء أعطي الإجابة لقوله تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[2] ومن أعطي الشكر أعطي الزيادة لقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[3] ومن أعطي الإستغفار أعطي المغفرة لقوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾[4] وقال ﷺ: حصنوا أموالكم بالزكاة وادفعوا البلاء بالدعاء.

● الحثُّ على فعْلِ ما يقتضي إجابة الدعاءِ

قال بعضهم: لا تستبطئ الإجابة من دعائك وقد سددت طريقه بالذنوب. وقيل لمالك بن دينار: ادع الله لفلان المحبوس، فقال: مثل محبوسكم مثل شاة عدت إلى عجين فقير فأكلته فانتفخت، فصاحبها يقول: اللّهم سلّمها، وصاحب العجين يقول: اللّهم أهلكها، ولا يسمع دعاء صاحبها مع دعاء المظلوم، فقولوا لصاحبكم يرد إلى كل ذي حق حقه، فإنه لا يحتاج إلى دعائي حينئذ قال طاووس: يكفي من الدعاء مع الورع ما يكفي العجين من الملح.

وقيل: ثلاثة لا يستجاب لهم دعوة رجل كانت له امرأة يدعو عليها، فيقول: ألم أجعل أمرها بيدك، ورجل جالس في بيته يقول اللّهم ارزقني، فيقول: ألم آمرك بالطلب، ورجل له مال فأفسده ثم يقول ارحمه لي، فيقول: ألم آمرك بإصلاح المال.

ورأى أعرابي ظالماً يدعو فقال: يا هذا إنما يستجاب لمظلوم أو لمؤمن ولست بأحدهما وإنّي أراك تخف لديك الذنوب وتحمى عليك العيوب.

● مدحُ الإستغفارِ بالأصابعِ

قال النبي ﷺ: إذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم، وإذا استعذتموه فاستعيذوا بظاهرها. وقالت عائشة رضي الله عنها: استغفروا الله بأصابعكم التي كسبتم بها الذنوب

---

(1) القرآن الكريم: البقرة/ ١٥٢

(2) القرآن الكريم: المؤمنون/ ٦٠.

(3) القرآن الكريم: إبراهيم/ ٧.

(4) القرآن الكريم: نوح/ ١٠

وفي بعض التفاسير فما استكانوا لربهم وما يتضرعون، قالوا: ما دعوه وما رفعوا أيديهم ولم يبسطوا راحتهم ولا حركوا أصابعهم

ولما صاف قتيبة الترك وهاله أمرهم سأل عن محمد بن واسع فقالوا ها هو ذا في أقصى الميمنة جانحاً على سية قوسه، يبصبص بأصابعه نحو السماء فقال قتيبة تلك الأصابع الفردة أحب إليّ من مائة ألف سيف شهير وسنان طرير.

● ذمّ رفعِ اليدين واستعمالِ السبّحةِ

رأى شريح رجلاً يدعو ربه رافعاً يديه إلى السماء فقال له غض بصرك وكف يديك فإنك لن تراه ولن تناله. ومرّ عمر بن عبد العزيز برجل يسبح بالحصى فإذا بلغ المائة عزل حصاة، فقال له: ألق الحصى وأخلص الدعاء.

● شكرُ الله تعالى على نِعمِه

قال الله تعالى ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1] وقال الحسن في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾[2] قال: ينسى النعم ويذكر المصائب

وقالت هند بنت المهلب إذا رأيتم النعم مستدرّ فبادروه بالشكر قبل الزوال إلهي قد أوليتني صالح نعيد باع الحمد قصيرُ ولَدَ لسان الشكر حسيراً، فأجرني ما عودتني وأنجز أفضل ما وعدتني، إلهي لك الحمد على النعم ما اختلفت يمين وشمال ولك الشكر ما هبت جنوب وشمال.

وقال بعضهم اللّهم إنك تعرف عجزي عن الشكر فاشكر نفسك عني

● الدعاءُ بإزالةِ الخوفِ والبلاءِ المخوفِ

حُكي عن سنيد بن داوود قال رأيت عثمان بن مسلم يمضي به ليمتحن فقلت له قف يا شيخ أعطك كلمات فإنك لن ترى إلا خيراً، قلْ حسبي الله ونعم الوكيل فإن الله تعالى يقول. ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾[3] وقل: وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد فإنه يقول ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾[4] وقل: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله. قال عثمان فقلتها فما رأيت إلا خيراً.

ويروى أن رجلاً أخافه عبد الملك فهرب منه فلقيه شيخ وسيم بأرض فلاة فقال ما قصتك؟ قال: خائف قال ومن أخافك؟ قال: عبد الملك، قال فأين أنت عن السبع؟ فقال: لا أعرفها. فقال: قل سبحان الواحد الذي ليس غيره إله، سبحان الدائم الذي لا يعاد له شيء، سبحان الذي خلق ما يرى وما لا يرى سبحان الذي علم كل شيء بغير تعلم. قال فقلتها

---

(١) القرآن الكريم إبراهيم/٧

(٢) القرآن الكريم: العاديات/٦.

(٣) القرآن الكريم آل عمران/١٧٤.

(٤) القرآن الكريم: المؤمن/٤٥.

فألقى الله تعالى في قلبي الأمن فأتيته، فلما مثلت بين يديه، قال لي: أف تعلمت السحر؟ قلت: لا ولكن من قصتي: كيت وكيت، فكتبه عني وأمسي وأجرى لي رزقي

● من سأل اللَّه أن يوفقهُ للشُّكر والصبْر

قال أعرابي أبطأ عنه ابنه فجاءه: اللّهم إن كنت أنزلت به فأنزل معه صبراً، وإن كنت وهبت له عافية فأفرغ عليه شكراً اللّهم إن كان عذاباً فاصرفه وإن كان صلاحاً فزد فيه، وهب لنا الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء

● التعوُّذُ مِنَ الفقر والإستدعاءُ للرزْق

قال بعضهم في بعض مواقف الحج: اللّهم لا تعيني بطلب ما لم تقدر لي، وما قدرته فاجعله ميسراً سهلاً، وكافىء عني أبوي وكل ذي نعمة عليّ

وقال سعيد بن المسيب: كنت جالساً عند القبر والمنبر فسمعت قائلاً ولم أر شخصاً اللّهم إني أسألك باراً ورزقاً داراً وعيشاً قاراً، اللّهم لا تجعل بيننا وبينك في الرزق أحداً سواك، اللّهم إن كان رزقي في السماء فأنزله، وإن كان في الأرض فيسره، وإن كان قليلاً فثمره وإن كان يسيراً فكثره، أعوذ بالله من القنوع والخضوع والخنوع. اللّهم اجعلني أفقر خلقك إليك وأغناهم بك، اللّهم اجعل لي رزقاً وسعاً واجعلني به قانعاً.

وقال قيس بن سعد: اللّهم ارزقني مجداً وحمداً فلا حمداً إلا بفعال ولا مجداً إلا بمال، اللّهم إني أعوذ بك من فقر مكب وضروع إلى غير محب

● منْ فَزَعَ إلى الله في أن يُوفّقه لِمصْلَحةٍ في كسبِهِ وإنفاقه

اللّهم أحجبني عن السرف وقومني بالاقتصاد، وعلمني حسن التقدير وأجر من أسباب الحلال رزقي، ووجه في أبواب البر نفقتي، واجعل ما خولتني من عطائك وصلة إلى قربك وذريعة إلى جنتك، اللّهم هب لنا غنى لا يطغينا، وصحةً لا تلهينا، وأعذنا من فقر ينسينا.

وكان جعفر يقول: اللّهم ارزقني التفضل على من قترت عليه مما وسعته عليّ، اللّهم أغنني عمن أغنيته عني وسهلني لمن أحوجته إليّ واجعلني لأنعمك من الشاكرين

● مَن استعاذَ باللّهِ يَقيه من آفاتٍ ونوبٍ حضرها

اللّهم إنّا نعوذ بك من هيجان الحرص، وسورة الغضب، وغلبة الحسد، وضعف الصبر، وقلّة القناعة، وإلحاح الشهوة، ومخالفة الهدى، وسنة الغفلة، وتعاطي الكلفة، وإيثار الباطل على الحق، والإصرار على المأثم، واستكثار الطاعة، والإزراء على المقلّين وسوء الولاية لما تحت أيدينا، وترك الشكر لمن اصطنع العازفة[1] عندنا، وأن نعضد ظالماً أو نخذل ملهوفاً أو نروم ما ليس لنا بحق، أو نقول في العلم بغير علم، ونعوذ بك من سوء السيرة وإحصاء

---

(١) العازفة: اللاعبة بالمعازف أي آلات العزف والطرب من مثل الطنبور والعود ونحوهما

الصغيرة، ونعوذ بك من شماتة الأعداء ومن الفقر إلى غير الأكفاء، ومن عيشة في شدّة وميتة على غير عدة، ومن سوء المآب وحرمان الثواب وحلول العقاب.

ودعا أعرابي فقال: اللّهم إني أعوذ بك من الفاجر وجدواه، والسفيه وعدواه، وذي الرحم ودعواه، ومن عمل لا ترضاه. اللّهم أمتعنا بخيارنا، وأعنّا على شرارنا واجعل المال في سمحائنا. ودعا أعرابي فقال: اللّهم إني أعوذ بك من عضال الداء، وخيبة الرجاء، وشماتة الأعداء، وزوال النعمة، وفجاءة النقمة.

- **مَنْ سألَ اللّهَ العافيةَ**

اللّهم إني أعوذ بك ممن يغدو قلبه بصديق ويصحك سن العدو، اللّهم استرنا ستورك الحصينة واعصمنا بحبالك المتينة وأدخلنا في كفالتك الأمينة، اللّهم إني أسألك سترك الذي لا تخرقه الرماح ولا تزيله الرياح.

- **مَنْ دَعَا لِنَفْسِهِ وقومه بالعافية**

قال رجل في عقب صلاته: اللّهم عافني في نفسي فإنها أعزّ الأنفس عليّ، وفي أولادي فإنهم لحمي ودمي، وفي عشيرتي فإنهم عزي وناصري، وفي جماعة المسلمين فإنّ صلاحي لا يتم إلا بصلاحهم اللّهم أستودعك ما أحاطت به شفقتي وعجزت عنه قوتي.

- **مَنْ سألَ اللّهَ أنْ يقيهِ الشرَّ من مَنْ يبغيهِ**

اللّهم مَنْ أراد بي شراً فأحط بسوءه به كإحاطة القلائد بترائب الولائد، ثم أرسخه على هامه كرسوخ السجيل على أصحاب الفيل. يا سابق الفوت ويا سامع الصوت، ومنشىء العظام بعد الموت، صلِّ على محمد وآله واجعل لي من هذا الأمر مخرجاً وفرجاً. وقال أعرابي اللّهم قني من عثرات الكرام.

- **مَنْ سألَ الله تعالى أن يتوكّلَ لَهُ**

أسأل الله الذي يعد أنفاسي أن لا يكلني إلى احتراسي. اللّهم إني تخليت من حولي وحيلتي إلى حولك وحيلتك، اللّهم اجعلني أفقر خلقك إليك وأغناهم بك. وكان مطرف يقول: اللّهم إنك أمرتنا بأمرك ولا نقوى عليه إلا بكرمك، ونهيتنا عمّا نهيتنا عنه ولا ننتهي عنه إلا بعصمتك.

- **أدعيةٌ لأوقاتٍ معلومةٍ**

كان إبراهيم بن أدهم إذا أصبح يقول: سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون. وقيل لرجل: إلحق دارك فقد احترقت، فقال: ما احترقت والله، فقيل: أتحلف على ذلك فقال: نعم إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من قال حين يصبح إن ربي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو ربّ العرش

العظيم، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم، أشهد أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً، أعوذ بالله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها. إن ربي على صراط مستقيم، لم يرَ يومئذ في نفسه ولا أهله ولا ماله شيئاً يكرهه وقد قتلها اليوم. فلما انتهوا إلى داره وجدوها قد احترق ما حولها ولم تحترق.

وكان رسول الله ﷺ إذا رأى هلال رمضان يقول: اللّهم هذا شهر رمضان فسلمه لنا، وسلمنا له، وتسلمه منا في يسر وعافية، وارزقنا صيامه وقيامه متقبلاً بإيمان واحتساب، وكان إذا أتي بالباكورة قبلها ووضعها على عينيه ويقول: اللّهم أريتنا أوله فأرنا آخره.

وقال أمير المؤمنين كرم الله وجهه: علمني رسول الله ﷺ إذا لبست ثوباً جديداً أن أقول الحمد لله الذي كساني من الرياش ما أتجمّل به في الناس. اللّهم اجعلها ثياب بركة أسعى بها لمرضاتك وأعمل فيها بطاعتك.

وكان عليه الصلاة والسلام يقول: اللّهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك خيره وخير ما صنع له. اللّهم هب لي من خلقك، وأرض عني خلقك. قال الشافعي: علمنا أنه يستجاب الدعاء عند المطر ثم تلا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾[1]

● مَنْ سألَ اللّهَ التوفيقَ لعبادته

قال سعيد بن المسيب: مرّ بي صلة بن أشيم فقلت: ادع لي. فقال: رغبّك الله فيما يبقى، وزهدك فيما يفنى، ووهب لك اليقين الذي لا تسكن النفوس إلا إليه، ولا يعوّل في الدين إلا عليه. اللّهم إني أحب طاعتك وإن قصرت فيها، وأكره معصيتك وإن ركبتها، فتفضّل عليّ بالجنة وإن لم أستحقها، وخلصني من النار وإن استوجبتها. اللّهم إني أسألك الإقبال عليك والإصغاء إليك، والفهم عنك، والبصيرة في أمرك، والنفاذ في طاعتك، والمراقبة على إرادتك، والمبادرة في خدمتك، وحسن الأدب في معاملتك، والتسليم والتفويض إليك.

● المقرُّ بذنْبِهِ السائلُ من الله تعالى الرحمةَ

اللّهم إني رهين بذنوبي، أتعثّر في ذيولها وأستحيي تحت سدولها، فتفضل عليّ بعفو يبسط حافة رجائي ويقبض المخافة عن أرجائي. إلهي لست أنك مقلباً أزمة الخطايا وأعنة السيئات، فوفقني لتوبتي وأمن عليّ عند إنتهاء نوبتي.

---

(١) القرآن الكريم: الشورى/ ٢٨.

وقال أعرابي يا رب تظاهرت عليّ منك النعم، وتكاثفت مني عندك الذنوب، وأحمدك على النعم التي لا يحيط بها إلا علمك. ووضع أعرابي يده على باب الكعبة فقال: يا رب سائلك ببابك قد مضت أيامه، وبقيت آثامه، فارض عنه وإلا ترض عنه فاعف عنه، فقد يعفو السيد عن العبد وهو عنه غير راض.

وقال عمرو بن العاص حين احتضر: يا رب إنك أمرتنا فلم نأتمر، وزجرتنا فلم ننزجر، وإنا لا معتذر ولكن نستغفر. وقال ابن السماك عند وفاته: اللّهم إنك تعلم أني كنت أعصيك، وأحب أن أكون ممن يطيعك، إلهي كم تتحبب إليّ بنعمتك وأنت عني غني، وكم أتبغض إليك بذنوبي وأنا إليك فقير سبحان من إذا توعد عفا، وإذا وعد وفى. وقالت امرأة: اللّهم إني أقوم كسلى وأصلي عجرى فعفر لي قبل عروي[1] ما جرى.

ووقف أعرابي على قبر النبي ﷺ فقال: قد قلنا منك وحفظنا ما أديت عن ربك ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول، لوجدوا الله تواباً رحيماً. فقد ظلمنا أنفسنا واستغفرنا فاستغفر لنا.

وكان شريح يقول: اللّهم إني أسألك الجنة بلا عمل عملته، وأعوذ بك من النار بذنب ركبته، قال أمير المؤمنين كرم الله وجهه: أحب الكلام إلى الله أن يقول العبد وهو ساجد إن ظلمت نفسي فاغفر لي ثلاثاً.

● مَنْ سأَلَ خَيرَ الدارَين

طاف أعرابي بالبيت ثم صلّى ركعتين ونهض فقيل له: ما لك حاجة إلى الله؟ قال بلى وقد سألته. قيل وما قلت؟ قال. قلت اللّهم إنك قد أحصيت ذنوبي فاغفرها وعلمت حاجتي فاقضها. وقال بعضهم: أستغفر الله والحمد لله فقيل له في ذلك فقال: ما رأيت أجمع من هاتين الكلمتين، أنا بين ذنب ونعمة أستغفر الله من الذنب وأحمده على النعمة.

● مَنْ سأَلَ اللّهَ الغُفرانَ بِفَعْلَةٍ كانتْ مِنه

دعا رجل بالبصرة في مسجد فقال: اللّهم إني وإن كنت عصيتك فحبي فيك من أطاعك إلا رحمتني. فهتف به هاتف: يا هذا لقد عقدت عقداً لا يحل أبداً. ولما حج عمر بن ذر اجتمع الناس إليه فقالوا له: ادع لنا بدعوة. فقال: اللّهم أرحم قوماً لم يزالوا منذ خلقتهم على مثل ما كانت عليه السحرة يوم رحمتهم وقانا الله هول المطلع وضيق المضجع وسوء المرتجع، اللّهم لو سألتني حسناتي مع حاجتي إليها لوهبتها لك وأنا عبد فكيف لا تهب لي سيئاتي مع غناك عنها وأنت رب، اللّهم أسألك المغفرة يوم كل نفس إليك فقيرة، فإن النعمة فيها كثيرة.

---

(١) عروي: من عرا عروا فلاناً قصده طالباً معروفه.

● الإستسقاء

اللّهم أسقنا غيثاً مريعاً ريعاً مجللاً مجلجلاً سحاً سفوحاً طبقاً غدِقاً وَدِقاً. فسمع أعرابي ذلك فقال: أخشى الطوفان ورب الكعبة دعني يا نوح آوي إلى جبل يعصمني من الماء.

وقال النبي ﷺ: اللّهم إنك حبست عنا مطر السماء فذاب الشحم وذهب اللحم ورق العظم، فارحم أنين الآنة وحنين الحانة. اللّهم إرحم تحيرها في مراتعها وحنينها في مرابضها.

وصعد عمر المنبر للإستسقاء فلم يزد على الإستغفار، فقيل له: إنك لم تستسق، فقال: قد استسقيت بمجاديح[1] السماء. ذهب إلى قوله تعالى ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[2]

وخرج سليمان بن عبد الملك يستسقي فسمع أعرابياً يقول:

رب العبادِ ما لنا وما لكا ... قد كنتَ تسقينا فما بدا لكا

أنزلْ علينا الغيثَ لا أبا لكا

فضحك سليمان، وقال أشهد أنه لا أبا له ولا صاحبة ولا ولد.

● أنواعٌ شتى من ذلك

اللّهم إني أعوذ بك من أن تحسُنَ في العيون علانيتي وتقْبُحَ في الخفيات سريرتي. اللّهم كما أسأت وأحسنت إليّ فإن عدت فعد عليّ. وكان الحجاج إذا تلا قوله تعالى ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾[3] يقول: كان سليمان حسوداً، وإذا تلا قوله تعالى ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾[4] قال: أحب يوسف الإمارة يا من يغضب على من لا يسأله لا تحرم من قد سألك.

وقال الأصمعي: سمعت أعرابية تدعو على ظالم لها: اللّهم أشغلني منه في الدنيا فإني في الآخرة عنه مشغولة، اللّهم لا تبرلني مرزئ سوء فأكون امرأة سوء، اللّهم أصلحني قبل الموت وأرحمني عند الموت واغفر لي بعد الموت. وقال أعرابي وقد صلى: اللّهم عفرت لك جبيني وبسطت إليك يميني فنظر ما تعطيني. وقال مالك بن دينار: اللّهم سهّل لي المجاز ويسّر لي الجواز. ومن دعاء موسى بن جعفر عليهما السلام: اللّهم أفرغني لما شغلتني له ولا تشغلني بما تكفلت لي به يا رب العالمين.

---

(١) مجاديح السماء: أنواؤها التي ترسل الأمطار، جمع مجدح، والمجداح أيضاً: ساحل البحر.
(٢) القرآن الكريم، نوح/ ١٠، ١١. (٣) القرآن الكريم: ص/ ٣٥.
(٤) القرآن الكريم: يوسف/ ٥٥.

(١٣)
وممّا جاءَ في فضائلِ أعيانِ الصحابةِ

●

قد كان من شرط هذا الكتاب أن لا نشتغل بذكر الرجال على الترتيب إذ كان القصد فيه إلى تنويع المعاني لكن لم يوجد بد من ذكر فضائل الصحابة إذ كانت الحاجة إليه تكثر

● **أبو بكر الصديق رَضِيَ الله عَنْهُ**

قيل: سمي عتيقاً لجمال وجهه. وقيل لقول النبي ﷺ أنت عتيق الله من النار **وقيل**: لأن أمه لم يكن يبقى لها ولد، فلما ولدته استقبلت به البيت **وقالت**: اللّهم اجعل هذا عتيقاً من الموت وهبه لي. **وقيل**: كان لأبيه ثلاثة أولاد عتيق ومعتق وعُتَيْق، ولد بعد عام الفيل بسنتين ودون أربعة أشهر، ومات بعد النبي ﷺ بسنتين وأربعة أشهر وهو ابن ثلاث وستين سنة.

● **مِنْ فضَائِلِهِ**

قيل: له أربعة فضائل لم يشاركه فيهن أحد كان ثاني إثنين في الغار، وثاني إثنين في المشورة، وثاني إثنين في العريش، وثاني إثنين في القبر وصلى النبي ﷺ خلفه

قال الشعبي: سألت ابن عباس عن أول الناس إسلاماً **فقال**: أما سمعت قول حسان بن ثابت فيه:

إذا تـذكـرت شـجـواً مـن أخـي ثـقـةٍ ... فـاذكُرْ أخـاك أبـا بـكـر بـمـا فـعـلا
الـثـانـي الـتـالـي الـمـحـمـودُ مشـهـدُهُ ... وأولُ الـنـاس مـنـهـم صـدّق الـرّسُـلاَ

وقال النبي ﷺ: ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كان له تردد وكبوة، إلا أبا بكر وقال ما أحد أمن عليّ بصحبته وماله من أبي بكر، وسماه النبي ﷺ عتيقاً حتى غلب على إسمه وإسم أبيه وكفى له شرفاً، قوله عز وجل ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[1] فسماه صاحباً في كتابه.

ولما برز إبنه عبد الرحمن يوم أحد **وقال**: هل من مبارز، نهض إليه أبو بكر بسيفه، فقال له النبي ﷺ شم سيفك وارجع إلى مكانك ومتعنا بنفسك

● **عمر رَضِي اللّهُ تعالى عَنْهُ**

سُمي الفاروق لفرقه بين الحق والباطل طعن لسبع بقين من ذي الحجة، ومات غرة

---

(١) القرآن الكريم: التوبة/ ٤٠.

المحرم، وقيل: كان ابن ثلاث وستين سنة. وقيل: ابن ستين وقيل: خمس وخمسين. وخلافته كانت عشر سنين وسبعة أشهر وخمس ليال وقيل ثمانية أشهر وأربعة أيام.

● مِنْ فَضَائِلِهِ

كان النبي ﷺ يقول: اللّهم أيدْ الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام فأصبح عمر فقرع الباب على النبي ﷺ فأسلم وخرج فصلى في المسجد ظاهراً

وقال عليه الصلاة والسلام: إن الشيطان يفرق من عمر. وروى أبو سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب فذكرت غيرته فوليت مدبراً، فبكى عمر وقال: بأبي وأمي يا رسول الله ﷺ أعليك أغار

وقال عليه الصلاة والسلام: بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون وعليهم قمص[1]، منها ما يبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك وعرض على عمر وعليه قميص يجره قالوا: ما أوّلت يا رسول الله؟ قال: الدين.

وقال عليه الصلاة والسلام: إن من قبلكم كان فيهم محدثون فإن يكن في أمتي منهم أحد فإنه عمر بن الخطاب.

وقال عبد الله بن مسعود: إذ ذكر الصالحون فحيهلا[2] بعمر كان والله للإسلام حصناً حصيناً يدخل فيه الناس ما دام حياً ولا يخرجون منه، فلما مات انثلم ذلك الحصن. وكان يبغض الملق والتقرب وضرب ناساً على أن قالوا: يا خير الناس وقدموا إسمه في الديوان، فغضب وقال: ضعوا عمر وآل عمر حيث وضعهم الله وكان عبد الملك يقول: إذا ذكر عمر كان ذكره أسفاً للأمة وطعناً على الأئمة.

● مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكرٍ وعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعالَى عنهما

روي عن أمير المؤمنين أن النبي ﷺ نظر إلى أبي بكر وعمر فقال: هذان سيدا كهول أهل الجنة. وقال عليه السلام: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر. وروي أن النبي ﷺ لما أسس بناء المسجد، جاء بحجر فوضعه ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه، ثم جاء عمر بحجر فوضعه، ثم جاء عثمان بحجر فوضعه، فسئل النبي ﷺ عن ذلك فقال: هم أمراء الخلافة بعدي وقيل لعلي بن الحسين رضي الله عنهما: ما منزلة أبي بكر وعمر من النبي ﷺ فقال منزلتهما منه اليوم وحثّ النبي ﷺ على الصدقة فجاء أبو بكر بماله كله، فقال له النبي ﷺ: ما أعددت لعيالك؟ فقال: الله ورسوله. وجاء عمر بنصف ماله، فقال: ما

---

(١) القمص: جمع قميص

(٢) حيهلا: اسم فعل بمعنى عجّل وأقبل ويقال حيهلى أي هلُم، والحيهل في الأصل ضرب من الشجر واحدته حيهلة.

أعددت لعيالك؟ فقال نصف مالي، فقال النبي ﷺ: ما بين الرجلين ما بين الكلمتين.

ولما استشار النبي ﷺ أبا بكر في أساري بدر قال: قومك فيهم الآباء والأبناء والإخوان فامنن عليهم أو فادهم يستنقذهم الله بك من النار وما أخذت منهم فهو قوة للإسلام فاستشار عمر، فقال: يا نبي الله هم أعداء كذبوك وحاربوك وأخرجوك، أضرب رقابهم. فقال النبي ﷺ: مثل أبي بكر في الملائكة مثل ميكائيل ينزل بالرضا والغفران وفي الأنبياء بإبراهيم طرحه قومه في النار فما زاد على أن قال أف لكم ولما تعبدون من دون الله، أفلا تعقلون؟ وقال: فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم. وكمثل عيسى إذ يقول: أن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم.

ومثل عمر في الملائكة كجبريل ينزل بالسخط والنقمة وفي الأنبياء كنوح، حيث قال: رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فجاراً كفاراً. ومثل موسى حيث قال ربنا أطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم.

وقد أحسنا تأثيرهما في الولاية: أما أبو بكر رضي الله عنه فإنه لما مات النبي ﷺ قال عمر: كيف مات النبي والله تعالى يقول ليظهره على الدين كله فقام أبو بكر فقال: أيها الناس إن الله تعالى قد نعى إليكم نبيكم وهو حي بين أظهركم ونعاكم إلى أنفسكم فقال إنك ميت وإنهم ميتون فسكن الناس، وتلا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾[1]، ثم تلا: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ و كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[2] ثم قال: ليظهر الله دينه ويتم نوره.

وأمره في ارتداد العرب ومنعهم الزكاة معروف حيث خالف جماعة الصحابة، وقال: لو منعوني عقالاً لقاتلتهم وقال إن قبلت قولكم لا لأنقض عرى الإسلام عروة عروة واجتهد في تجهيز جيش أسامة، وخالفه الصحابة فقال: لو بقيت وحدي حتى تأكلني الكلاب ما أخرت جيشاً أمر النبي ﷺ بإنفاذه والوحي ينزل عليه. وأما عمر رضي الله عنه فإنه فتح الفتوح ودوّن الدواوين وفرض العطية ومصّر الأمصار وجبى الفيء وبلغت خيله أفريقية وأوطأ خيله خراسان وكرمان وأزال ملك بني ساسان، ولما طعن قيل له: ألا تستخلف؟ فقال أن أترك، فقد ترك من هو خير مني يعني رسول الله وإن استخلف فقد استخلف خير مني يعني أبا بكر.

● عثمان رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْه

كان يلقب ذا النورين، وكان ختن النبي ﷺ على ابنتيه: قتل يوم الأربعاء لثماني عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وهو ابن اثنتين وثمانين سنة. وقيل: إنه

(١) القرآن الكريم: آل عمران/ ١٤٤.

(٢) القرآن الكريم: آل عمران/ ١٨٥، والرحمن/ ٢٦.

كان أصبح. فقال: إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام. فقال: يا عثمان أفطر عندنا الليلة، فأصبح صائماً. فقتل من يومه وأشرف عليهم وقال: علام تقتلونني وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث، رجل زنا بعد إحصان فعليه الرجم، أو رجل ارتد بعد الإسلام فعليه القتل، أو قتل عمداً فعليه القود فوالله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام ولا قتلت أحداً ولا ارتددت مذ أسلمت

وقال أبو موسى. دخل النبي ﷺ حائطاً وأمرني بحفظ الحائط فجاء رجل يستأذن فقال ائذن له وبشره بالجنة فإذا أبو بكر، ثم جاء آخر يستأذن فقال: ائذن له وبشره بالجنة فإذا عمر، ثم استأذن آخر فسكت هنيهة ثم قال ائذن له وبشره بالجنة بعد بلوى ستصيبه فإذا عثمان بن عفان وصعد النبي ﷺ أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم فضربه برجله، وقال: أسكن أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان واستأذن عثمان على النبي ﷺ وكان مكشوف الفخذ فغطاها وعنده أبو بكر وعمر فقيل له في ذلك فقال. كيف لا أستحي ممن تستحي منه الملائكة؟

● ذِكرُ فتوحاتِهِ

افتتح أرمينية بحبيب بن مسلمة وأذربيجان بالمغيرة وأفريقية بعبد الله بن سمرة

● ذِكرُ ما عُتِبَ عليه

قالوا آوى طريد رسول الله ﷺ الحكم بن العاص، وأعطاه مائة ألف درهم ونفى أبا ذر إلى الربذة وعامر بن عبد القيس إلى الشام، وتصدق رسول الله ﷺ بمهزور على المسلمين وهو موضع سوق المدينة، فنقضه عثمان وأقطعه الحارث بن الحكم أخا مروان وأقطع فدك مروان، وكل ذلك مما وصفه به عمر رضي الله عنهما حيث قال: هو كلف بأقاربه.

● عليُّ بن أبي طالبٍ كرَّم اللَّهُ تعالى وَجهَهُ

قتل لتسع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان يوم الجمعة سنة أربعين، وهو ابن ثلاث وستين وقيل ابن ثلاث وخمسين، وخلافته أربع سنين وثمانية أشهر وتسعة عشر يوماً ودُفن بالكوفة وغيّب قبره.

وقال ﷺ: الخلافة ثلاثون عاماً، ثم تكون ملكاً. وكناه النبي ﷺ أبا تراب، وذلك أنه دخل على ابنته فاطمة فقال. أين ابن عمك؟ قالت. في فناء المسجد. فوجده مضطجعاً في التراب فقال النبي ﷺ: قم أبا تراب وذلك من شدة ما أعجب به

● مِنْ فضائِلِهِ

قال له النبي ﷺ: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ غير أنه لا نبي بعدي قال: بلى. قال. فأنت كذلك وقال علي مني وأنا منه وهو وليّ كل مؤمن بعدي

وأخذ بيده فقال: اللّهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وأبغض من أبغضه وأنصر من نصره وأخذل من خذله، وقال يوم خيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. ثم دعا علياً وهو رمد فأعطاه اللواء وقال: أنت أخي في الدنيا والآخرة.

وقال ﷺ: النظر إلى علي عبادة. أي إذ مرّ يكبّر الناس فيقولون: لا إله إلا الله، ما أجمله ما أعلمه ما أشجعه ما أشرفه. وقال عليه السلام: بعثني النبي ﷺ إلى اليمن فقلت: يا رسول الله أتبعثني وأنا حديث السن لا علم لي بالقضاء، فقال: إنطلق فإن الله تعالى سيهدي قلبك ويثبت لسانك. قال: فما شككت في قضاء بين رجلين.

ولما أنزل الله عز وجل ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾[1] قال النبي ﷺ لعلي: سألت الله أن يجعلها أذنك فما سمع بعدها شيئاً إلا حفظه. وعن أنس بن مالك قال: جاء أبو بكر إلى النبي ﷺ فقعد بين يديه فقال: يا رسول الله قد علمت مناصحتي وقدمي في الإسلام وإني وإني قال وما ذاك؟ قال تزوّجني فاطمة فسكت عنه، فرجع أبو بكر إلى عمر فقال هلكت وأهلكت، قال وما ذاك؟ قال خطبت فاطمة إلى النبي ﷺ فأعرض عني، فقال: مكانك حتى آتي النبي ﷺ فأطلب مثل ما طلبت فأتى عمر النبي ﷺ فقعد بين يديه، وقال: يا رسول الله قد علمت مناصحتي وقدمي في الإسلام وإني وإني، فقال وما ذاك؟ قال تزوجني فاطمة فأعرض عنه، فرجع عمر إلى أبي بكر فقال إنه ينتظر أمر الله فيها، إنطلق بنا إلى علي حتى نأمره أن يطلب مثل الذي طلبنا، قال علي فأتياني وأنا في سبيل فقالا: بنت عمك تخطب فنبهاني لأمر فقمت أجرّ ردائي، طرف على عاتقي وطرف في الأرض حتى أتيت النبي ﷺ فقعدت بين يديه، فقلت يا رسول الله ﷺ قد علمت قدمي في الإسلام ومناصحتي وإني وإني، قال وما ذاك يا علي؟ قلت: تزوجني فاطمة قال وما عندك؟ قال: فرسي وبدني يعني درعه. فقال: أما فرسك فلا بد لك منه وأما درعك فبعها فبعتها بأربعمائة وثمانين فأتيت بها النبي ﷺ فوضعتها في حجره فقبض منها قبضة، فقال: يا بلال ابغنا بها طيباً وأمر أن يجهزوها، فجعل لها سرير مشرط بالشريط ووسادة من أدم حشوها ليف، وملأ البيت كثيباً يعني رملاً، وقال: إذا أتتك فلا تحدث شيئاً حتى آتيك. فجاءت مع أم أيمن فقعدت في جانب البيت وأنا في جانب، وجاء النبي ﷺ فقال: ههنا أخي. فقالت أم أيمن: أخوك وقد زوجته ابنتك. فدخل النبي ﷺ فقال لفاطمة: ائتيني بماء فقامت إلى قعب في البيت فجعلت فيه ماء وأتته به، فمج فيه ثم قال قومي فنضح ثدييها وعلى رأسها ثم قال: اللّهم أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم، ثم قال ائتني بماء، فعلمت الذي يريده، فملأت القعب ماء وأتته به فأخذ منه بفيه ثم مجه ثم صب على رأسي وبين يدي وقال: اللّهم إني أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم. ثم قال: أدخل على أهلك بسم الله والبركة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت أسير مع عمر بن الخطاب في ليلة. وعمر

---

(1) القرآن الكريم: الحاقة/ ١٢.

على بغل وأنا على فرس، فقرأ آية فيها ذكر علي بن أبي طالب فقال: أما والله يا بني عبد المطلب لقد كان عليّ فيكم أولى بهذا الأمر مني ومن أبي بكر. فقلت في نفسي: لا أقالني الله إن أقلته فقلت: أنت تقول ذلك يا أمير المؤمنين وأنت وصاحبك وثبتما وافترعتما الأمر منا دون الناس. فقال: إليكم يا بني عبد المطلب أما أنكم أصحاب عمر بن الخطاب فتأخرت وتقدم هنيهة، فقال سر لا سرت. وقال: أعد علي كلامك فقلت: إنما ذكرت شيئاً فرددت عليك جوابه ولو سكت سكتنا. فقال: إنا والله ما فعلنا الذي فعلنا عن عداوة ولكن استصغرناه وخشينا أن لا تجتمع عليه العرب وقريش لما قد وترها. قال فأردت أن أقول: كان رسول الله ﷺ يبعثه فينطح كبشها فلم يستصغره، أفتستصغره أنت وصاحبك؟ فقال: لا جرم، فكيف ترى والله ما نقطع أمراً دونه ولا نعمل شيئاً حتى نستأذنه.

وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما، إن عمر بن الخطاب قال: ثلاث لم أسأل عنهن رسول الله ﷺ فقال علي: وما هن؟ قال عمر: حب الرجل الرجل لم يجر بينهما خلطة ولا معرفة، فأنى ذلك والرؤيا، منها ما يصدق كأخذ باليد، ومنها ما يكون أضغاثاً، فأنى ذلك والرجل يتحدث بالحديث أحياناً، ويختلف أحياناً فأنى ذلك.

فقال علي عليه السلام: أما ما ذكرت من حب الرجل الرجل لم تجر بينهما ما خلطة ولا معرفة، فإن الله خلق الأرواح قبل الأجساد فتلتقي الأرواح على سبب بين السماء والأرض، فتشام كما تشام الخيل فما تعارف ثم ائتلف بها.

وأما الرؤيا فإن العقل إذا عرج بنفسه وهو في النوم في المصعد، فهو كأخذ باليد وإذا هبط إلى جسده تلقته الشياطين بالأضغاث لكي تحزنه، وما أخبرت به فهو الذي لا يصدق. وأما الرجل يتحدث بالحديث ثم ينسى، فإن القلب تغشاه ظلمة كظلمة القمر فإذا تغشى القلب تخلى عنه ذكره.

وعن أنس قال: قال النبي ﷺ: إن حبيبي ووزيري وخليفتي، وخير من أترك بعدي يقضي ديني وينجز موعدي علي بن أبي طالب. وقال رسول الله ﷺ لفاطمة: لقد زوجتكه سيداً في الدنيا سيداً في الآخرة، لا يبغضه إلا منافق.

وقال النبي ﷺ: لقد أوحى إليّ في علي ثلاث، أنه سيد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين.

وعن البراء أن النبي ﷺ قال لعلي: أنت مني وأنا منك. وقال عليه الصلاة والسلام: الحق مع علي وعلي مع الحق لن يزولا حتى يردا على الحوض. وعن جابر وابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: أنا وعلي من شجرة واحدة. وقال له علي: آخيت بين الناس يا رسول الله فمن أخي؟ قال: أنت أخي في الدنيا والآخرة.

- **فضائلُ الحسنِ والحُسين رضي الله عنهما**

قال النبي ﷺ: ألا أدلكم على خير الناس عماً وعمة؟ قالوا: بلى يا رسول الله

قال: الحسن والحسين عمهما جعفر الطيّار وعمتهما أم هانىء بنت أبي طالب.

وقال ابن عباس كان النبي ﷺ حاملاً الحسن فقال له رجل يا غلام نعم المركب ركبت. وروي أنه قال ﷺ وقد امتطاه الحسن والحسين نعم المطي مطيكما ونعم الراكبان أنتما، وأبوكما خير منكما.

وقال أبو هريرة: سجد رسول الله ﷺ خمس سجدات بلا ركوع فقيل له قال: أتاني جبريل فقال إن الله يحب علياً، فسجدت ورفعت رأسي، فقال: إن الله يحب فاطمة، فسجدت ثم قال: إن الله يحب الحسن والحسين فسجدت فقال إن الله يحب من أحبهم فسجدت

وقال إبراهيم النخعي: لو كنت ممن أعان على الحسين ثم قيل لي أدخل الجنة، لاستحييت أن يراني رسول الله ﷺ فيها

وقال أبو بكر: رأيت النبي ﷺ يخطب على المنبر ينظر إلى الحسن مرة وإلى الناس مرة وقال: إن إبني هذا سيد يصلح الله به بين فئتين من المسلمين وسأل بعض أهل العراق ابن عمر عن قتل الذباب فقال: يا أهل العراق تسألوني عن قتل الذباب وقد قتلتم ابن بنت رسول الله ﷺ.

وقد قال رسول الله ﷺ هما ريحانتي من الدنيا وقال عمر بن عبد العزيز يوماً وقد قام من عنده علي بن الحسين من أشرف الناس؟ فقالوا أنتم فقال: كلا أشرف الناس هذا القائم من عندي آنفاً من أحب الناس أن يكونوا منه ولم يحب أن يكون من أحد

وذكر الحسن والحسين عليهما الرضوان عند المأمون فقال بخ بخ ما تقولون في غلامين حسن خلقهما الجليل وناغاهما جبريل ووليا بين التنزيل والتبجيل، هل للدين من عديل جدهما الرسول وأمهما البتول وأبوهما المقبول.

وقال عمر بن الخطاب في طلب مصاهرته علياً إني سمعت رسول الله ﷺ يقول كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي وقال عليه الصلاة والسلام فاطمة بضعة مني فمن أغضبها فقد أغضبني

● مَنَاقِبُ جماعةٍ من الصَّحابةِ رضوانُ الله عليهمْ أجمعين

سمّى النبي ﷺ طلحة يوم أحد طلحة الخير، وفي غزوة العسرة طلحة الفياض، ويوم حنين طلحة الجود.

ودخل على النبي ﷺ فقال: يا طلحة أنت ممن قضى نحبه وقال الزبير حواريّ وابن عمتي وطلحة حواريي.

وقال سعد: ما أسلم في اليوم الذي أسلمت فيه أحد، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام. وقال نبلني رسول الله ﷺ يوم أحد، وقال: إرم فداك أبي وأمي. وقال عليه الصلاة والسلام: اللّهم سدد رميه وأجب دعوته.

وقال عبد الرحمن: كان اسمي عبد عمرو فلما أسلمت سماني رسول الله ﷺ

عبد الرحمن. وقال النبي ﷺ: لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح.

وقال النبي ﷺ: اهتز العرش لموت سعد بن معاذ. وقال النبي ﷺ: أقرؤكم أُبي وأفرضكم زيد وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ وأقضاكم علي. وقال: ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر. وقال: يأتيكم خير ذي يمن وعليه مسحة ملك، فأتاهم جرير بن عبد الله البجلي وقال: رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك. وقال: رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد، وكرهت لها ما كره ابن أم عبد يعني عبد الله بن مسعود.

وقال ابن عباس: ضمّني النبي ﷺ إلى صدره وقال: اللّهم علمه الحكمة وقال النبي ﷺ: نعم الرجل عبد الله بن عمر كان يصلي بالليل، ثم ما كان ينام من الليل إلا قليلاً. وقال عليه الصلاة والسلام: إن عبد الله بن عمر رجل صالح. وقال: كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون. وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الأطعمة. وقال: بلال سابق الحبشة.

وكان عمر يقول: أبو بكر سيدنا أعتق بلالاً. وكان عليه السلام يقول: مالكم وعمار إنما عمار جلدة ما بين عيني وكان بنو مخزوم يعذبونه وأمه وكان يمر بهما النبي ﷺ ويقول: صبراً يا آل ياسر فإن موعدكم الجنة. وقال: من أحب أن ينظر إلى رجل يحب الله ورسوله بكل قلبه فلينظر إلى سالم. وقال عمر في شكاته وعنده المهاجرون والأنصار: لو أدركت سالماً ما تخالجني فيه شك. واجتمع بباب عمر الأجلاء من العرب يخرج آذنه وفيهم أبو سفيان وعيينة بن حصن، فخرج الآذن وقال: أين بلال أين عمار أين صهيب أين سليمان ادخلوا. فتمعرت وجوههم واستبان الجزع فيهم فقال سهيل بن عمرو: ومالكم دعوا ودعينا، فأسرعوا وأبطأنا ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد لهم في الجنة أعظم.

وقال المهدي لعبد الله بن مصعب: ما تقول فيمن يتنقص أصحاب النبي ﷺ؟ فقال: أمرت أن نقتل من يتنقص النبي بأيسر تنقص، وإن من أشد النقص أن يقال: كان راضياً بأصحاب سوء يصحبونه. وقال سفيان بن عيينة: من أبغض أبا طالب فهو كافر فقيل لمه قال: لأن النبي ﷺ كان يحبه ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[1] ومن أبغض من يحبه رسول الله ﷺ فهو كافر.

● نُبَذٌ مَنْ ذِكْر فضائل معاوية رضي الله تعالى عنه

قيل لأبي برزة الأسلمي: لم اخترت صحبة الشام على صاحب العراق؟ فقال: لأني رأيته أطوى لسره وأملك لعنان أمر جيشه وأفطن لما في نفس عدوه. وسئل عمر بن

---

(١) القرآن الكريم: القصص/ ٥٦.

عبد العزيز عن يوم الجمل ويوم صفين، فقال: تلك دماء صان الله عنها يدي فلا أغمس فيها لساني. وقال بعضهم: علي بن أبي طالب آخرة لا دنيا معه ومعاوية دنيا لا آخرة معه.

● مِمَّا طُعِنَ فِيهِ

قيل لهشام بن الحكم: هل شهد معاوية يوم بدر؟ فقال: نعم، من ذلك الجانب. وبلغ الحسن أن نافعاً كان يقول: إن معاوية كان يسكته الحلم وينطقه العلم. فقال: كان يسكته الحصر وينطقه البطر. وقال الحسن: لقد عمل معاوية ثلاثاً كلها موبقات، منازعة الأمر أهله وادعاؤه زياداً واستخلافه يزيد. وقال معاوية: أعنت على علي بثلاث. كان رجلاً يظهر سره وكنت كتوماً، وكان في أخبث جند وشره وكنت في أطوع جند وأقله خلافاً، وكنت أحب إلى قريش منه رضي الله عن الصحابة أجمعين.

● نَوادِرُ للشيعة

قيل لبهلول وكان يتشيع: وزن أبو بكر وعمر بالأمة فرجحا فقال: لعله كان في الميزان عيب. وقيل له: أتأخذ درهمين وتشتم فاطمة؟ فقال: بل آخذ دانقاً وأشتم معاوية. وقال بعضهم: رأيت في بغداد مكفوفاً يقول من أعطاني حبة سقاه الله من الحوض على يد معاوية، فتبعته حتى خلوت به فلطمته لطمة وقلت له عزلت أمير المؤمنين عن الحوض، فقال: بحبة أسقيهم من يد أمير المؤمنين لا والله.

وتخاصم رجلان إلى بعض الولاة وكان يتشيع وكان إسم أحد الخصمين علي وكنيته أبو عبد الرحمن واسم الآخر معاوية فلما عرف الوالي إسميهما، ضرب معاوية مائة سوط ففطن الخصم للقصة فقال للوالي إن رأيت أن تسأل خصمي عن كنيته، فسأله فقال كنيتي أبو عبد الرحمن، فغضب عليه وضربه مائة سوط، فقال له المسمى معاوية: ما أخذته مني بالاسم استرجعته منك بالكنية.

وبقزوين قرية أهلها متناهون في التشيع فمر بهم رجل فسألوه عن اسمه، فقال: عمران، فاجتمعوا عليه يضربونه، فقال ليس اسمي عمر فتضربونني لماذا، قالوا: هو أشرّ من ذلك لأنه عمر وفيه حرفان من عثمان.

● تعريضاتٌ للشيعة

كان شيطان الطاق يتشيع، فأخذه بعض الخوارج، فقال له: إن لم تتبرأ من عثمان وعلي قتلتك. فقال: أنا من علي ومن عثمان بريء، وإنما أراد من علي أي من مواليه وبريء من عثمان فتخلص من الخارجي. ومر ابن الجعدل بقوم، فسلّم عليهم، فلم يجيبوه، فقال: لعلكم تظنون ما يقال فيّ من الرفض أن أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً، من نقص واحداً منهم فهو كافر وامرأته طالق، فسر القوم ودعوا له، فقال: بعض من كان معه من شيعته: ويحك ما هذه اليمين؟ فقال: إني أردت بقولي من نقص واحداً منهم علي بن

أبي طالب وحده. وقال أبو سهل الصعلوكي لأبي عبد الله الحصيري: كم تقول أمير المؤمنين وما كان له قط يوم أبيض، فقال: ولا اليوم الذي رجع فيه إلى الحق وبايع أبا بكر فقال: كان في ذلك اليوم مكرهاً. فقال أبو عبد الله: إشهدوا حتى لا يقول في المناظرة إنّ أمير المؤمنين كان راضياً بتولية أبي بكر.

● نوادرُ للناصبة

كان بعض الشيعة يستدل بقول النبي ﷺ: عليٌ مني كهارون من موسى، فقال بعض النواصب: ما تلك المنازل فإنّ هارون كان أخا موسى من أبيه وأمه وكان شريكه في النبوة ومات قبله وليس شيء من هذه المنازل لعلي، فلم يبق إلا أن يأخذ بلحيته وبرأسه، يعني قوله لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي. وولد لرجل من النواصب ولد فسماه حسيناً فقال بعض أصدقائه: والله لو عق عن ابنه بمعاوية ما كان إلا ناصبياً.

● ذمّ الغلوّ والتّهافتِ في الصّحابة

قال يحيى بن زيد بن علي: نحن من أمة بين أربعة أصناف: ظالم لنا حقنا وبالغ بنا فوق قدرنا، ومعطينا ما يجب لنا، وحامل علينا ذنب غيرنا. وقال بعض عوام الناصبة: معاوية ليس بمخلوق، فقيل: كيف؟ قال: لأنه كاتب الوحي والوحي ليس بمخلوق وكاتبه منه. وقيل: إن عبد الرحمن صاحب الأندلس أنهى إليه أن رجلاً من العملة وقع في علي رضي الله عنه، فأمر بتأديبه، فقيل له: لم يزل الخلفاء من أسلافك يجوزون هذا، فقال: أما لم أنكر من فعل معاوية شيئاً كإنكاري لهذا، فإن في هذا تجسيراً للعامة على الوقوع في علي وعليّ إنْ قعد به أدبه لم يقعد به حسبه ومن الخطأ في السياسة ترخيص الملوك للعامة في الوقيعة فيهم.

وسئل رجل: هل الحسن أفضل أم الحسين؟ فقال: الحسن، لأن الله تعالى يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة ولم يقل حسينة. وسئل بعضهم: هل كان النبي حسنياً أم حسينياً فقال: كان حسنياً وحسينياً رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

في الموت وأحواله

•

(١)
أسماء الموت ووصفه

•

يقال له: السبط والهميغ والزمت وأم قشعم وشعوب والمنون والحمام والفود ومرت زؤام وذعاف وجحاف.

ويقال: فقس وفطس وعصد ويتل وهمد وطن ولمق أصبعه وزل بنفسه وجرض بريقه وآثر الله به وانحل تركيبه ومضى لما خلق له وأتاه ما كان يحذر ودعاه ما كان يحذر، شرب الدهر عليهم وأكل وأقلت حريضاً، وأصابه شعوب ووجبت نفسه ونقص ظله، وقرض رباطه، ووصل به إلى أبي يحيى وسلم لماته.

وقيل لحكيم: ما الحياة وما الموت؟ فقال: الحياة ميتة أدت إلى سعادة والموت حياة أوجبت على أهلها الحجة. وأجود اسم له ما قال النبي ﷺ: أكثروا من ذكر هادم اللذات. وقيل: الحتوف أربعة، سخطي بعقوبة الله وذلك ما ذكر الله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾[1]، وطبيعي وذلك بالهرم وانقطاع الأمل، وعرضي وهو ما يسمى الموت الفجأة، واكتسابي وهو ما يكون بالتعرض لحرب أو سباع ونحو ذلك.

• **تعظيمُ أمرِ الموتِ**

قال النبي ﷺ: ما رأيت منظراً فظيعاً إلا والموت أفظع منه. **قال عبد الله بن معاوية:**

والموتُ أعظمُ حادثةٍ ... مما يمرّ على الجبلّة[2]

وقال رجل للحسن: إن عشت تر ما لم تره، **فقال الحسن:** إن مت تر ما لم تَرَ، وكان كثيراً ما يقول الحسن: عند الموت يأتيك الخبر. **وقال:** إن الموت فضح الدنيا.

---

(١) القرآن الكريم: الأنعام/٤٤.

(٢) الجبلة: الطبيعة أو الخلقة.

● الحثُّ على تصوُّر المَوْت

قال بعض الخلفاء لابن السماك: عظني وأوجز. **فقال**: اعلم أنك أول خليفة تموت وهذا كما سأل أردشير بعض الحكماء عن دار بناها، وقال هل ترى فيها عيباً؟ **فقال**: نعم عيباً لا يمكنك إصلاحه، فقال وما هو؟ **قال**: لك منها خرجة لا عود بعدها أو دخلة لا خروج بعدها. وقال روح بن عبادة رأيت في منامي كأن قائلاً يقول:

لا تكونوا كالأولى من قبلكم ... لم يخافوا بأساً حتى نزل

وكتب أبو العتاهية على سقف بيته بتزويق:

أتطمعُ أن تخلدَ لا أبا لك ... أمنتَ قوى المنية أن تنالك
أما والله إنَّ لها رسولاً ... بها لو قد أتاك لما أقالك[1]
كأنّي بالتراب عليك يُحثى ... وبالباكين يقتسمون مالك
ولستَ مخلّفاً في الناس شيئاً ... ولا متزوّداً إلا فعالك

وكان الحسن إذا خوف من الموت **يقول للشيوخ**: الزرع إذا بلغ لا بد أن يحصد. **ويقول للشبان**: هل رأيتم زرعاً لم يبلغ أدركته الآفة؟ وقيل أذكر حفرة سمكها قصير وساكنها أسير.

وقيل: من ضاق به أمر فليتذكر الموت فإنه يتسع عليه، ونحوه: من أحس بأنه يموت فليس ينبغي أن يغتم لأمر صعب ينزل به.

وقيل لجعفر بن محمد **عليهما السلام**: كيف صار الموت يأخذ على فنون شتى، **فقال**: أحب الله أن لا يؤمن على حال. شكا رجل إلى النبي ﷺ قساوة قلبه **فقال**: أكثر من ذكر هادم اللذات فإنه ما ذكره أحد في ضيق إلا وسعه عليه ولا في سعة إلا ضيقها عليه.

وقال معبد الجهني: نعم نصيحة القلب ذكر الموت يطرد فضول الأمل ويكف غرب المنى ويهوّن المصائب ويحول بين القلب وبين الطغيان. **وقيل**: ما دخل ذكر الموت بيتاً إلا رضي أهله بما قسم الله لهم وجدوا في أمر آخرتهم. **وقيل**: أبلغ العظات النظر إلى محل الأموات ومصارع البنين والبنات.

● التَّخويفُ من الموتِ بما يُشاهَد

قال الحسن، وقد قعد عند رأس ميت: أن امرأ هذا آخره لأهل أن يزهد فيما قبله، وإن امرأ هذا أوله لأهل أن يحذر ما بعده. وقف أعرابي على قبر هشام وخادم له يقول ما لقينا بعدك صنع بنا، **فقال الأعرابي**: إيها عنيك أما أنه لو نشر لأخبر أنه لقي أشد مما لقيتم.

---

(١) لما أقالك: لما صفح عنك

ومر أمير المؤمنين بمقابر الكوفة فقال: السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة، أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع. أما الأرواح فقد نكحت، وأما الديار فقد سكنت، وأما الأموال فقد قسمت، هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم؟ ثم التفت إلى أصحابه فقال: أما أنهم لو تكلموا لقالوا وجدنا خير الزاد التقوى.

ونظر الحسن إلى صبية بين جنازة أبيها تقول: يا أبت مثل يومك لم أره. فضمها الحسن وقال: أي بنية وأبوك مثل هذا اليوم لم يره، فبكى الخلق.

● حثُّ الإنسانِ على الإستدلال على مَوْتِهِ بمن ماتَ مِنْ أقارِبِه

قال بعضُ الحكماء: ذهب أبوك وهو أصلك، وابنك وهو فرعك فما حال الباقي بعد ذهاب أصله وفرعه! وقال محمود في معناه:

وغـــادروك بـــلا أصْـــلٍ ولا طـــرفٍ ... فما بقاؤك بعدَ الأصلِ والطَّرفِ

وقال أبو نواس:

ألا يـا ابـنَ الـذيـن فـنُـوا ومـاتـوا ... أمـا والله مـا مـاتـوا لـتـبـقـى

قال أبو حازم: إن امرأ ما بينه وبين آدم أب إلا ميت لمعرق في الموت.

قال لبيد:

فإن أنتَ لم ينفعْكَ علمُك فانتَسِبْ ... لعلَّكَ تهديكَ القُرونُ الأوائلُ

فإن لم تجدْ من دونِ عدنانَ باقياً ... ودون معدٍ فلتَزَعْكَ العواذِلُ[1]

وقال امرؤ القيس:

فبعضَ اللوم عاذلتي فإني ... سَيكْفيني التجاربُ وانتسابي

إلى عِرْقِ الثرى وشجَتْ عروقي ... وهذا الموتُ يَسْلُبُني شبابي[2]

وقال أبو تمام:

تأمّل رويداً هل تعدنّ سالماً ... إلى آدم أو هل تُعِدُّ ابنَ سالمِ

متى يرعْ هذا الموتُ عيناً بصيرة ... تجد عادلاً منه شبيهاً بظالمِ

وقال عمارة:

وما نحن إلا رفقةٌ قد ترحلت ... لقصدٍ وأخرى قد أنيخت ركابُها

وقال البحتري:

وما أهلُ المنازل غير ركبٍ ... منایاهم رواحٌ وابتكارُ[3]

---

(١) العواذل: جمع عاذل، اللائمون ـ وعدنان ومعد: من أجداد العرب.

(٢) عرق الثرى: جوهر الأرض ـ وشجت عروقي: نبتت، أوت، سرت.

(٣) الرواح: المشي ـ الابتكار: المجيء بكرة أي غدوة.

ولما أتى معاوية موت زياد توجع، وقال:

وأفردتُ سهماً في الكِنانة واحداً ... سيرمى به أو يكسرُ السهمَ كاسرُهْ

● الإعتبارُ بِمَنْ ماتَ من الكِبار والسّلاطين

قيل: لمّامات الإسكندر وقف عليه أرسطاطليس فقال: طالما كان هذا الشخص واعظاً بليغاً وما وعظ بموعظة في حياته أبلغ من عظته في مماته. أخذ هذا المعنى أبو العتاهية، فقال:

وكانتْ في حياتِك لي عِظاتٌ ... فأنتَ اليومَ أوعظُ منكَ حيّا

وحمل إلى أمه في تابوت من ذهب، فقالت: جمعت الذهب حياً وجمعك الذهب ميتاً.

قال الأسود بن يعفر:

ماذا أؤمل بعد آل محرق ... تركوا منازلهم بغير إيادِ[1]

أهلِ الخورنقِ والسديرِ وبارقٍ ... والقصرِ ذي الشرفات من سنداد[2]

وقال المتنبي:

أين الأكاسرةُ الجبابرة الأُلى ... كنزوا الكنوزَ فما بَقين ولا بَقُوا

من كلِّ من ضاقَ الفضاءُ بجيشهِ ... وحواهُ عند الموتِ لحدٌ ضيِّقُ

وقال آخر:

ألم ترَ صولَ الدهر في آل برمكٍ ... وآل نهيك والألى سلفُوا قبلُ

لقد غرسُوا غرسَ النخيلِ تمكّناً ... فما حصدُوا إلا كما يُحصد البقلُ[3]

ونظرت امرأة إلى جعفر بن يحيى مصلوباً فقالت: لئن كنت في الحياة غاية فلقد صرت في الممات آية.

قال شاعر:

ومن كانَ ذا بابٍ شديدٍ وحاجِبٍ ... فعمّا قليلٍ يهجرُ البابَ حاجبُه

وقال آخر

الموتُ يأتي كلَّ ... محتجبٍ ولا يستأذِنُ

● تناهي بعد من مات

قال أبو حية النمري:

فلا غائبٌ من كانَ يُرجى إيابُه ... ولكنه مَنْ ضُمِّنَ اللحدَ غائبُ

---

(١) بغير إياد: دون قوة أو مؤازرة

(٢) الخورنق والسدير وبارق: قصور معروفة بعظمتها

(٣) كما يحصد البقل: كناية عن سرعة اقتلاعهم واندثارهم

وقال آخر:

بلى كلُّ من تحت التراب بعيدُ

وقال آخر:

ومَنْ نصب المنون بعيدُ

قال النابغة:

حسب الخليلين نأيُ الأرض بينهما ... هذا عليها وهذا تحتها بالي

● الغفلةُ عن الموتُ

قال النبي ﷺ: كأن الحق على غيرنا وجب، وكأن الموت على غيرنا كتب، وكأن من نشيع من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون نبوئهم أجداثهم ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم. وقال الحسن ما رأيت يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت، أخذه محمد بن وهب، فقال

تُراع لذكر الموتِ ساعةَ ذِكرِهِ ... وتعترضُ الدنيا فتلهو وتلعبُ

يقينٌ كأن الشكَّ غالبَ أمرِهِ ... عليه وعُرفانٌ إلى الجَهْلِ يُنسبُ

وقال الحسن وهو في جنازة: يا قوم لو أن هذا الرجل أخذه سلطانكم بفرعتم قالوا: بلى. قال: قد أخذه ربكم فلمَ لا تفزعونه؟

وقيل: من لم يرتدع بالموت وبالقرآن، ثم تناطحت الجبال بين يديه، لم يرتدع

وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته: ما هذا التغافل عما أمرتم به والتسرع إلى ما نهيتم عنه، إن كنتم على يقين فأنتم حمقى وإن كنتم على شك فأنتم هلكى. قال أبو العتاهية

الموتُ لو صحَّ اليقينُ به ... لم يَنتفِعْ بالموتِ داكِرُهُ

وقال محمد بن بشير:

يا حسرتي في كلِّ يوم مضى ... يذكُرني الموتُ وأنساه

وقال الموسوي:

ونأملُ من وَعدِ المُنى غيرَ صادقٍ ... ونأمنُ من وعدِ المنى غيرَ كاذِبِ

تُراعُ إذا ما شيكَ أخمصُ بَعضِنا ... وأقدامُنا ما بينَ شوْكِ العقارِبِ

● الأَجَلُ حائلٌ بينَ الإنسانِ والأمل

قيل: لو ظهرت الآجال لافتضحت الآمال ووجد حجر بدمشق مكتوب عليه: يا ابن آدم لو رأيت ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك.

وقال أمير المؤمنين: إنكم في أجل محدود، وأمل ممدود، ونفس معدود، ولا بد للأجل أن يتناهى وللأمل أن يطوى وللنفس أن يحصى.

وقيل لحكيم: ما أبعد الأشياء من الناس؟ قال: الأمل، فقيل: وما أقرب الأشياء منهم؟ فقال: الأجل.

● مَنْ ماتَ بَعدَ الكِبَر

عاش نوح عليه السلام ما عاش، وقيل له لما أشرف على الموت: كيف وجدت الدنيا؟ فقال: وجدتها داراً دخلتها من باب وخرجت من آخر

وقال بعضهم:

وكلّ امرىء يوماً وإن عاش حقبةً ... له غايةٌ تجري إليه ومنتهى

وقال محمود الوراق:

وما صاحبُ السبعين والعشرِ بعدَها ... بأقربَ ممّن حنكَتْهُ القوابلُ[1]

ولكنّ آمالاً يؤمّلها الفتى ... وفيهنّ للراجين حقٌّ وباطلُ

وقال المتنبي:

وأوفى حياةِ الغابرين لصاحبٍ ... حياةُ امرىءٍ خانتْه بعدَ مشيبِ

● الموتُ لا يفوتُهُ أحدٌ

قيل: مَنْ لم يمت عاجلاً مات آجلاً

قال شاعر:

فمَنْ لم يلاقِ الموتَ كأسَ منيّةٍ ... فلا بدّ منه أن تصادفَه غدا

وقال آخر:

كلّ حيٍّ مستهلكْ ... سوفَ يفنى وما ملكْ

وقال آخر:

وكُلُّ جَمْعٍ في الورى لِتفرُّقِ

وقال آخر:

من لم يمت عبطةً يمُت هرما[2]

وقيل لابن المقفع: قد كنت تُعيت إلينا، فقال: ما تُعدّ كائن ولا قرب بائن

وقال ابن المعتز:

ألا إنما جسمي لروحي مطيةٌ ... ولا بد يوماً أن يُعرّى من الرحْلِ[3]

● الموتُ لا يُتخلصُ منه بالطبِ

قيل للربيع بن خيثم في مرضه: ألا ندعو لك طبيباً؟ فقال: وعاداً وثموداً وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً لقد كان فيهم أطباء فما أرى المداوي بقي ولا المداوى صَلُح

ما للطبيبِ يموتُ بالداء الذي ... قد كان يُبرىء مِثلَه فيما مَضى

(١) حنكته القوابل: أحكمته وجربته الأعوام الثابتة

(٢) العبطة: حُسن الحال

(٣) الرحل: هو للبعير بمثابة السرج للحصان

هَلَكَ المداوي والمداوى والذي	جلبَ الدواء وباعَه ومن اشترى

وقال المتنبي:

يموت راعي الضأنِ في جهله	موتة جالينوس في طبّه

ودخل الفرزدق على مريض يعوده فسمعه يطلب طبيباً، فقال:

يا طالبَ الطبَّ من داءٍ تخوّفه	إن الطبيبَ الذي أبلاك بالداءِ

هو الطبيبُ الذي يرجى لعافيةٍ	لا مَنْ يذوفُ لك الترياق بالماءِ[1]

وقال آخر:

وأعيا دواءُ الموتِ كلَّ طبيب

وفي باب الطب بعض ذلك وأشباهه

● التحرُّزُ لا يُخلِّصُ من الموت

قيل. إذا انقضت المدة فالحتف في العدة

وقال شاعر

كلُّ شيءٍ قاتلٌ	حين تلقى أجلك

وقال أبو ذؤيب.

وإذا المنيةُ أنشبتْ أظفارَها	ألفيتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفعُ[2]

وقال المحبل:

ولئن سميت لي المشقر طي	ـفُعتت يقصر دونه العصمُ

وقيل إن عبد الملك هرب من الطاعون، فركب ليلاً وأخرج غلاماً معه وكان ينام على دابته فقال للغلام: حدثني، فقال. ومن أنا حتى أحدثك؟ فقال: على كل حال حدّث حديثاً سمعته. فقال: بلغني أن ثعلباً يخدم أسداً ليحميه ويمنعه ممن يريده، فكان يحميه فرأى الثعلب عقاباً فلجأ إلى الأسد فأقعده على ظهره فانقض العقاب واختلسه، فصاح الثعلب. يا أبا الحارث أغثني واذكر عهدك بي، فقال: إنما أقدر على منعك من أهل الأرض وأما أهل السماء فلا سبيل لي إليهم فقال عبد الملك: وعظتني وأحسنت. انصرف فانصرف ورضي بالقضاء. ويروى لبعض الجن

رأى الحصنَ منجاةً من الموتِ فارتقى	إليه فزارته المنيّة في الحصنِ

وقال آخر:

يوشك مَنْ فرَّ من منيّته	في بعض غرّاته يصادفُها[3]

---

(١) يذوف الترياق: يخلط الدواء بالماء، ويذيبه

(٢) تميمة: جمع تمائم، وهي شبه خرز يُعلّق في العنق دفعاً للعين والأذى

(٣) غراته: جمع غرة، وهي الغفلة

وقال آخر:

وإذا خشيتَ من الأمور مقدّراً ... وفررتَ منه فنحوَه تتوجَّهُ

وقال حجر العبسي:

فقلْ للملتقي عرضَ المنايا ... توقَّ فليس ينفعُك اتقاءُ

وقال ثعلبة العبدي:

أمن حذرٍ آتي المتالِفَ سادراً ... وأيةُ أرضٍ ليس فيها متالِفُ[1]

وقال آخر:

لا تأمننَّ وإنْ أصبحتَ في حَرَمٍ ... إن المنايا بجنبَيْ كلِّ إنسانِ

وقال أبو ذؤيب:

يقولونَ لي لو كان بالرملِ لم يمُت ... نشيبة والطراق يكذبُ قيولُها[2]

ولو أنني استودعته الشمسَ لارتقت ... إليه المنايا عينُها ورسولُها

وقال آخر:

كلٌّ يدورُ على البقاءِ مجاهِداً ... وعلى الفناء تديرُه الأيامُ[3]

● **كلُّ إنسانٍ يُفقَدُ أو يَفْقِدُ أقاربَهُ**

قال بعض الحكماء: من طال عمره رأى المصائب في إخوانه وجيرانه، ومن قصر عمره كانت مصيبته في نفسه.

قال شاعر:

كلُّ امرئٍ ستئيم منـ ... ـه العرسُ أو منها يئيمُ[4]

وقال الموسوي:

فمؤجّل يلقى الرَّدى في أهلِهِ ... ومعجَّلٌ يلْقَى الرَّدى في نفسِهِ

وقال المتنبي:

سُبِقْنا إلى الدنيا فلو عاشَ أهلُها ... مُنِعْنا بها من جيئةٍ وذهوبِ

تملَّكها الآتي تملُّكَ سالبٍ ... وفارقَها الماضي فِراقَ سليبِ

---

(١) المتالف: جمع متلفة، الأرض الخالية الواسعة ـ ومتالف: محل التلف.

(٢) الطراق: الحوادث، والآتون ليلاً ـ قيولها: ريحها.

(٣) الفناء: التعب.

(٤) يئيم: آم الرجل أو المرأة من زوجها: فقدته أو فقدها.

● الموتُ لا يُدفَعُ بالأسلحةِ

قال علقمة:

بلْ كلُّ قومٍ وإن عزوا وإن كثُروا	عريفُهم بأثافي الشرِّ مرجومُ[1]

وقال المتنبّي:

نُعِدُّ المشرفيّةَ والعوالي	وتقتُلُنا المنونُ بلا قتالِ[2]
ونرتبطُ السوابقَ مُقرَباتٍ	وما يُنجينَ من خَبَبِ الليالي[3]
ومَنْ لَمْ يَعْشَقِ الدنيا قديماً	ولكنْ لا سبيلَ إلى الوصالِ

وقال الموسوي:

تفوزُ بنا المنونُ وتستبدّ	ويأخذُنا الزمانُ فلا يرُدُّ
وربدُكَ بالفِرارِ من المنايا	فليس يفوتُها الساري المجدُّ[4]
وكلُّ فتىً يحفُّ بجانبيهِ	خواطرُ بالقنا قُبٌّ وجردُ[5]
فما دفعَ المنايا عنه عزٌّ	ولا هَرَمَ الذوائبِ عنه جُمْدُ

● الحياةُ معرضةٌ لسهامِ المنايا

قال أبو العتاهية:

إنَّ للموتِ لسهماً قاصداً	ليس يَفدي أحداً منه أحَدُ

وقال الرفاء:

نحنُ أغراضُ خطوبٍ إنْ رمَتْ	صيرتْ في دقّةِ الرمي ثُعَل[6]
وإذا ما اختلفتْ أسهمُها	فأصابتْ بطلَ القرمِ بطَل[7]

● صحيحٌ مات

قيل لحكيم: مات فلان أصح ما كان، **فقال:** أو صحيح من الموت في عنقه. **وقيل للحسن:** مات فلان فجأة، **فقال:** لم يمت فجأة بمرض فجأه، ثم قال: اللهم أجرني من أن أكون مختلساً. **وقيل لأعرابي:** كيف مات أبوك؟ قال: مات سراً يعني فجأة. **وقال شاعر:**

وربما عوفصَ ذو عزّةٍ	أصحَّ ما كانَ ولم يسقمِ[8]

---

(١) **أثافي الشر:** المصائب العظيمه.

(٢) **المشرفية:** السيوف ـ **العوالي:** جمع عالية، وهي صدر الرمح، والمنون: الموت.

(٣) **السوابق:** الخيل، مقربات: أي محبوسة قرب البيوت ـ **الخبب:** ضرب من العدو.

(٤) **الساري:** الذي يسير ليلاً.

(٥) **القب:** الخيل تجمع للغارة ـ **الجرد:** التي لا شعر عليها.

(٦) **الخطوب:** المصائب ـ **ثعل:** قوم من العرب برعوا في الرماية لا تخطىء سهامهم.

(٧) **القرم:** العظيم.

(٨) **عوفص:** أي غمص وعافص معافصة فلاناً أخذه على غرّة وركبه بمساءة (لسان العرب، مادة عفص).

وقيل لرجل: ما كان سبب موت فلان؟ قال: كونه. وقال سفيان: يا ابن آدم إن جوارحك سلاح الله عليك بأيها شاء قتلك.

● **ضعفُ بنيةِ الإنسانِ وتركيبه**

سُئل جالينوس عن الإنسان فقال: سراج ضعيف وكيف يدوم ضوؤه بين أربع رياح. يعني بالسراج روحه وبالرياح الأربع طبائعه. قال شاعر:

وما المرءُ إلا كالشهاب وضوئه ... يصيرُ رماداً بعد إذ هو ساطِعُ

وقال أفلاطون: إذا كانت الطينة فاسدة والبنية ضعيفة والطبائع متنافية والعمر يسيراً والمنية راصدة فالثقة باطلة. قال شاعر:

أنظرْ إلى هذا الأنام بعبرةٍ ... لا يعجبنَّك خلقُه ورواؤه[1]

بيناه كالورق النضير تقصَّفت ... أغصانُه وتسلَّبت شجراؤه[2]

وقال الحسن: مسكين ابن آدم مكتوب الأجل ولعلل، أسير الجوع والشبع.

● **إتيانُ المرءِ حتفَهُ حيثما قُدّر له**

قيل لفيلسوف: مات فلان في غربة، فقال: ليس بين الموت في الوطن والغربة فصل، لأن الموت في جميع المواضع واحد والطريق إلى الآخرة من كل مكان سواء.

قال شاعر:

إذا ما امرؤٌ حانَت عليه منيَّةٌ ... بأرضٍ أتاها مكرَهاً لا تطوُّعا

وقال آخر:

إذا ما حِمامُ المرءِ كانَ ببلدةٍ ... دعتْه إليها حاجةٌ أو تطرُّبُ[3]

● **جهلُ الإنسان بوقتِ موتِهِ وموضعِ مَضجعِهِ**

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[4]. وقيل لجعفر بن محمد عليهما الرضوان: كيف يأتي الموت من وجوه شتى على أحوال شتى؟ فقال: إن الله أراد أن لا يؤمن في حال. **وقيل**: أمر لا تدري متى يغشاك ألا تستعد له قبل أن يفجاك.

وقال ديك الجن:

النَّاسُ قد علموا أن لا بقاءَ لهم ... لو أنَّهم عمِلوا مقدارَ ما علِموا!

---

(١) **الأنام رواؤه**: ماء وجهه. (٢) **تقصَّفت الأغصان**: تقطعت وتكسرت.

(٣) **التطرُّب**: الاهتزاز طرباً، وهنا بمعنى الميل والهوى.

(٤) **القرآن الكريم**: لقمان/ ٣٤.

وقال آخر:

وإنّـك لا تـدري بـأيـةِ بـلـدةٍ ... تموتُ ولا عنْ أي شقَّيْكَ تُصرعُ[1]

● تسويةُ الموتِ بين الأفاضلِ والأراذلِ

قال مالك بن دينار: قدم علينا بشر بن مروان أخو الخليفة فطعن في قدمه فمات، فأخرجناه إلى القبر فلما صرنا إلى الجبان، إذ نحن بسودان يحملون صاحباً لهم إلى القبر فدفناه ودفنوا صاحبهم، فعدت قبل الأسبوع فلم أعرف قبر الأسود من قبره، **وعلى هذا قول الشاعر:**

ولـقـد مـررتُ عـلـى الـقـبـورِ فـمـا ... مـيـزّتُ بـيـن الـعـبْـد والـمـولّـى

وقال المتنبي:

وصـلـتْ إلـيـك يدٌ سواءٌ عـنـدهـا الـ ... ـبـازي الأشيهِبُ والغُرابُ الأبقعُ[2]

ويُروى أن الإسكندر مرّ بمدينة قد ملكها غيره من الملوك **فقال:** انظروا هل بقي بها أحد من نسل ملوكها؟ **فقالوا:** رجل يسكن المقابر، فأحضره وسأله عن إقامته، **فقال:** أردت أن أميز عظام الملوك من عظام عبيدهم فوجدتها سواء. **فقال:** هل تتبعني فأحيي شرفك إن كان لك همة، **فقال:** همتي عظيمة إنْ أنلتنيها، **فقال:** ما هي؟ **قال:** حياة لا موت معها، وشباب لا هرم معه، وغنى لا فقر معه، وسرور لا مكروه فيه. **فقال:** ليس عندي هذا، **فقال:** دعني ألتمسه ممّن هو عنده، **فقال:** ما رأيت مثله حكيماً.

وأمر بشر بن الوليد أن يكتب على قبره:

من مات فَات وفي المقابرِ يستوي ... تـحـتَ الـتـراب شـريـفُـهُ ووضـيـعُـهُ

وقال صالح بن عبد القدوس:

فـيـا مـنـزلاً سوّى الـبِـلـى بـيـن أهـلِـهِ ... فلم يستبِنْ فيه الملوكُ من السّوقي[3]

● انقضاءُ ناسٍ بعد ناسٍ ورُجوعُهُمْ إلى الموْت

قال أمير المؤمنين كرم الله وجهه: إن لله في كل يوم ثلاث عساكر، عسكر ينزل من الأصلاب إلى الأرحام، وعسكر ينزل من الأرحام إلى الأرض، وعسكر ينتقل من الدنيا إلى الآخرة. **وقال شاعر:**

ومـا نـحـن إلا رفـقـةٌ غـيـر أنَّـنـا ... أقـمْـنـا قـلـيـلاً بـعـدَهـم ونـروحُ

---

(1) **شقَّيك:** جانبَيك، مثنى شِقّ.

(2) **الأشيهب:** تصغير الأشهب وهو ما غلب عليه البياض - **الأبقع** في الطير كالأبلق في الدواب - **اليد (هنا):** يد المنية.

(3) **السوقي:** الواحد من عامة الناس.

ودخل العتبي المقابر، فأنشد:

سُقياً ورعياً لإخوانٍ لنا سلفوا ... أفناهم حدثانُ الدهرِ والأبدُ[1]

نمدّهم كلّ يومٍ من بقيّتنا ... ولا يؤوبُ إلينا منهمُ أحدُ

وقال القطمش:

أرى الأرضَ تبقى والأخلاءُ تذهبُ

ونحوه:

إذا زرتُ أرضاً بعدَ طولِ اجتنابها ... فقدتُ صديقاً والبلادُ كما هيا

وقيل لبهلول وقد أقبل من مقبرة: من أين؟ فقال: من عسكر الموتى. فقيل: ما قلت وما قالوا؟ فقال: سألتهم متى يرحلون؟ فقالوا: ننتظر قدومكم ثم نرتحل. ونحو هذا قول الحسن: يا عجباً لقوم أمروا بالزاد وأذنوا بالارتحال وأقام أولهم على آخرهم وآخرهم قعود يلعبون فليت شعري ما الذي ينتظرون؟

قال الموسوي

تُملي المقاديرُ أعماراً وتنسخُها ... ويضربُ الدهرُ أياماً بأيّام[2]

- **مرجعُ الإنسانِ إلى ما خُلِقَ منه**

قال الله تعالى ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[3]

وقال المتنبي

إلى مثل ما كان الفتى يرجعُ الفتى ... يعودُ كما أُبدي ويُكري كما أرمى[4]

قال الخبرارزي:

هو الموتُ مخلوقٌ له الخلقُ أجمعُ ... فليسَ له عن أنفسِ النّاسِ مَقْلَعُ[5]

وقال المتنبي:

نحنُ بنو الدنيا فما بالُنا ... نعافُ ما لا بُدَّ من شُربهِ[6]

تبخلُ أيدينا بأرواحِنا ... على زمانٍ هنّ مِن كسبِهِ

فهذه الأرواحُ من جَوّهِ ... وهذه الأجسادُ من تُربِهِ

لو فكّرَ العاشقُ في مُنتهى ... حُسنِ الذي يَسبيه لم يَسْبِهِ[7]

---

(١) الحدثان: الليل والنهار وحدثان الدهر أيضاً نوبه ومصائبه

(٢) تنسخها: تزيلها وتبطلها. (٣) القرآن الكريم: طه/ ٥٥.

(٤) يكري الشيء: ينقص - أرمى: زاد.

(٥) المقلع: من أقلع أي ترك وكفّ، وليس له مقلع: أي ليس بمجاوزه أن يتركهم أو يتجنب إماتتهم

(٦) نعاف: نكره.

(٧) أي لو فكر فيما تصير إليه محاسن معشوقه بعد الموت لم يعشقه

ومنها:

يموتُ راعي الضأنِ في جهلِهِ ميتةَ جالينوسَ في طبِّه[1]
وربّما زادَ على عُمرِه وزادَ في الأمنِ على سِربِهِ[2]

فهذا الكلام هو الجوهر الذي لا قيمة له.

- **ذمّ مَن يخافُ الموتَ ولا يَستعِدُّ له**

قال أمير المؤمنين عليه السلام لرجل: كيف أنتم؟ قال: نرجو ونخاف. قال: من رجا شيئاً طلبه ومن خاف شيئاً هرب منه. وقال أبو الدرداء: العجب لمن يكره الموت لإساءته ولا يكره الإساءة في حياته. ونظر الحسن إلى جنازة يزدحم الناس عليها، فقال: مالكم تزدحمون ها هي سارية في المسجد، أقعدوا تحتها واصنعوا ما كان يصنع حتى تكونوا مثله.

وقال الحسن لشيخ في جنازة: أترى هذا الميت لو رجع إلى الدنيا كان يعمل صالحاً. قال: نعم، قال: إن لم يكن ذاك فكن أنت ذاك. وقال علي بن عبد العزيز:

إذا قلتُ لم يَبلغ بيَ السنُّ مبلَغاً وعُظْتُ بطِفْلٍ صارَ قبلي إلى التُّرْبِ

- **الحثُّ على تعاطي ما يُسهِّلُ الموتَ**

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أكره الموت. فقال: ألك مال؟ قال: نعم، قال قدّمه فإن قلب كل امرىء عند ماله. وقال رجل لأبي الدرداء: ما بالنا نكره الموت؟ قال لأنكم أخربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم، فكرهتم أن تنقلوا من العمران إلى الخراب.

وقال أبو حازم: كل عمل تكره المَوت لأجله فدعه كي لا تخاف منه متى أتاك.

- **مَنْ أمرَ ذَويهِ بالبُكاءِ عَلَيهِ**

قيل فيما روي عن النبي ﷺ إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه، أنه إنما عنى إذا هو أمرَ به، نحو قول طرفة بن العبد:

إذا متُّ فانعيني بما أنا أهلُه وشُقّي عليَّ الجَيْبَ يا أمّ مَعْبدِ[3]

وقول الفرزدق:

إذا متّ فانعيني بما أنا أهلُهُ فكلُّ جميلٍ قلتِ فيَّ مُصَدَّقُ

وقال ابن المعتز:

إذا متُّ فانعيني بما أنا أهلُهُ ولا تذخري دمعاً إذا قام نائحُ

---

(١) و (٢) جالينوس من أطباء اليونان المعروفين، ومع ذلك فربّما زاد عمر الراعي على عمر جالينوس وكان آمن على نفسه من الهلاك

(٣) شقّ عليه الجيب: ناح عليه وبكى نادباً

وقولي ثوى طَوْدُ المكارمِ والعُلى ... وعُطِّلَ ميزانٌ من الحِلْمِ راجحُ[1]

● من أظهر جزعاً عِنْدَ مَوْتِهِ

لما أحضر حجر بن عدي ليُقتَل سأل أن يُمْهَلَ حتى يصلي ركعتين، وأظهر جزعاً فقيل له أتجزع؟ فقال: كيف لا؟ وإني لأرى سيفاً مشهوراً وقبراً محفوراً، ولست أدري إلى جنة يمضي بي أم إلى نار؟ وبكى الحسن بن علي عليهما الرضوان فقيل له: ما يبكيك؟ وقد ضمن لك رسول الله ﷺ الجنة. فقال: إني أسلك طريقاً لم أسلكها وأقدم على سيد لم أره. وقيل لبشر بن الحارث: كرهت الموت فقال: القدوم على الله شديد.

● مَنْ أظهر النَّدَمَ عِنْد موتِهِ ما فَرَّطَ مِنْه

قال عبد الملك عند موته: وددتُ أني كنت غسالاً آكل كل يوم كسب يومي لا يفضل عني. فقيل ذلك لأبي حازم فقال: الحمد لله الذي جعلنا بحيث يتمنى الملوك حالنا عند الموت ولا نتمنى حالهم.

ولما نزل الموت بهشام جعل وُلده يبكون عليه فقال: جاد هشام عليكم بالدنيا وجدتم عليه بالبكاء، وترك لكم ما جمع وتركتم عليه ما اكتسب. ما أعظم منقلب هشام إن لم يغفر الله له. ولما أدنف المأمون أمر أن يفرش له فجعل يتمرّغ فيه ويقول:

كلُّ عيشٍ وإن تطاولَ يوماً ... صائرٌ مرةً إلى أن يزولا
ليتني كنتُ قبلَ يومي هذا ... في قلال الجبال أرعى الوعولا[2]

وأغمي عليه لم أفاق، وهو يقول:

يا من لا يموت ارحم من يموت ... [illegible]

اللهم لا بريء فأعتذر ولا قويّ فأنتصر، ثم أغمي عليه فلما أفاق، قال:

إن تغفر اللهم تغفر جمّاً ... وأي عبدٍ لك ما ألمّا

وتمثّل عضدُ الدولة عند موته بقول القاسم بن عبيد الله:

قتلتُ صناديدَ الرجالِ ولم أدعْ ... عدواً ولم أمهل على ظنة خَلْقَا[3]
وأخليتُ دورَ المُلكِ من كل نازلٍ ... فشرّدتُهم غرباً وبدّدتُهم شرقا
فلمّا بلغتُ النجمَ عِزّاً ورفعةً ... وصارت رقابُ الخلقِ أجمعَ لي رِقّا
رمى لي الرّدى سهماً فأخمد جمرتي ... فها أنا ذا في حُفرتي عاجلاً مُلقَى[4]
فأذهبتُ دنياي وديني سفاهةً ... فمَنْ ذا الذي مني بمصرعِهِ أشقى[5]؟

---

(١) الحِلم: العقل. (٢) قلال الجبال: أعلاها.

(٣) صناديد الرجال: السادة الشجعان.

(٤) الردى: الموت ـ أخمد جمرتي: أطفأ جذوة حياتي وأهلكني.

(٥) سفاهة: جهلاً وطيشاً.

وأوصى الشبلي رحمه الله أن يكتب على قبره: تركت الجنة وليس لها قيمة وتعلقت بالدنيا وليس لها بقاء، وضيعت العمر وليس له بدل، واتبعت النساء وليس لهن وفاء، وجفوت الربّ وليس منه عوض.

● ذَمُّ مَنْ امْتنعَ مِن التَّوْبةِ عِنْدَ مَوْتِهِ

اعتل أعرابي فقيل له: لو تبت، فقال: لست ممن يعطي على الذلّ إن عافاني الله تبت وإلا مت هكذا. وقيل للحجّاج: ألا تتوب؟ فقال: إن كنت مسيئاً فليست هذه ساعة التوبة، وإن كنت محسناً فليست ساعة الفزع.

● ذَمُّ مَنْ أوصى بِما لَيس لَهُ مِنْ مَالِه

قال النبي ﷺ: إن لك من مالك الثلث والثلث كثير. وقال: لا نذر في معصية الله ولا وصية في مال الغير. وقيل لميمون بن مهران: إنّ رقبة أعتقت كل مولاة لها عند موتها فقال: إنهم يعصون في أموالهم مرتين، يبخلون بها وهي في أيديهم حتى إذا صارت لغيرهم أسرفوا فيها.

● الحَثُّ على أنْ يكونَ الإنسانُ وصيَّ نَفْسِهِ

قيل: كُنْ وصيَّ نفسك ولا تجعل الرجال أوصياءك واعلم صدق الذي يقول:

ولا يَـغْـرُرْك مَنْ تـوصـي إلـيـه ... فـقـصـر وصـيـة الـمـرء الـضـيـاعُ

● وفي الزّهديات بعضُ ما أوْصَى بِهِ الصّالحون

ذكر الحسن عن بعضهم لمّا حضرته المنيّة قيل له: أوص. فقال: أوصيكم على المحافظة بآخر سورة النحل ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[1]. وقيل لهرم بن حيّان: أوص. قال: مالي من مال فقد صدقتني في الحياة نفسي، ولكني أوصي بخواتيم سورة البقرة.

وقيل لعمر بن عبد العزيز: أوص لبنيك. فقال: أوصي بهم الذي أنزل الكتاب وهو يتولّى الصالحين.

● مَنْ أوصى بِشَرٍّ عند موْته وذُكِر قساوَةَ قلبِهِ

لما حضرت وكيعاً الوفاة دعا بنيه فقال: يا بنيّ إن قوماً سيأتونكم قد قرّحوا جباههم وعرّضوا لحاهم يدعون أن لهم عند أبيكم ديناً فلا تقضوهم فإن أباكم قد حمل من الذنوب ما إن غفرها الله له لم تضره هذه وإلا فهي معها.

ولما حضرت سعد بن زيد الوفاة جمع وُلده وقال: يا بني أوصيكم بالناس شراً

---

(١) القرآن الكريم: النحل/١٢٨.

كلموهم نزراً وأطعموهم شزراً ولا تقبلوا لهم عذراً، أقصروا الأعنة واشحذوا الأسنة وكلوا القريب يرهبكم البعيد. ولما حضرت الفرزدق الوفاة قال لقومه:

أروني مَن يقومُ لكُم مقامي ... إذا ما الأمرُ جلّ عن العتاب[1]

إلى من تفزعون إذا حثيتم ... بأيديكم عليَّ من التراب[2]

فقالت مولاة له: إلى الله تعالى، فقال: أتتكلمين علي عيري، وأنت تعيشين في مالي؟ أمحو اسمها وكتبها من الوصية.

وقيل للحطيئة: أوص يا أبا مليكة، قال: نعم أخبروا الشمّاخ أنه أشعر العرب، فقيل أوصِ للمساكين، فقال: أوصيهم بالإلحاف في المسألة، قيل: أعتق عبدك ملاباً، قال: هو عبد ما بقي على ظهر الأرض وعتيق إذا صار في بطنها، فقيل: أوصِ فإن لك بنات قال: مالي للذكور دون الإناث، فقالوا له: إن الله لم يقل كذا قال: أنا أقوله، قيل: فأوص للأيتام بشيء، قال: كلوا أموالهم وأنكحوا أمهاتهم. ثم قال: احملوني على حمار فإنه لم يمت عليه كريم قط، وويل للشعر من رواة السوء.

وكان دريد بن الصمة قد عاش أربعمائة سنة فلما نزل به الموت قال لولده: أوصيكم بالناس شراً، طعناً لزاً وضرباً أزاً، وإن أرذلتم الصحاحرة نقل الماجرة، أقصروا الأعنة وأطيلوا الأسنة وارعوا الكلأ، ثم قال:

اليوم يبني لدريد بيته ... يا رب نهب حسن حويته[3]

ومعصم ذي مرة لويته ... لو كان للدهر بلى أبليته

أو كان قرني واحداً كفيته[4]

قال إسماعيل بن قيس: دخلنا على معاوية في مرضه الذي مات فيه، فقال: هل الدنيا إلا ما جربت لوددت أني لا أقيم فيكم ثلاثاً حتى ألقى الله، فقلنا: إلى رحمة الله فقال: إلى ما شاء الله. إني لم آلُ فيكم إذ وليتكم فإن الله لو كره أمراً غيّره. قال ابن عيينة: هذا والله الاغترار، ألم تكن مقاتلته علياً وقتله حجراً وبيعته ليزيد مما يكره الله تعالى؟

● مَنْ أحبَّ الموتَ وَذكَر نفعَه وَمَضرّته

قال عبد الله بن مسعود: ما من نفس حيّة إلا والموت خير لها إن كان براً فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾[5]، وإن كان فاجراً فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا

---

(١) العتاب: اللوم.

(٢) تفزعون إلى: تلجأون.

(٣) النهب: الباطل، والضعف.

(٤) القرني: القرن الكفؤ والنظير ـ أبليته: اجتهدت في مصارعته.

(٥) القرآن الكريم: آل عمران/١٩٨.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾[1].

ولما حضر بشراً الموت فرح، فقيل له: تستبشر بالموت، فقال: أتجعلون قدومي على خالق أرجوه كمقامي على مخلوق أخافه

وقال بعضهم: لا يكره الموت إلا مريب

وسئل فيلسوف عن الموت فقال هو فرح الأغنياء وشهوة الفقراء، وقال المتنبي:

نعيبُ حلاوات النفوسِ قلوبَنا ... فنختارُ بعضَ العيشِ وهو حِمامُ

وله:

وما الدهرُ أهلٌ أن تؤمّلَ عنده ... حياةٌ وأن تشتاق فيه إلى النَّسْلِ[2]

وقال آخر:

قد قلتُ إذ مدحُوا الحياةَ فأسرفُوا ... في الموتِ ألفُ فضيلةٍ لا تُعرفُ

وقال بعضهم: لا يكون الحكيم حكيماً حتى يعدم أن الحياة تسترقُّه والموت يعتقه

وقال الأخطل:

والناسُ همُّهمُ الحياةُ ولا أرى ... طولَ الحياةِ يزيدُ غيرَ خبالِ[3]

وقال الجنيد: من كان حياته بنفسه يكون مماته بذهاب روحه فتصعب عليه، ومن كان حياته بربه فإنه ينتقل من حياة الطبع إلى حياة الأصل وهي الحياة على الحقيقة

● من تمنى الموت

قيل: شر من الموت ما إذا نزل تمنيت الموت لنزوله. وقيل: خيرٌ من الحياة ما إذا فقدته أبغضت لفقده الحياة.

قال المهلبي:

ألا موتٌ يُباعُ فأشتريه ... فهذا العيشُ ما لا خيرَ فيه

ألا رحمَ المهيمنُ روحَ حرّ ... تصدّقَ بالوفاةِ على أخيه

وقال المتنبي:

كفى بك داءً أنْ ترى الموتَ شافيا ... وحسْبُ المنايا أنْ يكنَّ أمانيا

وقال الموسوي:

آهاً لنفسٍ حُبِستْ في جِلْدي ... إن الأسيرَ غرضٌ بالقِدِّ[4]

---

(1) القرآن الكريم: آل عمران/ ١٧٨.

(2) أي شأن الدهر أن يغتال نفوس أهله، فليس بأهل لأن ترجى عنده الحياة.

(3) الخبال: من الخبل وهو فساد العقل

(4) القِدّ: الجلد يقيد به الأسير، أو السوط

واعتل الشبلي ثم برأ فقال له بعض أصحابه. كيف أنت؟ فقال:

كلما قلت قد دنا حل قيدي ... قدموني وأوثقوا المسمارا

● **الحياةُ لا تُملُّ**

قال بعض الحكماء: الحياة وإن طالت لا تُمل وإنما يمل المرء تكاليف الحياة ولهذا فُضّل قول زهير.

سئمتُ تكاليفَ الحياةِ ومن يعِشْ ... ثمانين حوْلاً لا أبا لك يسْأمِ

على قول لبيد:

ولقد سئمتُ من الحياةِ وطولِها ... وسؤالِ هذا الناس كيف لبيدُ؟

وقيل: إن الحياة لا تسأم وإنما تُسأم تكاليفها، قال المتنبي

ولذيذُ الحياة أنْفَسُ في النفسِ ... وأشهى من أن يُملّ وأحلى

وإذا الشيخُ قال أفٍ فما مـ ... ـلّ حياةً وإنما الضعفَ ملّا

آلةُ العيشِ صِحّةٌ وشبابٌ ... فإذا وليا عن المرءِ ولّى

ودخل سليمان بن عبد الملك مسجد دمشق فرأى شيخاً **فقال**: يا شيخ أيسرك أن تموت؟ **فقال**. لا والله. **قال**: لم؟ وقد بلغت من السن ما أرى؟ **قال**: مضى الشباب وشره وبقي الشيب وخيره، فأنا إذا قعدت ذكرت الله وإذا قمت حمدت الله فأحب أن تدوم لي هاتان الحالتان

● **المستنكفُ أنْ يموتَ حَتفَ أنفه**

قال الشنفرى:

فلا تقبروني إنّ قبري محرّمٌ ... عليكُم ولكن أبشري أم عامرِ[1]

وقال بكر بن عبد العزيز.

إن موتَ الفراش ذلٌ وعارٌ ... وهو تحتَ السيوفِ فضلٌ شريفُ

وإني لأستحسن قول أبي فراس بن حمدان:

متى ما يدنُ من أجَلي كِتابي ... أمُتْ بينَ الأسنّة والأعنّة[2]

وقال آخر:

فيا ربِّ لا تجعلْ حياتي دنيئةً ... ولا ميتتي يا ربِّ بين النوائحِ

ولكنْ صريعاً بين أرماحِ فتيةٍ ... طوالِ القنا من فوقِ أدهمَ قادحِ[3]

---

(١) أم عامر: الضبع.

(٢) الأسنة والأعنة: كناية عن الحروب والمعارك

(٣) أدهم قادح: فرس ضامر.

وقال أبو عمرو الشيباني. رأيت بالبصرة جنازة عليها مطرف خزّ أخضر، فسألت عنه فقيل. جنازة الطرمّاح، فذكرت قوله:

فيا ربِّ إن حانت وفاتي فلا تكنْ   على شَرْجعٍ يعلى بخضر المطارفِ(١)

فعلمت أنّ الله لم يستجب دعاءه وهذا من باب الشجاعة، وقد مرّ مثله.

● المُذْرِ لعصابةٍ تسرعُ إليهم المنيةُ

قال أبو تمام:

عـلـيـكَ سـلام الله وقـفـاً فـإنّـنـي   رأيتُ الكريمَ الحرَّ ليْس له عُمْرُ

وقال السامي:

فلا تـجْزَعَنْ من موتـهِ وهـو ناشـئٌ   ولا ينكرَنْ هذاك من جرَّب الدهْرا

فـكلّ طـويـل الـمجدِ يقصرُ عمرُه   كـذاك سِباعُ الطيرِ أقصرُها عُمْرا

● تَسلي النّاسِ عمَّنْ مات

قيل. إذا أردت أن تنظر الناس من بعدك فانظر إليهم بعد من مات قبلك

قال أبو العتاهية.

سيعرِضُ عن ذكري وتُنسى مودّتي   ويحدثُ بعْدي للخليلِ خليلُ

وقال منصور الفقيه:

كـلُّ مـذكـورٍ مـن الـنّـاسِ   إذا مـا فـقـدوهْ

فـهـو فـي حُـكْـم حـديـثٍ   حـفـظـوه فـنـسُـوهْ

وقال آخر

هـالـوا عـلـيـه الـتُّربَ ثـم نـثـنـوا   عـنـه وخـلّـوه وأعـمـالَـه

لـم يـنـقـضِ الـنّـوحُ مـن دارِه   عـديـه حـتـى اقـتـسـمـوا مـالَـه

● كلماتٌ وجدت مكتوبةً على قبور

قرىء على قبر: نقلنا من دار حسرة إلى دار عبرة أليس فينا عبرة؟ حكى أبو الفرج الكوفي قال: حضرت مجلس الصاحب وعنده علوي شامي يحدثه بما شاهد من الأعاجيب. قال: رأيت قبراً بفلسطين مكتوبٌ عليه قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون.

وقرىء على قبر.

أنـا فـي الـقـبـرِ وحـيـدٌ   قـد تـبـرّا الأهـلُ مـنّـي

(١) الشرجع. السرير يحمل عليه الميت ـ المطارف. جمع مطرف، وهو رداء من حرير ذي أعلام.

أسلموني بذنوبي ... حسبتُ إن لم تعفُ عنّي

وقُرِىءَ على آخر:

سيعرضُ عن ذكري وتُنسى مودّتي ... ويحدثُ بعدي للخليل خليلُ
إذا انقطعتْ عنّي من العيش مُدّتي ... فإنّ عناءَ الباكياتِ قليلُ

وعلى آخر:

أيّها الأخُ الذي قد ... عابَ عنّي وجفاني
سوفَ يأتيكَ من الله ... رسولٌ قد أتاني
فيُـزيلُكَ من الأرْ ... ضِ مكاناً كمكاني

وعلى آخر

عشتُ دهراً في نعيمٍ ... وسرورٍ واغتباطِ
ثم صارَ القبرُ بيتي ... وثرى الأرضِ بِساطي

وعلى باب مدينة جبلة بالشام:

إلى أيّ المدائنِ سرْتَ يوماً ... رأيتَ قبورَها قبلَ القصورِ
أتاكَ الوعظُ قبلَ الحظّ منها ... [illegible] وتذكرُها قبلَ السّرورِ

● نفيُ الشماتةِ عن الموتِ والنهيُ عنها

لما مات الحسن بن علي عليهما السلام دخل عبدالله بن عباس على معاوية فقال له معاوية: يا ابن عباس مات الحسن بن علي؟ قال: نعم وقد بلغني سجودك. أما والله ما سد جثمانه حفرتك ولا زاد انقضاء أجله في عمرك. قال: أحسبه ترك صبية صغاراً ولم يترك عليهم كثير معاش. فقال: إن الذي وكلهم إليه غيرك. وقال الفرزدق:

فقُلْ للشامتينَ بنا أفيقوا ... سيلقى الشامتونَ كما لقينا

وقال عديّ بن زيد:

أيها الشامِتُ المعيِّرُ بالدهـ ... ـرِ أأنتَ المبرَّأُ الموفورُ؟
أم لديكَ العهدُ الوثيقُ من الأ ... يامِ بل أنتَ جاهلٌ مغرورُ

وقال آخر:

تمنّى رجالٌ أن أموتَ وإن أمتْ ... فتلكَ سبيلٌ لستُ فيها بأوحَدِ

وحكى المبرد عن بعضهم أنه شاهد رجلاً على قبر وهو يكثر البكاء، فقلت: أعلى قريب أو على صديق؟ فقال: أخصّ منهما، قد كان لي عدو فخرج إلى الصيد فرأى ظبياً فتبعه فعثر بالسهم فخرّ هو والظبي ميتين معاً، فانتهيت إلى قبره شامتاً به، فإذا عليه مكتوب

وما نحنُ إلا مثلُهم غيرَ أننا ... أقمنا قليلاً بعدَهم وترحّلوا

فها أنا واقف أبكي على نفسي

ولما مات الفرزدق بكى عليه جرير ورثه، فقيل له: أبعد تلك المعاداة؟ فقال: لم أر إثنين بلغا الغاية ومات أحدهما إلا ولحقه الآخر عن كثب، فكان كذلك.

وقال النبي ﷺ: لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك. ومما يتصل بذلك لما أتى عبد الله بن الزبير خبر قتل مصعب أخيه احتجب أياماً، فخبّر بمجيء قوم للتعزية فقال: أكره وجوهاً تعزي ألسنتها وتشمت قلوبها.

● نفيُ العارِ عن الموت

قالت ليلى الأخيلية:

لعمرُك ما بالموت عارٌ على الفتى ... إذا لم تُصِبْهُ في الحياة المعايرُ

ومثله:

وهلْ بالموت يا للناس عارُ؟

● آخِرُ أمرِ المرءِ الموتُ

قال شاعر:

نَلْ كلَّ ما شِئْتَ وعِشْ نَاعِماً ... آخِرُ هذا كُلِّه الموتْ

● الموتُ مَنْهاةُ الرجالِ

قال أبو بكر العنبري: كنت قاعداً في الجامع فمرّ بي معتوه فأقبل عليّ، وقال:

فهبْكَ ملكتَ هذا الناس طرّاً ... ودان لكَ العبادُ فكان ماذا

ألستَ تصيرُ في لحدٍ ويحوي ... تراثَك عنك هذا ثمّ هذا

وقال آخر:

هبْك قد نلت كلّ ما تحملُ الأر ... ضُ فهلْ بعدَ ذاك إلاّ المنيّه

وقال آخر:

لِدُوا للموت وابنُوا للخراب ... فكلُّكُمْ يصيرُ إلى ذهابِ

● كلماتٌ لهج بها مَنْ حضرَهُ الموتُ فذكرَ الشهادةَ

لما حضرت ابن جلاء الوفاةُ قيل له: قل لا إله إلا الله، فقال: اليوم كذا سنة في أي شيء نحن؟ وقال الكسائي: دخلت البادية فرأيت شاباً قد أشرف على الموت، فدنوت منه وقلت قل: لا إله إلا الله فلم يجب فثنّيت وثلّثت فقال: كم تذكرني بالله وأنا محترق في الله. وقيل: لرجل كان مستهتراً بالسيد، قل: لا إله إلا الله، فقال:

يا ربّ سائلة تمشي وقد تعبتْ ... كيف الطريقُ إلى حمامِ منجابِ[1]

---

(١) الحمام منجاب:

وقيل لبعض الشطرنجيين ذلك، فقال: شاه مات.

● **الكَفَن**

لما حضرت زياد الوفاة، قال له ابنه: يا أبت قد هيأت لك ثوبين لكفنك، فقال: يا بني قد دنا من أبيك لباس هو خير من هذا، أو سلب هو شر منه. وأوصى عبد الوهاب الأفريقي أن يكفّن في عمامته وقال: إني ختمت فيها ثلاثة آلاف ختمة.

● **الطَّواعين**

الطواعين المشهورة في الإسلام خمسة منها: طاعون شيرويه في المدائن سنة ست من الهجرة، وطاعون عمواس في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ وطاعون الجارف سنة تسع وستين في شوال هلك في ثلاثة أيام كل يوم سبعون ألفاً، مات لأنس بن مالك فيه ثلاث وثلاثون ابناً، ولعبد الرحمن بن أبي بكر أربعون ابناً؛ ومنها طاعون سنة إحدى وثلاثين ومائة، كان يحصى في المربدة كل يوم عشرة آلاف جنازة.

وقال بعضهم: رأيت في المنام في أيام الطاعون أنه أخرج من داري اثنتا عشرة جنازة وكنا اثنتي عشرة نفساً فمات منّا أحد عشر، فما شككت في أني تمام العدة، فخرجت يوماً وعدت إلى داري فإذا لصّ قد دخل الدار يسرق ما فيها، فطعن ومات من ساعته فأخرجنا جنازته. ومات أهل دار ولم يبق فيها أحد فدخلوا الدار بعد أربعة أشهر، فإذا صبي في الدار يحبو، فنظروا فإذا كلبة تأتيه وترضعه، وكانت الدار تصبح وفيها خمسون وتمسي وليس فيها أحد. وقال بعضهم: تزوجت بامرأة ودخلت بها في أهلها، فخرجت وهي في عشيرتها، فعدت فوجدتهم قد ماتوا كلهم وكان لا يجزع أحد على أحد لخوف كل أحد على نفسه وأول ما أحدث: كيف أصبحت؟ وكيف أمسيت أيام الطاعون

● **مَنْ استصوبَ الهرَبَ من الطاعونِ**

تقدّم خبر عمر مع المغيرة في أول الكتاب، وأراد هشام أن يهرب من الطاعون فقيل له: لا تخرج فالخلفاء لا يطعنون. ولم يسمع بخليفة مات مطعوناً قط، فقال لهم: أتريدون أن تجربوا ذلك فيّ.

● **النهيُ عن ذلك**

كتب بعض عمال عمر إليه: إن الطاعون قد نزل بنا فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لنا في إتيان قرية خربة، فوقّع في كتابه: إذا أتيت القرية الخربة فسلها عن أهلها والسلام

وكتب شريح إلى صديق له هرب إلى النجف من الطاعون: إن المكان الذي أنت فيه بعين من لا يفوته طلب ولا يعجزه هرب، والمكان الذي خلفت لا يعجل إلى امرىء حمامه، وأنت وهم على بساط واحد وإن النجف من ذي قدرة لقريب.

● مَنْ عَزَمَ على الهَرَبِ فَعَرَضَ له ما صَرَفَهُ

قد تقدّم خبر عبد الملك حين هرب من الطاعون في هذا الفصل، وأراد رجل من أهل البصرة أن يهرب من الطاعون، فركب حماراً له ومعه غلام يتبعه فسأله أن يرتجز، فقال:

لـــنْ يُـسْـبَـقَ اللهُ عـلـى حـمـار ولا عـلـى ذي مـنـعـة طـيّـارِ
قـد يـصـبـح اللهُ أمـام الـسـاري

فقال صدقت، وحطّ رحله ومات فيمن مات.

● كثرةُ الوَباءِ

كثر الموت سنة بالبصرة فقيل للحسن: ألا ترى؟ فقال: ما أحسن ما صنع ربّنا، أقلع مذنب وأمسك ممسك ولم يعتط بأحد. وإذا قيل له: قد الموت يقول: ما يبقى أحد.

(٢)
ومما جاء في الغموم والصبرِ والتّعازي والمراثي

● الأسبابُ الموجبةُ للحُزنِ

قال يعقوب الكندي: أسباب الحزن فقد محبوب أو فوت مطلوب، ولا يسلم منهما إنسان. لأن الثبات والدوام معدومان في عالم الكون والفساد. وقال الحسن: الدنيا دار غموم فمن عوجل فجع بنفسه، ومن أُجّل فجع بأحبابه

وقال بعض أصحاب المنطق: من أراد أن لا يصاب بمصيبة فقد أراد ما لا يكون، لأن المصائب بالكون والفساد في الطبع فينبغي أن يكون ما على حال. إن جميع الأشياء التي تصل إلينا كانت قبلنا لغيرنا فانتقلت إلينا بشريعة ما كان لمن قبلنا.

● النّهيُ عن اتخاذِ ما يورث الجزعَ ومدحُ فاعل ذلك.

قال ابن الرومي:

وَمَـن سـرّه أن لا يـرى مـا يـسـوؤه فـلا يـتـخـذ شـيـئـاً يـخـافُ لـه فـقْـدا

وقيل لسقراط: مالك لا تجزع؟ قال: لأني لا أقتني ما يحزنني فقده

● مَنْ نَهى عن الجزَعِ وبيّن قِلّة عنايتِهِ

قال النبي ﷺ: من انقطع رجاؤه مما فات استراح بدنه. وقيل لرجل اشتد جزعه: لو آمنت بالمرتجع لم تجزع، ولو اقتصدت في التمتع لم تصرع، فالجزع لا يلم ما تشعث ولا يرم ما انتكث. الجزع منقصة الحياة، ومن أعان على نقصان حياته فقد عظمت خطيئته.

وقيل: التأسف على الفائت تضييع وقت ثان إن كنت جازعاً لما أفلت منك، فاجزع على ما لم يصل إليك. الحزم التسلي عما لا يغني الغم فيه والاحتيال لدفع ما يندفع بالحيلة. وقيل لحكيم: الخوف أشدّ أم الحزن؟ فقال: الحزن لأن الخوف صار مكروهاً لما فيه من الحزن، فكما أن السرور غاية كل محبوب فالحزن غاية كل مكروه.

● ذهابُ الحُزنِ بعد انقضاءِ المدةِ

الحُزن ينضو عن ابن آدم كما ينضو الصبغُ عن الثوب ولو بقي لقتله. قال المتنبي:

وللواجدِ المكروبِ من زَفَراتِهِ سُكونُ عزاءٍ أو سُكونُ لُغُوبِ[1]

● حقيقة الصبر

قيل: الصبر حبس النفس على المكروه وعما تدعوك إليه. وقيل: الصبر صبران، صبرٌ على المكروه فيما يلزمك فعله وصبر عما يدعوك إليه الهوى. وسمع رجل آخر يقول: اللّهم ارزقني صبراً، فقال له: ما أراك تسأل الله إلا الغم.

● الحثُّ على دفْعِ النّدَبِ بالصّبرِ

قال النبي ﷺ: الصبر ستر من الكروب وعون على الخطوب. أفضل العدّة الصبر على الشدة. وقال أمير المؤمنين كرم الله وجهه: الصبر مطيّة لا تكبو، والقناعة سيف لا ينبو. إذا استهدف غرض الهم فارمه بنبال الصبر. وقيل: اجعل صبرك على النوائب كما شكرك على المواهب. الصبر عند النقم والشكر عند النعم.

وقال عمر رضي الله عنه: لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت أيهما ركبت. الصبر يناضل الحدثان والجزع من أعوان الزمان. وما في الشكوى إلا أن تحزن صديقك وتشمت عدوك. وقال أنوشروان: جميع مكاره الدنيا تنقسم إلى قسمين، ضرب فيه حيلة فالاضطراب دواؤه، وضرب لا حيلة فيه فالاصطبار شفاؤه، وقالت الفرس: كلمتان يقولهما العاقل عند نائبته، إحداهما هذه المحن خير ممّا هو شر منها، والأخرى لعل الله أن يجعل في هذا المكروه خيراً.

وكلمتان يقولهما الجاهل: لعل ما أصابني يدعو إلى شر منه والأخرى لو كان بدل هذا كذا وكذا من المصيبة، قال شاعر:

ولخيرِ حظّك في المصيبة أنْ يلقاكَ عندَ نزولها الصبرُ

● الصبرُ يُفضي إلى الفَرَحِ والظفَرِ

الصبرُ على مرارة العاجل يفضي إلى حلاوة الآجل. إنك لا تنال قليل ما تحب إلا بالصبر على كثير ما تكره. حيلةُ مَنْ لا حيلة له الصبر. قيل: لكل شيء ثمرة وثمرة الصبر

(١) الواجد: الحزين ـ اللغوب: الإعياء. أي أن المحزون لا بدّ له من سكون فإن لم يسكن عزاءً أعياه الحزن فسكن عجزاً.

الظفر. قال أنوشروان: الصبر كاسمه وعاقبته كالعسل. وقيل: الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت. وقيل: مكتوب على باب الجنة من صبر عبر.

● حثُّ الجَزوعِ على الصَّبرِ وتحكيمُهُ بين الجَزَعِ والصَّبر

قال أمير المؤمنين كرّم الله وجهه: إن صبرتَ فأنت مأجور وإن جزعت جرى عليك المقدور وأنت مأزور. قال بعضهم: رآني راكبٌ وأنا مكبٌّ على قبرٍ أبكي، فقال: اصبر فالصبر خير مغبة، فلم أصغ إليه، فولّى وهو يقول:

فإن تصبرا فالصبرُ خيرٌ مغبّةً ... وإن تجزعا فالأمر ما تريانِ

وقال أبو واكد:

فإن صبرتَ فلم ألفظك من شبعٍ ... وإن جزعتَ فعِلْقٌ منفِسٌ ذهبا

وقال النابغة

ألا أيُّها الباكي لأحداثِ دهرهِ ... تحمَّلْ على ما يُحدث الدهرُ فاصبرِ

فإن أنت لم تصبرْ لما كان جائياً ... وأبصرتَ تنكيراً لذاك فأنكرِ

● الحَثُّ على تَصوُّرِ النوائبِ والاستعدادِ لها لتخفَّ عند نزولها

قيل: ما أمتع الدهر إلا ليمنع ولولا اغترار الجاهل بعوائده لخلت النفوس من الحسرة على نوائبه. قيل: لا تخل قلبك من هواجس الفكر وخواطر الذكر فيما تعروك به الأيام من ارتجاع ودائعها وحلول وقائعها. وقيل: من كان متوقعاً لم يُلف متوجعاً.

قال ابن الرومي:

ألم ترَ رزءَ الدهرِ من قبلِ كونِهِ ... كفاحاً إذا فكرت في الخلواتِ

فما لك كالمُرمى في مأمن له ... بنبل أتته غير مرتقباتِ

فإنْ قلتَ مكروهٌ أتاني فجاءة ... فما فرحتْ نفسٌ مع الخطراتِ

ولا عوفصَتْ نفسٌ ليلوى وقد رأت ... عظاتٍ من الأيام بعد عظاتِ[1]

إذا بغتتْ أشياءَ قد كانَ مثلُها ... قديماً فلا تعتدها بغتاتِ[2]

● الغمُّ يُمرِضُ البَدَن

سئل عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما عن الحزن والغضب فقال: أصلاهما واحد، وذلك وقوع الأمر على خلاف المحبة فأما فرعاهما فمختلفان فالمكروه ممن فوقك ينتج حزناً وممن دونك ينتج غضباً. قال المتنبي:

وحزنٍ كلّ أخي حزنٍ أخو الغضبِ

---

(١) عوفصت: من عفصه أي تلفه أو ألحته في الصراع.

(٢) بغتات: جمع بغتة، وهي الفجاءة.

وقيل: الأحزان تُسقم القلوب كما أن الأمراض تسقم الأبدان. وقيل: الغَمُّ يشيب القلب والهرم يشيب الرأس.

- **النَّهيُ عن الإفراطِ في البكاء وإظهارِ الجزعِ على الأموات**

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: إن الميت ليعذّب ببكاء أهله. وأنكرت عائشة ذلك وقرأت ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1]. وقيل: معناه يُعذّب بأعماله التي يندب بها من غاراته وقتاله.

ودخلت أعرابية الحضر فسمعت بكاء من دار فقالت: ما هذا؟ أراهم من ربّهم يستغيثون ومن استرجاعه يتضجرون ومن جزيل ثوابه يتبرمون. وقال أبو سعيد البلخي: من أصابته مصيبة فأكثر الغم جعل الله عقوبته غماً مثله. قال الله تعالى ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟﴾[2] الآية. وقال ﷺ: النائحة إذ لم تتب قبل أن تموت أقيمت يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من كبريت.

- **الرخصةُ في البكاء وإظهارُ الجزعُ ما لم يكُنْ إفراطاً**

دخل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه على النبي ﷺ يوم موت ابنه إبراهيم، فوجد عينيه تذرفان، فقال: يا رسول الله ألست تنهانا عنه؟ قال: أنا ذو رحمة ولا يُرحم من لا يرحم. وإنما نهى عن النياحة، وأن يندب المرء بما ليس فيه. وسمع عمر رضي الله عنه باكية في جنازة فزجرها فقال النبي ﷺ: دعها فإن العهد قريب والنفس مصابة. وقام الحسن البصري على قبر أخيه فبكى شديداً فقيل له في ذلك فقال: ما رأيت الله عاتب يعقوب على طول بكائه على يوسف عليهما السلام بل قال ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾[3] وقيل لأعرابي: أصبر فالصبر أجر، فقال: أعلى الله أتجلد؟ والله للجزع أحب إليّ، لأن الجزع استكانة والصبر قساوة. وقيل لفيلسوف: أخرج الحزن من قلبك فقال: لم يدخله بإذني فأخرجه بإذني. وأفرطت امرأة في الجزع على ابنها فعوتبت في ذلك فقالت: إذ وقع حكم الضروريات لم يقع عليها حكم المكتسبات، فأما جزعي فليس في طاعة صرفه ولا في القدرة منعه ولي عذر للضرورة، فإن الله تعالى يقول: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[4] وقال خالد بن صفوان: صبرك في مصيبتك أحمد من جزعك، وجزعك في مصيبة أخيك أحمد من صبرك.

---

(١) القرآن الكريم: النجم/ ٣٨

(٢) القرآن الكريم: آل عمران/ ١٥٣.

(٣) القرآن الكريم: يوسف/ ٨٤.

(٤) القرآن الكريم: البقرة/ ١٧٣.

● نَفْعُ البُكاءِ في دفعِ الأحزان

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه: كنت إذا أصابتني مصيبة وأنا شاب لا أبكي وكان يؤذيني ذلك حتى سمعت أعرابياً ينشد:

لعلَّ انحدارَ الدمعِ يُعْقِبُ راحةً من الوجدِ أو يشفي نجيَّ البلابلِ[1]

فسألته: لمن الشعر؟ فقال لذي الرمة فكنت إذا أصبت بكيت فاسترحت. قال العبق:

ويشفي مني الوجدَ ما أتواجع

وقال المتنبي:

وقلَّ غناءُ عبرةٍ تسكبها على أنها تشفي الحرارة في الصّدر

● قِلةُ نَفعِ البكاء

قال أبو تمام:

أجدرْ بجمرةِ لوعةٍ إطفاؤها بالدمعِ أن تزدادَ طولَ وقوعِ

وقال أراكة:

أعينيَّ إن كان البُكا ردَّ هالكاً على أحدٍ فنلي فلا تتركا جهدا

وقال الموسوي:

وإن غبينَ القومِ منْ ظاعنِ الردى إذا جاءَ في جيشِ الرزايا بأدمعِ[2]

وقال آخر:

إن الدموعَ طليعةُ الأحزانِ

● منْ سلا عن الولدِ أو سُلِيَ عنه بسلامتهِ في نفسه

قيل لعبد الله بن عبيد الله بن طاهر، وقد مات له ولد ثم أتاه الخبر قبل عوده من جبانته بأن مات له آخر فانتظر حتى جهز، فدفنه وانصرف مع أصحابه ودعا بالطعام، فقيل له في ذلك، فقال: إذا سلمت الجلة فالسحل[3] هدر.

ودخل أبو العتاهية على الفضل بن الربيع يعزيه بابنه فقال: الحمد لله الذي جعلنا نعزيك به ولا نعزيه بك.

---

(١) نجيّ البلابل: تعريدها الشجي.

(٢) غبين القوم: الضعيف الرأي فيهم.

ظاعن: مرتحل مع ـ الرزايا: جمع رزية، وهي المصيبة الشديدة.

(٣) الجِلّة: جمع جليل، وهو السيد والعظيم ـ السحل من القوم: رذيلهم.

وقال الموسوي:

فتسلَّ عن سيفٍ طبعْتَ غرارَه ... وأعرْتَ صفحتَه سناً ومضاءَ[1]
فالابن للأب إن تعرَّضَ حادثٌ ... أوْلى الأنامِ بأن يكون فداءَ

● مَنْ تَسلَّى عنه أو سُلِّي بأنه فتنةٌ وبلاء

كتب رجل إلى آخر: أما بعد، فإن الولد ما عاش حزنٌ لوالده وفتنة. وإذا قدمه فهو صلاة ورحمة. فلا تجزعنَّ فيما أزال الله عنك من حزن ومن فتنة، ولا ترهد فيما أولاك من صلاة ورحمة. وعزّى رجل عبيد الله بن سليمان، فقال: لئن حرم الأجر ببرِّك لقد كفى الإثم بعقوقك، ولئن فُجعت بفقده لقد أمنت فتنة به.

● مَنْ تَسلَّى بمالِهِ من الثواب

دخل عمر بن عبد العزيز على ابنه عبد الملك وكان قد أصابه الطاعون فقال: دعني أمس قرحتك. وكان يقال: إذا كان لبناً يرجى وإذا كان خشناً لا يرجى، فامتنع عبد الملك من أن يمسها فعلم عمر لم منعه، فقال: دعني أمسها فوالله لأن أقدمك فتكون في ميزاني أحب إليّ من أن أكون في ميزانك، فقال: والله لأن يكون ما تريد أحب إليّ من أن يكون ما أريد فلمسها، فقال: يا عبد الملك الحق من ربّك فلا تكونن من الممترين، فقال: ستجدني إن شاء الله من الصابرين.

وقال ﷺ: من مات له ولد فصبر أو لم يصبر جزع أو لم يجزع احتسب أو لم يحتسب لم يكن له ثواب إلا الجنة. ولما مات ذر بن عمر بن ذر قام أبوه على قبره فقال: يا ذر شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك، فليت شعري ما الذي قلت وما الذي قيل لك اللهم إنك قد ألزمته طاعتك وطاعتي فإني قد وهبت له ما قصّر فيه من حقي، فهب لي ما قصر فيه من طاعتك، اللهم ما وعدتني من الأجر على مصيبتي به فقد وهبته له، فهب لي من فضلك. ثم قال عند انصرافه: ما علينا بعدك من غضاضة، وما بنا إلى إنسان مع الله حاجة، وقد مضينا وتركناك ولو أقمنا ما نفعناك.

● مَنْ رأى المفقودَ من وُلدِهِ له دُونَ الباقي

قال زياد لرجل: أين منزلك؟ قال: وسط البلد، قال كم لك من ولد؟ قال: تسعة فقال بعض من حضر: أيها الأمير إنه يسكن المقابر وله ابن واحد، فقال: أجل، داري بين أهل الدنيا والآخرة ومات لي تسعة فهم لي وبقي واحد لا أدري أهو لي أم أنا له.

وقيل لأعرابي: كم لك من الولد؟ قال: لي عند الله خمسة وعندي ثلاثة. وقال رجل للرشيد: بارك الله لك في الماضين وآجرك في الباقين فقال له: أعكس تصب، قال: لا لأن

---

(1) غرار السيف: حده. مضاء: يقال: سيف ماضٍ: أي قاطع.

الله تعالى يقول ما عندكم ينفد وما عند الله باقٍ.

● التسلية عن الأب ببقاء الابن

عزّى رجلٌ آخرَ بموتِ أبيه، فقال: مَنْ كنت مِنْ بقيته لَموفور وَمَنْ كنت خلفه لمجبور وَمَنْ كنت وليّه لمنصور

قال المتنبي:

فـإنّـك مـاءُ الـوردِ إن ذهـبَ الـوردُ

وقال علي بن الجهم:

فما ماتَ من كنتَ ابنَه لا ولا الذي   له مثلُ ما سدى أبوك وما سَعى[1]

● التّعزيةُ بالبنات

نُعي إلى ابن عباس رضي الله عنهما بنتٌ له وهو في سفر، فقال: عورة سترها الله ومؤنة كفاها الله وأجر ساقه الله. وماتت لعمر بن عبد العزيز بنت فأقبل الناس لتعزيته فأمر بحجبهم وقال: إنا لا نُعزّى في البنات ولا الأخوات

● مَنْ فُجِعَ بمختصٍ به فلم يحزن لتصوّره قبل وقوعه

دخل رجلٌ على حكيم وهو يأكل فقيل له: قد مات ابنك. فقال: قد علمت، ولم يقطع الأكل. فقيل له: ومن أين علمت ذلك؟ قال: من قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[2]. وحضر المويد عند المأمون بمرو وهو يكالمه إذ وردت عليه خريطة من الحسن فيها أخبار العراق وموت ابن المويد، فقال المأمون: أحسن الله لك العوض وعليه الخلف، فأجابه بصالح الأدعية. فعجب المأمون وقال: أتدري ما أردت؟ قال: لا، قال: يقال إن ابنك مات. قال: قد علمت ذلك. قال: ومن أين علمت ذلك والخريطة الساعة وردت؟ قال: قد علمت ذلك يوم ولد. وهذا كما سئل أفلاطون فقيل له: ما علّة موت ابنك؟ قال: وجوده. وقيل لعمر رضي الله تعالى عنه مثل ذلك، فقال: هذا أمر كنا نتوقعه قبل كونه فلما ورد لم ننكره. وقال شاعر:

وهـل جـزعٌ مـجـدٍ عـليّ فـأجـزعُ

وقال الطرماح:

ولـمّـا رأى أنّ الأسـى غـيـرُ دافـعٍ   عن المرءِ مقدوراً من الأمر سلّما

وقال:

هممتُ بأن لا أُطعِمَ الدهرَ بعدهم   حياةً وكانَ الصبرُ أبقى وأكرما

---

(1) سدى سديه: نحا نحوه

(2) القرآن الكريم: الزمر/ ٣٠

وقال المتنبي:

أردْدُ ويلي لو قضى الويلُ حاجةً وأكثِرُ لَهْفي لو شَفَى غُلَّةً لَهْفُ[1]

● مَنْ ماتَ له عِدَّةُ بنين فَصَبَرَ

مات لأنس بن مالك رضي الله عنه في طاعون الجارف ثلاثون ابناً، ولعبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما أربعون ابناً، ولعبيد الله بن عمر رضي الله عنهما ثلاثون ابناً سنة أربع وستين، ومات لأعرابية ابن وأخ وزوج دفعة، فلم تبك، وقالت:

أفردني ممّن أحبُّ الدهرُ ثلاثةٌ هم نجومٌ زهرُ
فإن جَزِعْتُ إنّ ذا لعذرٌ وإن صبرتُ لا يَخيبُ الصَّبْرُ

ونظر رجل بالبصرة إلى امرأة فقال: ما رأيت مثل هذه النضارة وما ذاك إلا من قلّة الحزن، فقالت: ما حزن كحزني. ذبح زوجي شاة ولي صبيان يلعبان فقال أحدهما للآخر: تعال أريك كيف ذبح أبي الشاة فذبحه ثم خاف فهرب إلى الجبل فرهقه ذئب فافترسه وخرج زوجي في طلبه، فاشتد عليه الحرّ فمات عطشاً فقيل لها: كيف صبرت؟ فقالت: لو وجدت في الحزن دركاً ما اخترت عليه.

● حَثُّ الإنسانِ أن يَستعمل من التسلّي عاجلاً ما يعود إليه آجلاً

عزّى رجلٌ رجلاً فقال: إن رأيت أن تقدم ما أخرته العجوة فتربح نفسك وترضي ربك. وأصيب ابن المبارك بابن رجل، فدخل عليه مجوسي فقال: إن رأيت أن تعمل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام، فقال ابن المبارك: اكتبوا هذا. وعزّى أمير المؤمنين رضي الله عنه أشعث فقال: إن صبرت جرى عليك المقدور وأنت مأجور وإن جزعت جرى عليك وأنت موزور.

● طولُ العهدِ يقتضي التسلّي

اعتكفت فاطمة بنت الحسين على قبر زوجها سنة، فلما أرادت الانصراف سمعت قائلاً من جانب البقيع يقول: هل وجدوا ما سلبوا؟ فأجابه من الجانب الآخر: بل يئسوا فانقلبوا. وقيل لأم الهيثم: ما أسرع ما سلوت، فقالت: إني فقدت منه سيفاً في مضائه ورمحاً في استوائه وبدراً في بهائه، ولكن قلت:

قَدِمَ العهدُ وأسلاني الزمن إنّ في اللحدِ لمسلى والكفن
وكما تبلى وجوهٌ في الثرى فكذا يبلى عليهن الحزنْ

وقال عمر لمتمم بن نويرة: ما بلغ من حزنك على أخيك؟ قال: بكيت عليه حتى ساعدت عيني العوراء الصحيحة. قال: ثم مه. قال: سلوت. وقيل: لم يخلق الله شيئاً إلا كان صغيراً فكبر إلا المصيبة فإنه خلقها كبيرة فصغرت.

---

(١) اللهف: التحسّر على ما فات ـ الغلة: العطش.

● **التسلية بعد وقوع المحذور**

اشتكى ابن لعمر بن عبد العزيز فجزع عليه ثم مات، فرؤي متسلياً. فقيل له في ذلك **فقال**: إنما كان جزعي رقة له ورحمة فلما وقع القضاء زال المحذور. **وقالت امرأة** مات واحدها فرؤيت حسنة الحال: أمنني من المصائب بعد.

قال البحتري:

صعوبة الحزن تلقى في توقده ... مستقبلاً وانقضاء الرزء إن يقعا

وقال آخر:

فقد جر نفعاً فقدنا لك إننا ... أمنا على كل الرزايا من الجزع[1]

وقال:

وكنت عليه أحذر الموت وحده ... فلم يبق لي شيء عليه أحاذر

ومرض ابن لجعفر بن محمد فجزع ثم مات، فلم يجزع، فقيل له **فقال**: أما بعد وقوع الأمر فلم يبق إلا الرضا والتسليم. **وقال بعضهم**: نزلت بامرأة ذات أولاد وثروة، فلما أردت الارتحال **قالت**: لا تحلني إذا رأيت هذا الصقع. ثم أتيتها بعد أعوام فوجدتها قد افتقرت وثكلت أولادها وهي ضاحكة مسرورة، فسألتها **فقالت**: إني كنت ذات ثروة وجاه وكانت لي أحزان فعلمت أن ذلك لقلة الشكر، وأما اليوم بهذه الحالة أضحك شكراً لله تعالى على ما أعطاني من الصبر. ومن أحسن ما قيل في ذلك. **قول أوس بن حجر**:

أيتها النفس أجملي جزعاً ... إن الذي تحذرين قد وقعا

وقيل: إذا استأثر الله تعالى بشيء فاله عنه:

فلست أرجو ولست أخشى ... ما أحدثت بعده الدهور

فليجهد الدهر في مساتي ... فما يرى بعد ما يصير

وقال:

ألا ليمت من شاء بعدك إنما ... عليك من الأقدار كان حذاريا

● **من تمنى بعده زوال الدنيا وموت الورى**

قالت أم جرير:

فلا وضعت أنثى ولا أب واجد ... ولا ذر قرن الشمس بعد جرير[2]

قال محمد بن صالح:

قل للردى لا تغادر بعده أحداً ... وللمنية من أحببت فاعتمدي

---

(1) الرزء: المصيبة ـ الجزع: الخوف.

(2) ذر قرن الشمس: أي ظهرت ضوءها وأشرقت.

وقال المتنبي:

لا قَلَّبَت أيدي الفوارسِ بعدَه ... رمحاً ولا حَمَلَتْ جواداً أربعُ

● الحثُّ على التسلّي لقرب اللحوقِ بالميتِ والتمدُّح بذلك

دخل الطائي على جعفر بن سليمان وقد توفي له أخ، فاشتد جزعه عليه، فقال: أذكر مصيبتك في نفسك تُنسِيكَ فَقْدَ غيرِك. واذكر قول الله تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[1]، وحذ بقول الشاعر:

وهوَّنَ ما ألقى من الموتِ أنّما ... أصابك منه يا بنيّ مُصيبي

وكتب بعضهم: فيم الجزع ونحن على مدرجة المتوفى. وقال إبراهيم بن المهدي

وإنّي وإن قدمتَ قبلي لعالِمٌ ... بأني وإن أبطأت عنك قريبُ

وقال يحيى بن زياد:

وهوّنَ وجدي أنني سوفَ أغتدي ... على إثره يوماً وإن نَفِسَ العُمْرُ

● الحث على التسلّي بمن أصابه كمُصيبته والتمدح بذلك

رُوي أنّ الإسكندر حكم له أنه لا يموت إلا بأرض سماؤه ذهب وأرضه حديد. فلما سقط من دابته حمل على درع وظلل بترس من ذهب فلما أفاق ورأى ذلك فطن لما حكم له، وقال: قاتل الله المنجمين، يقولون ولا يفسرون، فكتب إلى والدته أن أصنعي طعاماً وادعي له من لم تصبه مصيبة، فامتثلت فبقي الطعام ولم يأتها أحد، فعلمت أنه أرسل يعزيها، وقال:

وما أنا بالمخصوص من بين من أرى ... ولكنْ أتتني نوبتي في النوائبِ

وتوفي ابن لمسلمة فاشتد جزعه حتى أمسك عن الطعام والشراب، فدخل في غمار الناس رجل رثّ الهيئة، فأنشده:

وطيّبَ نفسي عن شراحيل أنني ... إذا شئتُ لاقيت امرأً مات صاحبُه

فقال: ويحك، أعد فأعاده فدعا بالطعام. قالت الخنساء:

ولولا كثرةُ الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلْتُ نفسي

وما يبْكون مثلَ أخي ولكنْ ... أسلّي النفسَ عنه بالتأسّي

وقال جرير:

ولولا الأسى ما عشتُ في الناس بعدَه ... ولكنْ إذا ما شئتُ جاوبَني مثلي

ونزل عروة بن الزبير بالوليد ومعه ابنه فضربته دابة فأصبح ميتاً. ووقعت الأكلة في

---

(١) القرآن الكريم: الزمر/ ٣٠.

رجله فقطعت بالمنشار ولم يمسكه أحد، فقال: لقد لقيت من سفرنا هذا نصباً. ثم قدم قوم من عبس على الوليد وفيهم ضرير، فقال: نزلت ليلة في بطن واد ولا أعلم في الأرض عبسياً أكثر ما لامني، فطرقنا سيل ذهب بأهلي، ومالي غير بعير ومولود، فند البعير فتبعته، فسمعت صرخة الولد فرجعت، فوجدت الذئب قد أكله، فرجعت للبعير وتعلقت بذنبه، فحطم وجهي فأعماني فأصبحت لا أهل ولا مال ولا عين. فقال الوليد: خذوا بيده إلى عروة ليتسلّى به.

وقال رجل لقوم عزاهم: ما منكم بدأت ولا إليكم انتهت، وعكس ابن الرومي فقال:

ليسَ تأسو كلومُ غيري كلُومي	ما بهِ ما بهِ وما بي ما بي

وقال فيلسوف: لئن كنت تبكي لنزول الموت بمن أنت له محب، فلطالما نزل بمن كنت له مبغضاً. وقال أفلاطون لرجل رآه مغموماً: لو أحضرت قلبك ما فيه الناس من المصائب لقل همك.

● **الحثُّ على التسلّي بموتِ النبي عليه السلام**

قال ﷺ: من أصابته مصيبة فليذكر مصيبته بي.

قال ديك الجن:

تأمّل إذا الأحزانُ فيكَ تكاثفَتْ	أعاشَ رسولُ اللهِ أم ضمّهُ القبْرُ

رثي على قبر:

تعزَّ فكم لكَ من أُسوةٍ	تُسرِّدُ عنكَ غليلَ الحَزَنْ
بموتِ النبي وقتْلِ الوصيّ	وذبحِ الحسينِ وسَمِّ الحَسَنْ

● **التسلّي بأنه مُعزّى لا مُعزّى به**

قال بعضهم: لا زلنا معزّيك ولا نعزّي بك، **وقال أبو فراس:**

كنِ المعزّى لا المعزّى به	إن كانَ لا بدَّ من الواحدِ
لا بدَّ من فقدٍ ومن فاقدٍ	هيهاتَ ما في النّاسِ من خالدِ

وقال المتنبي:

مهما يعزُّ الفتى الأميرَ بهِ	فلا بإقدامهِ ولا الجُودِ[1]
ومن مُنانا بقاؤُه أبداً	حتى يُعزّى بكلِّ مولودِ[2]

---

(١) أي مهما عزاه الإنسان به مما يفقد له فلا عزّاه بشجاعته ولا بجوده.

(٢) المنى: جمع مُنية، وهو الشيء الذي يُتمنى. يقول: نتمنى أن يبقى على الدوام حتى يتقدمه كل مولود فيُعزّى به.

● التسلية عمَّن مضى بمن بقي

قال الحمدوني:

حمدت إلهي بعد عروة إذ نجا خراشٌ وبعضُ الشرِ أهونُ من بعضِ

وقال البحتري:

تعزَّ بالصبر واستبدِل أسًى بأسى فالشمسُ طالعةٌ إن غُيِّبَ القَمَرُ

وقال المتنبي:

قاسمتك المنونُ شخصَيْنِ جوراً جعل القِسْمُ نفسه فيك عَدْلا[1]

فإذا قِسْتَ ما أخذْنَ بما غا دَرْنَ سرّى عن الفؤادِ وسلّى

وقيل لرجل ماتت امرأته بعساه. عظم لله أجرك فيما أباد وبارك لك فيما أفاد.

● التعزيةُ بمملوك

دخل إبراهيم ابن العباس على الواثق وقد أصيب بخادم كان مشغوفاً به، فقال: في بقاء السيد المالك عزاء عن المملوك الهالك

● أدعيةٌ لذوي المُصيبة

جعل الله رزيته خاتمة الرزايا، وأصيب على أعدائه ديم المنايا. لا جرّعك الله مصيبة عبرها ولا أنالك مدرعة سواها. لا بهشتك بعدها حبّة ولا لدعتك كيّة. جعل الله مصيبتك أدباً ولا جعلها عصباً. لقّاك الله الصبر ووقاك ما يحبط الأجر لا أساك الله المصيبة بأعظم منها. وهب الله لك عمراً طويلاً وأجراً جزيلاً وصبراً جميلاً

وقال رجل لابن عمر. عظّم لله أجرك فقال. بل جعل لي العافية، معناه أن تعظيم الأجر في تعظيم ما يؤجر عليه من المصيبة. ويقال. أخلف الله عليك لما منه عوض، وخلف الله عليك لما ليس منه عوض. وقال يحيى البرمكي. التعزية بعد ثلاث تجديد للمصيبة والتهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمودّة

● تعازي الحمقاءِ

مات ابن لعبد الملك فجاءه ابنه الوليد يعزّيه فقال. يا بنيّ مصيبتي فيك أقدح في بدني من المصيبة بأخيك، قال: أمّي أمرتني بذلك. وعتم الحجّاج بموت صديق له وعنده شاميّ أوفده إليه عبد الملك في مهمّة. فقال الحجاج. ليت إنساناً يعزّيني عنه بأبيات. فقال. أقول أيها الأمير قال. قل، فقال: كل خليل سوف يفارق خليله بموت أو بصلب أو يقع فوق البيت أو يقع البيت عليه، أو يسقط في بئر، أو يكون سبب لا نعرفه. فقال الحجّاج. حسبك، فمصيبتي بأمير المؤمنين حيث أرسل مثلك في مهمّة أنستني هذه

---

(١) يريد بالشخصين أختي سيف الدولة.

ودخل حمصيّ على عروة بن الزبير لما قطعت رجله، فقال: أقطعت رجلك؟ قال: نعم جيد أما أنت مغتم. قال: كما يكون مثلي قال: لا تغتم فإنك لو رأيت ثوابها لتمنيت أن الله قطع رجلك ويديك وأعمى بصرك ودقّ صلبك.

وعزّى بعض الحمقاء جاراً له بامرأته فقال: أعظم الله أجرك، ورحم الظعينة فقد ماتت في يوم جيد يوم الثلاثاء، فقيل له: إن هذا اليوم جيد لإخراج الدم فقال: هو لإخراج الروح أجود.

● الرزيّةُ فقدُ الأماثلِ لا فقدُ الأموال

قال شبيب بن البرصاء:

لعمرك ما الرزيّة بالمطايا	ولا الخيلِ الجياد ولا العبيدِ
ولكنّ الرزيّةَ كلُّ خرق	من الفتيان متلاف مفيدِ[1]

وقال آخر:

لا أعد الإقتار عدماً ولكنّ	فقد من قد رزئته الإعدامُ[2]

وقال لبيد:

إن الرزيّة لا رزيّة مثلها	فقدانُ كلِّ أخٍ كضوءِ الكوكبِ

● الموتُ يعاجلُ الأفاضلَ ويؤخّر الأراذل

هو الدهرُ لا يبقى عليه مقيم	جوادٌ ولا وغدٌ من الناس واضعُ
بكلٍّ أراه عاجماً غير أنه	إلى الحرّ والملق النفيس مسارعُ

وقال أبو تمام:

أن ينتجل حدثانُ الدهر أنفسكم	ويسلم الناس بين الحوض والعَطَنِ[3]
فالماءُ ليس عجيباً أنّ أعذبه	يفنى ويمتدُّ عمرُ الآجنِ الأسنِ[4]

وقال آخر:

يقودُ الزمانُ جيادَ الخيول	ويبقي الرُّذالَ على المُدودِ[5]

وقال آخر:

كريمٌ لراجٍ يحسنه الوضاء

---

(١) الخرق المتلاف: الحمق المودي إلى الهلاك.

(٢) الإقتار: الحاجة والعوز - عدماً: فقراً.

(٣) انتجل: صفّى - الحوض: مكان الشرب - العطن: مبرك الجمال حول الماء.

(٤) الآجن: الفاسد.

(٥) الرذال: جمع الرذيل، وهو الدون والخسيس - المدود: جمع مدّ وهو كثرة الماء والمراد أن الزمان يمدّ للأراذل حبل العيْ.

وقال الحمدوني:

إذا ما اتقيت على فرحة ... فكلُّ بلاءٍ بها مولَعُ

وقال آخر

وسهم المنايا بالذخائر مولعُ

- موتُ السني والصديق وبقاء الدنيء والعدوّ

قال سعيد بن عبد الرحمن:

إنّ الزمانَ ولا تفنى عجائبُه ... أبقى لنا ذنباً واستأصل الراسا

وقال البسامي:

حسباً هذا كموت هد ... فلست تخلو من المصائب

وقال القفصي:

لعمرُك إنّي بالخليل الذي لهُ ... عليّ دلالٌ واجبٌ لمفجَّعُ[1]

وإنّي بالمَوْلى الذي ليس نافعي ... ولا ضائري فقدانُه لمُمَتَّعُ[2]

- من عمّ به مصابُ الناس

قال الرفّاء:

تساوتْ قلوبُ الناسِ في الحزنِ بعدَهُ ... كأنّ قلوبَ الناس في حُزنها قلْبُ

وقال مسلم:

كادت له مُهجُ الأنامِ تسيلُ[3]

وقال آخر:

يشاركني في فقده البدوُ والحضرُ

وقال الموسوي:

يموتُ قومٌ ولا يأسى لهُم أحدٌ ... وواحدٌ موتُه همٌ لأقوام

- من اغتمّ بموته الجمادات

قال أبو تمّام:

أظلمت الآفاق من بعده ... وعريت عن كلّ حسنٍ وطيب

وقال آخر:

لقد حزنت لمقتلهم الشهورُ

---

(١) و (٢) يقول إنه يجمع بالخليل الصاحب ولا يبقى له الدهر إلا المولى الذي لا يعيده فقده

(٣) المهج، جمع مهجة وهي النفس أو الروح ـ الأنام: الناس.

● **من ذكر طولَ حُزْنِه على مَنْ رثاه**

قال مسلم:

وحزْنٍ كطولِ الدَّهْرِ باقٍ إذا مضت ... أوائلُـه عـادت إلـيْـنـا الأواخِـرُ

وقال آخر:

أسرع الحزنُ في عقلي وفي جسَدي

وقال آخر:

أصـابَ غـليلي عَـبْرتي فـأسـالَـهـا ... وعاد احتمامي ليلَتي فأطالَـهـا[1]

وقال أبو فراس:

أوصيكَ بالحزنِ لا أوصيك بالجَلَدِ ... جلَّ المُصاب عن التعنيف والفَنَدِ[2]

أبكي بدمعٍ له من حسرتي مَدَدٌ ... وأستريحُ إلى صبرٍ بلا مَدَدِ[3]

وقال آخر:

وظلّتْ بي الأرضُ الفضاءُ كأنّما ... تـصـعّـدُ بـي أركـانُـهـا وتـجـولُ

وقال أبو فراس:

يـعـزّون عـنـك وأيـن الـعـزاءُ ... ولـكـنّـهـا سُـنّـةٌ تُـسـتـحَـبُّ

● **مَنْ زادَ سوءُ حالِهِ على حالِ الميت**

قال المتنبي:

بنا منكَ فوقَ الرمل ما بِكَ في الرَّمْلِ ... وهذا الَّذي يُضني كذاكَ الذي يُبلي[4]

كـأنّـك أبـصَـرْتَ الـذي بـي وخِـفْـتَـهُ ... إذا عِشتَ فاخترتَ الحِمامَ على الثُّكْلِ[5]

وقال الموسوي:

يـفـوزُ بـالـراحـةِ الـفـقـيـ ... ـدُ ولـلـفـاقـدِ طـولُ الـعَـنـاءِ

● **الراغِبُ عن الحياة لأجلِ مَنْ رثاه**

قالت بثينة:

سواء علينا يا جميلَ بن معمر

وقال آخر:

طـلّـقْـتُ مـن بـعـدِه الـسـرورَ ... وفـرّغْـتُ فـؤادي لـلـهـمّ والـحُـزْنِ

---

(١) **غليلي**: الحزن وحرارة الحب ـ **الاحتمام**: عدم النوم من الهم

(٢) **التعنيف**: اللوم الشديد ـ **الفَنَد**: الخطأ وفساد الرأي

(٣) **المدد**: العون والغوث

(٤) **يقول**: إننا لشدة حزننا عليك قد صرنا موتى ونحن فوق الأرض كما أنت ميت تحت الأرض

(٥) **الحِمام**: الموت ـ **الثُّكل**: فقدان الحبيب

فليتني مت إذ فجعت به ... بل ليته لم يكن ولم أكن

قال آخر:

وما في حياةٍ بعد موتك طائلُ

- **مَنْ أصابهُ ما لو أصابَ الجِبال لهدَّها**

قال هدب:

أصِبنا بما لو أنّ سلمى أصابه ... لسهّل من أركانها ما توعرا

وقال البحتري:

ولو أنّ الجبالَ فقدن إلفاً ... لأوشكَ جامدٌ منها يذوبُ

- **كثرةُ البكاء على الميت**

قال أبو ذؤيب:

فالعينُ بعدهم كأنَّ حداقها ... سُمِلت بشوكٍ فهي عورٌ تدمعُ

وقال جرير:

أظنُّ انهمالَ الدمعِ ليسَ بمنتهٍ ... عن العينِ حتى يضمحلَّ سوادُها

وقال أبو الغمر:

وحلّت وكاءَ الدمعِ في وجناتِه ... كما انفجرت عن مائهنَّ المنابعُ[1]

- **مَنْ يستقِلّ لموتِه البكاء**

قال شاعر:

لا أستطيعُ سوى الدمو ... ع وأستقلُّ له الدموعا

وفي كتاب يقل له البكاء ولو كان بدمع الحشا. قال بعضهم:

إنّ المغيرةَ فوق نوحِ النائحِ

- **الإنكارُ على مَنْ لا يغمُّه الموتُ**

قالت امرأة:

أيا شجرَ الخابورِ مالكَ مورقاً ... كأنّك لم تجزَع على ابن طريفِ

قال الشماخ:

أبَعدَ قتيلٍ بالمدينة أظلمَتْ ... له الأرضُ تهتزُّ العضاه بأسوُقِ[2]

---

(١) الوكاء: رباط القربة والوعاء والكيس وغيرها.

(٢) العضاه: كل شجر عظيم له شوك.

وقال آخر:

أرى الأثل من بطن العقيق مُجاوري مقيماً وقد غالت يزيد غوائلُه[1]

وقال عبد الصمد:

ما للسّماء عليه لم تنفطرْ وللكواكب لا تهوي فتنتثرْ

● من اعتذرَ وتلعثم لبقائِه

قال بعضهم:

ومن عجب أن بتُّ مستشعرَ الثرى وبتُّ بما زوّدتني متمتّعا

وقال آخر:

ولو أنني أنصفتُك الودّ لم أقِم

وقال خليفة بن خلف:

أعاتبُ نفسي إن تبسّمتُ خالياً وقد يضحك الموتورُ وهو حَزينُ[2]

وقال الهذلي:

تقولُ أراه بعد عروة سالياً فلا تحسبي أن تناسيتُ عهده

● المستقبح بموته الصبر

قال ديك الجن:

إذا الصبرُ أهدى الأجرَ فالصبرُ مأثمٌ لديَّ وتركُ الصبر فيك هو الأجرُ

وقال ابن الرومي:

لا أسأل الله حسنَ مصطبرِ فإنه عنك يوم مصطبر

وحزنُ نفسي عليك من كرمٍ وهو على منْ سواك من خَوَرِ[3]

وقال آخر:

الصبر والأجر فيك إثمُ

وقال العتبي:

الصبر يُحمد في المصائب كلّها إلا عليك فإنه مذمومُ

وقال أبو تمام:

وإن امرأً لم يمسِ فيك مُفجَّعاً بمجهودهِ في رأيه لمُفجَّعُ

---

(١) الأثل: شجر صلب الخشب جيّده يكثر قرب الماء في الصحارى ـ غالت: قتلت والغوائل الدواهي.

(٢) الموتور: من قتل له قتيل ولم يثأر له.

(٣) الخور: الضعف والانكسار.

وقال المتنبي:

أجد الحزنَ فيك حِفظاً وَعقلاً ... وأراهُ في الخَلْقِ ذُعراً وجَهلا[1]

● شقُّ الجيب

نهى النبي ﷺ عن شقِّ الجيوب. قال أبو سعيد البلخي: من أصيب بمصيبة فشق ثوباً وضرب صدراً فكأنما أخذ رمحاً يريد أن يقاتل به ربّه

قال المتنبي:

علَيْنا لكَ الإسعادُ إن كانَ نافعاً ... بِشَقِّ قُلوبٍ لا بِشَقِّ جُيوبِ

وقال أبو عطاء:

عشيةَ قامَ النائحاتُ وشُقِّقَتْ ... جُيوبٌ بأيدي مأتَمٍ وخُدودِ[2]

وقال رجل من طيء:

ولو لمْ يفارِقْني عطيةُ لم أهُن ... ولم أُعطِ أعدائي الذي أمنعُ

شجاعٌ إذا لاقى ورامٍ إذا رمى ... وها أنا ذا ما أظلمَ الليلُ مُصْرَعُ[3]

وقال أبو الشيص:

يا أيها الدهرُ أقصِرْ عن تنقُّلنا ... [illegible] منتهباً عن عشمين أبدا[4]

أضحى سنانُ قناتي [illegible] ... [illegible] عثراتُ الدهرِ فانقصَدا[5]

● زيارةُ القبورِ وتجديدُ الحُزنِ بها

قال النبي ﷺ: كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجراً.

قال عبد الملك الحارثي:

أتيناه زوّاراً فأمجد ناقري ... من البثِّ والداءِ الدخيلِ المُخامِرِ[6]

وأُبنا بزرعٍ قد نمَا في صدورِها ... من الوجْدِ يُسقى بالدموعِ البوادِرِ[7]

وقال خلف بن خليفة:

وبالدير أشجاني فكَمْ من شبجٍ له ... دوين المُصلَّى بالبقيعِ شجونُ

ربىً حولَها أمثالُها إنْ أتيتَها ... تُريكَ أشجاناً وهنَّ سكونُ

---

(١) وعراً: صعباً
(٢) شقت الجيوب: كناية عن الحزن والنحيب
(٣) مُصرع: مطروح
(٤) فشمتا: طمس
(٥) انقصد: انكسر.
(٦) ناقري: السهم الذي يصيب الهدف - أمجد: أكثر - المخامر: المُداخل - خامره: داخله - أُبنا: عدنا.
(٧) البوادر: المسرعات والمستبقات.

قالت أعرابية:

لقد كنتُ أعدو إلى قصْره ... فقد صرْت أعدو إلى قبْرهِ

وكنتُ أراني غنيّاً به ... عن الناس لو مُدَّ في عُمْرِهِ

● العقرُ على قبر الميت

كانت عادة العرب أن تعقر على قبر ميتهم تعظيماً له، وهذا سوى ما يجعلونه من البلية، وهي ناقة توقف على قبر ميتهم إلى أن تموت ويزعمون أن الميت يركبها يوم الحشر.

قال زياد الأعجم:

وإذا مررتَ بقبره فاعقِر له ... وانضَحْ جوانب قبره بدمائها

ويقال إن زياداً دخل على المهلب فأنشده هذه القصيدة، فلما أتى على هذا البيت، قال له: هلا عقرت عليه يا أبا أمامة فرسك؟ فقال: إني كنت على مقرف ولو كنت على عتيق لفعلت. فاستحسن قوله، وقال لمن حضر مجلسه من ولده ومواليه: ليقدم كل واحد منكم إلى زياد فرساً من خيله فانصرف بعدة أفراس.

وقال عبيد الله بن إسحاق:

فإن يكُ يا ابنَ المصطفى قبرُ سيِّدٍ ... تُخطّر خيلٌ حولَه ونجائبُ

فقبرُك أهلٌ أن يُعقَرَ حولَه ... رجالُ المعالي والنساءُ الكواعبُ[1]

● تذكّرُ الميتِ وتصوُّر محاسنِه

قالت الخنساء

يذكّرني طلوعُ الشمسِ صَخْراً ... وأذكره لكلّ مغيبِ شمسِ[2]

وقالت كلثوم:

لم يخلُ من تمثاله بَصَري ... يوماً ولا من لفظه أذُني

يا منْ تمثّل من محاسِنِه ... للعين مشبوحٌ بلا بَدنِ

● زيارةُ طيفِ الميت

قال ديك الجن:

جاءت تزورُ وسادي بعد ما دفِنَتْ ... فبتّ ألثم خداً زانه الجيدُ

فقلتُ قرّة عيني قد نُعيتِ لنا ... فكيف ذا وطريقُ القبرِ مسدودُ

---

(١) يعقر: يُقدم للذبح (كناية عن تقديم الأضاحي والقرابين).

(٢) وفي رواية: لكل غروب شمس.

فقالتْ هناكَ عِظامي في ملحدِهِ ... ينهشْنَ منها بناتُ الأرضِ والدودُ
وهذه النفسُ قد جاءتْكَ زائرةً ... هذي زيارةُ مَنْ في القبرِ مَلْحودُ

● فِداء الميّت لو قُبِلَ عنه الفِداء

قال متمّم:

فلو أخذَتْ منّي المنيّةُ فديةً ... فديتُك منها بالسّوامِ وبالأهلِ

وقال إبراهيم بن إسماعيل:

أجاري لو نفسٌ فدَتْ نفسَ ميّتٍ ... فديتُك مسروراً بأهلي وماليا

وقال البحتري:

سي لا تعيري تربةً محفورةً ... لكَ في ثَراها رِمّةٌ وعظامُ

● مَنْ ذكر أنّه لو أمكنه دفعَ المَنيّةِ لَدفَعها

قال الحميح:

فلو أنّي استطعتُ دفعتُ عنه ... ولكنْ باعهُ مَنْ لا يقيلُ

وقال ابن الرومي:

ولو كان هذا الموتُ قِرناً أطيقُه ... لما فاتني إحدى الليالي بثارِهِ[1]

وقال الفرزدق:

فلو كانتِ الأحداثُ يدفعُها امرؤٌ ... بعزٍّ لَما نالتْ يداه غريضي

وقال الموسوي:

أتته المنيّةُ مُغتالةً ... رُويداً تخلّلُ من سَتْرِه
فلم تُغنِ أجنادُه حولَه ... ولا المُشرِعونَ إلى نَصْرِه

● مَنْ ذكر أنّه لو حضرَ لدفعَ قاتِلَهُ

قال سعيد بن علقمة:

وغيّبتُ عن قتلِ الحبابِ وليتني ... شهدتُ حتاتاً يومَ ضُرِّجَ بالدمِ[2]
وفي الكفِّ منّي صارمٌ ذو حفيظةٍ ... متى ما يُقدَّم في الضريبةِ يُقْدِمِ
فتعلمَ أحياءُ مالكٍ ولفيفُها ... بأنْ لسْتُ عن قتلِ الحتاتِ بمجرِمِ

وقال البحتري:

فوا أسفي أن لا أكونَ شهدتُه ... فحاسَتْ شمالي دونه ويَميني[3]

---

(1) قرناً أطيقه: أي أقدر على جبهه. (2) حتاتاً: الحتات: اسم.
(3) فحاست شمالي: من حاس الجزار الإهاب سلخه أو كشطه.

وإلا لقيتُ الموت أحمرَ دونَه		كما كنّ يلقى الدهرَ أغبرَ دوني[1]

● **من مات حَتْفَ أنفه وكان يخشى عليه القتل**

قال لبيد يرثي أخاه وقد أصابته صاعقة فمات:

أخشى على أربد الحتوفَ ولا		أرهبُ نوءَ السّماك والأسد[2]

فجعني البرقُ والصواعقُ		بالفارس يوم الكريهة النجد

وقال كعب بن زهير:

لعمرُك ما خشيتُ على أُبيّ		مصارعَ بين قوّ فالسُّلّي[3]

ولكني خشيتُ على أُبيّ		جريرةَ رُمحِهِ في كلّ حيّ[4]

وقال المتنبي:

نفى وقعَ أطراف الرماح برمحه		ولم يخشَ وقعَ النجم والدّبَران[5]

ولم يدرِ أن الموت فوقَ شواته		مُعَارُ جناحٍ مُحسن الطَّيَرانِ[6]

● **من اختطفته المنيةُ لما أدرك المُشتهى أو تَناهى**

قال سلم الخاسر:

لما استظلّ بتاج الملك واجتمعت		له الأمورُ ممتادٌ ومقسوزُ

حطّت عليه بمقدارٍ منيّتُه		كذاك تصنع بالناس المقاديرُ[7]

وقيل وقوع المنية في إدراك الأمنية، وذلك **نحو قوله**

إذا تمّ أمرٌ بدا نقصُهُ		ترقّ زوالاً إذا قيل تمّ

وله باب.

● **مَن الموتُ مُرْديه مع كثرة توقّيه**

قال رجل من بني أسد:

أبعدْتَ من يومك الفرار فما		جاوزتَ حتّى انتهى بك القدرُ

لو كان ينجي من الردى حذرٌ		أنجاك ممّا أصابك الحذَرُ

---

(١) **الدهر الأغبر**: الدهر الشديد.

(٢) **الحتوف**: الموت ـ السماك والأسد من الكواكب ـ النوء: ما يرافق سقوط النجم من مطر أو إعصار

(٣) **قو**: موضع.		(٤) **الجريرة**: الجناية والذنب العظيم

(٥) **النجم**: الثريا ـ الدبران: خمسة كواكب، من منازل القمر

(٦) **الشواة**: جلدة الرأس، أي لم يدرِ أن الموت فوق رأسه كيفما توجه

(٧) **المقدار**: القضاء والقدر.

وقال أبو تمام:

وقد كانَ لو رُدَّ غربَ الحِمام ... شديدَ توقٍّ طويلَ احتماءِ[1]

● التصامُمُ عن النعي والتوجُّع له

قال:

وفي السمعِ عمّا خبّروا غدوةً وقرُ[2]

وقال آخر:

أعلّلُ نفسي بالمرجمِ غيبةً ... وكاتبتُها حتى أبانَ كذابُها

وقال اليربوعي:

ولما نعى الناعي بريد تغوّلتْ ... بي الأرضُ فرطَ الحُزنِ وانقطعَ الظهرُ[3]

عساكرُ تغشى النفسَ حتى كأنني ... أخو سكرةٍ دارتْ بهامتِه الخمرُ

وقال الموصوي.

أبدي التصامُمَ عنه حين أسمَعُه ... عمداً وقد بلَغ الناعون أسماعي

● مَنْ دعا على ناعيه وداعيه

قالت الخنساء:

ألا ثكِلَتْ أم الذين غدَوا بهِ ... إلى القبرِ ماذا يحملونَ إلى القبْرِ؟

وقال أبو فراعة:

لأمكَ الويلُ تَترى أيها الناعي ... أوجعْتَ سوداءَ قلبي أيَّ إيجاعِ[4]

● قومٌ تفانوا واحداً بعدَ واحد

قال رجل من خثعم

نهلَ الزمانُ وعلَّ غيرَ مصرّدٍ ... من آل عتّابٍ وآل الأسودِ[5]

فاليومَ أضحوا للمنونِ وسيقه ... من رائحٍ عجلٍ وآخر مقتدِ

وقال ابن هرمة:

أنَهبٌ للمنيةِ يعتريهم ... رجالي أم هم درجُ السيولِ[6]

---

(١) غرب الحمام: سهم غرب: لا يعرف راميه، والحمام: الموت.

(٢) الوقر: الحمل الثقيل. (٣) تغوّلت الأرض: انحمصت

(٤) تترى: متتابعة ـ سوداء القلب: مهجته

(٥) نهل: شرب أول الشرب وعلّ شرب ثانية ـ غير مصرّد: أي غير قليل

(٦) نهب المنية: هجوم الموت ـ يعتريهم: يصيبهم

- **مَنْ تُصيبُه كلَّ يومٍ مُصيبة**

قال شاعر:

وتـقـرعُـنـي فـي كـلّ يـوم مـصـيـبـةٌ ... فقد صرتُ ذا أُنسٍ بقَرعِ المصائبِ[1]

لـعـمـرُكَ مـا تـعـفـو كـلـومُ مـصـيـبـةٍ ... على صاحبٍ إلاّ فُجِعْتُ بصاحبِ[2]

- **من قاسَمَتْهُ فأخذتْ النصيبين**

قال المتنبي في سيف الدولة وقد ماتت أخته فرثى الأولى:

قـاسـمـتـك الـمـنـونُ شخْـصـيـنِ جَوْراً ... جـعـلَ الـقـسـمُ نـفـسَـهُ فـيـه عـدلا

ثم ماتت الأخرى فقال:

قَدْ كان قاسَمَك الشخصين دهرُهما ... وعـاشَ درهـمـا الـمـفـدّى بـالـذهـبِ

وعـادَ فـي طَـلَـبِ الـمـتـروكِ تـاركُـه ... إنـا لـنـغـفـلُ والأيـامُ فـي الـطـلـبِ

مـا كـان أقـصـر وقـتـاً كـان بـيـنـهـمـا ... كأنه الوقتُ بين الوِرد والقَربِ[3]

- **من اغتاله الموتُ وكان مِن خُدّامه**

قال مسلم بن الوليد:

ألـم تـعـجـبْ لـه أنّ الـمـنـايـا ... فـتـكْـنَ بـه وهـنّ لـه جُـنـودُ

وقال بكر بن النطاح:

ألـم تـرَ لـلأيـام كـيـفَ تـتَـابـعـتْ ... بـه وبـه كـانـت تـذادُ وتُـدفـعُ

- **من استوحش فناؤه بموته**

قال أبو حية النميري:

فـإنْ يـمـسِ وحـشـاً دارُه فـلـربـمـا ... أقـامَ بـه بـعـدَ الـوفـودِ وفـودُ

وقال أبو تمام:

فـيـا وحـشـةَ الـدنـيـا وكـانـتْ أنـيـسـةً ... ووحـشـةُ مَن فـيـهـا لـمـصـرعِ واحـدِ

- **الموصوفُ بأنه لو خُلِّد أحد لخُلِّد هو**

قالت الخنساء

لـو كـان لـلـدهـرِ مـالٌ كـان مـتـلـدةً ... لـكـنْ لـلـدهـر صـخـرٌ مـالَ فـتـيـانِ

---

(1) تقرعني: تلمّ بي.

(2) الكلوم: الجراح.

(3) القَرَب: سير الليل لوِرْد الغد.

قال أبو ذؤيب في قريب من هذا المعنى:

لو كان مدحةُ حيٍّ أنشرَت أحداً ... أحيا أباكُن يا ليلى الأماديحُ[1]

● مَنْ بَقِيت نِعمتُهُ بعد موتِهِ

قال أبو الزبرقان:

فماتَ وأبقى من تراثِ عَطائه ... كما أبقَتْ الأنواء للحيَوانِ[2]

وقال أبو مطير:

فتى عِيش في معروفِهِ بعدَ موتِهِ ... كما كانَ بعدَ السيْل مجْراه مرتعا[3]

وقال صرم:

أما مضيت فكالربيع بمائه ... يعفو وتحسن بعده الآثارُ

● مَنْ خَلَّف العلى دون اللها

قال مالك بن عمرو الحارثي:

ولما حضَرنا لاقتسامِ تراثِهِ ... أصبْنا عظيمات اللها والمآثر[4]

وقال عمارة بن عقيل:

لم يكنْ موسِراً من المال لكن ... موسِراً من مكارمٍ ومعالي

● من يَحْسُن تأبينُه ومَدْحُهُ

قال مطيع بن إياس:

يا خيرَ من يَحْسُنُ البُكاءُ به الـ ... ـيوم ومن كان أمسِ للمدحِ

وقال البحتري:

مضى غيرَ مذمومٍ وأصبح ذكرُهُ ... حلى القوافي بين راثٍ ومادحِ

وقال آخر:

قد مات قومٌ وهم في الناس أحياءُ

وقال العطوي:

وليس صريرُ النعشِ ما تَسْمعونه ... ولكنه أصلابُ قوم تقصَّفُ[5]

وليس بريح المسك ريحُ حنوطِهِ ... ولكنه ذاك الثناءُ المُخلَّفُ[6]

---

(١) أنشرت: أحيت.

(٢) الأنواء: جمع نوء، وهو النجم إذا مال للمغيب. وربما قصد إلى فعل الأنواء أي النجوم في حياة الحيوان.

(٣) المرتَع: المكان المُخصب.

(٤) اللها: المقدار والحصة ـ المآثر: الأعمال الحميدة.

(٥) الأصلاب: الحسب والنسب ـ تقصف: تتكسّر.

(٦) الثناء المخلف: المديح الباقي.

وقال آخر:

إذهبْ كما ذهبتْ غوادي مزنةٍ ... أثنى عليها السهلُ والأوعارُ[1]

● المرثي بالجود

قال مروان بن أبي حفصة:

وكان الناسُ كلهم لمعنٍ ... إلى أن زارَ حفرتَه عِيالا

وقال السلامي:

أما طِلابُ المعالي فاشتهين به ... وأكرمت معه الأوراقُ والذهبُ

وقال آخر:

أتاه الرّدى في زيّ عافٍ وإنما ... أبى جودُه أن يَرجعَ الموتُ خائباً[2]

● مَنْ ماتَ بموتِهِ الجودُ والكرمُ

قال شاعر:

سلوا عن المجد والمعروف أين هما ... فقيل إنهما ماتا مع الحكَم

وقال زياد الأعجم:

إن السماحة والمروءة ضمنا ... قبراً بمرٌ على الطريقِ الراضحِ[3]

وقال آخر:

ولما مضى معنٌ مضى الجودُ وانقضى ... وأصبحَ عرنينُ المكارمِ أجدعا[4]

وقال آخر:

ما درى نعشُه ولا حاملوه ... ما على النعشِ من عفافٍ وجودِ

وقال المتنبي:

يحسبه دافنُه وحده ... ومجدُه في القبرِ من صَحْبِه

● مَنْ تضمَّنَ قبرُهُ جزاً ومنفعةً

قال أبو الشيص:

يا حفرة طولها خمسٌ إذ ذُرعتْ ... في خمسة قد دفنّا عِزّنا فيها

وقال ديك الجن:

عجبتُ لحفرةٍ خُشيتْ بطودٍ ... وقبرٍ حشوه بلدٌ رحيبُ

---

(١) الغوادي: جمع غادية، وهي السحابة التي تنشأ وتمطر غدوة ـ الأوعار: جمع وعر، وهو المكان الصعب والمخيف.

(٢) في زي عافٍ: في هيئة طالب المعروف. (٣) الراضح (هنا): اللئيم.

(٤) العرنين الأجدع: الأنف المقطوع

وقال التنوخي:

ولحدٍ حوى شمساً وأرضٍ تضمَّنتْ ... سماءُ نجومُ المَجْدِ فيها ثواقِبُ

● مَنْ توجّعُ له المكارم

قال أوس بن حجر:

ليبكِكَ الضيفُ والمكارمُ والـ ... ـغِتْيانُ طرّاً وطامعٌ طمعا

وقال أشجع:

أنعى فتى الجودِ إلى الجودِ ... ما مثلُ من أنعى بموجودِ

وقال الخوارزمي:

أعزّيكم أم أعزّي الندى ... فما هُو دونكم في الألمِ[1]

وقال أبو تمام:

يُعزّون عن ثاوٍ تُعزّى به العُلى ... ويبكي عليه الجُودُ والبأسُ والشِّعْرُ

● مَنْ فقد الآمالَ بموته

قال أبو تمام:

توفيتْ الآمالُ بعد محمّدٍ ... وأصبحَ مشغولاً عن السَّفْرِ السفرُ

وقال:

وكانتِ الآمالُ مبسوطةً ... حتى إذا ماتَ طويناها

وقال دعبل:

ماتَ الثلاثة لما ماتَ مطّلبٌ ... ماتَ الرجالُ وماتَ الرّغْبُ والرّهَبُ

● المرثي بحفظ الجوار

قال بعضهم:

بمن يستجيرُ الحرُّ أقفرَ بيتُه ... إذا لم يجدْ في الأرض قرْضاً ولا قرْضا

ومن للأمورِ والمعضلاتِ إذا عَرَتْ ... ومن يُحسنُ الإبرامَ بعدَك والنقْضا[2]

وقال بعض بني أسد:

كانوا على الأعداء نار محرقة ... ولقومهم حُرماً من الأحرامِ

وقال آخر:

يا طالباً وزراً من ريبِ حادثةٍ ... أودى سعيدٌ فلا كهفٌ ولا وَزَرُ[3]

---

(١) الندى: الكرم.

(٢) عرت: عرضت ـ الإبرام والنقض: عقد الأحلاف وفكها.

(٣) الكهف: ملجأ ـ والوزر: الملجأ أيضاً.

وقال أبو القاسم العلاء في الصاحب:

قام السعاةُ وكان الخوفُ أقعدَهم ... واستيقظُوا بعد ما نامَ الملاعِينُ

لا يعجبُ الناسُ لما ماتَ فانتشروا ... مضى سليمان فانحلَّ الشياطينُ

● مَنْ ماتَ بموتِهِ مَن لم يَمُت

قال شاعر:

ماتوا بموتِك غيرَ أنّ شخوصَهم ... نصبُ الهمومِ مقيمةٌ لم تُقبرِ

وقال امرؤ القيس:

فلو أنّها نفسٌ تموتُ بموتِهِ ... ولكنها نفسٌ تساقطُ أنفسا

وقال هشام أخو ذي الرمّة:

ولم يكُ قيسٌ هلكُه هلكُ واحدٍ ... ولكنّه بنيانُ قومٍ تهدّما

وقالت ليلى:

قتلتم فتًى لا يسقطُ الرعبُ رمحَهُ ... إذا الخيلُ جالتْ في قنا متكسّرِ

وقالت الفرزدق:

ألا هلكَ المكسّرُ فاستراحتْ ... حوافي الخيلِ والحيّ الحريدُ[1]

لما أتى معاوية نعيُ عمرو بن العاص، أنشدنا:

ماذا رُزئنا به من حيّةٍ ذَكَرٍ ... نضناضةٍ بالرزايا صلِّ أصلالِ[2]

● من هابته الحوادثُ فاشتفتْ بموتِهِ

قال أبو الغمر:

وسألتُ عنه فقيلَ ماتَ لِما به ... قلتُ النّدى لا شكَّ ماتَ لِما بِهِ[3]

فكأنما ضنَّ الزمانُ على الورى ... ببقائه أو هابه فبدا به

وقال محمد بن وهب:

كأنَّ الموتَ صادفَ منك غُنْماً ... أو استشفى بموتك من سَقامِ[4]

● مَنْ تَبَجّحَ به الموتُ وطابَ القبر

فلان تباشرت القبورُ بموته وأشرقت المقابر بحضرته. قال العقيلي

لئن أظلمَتْ من بعدِكَ الأرضُ وحشةً ... لقد أشرقتْ أنساً إليكَ المقابرُ

---

(١) الحريد: الناضب.

(٢) النضناضة: الحيّة التي تقتل من ساعتها إذا نهشت ـ والصلّ: الحية الخبيثة.

(٣) الندى: الكرم.

(٤) استشفى من سقام: السقام: المرض والعلّة.

وقال الطائي:

مضى طاهر الأخلاقِ لم تبقَ بقعةٌ ... من الأرضِ إلا تشتهي أنها قبرُ

وقال:

أرادوا ليخفوا قبرَه عن عدوِّهِ ... فطيبُ ترابِ القبرِ دلَّ على القبْرِ

● **المرثي بالعلم**

أنشد أبو نواس أبا عبيدة في مرثية خلف الأحمر قوله:

أودى جُماعُ العلم مذ أودى خلفْ ... قليلُم من العياليم الخُسُفْ[1]

روايةٌ لا يجتني من الصحفْ

وفي أبيات كثيرة قال ما أحسنها وطوبى لمن يُرثى بمثلها، فقال: مت راشداً وعلي أن أرثيك بخير منها، ولما مات سفيان بن عيينة.

قال ابن مناذر:

راحوا بسفيانَ على نعشِهِ ... والعلمِ مكسوين أسفانا[2]

لا يبعدنكَ اللهُ من هالكٍ ... ورّثتنا علماً وأحزانا

وقال آخر:

يبكيك للمجدِ أقلامٌ مهذبةٌ ... والأمرُ والنهيُ والديوانُ والعملُ

وقال التنوخي:

ثوى الفقهُ في قعرِ الثرى مذ ثوى به ... وغاضت بحارُ الشعرِ وانقطعَ النظْمُ

ولو أنَّ هذا الموتَ خصمٌ مفوّهٌ ... لأفحمه من عزِّ ألفاظه خَصْمُ

● **المَرثي بالزُهدِ والعبادة**

رأى رجلٌ ميتاً فقال: كان والله بالليل قوّاماً وبالنهار صوّاماً يجمع بين طرفي النهار والليل بالعبادة، كما قال الأمير:

لقد أبقى مكانك في لؤيٍ ... وآلِ محمدٍ خللاً مُبينا

وليلٍ قد دأبتَ له بآيٍ ... من الفرقانِ بين الساجدينا

مآنس شخصُكَ الجدثَ المعفّى ... وأوحشَ قبرُكَ المتهجّدينا[3]

---

(١) أودى: ذهب ـ العياليم: جمع عيلم، وهو البئر الواسعة ـ الخسف. البئر المحفورة في صخر ومازها لا ينقطع.

(٢) أسفانا: الأسفان الأسف مصدر أسف أي بالغ في الحزن والغضب.

(٣) الجدث: القبر ـ المتهجّد: الذي يصلّي الليل.

قال عبد الصمد بن المعذل.

لو كانَ يبكي كتابُ الله من أحدٍ ... لطولِ إلفِ بكتْكَ الآيُ والسورُ

● المختصُ بمرثية الأبوين

قيل موت الأبوين سد بابين من أبواب الجنة قال قتيبة بن مسلم لما ماتت أمه لأبي مجلز. لقد سُدَّ دوني باب من أبواب الجنة قال نعم وباب من أبواب النار لأنك ما كنت تأمن أن تعقها.

قال كشاجم:

أبعدَ مُصابِ الأمِّ آلفُ مضجعاً ... وآوي إلى خفْضٍ من العيْشِ أو ظلِّ

سترضِعُ عيني قبرَها من دموعِها ... بما كلفْته من رِضاعي ومن حمْلي[1]

رثيتُ لنصلٍ يأخذُ الموتُ جفنَه ... وأعجبُ من فرعٍ ينوحُ على أصْلِ

وبكت صبية أباها، فقالت وأتاه تركتنا كالذين ليس لنا رعاة، والأبناء تركتنا كالزرع ليس له مسقاة.

● الفجيعةُ بولدٍ صغير

قال أحمد بن أبي طاهر:

مدرُ لبيل تدرَ السيقـ [illegible] ـن له قبل تمامه

كان نوراً من ريحان [illegible] فطوى قبلَ ابتسامه[2]

وقال أعرابي:

يا غائباً ما يؤوبُ من سَفَرِه ... عاجلَه موتُه على صِغَرِه

شربْتَ كأساً أبوك شاربُها ... لا بدَّ منها ولو على كِبَرِه

وقال المتنبي:

فإن تكُ في قبرٍ فإنك في الحشا ... وإن تكُ طفلاً فالأسى ليسَ بالطِّفْلِ[3]

ومثلُكَ لا يبكى على قدرِ سنِّه ... ولكنْ على قدرِ المخيلةِ والأصلِ

بنفسي وليدٌ عادَ من بطنِ أمِّه ... إلى بطنِ أمٍّ لا تطرقُ بالحَمْلِ

وقد مدَّتِ الخيلُ العتاقُ عيونَها ... إلى وقتِ تبديلِ الرِّكابِ من النَّعْلِ[4]

---

(١) كلفته تحمله وشقيت به

(٢) النور: الزهر ـ قبل ابتسامه: قبل تفتح أكمامه.

(٣) أي إن تكن قد دُفنت في القبر فإنك مصوَّر في القلب، وإن تكن طفلاً صغيراً فالحزن عليك ليس بصغير.

(٤) العتاق: الكرام ـ الركاب: ما توضع فيه الرجل من السرج

وريعَ لـه جيشُ العدوّ وما مشى　　وجاشَتْ له الحربُ الضَّروس وما تغلي[1]

وكتب: كاتب عاجله موته على صِغره وعاقصه رداه قبل سفره، وقال التوخي:

كغصنٍ ثنتْه الريحُ عند اعتداله　　رياحُ غـوادٍ بالـرّدى ورواتـحِ

● التحسُّر على الوَلد

قال أبو الشيب:

بأبي وأمي من عبـاتُ حـوطِه　　بيدي وودّعني بماء شبابِهِ
كيفَ السلوّ وكيفَ أنسى ذكرَهُ　　وإذا دُعيتُ فإنّما أُدعى بِه

وقال:

لعمرُكَ ما أبقى لنا الدهرُ باقيا　　سقرُ به عيناً غداةَ نبوثُ
كأنّي وترتُ الدهرَ سابنِ أفادَهُ　　على حِينِ كانت كبرةٌ فمشيبُ[2]

وقال العتبي:

دفنتُ بكفّي بعضَ نفسي فأصبحتْ　　لها دامنٌ من نفسِها ودفينُ

● المتوجّعُ لموتِ البنين وبقاءِ البنات

قال أبو الغمر، وقد مات له خمس بنين وخمس له خمس بنات

مضى خمسةٌ وجهي بهم كانَ مشرقاً　　بخمسٍ بهنَّ الوجهُ أسودُ سافعُ[3]

وقال العتبي:

ألا يبدأ الدهرُ عنّا المنونا　　يُبقي البناتِ ويُفني البنينا
وكنتُ أبا خمسةٍ كالبدورِ　　وقد فقأوا أعينَ الحاسدينا
فمروا على حادثاتِ الزمانِ　　كمرِّ الدراهمِ بالناقدينا

● مرثية عروس

امرأة مات عنها زوجها ليلة العرس، فقالت:

أبكيكَ لا للنعيمِ والأنسِ　　بل للمعالي والرمحِ والترسِ
أبكي على فارسٍ فُجعتُ به　　أرملني قبلَ ليلةِ العُرسِ

وقال:

يا قربَ مأتمِها من العرسِ

وقال صالح بن عبد القدوس:

وكذاكَ الدهرُ مأتمُه　　أقربُ الأشياءِ من عُرسِه

---

(١) ريع: أخيف ـ جاشت: غلت ـ الضروس: المضرس.
(٢) وترته: أثكله وانتزعت منه.　　(٣) السافع: الأسود المشبع حمرة.

وقال المتنبي:

أتُنْكِرُ يا ابنَ إسحاقٍ إخائي ...

أتـنـهـنّ الـمـصـيـبـةُ غـافـلاتٍ ... فـدمـعُ الـحـزنِ فـي دمـعِ الـدلالِ[1]

● مَنْ قتل محبوبته

قال بعضهم وقد اتهم امرأته فقتلها:

يـا طـلـعـة طـلـعَ الـحِـمـام عـلـيْـهـا ... وجـنَـى لـهـا ثـمـرَ الـرّدى بـيـدَيْـهـا
رَوّيْـتُ مـن دمِـهـا الـثّـرى ولـطـالَـمـا ... روّى الـهـوى شـفَـتـي مـن شـفـتَـيْـهـا
وذبابُ سـيـفـي فـي مـجـالِ خـنـاقِـهـا ... ومـدامـعي تـجْـري عـلـى خـدّيْـهـا[2]

وقال ديك الجن وكان اتهم امرأته فقتلها ثم تبين له بطلانه.

تـبْـكـي وتـقْـتُـلُ مـن تـحـبُّ ... فـقـدُكَ مـن عـجَـبٍ عـجـيـبُ

وقال:

وآنـسـةٍ عـذبِ الـثـنـايـا وجـدْتُـهـا ... على جفْلة فيها الذي اللبُّ مألفُ
فأصلتُّ حرَّ السيفِ في حُرِّ وجهها ... وقلبي عليها من جوَى الوجدِ يرجفُ[3]
فـخرّتْ كـمـا خرّت مـهـاةٌ أصـابَـهـا ... أخو قنَصٍ ومُسْتَعْجِلٍ متعسّفُ
سيقْتُلـي حزناً علـيْـهـا تأسّفي ... وهيهات ما يُجْدي عليَّ التأسّفُ

● مرثيةُ عشيقة

قال العباس

ريـحـانـتـي واخـتُـلـسـتْ مـن يـدي ... أبـكـي عـلـيـهـا آخـر الـمـسـتـنـدِ[4]
كـانـت يـداً كـانـتْ بـهـا قـوّتـي ... فـاخـتـلـسَ الـدهـر يـدي مـن يَـدي

● مَرثيةُ زوجة

قال الفرزدق في مرثية امرأة حامل ماتت له

وجـفـنُ سـلاحٍ قـد رزئـتُ فـلـم أنِـح ... عـلـيْـه ولـم أبـعـثْ عـلـيـهِ الـبـواكِـيـا
وفـي جـفـنـهِ مـن دارمٍ ذو حـفـيـظـةٍ ... لـو أن الـمـنـايـا أخـطـأتْـه لـيـالِـيـا

وقال الموسوي:

إن لـم تـكـنْ نـصْـلاً فـغـمـدُ نُـصـولِ ... غـالـتْـكَ أحـداثُ الـزمـانِ بـغـولِ
أو لا تـكُـن بـأبـي شـبـولٍ ضـيـغَـمٍ ... تـدمـى أظـافـرُه فـأمّ شُـبـولِ[5]

---

(١) الدلال: التدلّع، أو الوقار. (٢) ذُباب السيف: طرفه الذي يضرب به.
(٣) حُرُّ الوجه: ما ظهر من الوجنة ـ الجوى: شدة الوجد ـ يرجف: يضطرب بشدة
(٤) آخر المستند: آخر ما يستند إليه.
(٥) الضيغم: الأسد ـ الشبول: جمع شبل وهو ولد الأسد، أم شبول: اللبؤة

● **مرثية ضال**

قال أعرابي يرثي أخاً له ضلّ:

فلو أنه إذا جاءه الدهرُ عاديا	أتيحَ له موتٌ وعيبَةُ قبرُ
إذاً لصبرتُ النفسَ ثم احتسبتُه	وفي الصّبرِ لي حسنُ المثوبةِ والأجرُ
ولكنْ طوّتْ عنّي المقاديرُ عِلْمَه	فما لي به لمّا تناءى شخصُه خبرُ
أموتٌ فيُسلى أم حياةٌ فيُرتجى	أبرٌّ أتى من دون مثواه أم بحرُ

وقال آخر:

رمى بصدور العيسِ محترقَ الصَّبا	فلم يدرِ خلقٌ بعدَها أين يمّما

وسنان بن حارثة استهوته الجن فزعمت العرب أنها استملحته الجن طلباً لكرم نجله وقارظ عنزة ممّن فقد. وقيل: إنه خرج مع خزيمة بن مالك وكان خزيمة يهوى ابنته، فانتهيا إلى بئر فيها عسل، فأرسله خزيمة فيها فلما قال: أخرجني قال: لا أفعل أو تزوّجني ابنتك. فقال: أخرجني لأزوجك فأما على هذه الحالة فلا، فقال: لا أفعل وتركه. وبه ضَرَبَ المثل الشاعرُ بقوله:

إذا ما القارظُ العنزيّ آبا[1]

وكان فيهم قارظ آخر فقده وفيه قيل:

وحتّى يؤوبَ القارظان كلاهما ... وينشر في القتلى كليبٌ لوائلِ

● **مرثيةُ مصلوب**

قال الرقاشي: كنت من صنائع البرامكة فلما صلب جعفر أردت أن أبكي عليه إذا انتهيت إليه، فلم يمكنّي من حوله فمررت يوماً والقيا خالية فبكيت، وقلت:

أما واللهِ لولا خوفُ واشٍ	وعينٌ للخليفة لا تنامُ
لطُفْنا حولَ جذعك واستلمْنا	كما للناس للركن استلامُ[2]

فلما دخلت على الرشيد قال: إيه، أما والله لولا خوفُ واشٍ، فانتفضت وقلت: ما أحسب إلا الجن تأتيك بالأخبار. ولأبي الحسن بن الأنباري في أبي طاهر بن بقية أبيات متناهية في هذا المعنى

علوٌّ في الحياةِ وفي المماتِ	فحقٌّ أنت إحدى المعجزاتِ
كأنّ الناسَ حولَك حينَ قاموا	وفودُ نداك أيامَ الصِّلاتِ

---

(١) **القارظ العنزي:** هو رهم بن عامر خرج لطلب القرظ فلم يرجع ولا يدري ما كان من خبره فصار مثلاً في امتداد الغيبة، أو مثلاً للغائب الذي لا يرجى إيابه، والقرظ هو ورق السّلم يدبغ به.

(٢) **الركن:** المقصود بالركن البيت الحرام.

كأنك قائمٌ فيهم خطيباً ... وكلهم قيامٌ للصلاةِ

مددتَ يديك نحوهم احتفاءً ... كمدِّكها إليهم بالهباتِ

ولما ضاقَ بطنُ الأرض عن أن ... يضمَّ عُلاكَ من بعدِ المماتِ

أصاروا الجوَّ قبرَك واستعاضوا ... من الأكفانِ ثوبَ السّافياتِ[1]

لعظمِك في النفوسِ تبيتُ ترعَى ... بحرّاسٍ وحفّاظٍ ثقاتِ

وتمام ذلك مذكور في كتاب الأحداق

● **مرثيةُ المغني متعاطي اللّهوِ والشّرب**

قال دعبل في الموصلي:

سيبكي السّمُ من جزعٍ عليه ... وتبكيه المثالثُ والمثاني[2]

وتشكله القيانُ وحافظوها ... وينعاه الزقاقُ إلى الدِّنانِ

وقال آخر:

فليبكها الخمرُ إذ ماتتْ منادِمُها ... وليبكه الرخّ والفرزانُ والشاهُ[3]

وكان لخلّاد بن معروه صديق، فلما مات خلاد جاء صديقه معزياً فأقام على قبره برهةً يكثر البكاء عليه، فعوتب على كثرة بكائه، فقال: كيف لا أتوجع على رجل ما أدخلته مزاجراً قط إلاّ قال لي مقدّم أبداً فإن قوي لي وإلاّ قوّاه وواصه. ومن مليح المراثي قال ابن الرومي في بستان المغنية.

بستانُ أسقيتِ من مدامعنا ... لا من سواري الغيوثِ والمطَر

بل حقّ صُهباكَ أن تكونَ من الـ ... ـصهباءِ صهباءِ حمص أو هَجَر

بل من رحيقِ الجنانِ يُختم بالمسـ ... ـك سلافاتُه بلا عكَرِ[4]

بل من نجيعِ القلوبِ يُمزج بالعطـ ... ـفِ وصفوِ الودادِ لا الكَدَرِ[5]

● **موتُ شرّير**

قيل: إذا مات الخيّر استراحَ من الذنب، وإذا مات الشرير استراحتْ منه الدنيا، وقال الحسن بن أيوب:

ماتَ يحيى فماتَ شرٌّ كثيرٌ ... ولقد كانَ شرُّه يستطيرُ

إن موتَ الأشرارِ فتحٌ عظيمٌ ... وغياثٌ ونعمةٌ وسرورُ

---

(١) أصاروا: حوّلوا وأمالوا ـ السافيات: من الرياح التي تحمل التراب وتذره.

(٢) البم: أغلظ أوتار العود ـ المثاني والمثالث: من أوتار العود.

(٣) الرخّ: الشراب الممزوج بالماء وغيره ـ الفرزان والشاه: المسكة والملك من أحجار الشطرنج.

(٤) سلافات: جمع سلافة: الخمرة المعتقة. (٥) النجيع: الدم المائل إلى السواد ـ الكدر: الغم

ما شَمِتْنا بموتِ يحيى ولكن سَرَّنا أنّ شرَّه مقبورُ

وقال الصاحب:

نعوا إليّ ابن دهشوذان عن كثب قلتُ إن صحّ هذا مات إبليسُ

ولما مات المكتفي وطولب الناس بالبقايا، قال أحمد بن واضح:

ماتَ الخليفةُ وانقضَتْ أوطارُه مِمّا حوته يداهُ من دنياه

قد كانَ حيّاً وهو عنّا ميّتٌ فالآن لمّا ماتَ عاشَ أذاه

وقال مالك بن طوق:

فبُعداً لا انقضاءَ له وسُحقاً فخيرُ مُصابِه الحَدَثُ العظيمُ

وقال الصاحب لما مات أبو الحسن الطبري الطبيب

قالوا أبو الحسن الطبيبُ قدِ انقضى فبكَتْ عليه مدامعُ الإلحادِ

كلا بل الإلحاد مات بموته فكأنما كانا على ميعادِ

وقال أبو سهل المجوسي:

أريحوا السموسَ فلا تكثروا حمدت فراقكم المقتبلِ

فقد دلّنا موتُ هذا الخسيسِ على أن تأثيره في السفلِ

- **الإستهانةُ بموتِ النساء**

قال النبي ﷺ: دفن البنات من المكرمات. وقيل: دفن الحرم من أعظم النعم

وقال الفرزدق:

وأهونُ مفقودٍ إذا الموتُ نالَه على المرءِ من أصحابه مَنْ تقنّعا[1]

- **أصحابُ الصنائعِ الخسيسةِ**

قال البقطري الكاتب يرثي غلاماً له يدعى مباركاً.

مُبارك من ذا يسوسُ الدوا بَ في القيظِ والليلةِ الشاتِيَةْ

ومن ذا يصبُّ لنا في الجبابِ مياهاً إذا أصبحَتْ خالِيَةْ

لقد كنتَ أخدمَ سوّاسنا وأسلمهم عندنا ناحيةْ

فوقاك ربّك نارَ السَّموم ولا زلتَ في عيشةٍ راضيَةْ

قال جحظة في مرثية طبّاخ كان يسمّى صندل:

لقد عظُمَتْ مصائبُ الرزايا وأودَتْ بصندلٍ كفُّ المنايا

---

(١) من تقنّع: يعني به موت المرأة التي تضع القناع أو الحجاب.

فمن للبوادرِ قبلَ الطبيخِ ومن للمبرِ قبلَ القلايا[1]

● نبشُ القبور

قال عمرو بن هانىء الطائي: بعثنا أبو عاصم المروزيّ على نبش قبور بني أمية، فانتهيت إلى قبر هشام فاستخرجته صحيحاً فما فقدت منه شيئاً إلا أطراف أنفه. إلا أنه كان كريشة فأحرقناه، ثم استخرجنا سليمان من أرض دابق فلم نجد إلا صلبه وجمجمته، وكذلك كان عبد الملك، ووجدنا معوية كخط أسود كأنه رماد، ولم يوجد في قبر يزيد بن معاوية إلا عظم واحد، وما وجد من عظامهم أحرقناه

● ومن أنواع هذا الباب

قال الجاحظ: ما سُمع في صفة النوائح لمستأجَرات مثلُ قول الراجز:

كأنها نائحةٌ تفجَّعُ تبكي لميْتٍ وسِواها المُفجَعُ

ونحوه:

بكى الشجوُ ما دونَ اللهى من حُلوقه ولم يبكِ شجو ما وراء الحناجِرِ

وقال زياد الحارثي: رمسنا رجلاً من بني بكر فبكى رجل، وقال:

فبينما المرءُ في الأحياءِ مُغتبِطٌ إذ صارَ في الرمسِ تعفُوه الأعاصيرُ

يبكي عليه غريبٌ ليسَ يعرفُهُ وذو قرابته في الحيِّ مسرورُ

فقال له بعضهم: أتعرف قائل هذا الشعر؟ فقلتُ: لا، فقال: هذا الميت والله قائلُه وذاك وارثه مسرور بماله، فأنت الغريب الذكي عليه نهاية الصبر أن لا تحدّث بمصيبتك أحداً ولا تذل نفسك عنده. الصبر على المصيبة يفلّ حدّ الشامت بها

وقال محمد بن هريمة: أقبلت من مصر فلما انتهينا إلى باعيانا قعد صاحبي ليبول، فقال له رجل شيخ: هذا قبر عجيف، كان المعتصم قتله ههنا وألقى عليه هذا الحائط، فقال الرجل: سبحان الله رأيتني بهذا المكان وقد دعا لي عجيف بالسوط فبلت من خوفه، وها أنا أبول على قبره. الناس بين فرحٍ بمولود وترحٍ بمفقود.

(1) البوادر: جمع بادرة وهي اللحمة بين المنكب والعنق ـ المبزر: الذي يلقي الأبزار في القدر، وهذا ملائم لرثاء الطبّاخ.

الحدّ الثاني والعشرون

في السماء والأزمنةِ والأمكنةِ والنباتِ والأشجارِ والنيرانِ

•

(١)
فما جاء في وَصْفِ الملوين[1] والسماء والنجوم

•

قال الإسكندر لبعض الحكماء: أيما أول الليل أو النهار؟ فقال: هما في دائرة واحدة والدائرة لا يعرف لها أول من آخر ولا أعلى من أسفل، وجعلت العرب الليل قبل النهار في التاريخ، ولذلك أرخوا بالليل دون النهار وعنوا التأنيث على التذكير في هذا الموضع خصوصاً

ولذلك قال ابن مقبل في هذا المعنى:

فطافت ثلاثاً بين يوم وليلة

ولم يقل ثلاثة. وذكر أنه وجد مكتوب على حجر قبل الإسلام بألف عام في بعض غيران نجد:

خدنان لم يَريا معاً في منزل ... وكلاهما يجري به المقدارُ[2]
لونان شتى يكسوان خلوقه ... ما عاورته الريحُ والأقطارُ

قال شاعر على سبيل اللغز:

ما سبعة كلهم إخوان ... ليس يموتون وهم شُبّان
لم يرهم في موضع إنسان

يعني أيام الأسبوع.

• ومما يدخُل في ذِكر الأيام

دخل الكُميت على جعفر بن محمد عليهما السلام فدعاه إلى الغداء، فقال إني صائم فقال: وأي يوم للصوم أحق من يوم قُتل فيه الحسين وقُبض فيه النبي ﷺ

(١) الملوان والملوين: الليل والنهار
(٢) خدنان: مثنى خدن وهو الصاحب والصديق

وكان المتوكل يتبرّك بيوم الأربعاء لأنه ولي فيه الخلافة وكان يكثر فيه ما يحبه، وقال:

وعندي نعمى الأربعاء جليلةٌ ... سأشكرُها حتى أغيبَ في لحدي
يقالُ ثقيلٌ وهو عندي مباركٌ ... بنفسي مميتٌ عيشه زادهُ عندي

- **السماء**

قيل لأكمه: ما تشتهي؟ فقال: أن أرى وجه السماء. فقيل: وكيف اخترت ذلك؟ فقال: لقول الله تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾[2]. فهل شيء أحسن مما يخبر الله عزّ وجلّ أنه زينه. ونظر أعرابي إلى السماء فقال: سبحان الذي أدّى حواشيك إلى غير علاقة ووكد أعاليك بلا تسنّم وأقل أسافلك بلا عمد.

وسئل حكيم عن مساحة طول السماء فقال: مسيرة يوم للشمس.

- **ماهيةُ الشمس**

اختلفوا في ماهية الشمس فقال بعض الفلاسفة: هي فلك أجوف مملوء ناراً له فم يجيش بهذا الوهج. وقيل: هي اجتماع أجزاء نارية يرفعها البخار الرطب. ثم اختلفوا في شكلها فقالوا: صفيحة عريضة، وقيل: كرة مدحرجة واختلفوا في مقدارها فقيل: مثل الأرض سواء. وقيل: هي أعظم منها وقيل: هي أصغر منها.

- **نعتُ الشمسِ**

قال بعضهم في وصفها:

وسائرةٌ لا ينقضي الدهرَ سيرُها ... وليستْ على حيٍّ من الناسِ تنزِلُ
لها صاحبٌ لم تلقِهِ الدهرَ مرةً ... على أثرِها يمشي يسيرُ ويحملُ

وقال بعضهم

الشمسُ معرضةٌ تموزُ كأنها ... ترسٌ يقلّبه بحي رامحُ

وقال التنوخي:

والأرضُ من صبغِ النبات كأنما ... أعلامُها مثلُ القميصِ المعلَّمِ
أو مثلُ جامٍ من عقيقٍ أو كطا ... سٍ من زُجاجٍ بالمُدامةِ مفعَمِ[3]

---

(1) و (2) القرآن الكريم: الصافات/ ٦، والملك/ ٥، والسجدة/ ١٢

(3) الجام: الإناء من فضة كالكأس يتخذ للطعام والشراب

● الشمسُ قبلَ الطلوعِ

قال أبو نواس:

قد اغْتدي والشَّمسُ في حجابها ... مثلَ الكِعابِ الرودِ في نِقابها[1]

● الشمسُ المستترةُ بالغيم

وقال جندل الطوي:

جاءَ الشتاءُ واجتالَ غيمٌ أعبرُ ... وتطلَّعتْ شمسٌ عليها مغفرُ[2]

وقال ابن الرومي:

شمسٌ تسايرُنا وقد بُعثتْ ... ضوءاً يلاحظُنا بلا لَهَبِ

وقال ابن طباطبا:

متى أبصرتَ شمساً تحتَ غيمٍ ... ترى المرآةَ في كفِّ الحسودِ

يقابِلُها فيلمسُها عشاءً ... بأنفاسٍ تزايدُ في الصعودِ

وقال المهلبي:

والشمسُ حيْرى خلفَ غيمٍ عارضٍ ... وكأننا في ضوءِ ليلٍ مقْمِرِ

● الشمسُ اللائحةُ من خلل الغمامِ

قال ابن المعتز

تظلُّ الشمسُ ترمُقُنا بلحْظٍ ... مريضٍ مُدنَفٍ من خَلْفِ سِتْرِ

تحاولُ فتْقَ غيمٍ وهو يأبى ... كعِنّينٍ يحاولُ فتْقَ بكرِ[3]

وقال ذو الرمة في وصف ذلك:

أصابَ خصاصةً فبدا كليلاً ... كلا وانغلَّ سائرُه انغلالا

أي ضعيفاً ليس بشيء.

وقال آخر

وشمسُ اللهِ يسرجُهُ الغلافِ

● الشمسُ الجانحةُ للغروبِ

قال أبو النجم:

وصارتِ الشمسُ كعينِ الأحولِ

---

(١) الكعاب: الفتاة التي نهد ثديها وأشرف ـ الرود: التي تمشي على مهل ـ النقاب: القناع الذي تجعله المرأة على أنفها فتستر وجهها

(٢) المِغْفَر: زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة

(٣) العنّين: الرجل الذي لا يأتي النساء ولا يريدهن ـ البكر: الفتاة العذراء

وقال آخر:

والشمس كالمرآة في كفّ الأشل[1]

وقال ابن الرومي:

كأنّ حنوّ الشمس ثم غروبها — وقد جعلت في مجنح الليل تمرضُ

تخاوصُ عينٍ ملءَ أجفانِها الكرى — يرنقُ فيها النومُ ثم تُغمّضُ[2]

وقال حميد:

والشمسُ قد نفضتْ ورساً على الأفقِ[3]

وقال آخر:

وودّعتِ الدنيا لتقضي نحبها

● الهلالُ لأوّل الشهر

قال ابن المعتز في وصفه:

انظر إليه كزورقٍ من فضةٍ — قد أثقلته حمولةٌ من عنبرِ

وقال الناجم:

البدرُ قد قابلنا طالعاً — كأنّه حمرةُ بطيخ

وقال كشاجم فيه:

كشعيرةٍ من فضةٍ قط ركّبت في خنجر

وقال الرفّاء:

ولاحَ لنا الهلالُ كشطرِ طوقٍ — على لبّاتِ زرقاءِ اللباسِ[4]

وقال آخر:

سنانُ لواءِ الطعنِ في رأسِ عاملِ

وقال ابن طباطبا

كالنون إذا خُطّتْ بماءِ الذهب

● البدرُ وقتَ طُلوعه

قيل لأعرابي: الشمس أحسن أم القمر؟ فقال: القمر أحسن والشمس أجهر. قيل: وكيف صار القمر أحسن؟ قال: لأن العيون عليه أجسر. وقال بعضهم: سافروا في هذه الليالي فإن أنس القمر يذهب وحشة السفر. وقال أعرابي: ما فقدت القمر إلا فقدت أخاً أنيساً. وقال الموسوي:

يا مَنْ يغرّته الهلالُ أما ترى — بدرَ الهلالَ وقد بدا في المَشرقِ

---

(1) الأشل: من بيده أو بأحد أعضائه «شلل».

(2) التخاوص: غض البصر.

(3) الورس: نبات كالسمسم أصفر.

(4) لبات: قلادات.

كظريفة نظرت إلى عشاقها ... فتنقبت خجلاً بكم أزرق[1]

وخرج أعرابي في ليلة مظلمة فضلّ عن الطريق ثم طلع القمر فاهتدى، فرفع رأسه إلى القمر وقال: ماذا أقول لك إن قلت حسّنك الله فقد فعل، وإن قلت رفعك الله فقد فعل.

وقال آخر يخاطب القمر: والله ما أبقيت لليل إلا اسمه. وزعم بعض العلماء أنّ السواد الذي في القمر هو صورة ما قابله من سواد الأرض لأن القمر كالمرآة يقبل الصورة المقابلة لانصقاله.

● الهلالُ الماحِقُ

قال ابن المعتز في آخر شهر رمضان:

يا قمراً قد صارَ مثلَ الهلالِ ... من بعدِ ما صيَّرني كالخِلالِ
فالحمدُ للهِ الذي لم أمُت ... حتى أراكَ بهذا المثالِ

وله في وصفه:

مثل القلامةِ قد قُدّت من الظُفُرِ[2]

● الهلالُ في النهارِ

قال ابن المعتز:

إذا الهلالُ فارقتْه ليلتُهْ ... يبدو لهم ببصرهِ وسمتُهْ
كأنّه أسمرٌ شابَتْ لحيتُهْ

● القمر مع الشمس

قال بعضهم:

قد أصبحَ الجوّ مثل منتقدٍ ... في كفّه درهمٌ ودينارُ

وقال ابن المعتز في وصفهما:

فكأنّه وكأنّها ... قدحان من خمرٍ وماء

● البدرُ المُبتدىء من وراء الغيم

قال بعضهم:

البدرُ يأخذهُ غيمٌ ويتركُهُ ... كأنّه سافرٌ عن خدّ ملطوم

---

(١) تنقبت: تقنعت.

(٢) القلامة: ما سقط من طرف الظفر، وهي مثلٌ في الخسة والحقارة.

وقال الرفاء:

والبدرُ يظهر في السّحاب كأنّه ... عذراء تنظُر من وراءِ سِجافِ[1]

● القمر اللامع في الماء

قال شاعر:

البدر يجنح للغروبِ كأنما ... قد سلَّ فوقَ الماءِ سيفاً مذهبا

قال ابن المعتز:

البدرُ يضحَكُ وسْط دجلةَ وجهُهُ ... والماءُ يرقُصُ حولَنا ويصفِّقُ

فكأنّه فيها طِرازٌ مذهبٌ ... وكأنّها فيهِ رداءٌ أزرقُ

● القمرُ المجتمعُ مع بَعْضِ النجومِ

قال ابن المعتز:

وهلالُ شوّالٍ يلوحُ ضياؤه ... وبناتُ نعشٍ وقفنَ بإزائه[2]

كبناته من مخلصٍ لما بدا ... وجهُ الوزيرِ دعا بطول بقائه

وقال ابن طباطبا:

كأنّ الثريا والهلالَ جليّهما ... لي الشمسُ إذا ودّعت كرهاً نهارها

كأسماء إذا باتت عشاء وغادرت ... لديّنا دلالاً قرطها وسوارها

وقال عبد الله بن الخازن:

فأصبحَ بدراً والثريا تميمةٌ ... على جيدِه خوفَ العيونِ الحواسِدِ

● الكسوف والخسوف

قال الرقاشي: حُكي أن الزنج كانت تعبد القمر والهند الشمس فألقى الله عليهما الكسوف والخسوف.

وقيل لما مات إبراهيم بن النبي ﷺ كسفت الشمس فقال الناس: إن ذلك لموته، فقال النبي ﷺ: إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما كذا فافزعوا إلى الدعاء.

بعضهم شبه القمر الذي بدا من الكسوف فقال: كأنه درهم بدر من سكة.

---

(١) السجاف: ما يُركّب على حواشي الثوب.

(٢) بنات نعش: سبعة كواكب في جهة القطب الشمالي وتدعى الكبرى وقريباً منها بنات نعش الصغرى.

● النجوم

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[1] وقال تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾[2] وقال تعالى ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ وقال تعالى ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾[3] وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾[4] وقال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾[5].

● معرفة النجوم

قيل لأعرابي: أتعرف النجوم؟ قال: وهل يجهل أحد سقف بيته. وقيل لآخر فقال: لا أعرف إلا بنات نعش ولو تفرقن. وقال أمير المؤمنين كرم الله وجهه: كفى بالمرء جهلاً إن ركباً وقوفاً على رأسه كل ليلة لا يسميهم، يعني النجوم.

● المجرة

قال شاعر:

كَخَطِّ لُجينٍ في الزبرجد ممتد

وقال آخر:

غصنٌ بأحداق النجوم وريق

وقال التنوخي:

وكأنما شرك المجرة بينها | ماءٌ تمرى في نبات أخضرِ

وقال ابن طباطبا:

كأنّ التي حولَ المجرة أوردت | لتكرعَ في ماءٍ هناك صَبيبِ

● خُرافاتُ للعربِ في النجوم

قالت العرب: إنّ الدبران[6] خطب الثريا وأراد القمر أن يزوجه فأبت عليه وولّت عنه، وقالت للقمر: ما أصنع بهذا السبروت[7] الذي لا مال له فجمع الدبران قلاصه[8] يتمول بها، فهو يتبعها حيث توجهت يسوق قلاصه لصداقها.

---

(1) القرآن الكريم: الأنعام/ ٩٧.
(2) القرآن الكريم: الرحمن/ ٥
(3) القرآن الكريم: الأنبياء/ ٣٣
(4) القرآن الكريم: الواقعة/ ٧٥.
(5) القرآن الكريم: الحجر/ ١٦.
(6) الدبران: منزل القمر وهو يشتمل على خمسة كواكب في برج الثور.
(7) السبروت: الشيء القليل. (والفقير الذي لا نبات فيه)
(8) قلاصه: إبله الطويلة القوائم.

وأن الجدي قتل نعشاً فبناته تدور به، وأن سهيلاً خطب الجوزاء فركضته برجلها فطرحته حيث هو، وضربها هو بالسيف فقطع وسطها. وإن الشعرى اليمانية كانت مع الشعرى الشامية ففارقتها، وعبرت المجرة فسميت الشعرى العبور، فلما رأتها الشاميّة بكت حتى عمصت عيناها فسميت الشعرى الغميصاء.

● وَصْفُ جُمَلٍ من النجوم غيرِ مُسمَّاةٍ

سميت الكواكب شواهد الليل قال النبي ﷺ: لا صلاة بعد العصر حتى يبدو الشاهد.

وقيل في قول الله تعالى. ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ﴾ إنها زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد.

وقيل في قوله تعالى ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾[1] إنها النجوم السبعة.

وشبه امرؤ القيس النجوم بقوله:

مصابيحُ رهبانٍ تشبّ لقفّال[2]

وفي وصفها:

دراهمٌ قد نُثِرَتْ ... على بساطٍ أزرقِ

وقال آخر:

دُرٌ على أرضٍ من الفيروزج

وقال ابن طباطبا:

كأنّ اخضرار الجوّ صرحٌ ممرّدٌ ... وفيه لآلىء لم تُشَنْ بثقوبِ[3]

وقال التنوخي:

كأنّ نجوم الليل في ظلماته ... ثغورُ بني حامٍ بدت للمشاتِ

وقال البحتري:

كأنّ النجومَ المستسرات في الدجا ... شكالُ دلاصٍ أو عيونُ جرادِ[4]

وقال يحيى بن علي بن المهلب:

ترى الفلكَ الدوار زهراً نجومُه ... كقبّةِ ياقوتٍ بتبرٍ مدثّرا[5]

وقال أبو بشر عبد الواحد بن علي بن أحمد بن سهل

كأنّ السماءَ روضةٌ قد تفتّقتْ ... أكِمَّتُها والبدرُ في الأرضِ درهمُ

---

(١) القرآن الكريم النازعات/ ٥.

(٢) قفّال: القافلة المنصرفة إلى وطنها

(٣) لم تشن: لم يداخلها عيب

(٤) شكال دلاص: الشكل: الحبل الذي تقيد به قوائم الدابة والدلاص البرّاق والليّن.

(٥) المُدثّر: المشتمل بالثوب والمتلفف به

● **تحيُّر النجوم في الجوّ**

قال العبّاس بن الأحنف:

والنجْمُ في كبِدِ السماء كأنّه ... أعمَى تحيَّر ما لديْه قائِدُ

وذكروا أن بشاراً كان يتعجب منه، ويقول لم يرض أن جعله أعمى حتى جعله بغير قائد.

● **الثريا**

قال ابن الطثرية:

إذا ما الثريّا في السماء كأنّها ... جمانٌ وهي من سِلكه فتبدّدا

وقال ابن المعتز:

كأنّ الثريا هودجٌ فوق ناقةٍ ... يحثّ بها حادٍ إلى الغربِ أبلجُ[1]

وله:

يتلو الثريّا كفاغرٍ شرِهٍ ... يفتحُ فاه لأكلِ عُنقودِ

ونحوه:

كعنقود ملاحيّةٍ حين نوّرا

وفي وصفها:

عنقودُ درٍّ في كرم فيروزج

وله

ولاحت لساريها الثريّا كأنّها ... على جانب الغربِ قرطٌ مُسلسلُ

وقال آخر:

هيَ كأسٌ في شروقٍ ... وهي قرطٌ في غروبِ

وقال الخبّاز البلدي:

ونجْمُ الثريّا في السماءِ كأنّه ... على نِطَعٍ كيمخت ببادقِ عاجِ[2]

وقال محمد بن وهيب:

أما ترون الثريا ... كأنّها عقد ريّا

وقال كشاجم:

كأنّ الثريا راحةٌ تشبر الدجى ... لتنظر طال الليل أم قد تعرضا[3]

---

(١) **الثريا**: من الكواكب ـ **الأبلج**: الأبيض الحسن الواسع الوجه

(٢) **النطع**: البساط الجلدي تقطع فوقه الرؤوس ـ **البادق**: جمع بيدق وهي من حجارة الشطرنج والكيمخت معربة عن الفارسية

(٣) **تشبر**: تقيس بالشبر ـ **الراحة**: الكف

فاعجبْ بليلٍ بين شرق ومغرب	يقاسُ بشبرٍ كيف يُرجى له انقضا

● **الجوزاء**

قد شبهت بمأرة تسبح وقينة ترقص وفسطيط[1] تركب، قال الراجز:

لابس درع قد تمطى من تعب

وقال آخر:

كراعٍ ساق بين يديه ثوراً	طليداً قد أشال عصا طرود[2]

وقال ابن الزيات:

كأنّ كواكبَ الجوزاء لمّا	سمَت وتعرّضتْ لمعكِبَيْنِ[3]
فتى حربٍ تقلّد قوسَ رامٍ	وقَلّدَ خنجره بقلادتَيْنِ

● **الشعرى**

قال ذو الرمّة:

إذا أمست الشعرى العبورُ كأنّها	مهاةٌ علَت من رمْل يثربَ رابيا

وقال آخر:

ولاحت الشعرى وجوزاؤها	كمثل زُجّ جرّه رامح[4]

وقال آخر:

كأنما شعرتاه درتا صدف

وقال آخر:

كأنما شعراه طرفٌ باكية

● **سُهيل**

قيل في تشبيهه:

قريعُ هِجانٍ عارض الشول جائز[5]

وشُبّه مع النجوم براع وراء قطيع، وبرقيب، وبطرف أخزر، وبشبوب تأخر عن الصوار وقال آخر:

ولاحَ سهيلٌ من بعيدٍ كأنه	شهابٌ ينحيه عن الرّيح قابسُ[6]

---

(١) فساطيط: جمع فسطاط، وهو بيت من شعر. (٢) أشال: رفع.

(٣) كواكب الجوزاء: أي كواكب برج الجوزاء.

(٤) الزّج: الحديدة في أسفل الرمح، أو نصل الرمح.

(٥) القريع: فحل الإبل - الهجان: البيض الكرام من الجمال - الشول: الخفيف السريع في عمله.

(٦) القابس: طالب النار.

قال الأصمعي: وتقول العرب إذا طلع سهيل طاب الليل ورفع الكيل وللفصيل الويل، أي رفع كيل الحنطة وجاء كيل التمر، وخل لسان الفصيل أي منع من أمه. وقال الأعرابي إذا رأى سهيلاً لطم عين فصيله ويقول: مالك عندي قطرة.

● **المشتري**

قال ابن طباطبا:

كأن اكتتامَ المشتري في سَحابِهِ ... وديعةُ سرٍّ في ضميرِ مُذيعِ

وقيل لابن دلين المنجم ما الدليل على أن المشتري سعد؟ قال: حسنه.

● **العقرب**

قال ابن المعتز:

وصفت العقربُ للمغاربِ ... بذنبٍ كصَولجانِ اللاعبِ

● **الجدي**

قال ابن مسلمة:

الجدي كالفرسِ الحصانِ شددْتَه ... بالسّرجِ إلا أنّه لا يَصْهلُ

● **المريخ**

وقال وجاء بن الوليد.

وكأنّما المريخُ مقلةُ ناعسٍ ... خضراءُ نبّه من لذيذ نُعاسه

● **النسر**

قال ابن المعتز:

والنّسر قد بسَط الجناحَ محوّماً ... حتّى تراه كطالبٍ لم يصْطَدِ

وقال ابن هرمة:

وتربّع النّسران هذا بايطٌ ... يهوي لسقطتِه وهذا كاسرٌ

والحوت يسبَحُ في السّماء كسبحِه ... في الماءِ وهو بكلّ سبحٍ ماهرُ

● **الفرقدان**

وقال ابن المعتز:

ورنا إليّ الفرقدان كما رنَت ... زرقاء تنظرُ من نقابٍ أسودِ

وقال الموسوي في تشبيههما:

كأنّهما إلفان قال كلاهما ... لشخص أخيه قل فإني سامع

● **بنات نعش**

قال ابن هرمة:

وبـنـاتُ نـعـش يـشـتـدِدْنَ كـأنـهـا ... بـقـراتُ رمْـلٍ خـلـفـهُـنَّ جَـآذِرُ[1]

وقال التنوخي:

كـأنَّ بـنـي نـعْـشٍ نـسـاءُ حـوايـرٌ ... قـرائـتُ قـد شـيـعْـنَ نـعـشَ قـريـبِ

وقال ابن طباطبا في وصف ليلة مقمرة:

ولـيـلـةٍ مـثـلِ يـوم شـمْـسُـهـا قـمَـرٌ ... بـدَتْ بـدوَ الـضُّـحـى طـلاًّ قـمـراء

يـا حـسـنـهـا لـيـلـة عـاد الـنـهـارُ بـهـا ... أنـسـاً وطـيـبـاً وإشـراقـاً ولألاء

وقال ابن المعتز:

بـيـضـاء قـمـراء أتـاهـا صـبـحـهـا ... ونـبـاتـهـا مـن ظـلـمـة لـم تُـدنـس

وقال آخر:

كـأنـمـا فـضـة ذابـت عـلـى الـبـلـد

● **ظلمة الليل**

قال بعض الأعراب: خرجت في ليلة حندس[2] قد ألقت على الأرض أكارعها[3] فمحت صور الأبدان فما كنا نتعارف إلا بالآذان. **وقال آخر:** سريت ليلة حين انحدرت أيدي النجوم وشالت أرجلها، فما زلت أصدع[4] الليل حتى تصدع لي الفجر.

وسأل هشام بن عبد الملك خالد بن صفوان **فقال:** كيف سيرك؟ **فقال:** قتل أرضاً عالمها وقتلت أرض جاهلها بينما أنا أسير ذات ليلة إذ عصفت ريح شديدة اشتدت ظلماؤها وأطبق سناؤها وطبّق سحابها، وبطن دبائها، فبقيت محرنجماً كالأشقر إنْ تقدم نحر وإن تأخر عقر، لا أسمع لو طيء همساً ولا لنابح جرساً، تدلت عليّ غيومها وتوارت عني نجومها، فلا أهتدي بنجم طالع ولا بعلم لامع، أقطع محجة وأهبط لجة في ديمومة قفر بعيدة القعر، فالريح تخطفني والشول تخبطني، في ريح عاصف وبرق خاطف، قد أوحشني آكمها وقطعني سلامها. فبينا أنا كذلك وقد ضاقت عليّ معارجي وسدت مخارجي، إذا بدا نجمٌ لائح وبياض واضح وعرضت لي آكام محرملة[5]، فإذا أنا بمصابحكم هذه فقرّت العين وانكشف الرين وذهب الأين. **فقال هشام:** لله درك فما أحسن وصفك. **قال شاعر:**

هـو لـيـلٌ كـشـبـاب ... لـم يـطـر فـيـه مـشـيـبُ

---

(١) جآذر: جمع جؤذر، وهو ولد البقرة الوحشية.

(٢) الحندس: الليل شديد الظلمة.

(٣) أكارعها: قوائم الدابة.

(٤) أصدع الليل: أشق.

(٥) آكام محرملة: مزروعة ومصفرة بالنبات والأزهر.

وقال آخر:

وجمنُ الليل مكتحلٌ بقارِ

ويقال: ليل في ثوب غراب.

وقال أبو الشيص:

وليلٍ يغرق الركبا ... نُ في أمواجه الخضر[1]

وقال التنوخي:

كأن اسوداد الأفق بالليل ثاكل ... تسربل للإحداد ثوباً مسوّدا

كأنّ لنا منها بيوتاً حصينة ... مسوحاً أعاليها وساجاً كسورها[2]

وقال ابن المعتز:

يا رب ليل ضاع مني كوكبه ... مشتبه مشرقه ومغربه

قد اكتسى برد الشباب غيهبه ... وقبص اللحظ فما يسيبه

● **الفجر**

قال الطائي: سمعت أعرابياً يقول: خرجنا حين انتقص صبغ الليل. وقال آخر: حين بارق الصباح يعترض وصبغ الليل ينتقص حين أشعل ناره وأثار آثاره. **وقال آخر**: خرجنا حين انحدرت النجوم وشالت أرجلها، فما زلت أصدع الليل حتى انصدع الفجر. **وقيل**: تعرى رجاه عن فلقه ومثله افتر الصبح عن ثغره وحل معقود أزره. **وقال ابن المعتز**

وقد رفع الفجرُ الظلامَ كأنّه ... ظليمٌ على بيض ترفع جانبُه[3]

قال أبو نواس:

لما تبدّى الليلُ من حجابه ... كطلعةِ الأشمطِ من جلبابه[4]

وقال ذو الرمة

وقد لاحَ للسّاري الذي كمّل السّرى ... على أخريَاتِ الليلِ فَتْقٌ مشهّرُ[5]

كلون الحصان الأنبط البطْن قائماً ... تمايلَ عنه الجلّ واللونُ أشقرُ[6]

وقال ابن المعتز:

أما ترَى الصبْحَ تحت ليلَتِه ... كموقد بات ينفُخ الفحما

وله وأحسن

قد أغتدى والليلُ في إهابه ... كالحبشيّ فرّ من أصحابه

---

(١) **الخضر**: الاسم من أخضر الفرس إذا عدا عدواً شديداً.

(٢) **الساج**: الطيلسان الواسع المدوّر. (٣) **الظليم**: ذكر النعام.

(٤) **الأشمط**: الذي خالط بياض رأسه سوادٌ. (٥) **كمّل السرى**: أتعبه السير في الليل

(٦) **الأنبط**: ما تحت إبطه وبطنه بياض ـ والجل: ما يوضع على الدابة لتصان به

والصُّبْحُ قد كشَّرَ عن أنيابِه ... كأنَّما يضحك من ذهابِه

● الفجرُ الطالع مع بعض النجوم

قال ابن المعتز:

وكأنَّ الصُّبحَ لمّا ... لاحَ من تحت الثُّريّا
مَلِكٌ أقبلَ في التا ... جِ يُفدّى ويُحيّا

وله

والصبحُ يتلو المشتري فكأنّه ... عريانُ يمشي في الدُّجا بِسراجِ

● قوسُ قزح

قيل: سمي بذلك لتقزّحه أي تلونه يقال: قزحت القدر أي بزرتها وجعلت فيها توابل. وقيل: إن قزح إسم شيطان وزعمت العرب أن الطاهر أيام الربيع هو قوسه، ولذلك قال النبي ﷺ لا تقولوا قوس قزح وقولوا قوس الله، قال شاعر:

ولاحَ قوسُ اللّهِ من تلقائِها ... في أفقِ الشمسِ يروق من نظر[1]
قد طُلِيَتْ بحمرةٍ وخضرةٍ ... وصفرةٍ كأنَّها بُردٌ حَبِر[2]

وقال آخر:

كأنّه قوسُ رامٍ والبروقُ له ... رشقُ السهام وعنْ الشمس برجاسُ[3]

وقال ابن المعتز:

لقد نسجتْ أيدي الجنوب مطارفاً ... على الأفق دكناً والحواشي على الأرض
كأذيالِ خودٍ أقبلتْ في غلائلٍ ... مصبّغةٍ والبعض أقصر من بعض[4]

(٢)

وممّا جاء في الحر والبرد والرياح والسحاب والأمطار والمياه وما يتعلق بذلك

●

● وَصْفُ الهواء بالحر وقلّةُ تحرّك الريح

لقد حرّ الهواءُ فقيل هذا ... هوى لفظته في الجوّ القلوبُ

---

(١) قوس الله: يريد قوس قزح

(٢) البُرد: الثوب المخطط يلتحف به ـ الحبِر: الموشى والمطرّز

(٣) برجاس. (فارسي) من النجوم، وهو المشتري

(٤) الخود: الفتاة الشابة الناعمة ـ الغلائل: البطائن تلبس تحت الدروع أو تحت الثياب.

كـأن الأفـق جـاحـم كـمـبـرقـيـن فـمـا لـم يـحـتـرق مـنـه يـذوب

وسئل بعضهم: كيف كان الهواء البارحة؟ قال. مات ولم يكن له نفس وقال: سدت الرياح فانسدت طرق الأرواح.

قال مضرس:

ويـومٌ كـأن الـشـعـريَيْـن بـكـفّـه يـدا طـابـخٍ حـثَّ الـوقـود فـألـهَـبـا

وقال آخر

تـراهُ كـأنَّ الـشـمـسَ فـيـه مـقـيـمـةٌ على البيدِ لم تعرِفْ سوى البيدِ مذهبا

وقال:

ولـيـلٍ مـن الـشـعـرى يـذوبُ لـعـابُـه أفـاعـيـه مـن رمـضـائـه تـتـمـلـمـلُ[1]

وقال:

ولـيـلٍ كـتـنـورِ الإمـاءِ سـجـرنَـهُ والقينَ فيه الجِزْلَ حتى تضرّما[2]

وقال نهشل بن جري:

ويـوم كـأن الـمـصـطـلـيـن بـحـرّهِ وإن لمْ يكن جمرٌ قعودٌ على الجَمْرِ[3]

ويقال اصطلى فلان بوديقة[4] مثمله رقب حمر ومبه أو ثاجر[5]

● وفي وصف السموم

قال شاعر:

سـمـومٌ يـكـادُ الـجـلـدُ مـنـهـا إذا بـدا لـهـا الجِلْدُ من تحت الثياب يذوبُ

وقال الصاحب:

نـحـن والـلّـهِ مـن هـوائـكَ يـا جـر جـان فـي خـطّـة وخـطْـبٍ شـديـدِ

حرّهـا يـنـضَـجُ الـجُـلـودَ فـإن هـبّـ ـت شـمـالٌ تـكـدّرت بـركـودِ

كـحـبـيـبٍ مـهـاجـرٍ كـلّـمـا هـمّ بـوصْـلٍ أحـالـه بـصُـدود

● الهاجرة[6]

قال شاعر:

وهـاجـرةٍ يـشْـوي هـواءُ سـمـومـهـا طـبـخـتُ بـهـا عـيـرانـةً فـاشـتـويْـتُـهـا

---

(١) الرمضاء. شدة الحر

(٢) سجرته: أشعلته وأذكت ناره ـ الجزل: غليظ الحطب ـ تضرم استعرت ناره

(٣) المصطلي: المستدفىء بالنار

(٤) الوديقة شدّة الحر ـ الرقب: الجزء العلوي من العود

(٥) الثاجر: من الشجر وهو الورق الغليظ العريض.

(٦) الهاجرة شدّة الحرّ في وسط النهار.

وقال شمردل:

وهاجرةٍ صادقٍ حرُّها　　تكادُ الثيابُ بها تلْهَبُ
كأنّ الحرابي من حرّها　　تروحُ بالنّار أو تصلبُ[1]

وقال آخر:

والشمسُ حيرا لها بالجوّ تدويمُ

وقال آخر:

إذا الشمسُ في الأيام طال ركودُها

وقال آخر:

إذا الشمسُ مجّت ريقَها بالكلاكِلِ[2]

● صفةُ الحر

وهاجرةٍ بيضاءَ يعدي بياضُها　　سواداً كأنّ الوجه منه مُحمّمُ

وقال آخر:

وانتعل الظلّ فصارَ جورباً

وقال الأعشى

حتى إذا انتعَل المطيّ ظلالها

وله:

كالظلّ حين أحرزتْه السّاقُ

● تحرك الرياح

قيل: خرج أعرابيان في غداة باردة، فقال أحدهما: أرى الشمال تمص الصمغة، وقال الآخر: أراها تشعّبت على الجمر. وقال بعضهم: هاجت الريح كأنها نسيم معشوق بعد هجير كأنه نفس مهجور

● ريحٌ شديدة

قال المتلمّس:

ومستنسجٍ يستكشِفُ الريحُ ثوبَه　　ليسقطَ عنه وهو بالثوبِ مُعصَمُ

وقال الفرزدق:

وركبٍ كأن الريحَ تَطلُب عندهم　　لها ترَةً من جذْبها بالعصائب[3]

وقال المهلب:

وريحٍ يضلّ الروح عن مستقرّه　　وتستلب الركْبان فوق الركائبِ
فلو أنها ريحُ الفرزدق لم يكُن　　لها تِرةٌ من جذْبها بالعَصائب

---

(١) الحرابي: جمع حرباء وهي من الزواحف تتلوّن في الشمس بألوان مختلفة

(٢) الكلاكل: جمع كلكل وهو الصدر، وريق الشمس الذي مجّته هو العرق المتصبب بفعل الهاجرة

(٣) الترة: الثأر ـ العصائب: ما يُعصب به من منديل أو نحوه

نصبْتُ لها وجْهي وأنصبَتْ صاحبي ... إلى أن حللنا في محلّ الحبائبِ[1]

وقال ابن أحمر:

عشواء تلتهمُ الجبالَ وأجـ ... ـوازَ الفَلاةِ وبطنُها صفر[2]

وقال آخر:

ريحٌ لجوجٌ سهوةُ المجاري ... ابن أبي ربيعة في الشّمال والجنوبِ[3]

ضرائرُ أوطنّ العراص كأنّما ... أجلّن على ما غادر الحيّ منْجلا[4]

وقال حميد:

جرت به هوجُ الرياحِ ذيولَها ... جرّ النساءِ فواضلَ الأذيالِ[5]

وقال ذو الرُّمة:

ثلاث مرنّاتٍ إذا هجْنَ هيْجَةً ... قذفْنَ الحَصَى قذفَ الأكفِّ الرواجِمِ[6]

وقيل. الرياح أربع: ريح تقسم السحاب، وريح تثيره فتجعله كسفاً، وريح تؤلف بينه فتجعله ركاماً، والشمال تمزقها وهي باردة، ولذلك قال

وأنت على الأدنى شمالٌ مريّةٌ ... شآمية تزوي الوجوه بليلُ[7]

وأنتَ على الأقصى صَباً غير قرّة ... تذاءب منها مزرعٌ ومسيلُ[8]

● الريحُ المستطابة والمتمناة

أنشد المجنون:

أيا جَبلي نعمان بالله خلّيا ... نسيمَ الصَّبا تخلص إلى نسيمُها

أجد بردها أو تشف منّي حرارةً ... على كبدٍ لم يبق إلا رسومُها

فإن الصّبا ريحٌ إذا ما تنسمت ... على كبد حرّى تجلّت همومُها[9]

وقال يزيد بن الطثرية:

إذا ما الريحُ نحو الأثل هبّت ... وجدت الريحَ طيبةً جنوبا[10]

---

(١) محل الحبائب: لعلّه موضع ولكن لم نجده في المعاجم وربّما هو تحريف حباحب وهو بلد.

(٢) صفر: مرض في البطن يصفرّ منه الوجه، وهنا بمعنى الصفير

(٣) الريح اللجوج: الشديدة الهوجاء

(٤) العراص والعرّاص: السحاب ذو البرق والرعد

(٥) فواضل الأذيال: الأذيال الطويلة. (٦) ثلاث مرنّات: أي ثلاث من الرياح الدائمة الهبوب

(٧) تزوي الوجوه: تجعل الوجوه تميل وتنحني (٨) تذاءبت الريح: أتت من كل جانب

(٩) الصّبا: الريح الناعمة مهبها من الشرق ـ تجلّت همومها: انفرجت

(١٠) الأثل: شجر صلب الخشب جيّده يكثر قرب المياه في الأراضي الرملية

وقال آخر:

ألا يا صَبا نجدٍ متى هجتَ من نَجْدِ ... فقد زادَني مسْراك وجْداً على وجدِ

وقالت أم المثلم:

أتينا بريح المسْك خالطَ عنبراً ... وريح الخزامى باكَرَتها جنوبُها

وقال الموسوي:

وهبّت لأصحابي شمالٌ لطيفةٌ ... قريبةُ عهدٍ بالحبيب بليلُ
تراثنا إذا أنفاسنا مُزجَت به ... نرنَّحُ في أكوارِنا ونَميلُ

● **كيفية البرد الشديد**

قيل لأعرابي ما أشد البرد؟ **قال** إذ أصبحت الأرض ندية والسماء نقية والريح شآمية وقيل لآخر. **فقال** إذا دمعت العين وقطر المنخران ولجلج اللسان وقيل لآخر **فقال**: إذا نديت الدفعاء[1] **وصفت الخضراء وهبت الجربياء** **وقيل لآخر**: أي اليوم أبرد؟ **فقال**. الأحص الورد والأزب الهلوف فالأحص الورد يوم تصفو شماله ويحمر أفقه، والأزب الهلوف يوم تهبّ فيه نكباؤه فتسوق جهامه[2] وسأل الرشيد بعض أصحابه عن شدّة البرد **فقال** ريح جربياء[3] في ظل عماء في غب سماء

● **وصفُ البرد**

كان أعرابي يرتعد في يوم شاتٍ، فقيل له تحوّل إلى الشمس **فقال** الشمس تحتاج اليوم إلى قطيفة وقيل لرجل ما أثمن جُبتك **فقال** البرد أثقل منها

قال وهب الهمداني:

يومٌ من الزمهرير مقرورْ ... عليه ثوبُ الضَّبا مزرورْ
كأنما حشو جوّه آبن ... وأرضنا فرشُها قواريرْ[4]
وشمسُه حرّة مخدّرة ... ليس لها من ضبابها نورْ

قال الشمساطي في وصف شتاء:

ألقى كلاكله ببردٍ قارسٍ ... حتّى غدا من في جهنم يحسُدُ

أخذه من أعرابي، قال:

فإن كنت ربّي مُدخلي في جهنم ... ففي مثل هذا اليوم طابت جهنّمُ

---

(١) الدفعاء. الأرض لا نبات فيها
(٢) الجهام: السحاب لا ماء فيه.
(٣) الجربياء: ريح الشمال.
(٤) آبن ملبد بالغيوم السوداء ـ قوارير جمع قارورة، وهي إناء مستطيل يجعل فيه الشراب والطيب ونحوهما

وجد أعرابي البرد فقيل له: هذا لكون الشمس في العقرب، فقال: لعن الله العقرب فإنها مؤذية في الأرض كانت أم في السماء

قال شاعر:

قد منع الماء من المس ... وأمكن الجمر من الحس

وقال أبو محمد المطراني:

وشتاء يخنق الكلب فلا يعلو هريرُه
كلّما رام هريراً زمّ فاهُ زمهريرُه[1]

هو من قول الراعي.

لا يسمح الكلبُ فيها غيرَ واحدة ... حتى يلفّ على خرطومه الذنبا

قال الرشيد: ما أبلغ بيت في شدة البرد فأنشد هذا البيت بعضهم، فقال أبلغ منه:

وليلة قرّ يصطلي القوس ربُّها ... وأسهمه اللاتي بها يتنبّلُ

فقال: حسبك ما بعد هذا شيء، وقال ابن سمعون: البرد بالريّ رامصي، يقول بالرجعة، أي متى ذهب رجع. وقيل لأعرابي: أما تجد البرد؟ قال: لا لأن العري اتصل على بدني فاعتاده كاعتياد وجوهكم. وقيل لآخر: ما أصبرك على البرد. قال: كيف لا يصبر عليه من طعامه الريح وسراجه الشمس وسقفه السماء؟

● حمدُ البردِ في الشتاء

قال عروة بن الزبير: خير شتائكم ما اشتد برده، وخير صيفكم ما اشتد حره. وكانوا يستعيذون من الشتاء البارد.

وقال الأصمعي: ما وقع طاعون قط في بلد إلا في شتاء سخن أو تعقبه مضرّة البرد. وقال سعيد بن عبد العزيز: البرد عدو للدين. وفي الخبر أن الملائكة لتفرح بذهاب الشتاء لما يدخل في فقراء أمتي. وكان ﷺ يتعوّذ من كلب الشتاء.

● من شكا الفقر والقر

صودف أعرابي يتكفّف ويقول:

جاء الشتاء وعندنا قرّ ... وأصابنا في عيشنا ضُرُّ
ضرٌّ وفقرٌ نحن بينهما ... هذا لعمر أبيكم الشرُّ

وقيل لشيخ: كيف أنت؟ قال: خَلَق في خَلَق.

---

(١) هرير الكلب: صوته دون نباح.

قال أبو الحسن الطوسي:

هجم البردُ والشتاء فما أمـ ... ـلكُ إلا روايةَ العربيّة

ويقلّ الغناء عني فنون الـ ... ـعلم إن عصفت شمال عريّة

وقيل لأعرابي: ما أعددت للبرد؟ قال: شدة الرعدة وتقرفص القعدة وذرب المعدة.

وقيل: رماه الله بالحرّة تحت القرّة، أي العطش مع البرد.

● **جملةٌ من أوصافِ السَّحابِ من نشئه وقطارِه**

قال ملحد الجرمي:

أرقتُ وطال اللّيلُ للبارق الومضِ ... حثيث سرى مجتاب أرْض إلى أرضِ[1]

يساري من الإدلاج كدري مزنه ... نقضي بجلب الأرضِ ما لم تكن نقضي

تحنُّ بأغوار الملاةِ قطارهُ ... كما حنّ نيبٌ بعضهن إلى بعضِ[2]

كأن شماريخَ العلى من صَبيره ... شماريخ من لبنانَ بالطّول والعرضِ[3]

يُباري الرياحَ الحضرميّات مزنُه ... بمنهمر الأوداق ذي قزع رفضِ[4]

يغادرُ محض الماء وهو محضُه ... على إثرِهِ إن كان للماء من محضِ

يروي العروق الهامداتِ من البِلا ... منَ العرفج النجديّ ذو باد والحمضِ

وبات الحيّ الجون ينقضُ بالحيا ... نقض المداني قيد بالموعث النقضِ[5]

وقال الحسين بن دعبل:

أما ترى الغيثَ قد سالت مدامعهُ ... كأنه عاشقٌ يسطو به الذكرُ

جاءت موقرةُ الأطراف خاشعةً ... تكاد تُوخذُ بالأيدي فتقتصرُ

وافت رياحُ الصَّبا ينظمن عارضها ... حتى إذا نظمته طلَّ ينتثرُ

أضحت له الأرضُ سكرى والثرى طربٌ ... والأفق مبتسم والجدب مستترُ

● **السحاب المتدلية**

قال عبيد الأبرص:

دانٍ مسفٍ فويق الأرض هيدبُه ... يكادُ يدفعُه من قامَ بالراحِ[6]

---

(١) حثيث سرى: سيره بالليل متواصل ـ مجتاب: من اجتاب البلاد: قطعها واجتازها.

(٢) النيب: النوق الهرمة المسنة.

(٣) الشماريخ: رؤوس الجبال ـ الصبير: شدّة البرد.

(٤) الأوداق: أودقت السماء: أمطرت ـ ذو قزع: ذو قطع من سحاب متفرقة.

(٥) الجون: الأسود، والأسود الذي تخالطه حمرة ـ الموعث: الناقص الحسب.

(٦) المسف: المار على وجه الأرض ـ الهيدب: السحاب المتدلي الذي يقرب من الأرض.

وقال آخر:

ويسحب ذيلَيه على عفر التربِ

وقال آخر:

كأنه نعامٌ تعلق بالأرجلِ

● السحابةُ البطيئة

جاءت تهادى مشرفاً ذراها ... تحنُّ أولاها على أخراها

وقال الأخطل:

إذا زعزعته الريح جرّت ذيولها ... كما زحفت عوذ ثمال تحمل[1]

وقال الحطيئة:

تزجي الصَّبا مثقل السحابِ كمَا ... ترجي المطالي فصالَها سيْقا[2]

وقال آخر:

سحابٌ يزحف زحفَ الكبير

وكان معقر قد كفّ بصره فقال: يا بنية ما ترين؟ قالت: سحابة عقاقه كأنها حولاء، ناقة ذات هيدب دان وسير وانٍ، فقال: يا بنية وائلي[3] إلى قفلة[4]، فإنها لا تنبت إلا بمنجاة من السيل.

● السحاب المتحلبة المطر

قال الحسين بن مطير:

كثرت لكثرة ودقه أطباؤه ... فإذا تحلّبَ فاضت الأطباءُ[5]

وصروعه عدد النجوم وطلّه ... إحلافه عدد النجوم رواءُ[6]

ووصف أعرابي سحاباً فقال: لقحته الجنوب ومرته الصَّبا واستدرته الشمال وقالت أعرابية: نتجته الصبا ومرته الجنوب وانتجته الشمال انتجاجاً[7]

وقيل: أجود بيت في صفة السحاب قول الهذلي:

تلحقه ريحُ الجنوب وتقل الشما ... ل بتاجاً والصبا حالبٌ يمري

وقالت أعرابية: أحب السحابة الخرساء لأنها تخرس حتى تمتلىء ماء وتصب طبقاً[8] طبقاً يكون حياً.

---

(١) الثمال: الغياث، الذي يقوم بأمر قومه.

(٢) تزجي: تدفع ـ المطالي: من ماطل وهو من كرام فحول الإبل ـ الفصال: جمع فصيل وهو ولد الناقة.

(٣) وائلي: اطلبي النجاة، واتخذيه ملجأ.

(٤) القفلة: الشجرة اليابسة.

(٥) الودق: المطر ـ الأطباء: جمع طبي وهي حلمات الضرع من ذوات الخف والظلف والحافر والسباع

(٦) طلّه: نداه ـ الرواء: من الماء العذب.

(٧) انتجته ريح الشمال: استخرجته

(٨) طبقاً: أي مطر طبق وهو المطر العام.

● بكاء السحاب

قال عبيد الله بن طاهر:

وجادَ بالقَطْرِ حتّى خلتُ أنّ له | إلفاً نآه فما ينفكُّ يبكيه

قال الطحاوي من شطر:

فما ترقا بهنّ مدامع[1]

وقال ابن ميادة:

إذا ما هبَطنَ الأرضَ قد ماتَ عودُه | بكَيْنَ بهِ حتّى يعيشَ هشيمُ

● ضحكةُ البرق وبكاؤه بالودق

قال الحسين بن مطر:

متضاحِكٌ بلوامِعٍ مستعبرٌ | بمدامعٍ لم تمرِها الأقذاءُ
فله بلا حزنٍ ولا بمسرّةٍ | ضحِكٌ إذا أبصرتَه وبُكاءُ

● ضحكُ الأرضِ من بُكاءِ السّماءِ

قال الأبيض:

وللسماءِ بكاءٌ ليس عن حزنٍ | وللرياضِ ابتسامٌ ليس من عجبِ

وقال آخر:

والأرضُ تبسمُ عن بكاءِ سماءِ

وقال آخر وقد زاد:

فتضاحكَتْ زهراتُها بمسرّتِها | وبكَتْ سحائبُها بلا أحزانِ

● الراعدة البارقة معاً

قال شاعر:

كأنّما الرعدُ بها ثاكلةٌ | نادبةٌ تخلطُ نوحاً بشجى
فاقدةٌ واحدَها تذكّرت | ما قد مضى من عيشِها ومن مضى
والبرقُ في حافاتِها يفعَلُ ما | يفعلُه وجدُ الحزينِ في الحَشا

وقال الرياشي في قول يزيد بن المفرغ:

الريحُ تبكي شجوَها | والبرقُ يلمَعُ في غمامِه

أي: الريح تبكي والبرق يضحك. كقولهم وبين الشجيّ من الخليّ.

---

(١) ترقأ المدامع: تجف.

قال التنوخي:

بـبـرقٍ كـأشـجـانـي وقـطـرٍ كـأدمُـعـي ... ورعـدٍ كـعـولـي لـلـنـوى ونـحـيـبـي

وقال وهب الهمداني:

الـرعـدُ فـي اصـطـكـاكـهِ خـطـيـبٌ ... والـبـرقُ فـي خـلالـه لـهـيـبُ

وقال آخر:

يحـنّ كـثـكـلـى فـي نـشـيـج بـكـائـه ... ويـضـحـكُ فـيـه كـالـولـودِ تـبـسُّـمـا

وقال بعض البلغاء في سحاب زَجَرت الرعود أردافه وأضحكت البروق أعطافه وجليت الجنوب أحلافه.

● وصفُ البرق

برق كنفض العرق وخفق القلب وبطن شُجاع يضطرب

ولمع المرائي في أكف الكواعب

وكسلاسل تبرٍ.

قال شاعر:

عـابٌ تـسـتـمـه صـوارمُ تـوقـد ... وكـأنها أسـيـافٌ تُـسَـلُّ وتُـغْـمَـدُ

● سطورٌ كتبْن بماء الذهب

قال عدي بن الرقاع:

وحتى حسبت البرق سارَين شمّتا ... بـعـلـيـاء نـجـد مـايـنـي مـوقـداهُـمـا

وله:

نـارٌ تـعـاود فـيـه الـعـودَ جِـدّتُـه ... والـنـارُ تـسـفـعُ عـيـداناً فـتـحـتـرقُ

وقال آخر:

كـثـغـرِ زنـجـيّـة تـفـتَـرّ ضـاحـكـةً ... تـبـدو مـشـافـرُهـا طـوراً وتـنـطـبـقُ

وقال جرير:

يـقـولُ الـنـاظـرون إلـى سَـنـاه ... بـذي بـلـقـاء شـمـسٌ عـلـى نـهـار

وقال آخر:

كـأن بـلـقَ الـخـيـل فـيـهـا تـمـرحُ

وقال آخر:

أبـلـق جـالَ جـلّـه حـيـنَ وثَـب

وصف أعرابي سحاباً، فقال:

لـــمـــا تـــراءى نـــشـــوُه ... وتـــبـــدّى بـــدوُه

اضطرمت نارُه والتطمت بحاره

وقال آخر:

آض لنا ماءً وكان نارا[1]

● الرعد

قال الله تعالى ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾[2] وسمع عبد الملك صوت الرعد ففزع. فقال عمر بن عبد العزيز هذا حس رحمة الله فكيف ترى حس غضبه

وقال آخر:

بأجوازه أسدٌ لهن برابر[3]

وقال آخر:

قد سبّح الرعدُ به وكبّرا

وقال أبو العمر:

كأنّ الرعودَ بأرجائه هديرُ مقالبتٍ في بطن واد[4]

وقال التنوخي:

يحدو بها الرعدُ فإن كلّمت رجّز كأنها والمزن دانٍ مكفهرّ

خُوِّف بالبرقِ فوقى بمعجز أو قارىء أم بقوم فنجهر

متعجّبةً ممن أتى ومن حضر

وقيل في صوته كأنه عريف لشيطان وحنين لثكلان، وكأنه صوتُ الرحى قال الشريف أبو الحسين علي بن الحسين الحسني

فمن رواعده حنّت صواهلُه ومن بوارقه انسلّت قواضبُه[5]

● السحابةُ المُخْصِبةُ المُمْرِعَةُ

قال امرؤ القيس:

ديمةٌ هطلاء فيها وطف طبقَ الأرض تحرى وتدرّ[6]

قال الخالدي: طبق الأرض بديع لم يسبقه فيه متقدم ولا متأخر، ومن تعاطى أحده فضحته نفسه.

---

(1) آض: تحوّل، صار

(2) القرآن الكريم: الرعد/١٤.

(3) برابر: أصوات هائجة.

(4) المقالبت: جمع مقلة وهي المهلكة

(5) الصواهل: أصوات الذباب في العشب ـ القواضب: السيوف القطعة.

(6) الديمة: المطر الدائم الهطول ـ الوطف: استرخاء السحب الممطرة ودنوها من الأرض ـ تحرى: تقصد ـ تدر: تسكب الماء

قال أبو تمام:

سارِيَةٌ مسمحةُ القيادِ كم حملَت لمقتِر منْ زادِ[1]

ومن دراسنة جماد

وقال آخر:

مقبلة والخصب في إقبالِها

قيل لامرأة: كيف المطر عندكم؟ قالت: عثنا ما شئنا. وقال يونس لابن أبي الدفين: كيف كانت سماؤكم؟ قال: ما تركت لنا هبطاً إلا أتاقته ولا وادياً إلا فهقته ولا فارعاً إلا ملأته.

قال الحسين بن مطير

لو أن من لججِ السواحل ماءَه لم يبقَ في لُجَجِ السواحل ماءُ

وخرج صعصعة بن صوحان إلى معاوية فيمن خرج إليه من وفد العراق بعد قتل علي كرم الله وجهه، فلقيه أعرابي، فأراد أن يختبر صعصعة في المنطق فقال: كيف تركت السماء خلفك؟ قال: تركته مدّ البصر وفوق مرتفعاً بغير عمد فيها الواحد الصمد. قال: فكيف تركت الأرض؟ قال: عريضة أريضة حمله للثقل مبيتة للبقل، أهلها منها على شغل. قال: فكيف تركت المطر؟ قال: أسال الأدوية وعلا الأخبية وافعم الحفر وبل القطر. قال: بالله أنت أنسيّ أم جني؟ قال بل أنسي سوى من شيعة علي من أمة نبي مهدي

وقال أعرابي: باكرنا وسميٌ حلمه ولي فالأرض بسطٌ أُحكم نسجُه وبدا وشيه

قال سيابة بن عاصم: أصابتني سحابة بحوران فوقع قطر صغار وقطر كبار وكان الصغار لحمة للكبار.

● غيمٌ متسك

قال شاعر:

دخانٌ حريق لا يضيء له جمر

وقال آخر:

وكأنما كسيَت جناحَ غراب

وقال آخر:

كسيت بأجنحة الفواخت[2]

قال ابن المعتز:

لقد لبسَ الدّجنُ ثوبَ السما ء والأرض مطرعه الأدكنا[3]

---

(١) السارية: السحابة التي تمطر ليلاً ـ لامقتر: الذي يضيّق النفقة على عياله.

(٢) الفواخت: جمع فاختة نوع من الحمام البري المطوّق سميت هكذ لأن لونها يشبه الفخت وهو ظلّ القمر

(٣) الدجن: الغيم المطبق ـ الأدكن: الشديد السواد

وقال الرقاء:

غيوب تمسك أفق السما ... ورق يكتبها بالنقب[1]

- **سحابٌ متدل**

قال عبيد بن الأبرص:

دانٍ مسفٌ فُوَيقَ الأرض هيدبُهُ ... يكادُ يدفعُهُ من قامَ بالرّاح[2]

فمن بنجوته كمن بمحفله ... والمستكِنّ كمنْ يمشي بقرواحِ[3]

- **غيم متفرع على السماء**

قال الوأواء الدمشقي:

أما ترى الغيم ممتداً سرادقُه ... على السماء بتدريجٍ وتعريج

كأن ذاكَ وذا قطنٌ يفرّقه ... تواترُ الندفِ في زرقِ الدواويج[4]

من قول ابن الرومي وقد نظر إلى غيم منقطع عن السماء، فقال: كأنه قطن يندف على بطانة زرقاء.

- **يومٌ متلونٌ بالصحو والغيم**

قال ابن طباطبا:

صحوٌ وغيمٌ وضياءٌ وظلم ... مثل سرورٍ شابه عارضُ غم

وقال آخر:

ألم ترَ هذا اليومَ أفنى نهارَه ... سحابٌ وإصحاءٌ وشمسٌ ووابلُ

أشبّهه إياك يا من صفاتُه ... صدودٌ وإعراضٌ ومنعٌ ونائلُ

وقال آخر:

أما ترى اليومَ ما أحلى شمائلَه ... صحوٌ وغيمٌ وإبراقٌ وإرعادُ

كأنه أنت يا مَنْ لا نظيرَ له ... وعدٌ وخلفٌ وتقريبٌ وإبعادُ

وقال بعضهم: مطر الربيع كعصب العشاق، أي لا يدوم. قيل: خلق الربيع كخلق الصبيان والملوك وتلونهم بالصحو والغيم.

---

(١) الغيوب: كل ما غاب عنك وما يسمع من وراء الغيب.

(٢) يصف السحاب ويقول هو دان قريب من الأرض أو مسف، وهيدبه أي ما تدلى منه لقربه يكاد يمسك براحة اليد.

(٣) النجوة: المكان البعيد ـ بمحفله: بمعظمه ـ المستكن: بمستتر ـ القرواح: الأرض المستوية.

(٤) الدواويج: ضرب من الثياب واللفظة غير عربية (انظر لسان العرب، مادة دوج).

● الجَهَام[1]

قال شاعر في جهام أراق ماءه

كأن الغيوم خيولُ طرادٍ أعنتها في أكف الرياح

وقال السري الرفاء:

كحلاء حالية بكت حتى اشتفت مزهاء عاطل[2]

● مَطَرٌ مضرٌ

كلّ أمطر في القرآن فهو في العذاب. نحو ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾[3]

وكل موضع فيه مطر فهو للرحمة. قال أبو علي البصير:

جرى الماءُ فيه من أسابيله ومن أعاليه حتى ساحَ منطلَقا

كأنني وعيالي في جوانبه طيور ماء على سكر قد التيقا

وقال

من تكنْ هذه السماء عليه رحمةً أو يكُن بها مسروراً

أيها الغيث كنتَ بؤساً وفقراً لي وللناس حنطةً وشعيرا

وقال فيه النبي ﷺ: اللهم حواليا ولا علينا وكتب كاتب: فأتانا مطر مما سماه الله تعالى أذى، فخرب العمران وهدم البنيان فكم من قتيل تحت هدمه، وساهر تحت وكفه، وغريق في لجته، وصريع في هوته. وقال أعرابي: أصابنا مطر يؤذي المسافر ولا يرضي الحاضر

● الثلجُ

كأن دقيقَ الثلج عند وقوعه على الأرض قطرٌ أو دقيقٌ يُغَرْبَلُ

وقال رجل: السماء تنخل الدقيق، فسمعه عبادة فقال: قل لأمك تمسك الحمير

قال شاعر:

وكرسف يندفُ في الهواء منتثرٌ لم يُعد في استواء[4]

مثل نقي الفضة البيضاء

وقال كشاجم في وصفه

شابَت فسرت بذاك وابتهجت وكان شيبي بالشيب مستكرَها

ويشبه الثلج بالحبيب، وبلجين يسبك، وبدر يلمع ودراهم تنثر وبقرطاس ينشر

كأنّ ستائرَ الكافورِ مدّت بها والجوّ عريانٌ سليب

---

(١) الجهام: السحاب القاتم لا ماء فيه.

(٢) كحلاء: سحابة سوداء كعين كحلاء ـ المزهاء: البيض، والمزهاء مؤنث لأمره، وأرض مزهاء قليلة الشجر

(٣) القرآن الكريم: الشعراء/ ١٧٣. (٤) الكرسف: القطن.

● البَرد

قال الأخطل:

نثرت على الحصباء كالحصباء ... بل ألقت على الرضراضِ كالرضراضِ[1]

وقال علي بن جبلة:

كأنّ قوالبَه بالمرا ... ء تلقى على الجلمَد الجلمَدا

وقال آخر:

جاءت تهادى في برودٍ من حبَر ... تنثرُ دراً كان لو ذابَ مطَر

تطيرُ في الجوّ كنوّار الزهَر ... أو شررٌ لو كانَ للماء شرر

● الصّقيع

قال الفرزدق

وأصبح مبيضّ الصقيع كأنّه ... على سروات النبت قطنٌ مُندَفُ[2]

وجاء بصراد كأنّ صقيعَه ... خلالَ البيوت في المنازِل كرسفُ[3]

● اللثق[4]

قال شاعر:

لقد صارَ وجهُ الأرض كلاه مزلّة ... تمايل صاحبُها تمايل شارِب

وقال الصاحب: وقد ركب في وحلٍ عظيمٍ عرقلق بالنثق ثوبه.

لقد ركبت وكفُ الأرض كاتبة ... على ثيابي سطوراً ليس تنكتُم

فالأرضُ محبرّة والراحُ من لثق ... والطرسُ ثوبي ونهي الأشهبِ القلَمُ

● إنقطاعُ المطر

قيل لأعرابي: كيف خلفت ما وراءك؟ فقال: التراب يابس والأرض عابس.

وقال شاعر:

إن وجه البقاع يستنظر القطـ ... ـرَ انتظارَ المحبّ رجعَ الرسولِ

وقال العباس بن المأمون

متى تريكَ رياضُ الأرض أوجهَها ... إنْ لَمْ يكُنْ لكَ لا طَلّ ولا مَطَرُ

● ماهيةُ الماءِ وَوَصْفُهُ

قال الحجاج لغلامه: ائتني بأعز مفقود وأذلّ موجود. فلم يفهم ما عناه، فقال له ابن

---

(1) الرضراض: الحصى الدقاق في مجاري الماء.

(2) السروات: من النبات العاليات الرؤوس.

(3) الصّراد: الغيم الرقيق الذي لا ماء فيه.

(4) اللثق: الندى

القرية: اتته بالماء.

وقال ابن يزيد لشراعة: ما تقول في الماء؟ قال: هو الحياة ويشركني فيه الحمار؛ وقيل: ليس للماء قيمة لأنه لا يباع إذا وجد ولا يبتاع إذا فقد، وسمي الماء نفساً في قوله

أتجعلُ النفسَ التي تديرُ ... في مسك شاة ثم لا تسيرُ

ووصفه آخر فقال: هو مزاج الروح وصفاء النفس وقوى البدن، ومن فضيلته أن كل شراب وإن رقّ وصفا وعذب وحلا فليس بعوض منه بل يطيب بممازجته ويعذب بمخالطته.

قيل للنظام: ما لون الماء؟ قال: لون إنائه وإذا بعد قعره تصوّر أسود. وقيل: الماء من جنس الهواء وكل واحد منهما يستحيل إلى الآخر لما بينهما من المناسبة ولا لون لهما.

وقيل: بعث ملك الروم إلى معاوية بقارورة فقال: اجعل فيها من كل طعام وشراب شيئاً فلم يدر، فقال ابن عباس: اجعل فيها الماء، فإن الله تعالى يقول ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[1]، فلما أتى به ملك الروم، قال: هذا فعل رجل من بيت النبوة. وقال الله تعالى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾[2] فلم يذكره بأكثر مما في خليقته من السلامة من التغير الداخل عليه. وقال تعالى: ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ﴾[3]، وهذا ملح أجاج

قال شاعر:

مواقعُ الماءِ من ذي غلّة صادي[4]

وقال بعض البلغاء في وصفه: وما ظنكم بشراب إذا ملح وخبث أنبت العنبر وولد القار، والماء لا يغذو ولا يرى من اغتذى به، واستدلوا على ذلك بأن كل سيّال إذا طبخ انعقد إلا الماء. وعلى قياسه قالوا: لا ينعقد في الجوف إذا طبخته الكبد، وإذا لم ينعقد لم ينبت منه لحم ولا عظم.

● جريانُ ماءِ الأودية

قال ابن طباطبا:

يا حسنَ وادينا ومدّ الماء ... يختال في حليةٍ دكناء[5]
فصيحُه يمتزّ عن مماء ... في صخر عالٍ وفي صوضاءِ
يحكي رعاة الناقة الكوماء ... ترى به مناطحَ الظّماءِ[6]
جمّاء قد شدت إلى قرناء[7]

(١) القرآن الكريم: الأنبياء/ ٣٠.
(٢) القرآن الكريم: محمد/ ١٥.
(٣) القرآن الكريم: الفرقان/ ٥٣
(٤) الصادي: العطشان
(٥) دكناء: تميل إلى السواد.
(٦) الناقة الكوماء: العظيمة والطويلة السنام
(٧) جماء: ملساء الرأس - قرناء: ذات قرون.

وقال البحتري:

كأن مداد دجلة حين جاءت ... ماجميعها هلال أو سوار

وقال الولادي الأصبهاني:

كأنما زرزرود السؤر متحطمة ... تزوي حوالي خباء منه سيل[1]

وقال الشريف:

أما ترى زرد مسرود طالعه ... غيم فأدى مناله فيه
بين بياض ودكنة وتكا ... ير من الموج في حواشيه
كأنه الرمل من زرود إذا ... الحيات يرحفن في نواحيه
حسبته ماء على تكدره ... أخلص وذي له وصافيه
ليس عجيباً منك التلون لي ... فهكذا كل من أؤاخيه

وقال ابن منلويه

كأن اتباع الموج موجاً أمامه ... حثيثاً تهادى فيلق إثر فيلق
فليس بناج ذا ولا ذا بمدرك ... ولا ذاك مع هذا مدى الدهر يلتقي

وقال آخر:

كأنما يلعقيه جيش يشهده

وقال المتنبي:

حيث وغى قازم وسكهرم[2]

وكتب عمرو بن العاص إلى عمر رضي الله عنه البحر خلق عظيم يركبه خلق صغير كأنهم دود على عود.

● السّيل الذاهِبُ بما يمرّ له

قال امرؤ القيس:

فأضحى يسحُ الماء في كل بقيةٍ ... يكبُّ على الأذقانِ دوحَ الكنهبُلِ[3]
كأنّ السباع فيه غرقى عشيّةً ... بأرجائه القُصْوى أنابيشُ عُنصلِ[4]

قال ابن منلويه:

كأنّ خريرَ الماءِ عند التطامِه ... زفيرُ سَعيرٍ في إنساءِ مُخرّقِ[5]

---

(١) الزرود جمع زرد وهو الردشير لعبة فارسية ـ السؤر ما يبقى في الإناء من ماء ـ النؤي الحوض

(٢) قوله: جيشاً وعن... الخ يصف حركة المد والجزر

(٣) يكب على الأذقان يرمي أرضاً، ودوح الكنهبل شجر عظام.

(٤) العنصل زهر ذو بصل ـ الأنابيش ما ظهر منه متفرقاً على وجه الأرض

(٥) السعير: النار، جهنم.

وقال أشجع:

وكأن صوتَ الماءِ في حافاتِه ... زجلُ القِيانِ تطارحُ الأصواتا

وقال آخر:

جداولُ صخبُ الأمواجِ خُراد

وقال المتنبي:

وأمواه يصِلُّ بها حصاها ... صليلَ الحلي في أيدِي الغَواني[1]

وقال السري الكندي

ما بينَ ألحانِ الحما ... مِ وبينَ ألحانِ الجداولِ

● الماءُ الصافي

قال العجّاج:

فشنّ في الإبريق منه نزفا ... من رصف نازع سيلاً رصْفا[2]

وقال البحتري:

كأنما الفضّةُ البيضاءُ سائلةً ... من السبائك تجْري في مجاريها

وقال الطرماح:

كمتْنِ اليمانيِّ سُلّ وهو صقِيلُ

وقيل: لجين الماء على زمرد الحصباء وجدول مسجور كمهرق منشور ومنصل مشهور

قال شاعر:

ماء كدرعٍ مُمَرّعٍ متن صفحة

وقال مسلم:

وماء كعين الشمس لا يقبل القَذَى

قيل: ماء كالصباح ومتن الصفاح

وقال شاعر:

هو الجوّ من رقّةٍ غير أن ... مكانَ الطيورِ يطيرُ السمك

وأنشد ابن الأعرابي

ومسيب خصر ثوى في صلّة ... وإذا تحرّكه الرياحُ يزيفُ[3]

حلّت به بعد الهدوّ نطاقها ... بالجود دهماءُ النتاجِ رجوفُ[4]

وقال الأصمعي: أحسن ما قيل في الماء قول امرىء القيس

فلما استطابوا صُبّ في الصحن نصفُهُ ... وجادوا بماءٍ غير طَرْقٍ ولا كَدِرْ[5]

---

(١) الغواني: جمع الغانية، وهي المرأة الجميلة (٢) شن الماء: سال قطرة قطرة.

(٣) المسيب: الماء الجاري في كل اتجاه ـ ثوى: ثبت ومات ـ يزيف: يتبختر في مشيه.

(٤) الدهماء: الحديقة الخضراء تميل إلى السواد من خصبها ـ رجوف: تتحرك وتضطرب بشدة

(٥) الصحن: قدح الخمر الكبير ـ غير طرق: الصافي الذي لا كدر به

بماءِ سحاب زلّ عن ظهرِ صخرةٍ ... إلى بطنِ أخرى طيب ماؤها خصِر[1]

وقال ابن المعتز:

على جدولٍ ريّان لا يكتمُ القذى ... كأنّ سواقيها متونُ المباردِ

وقال:

وقيعةٍ تضحو كعينِ الغراب ... وجدولٍ كالسيف منصلتا

أراد بوقيعة المنهل

● الماء المتغيّر الكَدِر

قال أبو بكر:

ولقد وردتُ الماءَ لونُ جمامه ... لونُ الغريقة صفيت للمدنف[2]

فصدرتُ عنه ظامئاً فتركتُه ... يهتزّ علمقه كأنْ لم يُكشف[3]

قيل: الغريقة حلبة للنفساء

وقال الأعشى:

وأصفر كالحناء طام جمامُه ... إذا ذاقه مستعذب الماء يصفُقُ

وقال بعضهم في صفة ماء: هو إذا رمقه ريت وإذا دقته ميت، يروي الوجه شاربه ويتركه وإن جديه الظمأ طالبه.

قال عبد الطيب:

ومنهل آجنٍ في جمّه بعر ... مما تسوقُ إليه الريحُ محلولُ

كأنه في دلاء القومِ إذ نهلوا ... حمٌ على ودك في القِدر محلولُ[4]

● البئرُ الصافية الماء

قال الرفاء

إنّي هديتُ لنعمة منكورة ... فأثرتها من تربة وصفاةِ

سمراء قد ركضتْ إلى مرآةٍ ... سترٌ كأنّ رشاءَها في مائها[5]

كافورةُ الصيفِ التي يحيى بها ... منّا النفوسُ وحمّةُ الشهواتِ

طرقتها حجراً ولو أنصفتها ... طرقتها بغرائد اللبّاتِ

قال ابن المعتز:

حفرتُها بيضاءَ منقورةً ... في دمث سهلٍ وطيءِ التراب

---

(١) خصِر: صفة للماء البارد

(٢) الغريقة: طعام يطبخ للمرأة النفساء - المدنف: المريض مرضاً شديداً

(٣) العلمق: الطحلب وهو الخضرة على سطح الماء

(٤) الودك: الدسم في اللحم والشحم.

(٥) الرشاء: حبل الدلو

تضمنُ ريّ الجيش للمستقي ... كأنّ دلوَيها جناحا غرابِ

● الدولاب

قال القصار البغدادي:

كأنما رنّةُ الدولاب زامرةٌ ... وليس ناياتُها إلا سوانيها[1]

كأنه حبشيٌّ فوق عاتقِه ... أولاده فهو في بحرٍ يُدانيها

وقال الرفاء:

ومشمّر في السّير إلا أنه ... يسري فيمنعه السرى أن يقعُدا

وصل الحنين بعبرةٍ مسفوحةٍ ... حتى حسبناه مشوقاً مُكْمَدا[2]

وقال:

فباتَ يسري ليلَه ولم ينَم ... ولم يجاوز سيرُه قيدَ قدم

وقال علي بن الجهم:

وفوّارة ثارها في السماء ... فليسَت تقصّر عن ثارِها

تردّ على المزن ما أسبلت ... على الأرضِ من فيضِ مدرارِها[3]

وقال ابن أبي طاهر:

فوّارةٌ تمجّ منها ماءً ... كأنما أذيبت الفضة البيضاء[4]

أمطرَت الأرضَ بها السّماء

قال ابن الصاحب: استطرف إجازة المجلي مع سوء معرفته بالشعر لعلي بن الجهم في صفة الفوارة، قوله:

تراها إذا صعدت في السماء ... تعودُ علينا بأخبارها

● البركة

قال علي بن الجهم:

أنشأتُها بركةً مباركةً ... بارَكَ الله في عواقبِها

كأنّها والرياضُ محدقةٌ ... بها عروسٌ تُجلى لخاطِبِها

من أي أقطارِها أتيتَ ... رأيتَ الحسنَ حيرانَ في جوانبِها[5]

● المزملة[6]

قال الرّفاء:

مجروحةُ الخصرِ غير دامِيةٍ ... كما تكون الجراحُ والندبُ

---

(١) سوانيها: جمع سانية وهي السانية أو الناعورة.
(٢) المكمد: الشديد الحزن.
(٣) أسبلت: أرخت.
(٤) شبه ماء الفوارة بالفضة الذائبة.
(٥) أقطار البركة: جوانبها.
(٦) المزمّلة: الجرّة أو الخابية.

كأنما الماء حين يبعثها ذوبُ لجينٍ ميزابه ذهبُ[1]

● **السفينة**

قال أبو الشيص:

وبحر تحارُ العينُ فيه قطعتُه ... بمهنوءة من غير عرّ ولا جرَبِ[2]

عريضةِ صدرِ الزورِ بهماء رسلةٍ ... سباد خليعِ الرأس مزمومةِ الذنبِ[3]

مجفرةِ الجنبين جوفاءِ جونه ... نبيلة مجرى العرض في ظهرها حدب

مقتلةٍ لا تشتكي الأينَ والوجا ... ولا تشتكي عضّ النسوعِ ولا الدأبِ[4]

وقال بعضهم في وصفها: عذراء مدمجة الدبر تشمّر بفرسانها في البحر وتمتنع من المشي في البر.

وقال الفرزدق:

وواحلة قد عودوني ركوبها ... وما كنت ركّاباً لها حين ترحلُ

قوائمها أيدي الرجال إذا انتحَتْ ... وتحملُ من فيها قعوداً وتحملُ

وقال البحتري:

ورمت سمت العراق أيانقٌ ... سحم الحدود لغامهن الطحلبُ[5]

من كلّ طائرة بخمس خوافقٍ ... دعج كما ذعرَ الظليمُ الأحدبُ[6]

● **الزورق**

قال أبو نواس:

سخر الله للأمين مطايا ... لم تسخّر لصاحب المحراب

أسداً باسطاً ذراعيه يعدو ... أهرت الشدقِ كالح الأنياب[7]

لا يعانيه باللجام ولا السو ... ط ولا غمزِ رجله في الركاب

ذات زورٍ ومنسرٍ وجناحـ ... ـين تشقّ العَباب بعدَ العباب[8]

---

(١) ميزابه: الميزاب قناة من معدن أو غيره يسيل بها الماء من السطح.

(٢) مهنوءة: شبّه السفينة بالناقة المهنوءة لأنها معنيّة بالقار ولكنها ليست جرباء ـ العر: الجَرب.

(٣) الزور: ملتقى أطراف عظم الصدر ـ بهماء: لا تعرف وجهتها ـ رسلة: سهلة السير ـ سباد: من سبد الشعر حلقه.

(٤) الوجا: أي هي لا تمشي من دبج أو نحوه ـ النسوع: حبل طويل تشد به الرحال.

(٥) سمت: جمع سموت، وهي الطريق والمحجة ـ أيانق: شبه المراكب بالنوق ـ اللغام: زبد أفواه الجمال ولغام هذه المراكب هو الطحلب.

(٦) خوافق دعج: أجنحة واسعة.

(٧) أهرت الشدق: الواسع الشدق ـ كالح الأنياب: مستعرة لأن الزورق على صورة الأسد.

(٨) الزور: الصدر ـ المنسر (هنا): رأس الزورق والجناحان المجدافان.

تسبق الطيرَ في السماء إذا ما اسـ — ـتعجلوها بجيئةٍ وذهابِ

- **الزيزب**[1]

قال ابن الواسطي:

كأنما السفْن بأرجائها — وهيَ على الماجريّاتِ
عقاربٌ في رفع أذنابها — تجري على أبطُن حيّاتِ

وقال آخر:

زيازب تحكي إذا سيّرت — عقاربٌ تجري على زئبقِ

وقال آخر:

يا حبّذا سكرٌ به جدلني — وعودي في زيزبٍ كالأجدلِ[2]
تحسبها العقرب في صورتها — سارت على بطن شجاع مرسلِ

- **ورود الماء**

قال شاعر:

ولا يردون الماء إلا عشيّة — إذا صدر الورّاد عن كلّ منهلِ

وقال النمري في مشاركة الماء:

ولا أسقى ولا يُسقى شريبي — ويرويه إذا ما جاء مالي

وقال آخر:

لا أوردُ الماء عرضي قبل شاربتي — ولا أحنّ إذا ما حنّت النيب[3]

وقال آخر:

لنا إبلٌ لم نسقِها بعروضها — وأحماها أخرى الليالي الغوابرِ[4]
إلا إن شربَ السؤرِ يزري بأهله — وإن قيلَ نامَ في الدارِ والخواصرِ[5]

- **سقيُ الأرضِ وحكمُ الطريق**

روي أن الزبير ورجلاً من الأنصار اختصما إلى رسول الله ﷺ في شرب ماء كان من نهر يمرّ بهم، وكانت أرض الزبير فوق أرض الأنصاري، فقال النبي ﷺ: يا زبير إسق أرضك، فإذا أرويتها فأرسل فضل الماء إلى أخيك. فقال الأنصاري: يا رسول الله لا يمنعك كونه ابن عمتك أن تقضي بيننا بالحق فقال النبي ﷺ: يا زبير إسق أرضك فإذا

---

(١) **الزيزب**: ضرب من السفن.
(٢) **الأجدل**: الصقر، شبه الزيزب بالنسر أو الصقر.
(٣) **النيب**: الإبل المسنة. (٤) **الغوابر**: الماضية.
(٥) **السؤر**: ما بقي في الإناء من الماء، جمع أسآر.

أرويتها فاحبس الماء حتى يبلغ الماء الجدر[1] ثم أرسل الماء إلى أخيك. قال الزبير: وهذا كان صريح الحكم

وإنما كان النبي ﷺ أمر الزبير بالمعروف ومواساة أخيه فلما رادّه القول قضى بينهما بصريح الحكم، فأنزل الله تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[2].

● الضياع

قال أبو منصور العدوي:

قد كانتِ الضيعةُ فيما مضى	تغلّ من يملكها دائبه
فصار من يملكها يومنا	تغلّ من مهجته الذائبه
ستغرقُ الغلّة في خرجها	وتفضلُ الكلفةُ والنائبه

(٣)

وممّا جاء في الربيع والخريف والأزاهير والأشجار والنبات

●

● أصلُ النيروز[3] والمهرجان

سأل المأمون أصحابه عن أصل النيروز والمهرجان[4] وصب الماء، فلم يحره أحد فقال: الأصل في النيروز أن أبرويز عمر أقاليم إيران شهره، وهي أرض بابل، فاستوت له أسبابه واستقام ملكه يوم النيروز فصار سنة للعجم وكان ملكه ألفاً وخمسين سنة ثم أتى بعده بيور اسف وملك ألف سنة فقصدنا فريدون وأسره بأرض المغرب وسجنه بأرض بجبل دياوند يوم النصف من ماه نهر فسمي ذلك اليوم مهرجاناً وصار سنة لهم تعظيمه فالنيروز أقدم من المهرجان بألفين وخمسين سنة.

وقيل: النيروز هو يوم ولد كيومرث بن هبة الله بن آدم، لأن الجدران انحصرت لمولده، وأثمرت الأشجار لغير إبانها وقيل: هو اليوم الذي أحرق الله تعالى فيه الظلمة بالنور، وخلق السموات والأرض، وكون الدنيا، وأمر الفلك بالدوران وأما صب الماء فهو قوم أصابتهم قحمة من الأزل، فقحطوا زمناً وانقطعت عنهم الأمطار وتموّتت مواشيهم ثم مطروا واستبشروا لطول عهدهم به فكان من رشّ من ذلك المزن سرّه وأعجبه، فجعلته العجم سنة إلى آخر الدهر.

---

(١) الجدر: جمع جدار، الحائط. (٢) القرآن الكريم النساء/ ٦٤

(٣) النيروز: هو عند الفرس أول يوم من أيام السنة الشمسية، وهو يوم فرح بوجه عام.

(٤) المهرجان: من أعياد الفرس واللفظة مركبة من مهر وجان ومعنى مهر المحبة ومعنى جان الروح فالمهرجان محبة الروح.

وقيل: فيهم نزل قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ وقيل: هو اليوم الذي تكلم فيه زو بن طهماسف وقيل عيسى عليه السلام وكان مات أبوه عن قحط شملهم وشمل الأذليم فتكلم زو في المهد، وسأل الله تعالى أن يسقيهم، فسقاهم الله تبارك وتعالى وأما السدق فقيل إن آدم لما زوّج ستاته من بنيه وتموا مائة كانت هذه الليلة، فأوقدوا ناراً سروراً بذلك فجعلتها العجم عيداً ومعنى السدق مائة.

وسئل بعضهم عن الخريف والربيع فقال: الخريف للفم، والربيع للعين، وذلك أن الربيع لا تكون فيه فكهة. وسئل عنه بعضهم فقال: الربيع لأهل الوبر[1] والخريف لأهل المدر[2].

● مدح الخريف

قال الباخاني:

ولا زلتَ في عيشةٍ كالخريف … فإنَّ الخريفَ جميعاً بخير

قال ابن المعتز:

إشربْ على طيبِ الزمان فقد حدا … بالصيف من أيلول أسرعُ حادِ[3]

وقال آخر

وأشمنا بالليل بردَ خريفه[4]

● طيبُ الربيعِ وحُسْنُهُ

قال النبي ﷺ: ثلاثة يجلين القلب: النظر إلى الماء وإلى الخضرة وإلى الوجه الحسن.

وقال الشاعر:

أربعةٌ تحيا بها … روحٌ ونفسٌ وبدنْ
الماءُ والخضرةُ والـ … ـذ مان والوجهُ الحسَنْ

وقال أبقراط[5]: من لم يبتهج لرؤية الربيع، ولا يتروح بنسيم أسحاره فهو عديم حس أو سقيم نفس.

وكتب عمر بن الخطاب إلى أمير الأجناد: مروا الناس أن يخرجوا إلى الصحارى أيام الربيع فينظروا إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها.

---

(١) أهل الوبر: أهل البدو.

(٢) أهل المدر: أي أهل المدن والقرى، أو الحضر، في مقابل البدو.

(٣) حدا: ساق ـ الحادي: سائق الإبل. (٤) أشمنا: جعلنا نشمّ.

(٥) أبقراط، أو بقراط أو هيبوقراط هو أحد أكبر أطباء الإغريق عاش في القرن الخامس قبل الميلاد وهو من مواليد جزيرة كوس.

قال أبو تمام: إن الـــربـيـــع أثـــرُ الأزمـــان

وقال بعضهم: الربيع بهجة الحب ومجمع المنى وقال ابن المعتز:

أنــظـرْ إلـى دنـيـا ربـيـعٍ أقـبـلَـت ... مـثـلَ الـمـهـاةِ تـبـرَّجـت لـزُنـاةِ[1]

وقال آخر:

فـالـراحُ قـد بـاحَـتْ بـأسـرارِ الـنَّـدى ... فـتـنـفّـسَ الـريـحـانُ فـي الـجـنّـاتِ[2]

وقال ابن محارب القمي:

تـأمّـلْ فـي ربـيـعِ الأرضِ وانـظُـرْ ... إلـى آثـارِ مـا صـنـعَ الـمـلـيـكُ[3]

عـيـونٌ مـن لـجـيـنٍ شـاخـصـاتٌ ... كـأن حـداقَـهـا ذهـبٌ سـبـيـكُ[4]

عـلـى قُـضُـبِ الـزبـرجـدِ شـاهـداتٌ ... بـأنّ الله لـيـسَ لـه شـريـكُ[5]

● تفضيلُ الربيعِ على سائرِ الأزمنةِ ومفاضلةُ الصيفِ والشتاء

قال الصنوبري:

إن كانَ في الـصـيـفِ ريـحانٌ وفـاكـهـةٌ ... فـالأرضُ مـسـتـوقـدٌ والـجـوُّ تـنّـورُ

وإن يكنْ في الخريفِ النخْلِ مخترفاً ... فـالأرضُ عـريـانـةٌ والـجـوُّ مقرورُ[6]

وإن يكنْ في الشتاء الغيثُ متصلاً ... فـالأرضُ مـحـصـورةٌ والـجـوُّ مـأسـورُ

ما الدهرُ إلا الربيعُ المستنيرُ إذا ... أتى الـربـيـعُ أتـاكَ الـنَّـورُ والـنُّـورُ[7]

الأرضُ يـاقـوتـةٌ والـجـوُّ لؤلـؤةٌ ... والـنـبـتُ فـيـروزجٌ والـمـاءُ بـلّـورُ[8]

وقال النبي ﷺ: الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصامه وطال ليله فقامه

● الحثُّ على اللهو أيام الربيع وعلى التمتع بها

قال أمير المؤمنين كرّم الله وجهه: إذا دخلت البساتين فأطل تأملها، فإن فيها جلاءً للبصر وارتياحاً للهم والفكرة وتكرمة للطبائع وتسكيناً للصداع.

قال ابن سكرة الرازي:

لا تـمـتـنـي فـي الـمُـدام ظـالـمـتـي ... لا سـيـمـا والـربـيـعُ قـد هـجـمـا

---

(1) شبه قدوم الربيع بالمهاة المتبرجة وفي مثل هذا المعنى أشار ابن الرومي، وهو يصف الطبيعة عند قدوم الربيع بقوله:

تـبـرّجـتْ بـعـد حـيـاءٍ وخـفَـرٍ ... تـبـرّجَ الأنـثـى تـصـدّت لـلـذكـرِ

(2) الراح: الخمر.

(3) المليك: الله، خالق الوجود.

(4) اللجين: الفضة.

(5) الزبرجد: حجر كريم كالزمرد، ومنه الزبرجد الأخضر، واللفظة فارسية

(6) المقرور: المقشعر من البرد.

(7) النور: الزهر.

(8) الفيروزج: حجر كريم كالفيروز واللفظة فارسية

لا تطمعي في إفاقتي وقفي ... حتى يولّي الربيعُ منهزِما[1]

وقال آخر:

يا حبّذا النيروزُ من زائرٍ ... جاء على أحسنِ أوقاتِه

فباكر القصْفَ على وجهه ... وَوَفِّ زَنْ حقَّ زياراته[2]

قال القاضي علي بن عبد العزيز:

قد صفا الجوُّ واستحالَ نسيما ... وتندّى الهواءُ وهو يميعُ

بشّرتنا أوائلُ الزهرِ بالور ... دِ فكلِّف صِبَاكَ ما تستطيعُ

وقيل لماسرجس: لِمَ كان أبصار أهل الرساتيق أصح وطعامهم ثقيل؟ فقال: ما أعرف لذلك علة إلا كثرة وقوع أبصارهم على الخضرة

● رياضٌ مونقة

قال أعرابي: أصابنا ديمةٌ على عهاد قديمة، فالناس يشبع قبل العظيمة.

قال ابن المعتز:

وروضةٍ عذراءَ غيرُ عانسةٍ ... خضراءَ ما فيها خلاةٌ يابِسَهْ[3]

فيها شموسٌ للنهار وارسه

والبيت الثاني من قول آكل المرار:

في حيثُ خالطتِ الخزامي عرفجا ... يأتيكَ قابسُ أهله لم يُقْبَسِ[4]

ووصف بعضهم الأرض فقال: غدت في بردة خضراء وغدت في ري عذراء، قال ابن طباطبا:

يا لها جنةٌ بدَتْ كعروسٍ ... لم يكنْ حسنُ حليها مستعارا

● طيب رائحة الرياض

قال ابن المعتز

كأن فتات المسكِ بين بقاعِها ... تفتحها أيدي الرياحِ اللطائفِ

قال الأخطل:

الأنفُ والطرفُ منه يسرحان معاً ... في ميسمِ أرجٍ أو منظرٍ قشبِ[5]

---

(١) إفاقتي: الإفاقة: التنبه من النوم. (٢) القصف: اللهو

(٣) العانسة: التي لم تتزوج - الخلاة: واحدة الخلى وهو العشب

(٤) العرفج: جمع عرافج، نبات سهلي.

(٥) الأرج: الرائحة - القشب (هنا): القشيب أي الجديد ولقشب أيضاً الخلق (من الأضداد)

قال البازني:

وإذا تنفّست الرياحُ حسبتَها ... مسكاً تنفّس عن جيوبِ غواني[1]

قال ابن الرومي:

من نسيم كأنّ مسراه في الأر ... واحِ مسرى الأرواحِ في الأجسادِ

قال ابن المعتز:

يا ربَّ ليلٍ سحرٍ كلُّه ... مفتضحِ البدرِ عليلُ النسيمِ

تلتقطُ الأنفاسُ بردَ الندى ... فيه فتهديه لحرِّ السمومِ

● ألوان الرياض المختلفة

قال التنوخي:

ربعٌ الربيعُ فحاكت كفُّه ... حللاً بها عقدُ الهمومِ تحلَّلُ[2]

فمدبّجٌ ومحبّرٌ وموشّحٌ ... ومفضّضٌ ومدنّرٌ ومهلّلُ[3]

فتختالُ ذا ثغراً وذا عيناً وذا ... خدّاً يمسفسد تارة ويقبّلُ

قال بارع:

وروضةٌ دبّجَ الوسميُّ حلّتَها ... ونيّرتها يدُ الأنواءِ والحقبِ[4]

● شكر الأرض للمطر

قال ابن الرومي:

أصبحتِ الدنيا تروقُ من نظر ... وأمالُها مصطنعاً لمن شكر

أثنت على الأرضِ بالآء المطر[5]

ابن المعتز:

ما ترى نعمةَ السماءِ على الأر ... ضِ وشكرَ الرياضِ للأمطار

● النبات المائل بالرياح

قال دعبل:

ضحوكٌ إذا لاعبته الرياحُ ... تأوّد كالشاربِ المرجحن[6]

قال ابن نوفل:

رياحينُها تهتزُّ كالبيضِ أزمعت ... وداعاً فمالت للعناقِ قدودُها

---

(١) الجيوب: جمع جيب وهو القميص - الغواني: جمع غانية وهي المرأة التي عنيت بالحسن عن الزينة

(٢) و (٣) يقول: إنّ كف الربيع الحيّة تنسج حللاً أي أثواباً جديدة بين مدبج ومحبر وموشح.

(٤) الوسمي: مطر الربيع - الأنواء: الأمطار

(٥) الآلاء: النعم

(٦) تأوّد: انحنى واعوج

قال آخر:

عذارى يبادِئن الحديثَ المكتّما

وقال آخر:

كالطامحِ المتمائِل المتكسّر

- **الطلّ على الأرض**

قال جحظة:

لم يبق في الأرض زهرٌ يشتكي مرّها ... إلا ونـاظـرُه بـالـطـلّ مـكـحـولُ

وقال:

كـأنّ بقـاءَ الوبلِ في جنَباتـهـا ... بـقـيـةُ دمـعٍ فـوقَ خـدّ مـورّدِ

وقال آخر:

بـطَـلّ كـرشـح فـوق خـدّ مـورّد[1]

وقال آخر:

فــشــنــف أرضــه دررا ... وســقّــمــهــا الــنّــدى شــذرا

قال الحمدوني:

إذا لطمَ الوسميُّ أحداقَ روضـهـا ... بكيْنَ دماً بـالـلـؤلـؤ المـتـفـرّدِ

وقال:

وشـابـت رؤوسُ غـصـون الجـنـانِ ... وما ذلك الشيبُ إلا الشبابُ[2]

- **ترنّمُ الأطيارِ أيامَ الربيع**

قال إبراهيم بن سارة:

والـطـيـر في وكـنـاتـهـا مـحـتـلـةً ... فـمـرنـمٌ ومـزمـزمٌ ومـغـرّدٌ[3]

فكـأنّـهـا تـحـكـي الـغريضَ ومعـبدا ... أو كـاد يحـكـيـهـا الـغريضُ ومعبدُ

قال أبو القاسم بن العلاء:

كــأنّ صــوادحَ الأطــيــارِ فــيــهــا ... جـوارٍ والـغـصـونُ لـهـا سـتـائِرْ[4]

أخذه من الخباز البلدي حيث قال:

كـأنّ الـقـمـاري والـبـلابـلَ بـيـنـهـا ... قـيـانٌ وأوراقُ الـغـصـونِ سـتـائرْ[5]

قال ابن المعتز:

إنّــي لأعــجــبُ مــن حــمــائِــمِــهــا ... كـيـفَ اهـتـدَيْـنَ لـمـعـرب مـحـضِ

---

(١) الطلّ: الندى.

(٢) شابت رؤوس الغصون: كناية عن الزهر، شبّهه بالشيب واعتبره شباباً للطبيعة من عطاء الربيع.

(٣) الوكنات: جمع وكنة، وهي عشّ الطائر.

(٤) الطيور الصوادح: المغرّدة.

(٥) القماري: الحمائم.

هل كان نحوي يعلّمها نصباً وباب الرفع والخفضِ؟

● **تغريدُ الذبابِ بالرياض**

قال ابن الرومي:

وغرّدَ ربعي الذبابِ خلالَه كما حثحثَ النشوانُ صنجاً مشرّعا[1]
وكانت أرانينُ الذبابِ هناكم على شدواتِ الطّيرِ ضرباً موقّعا[2]

والأصل فيه قول عنترة:

وخلا الذباب بها فليس ببارحٍ غرِداً كفعلِ الشاربِ المترنّمِ
هزِجاً يحكّ ذراعَه بذراعِه قدحِ المكبّ على الزّنادِ الأجذَمِ[3]

● **تشبيه المحبوب بالرياحين وتذكرهُ بها**

قال البحتري:

لما مشين على الأراكِ تشابهتْ أغصانُ قضبانٍ به وقدودُ
في حلّتي حبر ووشي فالتقى وشيان وشيُ ربا ووشي برودِ[4]
وسفرْنَ فامتلأت عيون راقها وردان وردُ جنى وورد خدودِ

قال الصاحب وقد شبه حدود المحبوب بالمنثور

شربنا على وجه الذي تتيّمني بصدّه[5]
فإن تنأى فادكـ ـرُه بالمنثور عند وردِه
من أبيضٍ كوجهه وأحمرَ كخدّهِ
وأشهلَ كطرفِه وقد سطا بخدّهِ
وأصفر كمحنتي إذ راعني بصدّهِ
وصادق التوريد كالفضّة بين جلدِه
ذي أرجٍ كهزله وروغة كجدّه[6]
وقصر في المخبر قد شابه هجرُ وردِه
هذا وما يستطيع أن يذكرني بفقدِه
فالفضل للطبي الذي أصبحتُ عبدَ عبدِه

---

(١) حثحث: حرّك، اضطرب.
(٢) الأرانين: جمع رنين، وهو الصوت.
(٣) هزجاً: مغنياً. الهزج الترنّم وضرب من الأغاني.
(٤) البرود: الأثواب المخطّطة، جمع برد.
(٥) تيمه الحبّ: ذلّله ـ الصدّ: النفور والهجر.
(٦) الأرج والأريج: الرائحة الطيبة.

• **ظلُّ أوراقِ الشجرِ**

قد أحسن المتنبي حيث قال:

وألقى الشرقَ منها في ثيابي ... دنانيراً تفرُّ من البنانِ

قال مسكويه:

والشمسُ محجوبةٌ عنا سوى لمعٍ ... يسقُطنَ من ورقِ الأشجارِ كالورقِ

• **نَفْعُ النرجسِ**

قال جالينوس[1]: من كان له رغيف فيجعل نصفه من النرجس، فإنه راعي الدماغ، والدماغ راعي العقل، **وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه:** تشمّموا النرجس ولو في اليوم مرة، فإن في قلب الإنسان حالة لا يزيلها إلا شم النرجس، **قال أبو نواس:**

غضّي جفونَك يا عيونَ النرجسِ ... كيما ألذَّ بقُبلةٍ من مؤنسي

وقال آخر:

وشمائلهنّ إذا هممت بقبلةٍ ... حَدَقاً تفهمُ ما أقولُ فتنظر[2]

وقال آخر:

كأنما النرجسُ يحكي لنا ... عيونَ محبٍّ أبداً تنظُرُ

لا يطرق الدهر لا شفاقةٍ ... تخوّفاً من لحظه يقصرُ

ويشبه النرجس بالرقيب، **قال أبو نواس:**

لدى نرجسٍ غضّ القطاف كأنّه ... إذا ما منحناه العيونَ عيونُ

مخالفةٌ في شكلهنّ فصفرةٌ ... مكانُ سوادٍ والبياضُ جفونُ

وقال آخر:

مداهن تبرٍ حشوهنّ عقيقُ[3]

وقال آخر:

أحداقُ تبرٍ في محاجرِ فضةٍ

• **وَصْفُهُ قامتهُ**

قال شاعر:

ذابلاتُ الأجفانِ كالعاشقِ الوا ... قفِ يشكو الهوى على فردِ ساقِ

وقال آخر:

غصنُ الزبرجدِ مرتدٍ ورقاً ... من فضةٍ لك أثمرت ذهبا[4]

---

(١) **جالينوس:** من أشهر أطباء اليونان الأقدمين، برع في علم التشريح. عاش في القرن الثاني للميلاد.

(٢) **الحدق:** العيون.

(٣) التبر: الذهب ـ العقيق: الخرز الأحمر.

(٤) **الزبرجد:** حجر كريم كالزمرد.

قال الباذاني:

ورقٌ فوقها دنانيرُ صفرٌ ... قد علت من زبرجدٍ أنبوبا

وبالفارسية نركس ارمرددشه مرواريد فردوسته روش كرميان بسته فنظموه بالعربية فقالوا:

وياقوتة صفراء في رأسِ درّة ... مُركّبةٍ في قامةٍ من زبرجدِ[1]

● ريحة

قال ابن الرومي:

يا حبّذا النرجس ريحانة ... لأنف مغبوق ومصبوح

كأنّه من طيبِ أرواحه ... ركّب من راحٍ ومن رُوح[2]

قال ابن طباطبا:

نرجسه يسبي الورى شكله ... مثلُ حبيبٍ فاتن دلّه

نسيمُه كالرّاحِ لو يحتوي ... والروحُ لو يعقد مُتحلّه

● فَضلُ الوردِ ومحنتُهُ

قيل: إن ملك بابل أهدى إلى ملك أصول ورد، فأنكر ما رأى من شوكها وكاماه بأصول العيراء، لأن زهرتها تولد داء عظيماً إذا شمت. فلما أينعت أصول الورد عنده سرّ به، فندم على من كان منه فأهدى إليه شجر الخلاف وهو دواء لما تولده العيراء. وقيل: كان المتوكل حرّم الورد على جميع الناس، وقال: لا يصلح للعامة لكان لا يرى إلا في مجلسه.

وكان في أيامه يلبس الثياب الموردة ويفرشه ويورّد جميع الآلات ورفع صاحب الخبر إلى المأمون أن حائكاً يعمل العام كله لا يتعطل في عيد ولا جمعة، فإذا طلع الورد طوى عمله وغرّد بصوت وقال:

طاب الزمانُ وجاء الوردُ فاصطبحُوا ... ما دامَ للوردِ أزهارٌ وأنوارُ

فإذا شرب مع ندمائه غنّى:

أشربْ على الوردِ من حمراء صافيةٍ ... شهراً وعشراً وخمساً بعدها عَدداً

فلا يزال في صبوح وغبوق ما بقيت وردة فإذا انقضى عاد إلى عمله وأنشد:

فإن يبقني ربّي إلى الورد أصطبح ... وندمان صدق حاكةٌ ونبيطُ

فقال المأمون: لقد نظر الورد بعين جليلة فينبغي أن نعينه على هذه المروءة. وأمر أن يدفع إليه في كل سنة عشرة آلاف درهم. وقال الحسين رضي الله عنه: حباني رسول الله ﷺ بكلتي يديه وردة وقال إنه سيد رياحين الجنة ما خلا الآس.

---

(١) الياقوت: من الحجارة الكريمة ـ الدرّة: اللؤلؤة.

(٢) الأرواح: الروائح ـ الراح: الخمر.

● حُمْرَتُهُ

قال خالد الكاتب:

عشيبة حيّاني بوردٍ كأنّه خدودٌ أُضيفتْ بعضهن إلى بعضِ

وقال آخر:

كأنّ طلوعَ الوردِ والطلُّ فوقَه لثاتٌ عليها درّ ثغرٍ مفلّجِ(1)

وقال أردشير: ياقوت أحمر وأصفر ودرّ أبيض على كراسي زبرجد يتوسطه شذور من ذهب.

● ظهورُ الوردِ وتفتّحُهُ

قال جحظة:

لقد نطقَ الدُّرَّاجُ بعد سكوتِه ووافى كتابُ الوردِ أنّي مقبِلُ

قال الرقاشي:

إذا أقبلَ الوردُ أهدى لنا سروراً بأيامه مقتبِل

قال البحتري:

وقد نبّه النيروزُ في غسقِ الدجى أوائلَ وردٍ كنّ بالأمسِ نُوَّما(2)

يفتّقها بردُ الندى فكأنّما تبثُّ حديثاً كان قبلُ مكتّما(3)

● قِلّة لبثِهِ

قال ديك الجن:

للورد حُسنٌ وإشراقٌ إذا نظرتْ إليه عينُ محبٍّ هاجَهُ الطربُ

خاف الملالَ إذا دامتْ إقامتُه فصارَ يظهرُ حيناً ثم يحتجبُ(4)

قال أبو نواس:

زائرٌ يهدي إلينا نفسَه في كلّ عامِ

قال ابن أبي البغل:

حبيبٌ إذا ما زارنا قلّ لبثُه وإن هو عنا غاب طال جفاؤه(5)

وقال آخر

أقام حتى إذا أُنسنا بقربه أسرعَ ارتحالا

---

(1) الثغر المفلّج: المتباعد الأسنان.

(2) النيروز (هنا): الربيع.

(3) يفتقها: وفي رواية يفتّحها.

(4) الملال: السأم، الضجر.

(5) اللبث: البقاء والإقامة.

وقال:

الوردُ أحسنُ زائرٍ لو لم تكُنْ ... تلك الزيارة حين زارَ لِماما[1]

● صِيانةُ الوَرْدِ

قال علي بن الجهم:

لم يضحكِ الوردُ إلا حينَ أعجَبه ... حسنُ الرياضِ وصوتُ الطائرِ الغَرِدِ

لا عذبِ اللَّهُ إلا مَنْ يعذِّبه ... بمسِّ كفٍّ بارِدٍ أو صاحبٍ نكِدِ

قال جحظة:

أعززْ عليَّ بأن يشمَّك بَجِلٌ ... أوانَ تَرُكَ نواظِرِ السُّقَطاءِ

وقيل: إن كسرى مرَّ بوردة ساقطة فقال: أضاع الله من أضاعك، ونزل عن دابته وتناولها وشرب في مكانها أقداحاً.

وقال بعض الكبار لأبي عبد الله الصائغ: قد جاء وردك يا أبا عبد الله يعني ورد الكلاب، فقال: وقد جاء ورد أمك، يعني ورد القحبة وقد نظم ذلك ابن طباطبا

ولّى الرمانُ وولّى وردُ أمِّكُمُ ... وجاءَ وردُ أبيكم يا بني العررِ

● تفضيلُ الوردِ على النرجِسِ

قيل: الورد يبقى طول السنة رطباً ويابساً، والنرجس لا يبقى إلا شهراً ولو يبس لم ينتفع به. ثم منافع الورد لا تحصى كثيرة رطباً ويابساً وطيباً ودواء، قال الصنوبري

زعمَ الوردُ أنّه هو أبهى ... من جميعِ الأنوارِ والريحانِ[2]

فأجابتْه أعينُ النرجسِ الغضِّ ... بذلٍّ من قولِها وهوانِ

أيما أحسنُ الوردُ أم مقـ ... ـلةُ ريمٍ مريضةِ الأجفانِ[3]

أم فمادا يُرجى لِمحمَرَّةِ الخدِّ ... إذا لم يكُنْ لها عينانِ

فزها الوردُ ثم قال مُجيبٌ ... بقياسٍ مستحسنٍ وبيانِ

إنَّ وردَ الخدودِ أحسنُ من ... عينٍ بها صفرةٌ من اليرقانِ[4]

● تفضيلُ النرجِسِ على الوردِ

قيل: النرجس إذا اجتني بقي شهراً، والورد لا يبقى إلا يوماً ثم يذبل، وهو كالعين، وهو أفضل من الورد الذي هو كالخدّ.

---

(1) الزيارة اللمام: أي القصيرة. (2) الأنوار: الأزهار

(3) مريضة الأجفان: أي ناعسة الأجفان.

(4) اليرقان: مرض يسبب اصفرار الجلد واللفظة يونانية.

قال ابن الرومي:

لـلـنـرجـس الـفـضـلُ بـرغـمِ مـن زعَـم ... عـلـى صـنـوفِ الـوردِ والـفـضـلُ قِـسَـم

وله:

هـذي الـنـجـومُ هـيَ الـتـي ربّـتـهـا ... بـحـيـا الـسّـحـابِ كـمـا يـربّي الـوالِـدُ[1]

فـتـأمـلِ الأحـويـن مـن أدنـاهـمـا ... شـبـهـاً بـوالـده فـذاك الـمـاجـدُ

أيـن الـعـيـونُ مـن الـخـدودِ نـفـاسـةً ... وريـاسـةً، لـولا الـقـيـاسُ الـفـاسـدُ

● تفضيلُ الآسِ على الوردِ وبالعكس

كتب أبو دلف إلى عبد الله بن طاهر:

أرى ودّكـم كـالـوردِ لـيْـس بـدائـم ... ولا خـيْـرَ فـيـمـن لا يـدومُ لـه ودُّ

وودّي لـكـم كـالآسِ حـسْـنـاً ونـضـرةً ... لـه زهـرةٌ تـبـقـى إذا فـنـي الـوردُ

فأجابه:

وشـبـهـتَ ودّي الـوردَ، وهـو شـبـيـهُـه ... وهـلْ زهـرةٌ إلا وسـيّـدُهـا الـوردُ

وودّكَ كـالآسِ الـمـريـر مـذاقُـه ... ولـيـسَ لـه فـي الـطـيـب قـبْـلُ ولا بَـعْـدُ

ودخلت امرأة إلى معبّر[2] فقالت: رأيت زوجي أولاني باقة نرجس، فقال: يطلقك. فقالت: لِمَ، فقال: لقول الشاعر:

لـيـس لـلـنـرجـس عـهـدٌ ... إنّـمـا الـعـهـد لـلآس

ولعليّ بن الجهم يفضل الورد على سائر الرياحين:

مـا مـاثـلـت قـضـبُ الـريـحـان طـلـعـتَه ... إلا تـبـيّـنـتْ مـنـه ذلّـةَ الـحَـسَـدِ

● الياسمينُ والآسُ

كانَ مخنثٌ ببغداد قعد يبيع الياسمين ويقول: من يشتري ريح المحبوب، ولون المحب، بقطعه؟ وتُطيّر بالياسمين لكون اليأس في أوله والمين في آخره. قال ابن الرومي:

مـا أنـصـفَ الآسَ بـالـيـاسـمـين مـشـبـهـه ... والآسُ مـنـه مـكـانُ الـيـاء مـفـقـودُ

والـيـاسـمـيـنُ إذا حـصـلـت أحـرفَـه ... فـالـيـاس مـنـه مـكـانَ الـيـاءِ مـعـدودُ

إنّ الـدلـيـلَ عـلـى هـذا تـنـافـر ذا ... وإن ذاكَ عـلـى الأيـام مـوجـودُ

● الشقائقُ

قال أبو العلاء السروي ويُروى لابن دريد:

جـامٌ يـكـون مـن الـعـقـيـقِ الأحـمـرِ ... مـرشـتْ قـرارتَـه بـمـسـك أذفـرِ[3]

---

(١) حيا السحاب: المطر. (٢) المعبّر: الذي يفسّر الأحلام.

(٣) أذفر: من ذفر الشيء، اشتدت رائحته فهو أذفر وذفر: مسك كثر.

خرط الربيعُ مثاله فأقامه ... بينَ الرياض على قضيبٍ أخضرِ[1]
والريحُ تحركُه إذا هبّت بهِ ... كالطامحِ المتمايلِ المتكسّرِ
فتراهُ يركعُ ثم يرفعُ رأسَهُ ... مُتمايلاً كالعاشقِ المتحيِّرِ

وله:

جزعٌ وياقوتٌ وخرطُ زَبَرْجَدِ[2]

وقال الصنوبري:

أعلامُ ياقوتٍ نُشِرْ ... نَ على رماحٍ من زَبَرْجَدِ

وللقصار:

وكأنّه الحبشيّ يصبُغُ جسمَه ... فثيابه مخضّلةٌ بدمائهِ

وقال الصنوبري:

شقائق يحمِلْن الندى فكأنّه ... دموعُ التصابي في خدودِ الخرائدِ

- **الأترج**

قال ابن دريد:

جسمُ لُجَيْنٍ قميصُه ذهبٌ ... زُرَّ على لعبةٍ من الطِّيبِ[3]
فيه لمن شمّه وأبصره ... لونُ محبٍّ وريحُ محبوبِ

وقال ابن العميد:

يقدِّرها الرائي سبيكةَ عسجدٍ ... على أنها من فأرةِ المِسْكِ أضوعُ[4]
وما حكَت العشّاقَ صفرةُ لونِها ... ولكن لما قاسى المحبّين تجزعُ

وقال أبو سعيد الرستمي:

وأترجةٍ مدّت أصابعَ من ذهب ... لها أرجٌ من فأرةِ المِسْكِ منتهَبْ
تبدّت لنا والريحُ داجٍ ظلامُه ... كجمرِ نارٍ هزّه الريح فانشعبْ[5]

وقال كشاجم:

كأنّ أترجَها تميلُ به ... أغصانُها حاملاً ومحمولا
سلاسلٌ من زبرجدٍ حملت ... من ذهبٍ أصفرَ قناديلا

---

(١) الخرط: القطع

(٢) الجزع: الخرز فيه سواد وبياض، واحدته جزعة ـ الزبرجد: حجر كريم يشبه الزمرد والجمع زبارج

(٣) زرّ القميص: شدّ أزراره وأدخلها في عرى

(٤) سبيكة عسجد: أي سبيكة ذهب ـ فارة المسك: نافجة المسك

(٥) انشعب: تمزّق شعباً.

وقال ابن الرومي:

كـأنـكـم شـجـرُ الأتـرجِ طـابَ مـعـاً ... حـمْـلاً ونَـوْراً وطـابَ الـريـحُ والـورقُ

● النارنجُ على الأشجار

قال شاعر:

تـطـالـعُـنـا بـيـنَ الـغـصـونِ كـأنـهـا ... خدودُ عذارى في ملاحفها الخضر

وقال التنوخي:

شـمـوسُ عـقـيـقٍ في قـبـاب زبـرجـد

قال الصاحب:

كـأنـمـا الـنـارنـجُ تـفـاحُ الـذهَـبْ ... أو مرج قـنـديـل تـبـدّى كـالـلـهَـبْ

أو حـمـرةٌ شـعـاعُـهـا يـمـضـي شـغَـبْ ... أو ثديُ خودٍ ناهدٍ يحكي الكعبْ[1]

● الليمون

قال محمد العبّاسي:

حـبّـذا الـلـيـمـونُ حـسْـنـاً ... وبـــهـــاءً ونـــضـــاره

هـو ريـحـانٌ أتـى مـن ... أرضِ هـنـدٍ لـلـزيـاره

رامَ أن يـشـبـهـه الـنـا ... رنجُ خـرطـاً واسـتـداره

وتـمـنـى أن يـسـامـيـ ... ـه بـأن يـحـكـي اصـفـراره

ثـم أعـيـاه فـلـم يـلـحـ ... ـقـه فـي زيٍ وشـاره[2]

لونُه والعرفُ والشكلُ فيه مستعاره

● المستبول

قال شاعر:

كـكـرات طـيـقـانٍ تـخـالُ قـشـورَهـا ... ـونُ الـقـسـيّ مـسـمـرات يـلـمـع

وقال:

كـأنـهـا مـن لـبِّ كـافـورةٍ ... قـد عـمـرت مـن رطـبٍ رَطْـبِ

● المقاح

قال أبو علي بن أبي العلاء:

كـحـشـمـةٍ مـن ذهـب ... بـلا زورد مـسـتـمـعـا[3]

---

(١) الخود: المرأة الشابة ـ الثدي الناهد: البارز

(٢) يساميه: ينافسه في البهاء والحسن ـ يحكي اصفراره: يشابهه ويماثله

(٣) اللازورد: معدن يتخذ للحلي والصافي منه شفاف أزرق ضارب إلى الحمرة (واللفظة فارسية)

أو شمعلةٍ وقد غلا دخانُها وارتفعا

وقال أبو القاسم ابنه:

ما جوهرٌ متنافسٌ فيه كَنَدٍ في نَدي[1]
ومشمّ مشوقٍ تصا دفه على عُرْفٍ ذكي
وكأنّ رائق شكله لما بدا كرةُ الصبي
لولا ذوائبه التي قد أشبهت بيض الكَمِي[2]

● حب النيل

قال أبو الحسن الزاهري:

ولاحَ لناظري بناتُ وردٍ لحتَ النيل تفضح كلَّ وردِ
كنوناتِ اللجين مطرفاتٍ أسافلُها بماء اللازوردِ

● الخيري[3]

قال ابن الرومي:

خيريّ وردٌ أتاك في طبقٍ قد ملا الخافقين من عَبَقه[4]
قد خلع العاشقون ما صنع الهجرُ بألوانهم على ورقه

قال أبو العلاء السروي:

أهدى إليّ فنونَ الشوق والأرقِ نسيمُ رائحةِ الخيريّ في الغسقِ
كأنه عاشقٌ يهدي صبابته صبحاً وينشرُها في ظلمة الأفقِ

● السوسن

يشبه بأذناب الطواويس وبسنانك العصة. قال ابن المعتز:

كقطنٍ منه بعضُ البلَلْ

قال الموصلي:

كأنما زرقةُ أوراقه ذوائبٌ من لهب الفحمِ

قال عبدان:

وقد زخرف الدنيا ملاعقُ سوسنٍ فمِنْ أزرقٍ غضّ النباتِ وأقمرِ
كأعناقِ طيرِ الماءِ أوراقُها حكَتْ مناقيرَها صوراً بخدٍّ معفّرِ

---

(١) الند: عود يتبخر به.
(٢) الذوائب: الضفائر ـ الكمي: البطل والفارس المدجج بالسلاح.
(٣) الخيري: المنثور الأصفر.
(٤) عبقه: شذاه.

● الجلنار

قال الحمداني:

وجلّنارٍ أحمرٍ	على أعالي شجرِه
كأنّ في رؤوسِهِ	أحمرَه وأصفرَه
قراصةً من ذهبٍ	في خِرقةٍ مُعَصْفَرَه

● الأرجوان

قال عبدان:

كأنّ الأرجوانَ ضِرامُ نارٍ	بلا شَرَرٍ تطايرَ في تَوالي
كأنّا مُصْطَلونَ بها قعوداً	حوالَيْها وما منّا بصالي[1]

● المرزجوش

قال أبو الوفاء محمد بن عبد العزيز بن محمد بن سلمة الهذلي:

ومرزجوشٍ كأنّ القطرَ شنّفه	درّاً كما شُنّفتْ آذانُ أبكارِ[2]
إذا أتتْه هبوبُ الريحِ جاذبةً	تراه مائِلاً مُصْغٍ لأسرارِ

● وردُ العصفور

قال ابن طباطبا:

ريحانةٌ في اصفرارٍ مُهْدِيها	شبهتها بعد فِكْرةٍ فيها
أجنحةٍ لم تصخْ لعاذلها	تُمدُّ آذانُها بأيديها

● النيلوفر

قال أبو عبد الله:

كأنّ نيلوفرَه عاشقٌ	نهارَه يرمقُ وجهَ الحبيبِ
حتّى إذا الليلُ بدا وجهُه	وانصرفَ المحبوبُ خوفَ الرقيبِ
أطبقَ جفنَيْه عشى في الكَرى	يبصرُ من فارغه عن رقيبِ

وقال آخر:

ككاساتِ شربٍ في أكفّ وصائفٍ	من السندِ عنهُنّ السواعِدُ حُسَّرُ

---

(١) اصطلى بالنار: استدفأ بها.

(٢) المرزجوش أو المردكوش: نبات عطري له ورق دقيق وزهر صغير وله فوائد طبية واللفظة فارسية، والمردقوش أيضاً. الزعفران بالفارسية

قال الزاهي:

وَنَيلوفر مثلِ الكؤوسِ شممتُه ... حكَتْ ريحُه ريحَ المحبِّ الموافِق

حكى رقدة المحبوب قبْل امتاجِه ... وبعد انفتاحِ الجفنِ تسهيدَ عاشِق

● الأذريون[1]

قال ابن المعتز:

كــــان آذريــــونَــــهــــا ... فــوقَ ســمــاءِ هــابِــيَــه[2]

مَــداهِــنٌ مــن ذهــبٍ ... فــيــهــا بــقــايــا غــالِــيَــه[3]

وقال عبد الرحمن بن مثلويه

صِلاءُ جَمْرٍ شبَّ في كانونِ

● الخُزَم[4]

قال ابن الرومي:

وخرم في صبغة الطيالِسَه ... تحكي الطواويسَ مدَّت مُطاوِسَه[5]

كأنّما تلك الفروعُ النامِسَه ... تغوصُها في اللازورد غامِسَه[6]

قال ابن طباطبا

صِماماتُ وشْيٍ هُيِّئَت لمحابِرِ

● الأقحوان[7]

قال التنوخي:

وأقــحــوانٌ مــكــان وردتــه ... درهــمٌ بــيــنَــهــا دنــانــيــرُ

وقال عيدان:

وتبسّم عن ثُغورِ الحَوْرِ فيها ... ثُغورُ الأقحوانِ من اللآلي

وقال آخر:

عيونُ الأقاحي ما حلقتنْ للبُكا ... فما بالُ مجرى الدمعِ منكُنَّ منكَرُ

---

(١) القطر: العطر.

(٢) الأذريون: جنس زهر من الأنيونيات برتقالي اللون.

(٣) الغالية: ضرب من الطيب.

(٤) الخُزَم: نبات الشجر، والخُزم في اللمة الناعم والكثير الحير (انظر لسان العرب، مادة خزم، وإذا وردت اللفظة مصحفة فلعل المراد شجر مخرم وهو شبه شجر الدوم ذو أفنان ونسر (انظر اللسان مادة خزم)

(٥) الطيالسة: الطيلسان الكساء الأخضر

(٦) الفروع النامسة: من نمس ينمس نمساً معناه تغير الشيء الطيب وفساده ـ اللازورد: الجيد منه معدن صافي شفاف أزرق ضارب إلى الحمرة والخضرة يتخذ للحلي.

(٧) الأقحوان: نبات أوراق زهره مفلّجة صغيرة يشبهون بها الأسنان.

إذا ما سقاهُ الغيثُ كاساً من النّدى ... تـنـاوبَ سـكْـرانـاً وبـالـرّيـح يـسـكـرُ

● **الشاهشفرم**

قال أبو العويص:

وقـامـةُ ريـحـانٍ أنـيـقٍ نـبـاتُـهـا ... غذاها نميرُ الماءِ سقيا على قدرِ[1]
وفـاحَ بـنـشـرٍ ريـحِ الـشـمّ طـيـبٌ ... له نشواتُ المسك في سائر العطرِ
فـأصـبـح شـاهـاً لـلـريـاحـيـن كـلّـهـا ... وليس لها ما دام شيء من الأمرِ[2]

قال الزاهي في وصف الأوراق:

لــــهـــا ورقٌ كـــواواتٍ صِـــغـــار

● **ما يتطيرُ به مِنَ الرياحين**

قيل: في الياسمين يأس، وفي الخلاف خلاف، وفي النمام نميمة، والشقائق الشقاء، وفي البان البين[3]، وفي السفرجل سفر جل وفي السوسن السوء

قال العباس بن الأحنف:

أهــدى لــه أحــبــابُــه أتــرجــةً ... فبكى وأشفقَ من عيافةِ زاجرِ
مــتــطــيــرٌ لــمــا أتــتــه لأنــهــا ... لونان باطنُه خلافُ الظاهرِ

قال ابن الشاه

لا بـاركَ الله فـي الـنـمـام إنّ لـه ... اسماً قبيحاً من الأسماء مهجورا
لو لم ينمّ على العشاقِ سرَّهم ... ما كان فيهم بهذا الاسم مذكورا

● **البنفسج**

قال ابن المعتز:

أوائـلُ الـنّـارِ فـي أطـرافِ كـبـريـت

ولعبدان:

لـكـا لـيـاقـوتِ مـنـه الـنّـارُ لا بـل ... كـكـبـريـتٍ خـفـيّ الاشـتـعـالِ

قال السروي:

كـأنّـه خـضـر ديـبـاجٍ أحـاطَ بـه ... من لا زَوَرْد فصوصٌ ذاتُ لألاءِ

وقال التنوخي:

زنّـــهـــا بـــنـــفـــســـجٌ كـــأنّـــه ... فـيـروزجٌ قُـطّـعَ فـيـهـا أو خُـرِط

---

(١) الماء النمير: الماء الزاكي.

(٢) الشفرم: الريحان بالإعجمية، والشاهشفرم كما قال أصبح شاهاً للرياحين أي ملكاً للرياحين.

(٣) البان: شجر معتدل القوام، جمع بانة، ويشبّه به القدّ لطوله

● **الخودان**

قال بعضهم:

وكأنَّ الخودانَ فيها لآلٍ ... مشرقاتٌ نُظِمْنَ في عُنقودِ[1]

● **الخطميّ**[2]

قال الحسن بن محمد:

وقد أظهر الخطميّ نوراً كأنه ... صحافٌ من الياقوتِ فيها ذرائرُ

● **الزعفران**

قال الباذاني:

كأنّ صبايا الزعفران إذا بدَتْ ... نصالُ سهامٍ أفردَتْ لا تركبُ

وقال الباذاني الأصفهاني:

ورد يعظم والترابُ محلُّه ... وترى الكريمَ يعزُّ حين يهونُ

وقال محمد بن بحر:

هاكَ خذها عرائساً يتصدَّ ... ينَ صباحاً ويختفين مساءً

يتعلّقن عن صبا ثلاثٍ ... قد تعانقْن إلمةً وصفاء

وقال آخر:

كتخطيطِ المطرّزِ في الكمام ... بعلامٍ ثم لامٍ ثم لامِ

● **القطنُ النابتُ**

قال أبو العويص:

نشا عن ضمور واستدارة قالب ... مصارَ عريضاً ناتئ القصباتِ[3]

وأثمر تفاحاً بغير تمكّه ... طويلٌ على تفاحةِ الشجراتِ

نما وربا حتى تفتّقَ صلبُه ... بأربعِ فقراتٍ له حدباتِ

وإن نُرْ عنه شحمُه وسديفُه ... تزيدُ شدقُ المحل للنزواتِ[4]

شبيهٌ فمٍ لشاهينٍ ينقضُّ فاغراً ... لِيَلْهَمَ يعفوراً على وكراتِ[5]

---

(١) لآلٍ: مخفف لآلئ.

(٢) الخطمي: زهر من فصيلة الخبازيات، له ساق طويلة ـ الذرائر: جمع ذرارة وهي ما تناثر من الذريرة وهي من ضروب الطيوب.

(٣) نشا عن: أي نشأ عن بتخفيف الهمزة. (٤) السديف: شحم السنام.

(٥) الشاهين: طائر من الجوارح ـ فاغراً: من فغر فاه أي فتحه ـ اليعفور: الظبي الذي لونه كلون العفر أي التراب.

● **الكماة**

قال النبي ﷺ: الكماة بقية من المن وماؤها شفاء للعين. والعجوة من الجنة، وفيها شفاء من السحر والسمّ وأنشد **الأصمعي لرجل من بني بكر:**

وأشعثٍ قد ناولتُه أحرش القوي ... أدرت عليه المدجنات الهواضِب
تخطّاه القنّاصُ حتى وجدته ... وخرطومُه في نبْع الماءِ راسب

يعني بالأشعث فقيراً وبأحرش القوي كماة خشنة

قال الراعي:

بأرضٍ يبينُ النقْعُ فيها قناعة ... كما انتصّ شيخٌ من رفاعة أحلجُ[1]

● **اللبلاب**[2]

قال الواواء:

لبلابتي أحسنُ لبلابه ... قد حوّت الحسنَ وأسبابه
كأنها بالغُصنِ ملتفةً ... مستهيمٌ عانق أحبابه

● **الريباس**

قال المرادي:

ومكنونةٍ من بنات الثرى ... تجمّع من الساب حطائنها
تمدّ يداً برزت كفُّها ... بسحبو الزمرّدِ عنانها

● **الباقلاء**

قال كشاجم

تخالُ فيه النور جزعاً في سخبٍ ... أو بُلقِ طير وقفت على قُضُبٍ[3]

قال الصنوبري:

ونبات باقلاء يشبهُ وردُه ... بلقَ الحمام مُقيمةً أذنابَها[4]

وقال:

فصوصُ زمرّدٍ في غلف درّ ... بأقماعٍ حكَتْ تقليمَ ظُفرٍ[5]

وقال آخر:

زبرجدٌ ضمّن درّةً لبست ... حريرةً بطّنت بكافور[6]

---

(١) **الأحلج:** المنحسر شعره في جانبي رأسه.

(٢) **اللبلاب:** نبت يتعلّق على الشجر من فصيلة القرنيّات، أصفر الزهر

(٣) **السخب:** السحاب قلادة من قرنفل - **القضب:** الأغصان، جمع قضيب

(٤) **البلق:** البيض

(٥) و (٦) الزمرّد والزبرجد من الحجارة الثمينة

● **البطيخ**

قال بعضهم في وصفه: هو فاكهة وأدم وأشنان وحلواء وعند العدم قعب للمدام ويطل في الحمام.

قال كشاجم:

وزائر زارَ وقد تعطّرا ... أسرَّ شهداً وأذاعَ عنبرا[1]

ملتحفاً للضيفِ ثوباً أصفرا ... بطنه الناظرُ إن يقعرا

دبّ الوهيا بشمسه فانتشرا

وإذا أردت الشراء للبطيخ فخذ أثقله رأساً وأعظمها فلساً وأخشنها متناً

قال أبو طالب المأموني:

وحمراء حلناها أذاعت وأضمرت ... وقد غلّ سرديها جسامٌ وعندمُ

قراصةُ تبرٍ في صفائح فضةٍ ... تضمّنها حقّ من الجزع مبهمُ[2]

إذا قطّعت كانت سفائنَ لجّةٍ ... وإن لم تُقطّع فهي عِكمٍ محزمُ[3]

وله:

رياضةٌ مسكيّةٌ عسليّةٌ ... لها لونُ ديباجٍ وعرفُ مدامِ

● **وله في البطيخ الهندي**

ومبيضة فيها طرائقُ خضرةٍ ... كما اخضرّ مجرى السيل في صبب الحزنِ

كحقةِ عاجٍ صيغت بزبرجدٍ ... حوتْ قطع الياقوتِ في قطعِ القطنِ[4]

● **القثّاء**

قال الخوارزمي:

يا ربَّ قثّاءٍ بُرودِ المورِدِ ... دزّ الحشا زمرّد المجرّدِ

سخت الروس لصور المقلدِ ... مثلُ ذنابى ريش ديكٍ أعقدِ

قد التوى فوقَ الثرى الرطبِ النّدى ... كما تلوّى أسودٌ بأسودِ

ذي زغبٍ وفيه لينُ الأجرد ... كالخدِّ بين الملتحي والأمرد[5]

كأنّه في اللونِ والتأوّدِ ... صوالجٌ ركّبن من زبرجدِ

يكادُ للّين وللتّعقّد ... تجنيه ألحاظُ الفتى قبل اليدِ

ماء كطعمِ السكّر الطبرزد

---

(١) العنبر: ضرب من الطيب، والعبير الزعفران

(٢) القراضة: ما سقط بالقرض وقرض الشيء قطعه. (٤) الحقة: الوعاء الصغير.

(٣) العكم: ما شدّ من الثوب، أو الكارة أو العدل (٥) الأمرد: الشاب الذي طرّ شاربه ولم تنبت لحيته

● الباذنجان

وصفه بعضهم فقال: كرات أدم قمعت بكيمخت وحشيت بصغار الدرّ وسط لبن حليب وقمعت بنفسجا.

● الزرعُ والغَرسُ

قال النبي ﷺ: ما من رجل يغرس غرساً فيأكل من إنسان أو طائر أو بهيمة إلا كان له صدقة.

وقالت عائشة: التمسوا الرزق في خبايا الأرض.

وقال ابن الزبير: عليك بالزرع فإن العرب كانت تتمثل لذلك ببيت شعر:

تَتَبَّعْ خبايا الأرض وادع مليكَها | لعلَّك يوماً أن تُجاب فترزقا

وقال بعض البلغاء: أجود الزرع ما غلظت قصبته وعرضت ورقته، وأدهامت خضرته، وعظمت سنبلته، والتفّت نبتته.

وقيل لبعض الفلاسفة: ما بال الحشيش أنضر وأغض من الزرع؟ فقال لأن الحشيش ابن للأرض والأرض داية للزرع. وقيل: للزرع ألف آفة ليس فيها أعظم من جور السلطان.

وقال النبي ﷺ: إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن يقوم حتى يغرسها فليغرسها. وقال ابن عباس: المتوكل من بذر.

● البرّ[1]

قيل: أفضل نابت وأحب مأكول البر. وقال بعضهم: ما ظنك بشجرة فتنت آدم وحواء وأخرجتهما من الجنة إلى دار الكلفة والمهنة وعصيانهما للرحمن، وقال لهما إبليس: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا﴾ الآية.

● مفاضلة البرّ والتمر

قيل: غلة النخل الغنا وغلة البر الغنى. وقيل: البرّ خبز والتمر أدم والخبز أفضل من الأدم. وقيل البرُّ إذا أُكِل لا بد وأن يداس ويُذَرّى ويغربل ويعجن ويخمر، ثم لا يأكله بغير أدم إلا جائع، ومن أكله بغير طحن وخبز تولّد في بطنه الدود.

والتمر يؤكل من النخلة على أي نوع أردت، ثم منافعه لا تحصى. واختلف في البر والتمر إثنان عند محمد بن سليمان فقال: طالما اختلف في ذلك الأمم. وقال لابن داحة: اقض بينهما فقال لصاحب البرّ: خبرني أيهما أوجد في الجدب؟ قال: التمر. قال: فأيهما أبقى على الحرق؟ قال: النخل. قال: فأيهما الحرق أسرع إليه؟ قال السنبل. قال: أيهما أمنع من النار؟ قال: النخل. قال: أي الأرضين أعز؟ قال: أرض النخل. فقال سليمان: قد

---

(١) البرّ: القمح.

قضيت وفضلت النخل.

● الكرم

قال أبو نواس:

لنا هجمةٌ لا يدرأ الذئبُ سخلَها ... ولا راعَها زر العجالةِ والخَطَرْ[1]

إذا منحت ألوانها مالَ صفرها ... إلى الجوز إلا أن ألوانه خضُرْ

قال إبراهيم بن المهدي:

سلافةُ كرمٍ تظل السبعد ... ترفعُ منه عريشاً عريشا[2]

إذا أنت قابلته خلته ... مطارفَ خضرا كُسين النقوشا

قال الرفاء:

وشاحبةُ الظلالِ مقرطات ... ظروفُ الراحِ من زنجٍ ورومِ

قال أبو رافع الهروي:

كأن عناقيدَ العرائشِ فوقنا ... زنوجٌ وروم علّقوا بالحناجرِ

● مدح النخل

قال ابن المعتز:

ظلّت عناقيدُها بخزخر ملو ودق ... كما احتبى الزنجُ في خضرٍ من الورقِ

وقال النبي ﷺ: أكرموا النخل فإنها عمتكم. وقال: خلق آدم والنخلة والعنبة والرمانة من طينة واحدة. وقال: نعمت نعمة لكم النخلة تغرس في أرض خوّارة وتسقى من عين خرّارة.

وقال ابن دريد: سألت أعرابياً فقلت ما أموالكم؟ قال: النخل. فقلت: أين أنتم من غيره فقال: النخل سعفها صلاء وجذعها عماد وليفها رشاء وفروها إناء ورطبها غذاء.

وقال جعفر بن محمد: نعمت النعمة لكم النخلة، وعمرها كعمر الإنسان وتلقيحها كتلقيحه.

وقيل: خير أموال الناس أشبهها بهم. ووصف خالد بن صفوان لهشام النخل فقال: من الراسخات في الوحل المطعمات في المحل الملقحات بالفحل، تخرج أسفاطاً عظاماً وأوساطاً كأنها ملئت ريطاً[3] ثم تفتر عن قضبان اللجين مظومة باللؤلؤ المزين، فيصير ذهباً أحمر منظوماً بالزبرجد الأخضر، ثم يصير عسلاً في لحاء معلقاً في هواء ووصفها بعضهم فقال: شريعة العلوق سائحة العروق، صابرة على الجدوب، لا يخشى عليها عدو الذئب. وقيل: إن النخلة تقول للنخلة: أبعدي ظلك من ظلي، أحمل حملي وحملك. وقيل:

---

(١) السخل: الحمل. (٢) السلافة: الخمر. (٣) الرياط: الملاءة من قطعة واحدة.

الحرب الخفي أن تقرب النخلة من النحلة وهو كما قيل: الحرب الخفيّ إذكار الإبل. وقال بعض البصريين: النخلة تقتل نفسها سنة وصاحبها سنة لأنها تحمل سنة كثيراً وسنة قليلاً قال شاعر:

لنا على دجلةٍ نخلٌ منتحلٌ — نسلفه ماءً فيعطينا عسلْ
مسطرٌ على قوامٍ مختيلٍ — يُسقى بماءٍ وهو شيء في الأكلْ

وقال أحيحة بن الجلاح وكان قومه لاموه في ابتياعه النخيل.

يلومونني في اشتراءِ النخيلِ قو — مي وكلُّهم يعذلُ
تخشى المحبوب بأذنابها — ويجلبُ من صرعها من علْ
سمٍ لمسكم نافع — وطفلٌ لطفلكم يؤملُ
هي المالُ والظلُّ حق الظليـ — لِ والمنظر الأحسنُ الأجملُ

وقيل: سمّي النخل نخلاً لأنه متحل

- **ذمُّ النخل ووصفُ الرديءِ منه**

عاب أعرابي النحل فقال: صعبة المرتقى بعيدة الهوى، مهولة المجتنى، دقيقة السلاء، شديدة المؤونة، قليلة المعونة، خشنة المس، ضئيلة الظل

وأهدى رجل إلى جحظة[1] نخلة زعمها قرشية، فغرسها ولم يزل يعاهدها حتى حملت، فإذا هي دقلة فجاء الرجل فسأله عنها فقال: ما فعلت قرشيتك؟ فقال. هي قرشية من ولد زياد.

قال بعضهم في نخلة قطعت فجعلت جذوعاً

إلى الله أشكو هجمة هجرية — تحرمها مرّ السنين الغوابرِ[2]
فأضحت رذايا تحمل الطينَ بعدما — تكون غنى للمقترين المفاقر

- **خرص[3] النخل والكرم**

كان لخثعمة البكاري نخيل فجاء خارص، يخرص عليه فأخذ فأساً وجعل يضرب أصولها، ويقول أقطعها فاستريح، فقال عريفه أكمف فليس عليك إلا الحق فقال

لئن كان هذا الخرصُ فيكن دائب — فأبعدكنّ الله من نخلات
أفي كل عامٍ خارصٌ غيرُ عادلٍ — تصعّدُ من أفعاله زفراتي

---

(١) جحظة: شاعر عباسي مرّ ذكره سابقاً. (٢) السنين الغوابر: السنين الماضية
(٣) الخرص: جريدة النخل

● **شجر التفاح المثمر**

قال أبو العلاء السروي

واشجار من التفاح زهر ... ثقلن بحمله ثِقلاً وبيدا

تظلّ الريحُ تنشرُها عليْنا ... فنلقطُها ونحسبُها خدودا

● **نفع التفاح وحسنه**

روي أن أرسطاطاليس حضرته الوفاة فاستدعى ثلاثة من تلامذته، فعجز عن مناظرتهم، فاستدعى تفاحة اعتصم بها وبرائحتها ريثما قضى وطره.

وقال أبقراط. الحمرة في التفاح صديقة الجسم وريحه صديقة الروح

وذكر التفاح بحضرة المأمون **فقال**: في التفاح الصفرة الدريئة والحمرة الذهبية وبياض الفضة ونور القمر تلذها من الحواس ثلاثة العين بلونها والأنف بشمّها والفم بطعمها وفي وصف احمراره قيل:

خدودُ ملاحٍ كيّدها لومُ لائمِ

وقيل

خدودُ عذارى قد جمعن على طبَق

قال أبو نواس:

الخمرُ تفاحٌ جرى ذائباً ... كذلك التفاح خمرٌ جمد

فاشرب على جامدٍ ذا ذوب ذا ... ولا تدَع فرصةَ يومٍ لغَد

وقال الرفاء:

لو جمدت راحُنا اغتدتْ ذهباً ... أو ذاب تفاحُنا غدا راحا[1]

وقال المأمون: لو أن التفاح ينحلّ لكن قرحاً، ولو تجسّم قرحٌ غداً تفاحاً.

● **التفاحة المهداة**

وقال ابن المعتز:

تفاحةٌ معضوضةٌ ... صارتْ رسولَ القُبَل

وقال أبو عفان:

تفاحةٌ من عندِ تفاحةٍ ... بالمسك والعنبرِ نفّاحه[2]

أخذتُها من كفّ ظبيٍ وقد ... كانتْ إليه النفسُ مرتاحه

ما مسّها طيبٌ ولكنّها ... باشرَها بالكفّ والراحه

---

(١) الراح: الخمر.

(٢) نفاحة. مبالغة من نفح، أي شديدة الانتشار.

وقال:

أهدى لنا التفاحَ من كفِّه ... يا ليتَه أهداهُ من خدِّه

• معاتبةٌ من أكلَ التفاح

نظر بعض الفتيان إلى آخر وقد أقبل على أكل التفاح في بعض المجالس فقال:

يا ذا الذي يأكلُ التفاحَ من شرَه ... رِفقاً فقدتك يا حتفَ التحيّات

وقال أبو إسحاق بن العباس:

إن الذي يأكلُ تفاحة ... لمُستخِفٌ بمهاديها

وقال الخبزارزي في الاعتذار لأكلها:

أكلتِ تفاحة فعاتبني ... مَن رآها كخدِّ معشوقهِ

فقال خدَّ الحبيب تأكلُه ... فقلت: لا، بل أمصّ مِنْ ريقِه

وقال رجل لآخر أكل تفاحة حيّاه بها: أتأكل التحيّات فقال: والمباركات والطيّبات

• اختلاف الأمكنة في إدراك الأصناف بصنعاء

تدرك الحنطة بصنعاء مرتين، والشعير والذرة ثلاث مرات وأربعاً، والعنب دفعتين وعندهم نحو سبعين لوناً عنباً. ويدرك الموز كل أربعين يوماً وعندهم قصب سكر، وباقلاء ولوز وتين ورمان وسفرجل.

• تعانق الأشجار

قال بعضهم:

كأنّ فروعها في كل ريحٍ ... جوارٍ بالذوائب ينتصينا[1]

وقال أبو محلم:

نشاوى تثنيها الرياحُ فتنثني ... ويلتثمُ بعضٌ بعضَها ثم يرجعُ

وقال سعيد بن حميد:

وترى الغصونَ إذ الرياحُ تنفّست ... ملتفّةً كتعانُقِ الأحبابِ

وقال التنوخي:

عذارى تباثثنَ الحديثَ المكتما[2]

وقال آخر:

فكأنّما يَنوي التعا ... نُقَ ثم يدركهُ الخجَلُ

---

(١) الفروع: الأغصان المتفرعة ـ الذوائب: جمع ذؤابة وهي ضفيرة الشعر.

(٢) بث الحديث: أذاعه ونشره ـ الحديث المكتم: المكتوم أي غير المذاع.

● ارتجاسُ الريحِ في الشجر

قال التنوخي:

كأنّ ارتجاسَ الريحِ في جنباتِه إذاعةُ شكوى أو مرازُ تعاتُبِ

وقال عبدان:

أنّ رقارقَ الأرواحِ فيه نشيشُ ملهوجاتٍ في المقالِ[1]

● السروُ[2]

كان بعضهم يعض السرو ويقول كأنه نساء لابسات حداداً. وكان يقول. كأن السرو ذنب عرس.

خرج عبد الله بن طاهر فقال له رجل قد جئتك ببشارة، قد صدق الله قولك حيث تقول:

أيا سروتَيْ بستانِ زكي سلمتما ومن لكما أن تسلما بضمانِ

أيا سروتَيْ بستانِ زكي سلمتما وعالَ حبيبي عائلُ الحدثانِ

فقد سقطت إحداهما فقال له عبد الله: ألم يكن بالرقة حتى تشملك؟ وأمر له بخمسة آلاف درهم، وقال. أخشى أن لا أحقق ظنك

● نورُ شجرِ الخلاف

قال أبو حاتم الورّاق.

كأنّ نورَ شجرِ الخلافِ أكفُّ سِنَّوْرٍ بلا خلافِ

مردودةُ البرنسِ في السِّلافِ

● ضروبٌ من الأشجار

أشجار اللبان لا تورق بل تحمل أغصانها الكندر أطول الشجر عمراً. شجر الزيتون فإنه يقال إنه يبقى ثلاثة آلاف سنة وكل زيتونة بفلسطين فمن غرس اليونانيين، وكانوا قبل الروم

والبقم ينبت من غير أن يغرس، والساج تتصاعد في الهواء ملساء مستوية لا تخرج أغصاناً، وغاية طول الشجر مائة وعشرون ذراعاً وأوراقها عراض في رأس الشجرة كل ورقة تقطع لرجل سراويل.

وأشجار الكافور طوال ولها أغصان وعلى رأسها ورق مثل الترس وفي نفس الشجر

---

(١) النشيش: صوت الماء وغيره إذا غلى.

(٢) السرو: أي شجر السرو، وهو من فصيلة الصنوبريات

عقد، فإذا أراد الرجل الكافور عمد إلى فهر فيعلوها به فيضربها، فإذا أحس بها أنها قد لججرت، عمد إلى حبل فقلع الشجرة وتناثر الكافور الرياحي منها، فيجتمع في كل شجرة نحو ثلاثين منها وأما ماء الكافور فإنه يعمد إلى الأشجار التي لم تعقر فيضرب بالقدوم مواضع العقد، ثم تؤخذ قلّة وتشد على وقع القدوم فيسيل ماء الكافور من تلك الضربة ويجتمع في تلك القلّة.

وبالزنج القرنفل ومشتريه يأتي بالدنانير فيضعها على ساحل البحر وينصرف إلى منزله فإذا أصبح عاد إليه، فيجد هناك القرنفل وتكون الدنانير قد حملت. وبها الخيزران ويقال إنه خيزرانه يبلغ طولها تحت الأرض ست فراسخ.

ولبعضهم في العوسج[1]:

عـذرنـا الـنـخـلَ فـي إبـداءِ شـوكٍ	يـذود بـه الأنـامـلَ عـن جـنـاهْ[2]
فـمـا لـلـعـوسـج الـمـلـعـون أبـدى	لـنـا شـوكـاً بـلا ثـمـرٍ نـراهْ
تـراهُ ظـنّ فـيـه جـنـى كـريـمـاً	فـأبـدى عـدةً تـحـمـي جـنـاهْ
فـلا يـتـسـلـطـن لـدفـع كـف	كـمـا لـوم مـجـنـاه كـمـاةْ

(٤)
وممّا جاء في الأمكنة والأبنية

● **مكّة**

قال الله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾[3] وهي حرم إلى يوم القيامة. وأيّ ناحية من الكعبة يصيبها المطر فالخصب في تلك السنة في تلك الناحية. ومن علا الكعبة من العبيد فهو حرّ، وإن الذئب لا يصيد بها الظباء. وإن الطير لا يعلو الكعبة إلا وهو عليل، وإذا طار فانتهى إلى الكعبة افترق فرقتين. وشأن الفيل معروف.

● **المَدينة**

تسمى طيبة فإنّ من دخلها وأقام وجد من تربتها وحيطانها رائحة ليس لها اسم في الأراييح، وأنواع الطيب تزداد بها طيباً وقال ﷺ: إن إبراهيم عليه السلام حرّم مكة وأنا حرمت ما بين لابتي[4] المدينة. ونهى أن يعضد شجرها، وقال: لا يدخلها الطاعون ولا الدجال، ولا يكون بها مجذوم قطّ. وقال: اللهمّ حبّب إلينا المدينة كحبّنا مكة وأشدّ

---

(١) العوسج: جنس شجر أغصانه شائكة.
(٢) يذود عن جناه: يدافع عن ثماره.
(٣) القرآن الكريم: العنكبوت/ ٦٧.
(٤) بين لابتي المدينة: اللابة الحرّة من الأرض.

وبارك لنا في صاعها ومدّها، وانقل حماها واجعلها بالجحفة.

● مِصْر

لم يذكر الله تعالى شيئاً من البلدان باسمه سوى مصر، وذكرها في مواضع بالكناية فقال. وقال نسوة في المدينة وقال: فلن أبرح الأرض يعني مصر. وسئل بعضهم عن مصر فقال: عيش رخي وموت وحي

● الكُوفَة

قال ابن عباس: لو كانت البصرة أمة لكوفة مصلّت ما طلبت رغبة عنها.

وقال كوفي لبصري: أتمدّون أرجلكم مع أهل الكوفة، ولقد كانوا يقرؤون بقراءة أسلاف الحرميين. فجاء حمزة الزيات من الكوفة فقرأ بلغة لا تعرفها العرب فتتابع الناس على قراءته حتى سكان دور الحمراء.

وكانت القضاة والفقهاء على أحكام سلفهم، حتى جاء أبو حنيفة فتتابع كل الناس على رأيه.

● البَصْرة

قال الأحنف: نحن أعذب منكم برية وأكثر بحرية وأبعد سرية. وقال خالد بن صفوان: نحن أكثر منكم ساجاً وعاجاً وديباجاً وخراجاً ونهراً عجاجاً، وقال: مياهها قصب وأنهارها عجب وسماؤها رطب وأرضها ذهب، وتبقى النخلة بالبصرة مائة وعشرين سنة وتبقى كأنها قدح وما تطول نخلة بالبصرة إلا أعوجت، وقيل: تمثلت الدنيا على مثال طائر فمصر والبصرة جناحاها

● وصفُ جماعةٍ من البلدان

قال الحجاج لابن القرية: صف لي البصرة، قال: حرّها شديد وشرها عتيد. مأوى كل تاجر وطريق كل عابر. قال: فواسط، قال: جنة بين حمأة وكمأة[1] قال: فالكوفة، قال: نقصت عن حر البحرين وسفلت عن برد الشأم فطاب ليلها وكثر خيرها. قال: فالشأم، قال عروس بين نسوة جلوس أطوع الناس للمخلوق في معصية الخالق.

قال: فخراسان، قال: ماؤها جامد وعدوّها جاهد، بأسهم شديد وحزمهم عتيد. قال فكرمان، قال: ماؤها وشل[2] وتمرها دقل[3] وعدوها بطل. إن قلّ الجيش بها ضاعوا وإن كثر جاعوا.

قال: فأصبهان قال في خاصرة من الأرض زائغة[4] من الطريق الأعظم قال:

---

(١) الكمأة والكمء: جنس فطر يعيش تحت الأرض، يميل لونه إلى الغبرة.

(٢) ماء وشل: أي قليل. (٣) تمرٌ دقل: الدقل أردأ التمر.

(٤) زائغة: منحرفة.

وأحسن الأرض مخلوقة الري، وأحسن الأرض مصنوعة جرجان[1]، وأحسن الأرض قديمة وحديثة جندي سابور[2] وهو شر البلاد

ودخل محمد بن عبد الملك الزيات على المأمون فقال: صف لي أصبهان وأوجز. قال: هواؤها طيب وماؤها عذب وحشيشها الزعفران، وجبالها العسل، إلا إنها لا تخلو من خلال أربع: جور السلطان، وغلاء الأسعار، وقلة مياه الأمطار مأطرق ساعة، وقال. لعلّ تجارها مرابون وقُراءها منافقون

وقال المأمون. صف لي فارساً قال فيه من كل بلد بلد

وسئل أعرابي عن شهرزور[3] فقال: إن رجلها لتزق وعقاربها لـرق أي شائلة أذنابها.

وقال في بغداد: هي الشمطاء الحرقة والعجوز المتدللة والعمياء المتكحلة، والشملاء المحتصنة هواؤها دخان وسيمها صدام تنقبض فيها أيدي المستغين، وتصعر أنفس المعصلين. تجارها أسد مفترسون وصناعها لصوص مختلسون جارها حاسد ومراجها فاسد.

- **مضارّ البُلدانِ ومنافعُها**

حير يحمّ بها كل يوم مقيموها دون الطارئين عليه

ولكنّ قومي أصبحُوا مثل حيبر يسهـا داؤهـا ولا يـصـرُّ الأعـاديـا

وقيل حمى حيبر، وطحال البحرين، ودماميل الجزيرة، وطاعون الشام ومن أقام بالأهواز حولاً تفقد عقله وجد فيه نقصاً بيناً، ومن أكثر الصوم بمصيصة[4] خيف عليه الجنون

وقصبة الأهواز تقلب من نزلها إلى طبائع أهلها، ومحمومها إذا نزعت عنه الحمى عادته من غير علة. وفي جبالها الأفاعي وفي بيوتها الجرارات.

وقيل من نزل الكوفة ولم يقرّ لهم بثلاث فليست له بدار فضل أمير المؤمنين وماء الفرات ورطب المشان ومن نزل البصرة ولم يقر لهم بثلاث فليست له بدار فضل عثمان والحسن ورطب السكر.

وقال حكيم بن جابر: قال الجوع أنا لا حق بأرض العرب قالت الصحة وأنا معك

- **عجائبُ البُلْدانِ**

بشيراز تفاحة نصفها في غاية الحلاوة ونصفها في غاية الحموضة. وبقرب

---

(1) جرجان: مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان، أخرجت العديد من الأدباء والعلماء (انظر معجم البلدان: ٢/ ١٣٩).

(2) جندي سابور: مدينة بخوزستان بناها سابور بن أردشير فنسبت إليه (انظر معجم البلدان: ٢/ ١٩٨)

(3) شهرزور: كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان (معجم البلدان لياقوت ٣/ ٤٢٥).

(4) مصيصة مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم، على مقربة من طرسوس

قرميسين[1] قرية يقال لها كركان[2] من أخذ من طينها ليلة الميلاد، وطيّن به داره وبيته أمن العوائل إلى قابل.

وفي بعض جزائر الصين حيّات تبتلع الإبل والبقر، وقردة كالحمير وبمصر حجر من يمسكه في يده يتقايأ ما دام في يده. والسفن حجر يطفو على الماء والأبنوس والشير يرسبان فيه والمغناطيس حجر يجذب الحديد، وإذا مسح بالثوم لم يجذب.

وبالأندلس السفلى وبالهند نار تشتعل في حجارة ولو رام أن يحمل منها شعلة لم تتقد وبمدينة ختن من حدود الصين، طواحين كثيرة يدور الحجر الأسفل والذي فوقه قائم لا يتحرك. وباذربيجان[3] واد لا يقدر أحد أن ينظر إليه.

● أرضُ العَرَبِ

قيل: إن نجداً من العذيب إلى ذات عرق وإلى اليمامة وإلى اليمن وإلى جبلَيْ طيء، ومن ظهر البصرة وهو المربد إلى وجرة. وذات عرق أول تهامة[4] إلى البحر وإلى جدّة. وإن المدينة لا تهاميّة ولا نجديّة، فإنها حجاز فوق الغور ودون نجد. وأنها جلس لارتفاعها عن الغور ونجد

وقيل القرى العربية مكة والمدينة والطائف واليمامة، فأما البحرين فهو خلط فيه عرب وعجم

● حدّ السّوداد

من لدن الموصل[5] ماراً إلى ساحل البحر ببلاد عبادان من شرقي دجلة. هذا طوله وأما عرضه فحدّه منقطع الجبل، من أرض حاران إلى منتهى طرف القادسية المتصل بالعذيب من أرض العرب، وعليه وقع الخراج والمساحة

● الأبنيةُ المحْكَمةُ

من ذلك الخورنق بناه سنمار لكسرى على فرات الكوفة، فلما صعده كسرى أعجب منه وخاف أن يبني لغيره مثله فقتله. وقيل: إنما قتله لقوله أعرف في أركانه موضع حجر إن نقصته تداعى هذا البناء كله. ومن ذلك مارد والأبلق لمرد، وفي المثل تمرد مارد وعز الأبلق

وغمدان باليمن من أعجب ما بنى الملوك أربعة عشر غرفة بعضها فوق بعض، فهدم الحبشة بعضها وهدم عثمان بعضها، كما هدم آطام المدينة والمشقر وقصر سنداد بالكوفة وفيه يقول الأسود:

ماذا أؤمِّلُ بعدَ آلِ محرِّقٍ ... تركوا منازلَهم وآلَ إيادِ

---

(1) قرميسين: بلد معروف على مسافة من همدان. (2) كركان: قرية بفارس (معجم البلدان ٤/ ٥١٣)

(3) أذربيجان: إقليم واسع غربي أرمينية

(4) تهامة: السهل الساحلي الضيّق الممتد من شبه جزيرة سيناء إلى أطراف اليمن.

(5) الموصل: مدينة مشهورة تصل بين دجلة والفرات تقع على طرف دجلة وفي مقابلها خرائب نينوى.

أهل الخَوَرْنقِ والسَّدير وبَارقٍ		والقصرِ ذي الشرفاتِ من سِندادِ

وبناء الإسكندرية وقد ذكره النابغة في قوله:

وخيِّسِ الجنَّ إنّي قد أذنتُ لهُم		يبنونَ تدمرَ بالصفَّاح والعَمَدِ

وكان المنصور تقدّم بهدم إيوان كسرى، وحمل نقضه إلى مدينة السلام. فقال له خالد: لا تهدم بناء دلّ على فخامة قدر بانيه الذي غلبته وأخذت ملكه، فتعجز عنه فيدلّ ذلك على عجز منك، فقال: هذا الميل منك إلى المجوس، وأمر بهدمه فعجز عنه، فقال: يا خالد صرنا إلى رأيك، فقال: الآن أشير أن لا تكفّ عنه. فإن الهدم أيسر من البناء. ويتحدث الناس أنك عجزت عن هدم بناء بناه عدوّك.

وقال المأمون لما سمع هذا: قد حبّب إليّ هذا الخبر، أن لا أبني بناء يعجز عن هدمه.

والهَرَمان قيل كل هرم سمكه أربعمائة في الهواء مبنية بحجارة المرمر والرخام، وغلظ كل حجر وطوله ما بين عشرة أذرع إلى ثمان أذرع، مهندم لا يستبين مثاده إلا حادّ البصر، عليها منقور كل عجب من الطب والطلاسم ومكتوب عليه: إني بنيتها فمن ادّعى قوة في ملكه فليهدمها، والهدم أيسر من البناء. وأراد بعض الخلفاء هدمها فإذا خراج مصر لا يقوم به فتركها.

وفي الخبر أن الإسكندرية بقيت مدة لا يدخلها أحد إلا على بصره خرقة سوداء من بياض جصّها وبلاطها، وقيل بنيت في ثلاثمائة سنة، وكان فيها ستمائة ألف من اليهود خولاً لأهلها.

● اختيارُ بلدٍ دونَ بلَد

قيل: لا تقيموا ببلد ليس فيها نهرٌ جارٍ وسوقٌ قائمة وقاضٍ عدل. وقيل: لا تبنى المدن إلا على الماء والمرعى والخصب.

● مدحُ الدورِ الواسعة

مر النبيّ ﷺ ببناء يبنى، فقال: أوسعوه. وقيل: خير المنازل ما سافر فيه البصر وأترع فيه البدن. وقال يحيى بن خالد لابنه جعفر: تريد أن تبني دارك فاعلم أنّ عمرانها عمران قليل وخرابها خراب قليل، فاستوسع فإن الهمّة مع السعة. وقال: دارك قميصك فإن شئت وسّعتها وإن شئت ضيّقتها.

وسئل بعضهم ما الغنى؟ فقال: سعة البيوت ودوام القوت. وقيل لآخر: ما السرور؟ فقال: دار قوراء[1] وامرأة حسناء، ويسار مع طول البقاء.

---

(١) الدار القوراء: الواسعة.

● ذمّ الدور الواسعة

دخل بعض الناس على كبير يبني داراً واسعة، كبيرة الذرع واسعة الصحن رفيعة السمك عظيمة الأبواب، فقال: أعلم أنك أبرمت بنفسك مؤنة وعيالاً يقلّ حمل مثلهم ولا بدّ لك من الخدم والستور على حسب ما ابتنيته فقد حملت نفسك عناء معنياً.

● ذمّ الدور الضيقة

وصف رجل داراً ضيقة فقال: أضيق من أفحوص[1] القطاة، وأضيق من بياض الميم ومن خرق الإبرة ومن عقد تسعين ومن مبعج الضبّ. وقيل شؤم الدار أن تكون ضيقة فيكثر سخط مالكها ولا يرضى بما قسم له فيها. وشؤم الدابة أن لا تكون فارهة، وشؤم المرأة أن لا تكون موافقة.

قال ابن المعتز:

ولكنها في دار سوء كأنها	بقية ناوس على ساحل البحر[2]

وقال ابن الحجّاج

في منزلٍ غمر الو	قت أهله بالرخاء
وقدّم الحساء حشي	بصخ معنى الهجاء
حالٍ على كلّ حالٍ	من سائر الأشياء
سوى كنوزٍ بطلبوبٍ	مكنورة في الخلاء
أخاف فيه وأخشى	من لا يخاف هجائي
ومن ضراطي وشعري	في وجهه بالسواء
جزاهم الله علي	تصحيف معنى الهجاء

● الحثّ على إحكام البناء

لما بلغ عمر رضي الله عنه أن سعداً وأصحابه بنوا بالمدر كتب إليهم قد كنت أكره إليكم البنيان بالمدر أما إذا فعلتم فعرضوا الحيطان وأطيلوا السمك وقاربوا بين الخشب.

ولمّا بنى معاوية رضي الله عنه داره باللبن دخلها الروم فقالوا: ما أجودها للعصافير فهدمها وبناها بالحجر وقال يحيى البرمكي: ينبغي للإنسان أن يتنوق في دهليزه فهو وجه الدار ومنزل الضيف ومجلس الصديق إلى أن يؤذن له.

● الدّارُ الحَسَنة

دخل المعتصم على خاقان في داره عائداً له، والفتح[3] يومئذ غلام فقال له: يا فتح

---

(١) الأفحوص: الموضع الذي تفحص فيه القطاة التراب لتبيض فيه

(٢) ناوس: أي الناووس وهو حجر منقور توضع داخله جثة الميت

(٣) الفتح: يريد الفتح بن خاقان الذي أصبح وزير المتوكل، وهو تركي الأصل.

دارنا أحسن أم داركم؟ قال دارنا ما دام أمير المؤمنين فيها.

وقال جعفر بن سليمان ليس في الدنيا أحسن من داري قيل كيف؟ قال: لأن العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق والمربد عين البصرة وداري عين المربد.

وقيل لأبي الدهمان أين دارك؟ فقال إذ دخلت سكة بني العنبر، فالدار التي تدل على شرف أهلها هي داري. وقيل أجود الدور وأكثرها غلة ثلاثة دار البطيخ بسرّ من رأى[1]، ودار الزبير بالبصرة، ودار القطن ببغداد.

قال شاعر:

منزلٌ فيه كلُّ ما صنعت ... للعينِ إليه من بهجةٍ وضياءِ

وقال رجاء بن الوليد:

كأنَّ الربيعَ بالزخارفِ أرضَه ... وحسنَ السماءِ بالكواكبِ سقفَهُ

وصف بعضهم دهليزاً فقال

ودهليزِ دارٍ فيه للحُسْنِ بهجةٌ ... وللمتنفسِ فيه لِلَذاذةِ أوطارُ

إذا دخلَ لم يختبر ما وراءَه ... توهمَه من طيبِهِ أنه الدارُ

وقال عبدان:

دهاليزُنا ضاقتْ لخوفِ نزولِهم ... كأنا يهودٌ مدخلُ البابِ سجّدا

● القصورُ الرفيعة

لما بنى عيسى بن جعفر بناءه بالبصرة، دخل إليه عبدُ الصمد فقال بيت أجلُّ بناء بأطيب فناء، وأوسع فضاء على أحسن ماء بين صرار ورعاء وحيتان وظباء، فقال عيسى: كلامك أحسن من بنائنا البحتري في الجعفرية:

مخضرةٌ والغيثُ ليسَ بساكبٍ ... مبيضةٌ والليلُ ليس بمقمرِ

أربى على هممِ الملوكِ وغضَّ من ... بنيانِ كِسْرى في الزمانِ وقيصَرِ[2]

عالٍ على لحظِ العيونِ كأنما ... ينظرْنَ منه إلى بياضِ المشتري[3]

ملأت جوانبُه الفضاءَ وعانقتْ ... شرفاتُه قطعَ السحابِ الممطرِ

وقال ابن عيينة

فيا حسنَ ذاك القصرِ من متنزهٍ ... بأفيحَ سهلٍ غيرِ وعرٍ ولا ضنكِ[4]

---

(١) سرّ من رأى: هي بلدة السامراء في العراق، بناها العباسيون سنة (٨٣٦م)، على مسافة ١٠٠ كيلو متر شمالي بغداد.

(٢) أربى: زاد ـ غضّ منه: قلّل من شأنه ـ كسرى: من ملوك الفرس ـ قيصر: ملك الروم.

(٣) المشتري: كوكب يتفاءل به، بخلاف المريخ الذي يتشاءم باسمه.

(٤) ضنك: ضيق.

بغرسٍ كأبكارِ الجواري وتربةٍ ... كأن ثراها ماءُ وردٍ على مِسْكِ
كأنّ قصورَ القومِ ينظرْن حولَه ... إلى ملكٍ مترفٍ على منبر المُلكِ
يدلّ عليها مستطيلاً بحسنه ... ويضحكُ منها وهي مطرقةٌ تبكي

وقال الأشعري في قلعة افتحها المسلمون بخراسان:

محلّقةٌ دونَ السماءِ كأنّها ... عمامةُ صيفٍ زالَ عنها سحابُها
فما يلحقُ الأروى شماريخَها الذرى ... ولا الطيرِ لا نسرُها وعقابُها[1]
فما روعت بالذئبِ ولدانُ أهلِها ... ولا نبحت إلا النجوم كلابُها

وقال أحد الخالديين:

وخرقاء قد تاهتْ على مَنْ يرومُها ... لمرقبِها العالي وجانبِها الصعبِ
يزرّ عليها الجوُّ جيبَ غمامةٍ ... ويلبسُها عِقداً بأنجمِهِ الشهْبِ

● اختيارُ طرفِ البلدِ ووسطِهِ

قيل: الأطراف للأشراف وقيل لرجل: في أيّ موضع من القرآن الأشراف في الأطراف؟ قال: في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾[2] فهذا أشرفهم وكان أقصى المدينة وطرفها.

وسأل الرشيد عبد الملك بن صالح عن منزله أهو لك؟ فقال: هو لك ولي بك. قال: كيف هواؤه وماؤه؟ قال: أطيبُ هواء وأعذب ماء. قال: كيف ليله؟ قال: سحر كلّه.

● أبنيةٌ متفاوتة

استدان بعض الحمقاء خمسمائة درهم وأنفقها على مخرنه، فبلغ ذلك بعض إخوانه، فقال: ليت شعري ما يريد أن يخرأ فيه؟ وسأل رجل آخر: كم بيت في منزله؟ فقال صفة وكنيفان. فقال: هذا تقطيع رجل مبطون.

● من بَنى بناءً نفعُه لغيره

لما بنى الحجاج مدينة واسط قال لابن جامع: كيف ترى؟ قال: بنيته في غير بلدك وورثته لغير ولدك.

قال شاعر:

ألم ترَ حوشباً أضحى ويبني ... بناءً نفعُه لبني نفيلَه
يؤمّل أن يعمّر عمرَ نوحٍ ... وأمرُ اللهِ يأتي كلَّ ليلَه

---

(١) العقاب: من الطيور الجارحة.

(٢) القرآن الكريم: القصص/ ٢٠.

وقال:

لِدُوا لِلمَوْتِ وابْنُوا لِلخَرابِ ... فكُلُّكُم يَصيرُ إلى التُرابِ[1]

وبنى أزدشير[2] بناء عظيماً فدخله هو ووزيره، فقال: هل فيه عيب؟ قال: عيب عظيم لا يمكنك إصلاحه. لك منه خروج لا دخول بعده، أو دخول لا خروج بعده. فقال: لقد نغّصته عليّ.

ودخل ابن السائب القاضي على المتقي وقد بنى داره، فقال له: كيف ترى؟ فقال: تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً.

● **الرغبةُ عن البناء**

قيل ليزيد بن المهلب: مالك لا تبني بالبصرة داراً؟ فقال: أنا لا أدخلها إلا أميراً أو أسيراً، فإن كنت أسيراً فالسجن داري، وإن كنت أميراً فدار الإمارة داري.

ومرّ رجل من الخوارج على دار تبنى، فقال: من هذا الذي يقيم كفيلاً؟ وقيل: كل مال لا ينتقل بانتقالك فهو كفيل. ولما بنى مروان داره قيل لأبي هريرة: كيف ترى؟ فقال: بناء شديد وأمل بعيد وعيش زهيد.

● **حرصُ الإنسان على البناء وذمُّ الاشتغال به**

قيل: خلق الله ابن آدم من تراب فهمّته في عمر التراب، وخلقت المرأة من ضلع الرجل فهمّها في الرجل. وقيل: ليس في الأرض خولاه ولا محيل ابتاع داراً إلا هدم هذا وبنى هذا وإن قلّ.

ونظر الحسن إلى قصور لبعض المهالبة فقال: يا عجباً رفعوا الطين وركبوا البراذين[3] واتخذوا البساتين وتشبهوا بالدهاقين، عذرهم في عمرتهم حتى حين.

ومر عبد الله بن جعفر بعبد الله بن صفوان فأدخله بساتين اتخذها وقال له: كيف ترى؟ قال: أراك خالفت ما قال لك إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾[4]، وأنت قد اتخذتها بساتين.

● **المعتبر بأن شرفه بناؤه**

هجا بعضهم بني عميرة وكان لهم دار شريفة في الدور الشارعة على المسجد فقال:

بنو عميرٍ مجدُهُمُ دارُهُم ... وكلُّ قومٍ لهُمْ مجدُ

---

(١) إلى التراب: وفي رواية إلى يباب. (٢) أزدشير: من ملوك الفرس.
(٣) البراذين: جمع برذون وهو دابة الحمل الثقيلة، والتركي من الخيل.
(٤) القرآن الكريم: إبراهيم/ ٣٧

كـأنـهـم فـقـع بـدويـة ... لـيـس لـهـم قـبـلُ ولا بـعـدُ

وهجا بعضهم بني عدي فقال:

لـيـسَ لـهـم مـجـدٌ سـوى مـسـجـدٍ ... سـه تـعـدوا فـوق أطـوارهـم

لـو هُـدِمَ الـمـسـجـدُ لـم يُـعْـرَفـو ... يـوم ولـم يُـسْـمَـعْ بـأخـبـارِهـم

وقال عمر الخارق:

قـد رأيـنـا حـسـنَ سـا ... طـك والـدارَ الـجـلـيـلـه

وعـلـمـنـا أنّ فـيـهـا ... كـلّ مـا يـكـفـي قـبـيـلـه

غـيـرَ أنّ الـجـنّ لا تـخـين ... فـي حـرك حـيـلـه

وقال

يـا مـنْ تـشـرّفَ بـالـبُـنـيـان يـرفـعـهُ ... ليس التشرّفُ رفعَ الطين بالطّينِ

إذا أردتَ شـريـفَ الـنّـاس كـلّـهـم ... فانظر إلى ملكٍ في زيّ مسكينِ

وقال مسكويه

لا يـعـجـبـنّـك حـسـنُ الـقـصـرِ تـنـزلُـه ... فضيلةُ الشمسِ ليسَتْ من منازلها

● الجار

قيل: الجار قبل الدار، والرفيق قبل الطريق. وكان ابن المقفع بجنب داره دار، وكان يسامها[1] وصاحبها يمتنع من بيعها، فاتفق أن ركب صاحب الدار دين واحتاج إلى بيعها فعرضت عليه. فقال: ما قمت إذاً بحرمة الجوار إن رغبت من ابتياعها بعد أن باعها معدوماً. وحمل إليه ثمن الدار وقال: اقض دينك عليك ورد هذا على دينك.

وساوموا جاراً لفيروز على داره بثمن فقال: هذا ثمن الدار فأين ثمن الجوار؟ قالوا: وهل يباع الجوار؟ قال: نعم لا أبيعه إلا بأضعافه دراهم فبلغ فيروز فأرسل إليه بثمن الدار.

● هدمُ دورِ السلاطين المتقدّمة

قيل لابن الزبير: أهدم دور بني أمية. قال: لا أفعل إن ظفرت بهم فهي منية أفعص وإن عطفت عليهم بأرحامهم فهو أجمل. فلما قتل ابن الزبير لم تمس لهم لبنة ولما همّ أهل البصرة بهدم دار زياد واتنهاب أهلها، قال الحسن رضي الله عنه: قلّ بلدة خربت الدار التي بنيت عليها إلا خربت وإن البصرة بنيت على دار زياد، فانتهوا عن ذلك.

● بيعُ الدار وابتياعُها

قيل: لتكن الدار أول الشيء الذي يبتاع وآخر ما يباع. وقيل للأحنف: أي المال أبقى وأوفى؟ فقال: المساكن والأرضون.

---

(١) استام يستام فلاناً السلعة: سأله تعيين ثمنها

وقال ﷺ: من باع داراً أو عقراً فلم يرد ثمنهما في مثلها، كان كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف. وفي حديث آخر: فذلك مال جدير أن لا يبارك فيه. وباع رجل داراً فلما أراد أخذ الثمن وأشهد، قال البائع: أما أنك قد أخذتها غليظة المؤنة قليلة المعونة، فقال المشتري: أما أنك قد أخذتها سريعة الذهاب بطيئة الاجتماع

● ذكرُ غلّةِ الدار

قيل: غلة الدار مسيل، وغلّة النحل كفف، وغلّة الحب عنى. وقال الحكم بن سعيد قال لي ملك سرنديب: صف لي أهل البصرة، فقلت: قوم لهم نخل يأكلون فضول ثمارهم، وقوم لهم دور يكرونها، وقوم لهم أرقاء يستعملونهم، وقوم لهم أموال يغدون إلى الأسواق فيأكلون فصولها فقال: من كان معاشه من كراء منزله فلئيم، ومن استعمل الأرقاء فكلب ولكن أصحاب النخل بها.

● نوادرُ في كرائها

دخل رجل ليكتري حجرة فقال: أين المطبخ؟ قيل: هي الجيران من يطبخ لك. قال: فأين المخرج؟ قيل: هم يخبزون لك. قال: فأين المرتقى إلى السطح؟ قيل: على باب الدار ساحة يطيب النوم بها. قال: إذ كانت حوائج الدار كلها خارجها فنحن خارجون وتربح الأجرة.

● المرحاء

قال بعض الشعراء فيها:

وصيفين جاءا من بعيد فقربا   على فرش حتى اطمأنّ كلاهما
قربناهما ثم انتزعنا قراهما   لضيفين جاآ من بعيد سواهما

وقال:

أغدو علي كالناب في جحرها   الشارف الناهر من حوارها
بصاحب قد ضجّ من إمرارها   كأنّ فوقَ النار من غبارها
شيب عجوز شمطٍ من خمارها

● الحمام

قال النبي ﷺ: بئس الحمّام يهتكُ العورة ويذهب الحياء

وقال الرقاء:

يتمشّى إلى النعيم الذي فيـ   ـه صلاحُ الأجسادِ والأرواحِ
بيتُ ريفٍ تـرودُ عينُك فيـ   ـه بسوادِ الطلى وبيضِ الفقاحِ

وقيل للفضل الرقاشي: صف الحمّام، فقال: نعم البيت الحمّام يذهب

القشافة[1] ويعقب النظافة، ويهضم الطعام ويجلب المنام، وينفي الغضب ويقضي الإرب. قيل: قد مدحته، فذمّه قال: بئس البيت الحمام يهتك الأستار ويتلف الأقذار ويحرق كالنار، وقال شاعر:

وبيتُ خزيٍ ترى فيه العُراةَ كمَا … يومَ القيامةِ موقُوفون للنَّار
أيدي عُفاةٍ وقد مدّت إلى ملكٍ … يعطي الجزيلَ بقلْبٍ غيرِ خوّار[2]

ورد أعرابي الحضر فمر بحمّام فقيل له ادخل وتطهر فدخل فشُجَّ رأسه، فقال:

وقالوا تطَهّر إنه يومُ جمعةٍ … فرحتُ من الحمّام غيرَ مطهّرِ
وزودتُ منه شَجّةً فوقَ حاجبي … بفِلْسَيْن إني بئسما كان متْجَري
وما تحْسِنُ الأعرابُ في السّوقِ مِشيةً … فكيفَ ببيتٍ من رُخامٍ ومَرْمَرِ

وقال السري:

ذو قبّة كسماءٍ والبدورُ لها … جاماتُها في أعالي الجوّ تنْسَرِجُ
حرّ وبردٌ وماءٌ والهواءُ به … معدل منْهُما ما شانَه عِوَجُ

وقال:

كأنّ ما قبب من سقفِهِ … قِحفٌ من البلّورِ مكْبوبُ

وقال ابن المعتز:

وحمّامُنا كالمَهجور … ويبغي بها الواردُ
فبيتٌ له مُسْخَنٌ … وبيتٌ له باردُ

● النورة

قال السري الرفاء:

ومجرّد كالسيفِ أسلمَ نفسه … لمجرّد يكسوهُ ما لا يُنْسَجُ
ثوبٌ تمزّقه الأناملُ رقّةً … ويصيبُه الماءُ القراحُ فيمْهَجُ
وكأنه لما انتهى في خضرةٍ … ثوبانِ ذا عاجٌ وذا فيروزَجُ

وقال:

وقمص حجارة نسجت بماءٍ … ويلبسُها الغنيُّ معَ الفقيرِ

● الأطلالُ البالية

قال بكر بن النطاح:

لعبَ البلاءُ بطولِها ورسومِها … لعبَ الصبابةِ في فؤادِ العاشقِ

---

(1) القشافة: سوء الحالة.

(2) الخوّار (صيغة فعّال للمبالغة): الضعيف.

وقال معلى الطائي:

لَبسنَ البِلى حتّى كأنّ رسومَها طَمِمْنَ الهوى أو ذقنَ هجرَ الحبائبِ

وقال:

هو مُلقى على الطّريقِ اللّيالي

وذكر أعرابي قوماً فقال: كانوا بلدو جموع وجمال وربوع، فصارت منازلهم معتصر الدموع، جرت بها: الريح أذيالها وحطت بها لعيوث أثقالها وسلبتها الأيام جمالها

● **البالية بالمطر**

قال ماني:

المزنُ يَمحو بكفٍّ مالَه قلمُ[1]

وقال:

رهينةُ أرواحٍ وصوبُ رُعودِ

وقال بشار:

وأبْدى البِلى فيها سُطوراً مبيَّنةً عباراتُها أنْ كلّ بيْتٍ سيدثُرُ[2]

وقال ابن المعتز

وحيطانٌ كشطرنجٍ صفوفٌ فما تنفكُّ تضربُ شاه ماتا

وقال:

أرى سرَّمرا مذ سنين كئيبةً تزيدُ خراباً كلَّ يومٍ وتذبلُ[3]

كأنّ بها داءً دخيلاً فجسمُها على ما بها من سقمِها يتسلّلُ

● **دارٌ شوهدَ منها النعيم**

قال:

لعهدي به والسّعدُ في جنباتِه وثغرُ نعيمِ الخفضِ يُبدي تبسّما

● **استقباحُ المنزلِ لارتحالِ الحبيب عنه**

قال سليمان المحاربي:

إذا لمْ تكنْ ليلى بنجدٍ تغيّرت محاسِنُ دنيا أهلِ نجدٍ وطيبُها

وقال:

فما أحسنَ الدنيا وفي الدا رِ خالدٌ وأقبحَها لمّا تجهّزَ غازيا

وقال علي بن محمد:

إنّما الدّارُ بالحلولِ فإنْ هم فارقوها فحيثُ حلّوا الديارا

---

(1) المزن: السحاب الممطر. (2) سيدثر: الدثور: الزوال والفناء

(3) سرمرا: أي سرّ من رأى أو السامراء وهي مدينة في شمال العراق.

● **دارٌ خلَتْ عن كثب**

أنشد أحمد بن أبي طاهر:

أمـا الـطـلـولُ فـمـخـبـرا ـتُ أنّـهـم ظـعـنـوا قـريـبـاً
لـم يـعـفِـهـا مـطـرٌ ولـم تـسـفُ الـريـاحُ بـهـا كـثـيـبـا
وطء الـنـعـالِ وأثـر مـفـ ـتـرَش ومـغـتـسـلاً رطـيـبـا

● **الأطلال اللائحة**

مرّ الفرزدق بمؤدب ينشده صبي قول لبيد:

وجلا السيولُ عن الطلول كأنّها زبُرٌ تجِدُ متونَها أقلامُها[1]

فنزل وسجد فقيل: ما هذا؟ فقال: أنتم تعرفون سجود القرآن، وأنا أعرف سجود الأشعار. وهذا البيت موضع سجدة.

وقال طرفة:

يلوح كباقي الوشم في ظاهرِ اليَدِ

قال أبو نواس:

لـمـن طـلـلٌ تـزدادُ حـسـنُ رسـومِ على طول ما أقوَتْ وطيب نسيمِ
تجافى البِلى عنهُنّ حتى كأنّما لبسْنَ على الإقواءِ ثوبَ نعيمِ

وقال البحتري:

دمنٌ مواثِلُ كالنجومِ وإن عفَت فبأيّ نجمٍ للصبابةِ تهتدي

وقال مخلد الموصلي

لم تجرِ فيها الصَّبا إلا مسلمةً ولم يشُنْ وجهَها الأرواحُ والدِّيَمُ

● **عرفان المركوب المحال المعهودة**

قال المتنبي:

مررتُ على دارِ الحبيبِ فحمحَمَتْ جوادي وهلْ تشكُو الجيادُ المعاهدُ[2]
وما تنكرُ الدهماءُ من رسمِ منزلٍ سقتْها ضريبَ الشوْلِ فيهِ الوَلائدُ[3]

وقال السلامي:

أنا المشوقُ فما للخيلِ والإبلِ تحنّ قبلي إذا مرّتْ على طللِ

---

(١) الزبر: الكتب، جمع زبور. (٢) حمحم: ردّد صوته إذا رأى من يأنس به

(٣) الولائد: جمع وليدة وهي الخادمة أو الأمة أو المولودة.

● استبدالُ الدار بأهليها الوحوش

قال بعضهم:

عهدتُ بها وحْشاً عليها براقعٌ ... وهذي وحوشٌ أصبحَت لم تبرقَعِ

وقال الوائلي:

فكَمْ آنسٍ بُدِّلَتْ منه بنافرٍ ... وحالي الشوى بدِّلَتْ منه بعاطلِ[1]

وقال أبو سعيد الرستمي:

ظباءٌ سرت بالأبطحَيْن عواطلا ... وكنتُ أراها في الرعاثِ وفي الحجلِ[2]

● الدارُ المتغيرةُ بالرياح

قال ذو الرمّة:

رسومٌ كساها لونُ أرضٍ غريبةٍ ... سوى أرضِها منها الهباءُ المعربَلُ

وقال النابغة:

كأنَّ مجرَّ الراسياتِ ذيولَها ... عليهِ قضيمٌ نمَّقتْهُ الرواسمُ[3]

وقال:

وأربَتْ بها الأرواحُ حتى كأنّما ... تهاديْنَ أعلى رتمة بالمناحلِ

وقال الحماسي:

تعفوهُ بالغدوِ والأصائلِ ... كلُّ هدوجٍ ذات ذيلٍ ذائلِ

كأنّما ينخلُ بالمناخلِ

وقال التنوخي:

كأنَّ إرتجاسَ الريحِ في جنَباتِها ... إذاعةُ شكوى أو سرارُ تعاتُبِ

● استطابةُ أرضِ المحبوبِ

قال بعض الأعراب:

أرى كلَّ أرضٍ دمنتها وإن مضَتْ ... لها حججٌ تزدادُ طيباً ترابُها

وقال النميري:

تضوّعَ مسكاً بطنُ نعمانَ إذْ مشَت ... به زينبٌ في نسوةٍ خفراتِ[4]

---

(١) الشوى: ما هو ليس مقتلاً من الأعضاء، والشوى رذال المال.

(٢) الرعاث: القرط، جمع رَعثة.

(٣) القضيم: السيف، والصحيفة - الرواسم: جمع روسم وهو الخاتم وما يطبع به الطين، والرواسيم: كتب كانت في الجاهلية.

(٤) النسوة الخفرات: الحييات.

وقال:

استودعت نشرها الرياحُ فما ... تزدادُ إلا طيباً على القِدَمِ

● دارٌ تفانى سكانها

قال ذو الرمة:

منازلُ ألأف أتى الدهرُ دونَهم ... وما الدهرُ والألاف إلا كذلِك

وقال أعرابي:

تشكو إليّ الدارُ فرقةَ أهلِه ... وعندي ما بالدارِ من فرقةِ الأهلِ

أخذه محمد بن حبيب فقال

طللانِ طالَ عليهما الأمدُ ... درسا فلا علمٌ ولا قَصَدُ

لبسا البِلى فكأنّما وجدا ... بعدَ الأحبّةِ مثلَ ما أجِدُ

● محاورةُ الديار ومجاوبتُها

قال ذو الرمة:

وقفتُ على ربعٍ لميّةَ ناقتي ... فما زلتُ أبكي عندَه وأخاطبُه

وأسقيهِ حتّى كادَ مِمّا أبثّه ... تكلّمني أحجارُهُ وملاعبُهُ

● البكاءُ في الديارِ الدارسَة

قال بشّار:

وقفتُ بها صحبي فظلّت عِراصُها ... تدمّني وأنفاسي تراحُ وتمطرُ

وقال العتابي:

منازلُ لم تنظرْ بها العينُ نظرةً ... فتقلِع إلا عن دموعٍ سواكِبِ

وقال الصمة

أخادعُ عنْ أطلالِها العينَ إنه ... متى تعرفُ الأطلال عنك تدمعُ

● المنعُ من البكاءِ عليها ومساءلتها

قال البحتري:

لا تقِفي على الدّيار فإنّي ... لستُ من أربعٍ ورسمٍ محيلِ[1]

لي بكائي على الأحبّة شغلٌ ... لأخي اللهوِ عن بُكاء الطلولِ

وقال أبو نواس:

يا كثيرَ النّوحِ في الدِّمَنِ ... لا عليها بل على السكَنِ

---

(١) الرسم المحيل: الدارس.

سنةُ العشّاقِ واحدةٌ ... فإذا أحببتَ فاستكِنِ

وقال ابن المعتز:

إنّ دمعي لشائعٌ في رسومٍ ... وسُؤالي عن المُحالِ مُحالُ

وقال:

أحسنُ من وقفةٍ على طلَلٍ ... ومن بكاءٍ في أثرِ مُحتَمِلِ
كأسُ صبوحٍ أعطتْك فضلتَها ... كفُّ حبيبٍ والنقْلُ من قُبَلِ[1]

● معاتبةُ من لمْ يقفْ عليها

قال إسحاق بن إبراهيم:

يا ذا الذي جازَ الديارَ ولمْ يقِفْ ... قفْ لا وقفْتَ أما ترى أطلالَها
لو كنتَ ذا وجدٍ بساكِنها لما ... جاوزْتَها حتى أطلْتَ سؤالَها[2]

● الاستسقاء للدار

قال أبو تمام:

لا زلتِ ناضرةَ العِراصِ ولم تزلْ ... فيكِ الرياحُ ضعيفةَ الأنفاسِ[3]

وقال ابن الرومي:

لا يحرمِ اللّهُ الطلولَ الدرَّسا ... أقاحياً وسوسناً ونرجسَا
يكادُ ريّاه إذا تنفّسا ... يُنشِئ في تلك المواتِ أنفُسا[4]

وقال الوابلي:

سقيتِ رجوعَ الظاعنينَ فإنه ... غنًى لكِ عن سُقْيا الغُيوثِ الهواطِلِ

● الدعاء على الدار

قال زياد بن جملة:

إذا سقى اللهُ أرضاً صوبَ غاديةٍ ... فلا سقاهُنَّ إلا النارَ تضطرمُ[5]

● تنكرُ الدار وعرفانُها

قال امرؤ القيس:

لمنْ طللٌ درستْ دارُه ... وغيّره سالفُ الأخرسِ

---

(١) الصبوح: خمر الصباح ـ النقل: ما يتناوله في مجلس الشراب من فستق وتفاح ونحوهما.
(٢) الوجد: المحبة
(٣) العراص والعرصات: جمع عرصة وهي الساحة الواسعة أمام الدار
(٤) رياه: رائحته (٥) الغادية: السحابة الممطرة في الغدوة، باكراً

تنكره العينُ من حادث ويعرفه شغفُ الأنفُس

وفيه:

تعرفهُ العينُ ثم تنكِرهُ

وفيه:

فتعرفهُ عيني وينكرهُ قلبي

وقال البحتري:

وما أعرفُ الأطلالَ من بطنِ توضحٍ لطولِ تعفّيها ولكن إحالُها

● الأثافي والرّماد

قال بشر:

كأنّ خوالداً في الدّار سفعاً بعرصتِهم حماماتٌ وقوعُ

وقال جرير:

مطايا القدر كالحِدَا الجثوم

وقيل: ما بقي إلا ثلاث سفع كحمام وقع، كانت مطايا القدور فأهمل في عرصة الدور، وقال شاعر:

أثاعثُ كالحيلانِ في خدِّ كاعبٍ وسفعٍ كمقطِ الثاء من كفِّ كاتب[1]

وقال الكميت:

إلا ثلاثاً في المقـ ـمة ما يحولهنّ ساقلُ
سفعَ الخدودِ كأنّما نشرت عليهنّ المكاحلُ

وقال ابن المعتز:

عماعيرُ سفعٍ ماثلاتٍ كأنّها خدودُ عذارى مسّهنّ شحوبُ[2]

وقال آخر:

رمادٌ كما طارَ على بوٍّ طائر

وقال الراعي:

أثفنَ وهنّ أغمالٌ عليها وقد تركَ الصلاةَ بهنّ نارا

● النؤي

قال أبو تمام:

ونؤيٍ مثل ما نفصم السّوارا[3]

وقال:

والنؤيُ أهمدَ شطرُه فكأنّه تحت الحوادثِ حاجبٌ مقرونُ

---

(١) الخيلان: جمع خال ـ الكاعب: الشابة التي كعب ثديها

(٢) السفع (هنا): حجارة الموقد. (٣) النؤي: الحوض حول الخيمة

وقال:

ونؤيٍ كمقلى القوسِ حالَتْ شحوبُه

وقال التنوخي:

وعطفتا نؤيٍ كنونٍ عرقت

● الوتد

قال ابن مقبل:

وقلدتُ أرسانَ الجيادِ معبداً إذا ما ضربنا رأسَه لا يرنحُ
فباتَ يقاسي بعد ما شجَّ رأسه فحولاً جمعناها تشبُّ وتضرح

(٥)
وممّا جاء في المفازة

■

قال بعضهم:

وبيداءَ سمحاقٍ كأنَّ سماتِها بأرجائها القصوى أباعرُ همّلُ
ترى الثعلبَ الحوليَّ فيها كأنّما إذا ما علاه سر حصان مجلل

وقال بعضهم

كأنّما المكاءُ في سيدها سرادقٌ قد أوقدته الأصلُ[١]

وقال:

تحالُ بها راعي الحمولةِ طائرا

● الطريقُ الواضحُ

لاحبٌ كقرني الثمان وكمرق الرأس وكحصير الرملات، قال شاعر:

كأنه تشطب بالمرو مرمول

وكالسحل اليماني وكظهر برجد.

وقال الراجز:

عودٌ على عودٍ لأقوامٍ أول يموتُ بالتركِ ويحيا بالعمَل

وقال آخر:

ملسُ الحَصَى بدرس ما لَمْ يَنْبس

---

(١) المكاء: جمع مكاكي طائر من القبر وهو أبيض دون ـ الأصل: جمع أصيل وهو الوقت من العصر إلى الغروب.

● المفازةُ المهلكة للمطيّ

وقال عمرو بن معدي كرب:

بـه جـيـف الـلـواغـب بـالـبـات كـأن عـظـامـهـا الـرخـمُ الـوقـوعُ[1]

وقال كثير:

بـدويـةٍ يـكـونُ بـهـا كـثـيـرٌ شـجُ الـمـعـجلاتِ مـن الـشـخـالِ

وقال الموسوي:

تلقى الأحبّةُ قتلى في مسالِكها ديـاتـهـا فـي رقـابِ الـغـرز والأكـمِ

● المفازة التي تضبح منها المطايا

قال امرؤ القيس:

عـلـى لاحـب لا يـهـتـدي لـمـنـارِه إذا سـفّـه الـعـودُ الـنـاطـي جرجُرا[2]

● المفازة المجهولة

وصف بعضهم مفازة فقال: هي صرماء الجوانب مجهولة المذاهب، تقطع المطى ويحار فيها القطا

قال علقمة:

ودويّـة لا يـهـتـدي لـفـلاتِـهـا بـعـرفـان أعـلامٍ ولا ضـوء كـوكـبِ

وقال:

ومـي ذكـرهـا عـمـدُ الأنـيـسِ خـمـولُ

وسأل رجل أعرابياً عن مفرة فقال: صدفتها عانسة عذراء، فافترعتها بعيرانة[3] أدماء

وقال الوزير الرئيس أبو العبّاس أحمد بن إبراهيم:

وبـهـمـاء مثلِ الوهـم عذراء أعرَضَتْ فـقـالـتْ لنا نكْحا وقلْنا لها خطْبا

● المفازة الواسعة

قال دعبل:

وفـضـاءٍ يـرجـعُ الـطـرفُ بـهِ قـبـلَ أن يـرجـعَ مـأواه الـبـصَـرُ

وقال ديك الجن:

يـا ربَّ خـرقٍ كـأن الـلّـه قـالَ لـه إذا طـوتـك رقـابُ الـقـومِ فـانـتـشِـرِ

---

(١) اللواغب: جمع اللاغب الضعيف.

(٢) اللاحب: الطريق الواضح.

(٣) العيرانة: الناقة

وقال ذو الرمة:

دوٌّ ككفِّ المشتري غيرَ أنه ... بساطٌ لأخفاف المراسيل واسع

وقال:

مجهولةٌ تغتالُ خطوَ الخاطي

وقال المتنبي

مهالكُ لم يصحَبْ بها الذئبُ نفسَه ... ولا حملتْ فيها الغرابَ قوادمُه(١)

وقال:

مشنوءةُ المعالمِ والبِقاعِ

وقال المأموني:

وكأن العرازَ راحةُ داعٍ ... أو قطا ساجدٍ عليه صلاةُ

● المفازة الموصولة بالأخرى

وقال جابر بن حبي:

إذا زال رعنٌ عن يديها ونحرِها ... بدا رأسُ رعنٍ واردٍ متقدِّمِ(٢)

وقال آخر:

إذا قطعن علماً بدا علمْ(٣)

● المفازة التي يلمَعُ فيها الآل

وقال عدي بن الرقاع:

وإذا بدا علمٌ لهنَّ كأنه ... في الآل حين يرى ذؤابةُ عالمِ

ووصف أبو النجم جبلاً في الآل فقال:

سائغٌ ماءهم بالرسوبِ

وقال المرقش في وصفه:

رؤوسُ رجالٍ في خليجٍ تغامس

وقال آخر

كأن أعلامَها في آلها القزعُ(٤)

وقال آخر:

وقرضِ الآلِ ساحرةُ السراب

---

(١) القوادم: الريش الطويل في جناح الطائر.

(٢) الرعن: أنف الجبل. (٣) العلم: الجبل

(٤) الآل: السراب ـ القزع: قطع السحاب الصغار المتفرقة، وصغار الإبل.

● **المفازةُ التي تتخرقُ فيها الرياح**

حرق تتخرق فيه الرياح فتحسر طوراً وتنعب طوراً، وقال مسلم:

تمشي الرياحُ بها مرضى مولهةً ... حيرى تلوذُ بأطراف الجلاميدِ

وقال الموسوي:

توهمتُ عصفَ الريحِ بين حروجه ... يسيرُ إلى سمعي بسرٍّ يصمصم

● **المفازةُ التي يعزفُ فيها الجان**

قال الأعشى:

وبلدة مثلِ ظهرِ الترسِ موحشةٍ ... للجنِّ بالليلِ في حافاتها زجلُ(1)

وقال آخر:

شياطينُها في أوجهِ القوم كلّحُ(2)

وقال حميد بن ثور:

وخرقٍ تحدّثُ غيطانُه ... حديثَ العذارى بأسرارها

● **المفازة التي تصيح فيها الأصداء**

وقال رؤبة:

وبلدةٍ عاميةٍ أعماؤهُ ... قد صخبت في ليلةٍ أصداؤه

داعٍ دعا لم أدرِ ما دعاؤه

وقال المرقّش الأكبر:

وتسمع تزقاءً من البوم حولنا ... كما ضربت بعد الهدوّ النواقسُ(3)

وقال ذو الرمّة:

يظلّ بها الحرباءُ للشمس ماثلاً ... على الجذلِ إلا أنه لا يكبّرُ

إذا حوّل الظلّ العشيّ رأيتَه ... حنيفاً وفي قرنِ الضحى يتنصّرُ(4)

وقال

كأن يدي حربائها متشمساً ... يدا مذنبٍ يستغفرُ الله تائبِ

وقال المرار:

كأن حرباءها يصلي بثغور

---

(1) الزجل: الجلبة والصوت المرتفع. (2) كلّح: عابسة مقطبة.

(3) النواقس: أي النواقيس، جمع ناقوس، والناقوس الجرس.

(4) الحنيف: المستقيم.

وقال ابن المعتز:

كـأن حربـاءهـا والـشـمسُ تـصـهـرُه ... صالٍ دنا من لـهيبِ الـنار مقرورُ[1]

(٦)

وممّا جاء في التغرب

●

● **حمدُ التغرّب والسَّفَر**

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[2] **وقال النبي ﷺ**: سافروا تغنموا، فإنكم إن لم تغنموا مالاً أفدتم عقلاً.

وقال: سافروا تصحوا. **وقيل**: السعي جناحُ الجدّ والزماع[3] أخو النجح. **وقيل**: من التوفيق رفض التواني، ومن الخذلان مسامرة الأماني.

وقيل: من لزم القرار سئم الصبار. **وقيل**: شمّر ذيلاً وادّرع ليلاً اتخذ الليل جمل.

وكان بشر بن الحارث **يقول لأصحابه**: سيحوا فإن الماء إذا ساح طاب وإذا وقف تغيّر.

● **الحثّ على الانتقال من مكانٍ نبا بصاحبه والتمدّحُ بذلك**

قيل: أوحش وطنك إذا كان في يوحشه نفسك، واهجر منزلك إذا نبت[4] عنه نفسك.

وقف بهلول على قوم من أهل الأدب فقال لهم: كيف ترون قول الشاعر؟.

وإذا نـبـا بـك مـنـزلٌ فـتـحـوّلِ

قالوا: جيّد، فضرط لهم وقال: إذا كان في حبس كيف يتحول؟ **قالوا**: فما عندك قال.

إذا كـنـتَ فـي دار يـهـيـنـك أهـلُـهـا ... ولـم تـكُ مـمـنـوعـاً بـهـا فـتـحـوّل

وقال أبو دلف:

وإذا الـديـارُ تـنـكّـرتْ عـن حـالـهـا ... فـدعِ الـمـقـامَ وأسـرعِ الـتـحـويـلا

لـيـسَ الـمـقـامُ عـلـيـك فـرضـاً واجـبـاً ... فـي مـوطـنٍ يـذرُ الـعـزيـزَ ذلـيـلا[5]

---

(١) **الصالي**: المستدفئ - **مقرور**: مرتجف من البرد.

(٢) **القرآن الكريم**: سورة الملك/ ١٥، **والنشور**: البعث، يوم القيامة.

(٣) **الزماع**: العزم والمضاء في الأمر.

(٤) **نبت عنه نفسك**: جفته.

(٥) **يذر**: يترك.

وقال المتلمّس:

وَلَنْ يقيمَ على خسفٍ يُسامُ به ... إلا الأذلانِ عيرُ الحيّ والوتَدُ[1]

هذا على الخسفِ مربوطٌ برمّته ... وذا يشجّ فلا يُرْثي له أحدُ[2]

وقال قيس بن الحطيم:

وما بَعْضُ الإقامةِ في ديارٍ ... يُهانُ بها الفتى إلا بلاءُ

وقال حرب بن خباب:

إذا ما اجتوتْني بلدةٌ لمْ أكنْ بها ... نسيباً ولم تَسدُدْ عليّ المطامعُ[3]

وقال البحتري:

ومنْ عادتي والعجزُ مِن غيرِ عادتي ... متى لا أرِحْ عن منزلِ الذلّ أُدْلِجُ[4]

وقال أبو فراس:

إذا لمْ أجِدْ منْ بلدةٍ ما أريدُه ... فعندي لأخرى عزْمةٌ ورِكابُ

● مخالفة العذّال في الترحّل والنهيُ عن مخافةِ نزول الأجل

لما أراد عبد الملك الخروج إلى مصعب تعلّقت به عاتكة وهي تبكي وتقول قاتل الله القائل:

إذا ما أراد الغزوَ لم يثنِ همّه ... حصانٌ عليها نظْمُ درٍّ يزينُها[5]

وقال ابن جبلة:

وخافتْ على التطوافِ فَوْتي وإنّما ... تُصادُ غرارُ الوحشِ وهي رتوعُ

وقال بشار:

يخافُ المنايا إن ترحلتُ صاحبي ... كأنّ المنايا في المقام مناسبُه

● كراهةُ إطالةِ الإقامة بمكان

قال أبو تمام:

وطولُ مقامِ المرءِ في الحيّ مخلِقٌ ... لديباجتيْه فاغتربْ تتجدّدِ[6]

فإنّي رأيتُ الشمسَ زيدتْ محبّةً ... على النّاس إذْ ليستْ عليهم بسرمدِ[7]

---

(1) الخسف: الذلّ.
(2) الرمة: القطعة من الحبل.
(3) اجتوتني: كرهتني.
(4) أدلج: الإدلاج: السير في آخر الليل.
(5) الحصان: المرأة العفيفة ـ وقوله: لم يثن همه أي لم يضعف همته أو إرادته.
(6) مخلق لديباجتيه: أي يبلي ديباجتيه ـ اغترب (هنا): أي هاجر.
(7) ليست بسرمد: أي ليست دائمة الشروق.

وقال آخر:

السيفُ إن قرّ في الغمود صدا

وقيل: الإعراب بعيد الجدّ وبعيد الحدّ، وإذا أخلقك الوطن جددك الظعنُ لا يألف الوطن إلا ضيق العطن.

وقال يزيد بن المهلّب

وإنّ لزومَ قعرِ البيت موتٌ ... وبالسيْرِ في الأرض النشورُ

● **النهيُ عن الإقامةِ بمكانٍ مخصِبٍ فيه هوان**

قال سعدُ بن ثابت:

ولسنا بمتلين دار هضيمة ... مخافةَ موت إن بنا نبتِ الدارُ[1]

وقال المتنبي:

وما منزلُ اللذّات عندي بمنزلٍ ... إذا لم أُبجَّلْ عنده وأُكرَّم

● **تأسّفُ من يلحقُه إذلالٌ فيعسرُ عليه الانتقال**

قال شاعر:

أمالي في بلاد الله باب ... يؤديني إلى سُبل النجاحِ

بلى في الأرض متسعٌ عريضٌ ... ولكني مُسِفتُ من السراح

وما يُغني العقابُ عيانَ صيدٍ ... إذا كانت مقيّدةً بلا جناحِ

وقرئ على حائط بأسد آباد:

حيرتُ بين عزيمتين كلاهما ... أمضى عليّ من شباة سنان

همٌّ تشوّقني إلى طلب العلى ... وهوى يشوّقني إلى الأوطانِ

وقيل: إذا أعيا المقام في الوطن، أعيى الجلاء عن العطن[2]

● **إيثارُ اليسرِ في الغربةِ على العُسرِ في الوطن**

قيل: اليسر في الغربة وطن، والعسر في الوطن غربة. وقيل: إذا أيسرت فكل رحل رحلك، وإذا أعسرت اجتنبك أهلك.

وقال عبد الملك للحارث: أي البلاد أحب إليك؟ فقال: ما حسنت فيه حالي وعرض فيه جاهي، لا كوفة أبي ولا بصرة أمي، خشونة الغربة مع الجدّة أوطأ من لين الموطن مع الفقر.

---

(1) لسنا بمتلين: من أتلاء أي أخلاء - دار هضيمة: أي دار ظلم وغصب، والهضيمة أيضاً طعام يعمل للميت - نبت بنا الدار: جفتنا

(2) العطن: مبرك الإبل.

وقال بزرجمهر: السعيد يتبع الرزق، والشقي يتبع مسقط الرأس، أخذه من قال:

ذو اللبِّ تنزعُ للرفاعةِ نفسُه   وترى الشقيَّ نزوعُه للموطنِ[1]

وقال المتنبي:

وما بلدُ الإنسانِ غيرُ الموافقِ   ولا أهلُه الأدنَوْن غيرُ الأصادقِ

قال أبو نواس: دخلت دار السلطان بمدينة السلام، فرأيت أبا دلف الكرخي متعلقاً ببعض ستائر الخاصة، وهو يقول

طلبُ المعاشِ مفرِّقٌ   بين الأحبّةِ والوطَن
ومصيِّرٌ جلْدَ الرجا   لِ إلى الضراعةِ والوهَنِ
حتى يُقادَ كما يُقا   دُ النضوُ في ثِنْيِ الرسَن
ثم المنيّةُ بعده   فكأنّه ما لم يكنِ

فقلت: أيها الأمير لو صرت إلى حجرتي، لأنشدتك بيتين يسليانك مجاه معي فأكل وشرب وقال: هات ما عندك فأنشدته:

إذا كنتَ في أرض غريباً وإنْ نأَتْ   فلا تكثرنْ منها نزاعاً إلى الوطَن
فما هي إلا بلدةٌ بعد بلدةٍ   وخيرُها ما كان عوناً على الزمَن

فسري عنه وحباني مالاً جماً.

● إيثارُ العسرِ في الوطن على اليُسْر في الغُربة

قيل: عسرك في وطنك أحبّ من يسرك في غربتك. وقيل: إذا وجدت بعض القوت فالزم قعر البيوت. وقيل: إحمد بلدا رتك. وقيل: بلدٌ أعديت فيه السلامة فلا تزايله[2]

وقال:

وإن اغترابي كي أنالَ معيشةً   وفضلَ غنىً للوارثين خسارُ

● ذمّ الخروجِ عن الوطن

قيل العربة ذلّة وكربة. وقد قال النبي ﷺ من رضي بالذل فليس منّا. وقيل السفر سقر، ولكن عنط باسمه. وقيل السفر شعبة من جهنم، ولذلك قيل: لولا فرحة الأوبة لعذبت بالسفر.

وقال التنوخي:

مسيرٌ دعاه الناس سيراً توسّعا   ومعنى اسمه إن حققوه إسارُ

---

(1) تنزع نفسه: تحنّ وتشتاق

(2) لا تزايله: لا تفارقه ولا تتركه إلى سواه.

وقيل: عذابان لا يعرف قدرهما إلا من بلي بهما السفر الشاسع والعذاب الواسع، وقال:

وإن اغترابُ المرءِ من غيرِ خلّةٍ ولا همّةٍ يسمو بها لعجيبُ

وقال مروان:

إذا ما حِمامُ المرءِ حُمّ ببلدةٍ دعتْه إليها حاجةٌ وتطرّبُ[1]

وقال البحتري:

وإن اغترابَ المرءِ في غيرِ بغيةٍ يطالبُه من حيفِ دهرٍ يطالبُه[2]

وقال الحسن رضي الله عنه في دعائه: اللهمّ إنا نعوذ بك أن نسلّ معافاتك. فقيل له في ذلك، فقال: أن يكون الرجل في خفض فتدعوه نفسه إلى سفره. وقيل ـ ما دار من يشتاق إلى السفر بدار سلامة

● ذمّ الإقامة في غير الأهل

قيل: إذا كنت في غير قومك فلا تنس نصيبك من الذلّ. وقال:

نصيبك من ذلّ إذا كنتَ جاليا

وقال:

إذا كنتَ في قومٍ ولم تكُ منهمُ فكُلْ ما عُلِفْتَ من خبيثٍ وطيّبِ

الغريب كالفرس الذي زايل أرضه وفقد شربه فهو ذاوٍ لا يثمر وذابل لا ينضر وقال الأعشى:

ومن يغترب عن قومِهِ لا يجدْ له على مَنْ له رهطٌ حواليْه مُغضَبا

وتدفنُ منه الصالحاتُ وإن يسىء يكن ما أساءَ النارَ في رأسِ كوكبا

وقال:

ولم أرَ عزّاً لامرىءٍ كعشيرةٍ ولم أرَ ذلاً مثلَ نأيٍ عن الأهلِ

وقال أبو عيينة:

وقائلةٍ ماذا نأى بكَ عنهمُ فقلتُ لها لا علمَ لي فسلي القدرْ

فيا سفراً أودَى بلهوي ولذّتي ونغّصني عيشي عدمتُك من سفرْ

وروي أنه رئي القاسم بن عبيد الله فقيل له: ما خبرك؟ فقال:

وارحمتا للغريبِ في البلدِ النـ ـنازحِ ماذا بنفسه صنعا[3]

فارقَ أحبابه فما انتفعوا بالعيشِ من بعده وما انتفعا

---

(١) الحمام: الموت. (٢) الحيف: الجور والظلم. (٣) البلد النازح: البلد النائي البعيد.

● الحثّ على إجمالِ المعاشَرَة في السَّفر

قيل: لا تحمدنّ امرأً حتّى تجربَه في معاملة أو سفر. وقيل: السفر ميزانُ القوم. وقيل: سمّي السفر سفراً لأنه يسفر عن الأخلاق المحمودة والمذمومة.

وقال العطوي:

أكرمْ رفيقَك حتّى ينقضي السفرُ ... إنّ الذي أنت موليه سينتَشِرُ
ولا تكنْ كلئامٍ أظهروا صخَرا ... إن اللئامَ إذا ما سافروا ضجِروا

وقال أبو دلف:

وممّا يسكِنُ قلبَ الغريب ... رفيقٌ تطيبُ به الصحْبَة

وأراد الحسن الحجّ فقال له ثابت: نصطحب، فقال: دعنا نتعايش بستر الله إني أخاف أن نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت[1] عليه.

● الكثيرُ التقلُّبِ في البلدان

مدح بعضهم رجلاً فقال: يفرع نيل ويستحقر السير، فيظل بموماة[2] ويمسي بغيرها.

أسيرُ في الآفاقِ من مثل

وقال البحتري:

تقاذفُ بي بلادٌ عنْ بلادٍ ... كأنّي بينها خبرٌ شرودُ

وقال آخر:

وذاكَ تروكٌ للفراشِ الممهّدِ

وقال أبو تمام:

خليفةُ الخضرِ من يربع على وطنٍ ... في بلدةٍ فظهورُ العيسِ أوطاني

وقال آخر:

وأيّ بلادٍ لم تطأها ركائبي

● المُتشمِّر في السَّفر

قال زياد بن جميل:

مخلّمون ثقالٌ في مجالسهم ... وفي الرحالِ إذا صاحبتَهم خدمُ

وقيل: فلان عبد أصحابه في السفر وسيّدهم في الحضر، وقال شاعر:

وعندٌ للصحابةِ غيرُ عبدِ

وقال هشام لرجل أراد سفراً: أخدم أصحابك وإيّاك أن تكون كلّهم، فإن لكل رفقة

---

(١) تماقت عليه: تباغض بسببه.

(٢) الموماة: الفلاة الواسعة لا ماء فيها.

كلباً ينبح دونهم، فإن كان خيراً أشركوه وإن كان شراً تقلّده دونهم.

● مشاركةُ الرفيقِ في المركوبِ والزّاد

قال ابن مسعود. كنّا يوم بدر ثلاثة على بعير، وكان أمير المؤمنين وأبو لبابة رميلَي رسول الله ﷺ وإذا دارت عقبتهما. قالا: يا رسول الله إركب ونمشي عنك، فيقول. ما أنتما بأقوى منّي وما أغنى بالأجر منكما.

وقال حاتم:

إذا كنتَ ربّاً للقلوص فلا تدعْ ... رفيقك يمشي خلفَه غيرَ راكبِ
أنخها وأردفه فإنْ حملتكما ... فذاكَ وإن كانَ العقابُ فعاقبِ

وقال آخر:

إذا ما خليلي ظلّ يمشي خلفه ... وفي ناقتي فضلٌ فلا حملتْ رجْلي
ولمْ يكُ من زادي له مثل مزودي ... فلا كنتُ ذا زادٍ ولا كنتُ ذا رحلِ

● حمْدُ الإيغالِ[1] في السّير والتبجّح به

قيل لرجل كيف كان سيرك؟ قال كنت آكل الوجه، وأعرس إذا أسحرت، وأرتحل إذا أسفرت، فأسير الموضع وأجتنب الملمع. فجئتكم بمشي سبع

وسار ذكوان من مكة في يوم وليلة، فقدم على أبي هريرة وهو خليفة مروان على المدينة فصلّى العتمة فقال له أبو هريرة حاج غير مقبول منه. فقال لمه؟ فقال لأنك نفرت قبل الزوال فأخرج كتاب مروان مؤرّخاً بعد الزوال. وحذيفة بن بدر أغار على هجاء بن المنذر بن ماء السماء فسار في ليلة مسير ثمان، وفيه يقول قيس بن الخطيم

هممنا بالإقامة ثمّ سرْنا ... مسير حذيفة الخير بن بدرِ

● ذمّ الإيغالِ في السّير

في الحديث: إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى وفي الحديث. خيرُ الأمور أوساطها. وشرّ السير الحقحقة

قال المرار:

نقطعُ بالنزولِ الأرضَ عنّا ... وبُعْدُ الأرض يقطعُه النزولُ

● الشاحب اللون لسفره

يقال: فلان رجيع سفر، ووقيذ سهر، وقال المرار:

وغيره تهجير ركبٍ يلفهم ... سمومٌ أتتْ دونَ العجاتِب تلفحُ[2]

---

(١) الإيغال. التوغل والإمعان في السير، ويقال أيضاً غد إعداد السير وفي السير أسرع وحث مطيه

(٢) تلفح: تصيب الوجه وتحرقه.

وقال: نضوُ هوى بالٍ على نضوِ سفَرِ[1]

وقال آخر: أتـرك أنـقـاضـاً عـلـى أنـقـاض

وقال البحتري:

رة الـهـجـيرُ لـحـاهُـم بـغَـد شـمـلتِـهـا ... سـوداً فـعادُوا شـبـاباً بـعدَمـا اكـتـهـلُـوا

● من غلبه النعاس لإدامة السُرى

قال شاعر:

فـلانٌ يـجـودُ مـن صـبـابـاتِـه الـكـرَى ... سقاهُ السُّرى خمْراً فصارَ به سكْرُ[2]

وقال كعب بن زهير[3]

وأشـعـثُ رخـوُ الـمـنـكِـبَـيْـن بـعـثْـتُـه ... ولـلـنَّـومِ مـنـه فـي الـعِـظـام دبـيـبُ

وقال إسحاق

ومــعـــرِّسٍ نـــبَّـــهْـــتُـــه ... فــكــأنَّــمــا نــبَّــهــتُ فــهْــدا[4]

● قطعُ المفاوزِ بالليل

وقال علي بن جبلة،

ولـيـلٍ بـعـيـدٍ صـبـحُـه مـن مـسـائـه ... مـخُوفِ الـسُّـرى لا يـسـتـطـيـه هـيـوبُ
سـريـتُ عـلـى أولاه أخْـراه فـالـشّـفـق ... عـلـى الـعِـيـس مـنـه مـطـلـعٌ ومـغـيـبُ

وقال أعرابي: حبت أودية الظلام وهجرت لذيذ المنام، إلى أن وصلت إلى المرام،

وقال شاعر:

ونـضـوتُ سـربـالَ الـمـفـاوزِ بـالـسُّـرى ... وجـعـلـتُ أرديـةَ الـسُّـرى سِـربـالـي[5]

وقال المتنبّي:

وأسـري فـي ظـلام الـلـيـل وحْـدي ... كـأنّـي مـنـه فـي قـمَـرٍ مُـنـيـرِ

---

(١) النضو: السهم الذي فسد من كثرة ما رمي به والنضو الثوب البالي، والمهزول المجرّد من اللحم
(٢) الصبابة: الولع الشديد - الكرى: النوم - السرى: السير في الليل
(٣) كعب بن زهير: شاعر محضرم، أدرك الإسلام عرّض بالإسلام، ثم جاء النبي وأسلم فصفح عنه، وهو صاحب قصيدة «بانت سعاد» في مدح النبي ﷺ.
(٤) المعرّس: المستريح من السفر قبل الارتحال
(٥) نضوت: خلعت - سربال: لباس - المفاوز: جمع مفازة، وهي الفلاة - الأردية: جمع رداء وهو الكساء.

● **قطع المفاوزِ بالهاجِرَة**

قال أعرابي: خرجت في هاجرة كادت لنفوس لها تلتهب، والحرابي من شمسها تصطلب. **وقال النابغة.**

إذا الشمسُ مجّتْ ريقَها بالكَلاكلِ[1]

وقال علقمة:

وقدْ علوتُ قتودَ الرحْلِ يسفعُني	يومٌ تجيءُ به الجوزاءُ مسمومُ
حامٍ كأنّ أوارَ الشمسِ شاملُه	دونَ الثيابِ ورأسُ المرءِ معمومُ[2]

● **من أَلِفته السِّباع والمفاوز**

وقال تأبط شراً:

أبيتُ بمغْنى الوحشِ حتّى ألِفْتُه	وتصبح لا يحمي لها الدهرُ مرتَعاً

وقال أبو تمام:

أَبِنْ معَ السِّباعِ الماءَ حتّى	لَخَالَتْه السِّباعُ منَ السِّباعِ[3]

وقال المتنبي:

صحبتُ في الفلَوَاتِ الوحْشَ مُنفرداً	حتّى تعجّبَ منّي القورُ والأكَمُ[4]

وقال الشنفرى:

ولي دونَكم أهلونَ سِيدٌ عملّسٌ	وأرقطُ زهلولٌ وعرفاءُ جيألُ[5]

● **المهتَدي بالنّجوم والعارفُ المفاوز**

وقال بشّار:

وبهماءَ يستافُ الترابَ دليلُها	وليسَ له إلا اليَماني محلِّقُ[6]
تجاوزتُها وحْدي ولمْ أرهَبِ الرّدى	دَليلي نجْمٌ أو حوارٌ محلِّقُ[7]

وقال حميد:

تيهاء لا يتحظّاها الدليل بها	إلا وناظرُه بالنّجم معقودُ

---

(١) **الكلاكل**. جمع كلكل، وهو الصدر.

(٢) **الأوار**: شدّة الحرّ ـ **الرأس المعموم**: المغطى بالعمامة

(٣) **خالته**. ظنّته وحسبته.

(٤) **القور**: الجبل الصغير ـ **الأكم**: جمع أكمة، وهي المرتفع من الأرض.

(٥) **العملس**: الذئب الخبيث ـ **الأرقط**: النمر، والأرقط الأسود المشوب بنقط بياض، أو أبيض مشوب بنقط سواد ـ **الزهلول**: الأملس ـ **العرفاء** الضبع الكثيرة الشعر ـ **الجيأل** من أسماء الضبع

(٦) **البهماء**: الفلاة التي لا ماء فيها ولا يهتدى إلى طرقها ـ **اليماني** السيف المنسوب إلى اليمن.

(٧) **الحوار**: التجاوب في الكلام.

وقال تأبط شراً:

يرى الوحشةَ الأنسَ الأنيس ويهتدي بحيثُ اهتدتْ أمّ النّجوم الشوابك

وقال آخر:

ترى الليلَ كورا والمجرّةَ مقودا

وقال المتنبي:

وإنّي لنجمٌ يهتدي صحبتي به إذا حالَ من دونِ النّجوم سحابُ

وقيل: فلان أدلّ من دعيميص[1] الرمل لأنه بلغ آخر رمال بني سعد، ولم يبلغه غيره وعبد الله بن أريقط وهو الذي دل النبي ﷺ ليلة الهجرة وفلان أهدى من القطا ومن اليد إلى الفم.

● **القادرُ على المشي**

قال أعشى باهلة:

لا يغمزُ الساق من أينٍ ولا وصبٍ ولا يعضّ على شرسوفه الصفَرُ[2]

وقال:

تحسبني محجلاً سبط اليد لئِن أبكي أن يظلَعَ الجملُ[3]

● **المسرّةُ بالعودِ من السفرِ سالماً**

قال ابنُ عيينة

إذا نحنُ علنا آيبين بأنفسٍ كرامٍ رجتْ أمراً فخابَ رجاؤها

فأنفسُنا خيرُ الغنيمةِ إنّها تؤوبُ وفيها ماؤها وحياؤها

وقال:

فألقتْ عصاها واستقرّ بها النّوى كما قرّ عيناً بالإيابِ المسافرُ[4]

وقال آخر:

رضيتُ من الغنيمةِ بالإيابِ

● **مسرةُ الراجعِ بقضاءِ الحاجةِ**

قيل لأعرابي: ما السرور؟ قال: أوبةٌ بغير خيبة. وقال آخر: غيبةٌ تفيد غِنًى وأوبةٌ تعقبُ منىً وقال أبو تمّام:

ما آبَ من آبَ لمْ يظفرْ بحاجته ولمْ يغبْ طالبٌ للنّجح لم يخبِ

---

(١) الدعيميص: دودة سوداء

(٢) الأين: التعب والإعياء ـ الوصب: الوجع ـ الشرسوف: طرف الضلع المشرف على البطن

(٣) ظلع يظلع الجمل: غمز في مشيه

(٤) النوى: البعد، الوجه الذي يذهب فيه ويطويه المسافر ـ الإياب: العودة، الرجوع.

وسأل الحجاج أصحابه. أي شيء أذهب للتعب؟ فقيل. التمريخ[1] وقيل الحمام وقيل النوم وكان فيهم فيروز فقال ما شيء أذهب للتعب من قضاء الحاجة قال المؤلف وهذا من قول القطامي:

وقد يهونُ على المستنجحِ العمَلُ

• الدعاء للمسافر

كما يقال للمسافر استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك، وقال النبي ﷺ لرجل: اللهم أطو له البعيد وهون عليه السير وقال: نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب، ومن الحور بعد الكور. اللهمّ أنت الصاحب في السفر والخليفةُ في الأهل والوطن

(٧)

وممّا جاء في الحنينِ إلى الأوطان

•

• رضى الناس بمسقط رأسهم

قال النبي ﷺ: لولا حبّ الوطن لخربت بلاد السوء. وقيل: بحب الأوطان عمارة البلدان.

وقال ابن عباس: لو قنع الناس بأرزاقهم قنوعهم بأوطانهم لما شكا عبد رزقه. وقيل لأعرابي: كيف تصبرون؟ على جفاء البادية وضيق العيش؟ فقال: لولا أن الله تعالى أقنع بعض العباد بشر البلاد ما وسع خير البلاد جميع العباد وقال بعض الفلاسفة فطرة الرجل معجونة بحب الوطن.

• فضلُ محبة الوطَن

روي في الخبر: حبّ الوطن من طيب المولد. وقال أبو عمرو بن العلاء مما يدلّ على كرم الرجل وطيب غريزته حنينه إلى أوطانه وحبه متقدمي إخوانه وبكاؤه على ما مضى من زمانه.

وقالت العجم: من علامة الرشد أن تكون النفس إلى مولدها مشتاقة وإلى مسقط رأسها توّاقة. وسمع أبو دلف رجلاً ينشد

ألقى بكلّ بلاد إن حللتُ بها ... أهلاً بأهلٍ وإخواناً بإخوان

فقال: هذا ألأم بيت قالته العرب، لقلة حنينه إلى الأهل

• الحثّ على صيانةِ مسقط الرأس

قيل: لا تجفُ بلداً فيه قوابلك، وأرضاً تبنكها[2] قوابلك. وقيل: إحفظ بلداً

(١) التمريخ: مصدر مرّخ جسده: أي دهنه. (٢) تبنكها: تقيم فيها

رشحت غذاؤه وأرع حمى أكنك[1] فناؤه وقيل: ميلك إلى بلدك من شرف محتدك.

- **حبّ مسقطِ الرأسِ وصعوبةُ مفارقتِه**

قال حفص الطائي. رأيتُ جارية تقود عنزاً فقلت: يا جارية أيّ البلاد أحب إليك؟ فقالت:

أحـبُّ بـلاد الله مـا بـيـن مـنـعـج ... إليّ، وسـلـمـى إن تـصـوبَ سـحـابُـهـا

بـلاد بـهـا نـيـطـت عـلـيّ تـمـائـمـي ... وأول أرض مـسّ جـلـدي تـرابـهـا[2]

وقال ابن الرومي:

ولـي وطـنٌ آلـيـتُ أن لا أبـيـعَـه ... ولا أن أرى غيْري له الدهرَ مالِكا[3]

عـهـدتُ بـه شـرخَ الـشـبـاب ونـعـمَـةً ... كنعمةِ قومٍ أصبحُوا في ظلالِكا[4]

فـقـدْ ألـفـتـه الـنـفـسُ حـتـى كـأنّـه ... لـهـا جـسَـدانِ بـأن غـودرَ هـالِـكـا

وحـبّـبَ أوطـانَ الـرجـالِ إلـيـهـم ... مـآربُ قـضّـاهـا الـشـبـابُ هـنـالـكـا

إذا ذكـروا أوطـانـهـم ذكـرتـهـم ... عـهـودُ الـصّـبـا فـيـهـا فـحـنـوا لـذلِـكـا

وقال آخر:

وكـلُّ نـفـس تـحـبّ مـحـيـاهـا

وكفى بدلالة محبته قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ﴾[5] الآية **وقال الشريف الموسوي:**

وفي الوطنِ المألوفِ للنّاسِ لذّةٌ ... وإن لم يـنـلـهـا الـعـزّ إلا الـتـقـلـبُ

- **المستشفي بتراب أرضه وريحها**

لما أسر سابور[6] ببلد الروم قيل له بنت الملك، وكان قد مرض وعشقته، ما تشتهي؟ قال: شربة من ماء دجلة وشمة من تراب اصطخر[7]. فحملا إليه فبرأ. واعتلّ أعرابي فقيل له: ما تشتهي؟ قال: حسل[8] فلاة وحسي قلاة

وكان من عادة العرب إذ غزت أو سافرت حملت معها من تراب بلدها فتنشقه عند نزلة أو صداع.

- **من تشوّق مكان إلفه بعدما كرهه**

قال بعضهم:

ألـفـنـا ديـاراً لـم تـكـن مـن ديـارنـا ... ومـن يـتـألـف بـالـكـرامـةِ يـألـف

---

(1) أكنك: سترك

(2) نيطت تمائمي: علقت والتمائم جمع تميمة، وهي الخرز أو التعويذة التي تعلّق لدفع الروح الشريرة

(3) آليت: أقسمت وأخذت عهداً.

(4) شرخ الشباب: ريعانه وأوّله.

(5) القرآن الكريم: النساء/ ٦٥.

(6) سابور: من ملوك الفرس.

(7) اصطخر: مدينة في إيران.

(8) الحسل: ولد الضبّ.

وقال:

نزلنا مكرهين بها فلما ... ألفناها خرجنا مكرهينا

وما حب البلاد بنا ولكن ... أمرّ العيش فرقة من هوينا

● **الحنين إلى البادية والتبرم بالحاضرة**

قال بعض الأعراب المتوجهين إلى خراسان في زمن عثمان رضي الله عنه يقول:

ملخت إلى حلوان والقلب نازع ... إلى أهل نجد أين حلوان من نجد

لجنجاث أرض حين يضربه الندى ... أحب وأشهى عندنا من جنى الورد[1]

قيل لزينب أم حسانة الضبية وهي قاعدة على حافة بركة في وسط رياض وأزاهر: أما ترين حسن هذا المكان؟ فأطرقت ساعة وقالت:

أقول لأدنى صاحبي أسرّه ... وللعين دمع يحدر الكحل ساكبه[2]

أحب إلينا من صهاريج ملئت ... للعب ولم تملح إلي ملاعبه[3]

فيا حبذا نجد وطيب هوائه ... إذا أهضبته بالعشي هواضبه[4]

وريح صبا نجد إذا ما تنسمته ... ضحى وسرت جنح الظلام جنائبه[5]

فأقسم لا أنساه ما دمت حية ... وما دام ليل من نهار يعاقبه

ولا زال هذا القلب مسقى لوعة ... بذكراه حتى يترك الماء شاربه

● **الحنين إلى منزل لا يرجى لحوقه**

وقال لرجل من بني طهم:

أحن إلى نجد وإني لآيس ... طوال الليالي من قفول إلى نجد

وقال:

يقرّ بعيني أن أرى رملة الغضا

وقال آخر:

فلست وإن أحببت من يسكن الغضا ... بأول راج راحة لا ينالها

وقال المتنبي:

أحنّ إلى أهلي وأهوى لقاءهم ... وأين من المشتاق عنقاء مُغرِب[6]

---

(١) **الجنجاث**: لعلها الجنث وهو عسيل النحل ـ الندى: الطل.

(٢) **يحدر الكحل**: يسيله ويجعله ينحدر. (٣) **الصهريج**: أحواض الماء.

(٤) **أهضبته الهواضب**: نزلت فيه الأمطار أو دفعات المطر.

(٥) **الصبا**: ريح لينة مهبها من جهة الشرق ـ **الجنائب**: جمع جنيبة وهي الشريحة من اللحم.

(٦) **عنقاء مغرب**: العنقاء طائر لم يوجد، وقوله: عنقاء مغرب كناية عن استحالة الشيء وبطلانه.

● حمد سكون البادية وذمّه

وقال شاعر:

ومن تكن الحجارةُ أعجبَتْه ... فأيّ أناسٍ بباديةٍ ترانا

وقال ﷺ: من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد لها ومن أتى السلطان فتن

(٨)
وممّا جاء في النيران

●

● ماهية النار

قال النظام: النار اسم للحر والضياء، وهما جوهران متضادان. والضياء هو الذي يعلو إذا انفرد ولا يعلى. فإذا قيل أحرقت النار وسخنت، فذلك للحرّ لا للضياء.

وقال: النار مكمنة في الأشياء كلّها، فإذا أطفئت نار الأتون فوجدنا حرّها ولم نجدها مضيئة فلأن حرّ النار يهيج تلك الحرارات فيظهرها، ولم يكن ثم ضياء فيظهر إذا خالطته النار فهو أشدّ كالصاعقة

● منفعة النار

قيل: من أكبر الماعون الماء والنار ثم الكلأ والريح، ومنافعها يطول حصرها ويصعب ذكرها. قال الله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾[1] (الآية).

وهي أعظم ما زجر به عن المعاصي. وقد جعلها الله تعالى من عذاب الآخرة فقد عذّب في الدنيا بالغرق والرياح والحاصب، والرجم والمسخ والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ولم يبعث عليهم ناراً، وهي ما ركب منه العالم ولا يتعرّى شجر ومدر منها.

وقيل في الإخوان: هم بمنزلة النار قليلها ينفع وكثيرها يضرّ. وكانوا إذا تتابعت عليهم الأزمان وأحوجهم الاستمطار عقدوا في أذناب البقر شسماً[2] فصعدوا بها جبلاً وأوقدوها ناراً وضجوا بالدعاء.

وناراً كانوا يوقدونها في التحالف وقد ذكرناه في الإيمان وناراً كانوا يوقدونها خلف مسافر لا يريدون رجوعه.

قال شاعر:

وجمة أقوام حملتُ ولم أكن ... لأوقدَ ناراً خلفهم للتندّم

---

(١) القرآن الكريم: يس/ ٨٠.

(٢) شسماً: الشسع زمام للنعل بين الإصبع الوسطى والتي تليها.

● حسنُ النّار ووصفُها

إذا وصفوا شيئاً بالحسن قالوا: ما هو إلا نار موقودة. وقالت امرأة: أنا والله أحسنُ من النار الموقدة. وقال قدامة في وصف الذهب: شماعٌ مركوم وصيم معقود.

ونظر مجوسيٌ في مجلس الصاحب إلى لهيب نار فقال: ما أشرقها! فقال الصاحب: ما أشرقه وقوداً وأخسأه معبوداً. الناس:

ما ترى النّارَ كيفَ أسقمَها القرُّ ... فأضحت تخبو زماناً وتبصرُ
وبدا الجمرُ والرمادُ عليها ... في قميصَين مذهَب ومعنبَرُ

وقال أحمد بن الضحاك:

كأنّما النارُ حينَ ترمُقُها ... وجمرُها من رمادِها يُحجَبُ
وجنةُ عذراء مسّها خجلٌ ... فالتهبَتْ تحت عنبرٍ أشهبْ

وقال الصاحب: الاصطلاء طيب عند الامتلاء[1].

وقال شاعر:

وشعثاء غبراء الفروع منيفة ... بها توصفُ الحسناءُ أو هيَ أجملُ
دعوتُ بها أبناءَ ليلٍ كأنّهم ... إذا أبصروها معطشون قد أنهلوا

وقال المجريطي:

نارٌ كهادي الشقراء سامرةٌ ... تركضُ من حولِها أشاقرُها

● النيرانُ التي جعلَها اللهُ تعالى آيةً

كانت بنو إسرائيل إذا قرّب أحدهُم قرباناً مخلصاً لله، نزلت نار فتأكله ومتى لم تنزل النار وبقي القربان على حالته دلّ على أن صاحبه مدخول النيّة. وهذه النار هي التي اقترحوها على النبي ﷺ فحكى الله عنهم: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾[2] (الآية) وقيل إن الحجاج لما جنق[3] الكعبة جاءت نار فوقعت في المجنيق فأحرقته فامتنع أصحابه من الرمي، فقال الحجاج: إن هذه نار القربان دلّت على أن عملكم متقبَّل. ومن ذلك: النار التي قصدها موسى فكانت سبب نبوّته[4] ومنه نار إبراهيم التي صارت برداً وسلاماً[5] ومنه نار الحرّتين[6]. وذلك أنه ظهر

---

(١) عند الامتلاء: أي عند الشبع وامتلاء البطن أو معدة بطعام.

(٢) القرآن الكريم: آل عمران/١٨٩. (٣) جنّق الكعبة: ضربها بالمنجنيق.

(٤) قوله: النار التي قصدها موسى، إشارة إلى الآية رقم ١٠ التي وردت في سورة طه وبعضها: ﴿إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا لعلي آتيكم منها بقبس﴾.

(٥) قوله: نار إبراهيم إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ [الأنبياء: ٦٩]

(٦) نار الحرّتين: الحرّة: أرض ذات حجارة نخرة سود كأنها أحرقت بالنار.

في حرة بلاد بني عبس نار تسطع باللّيل والنهار، ويظهر دخانها بالنهار، وكانت طي، تنفش فيها الإبل من مسيرة ثلاث. وربما ندرت منه عنق فتحرق ما تأتي عليه، فبعث الله خالد بن سنان وهو أول ولد إسماعيل عليه السلام، ولم يكن في أولاده غيره فاحتفر لها بئراً ثم أدخلها فيه والناس ينظرون، وهو يقول: كذب ابن راعية المعزى لأخرجن منها وجبيني يندى. ثم لما حضرته الوفاة قال إذا دفنتموني فاحضروا بعد ثلاث، فإنكم ترون عيراً أبتر يطوف بقبري، فإذا رأيتم ذلك فانبشوني أخبركم بما هو كائن إلى يوم القيامة. فلما حضروا بعد الثلاث ورأوا العير، اختلفوا قال ابنه: لا أفعل إني أدعى إذاً ابن المنبوش. وقدمت ابنته على النبي ﷺ فقال: هذه بنت نبيّ ضيّعه قومه، وبسط لها رداءه. وقيل: سمعت ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقالت: كان أبي يتلو هذه السورة والمتكلمون[1] ينكرون ذلك. فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ وخالد كان من أهل الوبر أعرابياً من أهل الوبر. وما بعث الله نبياً قط إلا من أهل القرى وسكان المدن.

● **النيرانُ المعبودةُ المعظَّمة**

أما النار العلوية فقد عُبدت. قال الله تعالى: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[2] وقد يجيء في الأثر وسنة بعض الأنبياء تعظيماً على جهة المحنة وإيجاب الشكر على النعمة.

ويزعم أهل الكتاب أن الله تعالى أوصاهم وقال: لا تطفئوا النيران من بيوتي وأما المجوس فقد جاوزوا الحدّ حتى اتخذوا لها البيوت والسدنة[3] والوقوف[4] الكثيرة.

● **نيران كانوا يوقدونها في أوقاتٍ مختلفة**

إذا أرادوا حرباً وقصدوا جمعاً، يوقدون ناراً عظيمة يجعلونها أمارة[5] لاجتماعهم، قال عمرو بن كلثوم:

ونحنُ غداة أوقِدَ في خزازي ... رفدنا فوق رفد الرافدينا[6]

وقال الفرزدق:

ضربوا الصنائعَ والملوكَ وأوقدوا ... نارَين أشرفنا على النيرانِ

---

(١) المتكلمون: علماء الكلام الذين يدافعون عن قضايا الدين بالأدلة العقلية.

(٢) القرآن الكريم: النمل/ ٢٤.

(٣) السدنة: خدم الكعبة أو خدم بيت صنم، جمع سادن.

(٤) الوقوف: جمع وقف وهو حبس العين عن ملك الواقف، أو على ملك الله والتصدق بالمنفعة.

(٥) الأمارة: العلامة.

(٦) خزازى: أي يوم خزازى وهو من أيام العرب.

ومنها النار التي يوقدونها ليحيروا بها الظباء بالليل ويهوّلوا على الأسد إذا حدّق إليها.

● **ما يتراءى من النيران ولا حقيقة لها**

يحكى أن السعالي[1] توقد ناراً حوالي الإنسان تحرّمهم بها

قال عبيد الأبرص:

لله درّ الغول أي رفيقة	لصاحب قفر خائف متقتر
أرنت بلحن فوق لحنٍ وأبعدتْ	حوالي نيراناً تبوخ وتزهر

ونار حباحب وقيل أبي حباحب، وهو ما يكون من الأكسية ونحوها مما لا حقيقة له من النيران **ونار البرق** وكل نار تحرق العود إلا نار البرق فإنها تجيء بالمطر. وتحدث حدة الشجر ونار اليراعة، وهي طائر كبعض الطيور بالنهار وإذا طار بالليل فهو كشهاب قبس، ويلمع لها لمع ينض[2] ويلمع من بعيد، فإذا دنوت منها لم ترها شيئاً. والعرب تقول أكذب من يلمع.

● **أنواعٌ مختلفة من ذلك**

قال بعضهم:

كأنّ نيراننا في جنب قلعتهم	مصقلات على أرسان قصار

وقال البحتري في حريق وقع في دار المعتز

ما كانَ قدر حريق إن سنيت له	وكلنا قلقُ الأحشاء حرّانُ
تفاءلَ الناس واشتدتْ ظنونهم	واسماءُ منه لبعض الناس تبيانُ
وأيقنوا أنّ تسويرَ الحريق هو الذنـ	ـبا تملكها والنارُ سلطانُ

وقال بعض الحكماء: النيران أربع: نار تأكل وتشرب وهي نار المعدة، ونار تأكل ولا تشرب النار الموقدة، ونار تشرب ولا تأكل، وهي نار الشجر، ونار لا تأكل ولا تشرب، وهي نار الحجر.

● **مدحُ السراج**

قال النبي ﷺ: المصباحُ مطردة للشيطان، مذبة[3] للهوام مدفعة[4] للصوص.

وقال النابغة:

ولا يضلّ على مصباحها الساري

---

(١) **السعالي:** جمع سعلاة وهي أنثى الغول. (٢) ينض: يسيل قليلاً أو يرشح

(٣) **المذبة:** ما يذبّ أي يدفع به الذباب، جمع مذبّات ومذاب

(٤) **المدفعة:** ما يدفع به اللصوص.

يضرب ذلك مثلاً للمصباح المضيء.

● الزّند

قالت العرب في كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار. وقيل: أرح يديك واسترح إن الزناد مرخ.

وقال ذو الرمّة وقد ألغز:

وسقطٍ كعين الديك عاودتُ صاحبي ... أباها وهيأ بالموضعه وكرا
مشهرة لا تمكن الفحل أمها ... إذا هي لم تمسك بأطرافها قشرا
أخوها أبوها والضوى لا يضيرُه ... وساق أبيها أمها اعتقرت عقرا

وقال الأعشى:

ولو بتّ تقدح في ظلمة ... صفاة تنبع لا ورّيت نارا

وقال آخر:

وزندك أفضلُ أزنادِها

● الدّخان

يقال دواخن تنصب ودخان الرمث. وقال في صفة ذئب:

كأن دخان الرمث خالط لونه

وقال الراعي:

كدُخان مرتجل بأعلى تلعةٍ ... غرثان ضرم عرفجاً مبلولا(١)

والمرتجل الذي يطبخ رجل جراد أي جماعتها.

(١) التلعة: ما علا من الأرض. العرفج: نبات سهلي.

الحدّ الثالث والعشرون

في الملَك والجنّ

•

عن ابن عبّاس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: ليس من خلق الله تعالى أكثر من الملائكة. وعن أبي نجيح عن مجاهد ﴿والمقسمات أمراً﴾ قال: الملائكةُ ينزلها الله تعالى بأمره على من يشاء. وعن مسلم عن مسروق ﴿وَالنَّزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾. قال: هي الملائكة. وعن الحكم وما ننزله إلا بقدر معلوم.

قال: بلغني أنه ينزل مع المطر أكثر من ولد آدم وولد إبليس يحصون كل قطرة وأين تقع ومن يرزق ذلك النبات.

وعن العلاء بن عبد الحكم عن ابن سابط في قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[1].

قال في أم الكتاب كل شيء هو كائن إلى يوم القيامة. ووكّل به ثلاثة من الملائكة يحفظونه. فوكّل جبريل بالكتاب أن ينزل به إلى الرسل، ووكّل جبريل بالهلكات إذا أراد الله أن يهلك قوماً ووكّله أيضاً بالنصر عند القتال.

ووكّل ميكائيل بالحفظ والقطر[2] ونبات الأرض. ووكّل عزرائيل بقبض الأرواح فإذا ذهب الله بالدنيا جمع بين حفظهم وبين ما في أمّ الكتاب فيجدونه سواء.

وعن ابن عباس ويتلوه شاهد منه جبريل وعن النبي ﷺ أنه رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح.

وعن الربيع ﴿ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ﴾ قال: جبريل، وهو بالأفق الأعلى، قال ﴿بالسماء الأعلى﴾ يعني جبريل، ثم ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ يعني جبريل، ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾. قال على لسان جبريل: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ﴾ يعني جبريل رآه في صورته وعن النبي ﷺ أنه قال: الروحُ الأمين جبريل له ستمائة جناح من لؤلؤ قد نشرها مثل ريش الطواويس.

عن ابن شبابة، قال: يدبر الأمر أربعة: جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل

---

(١) القرآن الكريم: الزخرف/ ٤.

(٢) القطر: المطر.

فجبريل على الريح والجنود، وميكائيل على القطر والنبات، وملك الموت على قبض الأرواح وإسرافيل يبلغهم ما يؤمرون به.

وعنه ﷺ أنه قال لجبريل لم أر ميكائيل ضاحكاً. قال: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار.

عن عليّ بن أبي طالب في قوله: يسألونك عن الروح، قال: ملك له سبعون ألف وجه فيها سبعون ألف لسان لكل لسان منها سبعون ألف لغة يسبّح الله بكل اللغات.

عن ابن عبّاس قال: أتى نفر من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: أخبرنا عن الروح ما هو؟ قال: جند من جنود الله ليسوا بملائكة لهم رؤوس وأرجل يأكلون الطعام. ثم قرأ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾[1] قال هؤلاء جند وهؤلاء جند. وعن الأعمش قال: سألت مجاهداً عن قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ قال: هم الملائكة

(١)

وممّا جاء في إبليس والجنّ

- **حقيقةُ الجنّ**

الجنّ من الخلق التي لطفت أجسادها، ويشهد لحقيقته القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وذكر بعض الفلاسفة ممن لا يثبت القديم أن لا حقيقة للجن والملائكة.

- **بعضُ التحذير الوارد في الشريعة من الشيطان**

قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[2]، وذلك في آيات كثيرة. وقال ﷺ: خمروا آنيتكم وأوكئوا أسقيتكم وأجيفوا الأبواب، وأطفئوا المصابيح، وأكفتوا صبيانكم، فإن للشيطان انتشاراً وخطفة.

وقال ﷺ: لا تشربوا من ثلمة[3] الإناء فإنها كفل الشيطان.

- **رجمُ الشياطين**

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾[4] وقال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾[5].

---

(١) القرآن الكريم: النبأ/ ٣٨
(٢) القرآن الكريم: المؤمنون/ ٩٨.
(٣) الثلمة: محلّ الكسر، الحدّ
(٤) القرآن الكريم: الملك/ ٥
(٥) القرآن الكريم: الصافات/ ٦

وحكى الله تعالى عنهم أنا لمسنا السماء فوجدناها مُلئت حرساً شديداً وشهباً (الآيات) وكان الشياطين يتسمعون ما يوحونه إلى أوليائهم. وقد زعم بعض الناس أن الله تعالى جعل الرجوم حجة لنبيه ﷺ وقال قوم ليس كذلك. فقد قال بشر

فجالَ على نَفَرٍ كمَا انقضَّ كوكبٌ ... وقد حالَ دون النقْعِ والنقْعُ يسطَعُ[1]

وقال أمية بن أبي الصلت.

وترى شياطينا تروغُ مضافةً ... ورواغُها صبر إذا ما تطرَدُ[2]

تلْقَى عليها في السماءِ مذلّةً ... وكواكبُ تُرمى بها فتعرِدُ

● صرعُ الجنِّ للإنسانِ وغيره

عندهم أن الجن يصرع الإنسان لحبّه له. وقيل: إن فتى قبيحاً خطب جارية مليحة فقال لها: ما في الدنيا أملح مني. فجاء إلى بابه يوماً فتى ظريف يطلبه فتطلّعت فرأته فلما عاد قالت له: ألم تقل إن ما في الدنيا أحسن منك؟ وقد جاء فلان يطلبك فرأيته أملح منك. فقال الرجل، يريد أن يقبحه في عينها: هو مليح لكن له جنية تصرعه كل شهر مرة فقالت: لو كنت جنيته لصرعته ألفين.

واستدل على أن نتيجة الصرع من الجن بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَوٰا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَٰنُ مِنَ الْمَسِّ﴾[3] وقالوا في بعير مجنون: إنه لا يرى ما لا ترى الإبل. وقالوا: قد يجن الجن. وأنشد للمضيع الجكم:

وكيف يفيقُ الدهر كعبٌ بنُ ناشب ... وشيطانُه عند الأهلّةِ يصرعُ

● تصوّرُ الجنِّ للإنسان بصور

تزعم العامة أن الجنّ تتصور بأي صورة تشاء، إلا الغول[4] فإنها تتصور في صورة امرأة، إلا رجليها فإنهما لا بد وأن يكونا رجلي حمار. وقاسوا ذلك بتصوير جبريل عليه السلام بصورة دحية الكلبي، وتصوّر إبليس بصورة سراقة بن مالك، وبصورة الشيخ النجدي.

والغول تتصور للإنسان فتغوله أي تهلكه، ويقولون من ضربها ضربة قتلها. وإذا زيدت لم تمت ولو ضربت ألوفا. قال شاعر:

فقالت رد فقلت رويد أني ... على أمثالها ثبت الجنان

---

(١) النقع: الغبار.

(٢) الرواغ: مصدر راغ يروغ، أي حاد عن الطريق وذهب هكذا وهكذا.

(٣) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٧٥.

(٤) الغول: حيوان لا وجود له.

• **من ادّعى أنه قتله الجنّ**

قالوا: خرج علقمة بن صوفان في الجاهلية يريد مالاً على حمار ومعه سوط في ليلة، فإذا بشيء يدور ومعه سيف وهو يقول:

علقم إنك مقتول ... وإن لحمك مأكول

فقال علقمة: شق مالي ولك تفتش من لا يقتلك أغمد عني منصلك. فواثبه وضرب كل واحد صاحبه فخرّا ميتين. **وقالوا**: إن الجن قتلت حرب بن أمية، وفيه قالت الجنّ:

وقبرُ حربٍ بمكانٍ قفرٍ ... وليسَ قربَ قبرِ حربٍ قبرُ

وقتلت سعد بن عبادة وقالت:

قد قتلنا سيِّد الخزرج سعدَ بن عباده[1]

ورميناه بسهمين فلم نخطِ فؤاده

• **من ادّعى أنه قتل الجنّ**

من ذلك ما روي أن تأبط شراً قتل غولاً، وعاد إلى قومه وقد تأبط رأسه، فقيل: تأبط شراً. وروي أن عمر رضي الله عنه صرع جنيّاً.

• **ما نسبَ إليهم من الدّاء**

قالوا: الطاعون من الجنّ وسمّي رماح الجن، قال:

ولكنّي خشيتُ على أبي ... رماحَ الجنّ أو إياكَ جاري

• **الإستجارةُ بالجنّ**

كانت العرب إذا صار أحدهم في تيه من الأرض وخاف الجنّ يقول: رافعاً صوته، أنا مستجير بسيّد هذا الوادي ويصير له بذلك خفارة. ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾[2] الآية.

• **رئيُّ الشعراء**

ادّعى كثير من فحول الشعراء أن له رئياً يقول الشعر فيه، وله إسم معروف من ذلك مسحل شيطان الأعشى وفيه يقول

دعوتُ خليلي مسحلاً ودعوا له ... جهنام جدعاً للهجينِ المذمّمِ

---

(١) الخزرج: قبيلة يمنية، وهي مثل الأوس من أصل واحد وقد رحلو جميعاً من جنوبي جزيرة العرب إلى المدينة المنوّرة بعد خراب سد مأرب.

(٢) القرآن الكريم: الجن/٦.

وذكر أن خال مسحل هميم شيطان الفرزدق قال أبو النجم:

إنّي وكلّ شاعرٍ من البشر ... شيطانه أنثى وشيطاني ذكر

وقال آخر:

إنّي وإن كنتُ صغيراً سنّي ... فإنّ شيطاني كبيرُ الجنّ

- **رؤية الجنّ وسماعُهم وصحبتُهم**

روي أن ابن علاثة قضى بين الجنّ في دم. وقال ابن الأعرابي: نزلت بأعرابي فاستطبت ماءه فسألت عن مكانهم. فقال: هو كثير الجان. فقلت: أو تروبهم؟ قال: نعم مكانهم في ذلك الجبل وأومأ بيده إلى جبل يقال له سواج.

وقد ادعى عدّة من العرب أنهم رأوا خياماً وناساً ثم فقدوهم من ساعتهم، قال ذو الرمّة:

للجنّ بالليلِ في غيطانها زجَلُ ... كما تناوحَ يوم الريحِ عيشومُ[1]

وقال:

ورملٌ عزيفُ الجنّ في عقداته ... هزيزٌ كتضراب المغنّين بالطبْل[2]

ولا تتحاشى العرب من سماع الهاتف وذلك كثير. وقالوا: دويّ الفيافي عزيف الجن. وأصل ذلك أن من سكن الفيافي وتوحش وقلّت أشماله ربما يتوسوس، فيتصور الصغير كبيراً ويتفرق ذهنه ثم يجعل ما يتصوره أحاديث فيحكيها. قال عبيد بن أيوب:

أخو فقرات حالفَ الجنّ وانتفى ... من الإنس حتى قد تقضت وسائله

- **من ادّعى أنه تجيبُه الجنّ**

يقال: فلان مخدوم إذا كان إذا عزم[3] على الجنّ أجابوه. فمنهم عبد الله بن هلال الحميري صديق إبليس، وكرياس الهندي وصالح الدبيري.

وقالوا: من أراد أن يحبه الجن فليتبخر باللبان ويراعي سير المشتري[4] ويغتسل بالماء القراح، ويكثر من دخول الخرابات.

وقالوا إذا آخى الجنيّ أنسياً أخبره ووجد حسه ورأى خياله.

ومنهم الكهان نحو جارية جهينة وكاهنة باهلة وشق وسطيح. والعرّاف دون الكاهن.

- **من استهوته الجنّ**

قالت العرب: استهوت الجنّ سنان بن أبي حارثة يستفحلونه فمات فيهم. واستهووا طالب بن أبي طالب فلم يوجد له أثر قط. وعمرو بن عدي اللخمي ثم ردّوه إلى جذيمة

---

(١) **الزجل**: عزيف الجن - **العيشوم**: نبت يتخشخش إذا هبت عليه الريح.

(٢) **عقدات الرمل**: ما تعقد وتراكم من الرمل - **الهزيز**: دوي الريح وصوت الرعد.

(٣) **عزم على الجن**: أي قرأ العزائم واحدتها عزيمة وهي الرقية، والمعزّم: الراقي.

(٤) **المشتري**: نجم من السيارات.

الأبرش. واستهووا عمارة بن الوليد بن المغيرة، ونفخوا في أحليله فصار مع الوحش.

وقالوا خرافة رجل استهوته الجنّ ثم عاد يخبر عنها، وبه ضرب المثل فقيل: المثل حديث خرافة.

وروي أن عمر رضي الله عنه استحضر المفقود الذي استهوته الجن ما كان طعامهم؟ قال: الفول. وقيل الرمّة وما لم يذكر إسم الله عليه.

● من ادّعى أنه من ولد الجنّ

ذكرت العرب أن عمرو بن يربوع من ولد السعالي. وذكر أبو زيد النحوي أن سعلاة أقامت في بني تميم حتى ولدت فيهم. فلما رأت برقاً يلمع من نحو ديارهم حنّت فطارت إليهم، وفيهم قال الشاعر:

يا قاتل الله بني السعلاة عمراً وقابوساً شرار النات

أي الناس. وذكروا أن جرهما من ولد الملائكة. واستدل على صحة تناسل الجن من الأنس بقوله تعالى ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾[1] وقوله ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾[2]

وزعموا أن النسناس تركيب ما بين الشقّ والإنسان.

● مساكنُ الجنّ

زعمت العرب أن الله تعالى لما أهلك الأمة الساكنة وبار، كما أهلك طسماً وجديساً وعاداً وثمود، سكنت الجن منازلهم وحمتها من كل من أرادها. وأنها أخصب بلد فإن دنا اليوم منه إنسان عامداً أو غالطاً حثوا في وجهه التراب فإن أبى الرجوع خبلوه. وإن من أراده ألقي على قلبه الصرفة حتى كأنهم أصحاب موسى في التيه.

وقيل في المثل: لا يهتدي لكذا حتى يهتدي لوبار وليس بذلك المكان إلا الجن والإبل الحوشية.

وقالوا شيطان الحماطة، وغول القفر، وجان العشر، وشيطان عبقر. ونسب كل شيء في الجودة إلى عبقر حتى قيل لم أر عبقرياً مثله.

● مراكبُ الجنّ

ادعوا أن الجنّ يركب كل وحش من البهائم والطيور، إلا الأرنب لأنها تحيض. والضباع لأنها تركب أيور القتلى والموتى، إذا جيفت أبدانهم، والقرد وأنها لا تغتسل من الجنابة.

وقالوا يكثر ركوبها القنفذ والورل[3] وأنشدوا للجن:

وكلّ المطايا قد ركبنا فلم نجدْ ألذَّ وأشهى من ركوب الجنادب

---

(١) القرآن الكريم: الإسراء/ ٦٤ (٢) القرآن الكريم: الرحمن/ ٥٦ و٧٤

(٣) الورل: من الزواحف على خلقة الضب وهو طويل الذنب ودقيقه

ولـمْ أرَ فـيـهـا غـيـرَ قـمـقـذ بـوقـة ... يقـودُ قطـاراً مـن عظـيـم العـنـاكـبِ

وقالوا من قتل من أول الليل بعض هذه المراكب لم يأمن على فحل إبله. ومتى اعتاره غمّ أو مرض في ماله وأهله، حكموا بأن ذلك عقوبة من قتلهم.

● **ما نسبَ فعلُه إلى الجنّ**

نسب كثير من الناس أبنية محكمة إلى الجن واستدلوا على أنهم كانوا يبنون، بقول الله تعالى فيهم ﴿كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾[1] وقال النابغة

وخيِّسِ الجنَّ إني قد أذنتُ لـهـم ... يبنون تدمرَ بالصفَّاح والعمَدِ[2]

وقالوا للمأثور من السيوف عملته الجن. **وقالوا** في الإبل فيها عرقاء من سفاد الجن حتى قالوا الحوشية من نسل حوش وهي إبل الجن. **والمهرية** منسوبة إلى فحل لهم وذهبوا إلى أن النبي ﷺ كره الصلاة في أعطان الإبل لأنها خلقت من أعنان الشياطين. **وقال الجاحظ** جهلوا مجاز الكلام فحملوا اللفظ على غير جهته

---

(١) **القرآن الكريم**: ص/ ٣٧.

(٢) **خيّس**: أي ذلّل ـ **تدمر**: بلدة بالشام بناها سليمان الحكيم ـ **الصفاح**: الحجارة العراض الرقاق ـ **العمد**: السواري من الرخام وهي الأساطين جمع أسطوانة

الحدّ الرابع والعشرون

في الحيوانات

•

(١)

فما جاء في الخيل والبغال والحمير

•

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾[١] وقال خالد بن صفوان: الخيل للإيغال[٢] والبغال للجمال، والحمير للأحمال.

وقال الحسن رضي الله تعالى عنه: جماه مع أذناب الإبل والمذلّة مع أذناب البقر، والسكينة مع أذناب الغنم، والعزّ في نواصي الخيل.

● **وصفُ البغل مدحاً وذماً والاعتذار لركوبه**

قال شاعر في مدحه:

البغلُ فيه لمَنْ يُمارسُه ... صبرُ الحمار وقوةُ الفرَس

وقال البحتري:

وأقبّ نهدٍ للصواهل شطرُه ... يومَ الفخار وشطرُه للمسنحج[٣]

خرقٌ ينميهُ على أبيه ويدّعي ... عصبيةً لابنِ الصليبِ وأعوجِ

مثلُ المدرع جاء بين عمومةٍ ... في عاتقٍ وخؤولةٍ في الخزرجِ

وقيل: ما من شيء بين جنسين أخذ منهما الشبه على السواء كالبغل. وسئل بعضهم: على أي مركب كنت في الطريق؟ فقال: على التي بين الحمار والبغل.

وروي أنه وقع بين حيّين منازعة، فخرجت عائشة رضي الله عنها، وقالت: ائتوني ببغلة أركبها وأصلح بينهما، فقال ابن أبي عتيق: ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل كيف توقعينا بهم يوم البغلة؟ قال الجاحظ: وهذا الحديث من توليد الروافض. فأما عائشة فكان

---

(١) القرآن الكريم: النحل/٨.

(٢) الإيغال: مصدر أوغل في كذا: أدخله فيه، وفي السير أسرع.

(٣) الأقبّ (من الخيل): الضامر البطن والدقيق الخصر ـ النهد: البارز أو العالي الصهوة ـ المسنحج: كل ما يجري دون الجري الشديد من الدواب.

أمرها أنفذ من أن تحتاج أن تركب وأي شيء يندفم حتى تحتاج عائشة فيه إلى الركوب ثم لا يعرف خبره.

وقال بعضهم في تفضيل الإناث منها:

عليكَ بالبغلةِ دون البغلِ	مركبِ قاضٍ وإمامِ عدلِ
وعالمٍ وسيّدٍ وكهلِ	تصلحُ للوحلِ وغيرِ الوحلِ

ويضرب به المثل في تلوّن أخلاقه. قال الشاعر:

خلقٌ جديدٌ كلّ يو	مٍ مثلُ أخلاقِ البغالِ

وقال آخر:

متلوّن كتلوّن البغل

لقي الرشيد موسى بن جعفر على بغلة فستنكر ذلك، وقال: أتركب دابّة إن طلبت عليها لم تلحق وإن طلبت لم تسبق؟ فقال: لست بحيث أحتاج أن أطلب أو أطلب وإنها دابّة تنحط عن خيلاء الخيل، وترتفع عن ذلّة الحمير وخير الأمور أوساطها.

● وصفُ الحمار مدحاً وذمّاً

وصفَ الفضلُ بن عيسى الحمارَ فقال: هو أقرب الدواب داءً وأكثرها دواء وأكثرها جماحاً أنعصى مهوى وأقرب مرتقى قد تواضع راكبه ولو أراد أبو سيارة لركب في الموسم مهرياً وفرساً عربياً، لكنه ركب الحمار أربعين سنة فعارضه أعرابي، فقال: الحمار إن وقفته أدلى وإن تركته ولى، كثير الروث قليل الغوث لا ترقأ به الدماء ولا تمهر[1] به النساء ولا يندى به الإناء.

ونظر الرقاشي إلى حمار عاره لمسلم بن قتيبة، فقال: قعدة نبي وبذلة جبار، ذهب إلى حمار عزير وحمار عيسى وحمار بلعم.

وقرّب إلى أبي لجيم حمار له ليركبه وهو والي البصرة، فقال خالد بن صفوان: أعيذك بالله أيها الأمير من ركوبه فإنه عير، والعير عار وشنار منكر الصوت بعيد الموت متمرق الصحل، متورط في الوحل بسائره، مشرف ولراكبه مقرف. فقال أبو لجيم: أمصته فقال خالد: اجعله لي. فقال: هو لك معاد عليه راكباً. فلما بصر به، قال: ما هذا؟ قال: عير من نسل الكداد أصحر السربال محملج[2] القوائم يحمل الرجل ويبلغ العقبة، ويمنعني أن أكون جباراً.

وقيل: شر المال مالاً يزكى ولا يذكى يعني الحمير، لأنه لا تجب الزكاة في سائمتها

---

(١) تمهر به النساء: أي يعطى مهراً لهن.

(٢) المحملج: من حملج الحبل إذا فتله فتلاً شديداً.

وكتب قيصر إلى الرشيد على سبيل المحاياة: إبعث إليّ بشر الطعام على شرّ الدواب مع شر الناس فبعث إليه جبناً على حمار مع خوزي.

وقيل: اصبر على الذلّ من الحمار. ويضرب المثل به في الصوت، قال الله تعالى. ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[1] وقيل لأعرابي: ألا تركب الحمار؟ فقال: إنه عشرة منخرة، تبوع للحجرة. وقيل: الحمار مطية مدحال قال شاعر

إن الحمارَ معَ الحمار مطيّة ... فإذا خلوتَ به فبئس الصاحبُ

وقيل لبعضهم: أي مركوب كلما كان أكبر كان أدلّ لصاحبه؟ فقال. الحمار. وقيل لا تركب الحمار فإنه إذا كان سلساً أتعب يديك، وإن كان بليداً أتعب رجليك.

ولقي جحظة بعض أصحابه على حمار فقال مالك اقتصرت على ركوب حمار، لا يساوي ثمن قضيبه؟ فأنشأ يقول

لا تنكرنّي على حمار ... يصيغ في مثله الشعيرُ
وكيف لا يمتطي حماراً ... من جُلّ إخوانه حميرُ

وقال:

ولا عن رضا كان الحمارُ مطيّتي ... ولكنّ من يمشي سيرضى بما ركب

(٢)
فضل الفرس

قال الله تعالى في الامتنان به: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[2] ومن فضيلته أن النبي ﷺ أسهم له سهمين، ولم يجعل لراكبه المسلم إلا سهماً. وقال ﷺ الخيل معقود في نواصيها الخير

وقال رجل من الأنصار وقد روي لامرىء القيس

الخيرُ ما طلعَت شمسٌ وما غربتْ ... معلّق بنواصي الخيل معصوبُ

ويروى أن النبي ﷺ أمرغ فرساً له، ثم جعل يمسحه بردائه، فقيل له في ذلك فقال: بتّ البارحة وجبريل يعاتبني في سياسة الخيل.

وكانت العرب لا تهنأ إلا بثلاث إذا ولد للرجل ذكر قيل له ليهنك الفارس، وإذا نبغ في الحيّ شاعر قيل لوالده ليهنك من يذبّ[3] عن عرضك، وإذا نتج مهراً قيل له: ليهنك ما تطلب عليه الثأر.

---

(١) القرآن الكريم: لقمان/١٩.
(٢) القرآن الكريم: الأنفال/٦١
(٣) ذبّ عن: دافع، والعرض: كل ما يحامى عنه

وقال الجاحظ: لم تكن أمة قط أشد عجباً بالخيل ولا أعلم بها من العرب، ولذلك أضيفت إليهم بكل لسان ونسبت إليهم بكل مكان، فقالوا فرس عربي ولم يقولوا هندي ولا رومي ولا فارسي.

وعرض الحجاج أفراساً وجواري وبين يديه أعرابي مخيّره بين فرس وجارية، فقال

لَصَلْصَلَةُ اللِّجَامِ بِرأْسِ طِرْفٍ	أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَنْكِحِيني
أخافُ إذا حَلَلْنا في مَضِيقٍ	وجدَّ الركضُ أن لا تحمِليني[1]

● الحثّ على إيثاره والإحسان إليه، والتمدحُ بذلك

قال النبي ﷺ: من قدر على ثمن دابة فليشترها، فإنه تعينه على رزقه وتأتيه برزقها.
وقال أبو ذر: ما من ليلة إلا والفرس يدعو ربّه ويقول: اللهم سخرتني لابن آدم وجعلت رزقي بيده، فاجعلني أحب إليه من أهله وماله، اللهم ارزقه وارزقني على يديه.

وقال ابن سيرين لرجل: لم بعت فرسك؟ قال: لمؤنتها. فقال: تراه خلق عليك رزقه. وقال مالك بن نويرة:

جزاني دَوائي ذو الخِمار وصنعتي	بما باتَ أطواء بَني الأصاغرُ
رأى أنني لا بالقليل أمونُه	ولا أنا عنه في المُواساة ظاهرُ

وقال يزيد العبدي:

قصرنا عليه بالمقيظ لقاحَنا	فعيّنه بين الكراع (؟) بازلاً أو سُداسيا

وقال:

مفدّاة مكرّمة علينا	تجاع لها العيالُ ولا تجاعُ

وقال:

هاجرتني يا بنتَ آلِ سعد	أأن حلبت لقحة للوردِ
جهلت من عنانه الممتدِ	ونظرتي في عطفهم الألدّ
إذا جيادُ الخيلِ جاءت تردى	مملوءة من غضبٍ وحرْدِ[2]

وقال:

تلومُ على أن أعطي الوردَ لقحة	وما تستوي والوردُ ساعةَ تفزعُ

وقال عامر بن الطفيل:

وللخيل أيامٌ فمن يصطبرْ لها	ويعرفْ لها أيامَها الخيرَ تعقبُ

---

(١) المضيق: ما ضاق من الأماكن والأمور.

(٢) تردي (الفرس): ترجم الأرض بحوافرها. الحرد: الغضب والحرد استرخاء عصب يد البعير.

- **كونه معقلاً**

قال شاعر:

إن الحصونَ الخيل لا مدرى القرى

وقال لبيد:

معاقلُنا التي نأوي إليها ... بنات الأعوجية لا السيوفُ[1]

وعن بعض الفرس: الخيلُ حصون مبيعة، ومعاقل رفيعة. وقيل: لا حصن كالحصان ولا جنة كالبيان.

- **الأمرُ بإهانته وإعارته**

قال بعضهم:

أهينوا مطاياكم فإني رأيتُكم ... يهونُ على الرذونِ موتُ الفتى الندبِ[2]

وقال آخر:

وإني إذا ما المرءُ آثرَ بخلَه ... عن نعيه آثرتُ نفسي على بخلي

وأبذلُه للمستعيرينَ لا أرى ... به علةً ما دامَ ينقادُ للحبلِ

- **مدحُ إناث الخيل**

قال ﷺ: عليكم بإناث الخيل فإن ظهورها عز وبطونها كنز. وقيل له ﷺ: أي المال خير؟ **فقال:** سكة مأبورة ومهرة مأمورة. **وقال:** بطون الخيل كنز وظهورها حرز.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: لولا أني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن الخصاء لأمرت به فإنه أحمى للغارة وأكمن، ولكن عليكم بالإناث.

- **مشاهيرُ الأفراس**

كان ملك الهند أهدى شبديز إلى كسرى، وكان من أزكى الدواب وأعظمها خلقاً وكان لا يبول ولا يروث تحته وكان ينخر ولا يزبد، وكان استدارة حافره ثلاثة أشبار، فبقي مدة ثم نفق. فلإعجاب كسرى به أمر بتصويره. فلما تأمل صورته استعبر.

ومن فحول الخيل عند العرب المسجد والوجيه والغراب ولاحق وملحب ومكتوم.

وقال طفيل:

بناتُ الوجيه والغرابِ ولاحقٍ ... وأعوج ينمي نسبةَ المتنسبِ

وأشقر مروان من نسل **الذائد**، والذائد من ولد **يعطين** من البطان، وهو الذي بعث الحجاج إلى الوليد. ومن نسل أعوج **داحس** كان لعبسيّ بن جذيمة العبسي، والغبراء لحمل بن بدر بن حذيفة. وتشاءمت العرب بداحس لوقوع الحرب بسببها.

---

(١) الأعوجية: الخيل المنسوبة إلى فحل يدعى الأعوجي.

(٢) الفتى الندب: السريع إلى الفضائل.

والعصا فرس جذيمة الأبرش، وقيل إن قيصر ركبها لما صار جذيمة في بلد الروم فركضها فلم تقف إلا على رأس ثلاثين ميلاً. ثم وقف هناك فبالت، فبنى على ذلك الموضع برج يسمى برج العصا.

وزهدم فرس عنترة، والنعامة فرس الحارث بن عباد. ومن أفراس النبي ﷺ اللزاز هداه المقوقس إليه مع مارية، والسكب والهيبوب وبغلته دلدل وحماره يعفور وله ناقتان العضباء والقصواء. وكان لعلي رضي الله عنه بغلة يقال لها الشهباء، واليحموم والرقيب فرسا النعمان. والعباب فرس مالك بن نويرة وهـون فرس الزبير بن العوام. والغزالة فرس خولان. والحرون لمسلم بن عمرو. واشتراه بألف دينار. وكامل لزيد الفوارس وقسام لبني جعدة والزائد لمحمد بن عبد الملك.

- **الماهرُ بالركوب العاجز**

قيل:

لـم يـركـبـوا الـخـيـل إلا بـعـدمـا كـبـروا

وقال آخر:

وإنـي لأرثـي لـلـكـريـم إذا غـدا ... عـلى حـاجـةٍ عـنـد الـلـئـيـم يـطـالـبـه
وأرثـي لـهُ مـن وقـفـة عـنـد بـابـه ... كـمـرثـيـتـي لـلـطـرف والـعـلـجُ راكـبُـه

- **اللازمُ لظهر الدّابة**

يقال فلان حلس دابته **وقال شاعر:**

أراكَ لا تـــنـــزلُ عـــن ظـــهـــره ... ولـو مـن الـمـهـد إلـى الـحـبـس

قال أمير المؤمنين: اضرب الفرس على النفار، ولا تضربه على العثار، فإنه يرى ما لا تراه، **وقال رجل لأمير المؤمنين:** متى أضرب حماري؟ قال: إذا لم يذهب إلى الحاجة كما ينصرف إلى البيت

- **المستغني عنِ الضرب**

قال ثعلبة:

وتـعـطـيـكَ قـبْـلَ الـسـوط مـلء عـنـانـهـا

وقال ابن المعتز:

أضـيـعُ شـيء سـوطُـه إذ يـركـبُـه

وله

حـبـسـنـا عـلـيـهـا ظـالـمـيـن سـيـاطـنـا ... فـطـارت بـهـا أيـدٍ سـراعٍ وأرجـلُ

- **الخائفُ من الضرب**

قيل: أكرم الخيل لأمهاتها أجرعها من السوط، وأكيس الصبيان أشدهم بعضاً للكتاب، وأكرم المهار أشدها ملازمة لأمهاتها.

وقال علقمة يصف ناقة:

تلاحظ السوطَ شزراً وهي ضامِرَة

وقال الكميت:

إذا اعصوصبت في أينق فكأنّما بزجرو أحرى من سواهنّ تضربُ

● الجيدُ العدو

قيل لأعرابي: كيف عدو فرسك؟ قال. يعدو ما وجد أرضاً. وقيل لآخر، فقال: همّه أمامه وسوطه عنانه، وما ضربه أحد إلا ظلماً.

وقال أعرابي في صفة فرس وهو رخو العنان، كأن له في كل قائمة جناحاً. وذكر رجل فرساً فقال: كأنه شيطان، في أشطان إذ أرسل لمع لمع سحاب، أقرب الأشياء إليه الذي تقع عينه عليه.

ووصف ابن القرية فرساً بعثه لحجاج إلى عبد الملك بعثت بفرس حسن القدّ أسيل الخد، يسبق الطرف ويستغرق الوصف. وكتب عمرو بن مسعدة: يمرّ بالشاب مع قواه ويسير بالشيخ تحت هوان.

● لاحِقٌ غيرُ ملحوق

عرض أعرابي فرساً للبيع، فقيل له: كيف هو؟ فقال ما طلبت عليه إلا لحقت ولا طُلبت إلا فت. فقيل له ولم تبيعه؟ فأنشأ يقول:

وقد تُخرِجُ الحاجاتُ يا أمّ مالِكٍ كرائمَ من ربّ لهنّ ضنينِ

وقال المرقّش:

ويسبقُ مطروداً ويلحقُ طارِداً ويخرجُ من همّ المضيق ويُحرجُ

قال الناشيء:

لم يعتصمْ ذو مهرب بفراقهِ يوماً ولاذَ ومطلب بلحاقه

وقال المتنبي:

أدركتُه بجوادٍ ظهرُه حرَمُ

● المدركُ ما طلب

قال امرؤ القيس، وهو أولّ من ابتدعه

بمُنجَردٍ قَيْدِ الأوابدِ هيكَلِ[1]

وقال الأسود.

قيدُ الأوابدِ والرهانِ جوادُ

---

(١) المنجرد: القصير الشعر ـ قيد الأوابد كناية عن السرعة، فجواده يدرك الوحوش فلا تقوى على الفرار فكأنه يقيدها ـ هيكل: ضخم

وقال عمارة بن عقيل:

وأرى الوحشَ في يَميني إذ ما　　كانَ يوماً عنانُه بشِمالي

وقال ابن مقبل:

ولا ينفعُ الوحشَ منه أن تحذَّره　　كأنّه معلَق منها بخطّافِ[1]

● المشبّه بالوحشيات

قال مالك بن نويرة:

وكأنّه فوقَ الجوالبِ جاليا　　ريمٌ تضايقُه كلابٌ أخضعُ

وقال الجعديّ:

كلفتُها شيدا أزلّ مضدرا

وقال آخر:

رحيلٌ كسرحانِ الغضا المتأوّبِ

● المشبّه في السرعة بالطيور

كأنه فتخاء[2] كاسر وكأنما يهفو بشمال جلبو

وقال امرؤ القيس:

كأنّ غلامي إذ علا حال متنِه　　على ظهر بازٍ في السّماء محلّقِ

وقال آخر:

تحسبُه يطيرُ وهو يغدو

وقال مروان:

أقبلَ يقضّ انقضاضَ الكوكبِ　　كأنّه بازٍ هوى من مرقبِ

يطلبُ صيداً في فضاءٍ سبسبِ　　لجائعٍ في وكرٍ مرعبِ[3]

● المشبّه بالدلاء

قال أبو النجم:

يهوي هويَّ الغربِ من رشائه　　أخطأهُ المَمرعُ مِن أهوائهِ[4]

وقال ابن نويرة:

كالدلوِ خانَ رشاؤها المتقطّعُ

وقال آخر:

هويّ دلوٍ خانَه الكربُ

---

(١) الخطّاف: حديدة عجفاء يختطف بها　　(٢) الفتخاء: العقاب اللينة الجناح

(٣) السبسب: الفلاة ـ الوكر: عش الطائر ـ المرغب: فرخ الطير الذي يعلوه الزغب.

(٤) الرشاء: الحبل

● **المشبّه بالماءِ الجاري والمَطر**

قال ابن المعتز:

أسـرعُ مـن مـاءٍ إلـى تـصـويـبِ

وقال المرقّش الأكبر:

يجمّ جمومَ الحسي جاشَ مضيقُه وجـرْده مـن تـحـتِ ذيـل وأبـلَـج[1]

قال زهير

كشؤبوبِ غيثٍ يحفش الأكم وابلُه[2]

● **المشبّهُ بالريح والبرق والنجم**

وقال نصيب الأصغر:

هي الريحُ إلا خلقها غير أنها تبيتُ غوادي الريح حيثُ تُقيلُ

وقال آخر

سليلُ ريحٍ نتجت من برقِ

وقال امرؤ القيس:

إذا ما جرى شأوين وابتلّ عطفُه تقولُ هوى الريح مرّت بأثار[3]

وقال آخر:

كأنه لمعة من عرضٍ سرد

وقال أبو العتاهية:

قد خلّف الريحَ حسرى وهي تتبعُه ومرّ يختطفُ الأبصار والنظرا

وقال ابن الرومي:

تراه كالنجم خرّ منصلتاً إثرَ العفاريتِ والشياطينِ

● **السابقُ الطرفَ والوَهْم**

قال أبو النجم:

يسبقُ طرفَ العينِ من مضائِه

● **في وصْفِه**

طِرفٌ يسبق الطَّرفَ ويفوتُ الوهم.

---

(١) **يجمّ الفرس**: يترك فلا يركب ـ **الحسي**: السهل يستنقع فيه الماء ـ **جاش (الوادي)**: زخر وامتد، والصدر غلى غيظاً.

(٢) **الشؤبوب**: الدفعة من المطر ـ **الوابل**: المطر الغزير ويحفش وابله الأكم أي يظهر نباتها، **يحفش (السيل)**: يملأ الوادي..

(٣) **الشأو**: الشوط أو الأمد.

وقال المتنبي:

أرْبُعهــا قَبْــل طَرْفِهــا تَصِــل

وقال الناشئ في وصفه:

مِثْلُ دعاءٍ مستجابٍ إنْ علا   أو كدعاءٍ نازلٍ إذا هَبَط

- **المشبه بالنار والغليان**

شدّ كإضرام الحريق، كمعمعة لسعف الموقد، كحريق في عريق، إذا جاش حميُه عليُ مرْجَل.

- **تواتر أيديها وأرجلها في العدو**

قال بكرُ بن النطاح:

كأنّما اليدان والرجلان   طالبتا وتْرٍ وهاربتان[1]

وقال الحماني يصف فرساً محجلاً:

كأن تحت البطنِ منه أكلُباً   بيضاً صِغاراً ينهشن المقبا[2]

وقال ابن خلف:

وكأنما جهدت اليديه   أن لا تمس الأرض أربعُه

وقال آخر:

وكأنما يرفعن ما لا يوضَعُ

وقال الموسوي:

كأنه في سرعان الوخد   يلمع في أرساغه بالمرد[3]

- **الحافرُ بالناورد**

قال كشاجم

ماءٌ تدفّق طاعةً وسلاسةً   فإذا استدرّ الحضر منه فنارُ[4]

وإذا عطفت به على ناورده   لتديره فكأنه بركار

وقال المتنبي:

تثني على قدرِ الطعان كأنما   مفاصلُها تحت الرياحِ مراودُ[5]

وقال الصاحب:

له دورُ ناورد على قدرِ درهم

---

(١) الوتر: الثأر.

(٢) الأكلب: الكلاب ـ ينهشن: يعضضن أو يتناولنه بالفم ـ المنقب: الموضع الذي ينقبه البيطار من بطن الدابة

(٣) الأرساغ: جمع رسغ وهو الموضع المستدق بين الحافر وموصل الوظيف من اليد والرجل، أو المفصل بين الساعد والكف

(٤) الحُضر: من أحضر الفرس إذا عدا شديداً   (٥) المراود: جمع مرود وهو محور البكرة

وقال امرؤ القيس:

لـه وثـبـاتٌ كـوثـبِ الـظِّـبـاء فـوادٍ خـطـارٌ ووادٍ مـطـر

وقال آخر:

وآخـره مـا يـغـبـطُـه الـخـطـارُ

● المثيرُ الغبار

قال طفيل:

إذا هبطَتْ سهلاً حسبْتَ غبارَها بجانبهِ الأقصى دواخنَ تنصبُ

وقال الخوارزمي:

يـخـفُّ لـوطـئِـهـا الـتـربُ الـبـلـيـدُ

وقال ابن المعتز:

يـرفـعُ نـقـعـاً كـدخـانِ الـعـرفـجِ أو مثلِ ندفِ الكرسفِ المنمنمِ[1]

● تابعُ الخيول

قال شاعر:

يخرجْنَ من تحتِ الغبارِ عوابسا كأصابعِ المقرورِ أقعى فاصطلى[2]

وقال ضمرة بن ضمرة:

كـالـتـمـر يـنـتـثـرُ مـن جـرابِ الـجـرِم

● الهملاجُ[3]

قال عمر بن عبد العزيز: ما من شيء تركته لله فتاقت نفسي إليه، إلا ركوب الهماليج

وقال مسلم: ما بقيت لذة إلا ركوب الهماليج وقتل الجبابرة.

● السبقُ

قال ﷺ: الخيل تجري بأحسابها فإذا كان يوم الرهان، جرت بجدود أربابها وكانت لرسول الله ﷺ ناقة لا تسبق، فجاء أعرابي على قعود فسبقها، فصعب على النبي ﷺ فقال: حقّ على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه

وكان عمر رضي الله عنه يأمر أن يجري الفرس من رأس الميدان وهو أربعة فراسخ وسابق عبد الملك بين بنيه فسبق الوليد وثنى سليمان وجاء مسلمة بعدهما، فقال عبد الملك لقبيصة الخزاعي أتروي قول الشي.

نـهـيـتـكـم أن تـحـمـلـوا هـجـنـاءكـم على خيلكم يومَ الرهان فتدركُ[4]

---

(١) النقع: الغبار ـ العرفج. ضرب من النبات ـ الكرسف: القطن

(٢) المقرور: المرتجف من البرد ـ أقعى (السبع): جلس على مؤخره ـ اصطلى: استدفأ.

(٣) الهملاج: البرذون الحسن السير.

(٤) الهجناء: جمع هجين وهو الذي أبوه عربيّ وأمّه أمة غير محصنة ـ يوم الرهان: يوم السباق، والرهان مصدر راهن رهاناً ومراهنة... على الخيل: سابقه

فتنفر كفّاه ويسقط سوطُه وتجردُ ساقاه فلا يتحركُ
وما يستوي المرآن هذا ابنُ حرّة وهذ هجينٌ ظهرُه مشترَكْ

فقال مسلمة: قد قال حاتم خيراً من هذا.

وكائن ترى فينا من ابن سبيّةٍ إذا لقي الأبطالَ يطعنُها شزْرا

(الأبيات) فسرّ عبد الملك به وقبّله بين عينيه.

● مفاضلةُ ألوانِها

قال النبي ﷺ: لو جمعت خيول العرب في صعيد واحد لجاءت وسابقها أشقر. وقال: خير الخيل الأدهم الأرثم[1] المحجل ثلاثاً، لمطلق اليمين فإن لم يكن أدهم فكميت على هذه الهيئة واستشار أعرابي النبي ﷺ في شراء فرس، فقال: اشتره أغرّ محجلاً مطلق اليمين تغنم وتسلم.

وقال ﷺ: اليمن في شقر الخيل. وقال بعض الحكماء: إن طلبك صاحب أشقر فعليك بالحَزن[2]، فإن الأشقر رقيق الحافر. وإن طلبك صاحب أدهم، فعليك بالوحل فإنه رديء القوائم. وإن طلبك صاحب كميت، فعليك بالجدد[3] فعسى أن تنجو.

قال محمد بن سلام لم يسبق الحلبة أبلق[4] قط ولا بلقاء وزعموا أن الشيات[5] كلها نقص وضعف، والشية كل لون دخل على لون.

قال الله تعالى: ﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾[6] وكل حيوان إذا اسود شعره أو صوفه كان أقوى لبدنه، ولا خير في البقع. وكذلك البقر من الخيل والبقع من الحمر والتيس.

● أحوالُ ألوانِها

قال ابن عباس كان ﷺ يستحب الشقر من الخيل، وقال ﷺ إذا اعتددت فرساً فاعتده أقرح أرثم ومحجل الثلاث مطلق اليمين، لونها ميامين فإن لم يكن أدهم فكميت ثم أغرّ تغنم وتسلم، إن شاء الله تعالى. وقال سلمة

كميتٌ غيرُ محلفةٍ ولكن كلون الصرف حلّ به الأديمُ

وقال المرار:

فهو وردُ اللون تزأرهُ وكميت اللونِ ما لم يزأر

وقال السلامي في أغرّ أرثم:

تظنّ نجماً منيراً فوق غرّته وأنهُ بهلال ظلّ يلتثِمُ

---

(1) الأرثم: الفرس في طرف أنفه بياض. (2) الحزن: المرتفع والغليظ من الأرض
(3) الجلد: الأرض الغليظة والمستوية. (4) الأبلق: الأبيض
(5) الشيات: جمع شية وهي العلامة والنقش، من وشى يشي وشياً وشية الثوب حسّنه بالألوان ونقشه.
(6) القرآن الكريم: البقرة/ ٧١

وقال ابن المعتز في محجّل الواحد مطلق الثلاث:

ومحجلٌ غير اليمين كأنه ... متبختر يمشي بكم مسبل

وقال أبو تمام في أبلق:

مسودٌ شطرٍ مثلَ ما اسودَّ الدجى ... مبيضٌ شطر كابيضاض المهرقِ

● التحجيلُ

قال ابن المعتز في كمَيْت:

وقارح أرثعه أصواؤه ... كأنما من دمه غشاوة[1]

● الأغرّ المحجّل

قال البحتري:

تتوهمُ الجوزاءُ في أرساغهِ ... والبدرَ غرةَ وجههِ المتهلّلِ[2]

● الغُرّة

قال شاعر

تخالُ بياضَ غرتها أسرجاً

وقال آخر:

كأنما الشعرى على وجهه[3]

وقال ابن نباتة:

تطلعُ بين عينيه الثريا

وله

وكأنما لطمَ الصباحُ جبينَه ... فاقتصّ منه فخاض في أحشائه

وقال المتنبي:

وعيني إلى أذني أغرّ كأنه ... من الليلِ باقٍ بين عينيه كوكبُ

● ما يتفادى منه من الشيات

كان ﷺ يكره الشكال وهو أن تكون اليد اليمنى والرجل اليسرى أو بالعكس مختلفين، أنشد أبو عبيدة

إذا عرق المهقوعُ بالمرءِ أنعظَت ... حليلته وازداد حراً عجانُها[4]

وقيل أنق الخيل المهقوع وهو الذي في عرض زوره دائرة، وكانوا يستحبونه حتى أراد رجل شراء مهقوع مرة فامتنع صاحبه من بيعه، فقرأ المشتري هذا البيت فصار يتفادى منه.

---

(١) القارح: الذي شقّ نابه وطلع ـ الأصواء: جمع صوة وهي ما غلظ وارتفع من الأرض، والصوة الحجر يكون دليلاً في الطريق.

(٢) الغرّة: البياض في جبهة الفرس.

(٣) الشعرى: الكوكب الذي يطلع في الجوزاء وطلوعه في شدّة الحرّ.

(٤) المهقوع من الخيل: الذي تكون به الهقعة وهي دائرة في وسط زور الفرس.

● المَرِح

وصف أعرابي فرساً فقال هو شيطان في أشطان وقال بشر:

مُهارِشَةُ العِنانِ كأنَّ فيها جَراءة هِرَّةٍ فيها اضطرابُ

وقال آخر:

كأنَّ به لَشِمَةَ زُنْبُورِ

وقال غيلان بن حريث:

يكادُ ممّا يزدهيهِ أشَرُه يطيرُ لولا أنّنا نوقِّرُه[1]

وقال أبو تمام:

كأنّما خالطَه أولَقٌ أو خامرَتْ هامتَه الخَنْدَريسُ[2]

وقال:

كأنّه سكرانُ أو عابثٌ أو ابنُ رب حدث المولدِ

وقال الموسوي

يُزجون جرداً لا تقرّ على الثرى مرَحاً كأن الشربَ شوكُ قتادِ[3]

● الشديدُ الصَّهيل

قال شاعر:

ساجش الصوت يعبوب[4]

وقال مزرّد:

أجشّ صهيليّ كأنّ صهيلَه مزاميرُ شَرْبٍ جاوبتْها الجلاجلُ[5]

وقال الموسوي:

ويصهَلُ في مثلِ قعرِ الطَّوَى صهيلاً يبينُ للمُعْرِبِ

وقال البحتري:

وكأنّ صهلتَه إذا استعلى بها رعدٌ يقعقعُ في ازدحامِ غمامِ

● الطامحُ العينِ والرأسِ

قال مزرّد:

يُرى طامحَ العينَيْنِ يرنُو كأنّه مؤانسُ ذعرٍ فهوَ بالأذنِ خائلُ

---

(١) يزدهيه: يحمله على الزهو والعجب.

(٢) الأولق: المسّ من الجنون ـ الهامة: الرأس ـ الخندريس: الخمر.

(٣) يزجون: يطردون ـ الجرد: الخيل ـ لا تقرّ على الثرى، أي سريعة تهب الأرض عدواً ـ القتاد: نبت كثير الشوك.

(٤) اليعبوب: الفرس السريع الطويل من باب التشبيه بالنهر الشديد.

(٥) الشرب: جمع شارب ـ الجلاجل: الأجراس الصغيرة، جمع جلجل.

وقال المتنبي:

وينظرنَ من سودٍ صوادقَ في الدّجى   يرينَ بعيداتِ الشّخوصِ كما هيا

وقال زُهَير:

وملجمُنا ما إن ينالُ قذالَه   ولا قدماه الأرضَ إلا أناملُه

● الموصوفُ بالطول

مدح أعرابي فرساً وراكبه، فقال: كان والله طويل العذار أمين العثار، إذا رآه صاحبه عليه حسبته بازاً على مرقب، معه رمح تقصر به الآجال.

وقال عدي بن الرقاع:

لا يكادُ الطويلُ يبلغُ منه   حيثُ يثني من المقصّ العذارُ[1]

● الطويلُ العنق

قال قطري لرجل: اشترِ لي فرساً. قال: لا علم لي بنجابته، قال: اشتره ونصفه عنقه ومنه أخذ أبو النجم:

يكاد هاديها يكون شطرَها

وقال امرؤ القيس:

ومشاءةٍ في رأسِ جذعٍ مشذّبِ[2]

● دقة الأذن

وأنشد العماني الرشيد:

كأن أذنيه إذا تشوّفا   قادمةً أو قلماً محرّفا

مخطأً فيه ثم قال لأصحابه: كيف يجب أن يقال؟ فأعياهم، فقال: تخال أذنيه كأن هواديه أعلام وآذانها أقلام، وقيل إذن مرهفة مؤللة. ولبعضهم

مقدودةُ الآذانِ أمثالُ القُدودِ[3]

● سعةُ العين

قال بعضهم:

وعينٌ لها حدرةٌ بدرةٌ   وشقت مآقيهما من أخر[4]

وقال آخر:

عينٌ كعينِ البكرِ حين تديرُها   بمحجرِها تحتَ النّصيفِ المُنقبِ[5]

---

(١) العذار: جانب اللحية، وما سال من اللجام على خد الفرس.

(٢) الجذع المشذب: الذي قشر ما عليه من الشوك.

(٣) مقدودة: مقطوعة، من قدّ أي قطع ـ القدود: جمع قدّ.

(٤) الحدرة: من العيون المكتنزة.

(٥) النصيف: كل ما غطّى الرأس من خمار أو عمامة.

● **الجَبْهَةُ**

لـهـا جـبْـهـةٌ كـسـراة الـمِـجـنّ ... حـذقـه الـصـانـعُ الـمـقـتَـدِرُ

● **العُرف**

وأسْـحـم ريّـانُ الـعـسـيـبِ كـأنّـه ... عثاكيلُ قنْوٍ منْ سَميحة مرطب[1]

● **الذَّنَب**

وقال امرؤ القيس:

لـهـا ذَنَـبٌ مـثْـلُ ذيـل الـعَـروسِ ... تـسُـدُّ بـهِ فـرْجَـهـا مـن دُبُـرِ

وقال طفيل:

وأذنـابـهـا وحْـفٌ كـأنّ ذيـولـهـا ... مجرا شاء منْ سَميحَة مرطبِ

● **سَعَةُ الشِّدْقِ**

قال شاعر:

وهيَ شـدْقـاء كـالـجَـوالِـقِ فـوهـا ... مستجاف يضلّ فيه الشّكيمُ[2]

وقال القلاخ:

أشـدقَ رحبُ الـمـكـنـبَـين شرجَـبٌ ... إذ يلْقَ في شدْقَيه كلبٌ ينْعَب[3]

ونحوه للطفيل

وأن يلْقَ كلبٌ بين لحيَيْه يَذْهَبِ

● **سعة المنْخر**

لـهـا مِـنْـخـرٌ كـوِجـار الـضِّـبـاعِ[4]

وقال آخر

لـهـا مـنْـخَـرٌ مـثْـل جيْبِ الـقـمـيـص

وقال بشر:

كـأن حـفـيـف مـنـخـرهـا إذا مـا ... كـتـمْـن الـربـو كِـيـرٌ مـسْـتـعـارُ

وقال بعضهم: يمنع عنه وقوعَ البهر منخر في السعة كنَهْر

● **الواقصُ الذُّباب بطرْفِهِ**

قال المرقش

بـمـحـالـةٍ تـقـص الـذبـابَ بطَـرْفـهـا

---

(١) **الأسحم**: الأسود أو السحاب الأسود - **العثاكيل** جمع عثكول وهو في النخل بمثابة العنقود في الكرم.

(٢) **الشدقاء**: مؤنث الأشدق وهو الذي يلوي شدقه تفصحاً، والأشدق الواسع الشدق - **الجوالق**: جمع جولق وهو العدل من الصوف أو الشعر واللفظة فارسية - **الشكيم** من اللجام: الحديدة المعترضة في فم الفرس

(٣) **الشرجب** الفرس الطويل القوائم ... (٤) **لوجار**: مأوى الضبع

وقال ابنُ مقبل:

ترى النعراتِ الخضرَ تحت لَبَانه ... فُرادى ومثنى أصعقَتْها صواهِلُه[1]

فريساً ومغشياً عليه كأنما ... خيوطه مأوى لواهن قاتِلَهْ[2]

● الضَّامِرُ

وقال عمرو بن معدي.

تقولُ لها الفوارسُ إذ رأوه ... ترى مَسَداً أُمِرَّ على الرِّمَاحِ[3]

وقال آخر:

كأنها هراوةُ منوال[4]

وقال آخر.

كقِدح رامٍ طار عنه شَلْبه[5]

وقال آخر

جوداء مثل هراوةِ المِغْراب[6]

● المحفر

يسمونَ جياد الخيْل بسعة الجوف قال: بطنه يعدو الذكر، وقيل: لم يسبق الحلبة أهضم قط.

وقال الجعديّ:

حيط على زفرة فتم ولم ... يرجع إلى دقة ولا هضم

● الصُّلْب

قال امرؤ القيس:

كجُلمودِ صخرٍ حطَّه السيْلُ منْ عَلِ

وقال طرفة:

وأروَعَ نباض أحد مُلَمْلَم ... كمرداةِ صخرٍ في صَفيح مصمّدِ[7]

● اللَّيِّنُ المفَاصل

قال البحتري:

لانت مفاصِلُه فخيل بأنه ... للخيزران مناسبٌ بعظامه

وقال المتنبي:

مفاصِلُها تحت الرِّماحِ مراوِدُ

---

(١) تحت لبانه: اللبان: الصدر ـ أصعقتها: أصابتها بصاعقة

(٢) الفريس: القتيل ـ الواهن: الضعيف (٣) المسد: الحبل

(٤) الهراوة: العصا الضخمة (٥) القدح: السهم قبل أن ينصل ويراش

(٦) الجوداء: مؤنث الأجود، والجمع أجاويد، والأجود الأكرم

(٧) الصفيح: وجه كلّ شيء عريض ـ المصمد والمصمود: المقصود.

● **القوائمُ**

قال امرؤ القيس:

عظيمُ الشظى عبلُ الشوى شنج النَّسا[1]

وله:

لها ثُنن كخوافي العقاب[2]

وقال سليم الجعدي:

كأنَّ تماثيلَ أرساغِهِ ... رقابُ وعولٍ على مرقبِ

● **الحافرُ المنقبُ**

قال عوف بن الوليد:

لها حافرٌ مثل قعب الوليـ ... ـد تتخذُ الفأرُ فيه مغارا

ويقال حافر كالقدح المكبوب. وقال الموسوي:

وكم قرعَ الدفُّ من حافرٍ ... تخالُ على الأرض قعباً يكب[3]

● **الصلبُ الحافر**

قال امرؤ القيس:

وتخطو على صُمٍّ صِلابٍ كأنها ... حجارةُ غيلٍ وارسات بطحلب[4]

أخذه الجعدي فقصر عنه، وإن كان قد بسط

كأن حوافيه مكبترأ ... حفين وإن كان لم تحطب

حجارةُ غيلٍ برضراضةٍ ... كسين طِلاءً من الطحلبِ[5]

وقال آخر:

حاملٌ تنحت رسغه جلمودا

وقال رؤبة:

يرمي الجلاميدَ بجلمود مدق

وقال شملة بن الأخضر:

إذا قرعت سنابكُها بحَزْن ... جعلْنَ حزونةَ الأجبال هارا[6]

---

(١) **الشظى** عظيم مستدق لازق بالركبة أو بالذراع أو عصب صدر عنه ـ **عبل الشوى** أي غليظ القوائم ـ **الشنج** المتقبض والمتقلص ـ **النسا**: عرق من الورك إلى الكعب.

(٢) **الخوافي**: الريشات الخفية في جناح الطائر ـ **العقاب**: طائر من الجوارح

(٣) **القعب** القدح الضخم الغليظ

(٤) **الغيل** الأجمة ـ **الطحلب** نبات شديد الخضرة ينمو من الرطوبة ليس له جذور يغطي الصخور أحياناً كما يوجد على الشجر

(٥) **الرضراضة** الحجارة التي ترضرض أي تتحرك على وجه الأرض

(٦) **الحزن**: المرتفع الغليظ من الأرض ـ **هاراً**: الهاري الضعيف الساقط أو المنهدم.

وقال ابن المعتز:

وحــافــرٌ أزرقُ كــالــفــيــروزج

- **المؤثّر بحوافره في الصّفا**

قال ابن المعتز:

يــطــبــعُ صــمّ الــصّــفــا حــوافــرُه   طبْعَ الـخـواتـيـم لـيـنَ الـطّـيـنِ

وقال المتنبي:

تماشَتْ بأيدٍ كلّما وافَتِ الصّفا   نقشْن به صدْرَ البُزاةِ حوافِيا[1]

وقال البيغا:

وكـأنّـمـا نـقـشَـتْ حـوافِـرُ خـيْـلِـهِ   للـنـاظـريـنَ أهِـلّـةً في الـجَـلْـمَـدِ

- **معوذ رائق**

قال سلمة بن حوشب:

تـعـوذُ بـالـرقـى من غـيـر خـبـلٍ   ويُـعْـقَـدُ في قـلائِـدهـا الـتـمـيـمُ

وقال ابن المعتز:

يـكـادُ لـولا اسـمُ الإلـهِ يـصـحَـبُـه   تـأكـلُـه عـيـونُـنـا وتـشـربُـه

- **هيئته مقبلة ومدبرة**

قال امرؤ القيس:

إذا أقــبــلــتْ قــلــت دبّــاءةٌ   من الخُضر مغموسةٌ في الغُدُرْ[2]

وإن أدبــرَتْ قــلــت أثــفــيــةٌ   مـلـمـلـمَـةٌ لـيـس فـيـهـا أثَـرْ[3]

وإن أعــرضَــتْ قــلــت ســرعــوفَــةٌ   لـهـا ذنَـبٌ خـلـفَـهـا مـسـبـطِـرْ[4]

وقال البحتري:

وكــأن فــارســه وراء قــذالــه   ردفٌ فـلـسْـتَ تـراه مـن قـدّامـه[5]

- **ما يحمدُ من أوصاف أعضائه مجموعة**

سأل الحجاج ابن القرية ما يحمد من الخيل؟ فقال إذا كان **قصير الثلاث طويل الثلاث** رحب الثلاث صافي الثلاث فهو الجواد. أما **القصير** فالعسيب والساق والظهر،

---

(١) **الصفا**: الصخر - **يقول**: إن هذه الخيل الجرد تسير بأيد تؤثر عند الوطء بالحجارة مثل صدور البزاة، أي إن حوافرها شديدة وصلبة.

(٢) **الدباءة**: الجرادة الملساء - **الخضر**: العدو - **مغموسة في الغدر**: أي مرتوية

(٣) **الأثفية**: الصخرة المستديرة - **الململمة**: الصلبة - **الأثر**: الندوب والخدوش

(٤) **السرعوفة**: الجرادة - **المسبطر**: الممتد

(٥) **القذال**: ما بين الأذنين من مؤخر الرأس - **الودق**: المطر

والطويل الاذن والنحر والسالفة، والرحب المنخر والجوف واللسان، والصافي الأديم والعين والحافر.

قال خباب.

وقدْ أغدو بطرفٍ هيكل ذي مَنعة سكب حديدِ الطرف والمكب والعُرقوبِ والقلْبِ

عريض الخدّ والجبهةِ والصهوةِ والجنْب

وقيل: الفرس يسرع بسعة إبطه وجلده وطول عنقه وعظم حفرته. وأغار زهير على حيّ من أحياء بكر بن وائل، فأصيب بعضهم فأتته جارية تسأله عن أبيها فقال: ما كان تحت أبيك؟ قالت طويل بطنها قصير ظهرها هاديها شطرها، فقال: إن صدق وصفك فقد نجا.

● أوصافٌ مختلفَةٌ

قال بعضهم:

طِرفٌ تـبـيـن لـلـبـصـيـر وغـيـره فـيـه الـنـجـابـةُ جـاريـا ومـقـودا

وقال المتنبي:

إذا لـم تشاهِد غيرَ حـسـنِ شيـاتِـها وأعـضـائِـها فـالـحسْنُ عـنك مغيبُ

وقال البحتري وقد استوهب فرساً مسرجاً ملجماً

والـطـرف أجـلـبُ زائـرٍ لـمـؤونـة مـا لـم يـزرك بـسـرجـه ولـجـامـه

● كثرةُ عرق الخيلِ وقلته

تـرى الـمـاءَ مِن أعطافِـهِ يتحلّبُ

وقال أبو النجم:

كـأنـه فـي الـخـيـل وهـو سـامِ مـشـتـمـلٌ جـامـاً من الـجـمـامِ[1]

وقال آخر:

كـأنّ عـلـى أعـطـافـه ثـوبُ مـائـحِ

وعاب الأصمعي أبا ذؤيب بقوله

إلا الـحـمـيـم فـإنّـه يـتـبـضّـع

وقال امرؤ القيس:

فـأدركَ لـم يـعـرق مـنـاطُ عِـذاره

● أثرُ العَرق

قال طفيلُ الغنوي:

كـأن يـبـيـسَ الـمـاءِ فوْق مـتونِـهـا أساريـرُ مـلـحٍ في متـونِ مـجـرّب

---

(١) الجام. الكأس (واللفظة فارسية)

وقال حميد:

تراها من يبيسِ الماء شُهبا

وقال المرار:

كعقبانِ الظلالِ ترى عليْهِ يبيسَ الماء تحسبُه صَقِيعا

● البَلِيدُ

قيل: أعجز من الدواب كل شيء إلا البلادة، فإن راكبها مركوب. وسئل بعضهم أي البراذين شر؟ قال: الغليظ الركبة الكثير الجسة الذي إذا أرسله قال: أمسكني، وإذا أمسكته قال: أرسلني.

ونظر رجل إلى برذون عليه راوية فقال:

ما المرءُ إلا حيث يجعلُ نفسَه

لو هملج[1] في سيره ما جعل راوية. وقيل لمكاري بارك يريد العصا فقال: إنما أعتم لو أراد يوما ورد، قال شاعر:

لو سابقَ الذرّ مشدوداً قوائمُه يومَ الرهانِ لكانَ الذرُّ يسبقُه
أو مرّ يومَ الوغى والنملُ يطلبُه لكانَ قبلَ ارتدادِ الطرفِ يلحقه

● الموصوفُ بالعيوب

باع رجل فرساً فقيل له: هل به من عيب؟ فقال: لا إلا أنه كأنه قناة، ومشي كأنه سرجلة، ودحس[2] كأنه بطيحة. فقيل: هو بهتان لا برذون.

وقال الحارثي:

دموحٌ برجليْه وقوعٌ بصدرِه عضوضٌ بعينيه طامحٌ متخبطُ[3]

وقال محمد بن جهور:

لي برذون حرونٌ جرد تمحي دحس رحوُ العضب

● الموصوفُ بالهُزال والكِبر

قيل لرجل على فرس هزيل: ما أرى فرسك يروى من الشعر إلا قول عنترة:

ولقد أبيتُ على الطّوى وأظلّه حتى أنال به كريمَ المأكلِ[4]

وقيل لمزبد: ما بال حمارك يتبلّد إذا أخذ نحو المنزل وحمير الناس إلى منازلهم أسرع؟ فقال: لمعرفته بسوء المنقلب.

وقال محمد بن موسى القاساني:

فلا تنكر بجهلك فضلَ مهري فمهري من ملائكة الدوابِ

---

(1) هملج في سيره: مشى مشية سهلة في سرعة.
(2) الدحس: السمين المكتنز.
(3) دموح: أي مستحكم.
(4) الطوى: الجوع.

بـلا تـبْـنٍ يـعـيـشُ ولا قـضـيـم ... ولا الـمـوجـودِ مـن بـرْد الـشـرابِ
سـوى ورقِ الـحـجـارةِ أو خـلـيـطٌ ... يـثـيـرُ لـريـح مـع ظـلِّ الـسـحـابِ
ويـقـضـمُ كـلَّ يـوم كـفَّ شـمـس ... إذا مـا الـشـمْـسُ حـانَـتْ لاغـتـرابِ
وإن يـعـطَـشْ وردتُ بـه هـجـيـرا ... عـلـى نـهـر يـلـوحُ مـن الـسـرابِ

وقال بعضهم:

بـرذون عـمـران أبـي عـبـاد ... يـذكـرُ كـسـرى وزمـانَ عـادِ[1]
كـأنَّـمـا أضـلاعُـه هـوادِ ... كـأنَّـه فـي الـسـوقِ والـقِـيـادِ
سـفـيـنـةٌ تـدفَـع بـالـمـرادي[2]

وقال أبو دلامة يصف فرسه.

وكـانـت قـارحـاً أيـام كِـسـرى ... وتـذكـر تـبّـعـاً عـنـد الـمـصـالِ
وقـد مـرّت بـقـرْن بـعـد قـرنٍ ... وآخـرُ عـهـدِهـا بـهـلاك مـالـي

وكتب أبو العيناء إلى عبيد الله بن يحيى أما بعد أعلم الوزير أن ابنك محمداً حمل عبدك على دابة تسوء الأولياء وتسر الأعداء، تقف بالنثرة[3] وتعثر بالبعرة[4]، كالقرية عجفاً[5] والشنة دنفاً[6]، تسعل وتحبق معاً، تضحك النسوان وتعجب الصبيان. ولقد ركبتها لمس وقفة وحقه وسعلة فمن قائل يقول: بنّ شعيره، وآخر يقول: التقط واحتفظ، وآخر يقول: إعطع قوائمه، واحمله مستراحاً وآخر يقول لا تمرّ به على العلاف فتحمه العرة

وقال ابن طباطبا:

قـارحٌ مـلـجـمٌ بـالإيـوان عـنـدي ... مـثـلُ شـيـخ إذا تـعـاطـى الـخـمـاره
هـنـك صـيّـرتـه بـالإيـوانِ مـهْـرا ... كـيـف تـحـتـالُ إن أردنـا قـرارَه

قال شاعر.

كـأنَّ خـضـيـعـة بـطـنِ الـجـوا ... د وعـوعـة الـذئـب بـالـفـدفـد[7]

● النهي عن الخصي

قال لما غزا النبي ﷺ تبوك حمل رجلاً من الأنصار على فرس وأمره إذا نزل أن ينزل قريباً منه شوقاً إليه وشهوة إلى صهيله فلما قدم النبي ﷺ المدينة سأل

---

(١) البرذون التركي من الخيل - عاد: من العرب البائدة
(٢) المرادي خشبة تدفع بها السفينة. (٣) النثرة المرّة أو القطعة من نثر
(٤) البعر رجيع ذوات الخف والظلف، جمع بعرة
(٥) عجفاً: أي هزيلاً أو نحيلاً.
(٦) دنفاً. الدنف: المريض.
(٧) الفدفد: الفلاة أو المكان الغليظ، المرتفع

الأنصاري عن الفرس قال: حصيناه. فقال مه مثلت به أعرافها أدفاؤها وأذنابها مذابها التمسوا نسلها وباهوا بصهيلها المشركين

(٣)
وممّا جاء في النعم

●

● وصف النعم وتفضيلُ بعضِها على بعض

قال أهل اللغة: النعم اسم يشمل الغنم والبقر والإبل وقال ﷺ: الغنم بركة موضوعة، والإبل جمال لأهلها، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة

وقال أيضاً الفخر في أهل الخيل والسكينة في أهل الغنم. وقيل لابنة الخس ما تقولين في مائة من المعز؟ قالت قني قليل فمائة من الغنم؟ قالت غنى قليل فمائة من الإبل؟ قيل منى وقيل ما خلق الله نعماً خيراً من الأبل إن حملت أثقلت، وإن سارت أبعدت. وإن حلبت أروت. وإن نحرت أشبعت. وقيل. الإبل طويلة الظمء بعيدة الروحة، سبطة المشية ثقيلة الحمل، وكل شهر له كلميال.

● المتبجح بمُلْكِ الإبل

وقال إبراهيم بن العبّاس:

لنا إبل حز يضيق بها الفضا ... وتفتر عنها أرضها وسماؤها
فمن دونها أن تستباح دماؤنا ... ومن دوننا أن تُستباح دماؤها
حمى وقرى فالموْتُ دون مرامها ... وأيسَرُ خطب يومَ حق فناؤُها

وقال المرار:

لهمْ إبلٌ لا من دياتٍ ولم تكُنْ ... مُهوراً ولا مِنْ مكسبٍ غيرِ طائلِ[1]
محبسة في كلّ رسل ونجدةٍ ... وقد عرفت ألوانُها في المعاقِلِ

● وصفُها

وقال أبو جرول:

مخاض كسن الظبي لم أر مثلها ... سناه قتيل أو حلوبة جائعِ

وقال القطامي:

طوالُ القنى ما يلعنُ الضيفُ أهلَها ... إذا هو رغى وسطها بعد ما يسري

---

(١) يقول إن إبلهم ليست من أموال الديات أو من مهور النساء ولا من مكسب بخس

جِفارٌ إذا صافَت هضاتٌ إذا شتَت وبالصيفِ يردون المياهَ على العشر
يعضّ عليها الحاسدون بنانهم وليس بأيديهم غِناي ولا فقري

● ألوانُ الإبلِ وتفضيلُ بعضِها

قال حنيف الحناتم: وكان آبل الناس الرمكاء[1] بهيّة تصغير بهية، والحمراء صبراء[2] والحمراء غزراء، والصهباء سرعاء. وهي الإبل أحرى إن كانت عندي لم أبقها وإن كانت عند غيري لم أشترها. لأنه لا يبيعها إلا لعيب.

وقال أبو نصر النعامي هجّر على حمراء، وأسر بورقاء[3]. وصبّح القوم على صهباء. قيل: ولم ذاك؟ قال: لأن الحمراء أصبر على حرّ الهواجر، والورقاء على السرى والصهبة أحسن الألوان حين ينظر إليها.

وقيل: ورق الإبل أصفاها، والصهب أنقها، والدهم أبهاها، والحمر أضافها، أي أكثرها ولداً والأدم أو صوها، والرمد أوطوها.

● المتشابهةُ الألوان

وقال ذو الرمّة:

إذا انتجت منها المتالي تشابهت على العود إلا بالأنوف سلائله

أي تشابهت على أمهاتها لكونها في مجود واحد فلا يعرفن إلا بالشم

● الإبل المختلفة الألوان

قال بعض اللصوص يصف إبلاً سرقها من أحياء مختلفة:

تسألني الباعة أي دارها لا تسألوني وانظروا ما نارها
كلّ نجارٍ في الورى نجارُها وكلّ نار العالمين نارُها[4]

والنار السمة. كردوس المرائي فيها:

أتسألني عن نارها ودِيارها وذلك علمٌ لا يحيط به الطمسُ

أي العلق.

● الإبلُ المعلَمَةُ

قال الراجز

كلّ علاة توجّست بنارها قيلَ تمام القوم في نجارِها[5]

---

(١) الرمكاء: التي لونها بلون الرماد.
(٢) صبراء: الشديدة الصبر.
(٣) الورقاء: مؤنث الأورق وهو الذي لونه لون الرماد.
(٤) النجار: الأصل.
(٥) العلاة: الناقة الجسيمة المشرفة.

ومن السمات العلاط والخياط والمحجر و خطاف والعراب والحطام والكشاح والجباب.

وقيل بعير محلق وطهور وأحرب والميسم مباح في الشريعة كان يسم إبل الصدقة وكانت القصوى والعضباء ناقتا رسول الله ﷺ موسومتين ومن منعة السمة أنها إذا عرفت للرئيس لم تطرد عن الماء قال:

قد سُقيت آبالهم بالنار والنارُ قد تَشفي من الأوارِ[1]

● إبلٌ غيرُ معلمة

ربما يترك البعير غير معلم إما لأن إعدله كالعلم لها أو يكون ذلك ضنا من صاحبها بها لكرمها.

قال:

ولا عيش الأكل صهباء غفل

وقال:

تناول الحوضَ إذا الحوضُ شغل ومسكها خلف أوراكِ الإبل

وقال:

من كلّ حمراء يقاع المستمي يكرمها أربابها إن توسما

● وصفُ البعير بالسرعة والقوة

وصف أعرابي ناقة فقال تقطع الأرض عرضا وترض الحجارة رضا وتنهض في الزمام نهضاً سريعة الوثوب بطيئة اللكوب مروح شروب، وقيل لآخر. كيف ناقتك؟ فقال: عقاب إذا هوت وحية إذا التوت طوت الفلاة وما انطوت.

وقال شيبة بن عقال. أقبلت من اليمن أريد مكة ومعي ثلاث جمال فصحبت يمنياً على ناقة فوقعت بي جمل بعد جمل حتى بقيت راجلاً فخفت أن يفوتني الحج. فقال اليمني: أتطيب نفسك عمّا معك وتردفني؟ فقلت نعم فنزل وقدم رحله فكاد يضعه على عنقها، ثم قال: خذ حر متاعك إن لم تطب نفسك عنه، ففعلت وأرد في فجعلت تعوم به عوماً كأنه ثعبان حتى انتهى بي إلى الموقف. فقال إن لي حاجة إليك إن لا تذكرها فإن هذه آثر عندي من كل مال في الدنيا أدرك عليها الثأر وأصيد عليها الوحش وأوفي عليها الوسم من صنعاء كل عام.

● تحريكُ الأيدي والأرجل في المشي

قال رؤبة

كأن أيديهن بالقاعِ القرق أيدي جوارٍ يتعاطَيْن الورق

---

(1) الأوار. الحرّ والأوار الدخان والعطش

وقال آخر:

يدا سابحٍ في غمرةٍ يتبوع[1]

وقال آخر:

يدا مغول خرقاء تسحدُ ما تما

وقال آخر:

كأنها نائحةٌ تفجع تبكي لميت وسواها الموجَعُ

وقال الشمّاخ

كأن ذراعيها ذراعا مدلة بعيد الشبابِ حاولت إن تعذرا

وقال القضامي:

عوج فواج إذا حثّ الحداةُ بها حسبتَ أرجلها قدّام أيديها

وصف أعرابي بعيره فقال في صفة قوائمه: وضعها تعليل ودفعها تحليل.

● ومن الحصى بالأخفاف

وقال امرؤ القيس وعنه أخذ الشعراء.

كأنّ الحصى من خلفها وأمامها إذا نجلته رجلُها حذفُ أعسرا[2]

كأنّ صليلَ المروِ حينَ تشذّهُ صليلُ زيوفٍ ينتقدْن بعبقرا[3]

قال عبدة بن الطبيب:

ترى الحصى مشمخرا عن مناسمها كما تخلخل بالوغل الغرابيلُ[4]

قال ابن المعتز:

كأنّ يديْها وهي تسترفضُ الحصى يدا ناقدٍ أو نابلٍ لم يسدّدِ[5]

● الخائفُ من الضرب والزّجر

وصف الكميت ناقة فقالة:

بزجرة أخي من سواهن تضرِبُ

قال إبراهيم بن هرمة.

تكادُ تخرجُ من بينِ الجبالِ إذا ما قالَ غير لأخرى غيرها هاجِ

---

(١) السابح: الفرس السريع. (٢) الحداة: جمع الحادي، وهو سائق الإبل.

(٣) المرو: الحجارة ـ الزيوف: الدراهم الرائفة ـ عبقر: واد في أرض العرب تصوروا أنه ملكوت بالجن وشياطين الشعراء، ونسبوا إليه كلّ عمل حاذق فقدو رجل عبقري.

(٤) مشمخراً: مرتفعاً ـ المناسم: جمع منسم وهو خف البعير

(٥) تسترفض الحصى: تفرّقه

وقال آخر:

مسوطُها للنغْر الحفي ... وبَداها لزجرِ الرَّحى

وقال آخر:

كأن النيرَ يلسعُها ... إذا عرّد حاديهَا

وقال طريح:

تكاد تخرجُ من أنساعِها مرَحاً ... إذا ابن أرض عوَى باليد أو ضبَحا

وقال الشماخ:

وتقسم نصفَ الأرض طرفاً أمامها ... ونصفاً تراه خشية لسوطِ أزورَا

أخذه مسلم بن الوليد فقال:

تمشي المرضة قد تقسم طرفَها ... وضحَ الطريق وخوفَ وقعِ المحصد

● المشبه بالريح والبرق

قال نصيب:

هي الريحُ إلا حلقها غير أنها ... تبيت عوادي الريحِ حيثُ تقيلُ

قال بكر بن النطاح:

كأنّ قوائمه في المسيلِ ... جهانٌ تطارد بالمقفرِ

وقال:

أي قلوص راكب تراها ... من ذكر الريح فقد سماها[1]

أو نعتَ البرقَ فقد كناها

● المشبَه بالطير

وصف رجل بعيره فقال: ركبته كأنه نعمه أو عارته الأجنحة حمامه، مسلم

إلى الإمامِ تهادينا بأرجلِنا ... خلقٌ من الريح في أشباهِ ظُلمانِ[2]

قال أبو سعيد المخزومي:

إليكَ خليفةَ الرحمن طارَت ... ولمْ أرَ قبلها خفّاً بطيرُ

● المشبه بالوحشيات

قال زهير:

كأن كوري وأنساعي وراحلَتي ... كسوتُهنّ شبوباً من لظى لهبَا[3]

---

(1) القلوص: الإبل الفتيّة الشابة

(2) الظلمان: جمع ظليم وهو ذكر النعام.

(3) الكور: الرحل

وقال لبيد:

كأخنس ناشط جادت عليه ... ببرقة واحف إحدى الليالي

وكل ذلك يدخل في صفة الوحشيات

● المشبه بالسفينة

قال المثقب:

كأنّ الكورَ والأنساعَ منها ... على قرواء ماهرة دهين

يشقّ الماء جؤجؤها وتعلو ... غوارب كلّ ذي حدب بطين[1]

وقال أبو النجم:

كأنّه إذ خطّ في الزمام ... قرقور ساجٍ مرسَل الخطام

فهو يشقّ الماء باستحمام

وقال النابغة:

يستن في ثني الجديل وينتحي ... فعلَ الحليةِ في الخليجِ الجاري

● القليل المبالاة ببعد المفاوز

وقال الحطيئة:

إذا نظرت يوماً بمؤخر عينها ... إلى علم بالغورِ قالت لهُ ابعد

● المتقدّم على ما يسايره من المطايا

قيل لأعرابي كيف بعيرك؟ قال: يتقدع المطايا إذا ما شنه بعاره ويخذي إذا برك في آثاره، لا يبرك خفياً يقدمه فهو كما قال:

موكّلةً بالأقدمين فكلّما ... رأت رفقةً فالأولون لها تصبو

وقال أبو نواس:

تذرُ المطيّ أمامها فكأنها ... صفٌ تقدمهنّ وهي إمام[2]

أخذه ابن المعتز وأبدع فقال

وهي إمام الركب في ذهابها ... كسطرِ بسمِ الله في كتابها

وقال المتنبي:

يمشي إذا عدتِ المطيّ وراءَها ... ويزيدُ وقتَ جمامِها وكلاله[3]

---

(١) الجؤجؤ (من الطائر أو السفينة): الصدر. (٢) تذر: تترك ـ المطي: الدابة التي تركب

(٣) الجمام: جمّ جماماً وجموماً الماء تركه يتجمع والجمام معظم الماء، وجمّ جُماماً الفرس: ترك ولم يركب ـ الكلال: التعب والإعياء.

● ما يعجز الحادي عن إدراكه

وقال:

كيفَ ترى مرَّ طلي حياتها ... والحادي اللاغب من حداتها[1]

وقال الأعشى:

حمين لمراقيبِ الحصَى وتركته ... به نفس عالٍ يخالطُه بهُرُ

وقال آخر:

وإذا انتقصت إلى المفازة غادرَت ... زيداً بيعملُ خلفَها تبخيلا[2]

أي لا يدركها الحادي السريع

● المترقص من الإبل

وقال المثقب.

وترقصُ في المسيرِ كأنَّ هرا ... يباريها ويأخذُ بالوضينِ[3]

وقال الممزق.

ترى لو تراءى عندَ معقد غرزِها ... تهاويل من إجلاء دهر مملّق[4]

وقال آخر:

كأن بها من طائف الجن أولقا

● الساكنُ من الأبل

قال ذو الرمّة

تصْغي إذا شدّها بالكور جانحةً ... حتّى إذا ما استوى في غرزها تثبُ

وقال آخر:

تمشي إذا ما هزّت السوالِفا ... مشيَ العذارى هزّت المطارِفا[5]

● المؤثر في الأرض بثفناته

قال ابن المعتز:

كأنّ المطايا إذ غدونَ مسخرة ... تركْن أفاحيصَ القطَا في المنازلِ

وقال المثقب.

كأنّ مواقعَ الثفناتِ منها ... معرّس باكرات الوردِ جونِ

---

(١) الحادي: سائق الإبل.

(٢) يبخل: يبلّد.

(٣) الوضين: الهودج بمنزلة الحزام للسرج.

(٤) الغرز: ركاب الرحل من جلد.

(٥) المطارف. جمع مطرف وهو الرداء من الخز.

كأنّ مناخَها يلقى لجافا ... على معرابها وعلى الوجينِ[1]

● الخفيفُ الوطْء لسرعته

قال بعضهم:

خفية وطء الجرْس لو أن حمرا ... تخطاه في إعشاشه لم يطيّر

● المجترّ

قال المثقب:

وتسمعُ للذبابِ إذا تغنّى ... بتغريدِ الحمام على الزكون

وقال النابغة:

له صريفٌ صريفَ القعْو بالمسَد[2]

● الضامرُ

قال الأعشى:

كتوم رغا إذا ضجرت وكانت ... نقية دود كتم للرغاء[3]

وقال الكميت:

كتوم إذا ضجّ المطيّ كأنما ... تكرم عن أطلابهن وترغب

● الرغاء

قال الكميت:

كأن رغاءهن بكل فجّ ... إذا ارتحلوا نوائحُ معولات[4]

وقال كعب:

أرى إبلي ليست تهجنّ كأنما ... تحاورنَ أنبوباً أجش مثقبا

● اللغام

قال أبو النجم:

كأنه من زبد الأفكل ... مبرنس في كرسف لم يغزل[5]

وقال أبو نواس:

يكتسي عثنونه زبدا ... فيحلاه إلى منحره[6]

---

(١) الوجين: العارض من الأرض.

(٢) الصريف: الصياح من نشاط أو مرح ـ القعو: المعقب من حديد، أو ما يضم البكرة إذ كان من خشب ـ المسد: الحبل

(٣) الرغاء: صوت الإبل

(٤) المعولات: النائحات والرافعات صوتهن بالبكاء

(٥) الأفكل: الجماعة من الناس ـ المبرنس: لابس برنس وهو ثوب غطاء الرأس جزء منه

(٦) المنحر: العنق، الجيد.

ثم تذروه الرياحُ كما ... طار قطن الندف عن وتره

وقال آخر:

لقم كبيتِ العنكبوت الممدّد

● الضامر المهزول

قال جرير:

خرقاءُ صرعها الوجيفُ كأنّها ... جفن طويت به نجاديات[1]

وقال الشماخ:

كأنّها وقد براها الأخماس ... شرائحُ النبع براه القواسُ

وفيه وقيد دبره ورجيع سفر كأنه مشحب أو هلال في ظلمة أعجف

وقال سلم الخاسر:

عيس تباري بعد طول كلالها ... مثل الأهلّةِ قد ذهبْن محاقا[2]

● القطامي

طواها السُرى فالسعُ يجري كأنّه ... وشاحُ فتاةٍ دقّ عنه مخاصره

● المعييات

قال بعضهم: ركبت ناقتي فامضيتها حتى انضيتها أزجيها على الوحي وأبر بها على الحما فقالها إذا أنبحت كلالها قال إبراهيم بن هرمة:

جملَ الوجَى بذراعِ كل نجيبةٍ ... قيدا أمر بغير كفي فاتر[3]

وقال الراعي:

كأنّ لها برحلِ القوم بوّا ... وما إن طبّها إلا اللغوب[4]

وقال الممزّق:

تناج طليحاً ما تراعى من الشذى ... لو ظلّ في أوصالِها الغلّ يرتعي[5]

● القوي الصليب

قال الراعي:

نمت كتفاها إلى حارك ... أشمّ كما أوفد المشترْ

---

(١) الوجيف: السقوط من الخوف، الاضطراب (٢) الأهلة جمع هلال ـ المحاق آخر الشهر القمري.

(٣) الوجى الحفا ـ النجيبة: الناقة مؤنث النجيب وهو النفيس في نوعه.

(٤) البو. ولد الناقة، أو جلد الحوار يحشى تبناً ويقرب من أم الفصيل فتخدع وتعطف عليه فتدرّ ـ اللغوب. الضعيف الأحمق والتعب الشديد الإعياء

(٥) الأوصال: الأطراف ـ الغل: الحقد أو الغش

وقال آخر:

حلدبة كأنان الصخر علكوم

ويقال هي كرمشيد المسيب

وكأن قنطرةً بموضِع كورِها ... ملساء بين غوامضِ الأنساعِ

وقال آخر:

كأنَّ مواقعَ الغربانِ منها ... منارات بُنين على جَماد

وقال بعض العلماء وصف القطامي نوقه بما لو وصف به امرأة لكان أشعر الناس فقال:

يمشين رهواً فلا الأعجار خاذلةٌ ... ولا الصدورُ على الأعجازِ تتكلُ[1]

● العينُ

قال بعضهم:

فلاة أعينها نزحُ القوارير[2]

● مدحُ المعز وتفضيلُها

قيل العتاقُ معز الخيل، والبراذين ضأنها، وإذا وصفوا الرجل بالضعف والموق قالوا: ما هو إلا نعجة من النعاج، وإذا مدحوه قالوا: فلان ماعز من الرجال وفلان أمعز من فلان وقيل شعر المعز كشعر الإنسان وهو به أشبه وإليه أقرب

وقيل سمي بالعنز كما سمي بالكبش فقيل عنز اليمامة وعنز وائل وماعز بن مالك، وقيل أحمق من راعي ضأن ثمانين.

وروي عن النبي ﷺ أمسحوا رغام الشاه ونقوا مرابضها من الشوك والحجارة فإنها من الجنة وقال ما من مسلم له شاة إلا وقدس كل يوم مرة فإن كانت له شاتان قدس كل يوم مرتين.

● تفضيلُ اللحم الضأن والمعز

يقال للطيب الطعام فلان يأكل من رؤس الحملان، ولم يقولوا رؤوس المعز ضأن وشواء الضأن هو المعوت وقال بعض الأطباء إياك ولحم الماعز فإنه يورث الهم ويحرك السوداء ويورث النسيان ويفسد الدم وقيل شحم ثرب المعز وكليتها أطيب من الحمل قال شاعر:

كأنَّ القومَ شووا لحمَ ضأنٍ ... فهم نعجون قد مالت طلاهُم[3]

---

(1) رهواً: سيراً سهلاً. (2) النزح: مصدر نزحت البئر قلّ ماؤها

(3) فهم نعجون: نعج الرجل، أكل لحم الضأن فثقل على معدته فهو ينعج ـ الطّلى: جمع الطلية والطلاة: العنق.

والمصروع إذا أكل لحم الضأن اشتد ما به في أوان الصرع في مبادىء الأهلة وانتصاف الشهور. جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: إني اتخذت غنماً رجوت نسلها ورسلها وإني لا أراها تنمو. قال: ما ألوانها؟ قالت: سود. فقال: عفّري أي أخلطي بها بيضاء. قال الزاجر:

لهفي على عنزين لا أنساهما ... كأن ظل حجر صغراهما
وصالغ مغطرة كبراهما

وقال آخر:

أعددتُ للضيف وللرفيق ... حمراء من معز أبي مرزوقِ
تلحسُ خدّ الحالبِ الرفيقِ ... بلين المس قليل الريق
كأن صوت شخبها العتيقِ ... نحيحُ ضبّ حنقٍ مثيقِ[1]
في حجر ضاقَ أشدّ الضيقِ

وفي صفتها

تحلبُ رسلاً طيب المذاق

قال امرؤ القيس:

لنا غنم نسوقها غزارٌ ... كأنّ قرونَ جلّتها عصيّ
فتملأ بيتنا أقطاً وسمناً ... وحسبُكَ من غنى شبعٌ وريّ[2]

● نعتُ التيس

قال مخارق بن شهاب المازني وكان سيداً يصف تيس غنمه:

وراحت أصيلاناً كأنّ ضروعها ... دلاءٌ وفيها واتد القرن لبلَبُ[3]
له رعثات كالشنوف وعثيره ... شريج ولونٌ كالوذيلة مذهبُ[4]
وعين أحمّ المقلتين وغرة ... بواصها دانٍ من الظلف مكتبُ
أبو الجوّ والغرّ اللواتي كأنها ... من الحسن في الأعناق جزع مثقبُ
ترى ضيفها فيها يبيتُ بغبطةٍ ... وضيفُ ابن قيس جائعٌ متحوّبُ

ووفد قيس هذا على النعمان فقال له: كيف مخارق فيكم؟ فقال: سيد كريم يمدح

---

(١) الشخب: الحليب. والقلَّس في الجلد من حر أو برد ـ النحيح: تردد الصوت في الصدر ـ الضب: حيوان من الزواحف شبيه بالحرذون ـ فتيق: ما ينفتق سمناً.

(٢) الأقط: نوع من الجبن.

(٣) لبلب: لبلب التيس إذا نبّ عند السفاد، وقوله: واتد القرن لبلب أراد شفقته على المعزى التي أرسل فيها فهو ذو لبلبة عليها أي ذو شفقة (انظر لسان العرب، مادة لبب).

(٤) الوذيلة: القطعة من لحم السنام ـ والألية لون مذهب: أي بلون الذهب.

تيسه ويهجو ابن عمه وقيل: فلان أحلم من تيس بني حمان زعموا أنه نفظ سبعين عنزا بعد أن فريت أوداجه وحكى أن ثوراً وثب على بقرة بعد أن خصي فأحبلها.

● حملُ الشاةِ وولادتها

قال الأصمعي: الوقت الجيد في حمل الشاة أن تحلى سبعة أشهر بعد ولادتها ويكون حملها خمسة أشهر فتلد في السنة مرة دون حمل مثلها في السنة مرتين فذلك الأمعال يقال أمعل.

وقيل لأعرابي بأي شيء تعرف حمل شاتك فقال: إذا تورم حياؤها ورجت شعرتها، واستعرضت خاصرتها.

● ذمّ العنز

إشترى رجل من طيء عنزاً بثمانية دراهم من ابن عم له يقال له حميد فلم يحمدها فقال:

لقد لقيتُ من حميدٍ داهيَه ... من أعورِ العيْن مشُوم الناصيه[1]

قد باعني العولَ بأرضٍ خاليه ... أعجبني ضرعٌ لها كالداليه

فقلت ما هذا بجد عاليه ... ليث السباع لقيتُها عاديه

أسألُ ربّ الناسِ منهُ العافيه

(٤)

وممّا جاءَ في الوَحشيّات

●

● البقر

تسمّى مولعة لتولع جسدها، ومذرعة لكون طرفها أسود وسائرها أبيض وتوصف بأنّها محدمة الشرى وخنساء لخنس أنفها وذيلاً لطول ذنبها قال الجعدي:

ووجهاً كبرقوع الفتاة ملمّعاً ... وروقين لما يعدوا أن تقشرا

وقال لبيد في وصف بقرة وحش أكل وحيش ولدها:

أفتِلْكَ أم وحشيّة مسبوعة ... خذلت وهاديةُ الصوارِ قوامُها

لمعفّر قهد تنازع شلوه ... غبش كواسبُ ما يمنّ طعامُها

● الثّور

يوصف باللهق لبياضه وبالزهرة ولذلك قال:

ولاحَ أزهَرُ مشهورُ بنقبته ... كأنه حينَ يعلو عاقرَ لهب

---

(١) مشوم: مخفّف مشؤوم ـ الناصية: شعر مقدّم الرأس

● العاقر الرمل

قال النابغة:

كأنّ رحلي وقد زالَ النهارُ بنا بذي الجليلِ على مُستأنِسٍ وحِدِ
من وحشِ وجرة موشيّ أكارعُه طاوي المصير كسيف الصيقل الفردِ[1]

وقال آخر:

وانقضّ كالدريّ يتبعه نقعٌ يثور تخاله طنبا

وقال الطرماح:

يبدو وتضمره البلاد كأنه سيفٌ على شرفٍ يُسَلّ ويُغمَدُ

وقال لبيد في سرعته.

يشق خمائلَ الدهنا يداه كما لعبَ المقامرُ بالفِيالِ[2]

وقال آخر:

يقاتل الريحَ روقيه وكلكله كالهز في تنحي ينفخُ المخما

ويقال به داء الظباء إذا لم يكن به داء كأن جعفر بن سليمان أحضر على مائدته بالبصرة يوم زاره الرشيد ألبان الظباء وسلاها وزبدها، فاستطاب طعمها فسأله عن ذلك فغمز جعفر بعض الغلمان فأطلق من ظباء معه خشفانها فمرت في عرصة الدار نحوه عينه مقرّطة مخضّبة قال أبو ذؤيب:

فما أمّ خشف بالعلاية مشدن تنوش البرير حيث نال اهتصارُها
موشّحة بالطرتين دنا لها جنى أيكة تضفو عليها قصارها

وقال ذو الرمة يصف ظبية تصون خشفها.

إذا استودعته صفصفا أو صريمةً تنحته ونصت جيدها بالمناظرِ
حذاراً على وسنان يصرعه الكرى بكل مقيل عن صحاف فواتر
وتهجره إلا اختلاساً بطرفها وكم من محب رهبة العين هاجر

وقال:

رأت مستخيراً فاستزابت بشخصه بمحنية يبدو لها ويغيبُ

يعني بالمستخير الصائد الذي يخور خور الغزال فإذا التفتت الظبية علم أنها مغزل، فيطلب غزالها.

---

(١) وجرة: واد في أرض العرب ـ طاوي المصير: ضامر ـ الصيقل: شحاذ السيوف.

(٢) الدهنا: مخفف الدهناء، والدهناء صحراء جزيرة العرب الجنوبية وهي المعروفة بالربع الخالي ـ الفيال: مخفف الفئال وهي لعبة قوامها دفن شيء في التراب ثم قسمه بقسمين والسؤال عن الشيء المخبأ في أي القسمين يكون، واللعب بالفئال كان معروفاً عند عرب الجاهلية.

قال أبو ذؤيب في صفة غزال ضعيف:

إذ هيَ جاءتْ تقشعرّ مكاها ... ويشرقُ بينَ الليثِ منْها إلى القفْلِ[1]

تَرَى حمشاً في صدرِها ثم إنها ... إذا أدبرَت ولّت بمكتنزٍ عبْلِ

وفي وصف الكناس قال بعضهم

وبيتٍ تخفقُ الأرواح فيه ... حلالَ الليل محموم النهار

تمارشه صوانع مشفقات ... على خرقٍ تقومُ بالمداري[2]

● جماعة الوحشيات

قال زهير:

بها العينُ والآرامُ يمشين خلفة ... وأطلاؤها ينهضن من كلّ مجثمِ

وقال آخر:

فأدبرن كالجزع المفصّل بينه ... بجيدٍ معمّ في العشيرة مخول

● الزرافة

تكون بأرض النوبة وتسمى بالفارسية اشتركا ومعناه كأنه بقرة نمر وزعموا أنها ولد النمرة من الجمل، ولو جعلوا الفحل البحر والأنثى الناقة كان أقرب في الوهم فللزرافة خطم الجمل وجلد النمر ورأس الإبل، وظلفها.

والزرافة طويلة اليدين منحنية إلى مآخره وليس لرجليها ركبتان وهذا كقولهم كاومش لما أشبه الثور والكبش واشتر مرك لما أشبههما لأن بين هذين الجنسين تلاحق.

● الفيلُ

الفيل والزندفيل جنسان كالبخت والعراب، وكبقر والجاموس وكالخيل والبراذين وهي لا تنتج عندنا ولا تنبت أنيابها وزعمت الهند أن نابي الفيل قرناه وخرجا من الحنك أعقفين، ويدل على ذلك أنه مصمت الأعلى مجوف الأسفل كالقرن، وأنه لا يعضّ به، وإنما يستعمله استعمال القرن.

وأصل لسان كل حيوان إلى داخل وأصل لسان الفيل إلى خارج

وقالت الهند لولا أن لسان الفيل مقلوب لتكلم وخرطومه أنفه وبه يوصل الطعام إلى جوفه. وهو بين الغضروف والعصب. وبه يقاتل ومتى اغتلم لم يملك، وعاد وحشيا وأكبر الأيور أيره قال:

لما بصرتُ بأير الفيل أذهلني ... عن الحمير وعن تلك البراطيل

---

(1) المكتنز: من الاكتناز وهو تجمّع اللحم والامتلاء - العبل الممتلىء

(2) المداري: جمع مدراة وهي المشط.

واجتمع عند أبرويز تسعمائة وخمسون فيلاً ولم تجتمع عند ملك قط ووضعت فيلة عنده ولم تنتج بالعراق وكانت حمير والتبابعة والمقاول والعباهلة والكيسوم من ملوك الحبشة يكرمون الفيلة ويركبونها.

● ابن طباطبا

أعجب بفيل آنس وحشي ... بهيمة في صفة الإنسي
يفهم عن سائسه السندي ... غيب معاني رمزه الخفي
أقبل في سرباله العمي ... يزهى بجزء منه طاروني
مملس الجلباب ماحني ... يخطو على أساسه القوي
مثل الدلي الموثق المبني ... سائسه عليه دورقي
منتصب منه على كرسي ... خرطومه كحية التركي
يعلو بشطر منه خابوطي ... نابا في هوليهما المحشي
كمثل قرن ناطح طوري ... سبحان رب قادر علي

سخره للبهائم النوي

● الكلب

الكلب موصوف بالسرقة والشم ويسمى فلحس وفلحس إسم طفيلي وهو يرجع في قيئه ويشعر ببوله في جوفي أنفه ومن محاسنه حفظه على أهله وحراسته وفي أرحامها أعجوبة لأنها تلقح من جميع أجناس الكلاب بخلاف الغنم وتؤدي شبه كل واحد وأنثاها تحيض كل سبعة أيام وعلامة ذلك ورم أطبائها[1]. ولا تقبل السفاد في ذلك الوقت ويعتريها عند الولادة هزال وأكثرها مما تضع إثنا عشر جروا وربما وضعت واحداً وجراؤها لا تتهارش بل يؤثر بعضها بعضاً بالطعام. وإناثها أطول عمراً.

والسلوقية كلما أسن كان أقوى على المماطلة[2] بخلاف سائر الحيوانات.

وكل كلب إذا أسن كان صوته أجهر ومن أمثالهم أصبر على الهوان من كلب وألأم من كلب على جيفة.

والكلب أنجس ما يكون إذا اغتسل

ومنها:

حتى تنام ظالم الكلاب

وأنظر من كلب، وأسمع وأشم منه وعلى أهلها جنت براقش، وهو إسم كلبة نعم

---

(١) الأطباء: حلمات الضرع، جمع طبي.

(٢) المماطلة (في الكلام): عقد الكلام وكرره والمماطلة الركوب

مكلب في بؤس أهله. اجع كلبك يتبعك. سمّن كلبك يأكلك. أجوع من كلب حومل مطل كنعاس الكلب.

● **أسماؤه**

سحام ومقلى القيص وسلهب وجدلاً وازهان و لمتناول.

وقال أبو محجن في رجل يسمى وثاباً ويسمّي كلبه عمراً:

ولـــوهـــبـــا لـــه الله   مـــن لـــتـــوفـــيـــق أســبـــابـــا
لـــســـمـــى نـــفـــســـه عـــمـــرا   وســـمـــى الـــكـــلـــب وثـــابـــا

● **جواز قتله**

قال النبي ﷺ لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها وإذا وجدتم الكلب البهيم الأسود فاقتلوه فإنه شيطان.

وقال أمير المؤمنين اقتلوا الجان ذا الطفيتين والأسود البهيم. وفي الخبر أن دية كلب الصيد أربعون درهماً، ودية كلب الدار زبيل تراب، حق على القاتل أن يؤديه وعلى صاحب الكلب أن يقبله.

● **تحريمُ أكله**

أكله محرّم وبنو أسد يعيرون بأكله، ولذلك قال:

إذا أسـدي جـاعَ يـومـاً بـبـلـدةٍ   وكـان سـمـيـنـاً كـلـبُـه فـهـو آكـلُـه

وقال مخاطباً بعضهم:

لـــم خـــافـــك الله عـــلـــيـــه حـــرمـــه

● **ما يجوزُ إرتباطهُ من الكلاب**

قال النبي ﷺ من اقتنى كلباً ليس بكلب صيد ولا حرث ولا ماشية نقص من أجره كل يوم قيراط. **وقال** إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً.

● **محاربةُ الكلب والوحشيات**

قال امرؤ القيس في صفة ثور وكلب:

فـأنـشـبَ أظـفـاره فـي الـنـسـاء   فـقـلـتُ هـبـلـتَ ألا تـنـتـصـرْ
فـكـرّ إلـيـه بـمـبـراتـه   كـمـا خـل ظـهر الـلـسـان الـمـجـر

قال أبو ذؤيب:

والـدهـرُ لا يـبـقـي عـلـى حـدثـانـه   شـبـب أفـزتـه الـكـلابُ مـروعُ[1]

---

(١) **أفزته**: من القرى وهو طعام الضيف - **مروع**: من روع (ه) أفزعه وجعل الخوف يحصره

شعف الكلابِ الضارياتِ فؤاده   فإذا يرى الصبحَ المصدقَ يفزعُ
ينهشْنه ويذودهن ويحتمي   عبْلُ الشوى ذو طرّتين مولعُ

● صيدُ الكلب

قال أبو نواس:

لما تبدّى الصبحُ من حجابِهِ   كطلعة الأشمطِ من جلبابه[1]
هجنا بكلبٍ طالما هجنا به   ينتسف المقود من جذابِه
ما كانَ مشتيه لذي أسلابه   متناً شاعَ لجّ في انسيابه
كأنما الأظفورُ من قنابِهِ   موسى صَناعٍ ردّ في نصابِه[2]

وقال:

أنعتُ كلباً أهله في كدّه   قد سعدَت جدودُهم بجدّه
فكلّ خيرٍ عندهم من عنده   يظلّ مولاه له كعبدِه
ذا غرّةٍ محجّلاً برسده   تلذُّ منه العينُ حسنَ قدّه
يا لك من كلبٍ نسيجِ وحدِه

● الفهد

كبارُها أقبل للآداب من صغارها، بخلاف سائر الحيوانات وهو أنوم خلق الله نومه مصمت، وجميع الحيوانات تشتهي وتستدل بريحه على مكانه. وربما يصطاد بالصوت الحسن يصغي إليه وإناثها أصيد من ذكورها قال ابن طباطبا في وصفه

لهوتُ فيه بمسند راكبةٍ   نازلةٍ كل وقت إيماء
تركيةِ الوجه حين تنعتُها   روميةُ المقلتين كحلاء
أبرزَها الحسنُ في مشهّرة   قد فوّفت مثلَ وشي صنعاء
يضاحكُ الصبحَ من ملمّعها   داجيةٌ شيبت بقمراء
يراقب الوحشَ في مراتعها   بعينِ واشٍ ورعي جرباء

● الأسد

الأسَدُ سيّد السباع قال المتوكل الليثي

وردٌ تظلّ له السّباعُ تطيعُه   طوعَ العُلوجِ تلينُ للأسوارِ

ويقلّ نسله لأن ولدها يجرح رحمها فتعقم وتقصد إذا قربت مملحة فتضع فيها

---

(١) الأشمط: الذي خالط بياض رأسه سواد

(٢) القناب: المخلب ـ الصناع: المرأة الحاذقة في العمل

الحمل خوفاً من النمل، لأن ولدها ككتلة شحم، فيقصده النمل. ولذلك قال المتنبي:

يرد أبو الشبل الخميسَ عن إبنه ... ويسلمه عند الولادة للنملِ

واستوصف عبد الملك أبا زبيد أن يذكره شراً فقال له: عينان حمراوتان مثل وهج التنور كأنما نقرا بالمناقير، في عرض حجر لونه ورد، وزئيره رعد، هامته عظيمة وجبهته شتيمة، نابه عتيد وشرّه عتيد، إذا استدبرته قلت أفرع. وإذا استقبلته قلت أقرع. إذا مشي تبهس، وإذا أتى الليل إعلنكس ثبواً وتجسس. فقال: حسبك لقد وصفته بصفة حلته يثب عليّ. قال:

صرغامةٌ أهرت الشدقَين ذو لبد ... كأنه برنسا في الغاب مدرع

وقال الفرزدق:

هزبرٌ هريتُ الشدق ريبال غابة ... إذا سار عزته يداه وكاهله[1]

شتيم المحيا لا يحاتل قِرنه ... ولكنه بالصحصحان ينازلُه

وقال ابن هرمة:

أسدٌ في الغيل يحمي أشبلا ... فلما يمتادهُ فيه القرمْ

مطرقٌ يكذب عن أقرانه ... إنقضَ الكلم إذا الكلم التأمْ

وقال المتوكل الليثي:

فهابوا وقاعي كالذي هبّ خادراً ... شتيم المحيا خطوه متدان

تشبه عينيه إذا ما فجأته ... سر جين في ديجورة يقدانِ[2]

كأنّ ذراعيه لِبيدةُ نحره ... خضبن بحناء فهنّ قوانِ

أزب هريت الشدقِ وردٌ كأنما ... يعلي أعالي لونه بدهانِ

مضاعف طيّ الساعدَين مصنر ... هموس دجى الظلماءِ غير جبانِ

● الذئبُ

قصد ذئب الفرزدق فألقى إليه ربع مسلوحة كانت معه فلما ارتحل عارضه فقال:

وليلة بتنا بالغريَّين ضافنا ... على الزاد ممشوقُ الذراعَين أطلسُ

تلممنا حتى أتانا ولم يزل ... لدن فطمته أمه يتلمسُ

فقاسمته نصفين بيني وبينه ... بقيةَ زادي والركائبُ نُعَّسُ

---

(١) الهزبر: الأسد - هريت الشدق: واسع الشدق - الريبال: مخفف رئبال وهو من أسماء الأسد - عزته: قوته.

(٢) الديجورة: الظلمة.

وكانَ ابنُ ليلى إذا قرى الذئبَ زادَه ... على طارقِ الظلماءِ لا يتعبّسُ[1]

وقال النجاشي:

وماءٍ كلونِ البولِ قد عادَ آجِناً ... قليلٌ به الأصواتُ جاوزتُه مخلِ

وجدتُ عليهِ الذئبَ يعوي كأنّه ... خليعٌ خلا من كلِّ مالٍ ومن أهلِ

فقلتُ له يا ذئبُ هل لكَ في أخٍ ... يواسي بلا أثرٍ عليكَ ولا بُخلِ

فقالَ هداكَ اللهُ للرشدِ إنّما ... دعوتَ لما لم يأتِه سبعٌ قبلي

فلستُ بآتيه ولا أستطيعُه ... ولاكِ اسقني إن كانَ ماؤكَ ذا فضلِ

فقلتُ عليكَ الحوضَ إنّي تركتُه ... وفي صدرِه فضلُ القلوصِ من السجلِ

فطرّبَ فاستعوى ذئاباً كثيرةً ... وعدتُ كلانا من هواه على شُغلِ

وقال آخر:

ينامُ بإحدى مقلتيهِ ويتّقي ... بأخرى الأعادي فهو يقظانُ نائمُ

وقال كعب بن زهير وكان قد رامه قومه أن يشتري غنماً

تقولُ حيايَ من عوفٍ ومن جشمٍ ... يا كعبُ ويحكَ لم لا تشتري غنما

من لي بهنّ إذا ما أزمةٌ جلبتْ ... ومِن أويسٍ إذا ما أنفُه رزَما

أخشى عليها كسوباً غيرَ مدّخرٍ ... عاري الأشاجعِ لا يشوي إذا ضغما[2]

إنْ يغدُ في سرعةٍ لا يثنِه بهرٌ ... وإنْ عدا واحداً لا يتّقي الظلَما[3]

وقيل: أغدر وأخبث وأكسب من ذئب، وقيل: من استودع الذئب ظلم

● **الخنزير**

إنما أظهر الله تحريمه لأن كبار القبائل وملوكها تستطيبه وتأكله، ولم يكن كالقرد إذا عافته النفوس. ونظر معاوية في وجه بعض نصارى الشام فرآه بضاً فقال الخمر على هالة الخنزير وهو ضرار. ربما طلب عرقاً مدفناً فيحفر خريب أرض ويفسد فساداً كثيراً.

وليس في ذوات الأنياب أشدّ ناباً منه والذكر يقاتل في زمان هيجه ومتى قلع إحدى عينيه هلك. وأما فرخ الخطّاف وفرخ الحية فإن عينها إذا قلعت تعود صحيحة وخطمه يسمى الخرطوم تشبيهاً.

---

(١) **ابن ليلى**: ليلى أم الفرزدق لهذا قيل له ابن ليلى ـ **قرى الذئب زاده**: أطعمه من زاده.

(٢) **الأشاجع**: عروق ظاهر الكف أو أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف.

(٣) **البهر**: انقطاع النفس.

(٥)
وممّا جاء في الطيور جميعها

●

الطيور ثلاثة أضرب: سباع وبهائم ومشترك بينهما. فالسباع تتغذى باللحم والبهائم تتغذى بالحبّ، والمشترك يأكل النوعين. وجميعها تتنوع نوعين: قواطع وأوابد وكرامها تسمى الجوارح، وصغارها البغاث، وصغارها خشخاش قال

خشاشُ الطيرِ أكثرُها فراخاً ... وأمّ الصقرِ مقلاةٌ نزورُ

وفي المثل هو كالطائر الحذر. وفي ريش كل طائر إثنا عشر على عدد البروج وما يطير به سبعة على عدد الكواكب السبعة. وجناح الطائر يداه، والحمام يدفع بهما كما يدفع ذو اليد بيده

● **العُقاب**

هي من سيد الطيور موصوفةً بطول العمر وصدق البصر والسرعة تتغدى بالعراق وتتعشى باليمن. وريشها فروها في الشتاء، وخيشها في الصيف. وقيل لبشار: لو خيّرك الله أن تكون حيواناً أيها كنت تختار؟ فقال: العقاب لأنها تبيت حيث لا يبلغ سبع وتحيد عنها سباع الطيور، ولا يوصل شيء من الجوارح إلى الصيد إذا كانت معه خوفاً منه

وقال صاحب المنطق[1]: العقاب جافية لأولادها لا تحمل على نفسها في الكسب لها وأشعارهم تدل على خلافه

قال دريد:

لها ناهضٌ في الوكرِ قد مهدت لهُ ... ما مهدت للبعلِ حسناءُ عاقرِ

وقيل: أحزم من فرخ العقاب، لأنها تتحرك على شعف[2] الجبال خشية السقوط ولو كان مكانه فرخ أهلي أسقط

قال امرؤ القيس:

كأنّ قلوب الطيرِ رطْباً ويابساً ... لدى وكرِها العنّاب والحشَفُ البالي[3]

وقال الهذلي:

ولقَدْ غدوتُ وصاحبي وحشيةٌ ... تحت الرداءِ بصيرةٌ بالمشرفِ

---

(١) صاحب المنطق: هو الفيلسوف اليوناني أرسطو

(٢) شعف الجبال: رؤوسها، جمع شعفة

(٣) يشبه في هذا البيت قلوب الطير الرطبة التي تخطفها العقبان بالعنّاب، واليابسة منها بالحشف وهو التمر الرديء.

حتى انتهيت لي فراش عزيزة سوداء روثة أنفها كالمخصف[1]

يعني بالوحشية الريح والفراش عزيزة عش العقاب والمخصف المحرز.

● **النسر**

طويل العمر، وتخاف أنائها الحماش على فراخها، فتفرش وكرها بورق لئلا يقربه الخفاش وقيل يرتفع في الهواء ثمانية عشر ميلاً ويحط على ثمانية فراسخ.

قال الهذلي

إذا ما غزا بالجيش حلّق فوقه عصائبُ طير تهتدي بعصائبِ[2]

يصاحبْهم حتى يغرْن مغارةً من الضاريات بالدماء الدواربِ[3]

● **البازي**

كل رعات صاغه صائغ لم يدخر عنه التحاسينا

منسرُه أكلفُ فيه شقا كأنّه عقدُ ثمانينا

ومقلة أشرة آماقها تبر بروق الصبر فينا

قال أبو نواس

قد اغتدي بشعرة معلقة مبكراً بزرق وورقه

كأنّ عينيها لحسن الحدقة يرحنه نابتة في ورقه

قال جهم ابن أخت أبي عمرو بن العلاء:

كأنّ جناح جميه إذ تدلّى من الجو برقٌ بدا

● **الكرْكدن**

قد أنكره بعضهم وأجروه مجرى عنقاء مغرب، وقيل إنه ذكر في الزبور. **وصاحب المنطق** سمّاه الحمار الهندي. أيّ مكان حلّ به ذهب منه جميع الحيوان هيبة له ويقال إن قرب نتاجها بما أخرج الولد رأسه ويأكل الحشيش ثم يرجع يعمل ذلك أياماً ثم تضع.

● **عنقاء مغرب**

بالفارسية سيمرك كأنه بعضه ثلاثون طيراً ولم يوجد إلا صورته على البسط والجدر. **ويقال في المثل.** هو عنقاء مغرب لما لا يوجد وما لا يطمع فيه.

قال أبو تمام:

وذاكَ لـه إذا العنقاءُ صارت مُربَّبة وشبّ ابنُ الخصيِّ[4]

---

(١) **المخصف** المحرز (٢) **العصائب** الجماعات، جمع عصابة.

(٣) **الضاريات** الكواسر من الحيوانات ـ الدورب من درب درباً ودروبة السيف كان حاداً.

(٤) **العنقاء**: طائر وهمي أشرنا إليه ـ مربية: مرباة ـ شبّ ابن الخصي: أي صار كخصيّ ولد.

وزعم ابن الكلبي أنها كانت على عهد حنظلة بن صفوان نبي الرس وكانت طويلة العنق، فبذلك سميت عنقاء. فاختطفت غلاماً مغربت به فسميت مغرباً ثم دعا عليها فاحترقت ولا نسل لها.

● السمندل

قيل: هو طائر هندي يدخل في أتون نار فلا يحترق له ريش، قال:

وطائر يسبح في جاحم كماهر يسبح في غمر[1]

وقد حكى عن المأمون أن الطحلب لدي على وجه الماء إذا جمع لا تحرقه النار وكذلك الفلفل الأبيض.

● الظليم

من أعاجيبه اغتذاؤه الصخر والجمر ودبة حوصلته ذلك قال أبو النجم:

والمرء يلقيه إلى أمعائه وفيه من شكل البعير المسم

والوظيف والعنق والحرامة في أنفه، ومن الطائر الريش والجناح والذنب والمنقار والبيض ولذلك قيل:

كمثل نعامة تدعى بعيراً تعاظمها إذا ما قيل طيري

فإن قيل احملي قالت فإني من الطير المرتب في الوكور

قال بشار:

وكنت كالهيق غدا يبتغي قرناً فلم يرجع بإذنين[2]

وهو موصوف بصدق التشمم يعرف ريح القانص من أكثر من غلوة قال:

يستخبر الريح إذا لم يسمع بمثل مقراع الصفا الموقع

وأشد ما يكون عدواً إذا استقبل الريح وفي عنقه يقول أبو قلابة.

كأنها والريح تصري وتذر أير حمار فيه سمع ويصر

وقد قلب هذا المعنى جحشويه فقال في صفة الأير

كأنه والأكف تمرسه عنق ظليم بغير منقار

ومتى كسرت إحدى رجليه لا ينتفع بالأخرى قال شاعر:

إذا انكسرت رجل النعامة لم تجد على أختها نهضاً ولا باستها حبْوا

---

(١) الغمر: الماء الكثير، ومعظم البحر

(٢) الهيق. ذكر النعام، والظليم من الرجال المفرط الطول

وربما تركت بيضها فلم تهتدِ إليه فتذهب إلى بيض أخرى فتحضنه قال شاعر:

كتاركةٍ بيضها بالعراءِ ومُلبسة بيضَ أخرى جناحا

وقال الأخفش:

تظلُّ بها ربدُ النعامِ كأنّها إذا ما تزجى بالعشيّ حواطبُ

قال علقمة:

كأنّها خاضبٌ زعر قوادمه أجنَى له باللوَى شرى وتنّوم[1]

ووصف بالجبن فقيل أجبن من نعامة وشالت نعامة فلان وخف رياله وقيل أحمق من نعامة وهيه.

أسيف من الحسان ضلت أباعرُه

قال ذو الرمة:

وبيض كشفْنا في الدّجى عنْ متونِها

وقال آخر:

هجوم عليها نفسه غيرَ أنّه متى يرم في عينيه بالشخص ينهض

يقلّبُ للأصواتِ من كلّ جانب صِماخاً كيتَ العنكبوتِ المقمصُ[2]

● الكَروان

هذه اللفظة تقال للواحد والجمع والعامة تقول الكيروان بن الحباري، قال شاعر:

ألم ترَ أنَّ الزبدَ بالتمرِ طيّبٌ وأن الحباري خالةُ الكُروانِ[3]

وقيل:

أطرق كرَى أن النعام في القرى

أي يا كروان قيل الكركي تتحارس بالليل فلا تنام حتى يحرسها أحدها فالحارس يقوم على إحدى رجليه ليسقط أن غلبة النوم فتناوب على ذلك

● الغُراب

يقال له حاتم لأنه يحتم بالفراق ويتشاءم به في عامة كلامهم وقد تيمّن به بعضهم فقال:

وقالوا غرابٌ قلت غربٌ من النّوى

ويسمى ابن داية لأنه يقع على داية البعير الدبر فينقره وهو قوي البدن لكنه من لئام

---

(١) القوادم الزعر: القليلة الشعر والمتمزقة.

(٢) الصماخ: خرق الأذن الباطن، الماضي إلى الرأس، جمع أصمخة، وصمخ.

(٣) الكروان: طائر من رتبة طوال الساق وفصيلة دجاجيات الأرض، جمع كراوين، ومؤنثه كروانة

الطيور ولا يعاف القاذورات ولا يتعاطى لصيد وهو يسر السفاد. وقيل إنما يسافد بالمنقار وفرخه أقذر وأنتن من الهدهد

وقد مدح لقوله تعالى. ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا﴾[1] الآية وذم بأنه بعثه نوح من السفينة ليأتيه بخبر الماء فاشتغل بأكل الجيفة، ويوصف بالقزل[2] والحجل.

قال كعب بن زهير:

وحمش بصير المقلتين كأنه ... إذا ما مشى مستقبل الريح أقزلُ

ويوصف بحدّة البصر وصحة البدن.

قال الشاعر في وصف رجل طويل العمر صحيح البدن

قد أصبحت دارُ آدم خربت ... وأنت فيها كأنك الوتدُ
تسأل غربانها إذا حجلت ... كيف يكونُ الصداعُ والرمَدُ

ويدعى أعور على سبيل القلب، قال الكميت:

وصحاح العيون يدعين عورا

ويقال في المثل. أزهى من غراب، وأسود من حلك الغراب وحنكه، وليس غرابه مطار للساكن، وجد فلان ثمرة الغراب لأنه لا يقصد إلا الأجود الأطيب، ولا أفعله حتى يشيب الغراب.

قال ذو الرمّة.

ومستشحجات بالفراق كأنها ... مثاكيلُ من صيابة النوب نوّح[3]

شبّه الغربان الشاحجات بنساء من النوب ثاكلات وقال

كأن الشاحجات بجانبيها ... نساءٌ جئنَ من حبشٍ ورومِ

● القطا

سمّي بذلك لحكاية صوته. قال أبو وجزة:

وهنّ ينشبنَ وهناً كلّ صادقة ... باتت تباشرُ عما غير أزواج
حتّى سلكنَ الشوى منهنّ في مسك ... من نسلِ جوّابة الآفاقِ مهداجِ[4]

---

(١) القرآن الكريم: المائدة/ ٣١.

(٢) القَزَل. أقبح العرج، من قزل أي مشى مشية الأعرج

(٣) المستشحجات: شحج شحيجاً (البغل أو الغراب) صوّت أو غلظ صوته، والشاحج حمار الوحش، وبنات شحّاج: البغال، والشواحج. الغربان.

(٤) الهمداج الناقة التي تحن على ولدها

وإنما قال غير أزواج لأنها لا تبيض إلا أفراداً وهو موصوف بالهداية. يقال أهدى من قطاة وأصدق من قطاة.

قال ابن المعتز في وصفها عند حمل الماء إلى فرخها:

وكأنها وغدوا قطاة صبحت ... زرقَ المياه وهمّها في المنزِلِ
ملأت دلاة تستقلّ بحملها ... تدأم كلكلها كصفْرِ الحنظَلِ
وغدّت كجلمودِ الغداف بقلبها ... واف كمثلِ الطيلَسان المخمل[1]

وقال ذو الرمة:

ومستخلفات من بلادٍ تنوفة ... لمصفرّة الأشداقِ حمْر الحواصلِ

أي يستقين الماء لفراخ لم ينبت عليهن زغب، قال حميد

قرينة سبع أن تواترن مرّة ... ضربن فصفّت أرؤسٌ وجنوب

● الحمام

قال المثنى: لم أر شيئاً في الرجل والمرأة إلا رأيته في الحمامة. رب حمامة لا تريد إلا ذكرها، وأخرى لا تمنع يد طالبها، وحمامة لا تزيف[2] إلا بعد شدة، وأخرى تزيف حالة يرومها الذكر وذكر له أنثيان يحضن بعهد. وآخر يقتصر على واحده.

وكان عرض الحمام بالجماع طلب القوية وهو أكثر الأشياء تعزلاً وتصنعا من التقبيل والتشيط وكره كثير من الناس كونها في بيت المارعات من النساء، خشية أن تدعوهن إلى طلب الرجال. وكل طائر يرجع كالقمري والفاختة والورشان واليمامة واللعوب يسمى حماماً.

قال بعضهم يصف لونه

كأنّ بنحرها والجيدِ منها ... إذا ما أمكنت للناظرينا
مخطا كأن من قلم دقيق ... فحط بجيدها والنحرَ نونا

قال أعرابي:

مبرجةُ الأعناق نمر ظهورُها ... مخطمة بالدرّ خضرٌ روائعُ[3]
ترى طُرراً بين الخوافي كأنها ... حواشي برودٍ أحكمتْها الوشائعُ[4]

(١) الغداف: غراب كبير ضخم الجناحين، والغداف: الشعر الطويل الأسود، أو الجناح الأسود

(٢) تزيف: تنفش.

(٣) مبرجة: مزينة، ومحسنة ـ مخطمة: مشدودة على المحطم أو المخطم، والمخطم الأنف

(٤) الخوافي: الريش الناعم في جناح الطائر ـ البرود: جمع برد وهو الثوب المخطط ـ الوشائع: جمع وشيعة، وهي خشبة يلفّ عليها ألوان الغزل، اللفيفة

ومن قطع الياقوتِ صيغت عيونُها   خواضب بالحناء منها أصابعُ

وقال:

مطوّقة كسيت زينة   بدعوة نوحٍ لها إذا دعا

وذلك قيل: إن نوحاً لما بعث الغراب ليأتيه بخبر الماء، فاشتغل بأكل الجيفة بعث في أثره الحمامة. فدعا له بأن يطوقه بطوق يتوارثه عنه بنوه فطوقه من دعائه، وقيل: إن غناءه بكاء على هديل[1] مات في زمن نوح عليه السلام ومن مليح ما قيل في ذلك قول ابن المعتز:

وبكيتُ من حزن كنوح حمامة   دعتِ الهديل فظلّ غير مجيبها

ناحتْ ونحنا غيرَ أنّ بكاءنا   بعيوننا وبكاؤها بقلوبها

واستوصف المهدي محمد بن عزيز القاضي حماماً، فقال: قد قدقد الحكم وقوم تقويم القلم، يمشي على عنمتين، ويلتقط بدرتين، وينظر من جمرتين، ترويه الحبة وتكفيه الحبة.

ونظر النبي ﷺ إلى رجل يتبع حماماً فقال: شيطان يتبع شيطاناً.

وقال أيضاً كونوا بلهاً كالحمام. وقيل لشيخ: من علمك هذا؟ قال: من علّم الحمامة تقليب البيض لتعطي الوجهين نصيبهما من الحضن.

● القمري

قال بعض الكتاب في وصفه

سجعت هاتفة الورْ   ق عناها شحط بين[2]

ذاتُ طوق مثل خطّ النـ   ـون أقنى الطرفين[3]

وترى ناظرها يسطـ   ـع في ياقوتتين

تُخرج الأنفاس من   ثقبين كاللؤلؤتين

وقال كشاجم:

وفجعتُ بالقمريّ فجعة ثاكلٍ   وفقدتُ منهُ أمتعَ السمّار

لون الغمامة والغمامةُ لونه   ومناسب الأقلام بالمنقارِ

ومُطوّقٍ من صنع خلقة ربّه   طوقين خلتهما من النوارِ

ولطالما استمليتُ في غسق الدجى   بهديره عن مطربِ الأوتارِ

---

(1) الهديل: فرخ الحمام.   (2) الشحط: البعد ـ البين: الفراق.

(3) الأقنى (من الأنوف): ما ارتفع وسط قصبه وضاق منخره.

- **القبج**[1]

قال أبو علي البصير في وصفه:

ولابسةٍ ثوباً من الخزّ أذكنا ... ومن أخضرِ الديباج زانا ومفجرا
مُقلّدة في النحر سبحة عنبرٍ ... على أنها لم تلتمس أن تعطرا
لها مقلتا جزع بماءٍ تحمّلت ... جفونهما من موضع الكحل عصفرا
مطرورة الكمّين طرزاً تخالها ... بتقويمها من حلكة الليل أسطرا

وقال ابن طباطبا في وصفه في المجلس:

ومسجنٍ يهوى القتال ممنع ... عن قرنه ذي صرخة ودعاء
بادي التململ خلف حائط سجنه ... حب البراز مجيب كل نداء
في مجلس ضنك يود لو انه ... لاقى مبارزه بجنب فضاء
فقد السلاح فجال أعزل جولة ... ومضى إلى الهيجاء ذا خيلاء
في حلة دكناء قد رفعت به ... من جانبيه بيمنة السيراء[2]
متشمراً متبخراً متكبراً ... متطوقاً بعمامة سوداء

- **الديك والدجاج**

يوصف الديك بالشجاعة والصبر والقوة على السفاد والسياسة للإناث، ويأخذ الحب فيلقيه إلى الأناث، وبه عني قولهم أسمح من لاقطة، يريدون الديك لم يفعل ذلك وقال ثمامة إن ديكة مرو تطرد الدجاج عن الحب لطمع البسدة وعن النبي ﷺ لا تسبوا الديكه فإنها تدعو إلى الصلاة. وروي عنه أيضاً أنه قال: إن مما خلق الله تعالى ديكاً عرفه تحت العرش وبراثنه في الأرض السفلى إذا ذهب ثلثا الليل ضرب بجناحيه وقال: سبوح قدوس، فعند ذلك تضرب الديكة أجنحتها وتصيح

وقيل: إنما لا يطير لأنه اجتمع مع الغراب عند خمار يشربان فأخذا منه خمراً فشرباه فذهب الغراب ليحمل الثمن وترك الديك مرتهناً فعلق الرهن فقصه الخمار ومن العجائب ذو ريش أرضي وذو جلد هوائي يعني الديك والخفاش.

قال أعرابي:

دقوع الشوى حمر الصياصي كأنها ... شيوخ من الأعراب حمر المعالم[3]

---

(١) **القبج**: طائر يشبه الحجل معرب (كبك بالفارسية)

(٢) **السيراء**: الذهب الخالص أو برود مخطّطة يخالطها الحرير

(٣) **دقوع**: من دقع أي رضي بالدون من المعيشة، لصق بالتراب، والديقوع الجوع الشديد ـ الشوى الأطراف ـ الصياصي: جمع صيصية وهي شوكة الحائك التي يسوّي بها السدى واللحمة

قال آخر:

متى يؤرقني ليلاً وينشهرني ... من صوتٍ ذي رعثات ساكنِ الدارِ
كأن حماضة في رأسه نبتت ... من أول الصيف قد همّت بأثمارِ

قال ابن المعتز:

بشّر بالصبح هاتفٌ هتفا ... بشر بالليل بعدما انتصفا
مذكراً بالصبوح هاجَ بها ... كخاطبٍ فوق منبرٍ وقفا
صفّق إما ارتياحه لسنا الفجـ ... ـرِ وأما على الدجى أسفا

وفي المثل أغيرُ من الديك وأشجع، وشراب أصفى من عين الديك، وأسلح من دجاجة ساعة الأمن. وقيل هو كالفروج إذ كان في الصغر وحمق في الكبر وقال النبي ﷺ: نعم متاع البيت الدجاج يقري الضيف، ويعين على نوائب الدهر

● الحباري[1]

تنحسر دفعة واحدة فيبطىء نبات ريشه فربما تموت كمداً، ولذلك قال الشاعر

وزيد ميت كمد الحبارى

وقيل سلاحها سلاحها، وذلك أن لها خزانة بين دبرها وأمعائها، إذا دنا الصقر رمته به فيلتزق ريشه. فهي في سلاحها كالظربان في فسائه، والعقرب في إبرتها وهي حسناء اللون ترتبط لحسنها وهي أحسن الطيور طيراناً تصاد بظهر البصرة فيوجد في حوصلتها الحبة الخضراء غضة لم تتغير، وهي علوية أو ثغرية أو جبلية، قال ديك الجن

وسرت جاريات فوق طرد ... أشبهها بمشيخة جلوس

● الغرنوق

وهو من طير الماء موصوف بالحذر، ومتى طار ترفع في الهواء خشية السباع ويقوم على إحدى رجليه حذراً لئلا ينام. وسئل من صاد في يوم مائة غرنوق عن الحيلة في ذلك، فقال: أخذت قرعة يابسة فجعلت لها عينين وألقيتها في الماء حتى آنست بها الغرانيق ثم جعلت رأسي فيها وانغمست في الماء وكلما دنوت من واحد قبضت على رأسه وغمسته في الماء ودققت جناحه وتركته يطفو فوق الماء حتى انتهيت إلى الآخر

قال أبو نواس:

سودُ المآقي صفر الحمالقِ ... كأنما يضمرن من معالقِ
صرصرة الأقلام في المهارق

قال الكميت:

كأنّ بنات الماء في حجراته ... بسيط قعودٌ لابساتُ البرانس

---

(1) الحبارى: طائر أكبر من الدجاج الأهلي وأطول عنقاً يضرب به المثل في البلاهة

● **الحِرباء**

إذا انتصف النهار علا في رأس شجرة كراهب في صومعة. قال ذو الرمة:

إذا جعل الحرباء يبيض لونهُ ويخضرّ من لفح الهجير غباغبُه[1]

وسبّح بالكفّين سبحاً كأنه أخو فجرة عال به الجذع صالبُه

● **العصفور**

تجعل العرب الحرق والحمر والقنبر من العصافير، وهو يساكن الناس ومتى فارق الإنسان داره فارقها.

وإذا كان زمان البازي اجتمعت في البساتين فإذا انقضى زمانه عادت إلى الدور على أمارات معروفة. وهو كثير السفاد كثير الشفقة على الولد متى خاف عطباً عليه اجتمع جماعة فطرن حواليه واجتهدن في خلاصه.

وإذا خرج من وكره لا يستقر. وكذلك البلبل لكنّ البلبل كذلك ما دام في القفص ويحرس البيوت والسقوف ويجلب الحيات لو لوعها بأكله. وفي المثل هو في حلم عصفور، وبكر بكور العصفور.

● **المُكاء**

قال شاعر:

إذا غرّد المكاء في غير روضة فويل لأهل الشاء والحمرات

وإنما قال ذلك لأن المكاء لا يكاد يوجد إلا في الرياض.

قال امرؤ القيس:

كأنّ مكاكيّ الجواءِ غديّة صبحن سُلافاً من رحيقٍ مُفلفَلِ[2]

وقيل: إن حية أكلت بيض مكاء فأخذت حسكة بمنقارها وجعلت ترفرف على رأسها حتى فتحت فاها فألقتها فيها فماتت، وفيه قال:

ربما قتل المكاء ثعبانا

● **الخطّاف**

قال أبو منصور الديلمي:

وطير يبشّرنا بالمصيف زيارته أرضنا كل حين

يضم جناحين كالخنجرين على ذنب يشبه البارجين

يسجع حكى هذيان الرياض من الشد يتبعه بالأنين

---

(١) الغباغب: جمع غبغب اللحم المتدلي تحت الحنك من البقر والديك.

(٢) السلاف: الخمر. الرحيق المفلفل: الخمر ممزوجة بحبّ الفلفل.

قال الكندي:

تقسّم زوارٌ من الهند سقفنا	خفافٌ على قلب النديم شِقاقُ
أعاجم تلتذ الحصام كأنها	كواعب زنج راعهنّ طلاقُ
أنس بنا أنس الإماءة تجنّنث	وشيمتُها غدر بنا وأباق

قال أبو نواس:

كأن أصواتها في الجو إذ سطعت	صك الجلاد إذا ما جزت الشعار

● **الهدهد**

قال ابن عبّاس: كان سليمان بن داود، إذا فقد الماء في برية دلّه الهدهد لأنه إذا نقر وجه الأرض عرف ما بينه وبين الماء. **قيل**: فكيف يجهل الفخ إذا دنا منه؟ قال: إذا جاء القدر عمي البصر، ولم يغن الحذر. والعرب تقول فترعمه قبر أمه لأنه جعل قبرها على رأسه برأيها ونتن ريحة من الجيفة المدفونة في رأسه. **وقال صاحب المنطق**: الهدهد لما اتخذ العش من الزبل ترقى فيه ريشه فلذلك خبث ريحه.

وقال بعضهم: الهدهد تكلف. واستدل بقوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾[1]

● **الرخمة**

وتسمى الأنوق وتنسب إلى الحمق، قال الشاعر:

وذات إسمين والألوان شتى	وتحمق وهي كيسة الحويل

وقال محمد بن سهل ما أحمقها وهي تحضن بيضها وتحمي فرخها وتحب ولدها ولا تمكن من نفسها ألا زوجها، وتقطع في أول القواطع وترجع في أول الرواجع ولا تطير في التحسير، ولا تغتر بالشكير، ولا ترب بالوكور ولا تسقط في الحفير. أي إذا رأت الحفير هربت منه. والصيادون يستدلّون به على قطاع الطير. **وقيل**: أعز من بيض الأنوق.

● **البُومُ**

يعادي الغداف ولا يقوي عليه بالنهار. وهو يهجم على الغداف بالليل في أوكاره فيأكل فراخه ـ وهو موصوف بالشؤم.

وقيل لصياد ـ معه بومتان كبيرة وصغيرة ـ بكم؟ **فقال**: الكبيرة بدرهم، والصغيرة بدرهمين. **قيل له**: ولم ذلك؟ فقال لأن شؤمه في إقبال.

● **الخُفّاش**

هو طائر بلا ريش إنما هو لحم وجلد. ولا يطير في ضوء ولا ظلمة، لقوة بصره وكثرة شعاع عينه فيلتمس فيما بين الوقتين رزقه.

---

(١) القرآن الكريم: النمل/٢٠.

وهو يصيد البعوض وقيل إن أنثاه تحيض وترضع كالأرنب وماله منقار وله أسنان حداد ويصير على الطعام. ونهي عن قتله وقتل الضفدع. وقيل: إن أنثاه تحمل ولدها تحت جناحها، ترضعه في طيرانها وتتجنب ورق الدلب حيث كان. وفيه قال ابن المعتز:

أبى علماءُ النّاس أن يعلموني ... وقد ذهبوا في الشعر في كلّ مذهب
بجلدةِ إنسانٍ وصورةِ طائرٍ ... وأظفارِ يربوعٍ وأنيابِ ثعلبِ[1]

● الببغاء

من غريزته أن من كلمها نصب لها مرآة وكلمها من خلفها، حتى تعتاد الكلام

(٦)
ومما جاء في الهوام والحشرات

●

● السنّور

يشبه الإنسان في أمور شتى في العطاس والتثاؤب والتمطي وغسل الوجه والعين وقيل: إن الأصل في خلقه أن أصحاب نوح عليه السلام تأذوا في السفينة بالفأر فسألوا نوحاً عليه السلام أن يسأل ربه، فخرج السنور من عطسة الأسد فصاده. وتأذوا بالعذرة فخرج من سلحة الفيل الخنزير فأكله.

ومتى رأى السنور الفأر زلق وإن كان بمعقل خوفاً منه وهو يأكل الحشرات كالخنفساء وبنات وردان[2] والحيّة وكل ذات سمّ وقد تأكل أولادها. وقيل إن ذلك لبرّها[3] بهم والضبّ تأكل ولدها لعقوقها[4]. فقيل أبرّ من هرّة وأعقّ من ضبّ.

وهي كثيرة الأسماء غير الصفات، يقال لها القطّ والضيون والهرّ والسنّور. وأسماء الأسد أكثر صفات. وروي أن أعرابياً صاد سنّوراً فلم يعرفه فتلقاه رجل فقال: ما هذا السنور؟ وتلقاه آخر فقال: ما هذا الهر؟ وآخر فقال: ما هذا الضيون؟ وآخر فقال: ما هذا القط؟ فقال الأعرابي: إني أحمله وأبيعه فيجعل الله لي منه يسرا فلما حمله إلى السوق، قيل: بكم؟ قال: بمائة. قيل: إنه يساوي نصف درهم، فرمى به وقال: لعنه الله فما أكثر أسماءه وأقلّ نفعه.

وكان النبي ﷺ امتنع من دخول دار قوم فيها كلب فقيل له: إنك تدخل دار فلان وفيها هرّ، فقال: الهرّ ليست نجسة إنها من الطوافين عليكم والطوافات.

---

(١) اليربوع: نوع من القواضم يشبه الفار قصير اليدين طويل الرجلين وله ذنب طويل
(٢) بنات وردان: الصراصير. (٣) برها به. أي محبتها وودها
(٤) العقوق: العصيان والنكران

وقال عليه الصلاة والسلام: عذّبت امرأة في هرة سجنتها فلم تطعمها ولم تسقها.
وقيل: إنما يستر خرءه لئلا يشم الفأر ريحته فيهرب. ولابن العلاّف البغدادي فيه مرثية مختارة أولها:

يا هرّ فارقتنا ولم تعُد ... وكنت منّا بمنزلِ الوَلَد

وقال ابن طباطبا في هرّة لم تكن تصيد الفأر

وسنّورة سالمت فأرها ... فبينهما أبداً هدْنَه
تدور وفي فيها جوزةٌ ... وشيءٌ أصابته من جفنَته
لتنصت للفأر فحاتِه ... كذا القِرنُ مختتلٌ قِرنَه[1]
وتبصرها مثل حوراءَ ... لها رقيَةٌ ولها دُخْنَه
بها تخرجُ الفأرَ من جحرها ... وما ذاك عيب ولا هُجْنَه
فمَن لم يوافِقه شربُ الدوا ... ء للحصر يستعمل الدخْنَه

وقيل كان لركن الدولة سنور يألف مجلسه فكان بعض أصحابه أراد حاجة تعذر الوصول إليها فكتب قصته ووجد السنور خارج الحجرة فشدّ القصة في عنقه وأرسله فرآه ركن الدولة فأخذها وقرأها ووقّع فيها.

● الثعلبُ

موصوف بالروغان والحسد والدهاء قال بعضهم: أروغ من ثعلب ومن فرط خبثه أنه يجري مع كبار السباع ومن حديث العامة أن الثعلب متى كثرت عليه البراغيث يتناول صوفة ثم يدخل رجليه في الماء، فلا يزال يغمس بدنه في الماء أوّلاً فأولاً حتى يجتمع في خطمه. فإذا غمس خطمه في الماء اجتمع في الصوفة ثم يتركها في الماء ويثب خارجاً وقضيبه أي قضيبه في صورة أنبوبة أحد شطريه أعظم، وهو في صورة مثقب والآخر عصب ولحم. يولع بأكل القنفذ ويقال إنه يقلبه على ظهره ثم يبول على بطنه ليعتريه الأسر[2] فيتمدّد فيبقر بطنه.

● الأرنبُ

قيل: إنها تحيض والذكر منها الخزن وقضيبه على صورة قضيب الثعلب. وقيل: إنها تنام مفتوحة العين، وتطأ على مواخير القوائم كيلا تعرف الكلاب أثرها. وهو قصير اليد وليس يعرف بقصر اليد، أسرع من الأرنب، والعرب تزعم أن من علق عليه كفّ أرنب لم تصبه عين ولا سحر، لأن الجنّ تهرب منه إذ ليست من مطاياها لمكان الحيض وهي أحسن الأشياء صيداً لتدبيرها وتدبير الكلب عليها.

---

(١) مختتل: اسم فاعل من اختتله أي خدعه
(٢) أشر: الواحد إشر وأشرة المنشار أسنانه والأشر و الأشر التحزيز في الأسنان

● **الضب**

يوصف بالكيس[1] لأنه لا يبني بيته إلا على رابية خشية السيل.

قال الشاعر:

سقى الله أرضاً يعلمُ الضبّ أنها ... بعيدٌ من الآفاق طيبةُ البقلِ

بنى بيتَه منها على رأسِ كديةٍ ... وكلّ امرىء في حرفة العيْش ذو عَقْلِ[2]

وقيل: أنه يعد العقرب للحارش حتى إذا أدخل يده لسعته. وهو مسالم ويبيض من البيض سبعين، ويأكل كل حسلة. **وقيل:** أعق من الضب. ويضرب الحيّة بذنبه فيقتلها وله تركان أي أثران، **قال:**

جِشْلٌ له تركان كانَ قَصيلة ... على كلّ حاب في البلاد وساعل

وقيل: إنما هو واحد ولكن له طرفان كلسان الحية. وهو طويل الذماء[3] صابر على الماء. يتبلغ بالنسيم طويل العمر.

قال

لو أنني عمرت سنّ الحسل

وقيل في المثل: أخدع من ضبّ، وهو خبّ ضبّ. وقيل بالمر يخدع الضب وأما لحمه فقد روي أنه عليه الصلاة والسلام امتنع من أكله، **وقال:** إنه ليس من طعامي وأكله خالد بن الوليد فلم ينكر عليه. **وقال:** [illegible] كان يأكله وعلم أنك أكلت شيخاً من مشيخة بني إسرائيل يعني أنه مسخ، **قال:**

وأكلُ الضبابِ طعامُ العريب ... ولا تشتهيه نفوسُ العجم

فقال من عارضه:

فأنت لو ذقت الكشى بالأكباد ... لما تركت الضبّ يعدو بالواد[4]

● **القرْدُ**

يُضحك ويُطرب ويحكي ويتناول بيده الطعام ويضعه في فمه. وله أصابع وأظفار وإذا سقط في الماء يغرق كالإنسان قبل أن يتعلم السباحة ويتزاوج ويتغاير، **فقال:**

قردٌ يُقَهقِهُ أو عجوزٌ تلطمُ[5]

---

(1) **الكيس:** الظريف الفطن، الحسن الفهم.

(2) **الكدية (هنا):** الأرض الصلبة الغليظة. (3) **الذماء:** بقية الروح.

(4) **الكشى:** جمع كشية شحمة بطن الضبّ أو أصل ذنبه.

(5) شطر بيت من قصيدة للمتنبي في هجاء كافور الإخشيدي.

● الذئب

أنثاه إذا وضعت ولدها رفعته في الهواء أياماً تهرب به من الذرّ من مكان إلى مكان إلى أن تشتد أعضاؤه.

● القُنْفُذ

جعل سلاحه شوكه وهو يأخذ الحيّات فيأكلها يقبع رأسه حتى يأتي عليها. وقال ابن الزبير في رجل خاشنه وهو يخطب ثم سكت: ماله ضبح ضبح الثعلب ثم قبع قبوع القنفذ.

● الجُرَذ والفأر

ولا أتسع السجاراتِ بالليل تابعاً قبوعَ القرنبا أحلمته محاجرهُ

قيل: إن الجرذ يعادي العقرب وإذا جعلا في إناء واحد ولم يمكنهما الخروج تحاربا تحارباً عجيباً ومتى ربط فأران بطرفي حبل تهارشا أعجب هراش وإذا حليا مرا على وجوههما. فإذا خصي واحد أكل صواحبه. وللفأر تدبير في السرقة تأتي القارورة الضيقة فتخرج منها الدهن بذنبها وقيل أسرق من ذبابة ومن جرذ. قال:

فكُنْ جرذاً فيها تخونُ وتسرقُ

وهو قصير الذماء بخلاف الضب. ويقتله الشيء اليسير وكثير من الناس ممن لا يخاف الأسود يخافه ويهرب منه. وفي الحديث أن الفأرة الفويسقة[1] تجذب الفتيلة فتجعل بها فتحرق على أهل البيت كحل العيون وقص الرقاب، والرباب صمّ. قال:

فهم رباب حترر لا تسمع الآذان رعدا

والخلد منها أعمى. واليرابيع ضرب منه نظاً على رمعاتها[2] لتروي[3] موضع وطئها لئلا تقص، وتتخذ النافقاء والقاصعاء والداماء والراهطاء[4] ليفلت من باب إذا أخذ عليه باب. وقيل: إنما استخرج الروم الاحتيال بالمطامير والمخارق على تدبير اليربوع.

● الجراد

تعمد الجرادة إلى الصخرة الملساء التي لا يعمل فيها المعول فتغرس ذنبها فيها فتصير كالأخدود لها فتنثر فيها أي تبيض، فيخرج منه الدبى فتصفر فيقال لها الفرقان ثم تصير فيها خطوط سود وصفر فيقال مسيّح ثم يبدو حجم جناحها كثيفاً ثم ينبت جناحها ويحمر فيقال لها الغوغاء ثم يقال الخيفان ويقال للجرادة أم عوف.

تنفضُ بردتيها أمّ عوف كأنّ رجيلتيها منجلان

---

(١) الفويسقة: مصغر الفاسقة وهي الفأرة، سميت بذلك لخروجها من جحرها على الناس.

(٢) الرمعات: جمع رُمْعة وهي القطعة، والرّمْعة التلعة الصغيرة.

(٣) تزوي: من زوى الشيء منعه. (٤) الراهطاء: جحر اليربوع ومثله النافقاء والقاصعاء... الخ.

وبردتاها أي جناحاها.

قال سعيد بن عبد الرحمن:

مــن كــلّ كــنــعــان تــرةٌ أحــدَبــا	كــأنّ سـرجــاً جــيّــداً مــضــبّــبــا
عــلــى قــراه ثــابــتــاً مــركّــبــاً	لــم يــجــمَــلِ الــلّــهُ عــلــيــه مـركّـبـا

وقال أعرابي:

مرّ الجرادُ على زرعي فقلتُ لها	إيّــاك أغــنــي فــلا تــولَــع بــإفــســادِ
فقامَ منْها خطيبٌ فوقَ سنبلةٍ	أنــا عــلــى ســفــرٍ لا بــدّ مــنْ زادِ

وقال عوف بن درة في وصفها.

قد خفْتُ أن يحلرّ بالمصعرين	ويـشـرك الـذين علـيـنـا والـدين
زحفٌ من الجيفان بعْد الزحفين	مـلـعـونـةٌ تـسـلـخُ لـونـاً لـونـيْن
كـأنـهـا مـلـتـفـة فـي بـردين	تنحى على الشمراخِ مثل الفاسَين

أو مثلَ منشارٍ غليظِ الخرفين

● **العنكبوت**

قال الله تعالى ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[1]. وذلك أجناس

جنس ردىء ينسج على وجه الأرض فيجعله خارجه، وأطرافه داخلة. فإذا انتهى إليها ما يأكلها تناولها.

وجنس حاذق يسدي بيته ويلحمه فإذا وقع عليه ذباب نشت، فإذا وهى نقله إلى خزانته فمصّ رطوبته ثم رمى ما تشعث منه من بيته وإنما تنسج الأنثى وأما الذكر فإنه ينقض وولدها أكيس من الفروج ساعة يولد.

وجنس يصيد الذباب صيد الفهد يقال له الليث له ست عيون. **قال الجاحظ** لا ينبغي أن يكون في الدنيا أصيد من فهد الذباب لأنه لا يطير ويصيد ما يطير ويصيد ما يصيد، لأن الذباب يصيد البعوض، وحديثك الخداع أعجب وجنس طويل الأرجل إذا مشت على جلد الإنسان بثر[2].

● **الورل**

لا يتخذ البيوت إبقاء على براثنه، ويعلم أنه سلاحه الذي به يقوى وله ذنب يؤكل ويستطاب، ويقتل الضب ويشدخ رأس الحيّة ثم يبتلعها لا يضرّه سمّها. وهو كثير التوقف والتلبث إذا مشى.

(1) القرآن الكريم: العنكبوت/ 41.

(2) بثر، جمع بثرة وهي الخراج الصغير

وتزعم المجوس أن أهرمن[1] لما قسّم الشرور والسموم كان أخذ من الجرذ شراً محضر وقد قسم الشر فتداخلها الحسرة فتراها متى اشتدت تتذكر ما فاتها لتناطتها فتقوم وتتحسّر.

● **الخُنْفُساء**

موصوفة بالصّبر. وربما عرز على ظهرها شوكة فتجول كأنها عقرت. وربّما تكون في العلف فيأكلها العير فمتى وصلت إلى جوفه حيّة قتته. وهي موصوفة باللجاج، قال:

أشدّ لجاجاً من الخنفُساء

● **أمّ حبين**

دويبة أصغر من الجرزباء كدرة المسرة، بيضاء البطن. **وقيل لأعرابي ما تأكلون؟ قال** ما دبّ ودرج إلا أم حبين، **فقال** لتهن أم حبين العافية

● **الظِّرْبان**

على خِلقةِ الكلب الصيني أخبث دابة مساءة لا يقوم لفسوها شيء. وتأتي جحر الضب فتفسو فيه وتضيق عليه حتى تدار به فتأخذه وتأكله **ويسمى** مفرق النعم لأنها إذا فست فيها ابدت تأذياً بفسوها **وقيل**: فسا بينهم الظربان إذا تفرقوا.

● **الوجرة**

دويبة كالقطاة حمراء تلزق بالأرض **وقيل** وجر ضاهره إذا التزق بالعداوة التزاق تلك بالأرض، وهذا كما يقال للحقود ضبّ

● **العضرفوط**

دويبة لا خير فيها تذكر العرب أنها لا تبول ألا تشعر بذنبها تلقاء القبلة والحيّات تأكله

● **الجُعَل**

يموت من ريح الورد ويحيى بالرّوث.

قال المتنبّي:

كما تضرّ رياحُ الورد بالجُعَل

وتحرس القوم. فكلما قام قائم منهم لحاجته تبعه وهو يدحرج الجعر.

قال يهجو:

حتّى إذا أضحى تدري فاكتحل بجارتيه ثم ولّى فنبل
رزق الأنوقين قرينا والجعل

---

(١) **أهرمن**. مبدأ الشر عند الفرس الأقدمين، ونقيضه أرمُزد وهو مبدأ الخير.

وله جناحان لا يكادان يُريان إلا إذا طار

● **النّمل**

يدّخر في الصيف للشتاء، ويخرج بالليل متى خاف بالنهار. وعادته أن ينقر القطمير[1] من الحبّة ويفلقها أنصافاً. فإذا كان حبّ الكزبرة فلقه أرباعاً، لأن أنصافه تنبت من بين الحبوب ولها حسّ وشم عجيب. وينقل أضعاف جسمه مائة مرّة، ومتى عجز عن حمل شيء ذهب إلى صواحبه فيتبعنه، ويكلّم بعضها بعضاً، بدلالة قوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ﴾[2]. قال:

لو أنني أوتيت علم الحكل علم سليمان كلام النمل[3]

والنمل تأكل الأرضة، ومتى رأى بالجرادة والخنفساء عقراً تعرض لهما فأكلهما. وإذا لم يكن لهما عقر لم يأكلهما.

وحكي عن بعض المهندسين أنه أخرج طوقاً محمى من صفر فرمى به فاشتمل على ذرة فلم يمكنها أن تتخلص من جانبه لما لقيها من وهج النار فعادت إلى وسط الدائرة فوجدها قد ماتت في موضع رجل البركار، وربّما طار

وقيل: إذا أراد الله بنملة شراً أنبت لها جناحين وفيه

وما ذو جناح له حافرٌ وليس بصقر ولا يشقعُ

وعنى بحافره قوائمه وبهما يحفر.

● **الحيّة**

موصوفة بالقوّة. وكل ممسوح لا رجل له ولا يد فقويّ البدن. ويُقطع ذنبُها ولا تموت طويل الدماء. وقيل: لا تموت حتف أنفها. وهي أصبر شيء على الجوع مع شرهها وسرعة ابتلاعها. فإذا تنسّمت اكتفت به وربما تأتي البقرة فتشتمل على فخذها فتلتقم حلمها فلا تستطيع البقرة أن تترمرم فلا تزال تمصه حتى تمتلىء فيعرض حينئذ في ضرعها داء أو تموت. وتسلخ كل عام مرتين وربّما يبقى في عنقها ما نصّ من جلدها

لها ربقة في عنقها من قميصها وسائره عن متنيها قد تقدّدا

وليس لرأسها عظم ولذلك يسرع إليها الهلاك إذا هشم. وفيها ذات شعور وقرون. وثلاثة لا تنفع معها الرقية: الثعبان والهندية والأفعى

والشجاع ما تقوم على ذنبها وثواثب وقيل: هي رمال يلعم حيّة تصيد الطائر فإذا

---

(١) **القطمير**: القشرة الرقيقة بين النواة والتمرة. يقال: ما أصبت قطميراً، أي ما أصبت شيئاً.

(٢) **القرآن الكريم**: النمل/١٨.

(٣) **الحكل**: ما يسمع له صوت، يقال تكلّم كلام الحكل أي كلاماً لا يفهم

انتصف النهار واشتد الحر انغرست كأنها خشبة فتجيء الطير تحسبها عوداً فتركبها فتبلعها.

وقيل: كانت الحيّة في صورة جمل فمسخها الله تعالى عقوبة لها حين طاوعت إبليس وشق لسانها وإنما تخرج لسانها إذا خافت لترى عقوبة الله.

وقال النبي ﷺ: فيها ما سالمناهن منذ حاربناهن ومن ترك شيئاً منها فليس منّا.

وقال الإمام علي: اقتلوا الجان ذا الطفيتين، والكلب الأسود البهيم **وقالت عائشة:** من تقتل حية فخاف آثارها فعليه لعنة الله، حسب:

وحــــنش كـــأنـــه رشـــاء	نـــبـــتـــه ورأســـه ســـواء
يـهـرب مـن طـلـعـتـه الرّقـاء	لـهـا إذا أبـصـرتـهـا اسـتـحـذاء
قـد لـوّحـتـه الـشـمـسُ والـهـواء	فـمـتـنـه سـيّـان والـقـصـاء

قال أسدي في وصفه:

ولـو عـضّ حـرّ فـي صـفـاة إذاً	لا نـشـبَ أظـفـارَه فـي الـصـفـا

وقال عنترة:

لـعـلّـك تـمـنّـى مـن أراقـم أرضـنـا	بـأرقـم يـتـقـي الـسـمّ مـن كـل مـنـطـف
تـراهُ بـأجـوازِ الـهـشـيـم كـأنّـهـا	عـلـى بـرده أخـلاف بـرد مـفـوّف[1]
كـأنّ بـضـاحـي جـلـده وسـراتـه	ومـجـمـع لـيـتـيـه تـهـاويـل زخـرف
إذا نـسـل الـحـيـات بـالـصّـيـف لـم تـزل	بـشـاعـرنـا فـي جـلـدة لـم تـعـرف

● العقربُ

لا تسبح ولا تتحرك في الماء، جارياً كان أو راكداً وحتفُها في ولدها إذ حان وقت ولاده بقر بطنها فتموت، وفيه:

وحاملة لا يُكملُ الدهر حملَها	تموتُ ويبقى حملُها حينَ تُعطَبُ

والقاتلة بموضعين شهرزور وقرى الأهواز وهي التي يقال لها الجرارة.

والعقارب يلسع بعضها بعضاً فتموت وربما ضربت الطشت فتحرقه وتبقى إبرتها فيه وتلسع الأفعى فتقتلها.

وقيل: إذا لسعت من لسعت أمه عقرب وهي حامل تموت العقرب ولا تضره وتقصد العقرب بالليل الأصوات، ولا تضرب المغشيّ عليه ولا النائم حتّى يتحرك وشرّ ما تضرّ الملدوغ إذا كان خارجاً من الحمام لسخونة بدنه وتفتح مسامه.

---

(١) **الهشيم:** النبات أو العشب اليابس ـ **البرد:** الثوب المخطّط ـ **المفوّف:** الثوب الرقيق، أو الثوب الذي فيه خطوط يبقى على الطول

● البَعوض

وأجناسه البق والجرجس والشذان والفراش والأذى. وللبعوض خرطوم ولكنه يخرجه ويطويه.

وقال بعضهم رأيت البعوضة تغمس خرطومها في جلد الجاموس كما يغمس الرجل إصبعه في الثريد. وكان يطير عن ظهره فيقعد لمص شيء ما في جوفه، ثم يعود.

وأنشد في مجلس يونس قول جرير:

يصرّ عن ذا اللب حتى لا حراك به | وهن أضعف خلق الله أركانا

قال: ما أراه يصف إلا البراغيث والبعوض.

قال الهذلي في صوتها:

كأنّ وعى الخموش بجانبيه | مآتمُ يلتدمنَ على قتيلٍ[1]

وقال الكميت:

به حاضرٌ من غير جنّ يروعه | ولا حاضراه ذو أثاثٍ وذو رحلِ

وقال الراجز:

مثل السفار دائمٌ طنينها | ركّب في خرطومها سكينها

وقال أبو جروة في صفة فارس:

تبيتُ جارتُه الأفعى وسامرُه | رمدٌ به عاذرٌ منهنّ كالجرَبِ

يعني بالرمد البعوض والعاذر الأثر وقال

وليلة لسم أدرِ ما كراها | أمارسُ البعوضَ في دُجاها

كلّ زجولٍ خفقٍ حشاها | لا يطرب السامع من غناها

وقال:

إذا تغنينَ غناء الزطّ | وهن مني بمكان القرط

فشق برقع مثلِ وقع الشرط

● البَراغيثُ

تستحيل بقاً كما أن الدعموص يستحيل فراشاً قال.

ليلُ البراغيث عنّاني وأنصبني | لا باركَ الله في ليل البراغيثِ[2]

كأنهنّ وجلدي إذ خلوْن به | أيتامُ سوء أغاروا في مواريث

---

(١) يلتدمن: يضطربن.

(٢) أنصبني: أتعبني كثيراً.

وقال:

ألا يا عباد الله من لقبيلة ... إذا ظهرت في الأرض شد مغيرها
فلا الدين ينهاها ولا هي تنتهي ... ولا ذو سلاح من معد يضيرها

وقال أبو الشمقمق

يا طولَ يومي وطولَ ليلتِه ... فيهن برغوثه بجدلتِه
قد عقدت بندها على جسدي ... واجتهدت في اقتسامِ حملتِه

وقال:

ألا ربّ برغوث تركتُ مجدّلاً ... بأبيض ماضي الشفرتَيْن صقيلِ

يعني أظفاره.

وصف أعرابي البراغيث فقال ما آذى صغارها وأطفر كبارها وأخفى اطمارها وأقبح آثارها.

وحضر أعرابي حلقة يونس فأنشد رجل لأبي الحسين بن أبي البغل

إذا ما عراني شار بالذمي شتني ... وغنى غناه الشارب المترنم
يدين بأديان المجوس كأنما ... يقول له أصحابه أشرب وزمرم

وكتب ابن ثوابة إلى ابن مكرم نحن ببعض فهل تحصون؟ فكتب إليه نحن سمص ونبرغث وسفق.

● القمْلُ

القمل يعتري من العرق والوسخ من الثوب والشعر وقيل. يعتري من أكل التين ويكون في رأس الأسود الرأس أسود، وفي أحصب الشعر بالحمرة أحصب. وفي الأحصف خصيفاً، وفي الأبيض.

وقيل: هكذا كحرّة بني سليم كلّ ما فيها من حيوان أسود بلاد الترك كل ما فيها على ألوان بلادهم ومن ريق دهب قمله وبريله لبس الحرير فأذن لهما. ويكثر القمل في الدجاج والحمام إذا لم يغسلا وكذلك في القرد وتراه أبداً يتقمّل ويصيح قمله في فيه.

● القُراد

يخلق من عرقِ البعير ووسخهِ كالقمل من الإنسان. والقراد إذا كان صغيراً قمقامة ثم يكون حمنانة ثم قراداً ثم حلمة. ويقال له. القل والطلح والعقير والبرام والقرشان.

وقيل أسمع من قراد وألزق منه وأدب وأبطن من حلمة ويقال فلان يقرد فلاناً أي يحتال عليه، وأصله أن يؤخذ قراد البعير ليسكن ثم يحمل الخطام في عنقه.

● السمك

الأجسام المائية موصوفة بالخمول وليس فيها خصلة من الفطنة، إلا ما يحكى عن صيد الجرذان ودابة تحمل الغريق حتى تؤديه إلى الساحل

والتموط ضرب من السمك ينتهي إلى الشبكة فلا يستطيع النفوذ منها فيعلم أنه لا ينجيه إلا الوثوب، فيجمع جراميزه قيد رمح فيثب ويغوص في الطين أيام الجزر.

والسمك قيل يكون له اللسان والدماغ في مياه العذب لا الملح البحتري في بركة:

يـقـضْـنَ فيـهـا بـأوسـاط مـجـنـحـة كـالطيرِ ينقَضّ من جوّ خوافيها[1]

● السرطان

له ثمان أرجل ويستعين مع ذلك بأسنانه فكأنه يمشي على عشر وعيناه في ظهره وينسلخ من جلده في السنة سبع مرات، ويتخذ جحراً له بابان أحدهما يشرع إلى الماء والثاني إلى اليبس ومتى انسلخ سد الباب الذي في الماء لئلا تدخل عليه الحية فتأكله وترك الباب الذي يلي اليبس لتصيبه الريح فيمتصب لحمه.

● السلحفاة

تكون برية وبحرية وتصيد الحيات وتبيض في الشط، وفيها يقول محمد بن عبد الملك:

وسـلـحـفـاةٍ سـمـجٌ سـكـونُـهـا والـحـركَـه

شـبّـهـتـهـا بـديـلـمـيّ سـاقـطٍ فـي الـمـعـركَـه

مـسـتـتـر بـتـرسِـهِ عـمّـن عـسـى أن يـهـلـكَـه

● الضفدع

يتعيش في الماء ويبيض في الشط، ولا عظم له، وقد يتخلق من الأرض إذا أصابها المطر، تراه غب المطر إذا كان ديمة في الصحصح[2] حيث لا بحر ولا نهر ولا نز، حتى يزعم ناس أنها كانت في السحاب وقيل إنه لمخ في خراسان يكبس في الأزاج ويحال بينه وبين الريح والهواء والشمس فمتى انحرق في تلك الحرانة خرق فدخله الريح استحال الريح كله صفادع

ولا ينق الضفدع في الماء إلا إذا أدخل فيه حنكه الأسفل ومتى أبصر إنساناً أو القمر أو الفجر أمسك عن النقيق وتولع الحيات بأكله.

---

(١) ينقض: الانقضاض هو الاندفاع من أعلى الجوّ وفي رواية: يمصّ أي يتحرك
(٢) الصحاصح: الصحصح الماء اليسير أو القريب القعر

قال الشاعر:

ضفادعُ في ظلماءِ ليلٍ تجاوبت ... فدلّ عليها صوتُها حيّةَ البحرِ

وقيل في الخرافيات إن الضفدع كان ذا ذنب فسُلِبه لما راهن على الصبر عن الماء. وفي قرآن مسيلمة لعنه الله: يا ضفدع كم تنقّين نصفُك في الماء ونصفُك في الطين، لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين. ونهى النبي ﷺ عن قتله.

قال الخوارزمي:

أرّقني والديكُ لم ينطقِ ... صوتُ غريقٍ نصفُه لم يغرّقِ

وجاحظ العينِ ولما يختنقِ ... بلَحظِ مخنوقٍ ولفظِ أشرقِ

وفيه:

كمقعد الشاكي حين ينزلُ

• التمساح

لا يكون إلا في نيل مصر، ويأكل الإنسان. وقيل: إن بطنه كقباء[1] مفروج وكل شيء يأكل بالمضغ دون الابتلاع فإنه يحرك فكّه الأسفل إلا التمساح فإنه يحرك الأعلى.

• التنّين

ينكره أكثر الناس إلا بعض الشاميين يزعم أنه إعصار فيه نار يخرج من بحار الأرض فلا يمرّ على شيء إلا أحرقه.

(٧)

وممّا جاء في أحوال الحيوانات وطبائعها

•

• المتزاوجة من الحيوانات

ليس التزاوج إلا في ذي رجلين دون ذوات الأربع، وذلك في الإنسان والحمام وأجناسها. وأما الدجاج والحجل فإنها تمكن كل ذكر من نفسها.

• البائضة والوالِدَة

كل ما لا أذن ظاهرة لجسمه فإنه يبيض وما له أذن ظاهرة فإنه يلد ولا يبيض. وما يبيض على ثلاثة أضرب: هوائي ومائي وأرضي. فالطائر منها ما يبيض في السقوف والأجذاع كالخطاطيف، ومنها ما يبيض على شعف الجبال، حيث لا يوصل إليه كالرخم

---

(١) القباء: ثوب يلبس فوق الثياب.

والمائية منها ما يبيض في الأرض ويحضن كالبق والضفدع والسلحفاة والسراطين تبيض في بيوت لها في شطوط الأنهار لها بابان والأرضيّ كالحيّة والضب

- **ما يكثرُ نسلُه وما يقلّ**

السمك يكثر نسلها ويأكل بعضها بعضاً. وكذلك **الضبّ** يخرج سبعين حسلاً ولولا أن بعضها يأكل بعضاً لصارت الصحاري ضباباً. **والخنزيرة** تضع عشرين خوصاً لكن يموت أكثرها لعجزها عن تربيتها. ويخرج من جوف العقرب عقارب كثيرة

قال صاحب المنطق: نسل الأسد يقل جداً لأنه يجرح الرحم فتعقم[1]، والجوارح من الطيور يقلّ فراخها والبغاث[2] يكثر.

قال:

بغاثُ الطيرِ أكثرُها فراخاً ... وأمّ الصقرِ مقلاةٌ نزورُ[3]

وأقلّ الخلق عدداً وذراً الكركدن. فأما الطيور فما ترق وتحضن كالحمام لم يكن لها أكثر من فرخين ما تلقم فراد الله في عدد فرخه، والعقارب والضباب والسمك وكل مالا تحضن ولا ترق ولا تلقم كثير أولادها جداً

- **ما يكسبُ وقتَ ما يولد**

الفروج والعنكبوت والفأر والجري والنحل

- **ما يكونُ من غير تناسل**

البعوض والبق والبرغوث لا يكون من توالد تحقق من عفن المياه، **وقيل**: الكمأة قد تعفن فتتولد منها الأفعى.

- **ما تناسلَ من الأجناس المختلفة**

أما البغل فمعروف والذئب والضبع يتسافدان وولدهما السمع، والذئب، والكلبة وولدهما الديسم

وقال صاحب المنطق: تتوالد السلوقية من الثعلب، والثعلب يسفد الهرة الوحشية.

وحكي عن صاحب الطيور أن رأينا كثيراً منها يتسافد، وروي أشياء عجيبة من أولادها. وادّعى جهلة أن **الزرافة** تنتج من بين الإبل الوحشية، **والبقرة الوحشية** لما رأوا اسمه بالفارسية اشتركاً وبلنك، أي بعير وبقر ونمر، **وقالوا في الجاموس** إنه بقر وضأن، ولم يقولوا في النعامة هذا، وإن سمي اشتر مرك. وادّعوا تسافد الجن والأنس واستدلّوا

---

(1) تعقم: تصاب بالعقم فلا تلد.

(2) البغاث: أصغر من الرخم، وهو بطيء الطيران

(3) النزور: كلّ شيء يقلّ

على ذلك بقوله تعالى. ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾[1] وقالوا الواقواق من نتاج بعض الحيوانات وبعض النبات

- **القوة على الجماع**

الإنسان يغلب جميع الحيوانات في السفاد لأن ذلك دائم منه في جميع الأزمنة وعلى جميع الأحوال والإبطاء في الفراغ للجمل والورل والذبان والعناكب والضفادع والخنازير

وأما الكلاب والذئاب فتلتحم وكذلك الذبان وقال النوشجان: أقبلت من خراسان، في بعض طرق أجبالها فرأيت أثر ست أرجل أكثر من ميلين فسألت فقيل لي أن الخنزير في زمن الهياج يركب ذكره الأنثى. وهي ترتع وتمر بهما أثرهما وكثرة عدد الجماع من العصافير. وكل جنس يحبل إلا البغل فإنه وإن أحبل لم يتم وقفص[2] تيس بني حمار مشهور

- **المتسافد ذكوره**

الخنازير والحمار والحمام كل ذلك، يذكر الذكر، وللأنثى الأنثى

- **ما يتغاير**

يتغاير الخنزير والجمل والفرس إلا أنها لا تتزاوج وحمار الوحش يغار ويحمي أتانه الدهر كله، وأجناس الحمام تتزاوج ولا تتغاير والقرد يتزاوج ويتغاير

- **أشراف الحيوانات**

قيل: أشرف السباع ثلاثة: الأسد والببر والنمر. وأشرف البهائم ثلاثة الكركدن والفيل والجاموس وأشرف المركوبات: الخيل والإبل. وأشرف الطير العقاب

وقيل. الرياسة في الهواء للعقاب، وفي الماء للتمساح وفي الغياض للأسد.

وقيل: الطير هوائي والسمك مائي يعني أكثر استقرارهما في هذين الموضعين

ومن الحيوان ما لا يصلح أمره إلا بالرئيس كالنحل والغرانيق والكراكي، وأما الإبل والحمير والبقر فالرياسة لفحل الهجمة ولعير العانة[3] ولثور الربرب[4] وقيل: لكل شيء سادة حتى النمل.

- **ما يتعادى من الحيوانات**

قيل: أشد العداوة عداوة الجوهر وما يتعادى على ضربين: ضرب يعادي جنس

---

(١) القرآن الكريم: الإسراء/ ٦٤

(٢) القفط. يكون لذوات الظلف وهو شدة لحاق الذكر للأنثى، من قفطها أي سفدها

(٣) العانة: القطيع من حمر الوحش. (٤) الربرب: القطيع من بقر الوحش

جنسه. وذلك نوعان: أحدهما كل نظير صاحب كالأسد والفيل فإنهما يتقاتلان وكل قد يقتل الآخر. والفرس المائي يقتل التمساح ويتعادان. والحية وسام أبرص يتقاتلان والأسد والنمر والأسد والجاموس.

ومنها ما لا يضرّ الآخر ولا يقوى الآخر عليه كالسنور مع الجرذ، والذئب مع الشاة، والدجاج مع ابن آوى، والحمام والشاهين والشاة أشد فرقاً من الذئب منها من الأسد والدجاج يخاف ابن آوى أكثر ما يخاف الثعلب والحمام أشد فرقاً من الشاهين منه للبازي والصقر.

● القوي المتفادي من الضعيف

الجاموس يخشى البعوض خوفاً شديداً، يحمس في الماء والفيل يهرب من الهرة

وقيل: إنما يهرب من الأسد إذا طنه سنور عقيب، والحية إذا أصابها خدش تسلط عليها الذرّ[1] فيهلكها. واللبوة إذا وضعت قصد الذر شبلها فيأكله، ولذلك قال المتنبي:

يذمّ أبو الشبل الخميص عن ابنه ويسلمه عند الولادة للنمل[2]

● ما تقوى أناثها

كلّ صنف من الحيوان ذكورها أجرأ وأقوى إلا الفهد والذئب واللبوة

● الأكلة للناس من السباع

الأسد والنمر والببر[3] وقيل لا يعرض ذلك للناس إلا بعد الهرم والعجز عن الصيد. والذئب أشد الناس مطالبة فإن عجز عوى مستغيثاً بالذئاب

● الأكل بعضها بعضاً

السمك يأكل بعضه بعضاً أكلاً ذريعاً والذئب متى رأى ذئباً أدمي أكله لا محالة

فكنتَ وكنتُ كذئب السوء لما رأى دماً بصاحبه يوماً أحال على الدمِ

والجرذ إذا خصي أكلها أصحابها

● الصابرة عن الطعام

الحيّة وسام أبرص والعضاة والتمساح تسكن في أعشتها الأربعة الأشهر الشديدة البرد، فلا تطعم شيئاً وسائر الحيوانات تسكن بطن الأرض كذلك كل همج لا تبرز في الشتاء إلا النمل والذر والنحل فإنها تدّخر ما يكفيها.

● المدّخرة

الإنسان والنملة والذرة والجرذ والفأر والعنكبوت والنحل.

---

(١) الذر: النمل (٢) الخميص: الجيش. (٣) الببر: نوع من السباع الهندية

● إختلافُ الحيوانِ في الأكل

الحيوان على ثلاثة أضرب: المشتركة كالإنسان والعصفور والغراب والسمك تأكل الحيوانات والنبات. والآكلة للحم في غالب الأمر كالحمام. ثم تختلف فمنها ما يأكل جنساً واحداً كالنحل تأكل العسل والعنكبوت يعيش من مصّ الذباب.

● إختلافُ مشيها

من الحيوان ما لا يسيغ بالمشي، فالضبع عرجاء تخمع، والذئب أقزل أشنج النسا كأنه يتوجّى إذا مشى، والأسد إذا مشى يتخلع كأنه رهيص. والسنور والفهد في طريق الأسد. والغراب يحجل كأنه مقيد. والجراد يمشي ويطير والعصفور يثب ويجمع رجليه معاً. وكذلك القبر والحمّر وما أشبهها والقطاة مليحة المشي مقاربة الخطو وبه شبه مشي المرأة قال:

فدفعتُها فتدافعت مشيَ القطاة إلى الغدير[1]

والذباب يمشي مشياً سعداً، والبرغوث يمشي ويثب وسمي طامر بن طامر لوثوبه وكلّ ذي أربع وذي إثنين إذا تكسر إحدى رجليه تحامل على الأخرى إلا النعامة قال:

وإنــي وإيــاكم كذي الرجل ... على نـعـامـة

● الطويلةُ العمر

ممّا يوصف بطول العمر الحيّة، فإنه يقال لا تموت حتف أنفها، ويقطع ثلث جسمها فتعيش، إن سلمت من الذرّ. والدحال يقطع بنصفين فيمران في الطريقين. والضب طويل الدماء مع هشم[2] الرأس والطعن الحائف الذي لا يحتمله غيره.

ويقال اللهم واقية كواقية الكلاب وذلك لسلامتها من الآفات والكبش تقطع إليته فيعيش.

● ما يحدّ بصره

الفرس والهدهد والعقاب والنسر. وأما السنور والفأر والجرذ والسباع فإنّها تبصر بالليل كما تبصر بالنهار والخفاش يبصر فيما بين الضوء والظلمة لكثرة شعاعها في بصرها وأما ما يبصر بالليل فالأسد والسنور والنمر والأفعى.

● ما يصدُق سمعهُ

قيل: أسمع من قراد لأنه يسمَع تحرك البعير فيقصده وإن كان قد أتى عليه ستون والفرس والقنفذ والدلدل.

---

(1) هذا البيت من قصيدة للمنخّل الجاهلي، قالها في المتجرّدة امرأة النعمان.

(2) هشم الرأس: كسره.

• **الموصوفُ باللجاج**

الخنفُساء والذُّباب لا ينطرد ون طرد، والدودةُ الحمراء ترومُ الصعود إلى السقف كلمّا سقطت عادَت.

• **الحاذِقُ بالبِناء**

الزنبورُ يعمَل بيوتنا مدوّرة كأنّها من كاغد[1] مرزّدة[2] والسُّرفة[3] تبني بيتاً حسناً وقيل أصنع من سرفة وكذلك التبوّط[4].

• **الحاذِقُ بالنسج**

المنكبوتُ ودودُ القزّ تحرج القز من جوفها

• **ما يَحيض**

الكلبُ والأرنب والضبع والخُفاش، وقيل دوات لأربع كلها تحيض.

• **الموصوفُ بالحمق**

الرخمة والحباري وأنثى الذئب، وتسمى العجيزة، لأنها تتكفّل ولد الضبع وتترك ذ بطنها. قال

كمرضعةٍ أولادَ أخرى وضيّعت ... بني بطنها هذا الضلال عن القصْدِ

والصيمة والنعجة والعير، وكذلك الطاووس والقنبرح مع حسنها والرافة

• **الموصوفُ بالجبن**

العقعق والغراب والعصفور والصقر والصمرد.

• **ما يصدقُ شمّه**

الذئب صادق الإسترواح، ولذلك قيل:

يستخبرُ الريحَ إذا لم يسمع ... بمثل مقراعِ الصّفا الموقّع[5]

وجلّ الوحشيات على ذلك والنعامة صدقة الشمّ. وأعجب من ذلك الذرّة نحو أن يشمّ رجل جرادة يابسة فيتهافت عليها والفرس يتشمّم رائحة الحجر من مسيرة ميل ومن ذلك السنّور والكلب ويبلغ من صدق شمه أنه يقصد الحجرة فيشمّها فتعرف الكلاب بتشممه وجار الضبع فتقصده.

---

(١) الكاغد: القرطاس (واللفظة فارسية)

(٢) المرزّدة: ذات العقد المتداخلة مثل زرود الدرع

(٣) التبوّط: من باظ يبيظ ويبوظ إذا قرّ ماء الرجل في الرّحم.

(٤) السّرفة. دويبة سوداء الرأس وسائرها أحمر تتخذ لنفسها بيتاً من دقاق العيدان

(٥) الصفا الصخرة.

● ما يَنْسَلِخُ

كل ذي جسد محرز فإنها تسلخ كالحية والسرطان كل طائر لجناحيه غلاف كالجعل والدبر والسلخ للطير تحسرها، وللحوافر عقائقها، وللإبل طرح أوبارها وللجراد جلودها وللأيائل قرونها وللأشجار ورقها وللاسروع أن يصير فراشاً وللعوض أن يصير دعموصاً.

● ما يَتناسَل

قيل: إن العوض يصير دعموصاً، والبعوض يستحيل برغوثاً، والأسروع فراشاً والذباب والزنابير أول ما يتولد يكون دوداً، ثم يتطور

وقيل. العقاب والحدأة يتبدلان فيصير الذكر أنثى وهذا غريب. وقيل. ليس ذلك بأغرب من الشجرة التي تثمر البلوط سنة، والعفص سنة وقيل. الضبع سنة أنثى وسنة ذكر ولم تذكر العرب ذلك.

● ما يكونُ وحْشياً وغيره.

الفيل والسنانير والحمير والظباء فالظباء تسمّى عفراً، والتيوس الوحشيّة نعاجاً وهي بالنمر أشبه. وليس بينها وبين الظباء تساند ولخنزير وحشيّ وغير وحشي، وهو ذو ظلف ولا مشابهة بينه وبين ذوات الأظلاف بين ذلك:

وليس في الإبل وحشيّ إلا وحوش الإبل فيما يزعمون

ومما يكون أهلياً ولا يكون وحشياً الكلب وأما الضبع والذئب والأسد والنمر والببر فلا تكون إلا وحشيّة وكذلك الثعلب وابن آوى

وقد يعلم الأسد فيسرع نابه ويطوف في الناس لشه ومع ذلك يتشزن[1] ولا تؤمن عرامته[2] وخبر من ربي الذئب ثم أكل شاته قد ذكر، وحكي أن بعضهم ضرى أسداً فاصطاد به، وذئباً فصاد به الظبي، وزنبوراً فاصطاد به الذباب.

ومن الوحشيات ما إذا صار مع الناس يترك السفاد، ومنها ما يترك الطعام كالصالحية

● ما يعايشُ النّاس

الكلب والسنّور والفرس والبعير والحمار والبغل والغنم والبقر ونحو ذلك ومن الطيور الدجاج والحمام والخطاف والزرزور والخشن والعصفور، وليس فيها أطول عمراً من البغل ولا أقصر عمراً من العصفور وعلل ذلك بقلّة السفاد وكثرته.

● ما يتكفّل بوُلد غيره

الذئب وتقدّم، والنعام تحضن بيض غيرها وحمل على ذلك قول الشاعر:

---

(١) تشزن اشتد وغلظ

(٢) العرامة: من عرم عرامة: مرح وكان شرساً، فسد

كـتـاركـةٍ بـيـضَـهـا بـالـعـراء   ومـلـبـسـةٍ بيَـض أخـرى جـنـاحـاً

والدجاجة تحضن بيض الحمام وبالعكس وكاسر العظام يتعهد فرخ العقاب، وذلك أنها تفرخ ثلاثاً فتعجز عن تربية ما فوق الاثنين

● الكاسبةُ بالليل

البوم والصدى والهامة والصوبع والخفاش وغراب الليل. والبومة تدخل على كل طائر في بيته بالليل تأكل فراخه والعوض قد يؤذي بالنهار

● ما يحضنُ البيضَ وما لا يحضن

الطيورُ تحضنُ، والضبُّ لا يحضن بل يغطيها بتراب وينتظر أيام انصداعها، ثم ينبش عنها التراب

● ما يتعين مكانُه وما لا يتعين

النحل والفأرة والنمل والنحل واللصت لها مساكن معلومة تأويها. وأما أكثر الطيور فلا تتخذ بيتاً ترجع إليه، بل ذكورها سيّارة وإناثها يقمن إلى تمام خروج الفراخ من البيض وتذهب

وأكثر الطيور قواطع كالخطاف والزرزور والغراب والحداة وأما السمك فكذلك. منها ما يجيء من أقصى البحار كأنه تتحمى بحلاوة الماء وعذوبته

● ما ادعي فيه المسخ

إختلف الناس في المسخ. فأكثر الدهرية يجحدون ذلك، وأقروا بالخسف والطوفان وجعلوا الخسف كالزلزلة. وقال بعضهم لا ينكر أن يفسد الهواء في ناحية فتتغير تربتهم فيعمل ذلك في طباعهم على الأيام، كما عمل في الزنج والصقالبة فتصير القوة من جنس أرضهم ألا ترى أن جراد البقول وديدانها خضر والقمل في رأس الشاب أسود، وفي المخضوب أحمر.

ولم ير أهل الكتاب أقروا بالمسخ غير أنهم أجمعوا على أن الله تعالى جعل امرأة لوط حجراً. وأجازاً أكثر المسلمين ذلك فقال بعضٌ: إن الممسوخ لا يتناسل ولا يبقى إلا بقدر ما يصير موعظة وعبرة وبعض أجاز تناسله حتى جعلوا الضبَّ والكلاب من أولاد تلك الأمم.

وقالوا في الوزغ إن أباها لما نفخ في نار إبراهيم وفي نار بيت المقدس أصمّه الله تعالى وأبرصه فكل سام أبرص من ولده حتى صار في قتله أجر عظيم.

وعن عروة أن النبي ﷺ قال للوزغ الفويسق والحيّة كانت صورة إبل فلما أعانت إبليس مُسخت.

وقالت العرب: إن الله تعالى مسخ عطارد تشبيها بهذا. وقال الجاحظ: قلت لعبيد الكلابي وكان مشغولاً بالإبل أبيكم وبين الإبل قرابة؟ قال: نعم، خؤولة فقلت: مسخك الله بعيراً، فقال: إن الله لا يمسخ أساناً على صورة كريم بل لئيم. وقيل كانت الفأرة يهودية طحانة والأرضة يهودية والضب يهودياً، ولا يصيبون شيئاً من ذلك إلى النصرانية.

● ما ادّعي تكليفه

زعم بعض الناس أنّ الأشياء كلّها مكلّفة وأنها أمم تجري مجرى الناس، وتأوّل قوله تعالى ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾[1] وقال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾[2] الآية وقال ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾[3] والطير واتبعوا ظاهر الآيات.

والعقرب والحية والغراب والوزغ[4] والكلب عصيات معاقبات.

وقالوا: لم يكن من حشاش[5] الأرض إلا كان يطفيء النار عن إبراهيم عليه السلام، إلا الوزغ فإنها كانت تنفخها.

● المنسوب إلى مكان من البهائم

ذئب الخمر وأرنب الخلة[6] وتيس الرمل وضب السحاب، وهو نبت يحمي حاله به، وقنفذ برقة[7] وشيطان الحماطة[8]، وغول القفر، وجان العشرة. وكان لهذه الأشياء اختصاص بهذه الأمكنة وقوة. وذلك غير ممتنع.

وكان يقال من دخل تبت كان مسروراً من غير سبب، ما دام بها. ومن أقام بالموصل حولاً ثم تفقد عقله وجده ناقصاً.

وقيل حمّى خيبر[9] وطحال البحرين ودماميل الجزيرة وجرب الزنج.

● جملة من اختلاف الخلق.

كل حيوان أصل لسانه إلى داخل إلا الفيل. وكل سمك في العذب بلسان ودماغ وكل ذي عين من ذوات الأربع، فالأشفار لجفنها الأعلى، إلا الإنسان فللأعلى والأسفل.

---

(١) القرآن الكريم: الأنعام/ ٣٨ (٢) القرآن الكريم: الأحزاب/ ٧٢

(٣) القرآن الكريم. سبأ/ ١٠.

(٤) الوزغ: ضرب من الزحافات والوزغ الرعشة، الارتعاد، الجبان

(٥) حشاش الأرض: ما يبس من النبات (٦) الخلّة: ما فيه حلاوة من النبات

(٧) برقة: الأرض الغليظة ذات الحجارة (٨) الحماطة: كلّ شجر لا شوك فيه

(٩) خيبر: واحة على الطريق بين المدينة ودمشق

وكل حيوان ذي صدر فصدره ضيق إلا الإنسان والفيل والبقر. وللجواميس أربعة أخلاف[1] في بطونها، وللشاة حلمتان، وللناقة أربعة، وللسنور والكلب ثمانية أطباء[2] والخنزيرة كثيرة الأطباء. وللفهد أربعة وللظبية اثنان.

واللحية تكون للرجل والديك والتيس. والجمل له القنون[3] والكوسة[4] من السمك في بطنه شحم طيّب إن اصطادوه ليلاً وإلا فلا.

● أحوال جماعة من الحيوانات

قيل: الضفدع إذا أبصر النار تحيّر ولم ينق. والخنفساء والجعل إذا دفنا في الورد ماتا وفي العذرة يحييان.

قال المتنبي:

كـمـا تـضـرّ ريـاحُ الـوردِ بـالـجُـعَـلِ

وإذا دخلت الخنفساء في إست الحمار غشي عليه ولا يفيق حتى تخرج. والزنبور إذا غرق في الزيت مات ويحيا بالخلّ. والذباب إذا غرق في الماء مات وإذا دفنته بعد في التراب حيي.

والأسد إذا رأى قربة منفوخة انهزم، واللبوة تضع ولدها حين تضعه شبلاً ميتاً فيأتيه أبوه في الثالث فينفخ في منخرية فيحيا، وتضع الدبة ولدها لحماً لا صورة له ثم تلحسه حتى تستوي صورته.

من لدغته العقرب فأدخل في إسته قطعة جليد برأ وقيل بل هذا لمن لدغه الزنبور والمرأة إذا لدغت فحومعت برئت.

زبد الجمل الهائج يذهب العقل. إذا مدت على باب البيت شعرة من ذنب فرس عتيق لم يدخله البعوض ما دامت الشعرة ممدودة. الحمار إذا أكل خرء الثعلب مات، والفأرة إذا أكلت المرداسنج ماتت، وإذا حمي الكلب فدهن إسته ذهب حمه. والثور إذا دهن إسته لم يخف.

والقنفذ لا ينام والفهد لا يسهر والعدف إذا أخرج فرخه هرب منه لأنه يخرج أبيض فيجتمع عليه البعوض لزهومة رائحته فيبتلع منها ما يقيمه. إذا رأت الحية إنساناً عرياناً تهرب منه. النمل لا يتوالد من تزاوج لكنه يلقي في الأرض شيئاً يسيراً فيصير بيضاً ثم يتصور.

---

(١) أخلاف: جمع خلف وهو حلمة الضرع. (٢) الأطباء: جمع طبي وهي حلمة الضرع.

(٣) القنون: جمع قنة وهو الجبل الصغير.

(٤) الكوسة: من كاس يكوس على رأسه انقلب، والكوسة هنا سمك في مقابل القمة للجمل.

(٨)

وممّا جاء في الصيد والذبائح

•

• ما يجوزُ أكلهُ من الصيدِ وما لا يجوزُ

قال الله تعالى ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾[1] وقال عدي بن حاتم سألت رسول الله ﷺ فقلت: أنا قوم نصيد بهذه الكلاب، فقال: إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه، فكل ما أمسك عليك وإن قتل، إلا أن يأكل الكلب فإن أكل الكلب فلا تأكل، فإني أخاف أن يكون مما أمسك على نفسه.

وقال عدي: يا رسول الله أرمي الصيد فلا أجده إلا بعد ثلاثة. قال: إذا رأيت أثر سهمك فيه تعلم أنه قتله، فكل. وفي حديث آخر: ما تجد أثر سبع. وفي حديث آخر: وما تأخر عنك للبعد فلا تأكله فإنك لا تدري أرميتك قتلته. وفي رواية كُلْ ما أصميت[2] ودع ما أنميت. وقال جابر: نهى عن صيد كلب المجوسي.

• جوازُ أكلِ ما صيدَ بالقوس

قال أبو ثعلبة: قال رسول الله ﷺ كُلْ ما رَدَّت إليك قوسك. وفي آخر ذكياً أو غير ذكي. وروى عدي بن حاتم عنه ﷺ ما أصاب بحدّه فكل وما أصاب بعرضه فلا تأكل وفي آخر: إن أتيته وقد سبقك بنفسه فكل، وإلا فلا تأكلْ حتى تذكي.

• ما ذُبحَ بغير سكين

قال عدي: قلت يا رسول الله إني أرسل كلبي فيأخذ الصيد فلا أجد ما أذبحه به إلا المروة والعصا، فقال: أجر الدم بما شئت واذكر اسم الله عليه. وقال ﷺ: إذا أنهرت الدم فكل، وفي حديث ما خلا السنّ والعظم.

• النهي عن المثلةِ بالحيوان والحثُّ على تحسين الذّبح

قال النبي ﷺ: لعن الله من يمثل[3] بالحيوان. ونهى أن تصبّر البهيمة وأن يؤكل لحمها إذا ضرب، وقال ﷺ: لا تتخذوا الروح غرضاً. وقال: إن الله كتب الإحسان في كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد[4] أحدكم شفرته وليرح ذبيحته.

---

(١) القرآن الكريم. المائدة/ ٥

(٢) أصميت: أصمى: رمى الصيد فقتله

(٣) مثل بالحيوان: نكّل به، عذّبه

(٤) ودى يدي الشيءُ: سال، وقيل الوادي لأن الماء يدي فيه أي يسيل ويجري.

● من تجوزُ منه الذكاء

قال أبو العشر الدارمي عن أبيه قال قلت يا رسول الله أما تكون الذكاة إلا في اللبة والحلق؟ قال: بلى لو طعنت في فخذها لأجزأ عنك. وسئل ﷺ عن ذبيحة النصارى لكنائسهم وأعيادهم، فقال: إن لم تأكلوها فإني آكلها فأطعموني. وقال ابن عباس: نهى النبي ﷺ عن ذبيحة نصارى العرب وذبيحة الغلام. وروى جابر عنه ﷺ أنه سئل عن ذبيحة المرأة والصبي، فقال: إذا ذكر اسم الله عليه فلا بأس. وكانت العرب تقول ما ذكر اسم الله عليه فلا تأكلوه. وما ذبحتم لغير الله فكلوه فأنزل الله تعالى: ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه، وإنه لفسق.

الحد الخامس والعشرون

في فنون مختلفة

•

(١)
كلماتٌ من الحِكَم في أبوابٍ مختلفة

•

أجمعوا على أن الظَفَر مأسور بالصَّبْر، والقُدْرة مقرونة بالحيلة، والإدراكُ موصول بالتأني.

كتب كسرى إلى قيصر أخبرني بأربعة أشياء ما أحالها إلا صدك ما عدو الشدة وصديق الظفر ومدرك الأمل ومحتاج المقر وفي كتاب جاودان ثلاثة لا يصدّقون. صبر الجاهل على المصيبة، وعاقل أبغض من أحس إليه. وحماة أحبّت كنتها

وثلاث لا يستصلح فسادهن العداوة بين الأقارب، وتحاسد الأكفاء، والركاكة في الملوك

وثلاث لا يفسد صلاحهن العادة في العلماء، والقناعة في المستبصرين، والسخاء في ذوي الأخطار

وثلاث لا يشبع منهن: العافية والحياة والمال.

وقيل. إذا رأيت الفيل يمشي على الشرف فأطلبه في البئر. وقيل ستة لا تخطئهم الكآبة فقير قريب العهد بالغنى، ومكثر يخاف على ماله، وطالب مرتبة فوق قدره، والحسود والحقود وخليط أهل الأدب وهو غير أديب

وقالت الهند: ثلاث يسرعن إلى العقل الفساد طول الكماية، والتعظيم الدائم وإهماء النفس.

وقيل أربعة تضيع. سراج في نهار، ومطر في سبخة[1]، وطعام عند غير ذي شهوة وزفاف بكر إلى عنين.

---

(١) السبخة: الأرض ذات النز والملح

وقال مسلم بن قتيبة: لا يجب للصبي أن يكون سخيّاً فإنه لا يعرف فضل السخاء، وإنما يعطي ما في يده ضعفاً.

وقال الأصمعي المهلكات أربع: الكبر والحسد والبخل والحرص.

وقال معاوية ثلاثة ما اجتمعن في حرّ: سمنة الرجال وعيبتهم، وملال أهل المودة.

وقيل: إنما يحسن الاختيار لغيره من يحسنه لنفسه. وقال صالح بن عبد القدوس: ما شيء إلا وفيه منفعة، فقال بعض من حضره: لو علق رجل بإحدى يديه أي منفعة فيه؟ قال: لا يعرق إبطه.

النية أساس الأعمال والأعمال، ثمار النيّات.

وقالت الترك: حفظ مرتبة خير من خفض مرتبة.

وقال أبو الأسود الدؤلي: إذا كنت في قوم فحدّثهم بقدر سنك، وخاطبهم بلفظ محلك، ولا ترتفع عن الواجب فتستثقل، ولا تنحط فتحتقر.

أربعة لا تكتتم: العقل والحمق والغنى والفقر. قيل: سمّي الجار لتجيره والصديق لتصدقه، والرفيق لترفق به.

قيل: ما استقصى حرّ قط. قال الله تعالى: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍۢ﴾[1]، فلم يعاتب النبي ﷺ حفصة على ما كان منها. قال الأقطع رفيق الصاديقي: وقعت إلى بلدة قاصية من خراسان فسألوني هل تعرف شيئاً من شعر الصاحب فأنشدتهم

بودّي لو يَهْوى العذول ويَعْشَقُ[2]

فقال فضولي: هذا للبحتري، فقلت: لقد قال ذلك رجل بنيسابور فضرب ثلاثمائة سوط. فسكت عنّي أبو الحسن الصوفي عن الرئيس أبي الفضل

أنا إنْ لم أكُ أهوا ك فرأسي في حِرِ أمّي[3]

توقيع للصاحب

وإذا أردتم أن تسروا عامراً فتعمدوا بصنيعكم أصهارها

قال القاضي أبو الحسن: استعار رجل من الجلاد شعره فقال: يا بني نحن أكلنا شعر الطائي والبحتري ومن يجري مجراهما وهؤلاء أكلوا شعر النابغة حتى خرؤا مثل هذا الشعر. وأنت إذا أكلت شعري فأي شيء تخرأ؟

قال حكيم الحياء: يمنع من عمل السيئات، والحمية تمنع من عمل الحسنات.

قال أبو عبد الرحمن خالد بن الأصم لأبي العتاهية: أي خلق الله أصغر؟ قال: الدنيا

---

(١) القرآن الكريم، التحريم/٣.
(٢) العذول: اللائم.
(٣) الحِر، بتخفيف الراء: الفرج.

لأنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة. قال: بلى أصغر منها من عظمها. ثلاث يخبلن العقل: الخصومة الدائمة، والدين الفادح وامرأة السليطة[1]

وقال أبو يوسف: تعلّموا كل علم إلا النجوم، فإنه يكثر الشؤم، والكيمياء فإنه يورث الإفلاس، والجدال في الدين فإنه يورث الزندقة.

من هانت عليه نفسه فلا تأمن شرّه. قال حكيم: من الذي بلغ جسماً فلم يبطر واتبع الهوى فلم يعطب، وجاور النساء فلم يفتتن بهنّ، وطلب إلى اللئام فلم يهن، وواصل الأشرار فلم يندم، وصحب السلطان فدامت سلامته؟

قيل: جماع خير الدنيا والآخرة في ثلاث: أجر وشكر وذكر. فالأجر ثواب الله الذي لا يكون أجمع منه نفعاً وأدوم ولا أكرم منزلة، والذكر فوق منزلة الشكر، ودون منزلة الأجر لأن الأجر أشد اشتمالاً على جميع الخلق.

● حكاية

يقال إن المنصور أشخص[2] رجلاً من الكوفة سعي به أن عنده أموالاً لبني أمية فلما مثل[3] بين يدي المنصور، قال: أيها الرجل أخرج لنا من ودائع بني أمية التي عندك؟ فقال أوارثهم أنت يا أمير المؤمنين أم وصيهم؟ قال: لا. قال: فلم أدفع أموالهم إليك؟ قال: إن بني أمية خانوا المسلمين وأنا القائم بأمرهم. قال: عليك بيّنة أن هذا المال من تلك الخيانات، فقد كان للقوم أموال من وجوه شتى فإن ثبت على حكم خرجت منه.

فأطرق ساعة ثم قال: يا ربيع خلّ الرجل. فقال الرجل: ما عندي مال ولكن رأيت الاحتجاج أقرب إلى الخلاص فإن رأى أمير المؤمنين أن يحضر خصمي فلعله يفلجني بالحجة، فإن في مالي سعة فبعث المنصور بالساعي فأحضره فقال: يا أمير المؤمنين إن هذا الساعي عبد لي أبق[4] وقد سرق لي مالاً فهدّده فاعترف.

● العجب

العجب ما عدم فيه العادة. ولذلك قيل الدهر أبو العجب لإتيانه بما لم تجر عادة بمشاهدته. وقيل: للنظام أي شيء أعجب؟ قال: الروح وقيل لأبي عصل فقال: السمّ وقيل: لسلم الخلال. فقال: السر. وقيل لأبي شمر فقال: الذكر والنسيان. وقيل لبطليموس فقال: تدبير الملك.

قال ابن الرومي:

وعجيب الزمان غير عجيب

---

(1) المرأة السليطة: الطويلة اللسان.
(2) أشخص رجلاً: بعث به.
(3) مثل بين يديه: حضر.
(4) العبد الأبق: الخارج عن الطاعة.

قال الطائي:

إلا إنّهـا الأيـامُ قـد صـرن كـلـهـا عجائبَ حتّى ليسَ فيها عجائبُ

وذكر أن أفلاطون سأل جماعته عن العجب فقال كل ما حضره حتى انتهى إلى بقراط فقال: العجب ما لا يعرف سببه

قال الخبزارزي:

عـجـبـتُ واعـجـبُ مـنّـي امـرؤٌ رأى مـا رأيـتُ ولـم يـعـجَـب

وقال بعضهم: لو سرقت الكعبة ما بقيت لأعجوبة أكثر من أسبوع.

(٢)

ذكرُ خصالٍ محمودة

■

● **خصلة محمودة**

قال أنوشروان: وعنده جماعة ليتكلم كل واحد بكلمة نافعة. **فقال الموبذ**: الصمت المصيب أبلغ حكمة

وقال مهنود تحصن الأسرار أبلغ رأي. **وقال مهادر**. لا شيء أنمع للرجل من المعرفة بقدر ما عنده من الفضل وحسن الاجتهاد في طلب ما هو مستحق له

وقال موسى. الاحتراز من كل أحد أحزم رأي **وقال بزرجمهر** لا يروح المرء على نفسه بمثل الرضا بالقضاء **فقال أنوشروان** كل قد قال فأحسن ولا خلاص لأحد إلا التثبت للإختيار والاعتقاد للحيرة.

● **خصلتان**

قال ﷺ: **منهومان** لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا **وقال بعضهم** **شيئان لا** يستطيع الرجل فراقهما ظله وعقله **إثنان** يهون عليهما كل شيء **العالم** الذي يعلم العواقب، **والجاهل** الذي لا يدري ما هو فيه. شيئان ينبغي للعاقل أن يحذرهما الزمان والأشرار. **شيئان** يدبران الناس القضاء والرجاء.

فسد جلّ الأمور ومن خصلتين إذاعة الأسرار وائتمان أهل الغدر.

خلّتان في الجاهل سرعة الإجابة وكثرة الالتفات. اثنان يستحقان البعد من لا يؤمن بالمعاد ومن لا يستطيع غضّ بصره وكفّ جوارحه[1] من المحارم.

● **ثلاث خصال**

ثلاثةٌ تضر بأربابها: **الإفراط في** الأكل اتكالاً على الصحة، **والتفريط في**

---

(١) **الجوارح**. جمع جارحة هي العضو الجسم والحاسة من الحواس

العمل اتكالاً على القدر، وتكلف ما لا يطاق اتكالاً على القوة.

ثلاثة من لم تكن فيه لم يجد طعم الإيمان حلم يردّ به جهل الجاهل، وورع يحجزه[1] عن المحارم، وخلق يداري به الناس

ثلاثة من كنّ فيه استكمل الإيمان. من إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، ومن إذا رضي لم يخرجه رضاه إلى الظلم، ومن إذا قدر لم يتناول ما ليس له.

ثلاثة هن للكافر مثلهن للمسلم: من استشارك فانصحه، ومن ائتمنك على أمانة فأدّها إليه، ومن كان بينك وبينه رحم فصِلها.

وقال إبليس: إذا ظفرت من ابن آدم بثلاثة لم أطالبه بغيرها إذا أعجب بنفسه واستكثر عمله وتمنى على الله.

ثلاثة لا يمن بها أحد فيسلم صحبة السلطان، وإفشاء السرّ إلى النساء وشرب السم للتجربة

ثلاثة تزيد في الأنس بين الإخوان الزيارة في الرحال والحديث على المائدة ومعرفة الأهل والحشم.

● **أربع خصال**

قال ﷺ أربع من الشقاء جمود العين، وقساوة القلب، والإصرار على الذنب، والحرص على الدنيا

وقال أمير المؤمنين من استطاع أن يمنع نفسه أربع خصال فهو حليق بأن لا ينزل به من المكروه ما ينزل بغيره اللجاجة والعجلة والعجب والتواني فثمرة اللجاجة الحيرة، وثمرة العجلة الندامة، وثمرة العجب البغضة، وثمرة التواني الذلّة

كفيلة أربع خصال من حسن النظر الرغب بالزوجة الصالحة، وغضّ البصر، والإقدام على الأمر بمشاورة، وكظم الغيظ[2].

أربع خصال إذا أفرط فيهن المرء استهونه. النساء والصيد والقمار والخمر

أربع خصال يُمتن القلب الذنب على الذنب، وملاحاة الأحمق، وكثرة مصافحة النساء والجلوس مع الموتى قيل. ومن الموتى؟ **قال:** كل عبد مترف وكل من لا يعدم فهو ميت

أربعة تجرىء على المذنوب الحرص والتواني والرغبة في الدنيا والاستخفاف بالمذنوب.

أربع القليل منها كثير: الوجع والنار والدين والعداوة.

---

(١) **يحجزه عن المحارم:** منعة من اقترابها (٢) **كظم الغيظ.** كبحه

أربعة يختبرون عند اللقاء: الشجاع، والأمين بالأخذ والإعطاء، والأهل والولد عند الفاقة، والإخوان عند النوائب.

● **خمسُ خصال**

أمير المؤمنين **خمس خصال يلعبن ضياعاً**: سراج في الشمس، ومطر في سبخة، وامرأة حسناء زفت إلى عنين[1]، وطعام اجتهد صاحبه فيه فقدم إلى شبعان أو إلى سكران ومعروف صنعته إلى من لا يشكرك عليه.

قال أزدشير[2]: **أوصيكم بخمسة** فيهن راحة أبدانكم ودوام سروركم وصلاح أموركم

الرضا بالقسم **والقمع**[3] لفاحش الحرص **والتنزه** من الحسد **والتعزي** عند مضنون به أدبر ومرجوّ فات **وترك السعي** فيما لا يوافق نجحه وتمامه. فإن من لم يرض بما قسم له طالت معتبته. ومن فحش حرصه دلّت نفسه ومن أتى إلى المنافسة والحسد لمن فوقه لم يزل مغموماً ومن أطال أساه على ما أدبر عنه لم يزل مهموماً فيما لا منفعة فيه. ومن شغل نفسه بتمني الأشياء لم يخل قلبه من الأحزان وحمل على نفسه غماً ثقيلاً ليس للراحة فيه غاية. ومن سعى فيما لا تمام له كانت عاقبته الحسرة والندامة.

قال ابن المقفع: **المشتطون**[4] **في خمسة متندمون**: **المفرط** إذا فاته العمل، **والمنقطع** عن إخوانه إذا نابته النوائب، **والمستمكن** من عدوه ثم يعوته لسوء تدبيره، **والمفارق** للزوجة الصالحة إذا ابتلي بالطالحة، **والجريء** على الذنوب إذا حضره الموت.

خمسة أقبح شيء فيمن كن فيه: **الفسق في الشيخ**، **والحدة** في السلطان **والكذب** في ذي الحسب، **والبخل** في ذي الغنى، **والحرص** في العالم.

خمسة المال أحب إليهم من أنفسهم: **المقاتل** بالأجرة، **وحفار** القنى والآبار، **والتاجر** في البحر، **والرقاء**[5] يتعرض للسع الحية للطمع، **والمخاطر** على شرب السم.

● **ستُ خِصال**

قال معاوية: **ستة أشياء تعرف في الجاهل**:

الغضب من غير شيء، **والكلام** من غير نفع، **والعطية** في غير موضعها، **وإفشاء** السر، **والثقة** بكل أحد، **وقلة** معرفة الصديق من العدو.

---

(١) **العنين**: الذي لا يأتي النساء ولا يريدهن.

(٢) **أزدشير**: من ملوك الفرس.

(٣) **القمع**: مصدر قمع يقمع (فلاناً): قهره وذلّله وصرفه عمّا يريد.

(٤) **المشتطون**: جمع مشتط، وهو الذي يفرط أو يتباعد من الحقّ والصواب، ويجاوز الحدود، واشتط أيضاً ظلم أو غالى في الثمن.

(٥) **الرقاء**: الماهر في استعمال الرُّقية أو الرُّقية وهي أن يستعان للحصول على أمر بقوى تفوق قوى الطبيعة.

ستة من مات منها فهو قاتل نفسه: من أكل طعاماً قد أكله مراراً فلم يوافقه، ومن أكل فوق ما تطيقه معدته، ومن أكل قبل أن يستمرىء[1] ما قد أكل، ومن رأى بعض أخلاط جسده قد همّ بهيجان ورأى دلائل ذلك فلم يستدركه بالأدوية الممكنة، ومن أطال حبس الحاجة إذا هاجت به، ومن أقام بالمكان الموحش وحده.

ستة أشياء لا ثبات لها: ظلّ الغمامة، وخلة الأشرار، وعشق النساء الكاذب، والمال الكثير، والسلطان الجائر.

لا يوجد العجول محموداً، ولا الغضوب مسروراً، ولا الحرّ حريصاً، ولا الكريم حسوداً، ولا ذو الشره غنياً، ولا الملول ذا إخوان.

لا خير في القول إلا مع الفعل، ولا في المنظر إلا مع المخبر، ولا في المال إلا مع الجود، ولا في الصدق إلا مع الوفاء، ولا في العفة إلا مع الورع، ولا في الحياة إلا مع الصحة والأمن والسرور.

لا فقر كالحرص، ولا بلاء كالشره، ولا غنى كالقناعة، ولا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق.

قال ابن المقفع: العجب آفة العقل، واللجاجة قعود الهوى، والحمية سيف الجهل، والبخل لقاح الحرص، والمراء لقاح الشنآن[2]، والمنافسة أخو العداوة.

● سبع خِصال

المرأة بزوجها، والولد بوالده، والمتأدب بمؤدبه، والجند بقائده، والناسك بالدين، والعامة بالملوك، والملوك بالتقوى، والعقل بالتثبت.

سبعة يهزأ بهم: مدعي الشجاعة، وشدة النكاية في الأعداء وبدنه سليم لا أثر فيه، ومنتحل الزهد والاجتهاد وهو غليظ الرقبة، والمرأة الحليّة تعيب ذات زوج، والعالم يناظر الجاهل ويماريه، والمفضي سرّه من لا يجرّبه، والمودع ماله من لم يختبره، والمحكّم بينه وبين خصمه من لا يعرفه.

سبعة يكثرون السخط: الملك المترف، والشيخ القلق، والسفيه، والأديب العديم الحلم، والباذل نصيحته للأخرق، والمكلف تعمل بغير رفق.

● ثمان خصال

ثمانية أن أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم: الجالس على مائدة لم يدع إليها، والمتأمر على ربّ البيت، وطالب النصر من أعدائه، وطالب الفضل من اللئام، والداخل بين إثنين

---

(١) استمرأ يستمرىء (الطعام): استطيبه أو وجده مريئاً أي طيباً.
(٢) الشنآن: البغضاء.

من غير أن يُدْخلاه، والمستخفُ بالسلطان، والجالس مجلساً ليس له بأهل، والمقبل بحديثه على من لم يسمع منه.

الأدب خير ميراث وحسن الخلق خير قرين، والتوفيق خير قائد، والاجتهاد أربح بضاعة، ولا مال أعود من العقل، ولا مصيبة أعظم من الجهل ولا ظهير[1] أوثق من المشورة، ولا وحدة أوحش من العجب.

● تسع خصال

تسعة لا ينامون: مدنف[2] لا طبيب له، والكثير المال يخاف على ماله، والهامّ بدم يسفكه، ومتمنى الشر للناس العامل في غشهم، والمحارب يخاف البيات، والغارم لا مال عنده، والعاشق لا يبالي بعيبه، والمطلع على سوء من أهله، والمغصوب ماله.

● عشر خصال

عشرة يمتحنون عند أعمالهم: المقاتل عند الحرب، والقنِعُ عند الحاجة، وذو التؤدة عند الغضب، والتاجر عند المبايعة، والصديق عند الشدائد، والعالم عند العلم والناسك عند الصبر على العبادة، والجواد عند العطاء، والأمين عند الوديعة.

عشرة تقبح في عشرة أصناف: ضيق الذرع[3] في الملوك، والغدر في الأشراف، والكذب في القضاة، والخديعة في العلماء والغضب في الأبرار، والحرص في الأغنياء، والسفه في الشيوخ والمرض في الأطباء، والتهزؤ في الفقراء، والفخر في القراء.

(٣)

حكايات دالة على رقاعة قائلها

■

زعموا أن الصخور كانت لينة وأن كلّ شيء يعرف وينطق وإن الأشجار والنخيل لم يكن عليها شوك. قال:

قــد كــان ذا كــم زمــن الــقــحــل والــصــخــرُ مــبــتــلّ كــطــيــن الــوَحْــل

وقيل: إن الشوك اعتراها في صبيحة اليوم الذي ظهرت فيه العتاة[4]. رأى أحمق ثوراً فقال: ما أحسنه من بغل، لولا أن حافره مشقوق.

قال حكيم لعليل: كل الثلج تفاق وأرمي بثمنه. حكى ابن مرداس عن بعض الثقاة أن

---

(١) الظهير: القوي الظهر، والظهير المعين. (٢) مدنف: المريض.

(٣) ضيق الذرع: أي غير مقتدر، ونقيضه سعة الذرع.

(٤) العتاة: جمع العاتي وهو المستبد الجبّار.

مطراً أجرف سيله، وبرقت برقة فقال: ما أحسن ما عملت أسرجت له حتى لا تموته حية

وكان كوشيذ دخل بيته فقطع باب داره فعصب، وحلف لا يدعه في داره واتخذ باباً آخر إلى شارع آخر، فاجتمع أهل المحلة يسألونه أن يرضى عن بابه وتشفعوا عنده فرضي، وسألوه أن يعمل لهم دعوة لصلح الباب ففعل ودعاهم.

ودخل بعض الكبار الحمام فسرق ثوبه فقال له الحمامي: لعلك جئت بلا ثوب.

وكان بأصبهان رجل يعرف بميمة بن بغل حمل لبداً إلى السوق ليبيعه، فسيم بثمن بخس، فقال: إذا كان كذلك أنا أحق به ودفع ثمنه إلى الدلال وحمله إلى داره.

نظر حمصيّ إلى منارة فقال لصاحبه: ما أطول قامة الذين بنوا هذه، فقال يا أحمق إنما بنوها على الأرض ثم أقاموها

أتى نصراني عبد الله بن الهيثم فقال: أريد أن أسلم على يديك فقال: يا ابن الزانية تريد أن توقع بيني وبين عيسى بن مريم.

نظر رجل في جبّ[1] فرأى شخصه فدعا أمه وقال: إن في البئر لصاً فعبرت فرأت شخصها فقالت: ومعه قحبة.

ماتت امرأة حائك بشيراز فخرق سراويله، فقيل له في ذلك، فقال: المصيبة ما نالت إلا هذه الناحية.

وقيل لمزيد: موسى لطم عين ملك الموت فاعورّ، فقال: دعوه فإن طريق الأصلع على أصحاب القلانس

قيل لأبي العناس بن الأصبهي لم لا تصلي؟ فقال: السورة القصيرة أستحي أن أقرأها، والطويلة لا أحفظها.

قال بعضهم: رأيت شيخاً بحمص الإمام يخطب، وهو يشكر الله تعالى. فسألته عن حاله فقال: صعد المنبر هذا تسعة كلهم رموا بأيري أليس ذا نعمة؟. لما مات العطوي ازدحم الناس إلى جنازته وكان له ابن معتوه فتنحى جانباً، وقال: كلوه بسم الله بخلّ وخردل.

(٤)

حكايات عن البهائم

•

روي أن أرنباً وثعلباً تحاكما إلى الضبّ فقالا جئناك لتحكم بيننا يا أبا الحسل. قال: في بيته يؤتي الحكم. فقال الأرنب: إني جبت تمرة. فقال: حلواً جنيت. فقال: إن هذه

---

(١) الجبّ: البئر.

أخذها مني. فقال لنفسه بعني الخير، فقال: رأيي لطمته. فقال: البادىء أظلم. فقال: فلطمني. قال: كريم أنتظر فقال أحكم بيننا. فقال: حدث حديثين امرأة فإن لم تفهم فأربعا يعني وفي طريقته في الحكم.

وحكي أن عدي بن أرطأة بن إياس بن معاوية، قاضي البصرة جلس في مجلس حكمه وعدي أمير، وكان أعرابي انطلع فقال له يا هناة أين أنت؟ قال: بينك وبين الحائط. قال: فاسمع مني، قال: للاستماع جلست قال إني تزوجت امرأة قال بالرفاء والبنين، فقال: وشرطت لأهلها أن لا أخرجها من بينهم، فقال الشرط أملك أوف لهم به قال: وأنا أريد الخروج. قال. في حفظ الله قال فاقض بيننا قال. قد فعلت

وقيل: إن الثعلب نظر إلى عنقود فلم ينله فقال إنه حامض

أيـهـا الـعـاتـبُ سـلـمـى | أنـت مـنـهـا كـثـمـالـه
رام عـنـقـوداً فـلـمـا | أبـصـرَ الـعـنـقـود طـالـه
قـال هـذا حـامـض | لـمـا رأى أنْ لا يـنـالـه

روى أن ضبعاً صادت ثعلباً فقال لها منّي عليّ أم عامر، قالت: اختر خصلتين إما أن آكلك أو أحصيك. فقال لها تذكرين يوم نكحتك قالت لا. فامتنع فوها فأفلت الثعلب فضربت العرب المثل قالت عرضي على حصتي الضبع

وزعموا أن الفيل والحمار تجمعا في مرعى فطرد الفيل الحمار، فقال لم تطردني وبينا رحم؟ قال وما هي؟ قال: إنّ في خرطومك شبهاً من خرطومك، فقبل منه

بلع ذئب عظماً وبذل لكركي أجرة على أن يخرج العظم من حلقه، فأدخل الكركي رأسه فأخرج العظم ثم قال للذئب: هات الأجرة فقال أنت لم ترض أن أدخلت رأسك في فم الذئب ثم أخرجته سالماً حتى تطلب الأجرة أيضاً

وقيل للحمار: لم لا تجتر؟ قال أكره مضغ الباطل. وهذا كمثل الأعرابي لما أرمي إليه علك فقال: تعب الحنجرة وخيبة المعدة

لقي كلب أصبهاني كلباً رازياً بالريّ فقال له: ما أطيب أصبهان إني أرى الخبّازين يرمون بالرغفان على قارعة الطريق فقال لكلب الرازي لا أعمل خيراً من الخروج إلى أصبهان. فلما خرج أوّل ما لقي دكان خبّاز من الطريق الذي يشرع[1] إليّ دولكاباذ فجاز[2] بها، وأخذ الخبّاز يطرح الخبز على الوجه والكلب أحد يأكل. فنظره الخبّاز فأحمى السفود[3] ومدّه إلى خرطومه وتناول سبحة يرميه بها، فقال الكلب. عليّ هذا السعر.

---

(١) شرع إلى (الطريق): نفذ، وأشرع الباب إلى: فتحه

(٢) جاز بها: مرّ بها وتجاوزها

(٣) السفود: حديدة يشوى عليها اللحم

تصاحب ثعلبان فلقيا أسداً فقال أحدهما للآخر: ما الحيلة؟ فقال: عليّ الحيلة. فقال الأسد: ما الخبر؟ فقالا: إنا ورثنا أغناماً من أبينا ونريد أن نقسمها بيننا. قال: أين هي؟ قالا: قريب. فتبعهما حتى أتيا إلى مجرى ماء يخرج من بستان، فقال أحدهما للآخر: أدخل فأخرج الأغنام. فدخل فأبطأ فقال أخوه: أنظر إلى بطئه حتى أدخل أخرجه من الغنم. فدخل وجلس الأسد ينتظر فصعدا إلى السطح فقالا: اذهب فقد اصطلحنا. فغضب الأسد وزأر فقالا: لا تكن بارداً فما رأينا من يغضب من صلح الخصمين غيرك.

اشتكى الأسد فعاده السباع كلها إلا الثعلب. فقال الذئب: أنظر إلى الثعلب كيف استخف بك؟ فلم يأتك. وتطاير الخبر إلى الثعلب فأتاه، فقال له الأسد: يا ابن الفاعلة تأخرت عن الخدمة. فقال: إني مذ بلغني مرضك كنت في طلب دواء لك حتى وجدته. قال: وما هو؟ قال: لا يصلح إلا مرارة الذئب فقال وأنى لي بذلك؟ فقال أنا آتيك به، فإذا أتاك فاقتله وتناول مرارته. فأتاه به فقفز إليه الأسد فأفلت وعدا يدمه فتبعه الثعلب. فقال: يا صاحب السراويل الأحمر، إذا جلست عند مملوك فاعقل كيف تتكلم؟ وقيل للثعلب: أتحمل كتاباً إلى الكلب وتأخذ مائة دينار؟ فقال: أما لكراء[1] فوافٍ، ولكن الخطر عظيم.

ووقع ثعلبان في شرك صياد فقال أحدهما للآخر: أين نلتقي يا أخي؟ فقال: في المزابين بعد ثلاث.

ودخل كلب مسجداً فبال في المحراب، وكان هناك قرد، فقال له: أما تستحي تبول في المحراب؟ فقال: ما أحسن ما صوّروك حتى تتعصب لي.

وزعموا أن أسداً وذئباً وثعلباً اشتركوا فيما يصيدون فاصطادوا حماراً وظبياً وأرنباً فقال الأسد للذئب: اقسم بيننا واعدل. فقال: أما الحمار فلك، وأما الظبي فلي، وأما الأرنب فللثعلب فغضب الأسد وضربه ضربة أندر[2] رأسه، فوضعه بين يديه. ثم قال للثعلب: أقسم بيننا وأعدل. فلما رأى الثعلب ما صنع بالذئب خشي أن يصيبه مثله، فقال: أما الحمار فلك تتغذى به، وأما الأرنب فخلالاً تتخلل به فيما بينك وبين الليل، وأما الظبي فلك تتعشى به. فقال له الأسد: ويحك يا ثعلب ما ينبغي لك إلا أن تكون قاضياً من علمك هذا القضاء؟ قال: الرأس الذي بين يديك.

نظر سقراط إلى شوك في الماء وعليه حية، فقال: ما أشبه الملاح بالسفينة

وزعموا أن البازي قال للديك: ما أرى في الأرض أقل وفاء منك قال: وكيف؟ قال: أخذك أهلك بيضة فحضنوك ثم خرجت على أيديهم وأطعموك في أكفهم، ونشأت بينهم حتى إذا كبرت صرت لا يدنو منك أحد إلا طرت ههنا وههنا، وصحت وصوّت[3] وأخذت أنا من الجبال فعلّموني وألفوني ثم يخلّى عني فآخذ صيدي في الهواء فأجيء به إلى

---

(١) الكراء: الأجرة.
(٢) أندر رأسه: أزاله عن موضعه
(٣) صوّت: رفع صوته عالياً

صاحبي. فقال له الديك. إنك لو رأيت من البراة في سعافيدهم مثل الذي رأيت أنا من الديوك كنت أنفر مني؟ وفي أمثال الهند أن ثعباً قبض على أرنب فقال له الأرنب: والله ما هذا لقوتك ولكن لضعفي.

وقف جدي على سطح فمرّ به ذئب فأخذ الجدي يشتمه فقال: لست تشتمني إنما يشتمني المكان الذي تحصنت به.

كانت أفعى نائمة فوق حزمة شوك فحملها السيل، فقال ذئب لا تصلح هذه السفينة إلا لهذا الملاح

أراد ثعلب أن يصعد على حائط فتعلق بعوسجة فعقرت يده فأخذ يلومها فقالت: يا هذا قد أخطأت حين تعلقت بي ومن عادتي أن أتعلق بكل شيء

وقف كلب على قصّاب فأخذ يكثر اسبح فقال له إن ذهبت، وإلا ضربت رأسك بهذه القطعة من اللحم، وتشاغل عنه[1] فوقف الكلب ينتظر ثم قال تضرب رأسي بشيء ولا أمر.

دخلت فأرة الحمام فلما خرجت رأت سنوراً فقال لها طاب حمامك فقالت: لو لم أرك يا ابن البظراء.

وقيل: إن جملاً وحماراً توحشا فوجدا مرعى خالياً يرتعان فيه، فقال الحمار يوماً وقد بطرا إني أريد أن أغني فقال الجمل: اتق الله فإني أخشى أن ينذر بنا فنؤخذ، قال لا بد ثم نهق فسمعته قافلة مارة فأخذوهما فأبى الحمار أن يمشي فحمل على الجمل، فمرّوا به في عقبة فقال الجمل إني طربت لغناك المتقدّم وأريد أن أرقص رقصة. فقال الحمار اتق الله إني أسقط فلا تفعل فرقص فأسقط الحمار فوقصه[2]

قال وهب: قال النمر اللهم رد جندي الذي خنق على أثر من تزين به بقدر أن يترك عليه.

بعث ابن هبيرة إلى المنصور في الحرب. بارزني فامتنع فقال: لأسبقن امتناعك ولأعيرنك[3] به. فقال مثلنا في ذلك مثل خنزير قال الأسد. قاتلني، فقال. لست بكفوي ومتى قتلتك لم يكن لي عزّ بقتل خنزير. فقال الخنزير لأخبرن السباع بنكولك[4] فقال. احتمال تعييرك أهون من التلطخ بدمك.

---

(١) تشاغل منه: غفل عنه

(٢) وقصه: من وقص عنقه أي كسرها، ووقصت به الدابة: رمت به، ووقص الشيء: عابه.

(٣) عيّره به: عابه.

(٤) النكول من الأمر أو الشيء: النكوص والجبن

(٥)
أمثال من أبواب مختلفة

●

● ما قرع عصا عصا إلا سر قوماً وساء آخرين ● نعم كلب في بؤس أهله مصائب قوم عند قوم فوائد.

● قوس ولا وتر وسهم ولا قد، وعير ولا نظر ومحل ولا عسل

● متى تقل تقل ● الضبع تأكل ولا تدري ما قدر استها ● ما شم حمارك أي ما غيرك

(٦)
من أمثال العوام

●

● عصفور مهزول على حوانك خير من كركي على خوان غيرك ● الحبّ لغيري ونقل الحشيش عليّ ● لا تسب أمي اللئيمة فأسب أمك الكريمة ● إن لم يجيء معك فاذهب معه ● تمرة وزنبور ● كل ما بكر شرّ ● لا تأكل خبزك على خوان غيرك ● أنا أجره إلى المحراب وهو يجري إلى الخراب ● باع كرمه واشترى معصرة ● أعتق من الحمأة أقدم من الحنطة ● أحمق من الجمل الذي يضرب إسته ويصيح رأسه ● إذا لم تجده لم تجلده ● طريق الأقرع على أصحاب القلانس ● حيث تقطع يخرج الدم ● ذهب الحمار يطلب قرنين فرجع بلا أذنين ● كأنه بلع عيراً فبقي ذنبه خارجاً ● من لا يثق بإسته لا يشرب الإهليلج ● ضرطت فلطمت عين زوجها ● من يظفر من وتد إلى وتد يدخل أحدهما في إسته ● من أكل على مائدتين اختنق ● المنخل جديد سبعة أيام من كان له دهن دهن إسته ● من لم يقاوم الحمار تعلق بالأكاف ● كل ما في القدر تخرجه المغرفة ● من كان دليله البوم كان مأواه الخراب ● من كان جناحه الجعران ما عسى أن تكون الألوان ● الخصيّ ابن مائة سنة وإسته بنت ستين ● إذا بطر الحائك اشترى بخبزه رماناً ● قامت البنت تعلم الأم النيك ● من استحى من ابنة عمه لم يولد له منها ● لا يشعر الشبعان ما يقاسيه الجائع ● ماش خير من لاش ● إذا كان نزلك صحيحاً فارم به وجه الطبيب ● البحر ملآن والكلب يلحس بلسانه ● من عبد الله في خلق الله شيء لا يشبه صاحبه فهو سرقة ● ليس كل من سود بيته يقول أنا حداد ● ولا كل من دمعت عيناه يقول أنا طباخ ● أحوج ما تكون إلى اليهودي يقوب اليوم لسبت ● تذاكر عاميان الأطعمة، فقال أحدهما السمك أحب إليّ من اللحم فقال الآخر شجّة[1] بشجّي القصاب خير من قبلة بقفلي السماك.

---

(١) الشجّة: الجرح في الرأس

(٧)
ولهم أمثال بإزاء أمثال

●

يقولون المولى يرضى والعبد يشق إسته بإزاء السيد يعطي والعبد يألم ● لا يعرف معساه من محساه، بإزاء لا يعرف قبيلاً من دبير. لا في حرها ولا في قرتها، بإزاء لا في العير ولا في النفير[1]. الكلمة اللينة تخرج الحيّة من جحرها بإزاء لطف الكلام يخدع الكرام. هو يضرط من إست واسع، بإزاء هو يغرف من بحر. قدم خيرك ثم أبرك بإزاء قدّم خيراً تجده. الساجور[2] خير من الكلب بإزاء بجل خير من العرس. تحرنا نفوسنا فلا لنا ولا علينا بإزاء ما ربحنا ولا خسرنا.

● ومما يضاده

لا تعمل الخير لا يصيبك الشر، بإزاء امن الخير ودعه. لا يكون بعد الظمأ إلا موت مريح، بإزاء غمرات[3] ثم ينجلين. النسيئة[4] نسيان والتقاضي هذيان، بإزاء القرص قرص الجماعة مجاعة بإزاء طعام الاثنين يكفي الأربعة ويد الله مع الجماعة.

● ما كره من الكلام

قال النبي ﷺ: لا يقل أحدكم خبثت نفسي، ولكن ليقل لقست وكأنه كره أن ينسب الخبث إلى نفسه. وقال أيضاً: لا يقولنّ لمملوك ربّي وربّتي ولكن سيدي وسيدتي. وقال أيضاً: لا تسبّوا الدهر فإن الله هو الدهرّ. قال عبد الرحمن بن مهدي يعني قولهم وما يهلكنا إلا الدهر.

ونهى ﷺ أن يقال قوس قزح، وقال قولوا قوس الله فإن قزح شيطان. كانوا يسمون إليه هذا المتلون أيام الربيع عن ابن عمر ومجاهد أنهما كرها أن يقال استأثر الله بفلان بل يقال مات. وكرهوا أن يقول قراءة فلان وسنة أبي بكر وعمر، وكره مجاهد مسيجد ومصيحف.

وقال عمر رضي الله عنه: لا يقول أحدكم أهريق ماء ولكن ليقل أبول. وسأل عمر رجلاً شيئاً فقال: الله أعلم. فقال عمر قد خزينا إن كنا لا نعلم أن الله أعلم. إذا سئل أحدكم عن شيء إذا كان لا يعلمه قال: لا علم لي بذلك. وسمع عمر رضي الله عنه رجلاً يقول اجعلني من الأقلين. فقال: عليك من الدعاء بما يعرف. وكره عمر بن عبد العزيز قول الرجل: ضعه في إبطك. فقال: هلا قلت تحت يدك

---

(١) **لا في العير ولا في النفير**: مثل يضرب للرجل لا يصلح لمهم ويُحتقر لقلّة نفعه.
(٢) **الساجور**: خشبة تعلّق في عنق الكلب. يقال: جعل في أعناقهم سواجير أي أغلال.
(٣) **الغمرات**: الشدائد، جمع غمرة. (٤) **نسيئة**: التأخير والتأجيل.

قال الحجّاج لأم عبد الرحمن بن الأشعث عمدت إلى مال الله فجعلته تحت ذيلك، فقال الغلام فوضعته تحت إستك فزجره تفاديا من القذع[1] والرفق. وقال مسعود لا تسموا العنب كرماً فإن الكرم هو الرجل المسلم. سمع الحسن رجلاً يقول. طلع سهيل فبرد الليل، فقال. إن سهيلاً لم يأت ببرد وقال ابن عباس لا تقولوا والذي خاتمه على فمي إنما يختم الله على فم الكافر، وكره أن يقال انصرفوا عن الصلاة وقال قولوا قد قضوا الصلاة. وكره مجاهد أن يقال دخل رمضان وقال: قولوا دخل شهر رمضان وكره أن يقال ضرّة بل يقال جارة، ويقول لا تذهب من ررقها بشيء

(٨)

حكايات متفرقة من أبواب مختلفة

•

قال أعرابي لرجل. أكتب لابني تعويذاً قال ما اسمه؟ قال: فلان قال وأمه قال ولم عدلت عن اسمي قال لأن الأم لا يشك فيها. قال اكتب فإن كان ابني فعافاه الله وإن لم يكن فلا شفاه الله. من هانت عليه نفسه فلا تأمن شره. قيل للحسن بن سهل ما بال كلام الأوائل حجة؟ قال: لأنه مر على الاسماع قبلنا فلو كان ذيلاً لما تأذى[2] إلينا مستحسناً

قال بعضهم ما رأيت أعق[3] من أربعة أشياء الدينار إذا كسر، والذراع إذا عقر والطومار[4] إذا نشر، والثوب إذا قصر

عاد عروة بن الزبير إلى الشام إسماعيل بن يسار فقال عروة لغلامه: أنظر كيف ترى المحمل؟ قال: معتدلاً فقال إسماعيل الله أكبر ما أعدل الحق والباطل قبل الليلة، فضحك عروة. لما دخل الشعبي على عبد الملك قال أنا الشعبي فتبسّم عبد الملك وقال أما علمت أنه لا يدخل علينا إلا من نعرفه فرأى الأخطل وهو يقول أنا أشعر الناس فقال: من هذا؟ فقال أما علمت أن الملوك لا يسألون فاعتذر وقال أنا سوقة ولا أعرف مثل هذا. ومن يوثق لي؟ فقال أمير المؤمنين فقال عبد الملك. إذا صرت كفيلاً فمن الحاكم؟ كان تميم الداري خطب أسماء بنت أبي بكر في جاهليته فماكس[5] في المهر فلم يزوّج

فلما جاء الإسلام جاء بعطر ليبيعه فساومته أسماء فماكسها فقالت له طال ما صرّك مكاسك فاستحى منها لما عرفها وسامحها في البيع

كانت بنت سعيد بن العاص عند الوليد بن عبد الملك فلما مات عبد الملك لم تبكه

---

(١) القذع القذر والفحش

(٢) تأذى إلينا وصل إلينا، جاءنا

(٣) الأعق من العقوق وهو نقيض البر، والعاق الجاحد الناكر الجميل.

(٤) الطومار الصحيفة (٥) ماكس (ه) استنقصه واستحطّه في الثمن

فقال لها الوليد: ما يمنعك من البكاء على أمير المؤمنين ولا مصيبة أجل من فقده فقالت: ما أقول أستريد الله في سلطانه حتى يقتل لي أخاً آخر. فقال: أي والله لقد كسرنا ثناياه وقتلناه. قالت: لقد علمت من شقت إسته بسلمون. قال: ألحقي بأهلك ألد من الرقاء والبنين.

وقف يزيد بن عبد الملك على حائك وإلى جنبه فرس رائع مربوط فجعل يتعجب منه فقال: ما رأيت كاليوم فرساً كأنه بغية ماعجب يريد به، فقال وأريك ما هو أعجب وأخرج سيفاً كأنه بقلة فساومه يزيد فيه بأربعة آلاف دينار فأبى وقال أريك، أعجب من ذلك ثم رفع ستراً فبدت جارية كفلقة قمر، فقال: هل لك أن تنزل عنها بألف دينار فأبى وقال: ولمَ أريتيها قال لتعلم أن الله له نعم على أقل الناس.

وقال بعض الأنصار: من أدمن إتيان المساجد رأى فيه ثماني خصال: أخاً مستفاداً وعلماً مستظرفاً وآية محكمة، ورحمة منتظرة، وكلمة تدل على هدى، وأخرى ترده عن ردى، وترك الذنوب حياء أو خشية

شكا أهل الكوفة سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرده مع محمد بن مسلمة الأنصاري وأمره أن يطوف في مساجدهم يسألهم عن سيرته فحملوا يقولون خيراً، حتى أتى مسجد بني عبس فقام أسامة بن زيد العبسي فقال: كنت والله لا تعدل في القضية ولا تعرو في السرية، ولا تقسم بالسوية فقال: اللهم إن كان كاذباً فأطل عمره وأدم فقره ولا تنجيه من معاريض الفتن فرؤي شيخاً كبيراً يمشي على محجن[1] فيقول شيخ أعمى أدركته دعوة العبد الصالح.

دخل بعض الشعراء على أمير فأنشده

إن الأميرَ يكادُ من كرمٍ ... أن لا يكونَ لأنه بظلمِ

فقال أعطوه شيئاً لئلا يهذي، وأحب أن لا يعود يمدحنا

ودفع رجل إلى خياط ثوباً ليخيطه فقال لأخيطنه لا تدري أقباء أم قميص؟ فقال لأمدحنك ببيت لا تدري إهجاء أم مديح وكان الخياط أعور فقال فيه:

خاط لي عمرو قبا ... ليت عينيه سوا

ولما أنشد النابغة النعمان قوله:

تخفُّ الأرض ما بنْتَ عنها ... وتبقى ما بقيت بها ثقيلا[2]

غضب وقال. لا أدري أهجوتني أم مدحتني؟ فقال:

حللت بمستقر العزِّ منها ... وتمنع جانبيها أن تزولا

---

(١) المحجن: العصا المنعطفة الرأس. (٢) بان عن: بعد ونأى

فرصي كل موضع اعتقدت فيه السلامة فلا تزايله. وقال المأمون يوماً لمن عنده أنشدوني بيتاً يدل على أنه لملك فأنشد قول امرىء القيس

أمنْ أجلِ إعرابيةٍ حلّ أهلُها جنوبَ الملا عيناكَ تبتدران

فقال: ما هذا مما يدل على ملكه، قد يكون لسوقة إنما ذلك قول يزيد بن عبد الملك:

إسقني من سلافِ ريقِ سُلَيْمى واسقِ هذا النديمَ كأسَ عُقارِ[1]

فأشارته إلى هذا النديم دلالة على أنه ملك، وقوله

ولي المخضُ من ودّهم ويغمرهُم نائلي[2]

سئل بعضهم عن بلد، فقال:

به الحقّ والحشي وأسد حفيفه وعمرو بنُ هندٍ يعتدي ويجورُ

(٩)

مفردات من الأبيات البديعة

قال طرفة:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعضُ الشرّ أهونُ من بعض[3]

وقال النابغة:

ولست بمستبقٍ أخاً لا تلمّه على شعَثٍ أيّ الرجالِ المهذّب[4]؟

وقال آخر:

لعمرُكَ ما شيءٌ سررت بذكره كآخر يأتي بغتةً فيروعُ[5]

وقال آخر:

يمونني الأجر العظيم وليتني نجوتُ كفافاً لا عليّ ولا ليا[6]

وقال أبو نواس:

ولما قرعنا بابَه قام حثيماً وبادرَ نحوَ الباب ممتلئاً ذعرا

---

(١) السلاف: الخمر.

(٢) المحض من الودّ: خالص الودّ والمحبّ ـ النائل: العطاء

(٣) حنانيك: أي رحمتك، والحنان: الرقة والبركة

(٤) الشعث: الخلل والتفرق والمضاضة، وأصله من شعث الشعر إذا اغبرّ وتلبّد وشعث شعثاً الأمر. إذا انتشر.

(٥) يروع: يعجب ويفزع

(٦) الكفاف: مقدار الحاجة من غير زيادة ولا نقصان والكفاف من الرزق ما أغنى عن الناس.

وقال أبو تمام:

كالبكرُ توحشُها مضاجعُ بعلِها والحيض علتها وليس بحائضِ[1]

وقال الخبزارزي:

كنْ في الجماعاتِ حيثُ كانُوا فالموتُ عرسٌ مع الجميعِ

وله:

مالي أحوط حولَ دجلة حائطاً لولا اعتراضُ حماقتي وفضولي
ما أهون الموت على النوائح

وقال إسماعيل:

صاح أبصرت أو سمعت براعٍ ردّ في الضرع ما قرى في الحلابِ

وقال آخر:

وأترك الشيء أهواه فيعجبني أخشى عواقبَ ما فيه من العارِ

وقال آخر:

فلو أنّ لي تسعينَ قلباً تشاغلَتْ جميعاً فلم يفرغ إلى غيرِها قلْبُ

وقال آخر:

دلّاً على جبلة فيها لنا فرجٌ إنّ الدليل على خير كمن فعلا

وقال آخر:

ولي ظنّان بينهما رجاءٌ يكذّب سوءَ ظنّي حسْنُ ظنّي

وقال هارون المعتصم:

إذا ما جاءني يوماً جوادي جعلتُ الأرضَ لي فرساً وثيقاً[2]

وقال آخر:

وأسرعُ نسياني الذي لا يهمّني وصيتي الشيء المهمّ قليلُ

وقال آخر:

أنتَ والسلسة حمارٌ قاعدٌ بينَ حميرِ

وقال آخر:

هوّن الأمر تكنْ في راحةٍ قلّما هوّنت أمراً لا يهونْ[3]

---

(١) توحشها: تشعرها بالوحشة - المضاجع: المراقد جمع مضجع وهو موضع الاضجاع.
(٢) الفرس الوثيق: المحكم. (٣) هون الأمر: جعله سهلاً غير شديد الوطأة.

وقال المتنبي:

لِلّه حالٌ أرجّيها وتخلِفُني ... وأرتجي كونها دهري وتمطلُني

وقال محمد بن يحيى:

قتلتُ أعزَّ من ركبَ المطايا ... وجئتُك استلينُك في الكلامِ
يعزّ عليّ أنْ ألقاكَ إلا ... وفيما بيننا حدّ الحسامِ
ولكنّ الجناحَ إذا أصيبت ... قوادمُه أسفّ على الأكامِ

وقال الطاهر:

ولم أرد بدبّة قبله ... يدقّ على بابه دبدبه

وقال أبو القاسم التنوخي:

تخيّر إذا ما كنتَ في الأمرِ مرسِلاً ... فمبلغُ آراءِ الرّجالِ رسولُها

وقال آخر:

إذا تخازرتُ وما بي من خزَرْ ... ثم كسرت العينَ من غير عوَرِ[1]
وجدتُني ألوي بعيد المستمر ... أحمِل ما حملتُ من خيرٍ وشرّ

وقال أبو القاسم الأعمى:

إنّ الجديدَ إذا ما زيدَ في خلقٍ ... تبيّنَ النّاسُ أنّ الثوبَ مرقوعُ

وقال ابن طاطبا:

آمنٌ سربلَه الأشـ ... ـعاق سربالَ المسروعْ

وقال الخبزارزي:

أحبّ فمَن ذا الذي كلفهُ ... ومن ذا الذي أتشعطفُه
فلا أحدٌ في الرّضى سرّه ... ولا أحدٌ في القِلى علفُه
وكنّا كما قد علمت ... فما ذا التعدّي وماذا السّفه
وفي النّاس من يتجنّى الذنوبَ ... وإذا قد تجاوزَ حدّ الصفّه
وما كلّ من كانَ ذا قوّة ... يُناوي الضعيفَ إذا استضعفهْ[2]
ويزعُمني صَدفاً حاليــاً ... من الدرّ في مثل ما صرفَه
ولو شئت عرفته من أنا ... وإن كانَ بي جيّد المعرفه
وفرعونُ يعرفُ من ربّه ... ولكنّ طغيانَه سوّفه
وسل من تعرض لي بالهجا ... وعن عرضه أينَ قد خلفَه

---

(١) تخازر: ضيّق جفنه ليحدّد النظر

(٢) يناوي: مخفّف يناوئ، أي يقاوم ويعاند

وقال ابن الرومي:

وامتناعُ النفسِ مما تشتهي ... حشبةَ لإنفاقٍ نقصٌ في النشب

والبحتري:

أضيعُ في معشري وكم بلدٍ ... يعدّ عودُ البكاءِ من حطبه

وقال جحظة:

إذا الشهرُ هلّ ولا رزقَ لي ... فمعدى أيامه باطلُ

وقال المتنبي:

توهّم القوم إن العجز قربنا ... وفي التقرّب ما يدعو إلى التهم

وقال ابن الرومي:

توقّي الداءِ خيرٌ من تصدٍّ ... لأيسرِه وإن قربَ الطبيبُ[1]

وقال آخر:

خرجنا لم نصِد شيئاً ... وما كانَ لنا أفلتْ

وقال المتنبي:

خذُوا ما أتاكم به واعذرُوا ... فإنَّ الغنيمةَ في العاجِلِ[2]

وله:

ذكر الفتى عمرُه الثاني وحاجته ... ما قاته من فضول العيش أشغال

وقال ابن طباطبا:

طمعتَ يا أحمقُ في قمرِها ... لو أمكنَ القمرُ قمرناها[3]

وقال أبو حكمية في حرب محمد والمأمون:

تجافت بيَ الأحزانُ عن كل مرقدٍ ... وأرمضني ما فيه أمةُ أحمدِ

وما ضرّ قوماً يسفكون دماءهم ... صفا الملك للمأمونِ أو لمحمّدِ

وقد نصبُوا حرباً تحرق بينهم ... لكلِّ رقيقِ الشفرتيْنِ مهنّدِ

وقال الخبزارزي:

فمن شغلَ قلبي بما نلتُه ... ذهلتُ به عن جميعِ الأمورِ

وقال آخر:

كأنّ من بشاشتنا طفلنا ... بيومٍ ليسَ من هذا الزمانِ

---

(١) يريد أن يقول ما هو مشهور درهم وقاية خير من قنطار علاج

(٢) المعنى: خير البرّ عاجله.

(٣) القَمْر: مصدر قمره أي غلبه في القمار والقمار كل لعب يشترط فيه أن يأخذ الغالب من المغلوب شيئاً

وقال الخبزارزي:

لَيْسَ لِلثَّعْلَبِ حظٌّ ... في غزالٍ عند ذئبِ

وقال المتوكل:

لا أعدم الذمّ حين أخطي ... وليسَ لي في الصواب حمْدُ

وقال ابن الرومي:

وليْسَ حصولُ فائدةٍ حُصولاً ... إذا ما أخطأ الغرضَ الحصولُ

وقال الصنوبري:

وتجشّم المكروهِ ليسَ بصائرٍ ... ما خلتَه سَبباً إلى المحْبوبِ[1]

وقال الموسوي:

وسرّ الفتى حمل النجادِ وربّما ... رأى حتفَه في صفحتيْ ما تقلّدا[2]

وقال البحتري:

والشيءُ تمنعُه تكونُ بفوْته ... أحرَى من الشيءِ الذي تُعْطاه[3]

ونحوه

إذا لمْ تستطِع شيْئاً فدعْه ... وجاوزْه إلى ما تستطيعُ

وقال آخر:

تعلّمتُ فعلَ الدهر حتى سبقتُه ... فأشقاني التلميذُ فعلَ المعلّمِ

وقال آخر:

وأراكَ تشكو الدهْرَ تظلمُه ... كلّ امرئٍ عاشرتَه دهرُ

وقال ابن نباتة:

فهو كالشمس بعدُها يملأ البدْ ... رَ وفي قربِها مَحاقُ الهلالِ[4]

وقال أبو تمام:

قد كنتُ كالسائلِ الأيامَ مجتهِداً ... عن ليلةِ القدرِ في شعبانَ أو رجبِ

وقال آخر

ومن راح ذا حرصٍ وجبْنٍ فإنّه ... فقيرٌ أتاه الفقْرُ من كلّ جانبِ

قال قدامة: أصح الأقسام في الشعر قول زهير

---

(١) تجشم المكروه: تكلفه على مشقة، والمكروه ما يكره من المصائب والصعاب.

(٢) النجاد: حمائل السيف ـ الحتف: الموت ـ ما تقلد: ما حمل.

(٣) فوت الشيء: مصدر فات فوتاً الأمر أي ذهب عنه.

(٤) محاق الهلال: عدم رؤيته، والمحاق آخر الشهر القمري أو الليالي الثلاث من آخره.

(١٠)
أبيات منقولةٌ من الفارسية

•

قال بعضهم:

ترى الديك فوق السطح في كلّ ساعة ... وتنكر إن كانَ الحمارُ على السطحِ

وقال محمد الأموي:

إذا مـا كـنـتَ فـي طرفـي كـسـاءٍ ... ولـم يـكـن الـكـسـاء يـعـم كـلّـك

فـلا تـتـبـسـطـنّ فـيـه ولـكـن ... عـلـى قـدر الـكـسـاء فـمـدّ رجـلـك[1]

وقال:

ومـا لـيـس يـشـبـه أربـابـه ... فـلا شـك فـي أنـه مـن سـرق

وقال:

وحقّ لـمَن قـد صحّ تمييزُ عقلـه ... إذا ما رأى الدينارَ أن يترك الفلْسا

وقال آخر:

فـانظرْ لـذاك فليس يعلـمُ كل ما ... في الجفّ غيرُ اللّـه والإسكاف

وقال ابن طباطبا:

مثلي كـبـائـع طشته بـشرابـه ... سِراً لـئلا يـعـلـم الـجـيـرانُ

لـمـا تـمـلـى ظلّ فـي غـثـيـانـه ... يشكو الصداع فـعاده الأخدانُ[2]

فدعَوا بطشتٍ كي يقيءَ فقالَ مه ... لـو كـانَ طـشـتٌ لـم يـكُـنْ غـثـيـانُ

وقال ربيعة الرقي:

فـأنـتَ كـذئـبِ الـسـوء إذ قـالَ مـرّة ... لعمروسة والذئبُ غرثانُ مرملُ[3]

ألـنـتِ الـتـي فـي كـل قـولٍ سبـبـتـنـي ... فـقـالـت متى إذا قـال ذا عـامَ أوّلُ[4]

فقالت ولدتُ العامَ بل رمتَ غدرة ... فـدونـك كـلـنـي لا هـنـا لـك مـأكـلُ

وقال طريح:

وإذا اسـتـوت لـلـنـمـل أجـنـحـةٌ ... حـتـى يـطـيـرَ فـقـد دنـا عـطـبـهُ

وقال بعضهم:

وقـد خـرقَ الأشـواقَ شـبـعـانُ مـرتـوٍ ... فقال رغيفٌ واحد يشبع الخَلْقا

---

(١) الكساء: القماش.

(٢) الغثيان: من غثى غثياناً أي اضطربت نفسه وكاد يقيئاً.

(٣) غرثان: جائع. (٤) سبيتني: أسرتني.

وقال:

لاطِمُ الأشفى مصرّ كفّه ... ومرامي المخرز رام كمده

وقال:

لا تقصُدنّ كلّ دخانٍ ترى ... فالنار قد توقد للكيّ

وقال آخر:

ومن يرومُ نزولَ البثرِ عن عرضٍ ... فليس في الشرط أن يخصي مراقيها

وقال آخر.

من لمعته حيّة مرّة ... تراهُ مذعوراً من الحَبْلِ

وقال آخر:

إذا سقط الجدارُ ولم يعبّر ... فما بعد السقوطِ لهُ عبارُ

وقال آخر:

كدود نشا في الخلّ ليس ببارح ... كأنْ ليس في الدنيا مكانٌ يعاد لهُ

وقال آخر:

ما رسولٌ لليث إلا عنقه ... فلهذا عنقُ الليث غليظُ

(١٤)

تمثل كل ذي صناعةٍ بصناعته

•

• سأل الرشيد بختيشوع عن حرب شاهدها، فقال: لقيناهم في صحن مقدار البيمارستان، فما كان مقدار ما يختلف الرجل مقعدين حتى صيرناهم في أضيق من المخنقة، ثم قتلناهم بمبضع ما سقط إلا على كل رجل.

• سئل جعفر الخياط عن حرب فقال لقيناهم في صحن مقدار الطيلسان فما كان مقدار ما يخيط الرجل درزاً حتى تركناهم في أضيق من الجر ثم قاتلناهم فلو طرحت إبرة ما وقعت إلا على رز رجل.

• وسئل معلم فقال. لقيناهم في صحن مقدار الكتاب فما لبثوا إلا مقدار ما يقرأ فتى مقدار عشر حتى تركناهم في أضيق من الرقم فقتلناهم في أقل ما يكتب صبي لوحين قال بعضهم:

مشق الحبّ في فؤادي لوحين فأعرى جوانحي بالتلاقي

قيل لجارية عربية: بم تعرفين الصبح؟ قالت: إذا برد الحلي. وقيل ذلك لنبطية فقالت: إذا جاءني الغائط

(١٢)

معارضات

●

١ ـ عرضت جارية على المهدي فقال لبشار لمحنها فقال.

أحـــمـــد الله كـــثـــيـــراً

فقالت:

حـــيـــنَ صـــيـــرتُ ضـــريـــرا

فقال: اشترِ الملعونة فإنها حاذقة.

عارض أبو العنبس البحتري في قوله:

مـــن أي ثـــغـــر تـــبـــتـــســـم

فقال:

مـــن أي ســـلـــح تـــلـــتـــقـــم ... وبـــأي كـــف تـــلـــتـــطـــم

أدخـــلـــت رأســـك فـــي الـــحـــرم ... .

فولى البحتري فقال أبو العنبس:

وعـــلـــمـــت أنـــك تـــنـــهـــزم

٢ ـ قال ميمون بن مهران: رأيت البارزي وحاله متماسكة فسألته فقال: كنت من جلساء المستعين فقصده الشعراء فقال: لست أقبل إلا ممّن قال مثل قول البحتري:

لـو أنّ مـشـتـاقـاً تـكـلّـف فـوق مـا ... في وسعه لـسـعـى إليك الـمـنـبـرُ[١]

فرجعت إلى داري وأتيته، فقلت: قد أتيتك بأحسن مما قال البحتري في المتوكل:

ولـو أن بـردَ الـمـصـطـفـى إذ لـبـسـتَـه ... يـظـنّ لـظـنّ الـبُـرْدُ أنـك صـاحـبُـه[٢]

وقـالَ وقـد أعـطـيـتـه ولـبـسـتَـه ... نـعـم هـذه أعـطـافـه ومـنـاكِـبُـه

فقال: ارجع إلى منزلك وافعل ما آمرك به فبعث إليّ سبعة آلاف دينار، وقال: إدخر هذه للحوادث بعدي ولك الجراية والكفاية ما دمت حياً.

قال وهذه حالة شبيهة:

كـمـا كـانَ بـعـد الـسـيـل مـجـراه مـرتـعـاً

---

(١) فوق ما في وسعه. أي فوق طاقته.

(٢) البرد. الثوب المخطط، وبرد المصطفى: برد النبي ﷺ.

٣ ـ وكان بشار يعطي أبا الشمقمق في كل سنة مائتي درهم فأتاه سنة فقال. هات جزيتك فقال: أي جزية هي قال هو ما تسمع. فقال بشار له. لأهجونك، فقال أبو الشمقمق:

إنـي إذا مـا شـاعـر هـجـانـيـه ولـجّ فـي الـقـول لـه لـسـانـيـه

بشار يا بشار فقال بشار وأمسك وعلم أنه يكمدها بقوله: يا ابن الزانية. وقال لا يسمعن هذا منك أحد ودونك الدراهم

وروي أنه أتاه مرة فامتنع من أعطائه فقال قد سمعت الصبيان يقولون:

إن بـشـاراً لـديـنـا مـثـل تـيـس فـي سـفـيـنـة

فرفع مصلاه عن دراهم وقال له. خذ هذه ولا تكن راوية للصبيان

٤ ـ اجتمع ثلاثة جنب غدير يقال له بطيانا فقال أحدهم:

نـلـنـا لـذيـذ الـعـيـش فـي بـطـيـانـا

فقال الآخر:

وقـد حـثـثـنـا الـقـدح احـتـثـاثـا

فارتج على الثالث فقال:

وأم عـمـرو طـالـق ثـلاثـا

فقيل له في ذلك فقال:

جـلـسـت عـلـى طـريـق الـقـافـيـة

٥ ـ ودخل العالي على أبي عباد الوزير وهو عليل فأنشده:

حـالـفـك الـفـضـلُ والـكـمـالُ والـبـذلُ والـجـاه والـنـوالُ[1]

فقال:

حـالـفـنـي الـسـقـمُ والـسـعـالُ ونـقـرسٌ مـا إن لـهُ زوالُ[2]

وقال بعضهم مررت بجارية ذات جمال فأنشدتها.

ويـح نـفـسـي وكـيـف لـي أن أسـبـيـك الـتـي أرى

فقالت.

ذاك شـيءٌ يـبـيـحـه فـي الـورى كـلُّ مـن يـرى[3]

---

(١) البذل الجود ـ النوال العطاء

(٢) السقم: المرض ـ النقرس داء معروف يأخذ في الرجل، وهو يحدث في مفاصل القدم وفي إبهامها

(٣) يبيحه: يجعله مباحاً والمباح نقيض المحظور

هو للضيف عندنا أول المزاد والقِرى

٦ ـ قال الجماز: دخلت على الرشيد وبين يديه طبق فيه ورد، فقال: قل في هذا شيئاً فقلت

كأنه خدّ محبوب يقبّله فمُ الحبيب وقد أبدى به خجلا

فقالت جارية على رأسه، ألا قلت.

كأنه لونُ خدّي حين تدفعني يد الرشيد لأمر يوجب الغسلا

فضحك وقال: قومي لننظر.

٧ ـ قصد أعرابي المأمون فقال: قد قلت شعراً، فقال: أنشده، فأنشد:

حيّاك ربُّ الناس حيّاك يا من جمال الوجه ردّاكا

بغداد من نورك قد أشرقت وأورقَ العودُ بجدواكا

فأطرق المأمون ساعة ثم أنشد:

حيّاك ربُّ الناس حيّاك إن الذي أملت أخطاك

أتيت شخصاً كيسُه قد خلا ولو حوى شيئاً لأعطاكا

فقال: يا أمير المؤمنين أن بيع الشعر بالشعر ربا فاجعل بينهما محللاً فضحك وأمر له بمال

وقيل من أحسن شعر القدماء قول [illegible]

الليلُ ليلٌ والنهارُ نهارُ

فأنشد ما جرّ ذلك فقال:

القرعُ قرعٌ والخيارُ خيار والدب دبٌ والحمارُ حمارُ

٨ ـ اجتمع قوم عند رجل علم بحضره شيء فرهن قطيفته، ولما قعدوا للشراب غنّى المغنّي:

أترى الذين تحمّلوا جننوا

فقال صاحب البيت:

فلا أدري أجنّوا، أم لا؟ فاستمربوا ضحكاً وخلصوا قطيفته

(١٣)

كلماتُ مجانين

•

١ ـ خرف النمر بن تولب فكان هجيراه: أصبحوا الضيف أعبقوا الراكب. وخرفت

امرأة فكان هجيراها. زوّجوني زوجوني. فقال عمر لأصحابها: ما لهج[1] به أحد عكل خير مما لهجت به صاحبتكم.

٢ ـ كان سكران يمرّ بشيراز فتلقاه ابن ممشاد المعدل فأخذ السكران بأيره وقال: أيترك القاضي أن أدخل هذا في بيته. فقال: إن أحتاج إلى ختن[2] وارتضاك فنعم ومرّ.

٣ ـ ومزّق مجنون ثوب رجل وقال: عنوان الزناء يريده كما كان.

٤ ـ وكان بهلول يتشيع فقال إسحق الكندي كثر الله في الشيعة مثلك. وكان يعتي بقيراط ويسكت بدانق، وكان جيد القفا وكان يعبث به كل من يمرّ فحشاً قفاه بالعذرة، وجلس على قارعة الطريق، فكل من صفعه يقول له: شمّ يدك

٥ ـ وبعث الرشيد إلى بهلول فأحضره وأجلسه في صحن الدار وأم جعفر تراه من حيث لا يراها، وعيسى بن جعفر جالس، فقال الرشيد: يا بهلول عدّ لنا المجانين فقال: أولهم أنا قال هيه. قال. وهذه، وأشار إلى موضع أم جعفر فقال له عيسى يا ابن اللخناء تقول هذا لأختي فقال بهلول. وأنت الثالث يا صاحب العربدة[3] فقال الرشيد: أخرجوه. فقال: وأنت الرابع

٦ ـ وعدا عيناوة يوماً بين يدي الصبيان فدخل داراً وصعد سطحها وأشرف على الصبيان، وقال: من أين أبلاني الله بكم؟ فقال له رجل في الدار أرجمهم بالحجارة، فقال: أخاف إن رجعوا إلى آبائهم يقولون إنه بهلول يحرّك يديه فيأخذوني فيغلوني[4] ويقيّدوني.

وأخذ الطائف مجنوناً فأمر به إلى الحبس فقال إني حلفت أن لا أحبس عن منزلي، فضحك منه وأطلقه. وأخذ أعرابي إدعوا أنه سكران، فقال الوالي استنكهوا الخبيث فلم يشمّوا رائحة، فقال قيئوه فقال تضمن عشائي أصلحك الله.

(١٤)

حكمُ مجانين

•

١ ـ وعظ بهلول الرشيد وهو متوجه إلى الحج فقال: ما هكذا حج رسول الله ﷺ ثم قال له. هل لك في جائزة تقضي بها دينك؟ فقال: الدين لا يقضى بالدين أي ما تعطيني ليس هو لك.

---

(١) لهج به: أغري به فثابر عليه.

(٢) الختن: الزوج.

(٣) العربدة: سوء الخلق

(٤) يغلوني: يقيّدوني بالأغلال.

٢ ـ ونظر بهلول إلى مجنون يوم العيد وهو يقول يا أيها الناس، إني رسول الله إليكم فلطمه بهلول على وجهه وقال: ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضي إليك وحيه.

٣ ـ وعدا مجنون من صبيان ثم دخل داراً وكان ثمّ رجل له ذؤابتان فقال له: يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض، فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً؟ فأغلق الباب وأتاه بطبق تمر، وقال: كل فأخذ يأكل والصبيان يصيحون فقال: فضرب بينهم بسور له باب، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب.

٤ ـ كان مجنون تؤذيه الصبيان فقال له رجل تريد أن أطردهم؟ فقال: نعم وتتطرد معهم. وقيل لمجنون: فيم يسعى هذا الخلق؟ قال: فيما لا يجدونه هم يطلبون الراحة وهي لا تكون في الدنيا.

٥ ـ قال الرشيد لبهلول من أحب الناس إليك؟ قال: من أشبع بطني قال: فأنا أشبع بطنك فأحببي قال: الحب لا يكون نسيئة.

٦ ـ استقبل جعيفر امرأة صبيحة فبادر إليها واعتنقها فاجتمع الناس فضربوه فقال:

علقوا اللحم للجزا	ر على دورتي عدن
ثم لاموا المحب فيـ	ـه على خلعه الرسن
لو أرادوا عفافه	نقبوا وجهه الحسن[(١)]

٦ ـ ومثل هذه الحكاية وإن لم تكن مما نحن فيه ـ ما روي أن ابن زيدان كان عند يحيى بن أكثم يملي عليه فقرص خدّه فغضب فأنشأ يقول:

أيا قمراً جمشته متغضبا	وأصبح لي من تيهه متجنّبا[(٢)]
إذا كنتَ للتخميش والعضّ كارهاً	فكُنْ أبداً يا سيدي متنقّبا
ولا تظهر الأصداغ للناس فتنةً	وتجعل منها فوق خدّك عقربا
فتقتلَ مُشتاقاً وتفتنَ ناسكا	وتتركَ قاضيَ المسلمين مُعذّبا

(١٥)
خرافاتٌ على سبيل التهكّم

●

١ ـ رأى حمدويه المخنث بمكان منكر صاحب شرطة فقعد على روثة يريه أنه يخرأ.

---

(١) نقبوا وجهه: ستروا وجهه بالنقاب وهو القناع

(٢) جمشته: خلشته، لطمته ـ التيه: الزهو والكبر

فلما دنا منه قام فقال له: ما كنت تفعل؟ فقال: كنت أخرأ فإذا تحته روث فقال: أتروث هذا؟ فقال: مالك وهذا، كل إنسان يخرأ ما يريد.

٢ ـ قيل لعبد الرحمن القاضي. لِمَ سمّي العصفور عصفوراً؟ قال. لأنه عصى وفر. قيل: فالطفشل، قال: لأنه طفا وشال.

٣ ـ جعل سخفاء واحداً منهم على جنازة فمر بهم جحا فقالوا له. صلّ على هذا الفقير الغريب فصلّى. فلما كبّر ضرط و تعت إليهم وقال: إن كان على صاحبكم دين فاقضوه، فهذا من ضغطة القبر. وقال له أبوه: قبر هذا الجب فقبره من خارج فقال ويحك إنما يقبر من داخل فقال: اقلبوه

٤ ـ قال علي بن عبد العزيز القاضي

قوم إذا حرؤا حلّوه وانصرفوا	أليس ذا كرما ناهيك من كرمِ

وقال:

لقيتُ أبا يحيى عشية جئته	كريمَ المحيا طاهر الشر وأقلب
كريمٌ كنصْل السيف يهتزّ للندى	كما اهتزّ ماضٍ للضريبةِ واقلب[1]
وأيرُ حمارٍ داخلٌ في حرامه	ولا تقلنس هذا فليس بو اقلب[2]

٥ ـ قال بعضهم. ركبت سفينة من بغداد إلى واسط، فإذا أنا بشيخ له رواء وهيبة. وكنا جماعة رفقة كل منا يشتهي مدعبة الشيخ ويتحاماه لهيبته، إلى أن بلغنا المقصد، فقلت للشيخ: أوصني. فقال. إذا جمعتك الريح فأرسلها ولو بين الركن والمقام. فقلت. زدني، فقال يا بنيّ إذ، مسكت جرية فاستمن بدبرها على قبلها يكن لك من كان. فقلت. زدني فقال يا بني لسبك من قدام يضعف الركبتين فإياك أن تستعمله في الصيف خاصة، والنيك بغير براق أعطف للكمف، ثم قال: تمسّك بهذه الأربعة تكن لقمان زمانك.

٦ ـ قال المبرّد سأل رجل فقيهاً، فقال: علّمني. فقال: أنا مستعجل فخذ جملتها أجحد ما عليك وأدّع ما ليس لك واستشهد بشهود عيب، وأخر اليمين إلى أن تنظر فيها

٧ ـ كان رجل وامرأته يبولان في الفراش فاتفقا أن يتعاقب في النوم ويحتفظ كل بصاحبه. فنام الرجل وسهرت المرأة قابضة على متاعه فلما همّ بالبول نبهته. فقام وبال

---

(١) الندى. الكرم ـ اهتز ماض. الماضي: السيف ـ الضريبة: موقع الضرب من الجسد، والضريبة أيضاً: الطبيعة والسجية.

(٢) الحِر: الفرج

ونامت المرأة من بعده فقبض على متاعها فلما همّت بالبول، كانت تنزّ من جانب إذا قبض على جانب.

٨ ـ **وولّى أبو العبر أبا العجل وكتب له عهداً نسخته.** يا أبا العجل وفّقك وسدّدك وليتك خراج ضياع الهواء ومساحة الهباء وكيل ماء الأنهار وعد الثمار، وصدقات البوم وكيل الزقوم وقسمة الثوم بين الهند والروم. وأجريت لك من الأرزاق بعض أهل حمص لأهل العراق وأمرتك أن تجعل ديوانك ببرقة[1] ومجلسك بأفريقية، وعيالك بميسان[2]، واصطبلك بهمدان[3] وخلعت عليك خفّي حنين، وقميصاً من دين، وسراويل من سحنة عين قدر في عملك كل يوم مرتين والحمد لله على ما ألهمنا فيك فقابلنا بالشكر فيما توليك.

٩ ـ **قالت جارية مات أبوها.** وا أبتاه وا حبلاه فقالت لها امرأة. ويلك ومتى كان له حبل؟ **قالت:** كان يريد أن يشتري.

١٠ ـ **ونظر مزيد إلى أهل الكوفة وقد أخرجوا صبيانهم للإستسقاء فقال:** لو كان دعاؤهم مستجاباً لما بقي في الأرض معلم. أسلم نصراني **فقالت أمه.** صحبت عيسى ثم محمد بعد لم يعرفك وعيسى تبرأ منك.

١١ ـ **وكان أعرابي يمدح أميراً فضرط فقال:** والله أنه لينطق كل عضو مني بمدح الأمير.

١٢ ـ **وقال المأمون لأعرابي** إن عددت من جوارحك عشرة أولها كاف أعطيتك عشرة آلاف درهم. فقال كوع كرسوع كبد كمل كف كشح كعب كاهل كرش. وولّي الأعرابي فإذاً إنسان يبوّل فعاد وقال كمرة فأعطاه

(١٦)

فتاوى على سبيل الحماقة

●

١ ـ **قيل لابن مجاهد ما أول الدخان؟ قال** الحطب الرطب **وقيل** أين في القرآن الهريسة؟ **قال:** بقرة صفراء ثوموها وأضربوه ببعضها، وفار التنور، ولتركبن طبقاً عن طبق. ذهب طبري إلى مفت فقال: كنت في صلاتي، فخرج من دبري

---

(١) **برقة:** عاصمة منطقة في ليبيا

(٢) **ميسان:** منطقة جنوب العراق على شط العرب.

(٣) **همدان:** بلدة في فارس.

شيء. فقال: أكان مثل حمصة؟ قال: أكبر. قال: كبندقة؟ قال: أكبر. قال: كجوزة؟ قال: أكبر. قال: أراك قد خريت.

٢ ـ وقال بعضهم رأيت جملاً يحمص يتبع بقرة فقلت أهذا ولدها؟ فقالوا: لا، بل يتيم في حجرها.

٣ ـ مرّ العتابي بمنصور النمري فرآه كئيباً فسأله، فقال: امرأتي عسرت ولادتها. فقال: أكتب على حرها هارون فقال: ما هذا، أتهزأ بي؟ فقال: أعني قولك في هارون.

أن أخلف القطر لم تخلف مواهبه ... أو ضاق أمر ذكرناه فيتسع[1]

٤ ـ كان بعض أهل نصيبين شديد الغفلة، وكان يسوق عشرة أحمرة فركب حماراً منها، وعدّها فرآها تسعة. فنزل وعدها فوجدها عشرة فقال: أمشي وأربح حماراً أجود

(١٧)

بلاغات من لم يختلف للكتاب

١ ـ كتب معاوية بن مروان إلى الوليد بن عبد الملك. بعثت إليك بقطيفة خزّ أحمر أحمر فكتب إليه: قد وصلت وأنت أحمق أحمق أحمق والسلام

٢ ـ قال أبو القاسم بن بابك الشاعر أنشدني ابن القرائي لنفسه: أنت يا ابن شيار أنت تحكم في الدين كرار غير فرار. ولست كبقصي ابدي يتبع العار. وأمير المؤمنين الطائع أطال الله بقاءه وأدام عزّه وتأييده وسعادته وكبته لك مختار. فقلت: لم طولت هذا البيت فقال هو خليفة ولا يجوز أن ينقص دعاؤه.

٣ ـ قال دعبل: كان لي صديق يقول شعراً فاسداً فقال يوماً:

إن ذا الحبّ شديدُ ... ليس ينجيه الفرار

ونجا من كان لا يأ ... مس من دلّ المحازي

فقلت هذا لا يجوز. فالبيت الأول ر، والثاني راي. فقال: لا تنقطه.

قلت: فالأول مرفوع والثاني مجرور. فقال: أنظر إلى حماقته. أقول له: لا تنقطه وهو يشكله.

٤ ـ وقال محمد بن العبّاس لوكيل: ما حال غلتنا بالأهواز؟ فقال: أما متاع أمير

---

(١) القطر: المطر ـ يقول إن ممدوحه لا يتأخر له عطاء، وقد يحلق المطر دون أن تحلف مواهبه فهي دائمة لا تزول.

المؤمنين فقائم على سوقه. وأما متاع أم جعفر فمسترخ. وقال بعضهم: احتمجت من الخديعتين يعني الأخدعين.

٥ ـ كان عبد الله بن عوانة يقول: الحمد لله واصطأفر الله، والله فأكبر، وقال المشي إلى بيت الله أعني به الطلاق الثلاث، ثلاثين حجّة. أحرار لوجه الله وسبيلي حبيس في دواب الله فقلت موفقاً إن شاء الله تعالى.

٦ ـ قال رجل للرئيس بن العميد إذا رأيت وجهك رأيت البامة يريد البهاء فقال إذا وجهي سقنقور[1] أنشد عبد الله بن فضلويه:

قيامة يوم لا دواء له   إلا الطلاء وإلا الطيب والطرب

فقيل له: ويلك إنما هو يوم الحجامة[2] فقال: أعذروني فإني لا أعرف النحو ولبعض أهل خراسان:

أنا شذره أنا هذبه   أنا زين الخطبون

ولنا باب اش هشت   كربه بسيسبرمون

ولنا رهوذة   كل يوم دهمون

يحملوه كل يوم   ذي سوى ما يطبخون

وقال:

ولنا برج حمام   كان جدّي قد بنى

فيه بيض وحمام   ودجاج ورنا

أحسنت والله أمي   حين جاءت بأنا

وقال رجل: لأعين الطبيب إني لأجد في بطني وجعاً لا أدري ما هو؟ قال: فخذ أيش هو، واجعل فيه ما اسمه ودقّه بقول أنت.

(١٨)
لعب الاعراب

●

● البقيري وهو جمع تراب يقطع نصفين ويقال خذ أيهما شئت.

● وعظيم وضاح عظم يرمي به أحد الفريقين فمن وجد من الفريقين ركب

---

(١) السقنقور: ضرب من الزحافات في البلاد الحارة، يقال له التمساح البريّ واللفظة يونانية.

(٢) الحجامة: المداواة بالمحجم وهو شيء كالكأس يفرغ من الهواء ويوضع على الجلد فيحدث تهيّجاً ويجذب الدمّ بقوة.

أصحابه الفريق الآخر من الموضع الذي وجد فيه إلى الموضع الذي رموا به.

● **والحظيرة** أن يرمي أحد الفريقين بمخراق من خلفه فإن عجزوا عن أخذه رموا به إليهم، فإن أخذوه ركبوهم.

● **الدارة** التي يقال لها الخراج، والشبحة التي يقال لها نجو بالفارسية.

● **ولعبة الضبّ** أن يصور الضبّ ثم يحوّل أحدهم وجهه فيضع يده على موضع فيقول عين الضب أو ذنبه أو كذا. فإن أخطأ ركب هو وأصحابه، وإن أصاب حوّل وجهه فيصير هو السائل.

*

تمّ بحمد الله الجزء الثاني من كتاب:

محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء

للراغب الأصبهاني رحمه الله.

وذلك في يوم الثلاثاء:

٢٣ شهر شوّال عام ١٤١٩هـ

الموافق

٩ شباط عام ١٩٩٩

كتاب «محاضرات الأدباء»

•

فهرس الجزء الثاني

الحدّ الثاني عشر

•

في الإخوانيات ٥

الحدّ الثالث عشر

•

في الغزل وما يتعلّق به ٤٣

الحدُّ الرابع عشر

•

في الشجاعة وما يتعلق بها ١٤٦

الحدّ الخامس عشر

•

في التزويج والأزواج والطلاقِ والعفةِ والتدليث ٢٢٠

الحدّ السادسَ عَشَر

•

في المجونِ والسُّخفِ ٢٦٤

الحدّ السابع عشر

•

في خَلْقِ الإنسان ٣٠٥

الحدّ الثامن عشر

•

في الملابس والطيب ٣٧٥

الحدُّ التاسعَ عشر

●

في ذمّ الدنيا وذَويها ٣٩٤

الحدّ العشرون

●

في الديانات والعبادات ٤١٠

الحدّ الحادي والعشرون

●

في الموت وأحواله ٥٠١

الحدّ الثاني والعشرون

●

في السماء والأزمنة والأمكنة والنبات والأشجار والنيران ٥٥٨

الحدّ الثالث والعشرون

●

في المَلَك والجنّ ٦٦٠

الحدّ الرابع والعشرون

●

في الحيوانات ٦٦٧

الحد الخامس والعشرون

●

في فنون مختلفة ٧٤٢